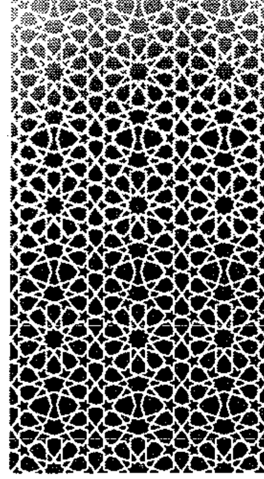


بسم الله الرحمن الرحيم

أعيان العصر وأعوان النصر

مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي



أعيان العصر وأعوان النصر

لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور نبيل أبو عمشة الدكتور محمد موعد الدكتور محمود سالم محمد

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الثالث

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية



الرقم الاصطلاحي: ٣-١١٠١١٥٠,٠١١

الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8

الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-497-2

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعوان النّصر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي

التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،

د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد

قدم له: مازن عبد القادر المبارك

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٧٣٠ ص

قياس الصفحة: ١٧×٢٥سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦

http://www.fikr.com/

E-mail: info @fikr.com

الطبعة الأولى

1418هـ = 1998 م

٩١١ ـ عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة حُجّة العرب ، أفضلُ المتأخرين ، جمال الدين أبو محمد الأنصاري الحنبلي المصري .

شيخ النحو ، ومن قام في أمره بالإثبات والمحو ، أظهر فيه الإبداع وصنّف ، وقرّط الأسماع وشنّف ، ونظر ودقّق ، وتعمّد لأن تعمّق وحقّق ، ورجح الأضعف ، لذهنه المتوقد وأوهى الأقوى من الأقوال ، وسهّل المتعقّد ، وكدّ وكدح ، وصدّ عن الباطل ، وأطرب لمّا صَدَح ، وناقض شيخنا أثير الدين وحجَّه ، وعَدَل بمذاهبه[1] عن المحجّة ، وكاد يميت ذكر أبي حيّان ، ويُردي كل من جاء من جيّان ، فلو عاصره سيبويه لحاكم الكسائي إليه ، وفصل أمر المسألة الزنبورية بين يديه ، وفَصَّل فُصول كتابه وخلعها عليه ، أو الفارسي لأجْلَب عليه بخيله ورَجْله ، أو ابن جني لما كتم (سرّ الصناعة) من أجله ، أو ابن مالك لكان له مملوكاً ، وجعل به طريق (التسهيل) للناس مسلوكاً :

وأطلعه الفهم بعد النُّهَى على مشكلاتِ كلام العَرَبْ

ولم يزل بالقاهرة يصنّف ويُفيد ، ويجود للطلبة بفوائده ويُجيد ، إلى أن نزلت[2] به أمّ اللهيم الأُرَبى[3] ، وفجعت به النحاة والأُدَبا .

---

* وفيات ابن رافع : ٣٦٤/١ل والدرر : ٣٠٨/٢ ، والذيل التام : ١٧٥ ، والبغية : ٦٨/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٣٦/١ ، والبدر الطالع : ٤٠٠/١ ، والشذرات : ١٩١/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٦/٣ .

(١) في الأصل : « بمواهبه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « زلت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) أم اللهيم : المنية ، والأربى : الداهية .

وتوفي رحمه الله تعالى عشية الخميس خامس ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد العشرة وسبع مئة .

وكان في أول عمره قد تفقّه للشافعي ، ثم انتقل أخيراً إلى مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وحضر مدارس الحنابلة ، وحفظ (مختصر أبي القاسم الخِرقي) في دون الأربعة أشهر ، مع ملازمة المطالعة والاشتغال ، وروى (الشاطبية) عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرها .

وصنف وأفاد وتخرّج به جماعة من أهل الديار المصرية ، ومن أهل مكة لّما جاور بها ، وأقرأ (كتاب) سيبويه مرّات ، وصنّف كتباً في العربية منها : (تعليقه على مشكل ألفية ابن مالك)(١) ، ومنها : مقدّمة في النحو سمّاها (الإعراب عن قواعد الإعراب)(٢) ، و (مُغْني اللبيب عن كتب الأعاريب) ، وهو كتاب مُفيد قد جَوَّده وبيّضه فسوّده(٣) ، واشتهر في حياته في الشام ومصر ، واشتغل به أهل العصر .

٩١٢ ـ عبد الله بن أبي الوليد محمد*

ابن أبي القاسم أحمد بن أبي الوليد محمد التجيبي بن الحاج القرطبي المالكي .

إمام محراب المالكية بجامع دمشق ، حدّث عن ابن الثمانين(٤) ، وكان مشهوراً بالصلاح .

(١) ويعرف باسم : (التوضيح) ، أو : (أوضح المسالك) .
(٢) مطبوعة .
(٣) أي : جعله سيّداً ، وفي الأصل : وسوّده .
* البداية والنهاية : ٢٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٦٧/١ ، والدرر : ٢٨٦/٢ ، وذيول العبر : ٢٣٤ .
(٤) كذا ، ولم نقف على مراده .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة بظاهر دمشق .

وسيأتي ذكر والده في المحمّدين .

٩١٣ ـ عبد الله الفاتولة*

بالفاء والألف والتاء ثالثة الحروف والواو واللام والهاء ، الحلبي الدمشقي .

شيخ قد أسنّ ، وبلي من الكبر فأشبه الشّنّ ، فقير حرفوش ، مكشوف الرأس منفوش[1] ، عليه دلق رقيق ، بالي الخرقة دقيق ، قد تمكّن منه الوسخ ، وثبت فيه ورسخ ، قد جمّعه من عدة رقاع ، والتقطه من متباعد البقاع ، يعبث به الأطفال فيزط ، وينهض لمناوشتهم وينط ، له جمرة يستدفئ بنارها ، ويرتضي بعابها وعارها .

وكان عاقلا ، إلاّ أنه عن الصلاة لا يزال غافلا ، والناس مع ذلك يذكرون له كرامات ، ويشهدون أنه يشاهِد في الملكوت مقامات .

ولم يزل على حاله إلى أن انحلّ فَتْلُ الحبل من الفاتوله ، وأكلته أمّ دَفْر[2] القاتوله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

وكان يجلس عند عقبة الكتّان بدمشق .

---

* الوافي : ٦٩٧/١٧ ، وعقد الجمان : ١٤٩/٤ ، وفيه « الفانولة » بالنون .

(١) في الأصل : « مكفوش » ، ولم تذكرها المعاجم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) من أسماء الدواهي ، وفي الأصل : « ذفر » ، تصحيف .

أخبرني شيخنا الذهبي ، قال : كان الفاتولة جيّد[١] العقل ، لا يقرب الصلاة ، ولا يسأل الناس شيئاً ، فقلت أنا في ذلك :

يا معشر المسلمين هذا إبْراهيم في غاية الضلال
ومن عجيب الزمان يبدو فاتولةُ العصر في انحلال

٩١٤ ـ عبد الله الحاجب*

الأمير جمال الدين الدمرتاشي .

كان رأس الميسرة في الحُجْبة بدمشق ، ركابياً[٢] بخدمة[٣] دمرتاش بن جوبان المُقَدّم ذكره ، وحُبِسَ بعده في قلعة دمشق مدّة مديدة ، ثم أُطلق ، وتولّى شدَّ المسابك[٤] بدمشق ، ثم تولّى شدَّ المواريث الحَشْريّة بدمشق في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، فيما أظنّ ، ثم إنه تولَّى مدينة دمشق في أيام الأمير يَلْبُغا ، وخَدَم الناسَ وأحسنَ إليهم ، ثم تولّى ولاية البَرّ ، وجُمع له بين [ولاية][٥] المدينة والبرّ زماناً ، ولم يهتك مَسْتُوراً ، ثم إنه تولّى القبلية وهو على حاله في خدمة الناس [ثم إنه ولي إمرة الحجوبية في الميسرة إلى آخر وقت وهو على حاله في خدمة الناس][٦] ومسايستهم إلى سنة تسع وخمسين

---

(١) في (ق) ، (س) : « ثابت » .

* الدرر : ٣١١/٢ ، ويقال : التمرتاشي .

(٢) في (ق) ، (س) : « كان ركابياً » ، والركابي : من يستخدم لخدمة عدّة الخيل من سروج ولجم ونحوها .

(٣) في (س) : « لخدمة » .

(٤) وظيفة صغيرة يتولّى صاحبها الإشراف على المسابك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وسبع مئة ، فعُزل عن الحُجْبَة ، وأُخرج إلى طرابلس بطّالاً ، فأقام بها قليلاً ، ورُسم له[١] بعَوْدِه إلى دمشق ، فأقام بها بطالاً إلى أن توفي في ثاني القعدة يوم الجمعة سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

وكان قد حجّ في سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وكان يزعم أنه في ولاية المدينة دخل إليه [في الليل][٢] شيخ من الجن واعترف عنده أنّه شرب الخمر وسأله أن يحدّه ، وأنه فَعَل به ذلك ، وطَلَبه فلم يجده ، سمعت ذلك من لفظه غير مرّة .

٩١٥ ـ عبد الأحد بن أبي القاسم*

ابن عبد الغني بن خطيب حرّان الشيخ العدل بقيّة الأخيار ، شرف الدين أبو البركات بن تيميّة التاجر .

سمع من ابن اللّتي في الخامسة ، ومن ابن رواحة ومُرَجّى[٣] بن شُقَيْرة ، وعُلوان بن جُمَيْع .

وكان له حانوت في البزّ[٤] ، ثم انقطع ، وحدّث زماناً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة في رابع شعبان .

ومولده بحرّان سنة ثلاثين وست مئة .

---

(١) ليست في (ق) ، (س) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ٥/١٨ ، والدرر : ٣١٤/٢ ، والشذرات : ٣٠/٦ ، وذيول العبر : ٧٠ .

(٣) هو المرجّى بن حسن بن علي (ت٦٥٦ هـ) ، والسير : ٣٢٩/٢٣ ، وفيه : « ابن شقيرا » . وكذلك في ذيول العبر .

(٤) في الوافي : « في البّر » .

٩١٦ ـ عبد الأحد بن سعد الله*

ابن عبد الأحد بن سعد الله بن عبد القاهر بن عبد الأحد بن عمر ، الفقيه شمس الدين أبو محمد الحرّاني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً ، كثير التنفّل ، يستحضر الكثير من المذهب ، وسمع الكثير ببغداد وبدمشق ، وحدّث ، ومن شيوخه : ابن البخاري ، وابن شيبان[١] ، ورُقَيّة بنت مكّي ، وابن الواسطي[٢] ، والعماد بن العماد[٣] ، والنفيس بن الكمال ، والشمس بن الزين بدمشق . ومن شيوخه ببغداد : الكمال الفويرة ، والرشيد بن أبي القاسم ، ويوسف بن كرم ، وابن الطبّال ، وعبد الرحيم بن الزجاج[٤] ، وابن الدبّاب[٥] ، وابن المريخ ، وعبد المنعم بن عرندا . وسمع أيضاً بحماة وحلب والإسكندرية .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرّجت له جزءاً عن البغداديّين[٦] وجزءاً عن الشاميين ، وحدّث بهما فيهما عن أكثر من مئة شيخ .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بحرّان سنة ثمان وستين وست مئة ، وكان يعرف بابن نجيح .

---

* الدرر : ٣١٤/٢ .

(١) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .

(٢) إبراهيم بن علي بن أحمد الصالحي ، ابن الواسطي ، توفي (٦٩٢ هـ) . العبر : ٣٧٥ .

(٣) هو العماد أحمد بن العماد إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي (ت٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٧/٥ ، ووقع في الأصل : « الكمال بن العماد » ، وهو سهو .

(٤) عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن فارس ، ابن الزجاج . (ت٦٨٥ هـ) . العبر : ٣٥٣/٥ .

(٥) محمد بن محمد بن علي البَابَصْري (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .

(٦) في الأصل : « البغدادي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

٩١٧ ـ عبد الأحد بن يوسف بن الرُزَيز*

تصغير رُزّ .

خطيب جامع القاضي كريم الدين الكبير الذي بالقبيبات[١] ظاهر دمشق ، خطب فيه أول يوم فرغ من عمارته في شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وحضره جماعة من القضاة والعلماء وأرباب الدولة ، وقصد الناس الصلاة خلفه لبركته وحسن خطابته .

٩١٨ ـ عبد الباري بن أبي علي الحسين**

ابن عبد الرحمن كمال الدين بن الأسْعَد الأَرْمَنْتي ، بهمزة مفتوحة ، وراء ساكنة ، وميم مفتوحة ، ونون ساكنة ، وتاء ثالثة الحروف ، القرشي البكري .

سمع من [ابن] النعمان[٢] وغيره .

كان متورّعاً زاهدا ، يقطع الليل هاجدا ، عنده وسواس في النجاسات ، وتخيّلٌ زائد في توهّم القاذورات ، بحيث إنه زاد أمرُه ، وتغيّر مزاجُه ، وكاد يخيب فيه طِبّه[٣] وعلاجه ، وغلبت عليه السوداء ، وما يتبعها من فساد التخيّل والأدواء ، فطلع المنبر بقوص بعد صلاة الجمعه ، وادعى الخلافة له في كل بقعه ، ثم إنه صلح حاله بعد ذلك قليلا ، وبقي في عقابيل ذلك نزيلا .

---

* الدرر : ٣١٥/٢ .

(١) القبيبات : كانت قرية ظاهر دمشق من جهة الجنوب أصبحت الآن حي الميدان فوقاني بدمشق .

** الوافي : ١٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٣ ، والدرر : ٣١٥/٢ .

(٢) محمد بن موسى ، كان عارفاً بمذهب مالك (ت٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٣) في الأصل : « وكان يجيب فيه ظنّه » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان فقيهاً مالكيا ، ثم تحوّل شافعيا ، وحفظ كتاب ابن الحاجب في الفروع ، و (التعجيز)[١] أكمله حفظاً بعد الشروع .

ولم يزل على حاله إلى أن لسعه ثعبان فمات من سُمّه ، وعدم روح الحياة ولذّة شمّه ، وذلك بقوص سنة ست أو سبع وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوّي : ذكر لي جماعة من قوص أن قاضي القضاة أبا الفتح القُشَيْري قال له : اكتب على باب بلدك أنه ما خرج منها أفقه منك[٢] .

وكان عنده قمح قد انتقاه وغَسلَه بالماء فيزرعه في أرض يختارها بنفسه يتوَلّى زرعه وحصاده وطحنه ، وعنده طين طاهر يعمل منه آنية ليأكل فيها ويشرب .

٩١٩ ـ عبد الباقي بن عبد الحميد*

ابن عبد الله بن أبي المعالي مَتّى بن أحمد بن محمد بن عيسى بن يوسف ، الشيخ تاج الدين اليمني المخزومي .

كان أسمَر اللون ، ظريف الكون ، شيخاً طُوالاً ، حَسَن العمّه ، بعيد الهمّه ، يدّعي في الإنشاء أشياء لو صحت كانت معجزه ، أوْ لَوْ أتى ببعضها كانت من الغرائب الْمُوْجَزَه ، لا يحقّق شيئاً من العلوم ، ولا ممّا يتصف به ذوو الألباب والحلوم ، نعم كانت له قدرة على النظم والنثر ، وهو فيهما كثير التردّي في الرَدِيّ والعَثر .

وكان يُقرئ في المقامات والعروض ، ويحسّنُ ما يدعيه بالتقادير والفروض ، ونظمه أقرب إلى الجَوْدَه ، ونثره يقال فيه كما قيل : قد عرفناك يا سَوْدَه ، ويكتب

---

(١) التعجيز في مختصر الوجيز ، لابن يونس عبد الرحيم بن محمد الموصلي المتوفى سنة (٦٧١ هـ) .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٣ .

* الوافي : ٢٣/١٨ ، والفوات : ٢٤٦/٢ ، والدرر : ٣١٥/٢ ، والشذرات : ١٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٢٣٣ ، وفيه : « عبدالباقي بن عبد المجيد » . وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ .

خطاً نقِشا ، ويجيد منه سطراً رَقِشا ، وعلى كل حال فكان من أشياخ الأدب ، وجرائمه التي تُقْصَدُ بالطلب .

وكان كثير الحطّ على القاضي الفاضل ، وهذا دليلي[١] على أنه لم يكن ممّن يناظر أو يناضل ، وكَفَتْه هذه الحطّه ، وحبسه بها سيئة أكفأته في هذه الورطه .

وكان يرجّح كلام ابن الأثير ، وهذا كلام من هو بين أهل الكلام[٢] عثير ، وبينهما عند أرباب هذا الفن من الفَرْق ، ما بين القدم والفَرْق ، وبينهما من البعد والبَوْن ما بين الفساد والكَوْن ، أو الأبيض اليقَق والأسود الجَوْن ، علم ذلك مَنْ عَلِمَه ، أو جهله مَنْ جَهِلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن فني عبد الباقي ، ورقَد في البرزخ إلى يوم التلاقي .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة ثلاث وأربعين ، أو أوائل سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده بمكة ثاني عشر شهر رجب سنة ثمانين وست مئة .

وكان قد ورد في أيام الأفْرَم إلى دمشق ، وعمل رسالة سمّاها : (قلائد الحُوْر في المفاخرة بين المنظوم والمنْثُور) ، وحكّم فيها القاضي محيي الدين بن فضل الله ، فتوسّط له عند الأفرم ، فرتّب له على الجامع الأموي بدمشق في الشهر مئة درهم ، وقرأ عليه الطلبةُ في المقامات والعروض . ثم إنه توجّه إلى اليمن ، وكتب الدَّرْجَ باليمن ، وربما وَزَر ، ثم إنه لمّا توفي المؤيد صاحب اليمن صادره ولُده المجاهد ، وأخذ منه ما حصّله ، فورد إلى مصر سنة ثلاثين ، وقدم إلى دمشق ، ورأيته بها في سنة إحدى وثلاثين ، ثم عاد إلى مصر ، وبها اجتمعت به سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وفُوّض إليه تدريس المشهد النفيسي ، وشهادة البيمارستان المنصوري .

(١) في (س) : « دليل » .
(٢) في (ق) ، (س) : « البيان » .

ثم إنه ورد إلى دمشق ، ورُتّب مصدّراً[١] بالحرم في القدس ، فأقام به مدة وتردد إلى دمشق وحلب وطرابلس ، وعُمل له راتب بطرابلس ، ثم[٢] توجّه إلى القاهرة وأباع وظائفه ، وبها توفي رحمه الله تعالى .

وكانت له قدرة على النظم والنثر ، إلاّ أنه لم يكن له فيهما غَوْصٌ على المعاني .

وكان ظَنيناً[٣] بنفسه ، يدّعي أنه يملي على أربع كتاب ، أو قال : خمسة في مقاصد مختلفة نظماً ونثراً ، ويظن مع ذلك أن كلامه خير من كلام القاضي الفاضل ، وعارض الرسائل المختارة للفاضل ، مثل (الرسالة الذهبية) ، و (فتح القدس) ، وغيرهما ، فكان كمن عارض الزواهر بالذُبَالة[٤] ، والجواهر بالزبالة وكان كلامُه متوسطاً ، وعمل تاريخاً لليمن[٥] ، وتاريخاً للنحاة[٦] ، وليسا بشيء ، وذيَّلَ على تاريخ ابن خلكان بذيل قصير جداً[٧] رأيته لم يبلغ به ثلاثين رجلاً[٨] .

وكان يعظّم نفسه ، ويطريها[٩] ، بل يطغيها ، ولكنْ لكلامه وقعٌ في النفوس ، وديباجة إذا أطنب في وصف نفسه ، وتعيّش بذلك زماناً ، وقمر عقولاً أغماراً .

وأنشدني من كلامه المنظوم والمنثور كثيراً ، وكتب على[١٠] أشياء وقف عليها من تصانيفي تقريظاً بالنظم والنثر ، فمن ذلك ما كتبه على كتابي (جنان الجناس) :

---

(١) أي : مدّرساً .

(٢) في (س) : « ثم إنّه » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والفوات : « ضنين » .

(٤) في الوافي : « بالزبالة » .

(٥) اسمُهُ : بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، مطبوع .

(٦) اسمُهُ : إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين ، خ .

(٧) اسمُهُ : لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان .

(٨) في الأعلام للزركلي : ٢٧٢/٣ : « زاد فيه تراجم اثنين وثلاثين شخصاً من أهل اليمن وغيرهم » . خ .

(٩) في الأصل : « ويطربها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(١٠) في الوافي : « عليّ » .

جِنانُ جناسٍ فاق جِنْسَ جنان ... يُعين الْمُعَاني فيه جلٌّ معان
لقد نوّع الأجناسَ فيه مؤلّف ... طرائق وشي أو سموط جُمان
غدا ناهجاً فيه مناهَج لم يكن ... قدامةُ قِدْمَاً جاءها ببيَان(١)
مقاصد ما نَجْلُ الأثير مثيرها ... بدائعُ فضل من بديع زمان
مُحَرَّرَةُ الألفاظِ لكنَّ حُسْنَها ... رقيق يُنَسِّينا جليل حِسان(٢)
إذا ابنُ فتى نَجْلِ الحديد أرادها ... تقول له أَقْصر فلست بدان(٣)
وما أنت ممن يَسْبَك التبرَ ناقداً ... وما لك في سَبك النُضارِ يدان
لقد أطربتْ أبياتُه كلَّ سَامعٍ ... فرائدُ ما جاءت لهن ثَوَان
تفوح بأروَاح الصَّبا نفحاتُها ... حظيرة بانٍ عند حضرة بان
لقد صيّر الحسَّادَ تَذْرف دمعها ... مدامعُ شأن في محاجر شان
أقول لنظمي حين حاول شأوَها ... رفيقك قَيْسّيٌ وأنْتَ يمان
بقيتَ صلاح الدين للفضل صالحاً ... لحُسْن بيانٍ من يراعِ بنان

فكتبت أنا إليه ارتجالاً :

لآلي غوالٍ من حُليٍّ غوانِ ... وترجيع (بَمٍّ) عند خفق مثانِ
أم الشيخ تاج الدين نظّم شعره ... فما زَهْرُ روض من حُلاَهُ بدانِ
إمامٌ زمامُ الفضل أضحى بكفّه ... يُصَرِّفه يومَيْ ندى وبيانِ
وزيرٌ بتدبير الممالك عارفٌ ... غدا الناسُ في أيامه بأمانِ
إذا هُوَ جارى الغيثَ يوم سماحه ... فذاك أوانٌ ليس فيه بِوَانِ
يشيد مباني المجد في حَوْمَة العلى ... بهزّ يراع أو بِسَلِّ يمانِ
فأقسمُ ما أثْنَى على ما وضعتُه ... بشعرٍ ولكنْ بالجَنانِ حباني

(١) قدامة بن جعفر صاحب كتابي نقد الشعر ونقد النثر .
(٢) في الوافي : « حليل » .
(٣) ابن أبي الحديد ، شارح نهج البلاغة .

جناسٌ بديعٌ لو تقدّم عصره أبانَ لنا في ذاك عَجْزَ أبانِ[1]
فشكري ما وفّى حقوقَ صنيعهِ وكيف بشامٍ شامَ برقَ يمانِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تجنّبْ أنْ تُذَمّ بك الليالي وحاول أن يُذَمّ لك الزمان
ولا تحفِل إذا كَلُتَ ذاتاً أَصَبْتَ العزّ أمْ حَصَل الهوانُ

قلت : أخذ الأول من قول الأول ، وهو أحسن :

جَهْلُ الفتى عارٌ عليه لذاتِه وخمولُهُ عارٌ على الأيّام

وأنشدني من لفظه لنفسه :

بَخِلت لواحظُ مَنْ رأينا مقبلاً برُمُوزها ورموزهنَّ سلاَمُ
فعذرتُ نَرْجس مقلتيه لأنه يخشَى العذار لأنه نَمّام

قلت : أخذه من قول الأول ، وهو أحسن ، وأكمل :

لافتضاحي في عوارضه سببٌ والناس لوّام[2]
كيف يَخْفَى ما أكابدُهُ والذي أهواه نَمّام

وأنشدني من لفظه لنفسه في حمار وحش :

حمار وحشٍ نقشه مُعْجب فلا يُضَاهَى حُسْنُه في المِلاَح
مُذْ غدا في حسنه أوْحداً تشاركا فيه المَسَا والصباح[3]

(١) أبان بن عبد العميد اللاحقي ، شاعر عباسي ، نظم كتاب كليلة ودمنة شعراً .

(٢) في الوافي : « نوّام » .

(٣) في (ق) ، (س) ، والوافي ، والفوات : « في الدجى » .

قلت : فيه إضمار قبل الذكر ، ولا يجوز في الأفصح ، ولغة « أكلوني البراغيث » مرذولة وأحسن من هذا قول القائل في فهد :

تنافس الليل فيه والنهار معاً فقمّصاهُ بجِلْبَاب من المُقَل[1]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا أعرف النوم في ليلي جفا ووفا كأنّ جفنَي مَطْبُوعٌ من السُّهد
فليلةُ الوصل تَمضي كلُّها سَمَراً وليلةُ الهجر لا أغْفَى من الكمد

وأنشدني من لفظه لنفسه وقد زاد جمالَ الدين بن نباته الشاعر بدمشق ، فرأى في بيته نملاً كثيراً :

مالي أرى منزل المولى الأديب به نملٌ تَجَمّع في أرجائه زُمَرَا
فقال لا تعجباً مِنْ نمل منزلنا فالنمل من شأنها أن تتبع الشُّعَرا[2]

٩٢٠ ـ عبد الحافظ بن عبد المنعم*

ابن غازي بن عمر بن علي المقدسي ، الشيخ المحدّث أبو محمد .

سمع الكثير على الحافظ ضياء الدين ومَنْ بَعْدَه من الشيوخ ، ونسخ الكثير لنفسه وللناس ، ثم إنه بعد ذلك كتب الشروط ، وارتزق بذلك في أيام الشيخ شمس الدين ومَنْ بَعْده من قضاة الحنابلة ، وكان يكتب خطاً حَسَناً . ومن شيوخه : المرسي ، ومكي ابن علاّن ، وابن مَسْلَمة ، وخطيب مردا ، والصدر البكري ، واليلداني ، وإسماعيل العراقي ، وإبراهيم بن خليل ، والعماد بن النحاس . وسمع بحلب والقدس ، وكان يضبط أسماء السامعين ، ويكتب الطباق .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

(١) في الأصل : « تنافس فيه الليل » ، ولا يستقيم ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٢) في الوافي : « منزله » . وفي البيت تورية باسم سورة النمل والشعراء ، وهما متتابعتان .
* الدرر : ٢١٨/٢ ، ووقع في الأصل : « عبد الحفيظ » ، سهو .

٩٢١ ـ عبد الحافظ بن بَدْران*

ابن شِبْل بن طَرْخَان الزاهد القُدْوَة ، المسند الرحلة عماد الدين أبو محمد النابلسي المقدسي ، شيخ نابلس .

قدم دمشق في صباه ، وسمع الكثير من الشيخ موفق الدين ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح[١] ، وأحمد بن طاوس ، وزين الأمناء ، والبهاء عبد الرحمن ، وابن الزّبيدي ، وجماعة .

وأجاز له أبو القاسم بن الحَرَسْتَاني ، وأبو البركات بن مُلاَعب .

تفرّد بأشياء أسْمَعَها ، واختص بمحاسن أجرى مياهها وأنْبَعها ، قُصِد من البلاد للسماع والتبرك ، وطلب[٢] لتسكين القلق والتحرك .

كان كثير الأوراد والتلاوه ، والاجتهاد في الانجماع على ذلك عِلاَوه ، ملازماً بيته إلى جانب مَسجْده ، مقبلاً على شأنه في تعبُّدِه ، بَنَى بنابلس مدرسةً ، وجدد طهارتها ، وتحيّل كثيراً إلى أن أتقن عِمارَتها ، إلاّ أن الكيمياء استحوذت على عقله ، ورَمَتْ فؤادَه [منها][٣] بنبله ، فعالج لواعجها ، ونافَح أكوارها ، ولا أقول : نوافجها ، ولم يصحّ له [فيها][٤] كغيره تدبير ، ولا عِلمَ فيها قبيلاً من دَبير ، ثم إنه ترك هذا الهوس ، وقال له التوفيق : قد قَصَرْت لما طوّلت فيها[٥] النفس .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع عبد الحافظ ، وألقاه في حفرته اللاّفظ .

---

* الوافي : ١٨/٥٧ ، والعبر : ٥/٣٨٨ ، والشذرات : ٥/٤٤٢ .

(١) أحمد بن محمد بن خلف (ت٦٢٨ هـ) ، السير : ٢٣/٧٥ .

(٢) في (ق) ، (س) : « طلباً » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « في فيها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وقد شارف التسعين .

وأوّلُ سماعه سنة خمس عشرة وست مئة ، رحل إليه ابن العطار وعلم الدين البرزالي ، وسمع منه شمس الدين بن مُسْلم ، وابن نعمة ، وجماعة ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين الذهبي عشرة أجزاء .

٩٢٢ ـ عبد الحق بن محمد*

الشيخ الإمام المحدّث مجد الدين أبو محمد .

سمع الكثير كأخيه من أصحاب ابن كليب ، والبُوصيري ، وحدّث ، وهو أخو تاج الدين عبد الغفار السَّعْدِي[١] .

أجاز لي بخطه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وقد نيّف على الثمانين .

٩٢٣ ـ عبد الحق بن أبي علي**

ابن عمرو بن محمد بن عمرون الصدر أمين الدين المعروف بالفارغ الحموي .

كان فاضلاً عاقلاً كثير الأدب ، جيّد النظم والنثر ، حسن الترسل والإنشاء متفرداً بحل المترجم .

توفي بالقاهرة في رابع عُشري المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

وبعضهم قال فيه : عبد الخالق ، وسيأتي في مكانه .

* الوافي : ٦٧/١٨ ، والدرر : ٣١٩/٢ .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٥ ، والدرر : ٣١٨/٢ ، وانظره بعد قليل باسم عبد الخالق .. وسيذكر المؤلف أن وفاته سنة (٧١٢ هـ) ومولده سنة (٦٣٨ هـ) . وبينهما خلاف واضح .

٩٢٤ ـ عبد الحميد بن منصور*

ابن علي بن عبد الجبار الأنصاري .

سمع من علي بن عبد الواحد ، وإسماعيل بن أبي اليسر ، وغيرهما .

وأجاز لي بخطه في السنة التي توفي بها رحمه الله تعالى ، وهي سنة تسع وعشرين وسبع مئة في ذي القعدة .

ومولده في سنة ست وخمسين وست مئة .

٩٢٥ ـ عبد الحميد بن عبد الرحيم**

ابن أحمد بن حسّان ، الشيخ المعمر الكبير تاج الدين أبو عبد الله الحريري الدمشقي .

أصله من وادي التيّم ، ذُكر أنه يعرف الملك الأشرف والملك الكامل .

أُقْعِدَ في[1] أواخر عمره سنين ، وكان مقبولاً عند القضاة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ظهر سماعه (لجزء ابن عرفة) على ابن عبد الدائم ، وحدّث به غيرَ مرّة . قال : قرأته عليه قبل موته بقليل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٢٦ ـ عبد الخالق بن عبد السلام***

ابن سعيد بن عُلْوان القاضي الإمام تاج الدين أبو محمد المعرّي ، الأصل ، البعلبكي ، الشافعي ، الأديب .

---

* الوافي : ٨٦/١٨ .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) في (ق) ، (س) : « من » .

*** الوافي : ٩٢/١٨ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

حدّث عن الشيخ الموفّق ، والبهاء عبد الرحمن ، والمجد القزويني ، والكاشغري ، والعزّ بن رواحة ، والتقي أبي أحمد علي بن واصل البصري ، وأحمد بن هشام الّلبلي[١] ، والزكي أبي عبد الله البرزالي ، وجماعة .

وأجاز له الكندي ، وروى الكثير ، وتفرّد في وقته بالرحلة [إليه والمسير][٢] ، وحدّث بدمشق (بسنن ابن ماجة) ، وكان الطلبة إليه في جدّ حاجة . وكان صاحبَ أوراد وقيامٍ في الدياجي وبكاء من خشية الله وخطاب وتناجي .

ودرّس بالأمينية بدمشق ، وولي قضاء بعلبك ، وحُمِدَت أحكامُه ، وشكرت سيرتُهُ وأيّامه .

ولم يزل على حاله إلى أن راح عبد الخالق إلى مَنْ خَلَقه ، وأوضح له من صبح[٣] الهدى فَلَقَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وست مئة . فأناف على التسعين .

وسمع شيخنا الذهبي منه (سنن ابن ماجة) وأكثر عنه ، وهو من أكبر شيوخه ، وحدّث عنه أبو الحسين اليونيني والمِزّي .

ومن شعره ...[٤] .

---

(١) في الأصل والوافي : « الليلي » ، تصحيف ، وهو أحمد بن تميم بن هشام ، نسبة إلى لبلة ، بلدة في الأندلس ، (ت٦٢٥هـ) ، الشذرات : ١١٦/٥ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « سبل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) كذا في الأصول والوافي .

٩٢٧ ـ عبد الخالق بن أبي علي*

ابن عمر بن محمد بن عمر الصدر الفاضل الكبير عفيف الدين أبو الفضائل بن الصدر علاء الدين بن زين الدين بن الفارغ الحموي الشافعي .

قال شيخنا البرزالي : رَوَى لنا عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز (جزء ابن عرفة) ، قرأه عليه في سنة خمس وخمسين وست مئة ، وعن ابن عبد الدائم والنجيب عبد[1] اللطيف ، وسمع من الباذرائي وجماعة .

وكان موصوفاً بالمروءة والمكارم ، وقضاء الحقوق ، وهو ابن أخت قاضي القضاة تقي الدين بن رزين .

وكان تقدَّم له اشتغال ، وحفظ (التنبيه) ، وقرأ الحديث ، ثم إنه خدم بعض الأمراء بالقاهرة ، وولي نظر الصدقات بدمشق مدة ، وسكن درب العجم .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع المحرّم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سلخ رجب سنة ثمان وثلاثين وست مئة .

وقد تقدّم ذكر أخيه عبد الحميد في مكانه .

وبعضهم سمّاه عبد الحق ، وقد تقدّم في مكانه .

٩٢٨ ـ عبد الرحمن بن إبراهيم**

ابن عبد الله بن أبي عمر المَقْدِسي ، الشيخ الإمام الفاضل الزاهد عز الدين

---

* التالي : ١٢٦ ، والدرر : ٣٢٠/٣ ، وسلف الحديث عنه قبل قليل باسم عبد الحق بن أبي علي بن عمرو بن محمد بن عمرون . وذكر وفاته هناك سنة (٧١١ هـ) . ومولده (٦٥١ هـ) .

(١) في (س) : « ابن عبد » سهو .

** الوافي : ٩٩/١٨ ، وترجمته فيه مبتسرة ، والدرر : ٣٢١/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

أبو الفرج بن الشيخ الإمام عز الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الإمام القدوة أبي عمر محمد بن قُدَامة . سمع من ابن عبد الدائم ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وسمع من والده ، ومن عمّ والده الشيخ شمس الدين ، وعُمَر الكرماني ، وعبد الولي ابن جُبارة ، وأحمد بن جميل[١] ، وأبي بكر الهروي وجماعة .

وكان رجلاً صالحاً كثير الخير مواظباً على أفعال البرّ فقيهاً فاضلا ، دربا مناضلا ، يعرف الفرائض ، ويغوص في بحرها على الغوامض ، ويده فيها طُولى ، ويورد فيها مذاهب عجيبة ونقولا .

واشتغل عليه خلق كثير ، وانتفع به جمّ غفير ، وخرّج له شمس الدين بن سعد[٢] (مشيخة) قرأها عليه شيخنا علم الدين البرزالي .

ولم يزل على خير إلى أن لقي الله ربّه ، ووجد عنده ما أحبّه .

وتوفي رحمه تعالى في ثامن شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وست مئة .

وحجّ مرّة مع الشيخ شمس الدين ، وكمل عليه كتاب (المقنع)[٣] بالمدينة ، وحجّ بعد ذلك مرّات .

٩٢٩ ـ عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله الحموي ، الشيخ الفقيه الإمام الزاهد ناصر الدين بن المغيزل الحموي .

---

(١) في الأصل : « حنبل » ! ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم نهتدِ إلى ترجمته .

(٢) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في فروع الحنبلية لعبد الله بن قدامة الحنبلي (ت٦٢٠ هـ) ، الكشف : ١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

* الدرر : ٣٢٥/٢ .

كان مدرّس العصرونية ، وكان فقيهاً صالحاً ، متواضعاً ديّناً متعبداً .

توفي رحمه الله تعالى في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة سبع وسبع مئة بحماة .

٩٣٠ ـ عبد الرحمن بن أيوب*

تاج الدين مغسّل الموتى .

أقام يغسل الموتى نحواً من ثمانين سنة . وكان رحمه الله تعالى تعافه النفوس ، وتنفر منه لملازمة التغسيل والنزول في الرموس ، لأنه اتّصف بالقساوه ، وعدم المبالاة بأمر بينه وبين الحياة اتّضادّ وعداوه .

رسم في وقتٍ الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بقتله بالمقارع فشفعوا فيه ، فنقل حانوته من طريقه ، وكان يمرّ عليه إذا توجّه إلى دار الذهب ، وكانت دكانهم في الكُفّتين ، فنقلُوا منها . وسئل قبل موته : كم غسلت من الأموات ؟ فقال : ستين ألف ميّت ، وكان ذلك قبل موته بمدة .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الغاسل غَسيلا ، وصبّحته نائبات المنايا وكان لها رَسيلا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وكان من أبناء الثمانين .

٩٣١ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد**

ابن عمر بن أبي بكر [بن][(١)] عبد الله بن الشيخ الفقيه الفاضل تقي الدين أبو محمد المقدسي الحنبلي .

---

* لم نقف على ترجمة له .

** الدرر : ٢/٣٢٦ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

كان فاضلاً في الفقه والحساب والفرائض والمساحة . وكان يوصف بالشجاعة والأمانة والهمّة .

روى عن ابن عبد الدائم (جزء ابن القرات)[(١)] . قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه بمسجد رسول الله ﷺ .

وتوفي في يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٩٣٢ ـ عبد الرحمن بن أبي بكر*

ابن [محمد بن] محمود القاضي كمال الدين البسطامي الحلبي الحنفي .

ناب في الحكم بالقاهرة ، وكان إماماً بالقبة المنصورية ، ومدرّساً بالمدرسة الفارقانية .

كان قد عجز عن الحركة ولزم بيته . وكان قد سمع من النجيب عبد اللطيف[(٢)] من الموافقات المُخَرَّجة له ، وحدّث عنه بأكثر (سنن أبي داود) . وكان يحفظ كتاب (الهداية) في الفقه .

ونزل عن الفارقانية ، والتربة الأشرفية لولده الفقيه سراج الدين عمر[(٣)] .

٩٣٣ ـ عبد الرحمن بن الحسن**

الفقيه الإمام القدوة الربّاني البركة نجم الدين اللخمي المصري القِبَابي ، بالقاف والباء الموحدة وبعدها ألف وباء ثانية الحروف . والقباب قرية بناحية دمياط .

(١) أحمد بن الفرات البرازي ، أبو مسعود (ت٢٥٨ هـ) ، السير : ٤٨١/١٢ ، والكشف : ٥٨٥ .

* الدرر : ٣٢٦/٢ ، وما بين حاصرتين من (ق) ، (س) ، والدرر .

(٢) توفي سنة (٧٢٨ هـ) ، كما في الدرر .

(٣) كذا في الدرر : ١٦٩/٣ أنّه زين الدين (ت٧٧١ هـ) .

** الوافي : ١٢٣/١٨ ، والدرر : ٣٢٧/٢ ، والشذرات : ١٠٧/٦ .

تفقّه للإمام أحمد ، وبرئ به طرف الزهد وكان أرْمَد ، نزح من مصر بأهله ، ونزل في حمص برحْله ، فانزوى بها ، وخيّم بين قبابها ، وفتح حانوت فاخوريّ[١] لأجل البلاغ ، وتحصيل ماللعيال فيه مساغ ، وكان ينبّه[٢] المشتري على عيوب الآنية ، ويجتهد في إعلامه خوفاً من أن يُسقى من عينٍ آنية[٣] . ثم إنه تحوّل إلى حماة ، فعرف به صاحبُها ، فآواه وحماه ، وأقبل عليه وكان يزوره ، ويعدّ أن ذلك حبورُه ، فاشتهر أمره ، وقصد بالزيارة مقرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي بابَ قبره القبابيُّ مفتوحا ، وقال روحه الطيب للمكيه : رُوحا .

وتوفي رحمه الله تعالى بحماة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحمل على الرؤوس ، وقبره الآن بحماة يزار .

حدّث بشيء يسير عن عيسى المطعّم ، كان قد سمع منه (مسند) الدارمي ، وترك المدارس بمصر ، وتوجّه إلى حمص . وكانت له جنازة عظيمة إلى الغاية .

٩٣٤ ـ عبد الرحمن بن رواحة*

ابن علي بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة ، الشيخ الجليل المسند زين الدين بن أبي صالح الأنصاري الحموي الشافعي نزيل مدينة سَيُوط .

---

(١) في الوافي : « ثم فتح له فاخورياً » .

(٢) في الوافي : « بنته » ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « غير آنية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو يشير إلى قوله تعالى في حديث عن أهل النار : ﴿ تُسقى من عين آنية ﴾ الغاشية : ٥/٨٨ .

* الوافي : ١٤٥/١٨ ، والدرر : ٣٢٨/٢ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢٦ ، والسلوك : ٢٣٩/١/٢ .

سمع من جدّه لأمّه أبي القاسم بن رواحة عدة أجزاء منها : (القناعة) لابن مسروق[(١)] ، وسمع من صفيّة بنت الحَبَقْبَق جزءاً من (معرفة الصحابة) لابن مندة وهو الثامن ، وللبغوي ، وله إجازة من ابن رُوْزْبَة والشيخ شهاب الدين السهروردي ، وطائفة .

وتفرد في زمانه ، وتأخّر عن أقرانه ، واختفى ذكره مدّه ، ثم إنه تنبّه له من الطلبة عدّه ، وحدّث في آخره عمره وخاتمة أمره .

ولم يزل على حاله إلى أن خرج روح ابن رواحه ، ولقي من الله جودَه وسماحه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان كاتباً في سَيُوط .

٩٣٥ ـ عبد الرحمن بن عبد الرحيم*

ابن عبد الرحمن بن إسماعيل بن رافع العثماني القوصي الكيزاني سديد الدين .

سمع من مجد الدين القُشَيْري ، ومن ابنه الشيخ تقي الدين[(٢)] ، ومن عبد العظيم[(٣)] ، ومن ابن بَرْطَلَة ، ومن ابن عبد السلام ، وغيرهم وحدّث بقوص .

سمع منه شرف الدين النصيبي وغيره . وحدّث بالقاهرة ، وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين .

---

(١) أبو العباس ، أحمد بن محمد بن مسروق البغدادي (ت٢٩٨ هـ) ، السير : ٤٩٤/١٣ ، ووقع في (س) : « مرزوق » ، تحريف .

* الوافي : ١٥٨/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٨٧ ، والدرر : ٣٣٠/٢ .

(٢) ابن دقيق العيد القشيري محمد بن علي بن وهب ، انظر : الطالع السعيد ٥٦٧ .

(٣) هو الزكي المنذري (ت٦٥٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

وكان خفيف الروح مطبوعا ، سليمَ الصدر متبوعـا ، إذا انشرح أضحـك الثكلى ، وتحقق السامعُ أنه لا يرى لـه شكلا ، وكان الشيخ تقي الـدين بن دقيق العيـد ينبسـط معه ، ويهش له إذا سمعه ، وينشده ، ويبرّه ويرفده .

ولم يـزل على حـالـه إلى أن وقـع السـديـد في الكرب الشـديـد ، وراح إلى المبُـدي المعيد[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة أربع وعشرين وست مئة .

وكان ابن دقيق العيد إذا رآه وخلا به أنشده :

بين السَّـديـد والسَّـداد سَـدٌّ كسـدّ ذي القرنين أو أشـدُّ[٢]

٩٣٦ - عبد الرحمن بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن عبد الله بن وَرِّيد[٣] المكبّر البَزّاز ، المعروف بالفُوَيْرَة ، الحنبلي المقرئ المحدّث .

كانت لـه إجـازة من ابن طَبَرْزد ، وابن سُكينـة ، وأحمـد بن الحسن العـاقولي[٤] ، والحسين بن شنيف[٥] ، وعبد الملـك بن مبـارك قـاضي الحريم ، ومحمـد بن هبـة الله بن كامل الوكيـل[٦] ، وابن الأخضر[٧] ، وأبي البقـاء العكبري ، وسليمـان بن المـوصلّي[٨] ،

(١) في (س) : « والمعيد » .

(٢) الطالع السعيد : ٢٨٧ .

* الوافي : ١٥٩/١٨ ، وغاية النهاية : ٣٧٢/١ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

(٣) في الأصول : « وريدة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد ضبطه المؤلف هناك .

(٤) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢/٥ .

(٥) هو الحسين بن سعيد بن شنيف (ت ٦١٠ هـ) ، الشذرات : ٤٢/٥ .

(٦) (ت ٦٠٧ هـ) ، الشذرات : ٣٠/٥ .

(٧) عبد العزيز بن محمود بن المبارك (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(٨) هو سليمان بن محمد بن علي (ت ٦١٢ هـ) ، والشذرات : ٤٩/٥ .

وعبد الله بن المبارك بن أحمد بن سكينة وغيرهم . وسمع من ابن صَرْما ومحمود بن مندة وعمر بن كرم[(١)] ، ويعيش بن مالك بن ريحان[(٢)] ، وأبي القاسم بن علي بن يوسف بن أبي الكرم الحمّامي ، ومحمد بن الحسن بن أسلم الفرغّاني ، ومحمد بن أحمد بن صالح الجيلي ، وزيد بن يحيى بن هبة ، وأبي الحسن محمد [بن محمد] بن حرب النَرْسي[(٣)] .

وقرأ القراءات على الفخر الموصلي صاحب يحيى بن سعدون القرطبي[(٤)] .

وتوفي رحمه الله تعالى ببغداد في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان شيخ المستنصرية في عصره لعلو إسناده ، قارب المئة سنة .

قال شيخنا البرزالي : أجاز لي ولولدي محمد غير مرّة ، وهو آخر من روى بالإجازة عن ابن طبرزد ، وابن سكينة .

٩٣٧ - عبد الرحمن بن عبد المحسن*

ابن حسن بن ضرغام بن صَمْصَام ، العدل الفقيه المعمر ، كمال الدين الكناني[(٥)] المصري المنشاوي الحنبلي .

سمع من سبط السِّلَفي ، والصدر البكري ، وطائفة .

وسمع منه شيخنا الذهبي .

---

(١) الحمّامي (ت ٦٢٩ هـ) .. السير : ٣٢٥/٢٢ ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(٢) (ت ٦٢٢ هـ) ، الشذرات ١٠٦/٥ .

(٣) في الأصل : « للرسي » ، تحريف ، (ت ٦٢٦ هـ) ، السير : ٩١/٢٢ .

(٤) (ت ٥٦٧ هـ) ، السير : ٥٤٦/٢٠ .

* الوافي : ١٧٥/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، وذيول العبر : ١١٣ ، والسلوك : ٢١٣/١/٢ .

(٥) في الأصل : « ابن الكناني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

كان يخطب بالمنشأة[١] التي لقناطر الأهرام ، وصار عدلاً بالقاهرة دهراً ، واختبل[٢] قبل موته بنحو من أربعة أشهر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بالمنشأة سنة سبع وعشرين وست مئة .

٩٣٨ ـ عبد الرحمن بن عبد المحسن بن عمر*

ابن شهاب ، الإمام المفتي الشيخ تقي الدين أبو الفرج الواسطي الشافعي ، محدّث واسط .

قَدِم دمشق ، وحجّ[٣] مرّات ، وسمع هو وشيخنا الذهبي ، وأخذ عن المخزومي[٤] ، وبنت جوهر[٥] ، والموجودين .

وكان ذا مروءه ، ومحاسن مخبوءه ، متواضعاً لمن يلقاه[٦] ، إذا رأى شراً بصاحبه توقّاه ، كيّساً خيّرا ، ذا باطن بالإخلاص نيّرا .

قال شيخنا شمس الدين : حصّل كثيراً من مرويّاته ، وحدّثنا عنه ابن ثردة الواعظ ، وصحب الشيخ عز الدين الفاروثي .

---

(١) كذا في الأصل و (ق) و (س) . وفي الوافي : « لُمْنشيّة » ، وذكرها ياقوت في معجم البلدان : ٢١٠/٥ .

(٢) في الأصل : « واختل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والدرر .

* الوافي : ١٧٦/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٢/١ .

(٣) في الأصل : « وحدّث » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) كذا في الأصل والوافي . وفي (ق) ، (س) : « المَخْرمي » ، ولعلّها أصح ، والمَخْرمي ، هو : إبراهيم بن أبي الحسن بن صدقة ، سلفت ترجمته .

(٥) فاطمة بنت إبراهيم (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمتها في موضعها .

(٦) في (س) : « تلقّاه » .

وتوفي رحمه الله تعالى [ببغداد][١] سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

٩٣٩ ـ عبد الرحمن بن عبد المولى بن إبراهيم*

الشيخ المسند أبو محمد اليلداني الصحراوي .

سمع الكثير من جدّه تقي الدين ، والرشيد[٢] العراقي ، وابن خطيب القرافة ، وشيخ الشيوخ الأنصاري ، وأجاز له العَلَم السَّخَاوي ، والحافظ ضياء الدين ، وآخرون .

وتفرّد بأشياء ، وسمع منه الأمير سيف الدين [تنكز][٣] نائب الشام رحمه الله تعالى كتاب (الآثار) للطَّحاوَي[٤] ، ووَصَله ورتّب له مرتباً . وكان فقيراً ، ثم عمي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة ، وهو سبط اليلداني .

٩٤٠ ـ عبد الرحمن بن عبد العزيز**

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد ابن هلال ، فخر الدين أبو محمد الأزدي الدمشقي .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٧٨/١٨ ، والدرر : ٣٣٤/٢ ، والشذرات : ٦٧/٦ .

(٢) في الوافي : « تقي الدين الرشيد » ، ولا يصحّ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٤) أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١) . انظر :الأعلام ٢٠٦/١ ، والكشف : ١٧٢٨/٢ ، واسم كتابه : (مشكل الآثار) ، وهو مطبوع .

** الدرر : ٣٣٢/٢ .

كان عدلاً ابن عدل ابن عدل ، كان منقطعاً عن الناس ملازماً لبيته وعياله ، ليس له تعلّق بغير ذلك .

توفي رحمه الله تعالى في بستانه بالنيرب ظاهر دمشق ، في صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد روى شيئاً من الحديث عن ابن أبي اليسر ، وسمع من جماعة . وحجّ وحدّث بطريق الحجاز .

ومولده في المحرّم سنة ثلاث وستين وست مئة بدمشق .

٩٤١ ـ عبد الرحمن بن عبد الوهاب*

ابن علي بن أحمد بن عقيل ، الإمام الخطيب ضياء الدين بن الخطيب السُّلَمي البعلبكي .

سمع من أبي المجد القزويني كتاب (شرح السنة)(١) ، وكان خاتمة أصحابه ، وسمع من ابن اللَّتي ، وابن الصّلاح .

وكان خيّراً متواضعاً ، يخضّب بالحمرة ، وبقي في الخطابة بضعاً وخمسين سنة ، وسمع منه شيخنا الذهبي .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث صفر سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .

---

* الوافي : ٦٨٣/١٨ ، والدرر : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٩/٦ ، وذيول العبر : ٢٤ ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ .

(١) للبغوي ، حسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ) . والكتاب مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

٩٤٢ ـ عبد الرحمن بن علي*

ابن إسماعيل بن يحيى بن البارزي ، الصدر الكبير زين الدين بن علاء الدين المعروف بابن الولي الحموي .

كان متعيّناً في بلده ، وله مكانة عند الملك المؤيد ، وعند ولده الأفضل ، وكان وكيل بيت[1] المال بحماة ، وبنى بها جامعاً ، وصلى فيه .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين[2] وسبع مئة .

٩٤٣ ـ عبد الرحمن بن عمر**

الصدر الرئيس شرف الدين بن الصاحب فخر الدين بن الخليلي .

كان قد ورد إلى دمشق متولّياً نظر ديوان سَلاَّر عوضاً عن القاضي عماد الدين بن ريّان .

وكان شاباً عاقلاً ، عنده سكون ومعرفة ، وفيه رياسة وحشمة .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع صفر سنة تسع وسبع مئة .

وكان قد حضر بعده على نظر الدواوين المذكورة[3] عز الدين محمد بن كمال الدين عبد القادر بن منهال ، وسيأتي ذكره .

---

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٩/٤ ، والدرر : ٣٣٧/٢ ، وفيه : « ابن يحيى بن إسماعيل » .

(١) في الأصل : « لبيت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وستين » ، سهو ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٣٤٠/٢ .

(٣) في (ق) ، (س) : « الديوان المذكور » .

٩٤٤ ـ عبد الرحمن بن عمر بن علي*

الهاشمي الجعفري الشنشتري[١] ، الطبيب نور الدين ، الحكيم الطبيب .

كان فاضلاً في علوم ، وكتب المنسوب الذي أخجل الدرَّ المنظوم ، وبرع في الإنشاء والأدب وأيام الناس من العجم والعرب ، واتصل بعلاء الدين صاحب الديوان ، فأجله مع أصحابه في الإيوان ، وحصّل بالطب أموالا ، وتقدم في الدولة فما يدري أعادَى الناس أم والى ، ثم إنه أقبل على التصوف ، ودخل في التصوّن[٢] ورحل عن التشوف والتسوف ، وخاض تلك الغمرات ، وترنم بذكر البان وليالي السَّمُرات ، وعمّر خانقاه ، جعل نفسه شيخها المشار إليه ، وكبيرها الذي يفد الناس عليه ، وعظم شأنه عند خربندا ، وبقي دخله في العام سبعين ألفاً .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل النورُ من الأرض في ظلماتها ، وذكر الناس به أيام الفضل وطيبَ أوقاتها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [وقد أسنّ][٣] .

وكان قد قدم بغداد ، ونزل بالنظَّامية ، وتفقه ومهر في الطب ، وتخرّج[٤] بابن الصباغ ، وابن القسّيس ، ونّوه عز الدين الجعفري متولّي البصرة بذكره ، وهو والد الشيخ نظام الدين يحي[٥] الذي كان شيخ الربوة بدمشق ، وعاد إلى بغداد .

---

* الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٩/٢ .
(١) في الدرر : « الجعبري التستري » .
(٢) كذا في الأصول .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، وعبارة الوافي : « وقد شاخ » .
(٤) في الأصل : « تجرّح » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٥) ستأتي ترجمته في موضعها .

٩٤٥ ـ عبد الرحمن بن عمر بن صومع الدير قانوني*

الشيخ الصالح أبو محمد سبط الشيخ زين الدين بن عبد الدائم .

سمع من ابن اللّتي ، والهمذاني ، والحافظ ضياء الدين المقدسي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت عليه (مسند) أبي بكر رضي الله عنه من أول (مسند ابن حميد) وغير ذلك .

ضرب التتار رقبته بالصالحية ، ولم يتفق دفنه في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . وكان صائمًا عدة أيام .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٤٦ ـ عبد الرحمن بن عمر بن الحسن**

ابن علي كمال الدين التيمي الأرمنتي ، يعرف بالْمُشارف .

كان جواداً كريما ، رئيساً حليما ، كثير الْمُرَوّه ، غزير الفتوّه ، شاعراً أديبا ، ماهراً في [فن][1] الكتابة أريبا ، تقلّب في الخدم الديوانيه ، وتسلّب ما في الجهات السلطانيه .

ولم يزل على حاله إلى أن فارق الدنيا ، ونزح عن السفلى إلى العليا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

حَبَستُ جفني على الأرق نغماتُ الـوُرْق في الـورق

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٠٦/١٨ ، والدرر : ٣٣٨/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

وانعطـــاف الغصن صيّرني | واختــلاف النــور في نســق
هـــائمـــاً لم أدر مـــا فعلت | يـــد هـــذا البين بـــالأفـق

ومنه :

ألحظـــك فيــه سِحْرٌ أم حُسَـــام | وخـــدك فيـــه ورد أم ضِرامُ[1]
وثغرُك فيـــــه درٌّ أم أقـــــاحٍ | دمـــا في فيـــك شهـــد أم مُـــدامُ
خطرت فكاد من فرط التثني | يُغَرّد فـوق عِطْفَيـــك الحمـــامُ
أيـــا من خص بـــالتعـــذيب قَلْبي | أمـــا في الـــوصـــل بعـــدك لي مَرامُ

قلت : شعر مقبول لـه ديبـاجـة إلاّ أن في الأول فصلاً[2] بين المعطوف والمعطـوف عليـه بقولـه : صيّرني ، وصيّرني متعلّق بـ (هـائم) ، ومثـل هـذا لا يجـوز ، وقـولـه في الثاني : « خطرت » . أحسنُ منه قول أبي طاهر حيدر البغدادي :

خَطَرتْ وكاد الـوُرق يسجـع فـوقهـا | إنّ الحمـــام لَمُغْرَم بـــالبـــان

٩٤٧ ـ عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمر*

الشيخ الفقيه المسند الأصيل مجد الدين ابن الشيخ المحدّث مجد الـدين بن الصفّـار الإسفرايني .

سمـع على كريمـــة ، وابن الصــلاح ، والقرطبي ، وإسماعيــل بن ظفر ، وعَتيــق السلماني ، وشيخ الشيوخ ابن حمُّويَـة ، وعمر بن البراذعي ، والصريفيني[3] ، وجمـاعـة ، وحدّث بدمشق والقاهرة .

---

(١) في الأصل و (ق) ، (س) : « ألفظك » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « فصل » ، وهو خطأ .

* الدرر : ٣٤٥/٢ .

(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت٦٤١ هـ) . السير : ٨٩/٢٣ ، والوافي : ١٤١/٦ .

وكان رجلاً جيداً ، قرأ كتاب (التعجيز) في الفقه وجود حفظه ، وقرأ غيره .

وكان ملازماً للاشتغال ، طاهر اللسان ، حسن الأخلاق قنوعاً . وكان فقيهاً في المدارس ، وتولّى مشيخة الخانقاه الشهابية[1] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٩٤٨ ـ عبد الرحمن بن محمد*

الإمام القدوة العابد المتبع المذكِّر تاج الدين ابن الإمام أفضل الدين أبي حامد التبريزي الشافعي الواعظ ، أحد من قام بالإنكار على رشيد الدولة وزير التتار ، وطعن في نِحْلته وفلسفته ، فما أقدم الرشيد عليه ، وأعرض عنه لرفعة قدره في نفوس الناس من أهل بلد تبريز .

كان قوّالاً بالحق ، قواماً بالصدق ، سلفي الاعتقاد ، ذا سكينة وإخلاص واجتهاد ، وَعَظَ ذكّر ، وعظّ[2] بناجذ الصدق وفكر ، وكانت له في النفوس مهابة ، وعنده خشوع وإنابة . وقدم دمشق بنية الحج بأبيه وبنيه وجماعته وذويه ، وسار وحجّ وعاد مع الركب العراقي ، وأعمل اليعملات طمعاً في التلاقي ، فأدركه أجلُه في بغداد ، فانقطع بذلك السَّير والإغذاذ .

وكانت وفاته سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وله ثمان وخمسون سنة .

٩٤٩ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عسكر**

البغدادي المالكي ، الشيخ شهاب الدين مدرس المستنصرية ببغداد ، شيخ المالكية .

(١) داخل باب الفرج ، غربي العادلية الكبرى ، بناها علاء الدين الشهابي (ت٦٥٠ هـ) الدارس : ١٢٦/٢ .

* الوافي : ٢٥٩/١٨ ، والدرر : ٣٤١/٢ ، والشذرات : ٤٩/٦ .

(٢) عظّته الحرب كعضّته .

** الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٤/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٥ .

روى عن ذي الفقار محمد بن شرف العلوي (مُسْنَد الشافعي) بسماعه من ابن الخازن ، وسمع من علي بن محمد الأسد آبادي ، وعز الدين الفاروثي ، والعماد بن الطبّال ، وسمع في الحجاز مِنْ زين الدين ابن المنير قصيدة .

وأخذ عنه الشرف بن الكازروني ، وأبو الخير الدّهلي[1] ، وولده الفقيه شرف الدين أحمد الذي درَّس بعده ، تخرَّج به الأصحاب . وتُلُقِّيَ لعظمته بالتّرحاب . وبَعُدَ صيته وسمعته . وأُوْقِدَتْ في المحافل شمعته .

وكان صاحب أخلاق ، ومواهب في الحال وإطلاق . وعنده تصوُّرٌ وتصديقٌ وتصوُّف ، وتَطَلُّعٌ إلى الواردات وتَشَوُّف . يَشْهَدُ السَّماع ،ويَكْشِفُ القناع . ويتواجد لطفا ، ويتعاهد ذلك ظُرفا ، ولا يرعى ناموسا [ولا يراعي ملبوسا][2] . دخل اليمن ، وفاز هناك بغَلاء الثمن . وله مصنفات في المذهب وفي الدعوات ، وله : (عمدة السالك والناسك) وله غير ذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن هُزم جيش[3] ابن عسكر ، وأصبح فريداً في قبره كأنْ لم يُذكر .

وتُوُفّي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعٍ وأربعين وستّ مئة .

٩٥٠ ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن*

ابن يوسف البَعْلَبَكّي ، ثم الدمشقي الحنبلي ، الفقيه ، الْمُحَدِّثُ ، المفيد . فخر الدين أبو محمد .

---

(١) سعيد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « عيش » .

* الوافي : ٢٦٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٢/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ .

سمع من الفخر[١] في الخامسة ، ومن ابن الواسطي ، وابن القوَّاس ، ثم طَلَبَ بنفسه سنة خمسٍ وسبع مئةٍ ، رَحَلَ وكَتَبَ ، وتَعِبَ ودَأَبَ . وكان عينَ الطَّلَبَه ، ومُعِيْنَ السَّامعينَ على بلوغ المَأْربَهِ . وكان يقرأ على الكراسي ، ويجلس في تلك المراسي . وفيه للعَوامّ نفع ، وبه في صَدْرِ الشيطان ضربٌ ودَفْع . وتميَّزَ ودَرَّس الفقه على مذهبه ، وتَعِبَ على تحصيل منصبه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَلَّتْ به الداهيه ، وأصبحت عينه شاخصةً ساهِيه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثمانين وست مئة .

٩٥١ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

أبو زيد الأنصاري الأسدي القيرواني ، المُعَمَّر ، صاحب (تاريخ القيروان)[٢] .

أخذ عن عبد الرحمن بن طلحة ، وعبد السلام بن عبد الغالب الصوفي ، وطائفة ، وأجاز له ابن رواج ، وابن الجمّيزي ، وسبط السِّلَفي ، وجماعة . وخرَّج له أربعين تساعيات بالإجازة .

سمع منه محمد بن جابر الوادي آشي .

وكان مؤرِّخَ بلده ومحدِّثها ، ومانحَ فوائدِها ومورِّثَها . عمل هذا التاريخ المختص ببلده ، وما رُئي مثل صبره على ذلك ولا جَلَده .

ولم يزل على حاله إلى أن أدركه مكتوبُه ، وفرغ من عمره محسوبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست مئة .

ومولدُه سنة خمسٍ وست مئة .

---

(١) ابن البخاري (ت ٦٩٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٦١/١٨ .

(٢) اسمه : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (مطبوع) ، انظر : الأعلام ١٢٩/٣ ، والكشف : ٣٠١/١ .

٩٥٢ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

الفقيه النبيه ، تاج الدين ابن الإمام العلامة فخر الدين المصري الشافعي ، وسوف يأتي ذكره والده في مكانه من حرف الميم .

حفظ (المنهاج) للنووي ، و (منهاج) البيضاوي في الأصول ، وناب عن والده في تدريس العادليّة[1] الصغيرة وفي الرَّوَاحية . ونَزَلَ أبوه له عن تدريس الدَّوْلَعيّة[2] . وحجَّ مع والده سنةَ ثمانٍ وأربعين وسبع مئةٍ ، وجاور والدُه ، وقَدِمَ هو صُحْبَةَ الركب إلى دمشق .

وكانت فيه هشاشه ، وله بمَنْ يَلْتَقيه بشاشه . فيه تَعَصُّبٌ مع الناس ، ومُرُوَّةٌ توجب له الإيناس . وعنده كرمٌ وجُود ، واعترافٌ بالجميل من غير جحود . وفي كل قليل يعمل للفقهاء ولأصحابه[3] دَعْوَه ، ويُرْزَقُ بالثناء عليه فيها حَظْوه .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى يَنْعُه ، وغاض من الحياة نَبْعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة تسعٍ وأربعين وسبع مئةٍ [في طاعون دمشق][4] .

ومولدُه في عشرين شهر ربيعٍ الآخر سنةَ ستٍّ وعشرين وسبع مئةٍ .

كان في الحَمَّام ، فبصق دماً ، فخرجَ من الحَمَّام ، وقد أيقن بالهلاك ، ودارَ على أصحابه ووَدَّعَهُم ، ويقولُ لكلِّ واحدٍ منهم : لا أوحش الله منكم ، قد بَصَقْتُ ، وأنا ميّت . وتأسَّفَ الناسُ على فَقْدِه .

* الوافي : ١٨/٢٦١ ، والدرر : ٢/٣٤٤ .

(١) في الأصل : « الدولعيّة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) مدرسة للشافعية بدمشق بجيرون قبلي المدرسة البادرائية ، أنشأها جمال الدين محمد الدولعي (ت ٦٣٥ هـ) . الدارس : ١/١٨٢ .

(٣) في الأصل : « لأصحاب » ، وفي (ق)، (س) : « وأصحابه » .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

ومما قلتُ أنا في ذلك الوقت :

يـا رحمتـا لِـدمشـقَ مِنْ طـاعُـونِهـا فـالكلُّ مُغْتَبِـقٌ بـه أو مُصْطَبِـحْ
كَمْ هَـالِـكٍ نَفَثَ الـدّمَـا مِنْ حَلْقِـهِ أَوَ مَـا تراهُ بغيرِ سِكِّيْنٍ ذُبِـحْ

٩٥٣ ـ عبد الرحمن بن محمد بن علي*

ابن عبد الواحد الصَّدْر الفقيه ، القاضي تقي الدين ابن الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام كمال الدين بن الزملكاني الشافعي .

كان في حَلِّ الْمُتَرْجَم آيه ، وفي حل الألغاز غايه . وما عدا ذلك فهو منه عَرِي ، وممّا كان يعرفه والده بَري . وخَطُّهُ لا يَرْضَى به تَعيْسٌ أن يكون حَظَّه ، وذهنُه في غير ما ذكرتُه لا يُفهم به لَفْظه . على أنه كان ينظم ولكن خَرَزا ، ويدع الطرس بذلك من خطه صعيداً جُرُزا[1] . ولكنْ كان سليمَ الطِّباع ، جيد الصحبة لطيفَ الاجتماع . ينفعل لأصحابه ، ويوافق كلاً منهم على آرائه . وجُودُه متدفّق ، وبَذْلُه لِمَا في يَدِهِ غَيْرُ مترفّه ولا مُتَرَفق .

ولم يَزَلْ على حاله إلى أن فارق الأوطان ، ونَزح من[2] الأعطان .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بدمشق .

وطُلِبْت أنا من الديار المصرية في أيام الأمير سيف الدين تَنْكِز بوساطة القاضي شهاب الدين بن القيسراني في المرَّة الثانية ، ولمّا جِئْتُ رُتِّبْتُ مكانَهُ في ديوان الإنشاء . وكان هو رحمه الله قد توجه صحبة والده إلى الديار المصرية ، ولما تُوفّي والدُه في بُلْبيس ، دخل هو القاهرة ودَفَنَ والده عند قبر الشافعي رضي الله عنه .

---

* وفيات ابن رافع : ١/٧٠ ، والدرر : ٢/٣٤٤ ، والدارس : ١/٣٤٨ .

(١) أرضٌ جُرُز : لا تنبت ، وفي التنزيل : ﴿ وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جُرُزاً ﴾ . الكهف : ١٧/٨ .

(٢) في (ق) ، (س) : « عن » .

وكان والدُه قد عمل سيرة مليحة للسلطان الملك الناصر محمد ، فدخل وقدَّمها ، وساعده الناس إكراماً لأبيه ، وعَضّده الأمير سيف الدين أُلْجَاي الدوادار ، فرُسِم له بتدريس المسرورية[1] وبأن يكون في جملة كتّاب الإنشاء بدمشق ، فدخل إليها وأهْلُ دمشق إمّا أقاربُه ، أو تلاميذُ والده ، وإمّا أصحابُه ، فرعَوْهُ لذلك .

وكان قاصراً في كل ما يعرفه والده ، إلاّ في حلّ المترجم ، كان يحلّه بلا فاصلة في أسرع ما يكون ، وكذلك الألغاز حتى إنني كنت أتعجب له في ذلك من جمود ذهنه في غير هذين ، وتوقد ذهنه فيهما . فسبحان الله العظيم والده شيخ الإسلام وكل ما يعرفه كان فيه آية ، وهذا ولده هكذا ، مع ما تعب عليه والدُه واجتهد .

٩٥٤ ـ عبد الرحمن بن أبي مُحَمّد*

ابن محمد بن سلطان القرامزي ، الشيخ الصالح ، بقيَّة السَّلف ، أبو محمد الحنبلي .

كان شيخاً مَشْهُورا ، يلازم الجامع أعواماً وشهورا ، كثير الصلوات ، غزير الخلوات ، له مريدون وأصحاب وخُدَّام وأحباب . اشتغل بالعلم أوّلا ، وانقطع للعبادة والتلاوة ، جَعَل ذلك مُعَوَّلا ، وللناس فيه عقيده ، ومَحَبَّةٌ عَتيده .

ولَم يزل على حاله إلى أن لحق بالباري تعالى ، وتواتَرَ البُكا عليه وتوالى .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهلّ الْمُحَرَّمَ سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة ببستانه بأرض الْمُصَيْصَة ظاهر دمشق .

وصُلّي عليه بجامع جَرّاح ، ودفن بمقبرة الباب الصغير في تربةٍ له جوار القلندَرِيَّة .

(١) المدرسة المسرورية أنشأها الطواشي مسرور في العهد الفاطمي . (انظر الدارس) .

* الدرر : ٣٤٦/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ .

سمع من ابن أبي اليُسْر ، والنجم بن النُشَبي ، والشيخ حسن الصِقلّي[١] ، والجمال البغدادي الحنبلي[٢] ، والمجد بن عساكر[٣] ، وابن هامل[٤] ، والكنجي[٥] ، وجماعة . وسمع بالقدس من الخطيب قطب الدين ، وبالخليل من[٦] الشيخ عبد الدائم بن الزين بن عبد الدائم .

وحَدَّثَ بدمشق والقاهرة ، [وكان][٧] تلا بالروايات على الشيخ حسن الصِّقِلّي .

٩٥٥ ـ عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل*

ابن محمد بن أحمد بن أبي الفتح ، الخطيب عفيف الدين أبو محمد ابن الشيخ الخطيب الْمَرداويّ الْمَقدسيّ خطيب مردا .

وَرَدَ دمشق مع والده ، وقرأ الحديث بنفسه سنة ثلاث وخمسين ، وسمع الكثير على والده وابن عبد الدايم . وخَطَب مدة طويلة بالقرية المذكورة ، وحَدَّث قديماً .

سمع منه ابن الخبّاز سنة خمسٍ وستين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبمردا .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً بَمْردا سنة ثلاثين وست مئة .

---

(١) حسن بن أبي عبد الله بن صدقة الأزدي (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩١/٥ .
(٢) عبد الرحمن بن سليمان بن سعيد (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ .
(٣) محمد بن إسماعيل بن عثمان (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩٢/٥ .
(٤) محمد بن عبد المنعم بن عمّار (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .
(٥) محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٦) في الأصل : « والخليل ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٧) زيادة من (ق) ، (س) .
* الدرر : ٣٤١/٢ .

٩٥٦ ـ عبد الرحمن بن محمود*

مجد الدين بن قرْطَاس القوصي الأديب .

سمع الحديث بالقاهرة على أشياخ عَصْره ، وقرأ النحو على العلاّمة أثير الدين ، وتأدّب على الطوفي الحنبلي والشيخ صدر الدين بن الوكيل والأمير مجير الدين عمر بن اللَّمطي(١) . وتولّى الخطابة بجامع الصَّارم بقوص .

وكان يتصوَّف ، ويجمع الدواوين وينتقي منها ويتصَرَّف . وعَلَّق تعاليق ، وعمل منها مبتدآت وتغاليق . ووقف كتبه على المدرسة السَّابِقيَّة بقوص ، وعلَّمَ الناسَ بذلك أنه صحيحٌ غير منقوص .

ولم يزل على حاله إلى أن خَرَقَ سهمُ المنيَّة قرطاسَه ، وأخمد الموتُ أنفاسَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ورثى مجير الدين بن اللَّمطي بقصيدةٍ أولها :

كأسُ الحِمام على الأنام يَدُورُ ... يُسْقَى بها ذو الصّحو والمخمورُ(٢)

منها :

يُزهى به النعشُ الّذي هو فَوْقَهُ ... وكذاك يُزهَى بالأمير سريرُ

٩٥٧ ـ عبد الرحمن بن مخلوف**

ابن عبد الرحمن بن مخلوق بن جماعة بن رجاء الرَّبعي الإسكندري المالكي ، الشيخ الإمام العالم العَدْل الخيِّر المعمّر المُسْنِد محيي الدين أبو القاسم .

---

* الوافي : ٢٦٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٢٩٦ ، والدرر : ٣٤٦/٢ .

(١) هو عمر بن عيسى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الطالع : « يدور » .

** الوافي : ٢٦٥/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، وذيول العبر : ١٢٥ ، والسلوك : ٢٣٩/١/٢ .

سمع من جعفر الهمذاني ، وعليّ بن زيد التسارسي[١] ، سمع عليه الثالث من (الثقفيّات) وسمع (الدعاء) للمحاملي على جُعيفر ، وسمع من ابن رواج .

وسمع منه الواني ، وشيخنا أبو الفتح بن سيّد الناس ، وابن ربيع المصغوني ، وسمع منه شيخنا الذهبي خَمْسَ مجالس [تعرف][٢] بالسَّلماسيّة .

وكان له بَصَرٌ بالشروط ، وأمْرُه في العدالة مضبوط ، وله فيها تقدّمٌ وشُهْرَه ، وخبرة فيها قد جَمَّل به دَهْرَه . وتفرد بأجزاء عاليه [سلفيّة][٣] رواها ، ومَلَك زمام أمرها وحواها ، وشفى برواياتها[٤] من النفوس جواها[٥] .

ولم يزل على حاله إلى أن فُرّغ من حياته وعاؤها ، وأجيب في منيته دعاؤها .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولدُه سنة تسع وعشرين وست مئة .

٩٥٨ ـ عبد الرحمن بن مسعود بن أحمد*

العلاّمة شيخ الحنابلة ، شمس الدين ابن قاضي القضاة ، سعد الدين الحارثي المصري الحنبلي .

سمع من العز الحرَّاني ، وغازي[٦] ، وبدمشق من الفخر علي وجماعة . وأخذ النحو عن الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والأصول عن ابن دقيق العيد . وحَجَّ غير مرة .

(١) (ت٦٤٢ هـ) ، السير ٩٢/٢٣ ، وفي (ق) ، (س) : « السارسي » ، تحريف .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « براويها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٥) في الأصل : « دواها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
* الوافي : ٢٧٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٧/٢ ، والشذرات : ١٠١/٦ ، وذيول العبر : ١٧٦ .
(٦) غازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي (ت ٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

وكان يُدَرِّس بمدارس كبار ، وإذا جرى في حلبَة المناظرة لا يعلق الريح له بغُبَار .مع الوقار الجميل ، والسمت الذي لبس له فيه عديل . وصدق اللهجَةْ ، وعفاف المهجَةْ ، والديانة التي رَأَسَ بها وتَصَدَّر ، والصيانة التي تَصَبَّبَ بها نوُّهُ وتَحَدَّر . ولم يزل على حاله إلى أن نُبش من الحارثي قَبْرُه ، وعُدم من صاحبه عليه صَبْرُه .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سادس عشري[1] ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

٩٥٩ ـ عبد الرحمن بن موسى*

هو المَلِك أبو تاشِفين ، ابن الملك أبي حَمُّو ، بالحاء المهملة والميم المشددة والواو ، ابن الملك أبي عمرو عثمان ابن السلطان يَغْمَراسِن بن عبد الواد الزّناتي المغربي البربري صاحب تِلِمْسَان .

كان شجاعاً حازما ، موقناً بالشَّرِّ جازما ، جبروته زاد عن الحد حتى كَذَّبَهُ العقل وأباه ، وناهيك بمن تجرأ وما اتجرّى وقتل أباه .

وكان قد نظر في فنون العلم مُدّه ، وأنفق فيها من عمره عِدّه ، وتَفَقَّهَ على ابنَيِّ الإمام[2] ، وفَدَتْ سيرته ونسيَ وِرْدَ الحِمام .

ويُحكى عنه في دولته قبائح ، أما الراوي لها فكاتم وأما التاريخ لها فبائح .

قَصَدَهُ سلطان المغرب أبو الحسن المَرِيني[3] وحاصره مدّة طويلة وأنشأ في المنزلة

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والشذرات .

* الوافي : ٢٩٠/١٨ ، والدرر : ٣٤٨/٢ل والشذرات : ١١٥/٨ ، وذيول العبر : ١٩٩ .

(٢) في الوافي : « أبيه الإمام » .

(٣) علي بن عثمان بن يعقوب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

مدينة كبيرة ، وطال الأمر إلى شهر رمضان ، فبرز أبو تاشفين في أبطاله لكبسه ومكيدةٍ يعملها فانعكست عليه ، وركب جيش أبي الحسن وحملوا حتى دخلوا من باب تلمسان وقتلوه على ظهر جواده في سنة سبعٍ وثلاثين وسبع مئة . وكان الحصار نحو سنتين وأكثر . وطِيْفَ برأسه في المغرب ، ثم[1] دُفن مع جسده عند آبائه بتلمسان .

وكان جدُّ السلطان أبي الحسن قد نازل تلمسان أيضاً سنوات ومات وهو يحاصرها سنة بضعٍ وسبع مئة .

٩٦٠ ـ عبد الرحمن بن موسى بن عمر*

تاج الدين الناسخ ، عُرِفَ بابن المناديلي ، ووالدُه بدر الدين بن أبي الفضل .

كان ينادي يوم الجمعة على الكتب ، ويأخذ رزقه فيها من بين الخَطِّيّة السلب ، ونسخ كثيراً من الدواوين الصغيرة الرائقه ، والأشعار التي بالغزل والنَّسيب[2] لائقه . وقُطِعَتْ في غير جناية يمينه ، وبقي رحمة لا يجد من يعينه . وكتب بعد قليل بشماله ، وقاتل على ذلك لأن الخط كان رأس ماله . وكان يَعْتَذر في آخر الكتاب أنه بيده اليسرى ، ليعذره من كان بذكره مُغْرَى . وكان خطّه أبهجَ من خميله ، وأرهج من الطلعة الجميله .

ولم يزل على حاله إلى أن غُصَّ بالشَّجَى ، ولم يجد من يد الموت مَخْرَجا .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . ووصل إلى السبعين .

وكان قد وصل[3] إليه القبّاري واليعفوري ، وكتب لهما كتاباً ، وكان ذلك مرافعة

(١) في (س) : « حتى » .

* الدرر : ٣٤٩/٢ .

(٢) في الأصل : « والنسب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في (ق) ، (س) : « جاء » .

في حق الأفرم ، فأُمسكوا ، وأفتى الشيخ زين الدين الفارِقّي بقطع يده ، وتوسيط الآخرين ، فقُطِعَتْ يده . وقد تقدم ذكر هذه الواقعة في ترجمة الشيخ أحمد القبّاري في آخر الأحمدين فتكشف من هناك . ولما قُطعت يده قال للأفرم : ياخوند قُطعت يدي لأجل درهمين ، هذان دفعا إليَّ درهمين وقالا : اُكتبْ هذا الكتاب ، فَرَقَّ له الأفرم ، وأعطاه جُملةَ دراهم ، وأظنه رَتَّبَ له شيئاً ، وكان التاج[1] المذكور مغرىً بكتابة (ديوان) ابن الفارض والحاجري وغيره من هذه الدواوين الصغار ، ويكتبُ كثيراً بكتاب (الدرة المضيّة في اللغة التركية) ، وهذه الكتب موجودة بين ظهراني الناس ، وخطُّه معروفٌ . وكان يقول : عمري ما وقع في أذني ألذ[2] من قول الأفرم : وهذا اقطعوا يده ، لأنه رسم قبل ذلك بتوسيط القبّاري واليعفوري المذكورَيْن .

و[كان][3] قد أَسَنَّ ، ووقعت أسنانه ، وكان يمشي وفي جنبه جرن خشب ، ويدق ، حتى يدق الخيارة والقيثاءة[4] والتفاحة والسفرجلة والكمثري وغير ذلك . ووُجِد بعد موته سماعُه (مشيخة) العفيف محمد بن زكريا بن رحمه .

٩٦١ ـ عبد الرحمن بن نصر*

ابن عُبَيد المفتي الإمام زين الدين الفدمي السوادي الصالحي الحنفي .

سمع المرسي ، وسِبْط بن الجوزي ، وخطيب مردا ، وإبراهيم البطائحي ، والرشيد العراقي ، واليلداني ، وعدة .

كان له في الفقه بصر حديد[5] ، وفي الشروط نظرٌ ما لخصمه عنه محيد . شهد تحت

(١) في الأصل : « التاريخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) ليست في (س) .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) .
(٤) في الأصل : « الخيار والقثاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
* الوافي : ٢٩٣/١٨ ، والدرر : ٣٤٩/٢ .
(٥) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فكشفنا عنكَ غطاءَكَ فبصرُكَ اليومَ حديد ﴾ الحديد : ٢٥/٥٧ .

الساعات ، وأنفق عمره في الطاعات ، إلى أن عجز وانقطع ، ولمع برق ضعفه وسطع . وكان يعبّر الرؤيا ، ويأتي في كلامه بما هو الغاية العليا .

ولم يزل إلى أن جَفَّ عوده ، وزمجرت بالنزاع رعوده .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وله ستٌّ وثمانون سنة .

وانقطع بمدرسة الأسديَّة لمّا عجز عن التوجّه إلى مكان الشهود .

٩٦٢ ـ عبد الرحمن بن يوسف*

ابن محمد الشريف الخطيب الإمام العالم ، الزاهد الفاضل جمال الدين أبو البقاء الحراني ، خطيب المسجد الأقصى .

كان صاحب فضائل وفنون ، وَلِيَ الخطابة بالأقصى بعد[1] قاضي القضاة ، بدر الدين بن جماعة .

توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبع مئة .

٩٦٣ ـ عبد الرحيم بن إبراهيم**

ابن إسماعيل بن أبي اليُسر التنوخي ، تاج الدين أبو الفضل .

سمع من جَدّه أبي محمد كثيراً ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بدمشق[2]

---

* الدرر : ٢/٣٥١ .

(١) كذا في الأصول ، وفي الدرر : « بعده » ، وقد يكون ما فيه أرجح ، لأنَّ بدر الدين (ت٧٣٣ هـ) .

** الوافي : ٢/٣٢٠ ، ووفيات ابن رافع : ٢٥٩ ، والدرر : ٢/٣٥١ .

(٢) ووفاته (٧٤٩ هـ) ، كما ذكر ابن رافع .

٩٦٤ ـ عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله*

قاضي القضاة نجم الدين الجهني البارزي الشافعي الحنفي ، حفيد قاضي القضاة شيخ الإسلام شرف الدين ، الحاكم بحماة ، وسيأتي ذكر جده هبة الله في حرف الهاء في مكانه .

تولى القضاء نجمُ الدّين هذا بحماة لمّا ترك قاضي القضاة جدُّه المنصب وقد أضرّ . وقد كان إبراهيم والدُه توفي في حياة والده شرف الدين . ولم يكن في عصر نجم الدين هذا أحدٌ من قضاة القضاة أقدم منه في هذا المنصب شاماً ومصراً مُدّة تزيد على الثلاثين سنة . وكان ساكناً خيراً قائماً بوظيفته على ما يجب . ورأيته بحماة غير مرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

٩٦٥ ـ عبد الرحيم بن أبي بكر**

مجد الدين الجزري الفقيه النحوي الصوفي .

كان قائماً بمعرفة النحو ، هائماً في[1] محبّةٍ أَدَّتْهُ سكرَتُها إلى عدم الصَّحو .

وكانت له حلقة اشتغال ، يجلس إليه فيها من هو في محبته متغال . وفيه مع ذلك عشرة وانطباع زائد ، وكَيَسٌ لا يحتاج معه في المحبة إلى رائد . ولكنه اِبْتُلِيَ بحُبِّ شابٍّ شيَّبَ فَوْدَه ، وحَسَّنَ إلى الهلاك قَوْدَه ، فكان إذا رآه تُرْعَدُ فرائضه عشقاً وصَبابه ، ويود لو نال من عظيم وصاله صُبَابه . فقويت عليه سوداؤه ، وتحكم منها فيه داؤه . فأغلق الخانقاه الشهابيّة عليه ، وطلع إلى سطحها وألقى بنفسه إلى الطريق فمات ، وأنزل

* وفيات ابن رافع : ٣٨٠/١ ، والدرر : ٣٥٢/٢ ، واختلطت ترجمته مع ترجمة جدّه في بعض المصادر ، انظر : الوافي ٣١٧/١٨ ، وما في حاشيته ثمّة .

** الوافي : ٣٢٤/١٨ ، والبغية : ٩١/٢ .

(١) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

بنفسه من أعاديه الشّمات . وكان يومَ جمعة ، وقت الصلاة ، ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وست مئة .

٩٦٦ ـ عبد الرحيم بن عبد الرحمن*

ابن نصر الموصلّي ، الشيخ الإمام نجم الدين بن الشحّام الشافعي .

أكثر الأسفار ، ومطالعة الأسفار . واشتغل ببغداد وتميَّز ، وانزوى إلى سراي[(١)] وتحيَّز . وأقام بها مدّه ، وأنفق فيها من العمر جدّه .

وقَدِمَ دمشق سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ووَلِيَ مشيخة القصر[(٢)] . ودرَّسَ بالجاروخيَّة والظاهريَّة البَرانيَّة .

ولم يزل إلى أن ذاب بالأسقام شَحْمُه ، وسُبِكَ في القبر لحمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة . وله ثمانٍ وسبعون[(٣)] سنة .

وكان فقيهاً طبيباً . وكان قد وَلِيَ تدريس الظاهريّة البرانيّة ، ثم أضيف إليه تدريس الجاروخيّة ومَشْيخة[(٤)] خانقاه القَصْر .

٩٦٧ ـ عبد الرحيم بن عبد العليم*

الدَّنْدَري ، بدالٍ مهملةٍ أولى ودال ثانية بينهما نون وبعد الدال الثانية راء ، المعروف بالفصيح .

---

* الوافي : ٣٢٧/١٨ ، وفيه : « ابن نصير » ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

(١) في الوافي : « مدينة سراي » .

(٢) هي خانقاه القصر ، وتعرف أيضاً بالخانقاه النجيبية ، أو النجمية ، نسبة إلى النجيبي ، جمال الدين آقوش النجمي الصالحي . الدارس : ١٣١/٢ ، ١٣٤ .

(٣) في الأصل : « سبع وثمانون » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوان .

(٤) في الأصل : « ومدرسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

** الوافي : ٣٢٩/١٨ ، والطالع السعيد : ٣٠٣ ، والدرر : ٣٥٦/٢ .

مدح الأكابر ، واستجدى بشعره ، وسامحهم فيه بترخيص سعره .

وكان خفيف الروح ، قانعاً بما تَيَسَّرَ من الفتوح .

ولم يزل على حاله إلى أن خَرَسَ الفصيحُ ، وبكاه صاحبه بجفنه القريح .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : توفي سنة أربع وسبع مئة ظنّاً . وأورد له في (تاريخ الصعيد) قصيدةً مدح بها الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد ، منها :

أيـا سيّـداً فـاق كلَّ البَشَرْ ... ومَنْ عِلْمُـه في الـوُجُـود انتشَرْ[1]
ويـا بَحْرَ عِلْم غَـدَا فَيْضُـه ... لِـوَارِدِه مِنْ نَفيس الـدُّرَرْ[2]
أيـادي نَـدَى عَمَّنَـا جُـودُهـا ... كما عَمَّ في الأرض جُـودُ المطَرْ
وفي روض أيـامـك المـونقـاتْ ... أُنَـزِّهُ طَرْفَ الْمُنَى بـالنظر

٩٦٨ ـ عبد الرحيم بن عبد المنعم*

ابن عمر بن عثمان ، الإمام المفتي الزاهد ، جمال الدين ، أبو محمد الباجُرْبقي ، بباء موحدّة وبعد الألف جيم وراء وباء أخرى وقاف[3] ، الموصلّي الشافعي .

شيخٌ فقيهٌ مُحَقّق ، نبيهٌ مُدَقّق ، نَقّالٌ ، عارف بالوجود والطرق والأقوال . له حلقة اشتغالٍ تحت قبة النِّسْر إلى جانب البرّادَه ، كلّ[4] فاضل قد جعل إليها ترداده .

اشتغل بالموصل وأفاد ، وبدأ بالفضل في دمشق وأعاد .

---

(١) في الطالع : « اشتهر » .
(٢) في الطالع : « لوراده » .
* الوافي : ٢٣٠/١٨ ، والعبر : ٤٠٠/٥ ، وفيه : « جمال الدين عبد الله بن عمر بن عثمان الشيباني » .
(٣) نسبة إلى باجُرْبق ، من قرى بين النهرين ، بين البقعاء ونصيبين . معجم البلدان : ٣١٣/١ .
(٤) في الأصل : « كان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وكان طويلاً ، عليه مَهَابَه ، ساكناً كثير الرجوع والإنابه ، كثير الصلاة والـذكر ، والخشوع والفِكر .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ عمره حَدَّه ، وجعل اللاحدَ على الأرض خَدَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسعٍ وتسعين وست[1] مئة في شوال .

وكان قد خطب بالجامع الأموي نيابه ، ودرّس بـالغزاليّـة نيـابـه . ووَلي تـدريس الفتحيّة[2] ، وحدَّث بـ (جامع الأصول) لابن الأثير عن واحد عن المصنف . ولـه نظم ونثر ووعظ . وقد نظم كتـاب (التعجيز) فعملـه برموز . وهو والـد الشيخ محمـد الآتي ذكره في مكانه ، إن شاء الله تعالى ، صاحب تلك العجائب .

ومن شعره :...[3] .

٩٦٩ ـ عبد الرحيم بن علي*

ابن هبة الله الأسنائي الصُّوفي .

كان من أصحاب الحسن[4] بن الشيخ عبد الرحيم القنائي .

وكان نحوياً شاعرا ، لغوياً مـاهرا . جَمَعَ في النحو كتـابـاً سَمَّـاهـا (المفيـد)[5] ، وقال ﴿ هذا ما لديّ عتيد ﴾[6] .

---

(١) في الأصل : « سبع » ، سهو .

(٢) أنشأها الملك الغالب فتح الدين صاحب بارين ، حوالي سنة (٦٢٦ هـ) . الدارس ٣٢٥/١ .

(٣) كذا في الأصول والوافي .

* الوافي : ٣٨٦/١٨ ، والطـالع السعيـد : ٣٠٩ ، والـدرر : ٣٥٩/٢ ، والبغيـة : ٩٣/٢ ، وقيـل فيـه : عبـد الرحيم بن فخر بن هبة .

(٤) الحسن بن عبد الرحيم القنائي ، وتوفي سنة (٦٥٥ هـ) . الطالع السعيد : ٢٠٣ .

(٥) وهو على ما ذكر صاحب الكشف : ١٧٧٨/٢ ، منظومة .

(٦) سورة ق : ١٣/٥٠ .

ولم يزل إلى أن نَحّاه البلى ، وجَرّ ذَيْلَهُ إليه مُسْبَلا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ومن شعره :

أهاجَكَ بَرْقٌ بالمدينة يَلْمَعُ ... وبيضُ يَعَاليلٍ سَوارٍ وطُلَّعُ [(١)]

تراهُنَّ يهمين الحيا فكأنّه ... على وجنات الأرض دُرٌّ مُرَصَّعُ [(٢)]

كأنَّ عُراها عندما مَسَّها الحَيا ... سحيقة مسكٍ نَشْرُهُ يَتَضَوَّعُ [(٣)]

على جَنَبات الغُدْرِ زَهْرٌ تفتّقَت ... لها في شعاع الشمس لونٌ مُنَوَّعُ [(٤)]

٩٧٠ - عبد الرحيم بن علي بن الحسن*

ابن الفُرات عز الدين الحنفي .

اجتهد في مذهبه واشتغل ، ودخل في مضائقه ووَغَل ، وبرع في الفقه وأفتى ، وسلك طريقاً ﴿ لا تَرَى فيها عِوَجاً ولا أمْتا ﴾ [(٥)] وانتهت إليه رياسة الإفتاء والإشغال ، ودرَّسَ وأعاد وأتى بكل نفيسٍ غال .

وكان قد سمع من قاضي القضاة بدر الدين بن جَماعَه ، وأبي عبد الله بن القمَّاح ، وعبد الله الصنهاجي . وتفقه على محيي الدين الدمشقي ، وقاضي القضاة شمس الدين الحريري ، والشيخ علاء الدين القونوي .

---

(١) اليعاليل : جمع يعلول ، السحاب الأبيض .

(٢) في الأصل و (ق) ، (س) والوافي : « يحمين » بدل « يهمين » ، وأثبتنا ما في الطالع ، وهو أشبه . وفي (ق) ، (س) والوافي : « المصرّع » .

(٣) في الطالع : « كأن ثراها » .

(٤) في الطالع : « جنبات النهر » .

* الدرر : ٣٥٨/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٦/٩ .

(٥) طه : ١٠٧/٢٠ .

ودرَّس بالحساميَّة بالقاهرة وبتربة الحريري بالقرافة ، وأعاد بالمدرسة المنصورية وغيرها ، وناب في الحكم بمصر .

وبَطَّل ذاك إلى أن أصبح ابن الفرات رفاتا ، وأمسى شخصه تحت الأرض كِفَاتا[١] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في المدرسة الصالحية بين القصرين سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبع مئة .

٩٧١ ـ عبد الرحيم بن محمد*

ابن يوسف السَّمْهودي ، الخطيب بسمهود[٢] .

كان فقيهاً شافعياً ، أديباً نحويّاً .

رحل إلى دمشق ، واجتمع بمحيي الدين النوويّ وحفظ (منهاجَه) ، وجعل إلى هذا الكتاب معاده ومعاجه . وكان لضيق رزقه . وما هو عليه من حِذْقه يتحيَّل [على][٣] ما يَتَقَوَّتُ به بأنواعٍ من الحيَل ، ويقول إذا جاءه طوفان الحرمان : ﴿ سآوي إلى جبَل ﴾[٤] وكان يُقْرِئ النحو والعروض والأدب بسَمْهُود ، ويأتي على ذلك بما هو من الشواهد مشهورٌ ومَشْهُود .

---

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ ألم نجعلِ الأرضَ كفاتاً ﴾ المرسلات : ٢٥/٧٧ .

* الوافي : ٣٩٢/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١٣ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ١١١/٢ .

(٢) قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل بالصعيد . معجم البلدان : ٢٥٥/٣ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) هود : ٤٣/١١ .

ولم يزل على حاله إلى أن رقا الخطيب منبرَ نَعْشِه ، وفسد ولم يعط جناية أرشِه[(١)] .

وتوفي رحمه الله تعالى بسمهود سنة عشرين وسبع مئة .

وكان قد قرأ الفقه على الزكيّ عبد الله السيرناوي[(٢)] . وأقام بالقاهرة مدّة .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي : حكى لي رحمه الله أن كان بالقاهرة تحصل له ضائقه ، وتُلجئه الحاجة والفاقه ، فيأخذ ورقاً ويكتب فيه قَلَفْطير يات[(٣)] ويُعَتّقه ويبيعه بشيء له صورة . قال : [وحكي][(٤)] لي ذلك أيضاً شيخنا أثير الدين وكان صاحبه . وكان ظريفاً لطيفاً[(٥)] جارياً على مذهب أهل الأدب في حُبّ الشراب [والشباب][(٦)] والطرب ، وكان ضيّق الخُلُق ، قليل الرزق ، اجتمعتُ به كثيراً .

وله خُطَبٌ ورسائل ، ومن شعره :

يا مالكي ذلّي لحسنك شافعي فاشفع هُدِيتَ الحُسْنَ بالإحسان
منْ قَبْل أن يأتي ابنُ حنبل آخذاً من وجنتيك شقائق النعمان[(٧)]

ومنه :

وافى نظامُك فيه كلّ بديعةٍ أَخذتْ مِنْ الحُسْن البديع نصيبَا

---

(١) الأرش : الدية .

(٢) في الوافي : « البهلوي » ، وفي الدرر : « السمرباوي » ، وفي البغية : « السمرباني » ، وفي الطالع : « السمربائي » .

(٣) هي الطلسمات .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٥) في الطالع : « لطيفاً ظريفاً » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٧) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .

فلقــد مَلَكْتَ من البــلاغــة سِرَّهــا — وحَـوَيْتَ من فن البـديـع غريبَـا[١]
ونَصَبْتَ مِنْ بيض الطروس منــابراً — أضحى يَراعُــكَ فـوقهنَّ خطيبَــا
تُبْــدِي ضروبَ محــاسنٍ لسنــا نرى — بين الــوَرَى يـومــاً لهنَّ ضريبَــا

ومنه :

وروضٍ حَلَلْنَــا مِن حِمَــاهُ خَمائِــلاً — ينبِّــهُ منــه النَّشْرُ غير نبيــهِ[٢]
تَغَنَّتْ لنـا الأطيـارُ من كل جـانبٍ — بمُرْ تَجَـل مختــاره وبـــديــهِ
وأضحى لسـان الزهر فـوق غصُونها — يخبِّر بــالسرّ الــذي هــو فيــهِ

ومنه :

كأنّما البحر إذْ مَرَّ النسيم بـــه — والمـوج يصعـد فيـه وهـو مُنْحَـدرُ
بيضـــاءُ في أزرقٍ تمشي على عجــل — وطيّ أعكانهـــا يبـــدو ويستترُ[٣]

ومنه :

قــال لي مَنْ هَـويْتُ شبِّــهِ قـوامي — وقـــد اهتزَّ بـــالجمـــال دلالا
قلت : غصنٌ على كثيبٍ مهيـــلٍ — صَــافَحتْـــهُ النَّسيم فَمــالا[٤]

ومنه قصيدةٌ يمدح بها المظفر صاحب اليمن :

هم القَصْــدُ إنْ حَلّـوا بنَعمانَ أوْ ســارُوا — وإن عَدَلُوا في مُهْجَة الصَّبِّ أو جَـاروا[٥]
تَعَشَّقْتُهُم لا الــوصــلَ أرْجُــو ولا الجفــا — أخـاف وأهـلُ الْحُبِّ في الحبِّ أطـوارُ[٦]

(١) في الطالع : « فن البيان » .
(٢) في (ق) والوافي : « منها » .
(٣) الطالع السعيد .
(٤) الطالع السعيد ، وتذكرة النبيه .
(٥) نَعمان : وادي عرفة ، دونها إلى منى ، وهو كثير الأراك . (معجم البلدان) .
(٦) في (س) : « أوطار » .

وآثرتهم بـالرُّوْحِ وَهْيَ حبيبـةٌ إليَّ ، وفي أهـل المحبَّـة إيثـارُ
وهَـلْ سَحَرٌ وَلَّى بنَعْمَـان عـائـد فكلٌّ ليـالينـا بنَعْمَـان أسْحَـارُ [1]

٩٧٢ ـ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم*

ابن علي تقي الدين البَمْبَاني ـ بالباء الموحّدة ، وبعدها ميم ، وبـاء أخرى ، وألفٌ بعدها ، ونون ـ وبَمْبَان قريةٌ بأُسوان [2] .

قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي [3] .

وكان فاضلاً أديبا ، نحوياً أريبا ، خفيفاً ظريفا ، مَتِعَاً لطيفـا ، ينظم البلاليق ، ويجيد الاختيارات والتعاليق .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ غايَتَهْ ، ونكّس الموتُ رايته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس أوْ ست وسبع مئة .

ومن نظمه [4] يمدح طَقْصَبَا والي قوص :

لِعُـلا جَنَـابِـك كلّ أمرٍ يُـدْفَـعُ وإليْـكَ حَقّـاً كلّ خَطْبٍ يُرْفَـعُ [5]

ومنها :

مـا كان يفعلُـه الشجـاعِي سـالفـاً في مصر في أسـوان جَهْراً يُصْنَـعُ [6]

---

(١) في الطالع : « وكل » .

* الوافي : ٣٩٤/١٨ ، والطالع السعيد : ٣١١ ، والدرر : ٣٦٢/٢ ، والبغية : ٩٤/٢ .

(٢) لم يذكرها ياقوت .

(٣) لم نهتدِ إلى ترجمته .

(٤) في (ق) ، (س) ، والوافي : « ومن شعره » .

(٥) في الطالع : « ... يرفع ... يرجع » .

(٦) في الطالع : « جهرا يصنع » .

وضاعت له سكّينٌ فوجدها مع ابن المَصُوص الأسنائي ، فقال فيه[(١)] :

إنــك قُـــدَ ارَى في اللصـــوص يـــــا بن المَصُـــــوص[(٢)]
خُنَيْجري كان في الطَّبَقْ[(٣)]
ومنتصرٌ في القول صَدَقْ
وانْتَ خَــذْتُـه بـالسَّبَـقْ لِعْبَ الفُصُـــــوص[(٤)]

٩٧٣ ـ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحمن*

ابن عمر بن أحمد القَزْويني الأصل ، الدمشقيّ الدار ، تاج الدين ، خطيب الجامع الأموي ، ابن قاضي القضاة جلال الدين ـ تقدم ذكر أخيه جمال الدين عبد الله ، وسيأتي ذكر أخيه الخطيب[(٥)] بدر الدين محمد وذِكرُ والده وذكر عمه[(٦)] وجماعة من بيتهم إن شاء الله تعالى .

كان أَعْلَم[(٧)] ، وهو بمخارج الحروف من إخوته أعلم . فكنتُ أَعْجَبُ من ألفاظه الفصيحه ، وخطابته المليحه . وكان يخطب بلحن ، ويورد خطبته بلا لَحْن . ويقرأ طيِّباً في محرابه ، ويأتي من نِغْمَة النغمَة بما هو أحرى به . وكان يتعاجم في كلامه تشبهاً بأبيه ، دون إخوته وذويه . وكان العوامّ يحبونه ، ويؤثرونه على مَنْ سواه ويختارونه . وعُزل من الخطابه ، ثم أعيد إليها رحْمَةً له وإطابه .

---

(١) في الوافي : « فقال فيه بلّيقة » . وفي الطالع : « فنظم بليقة » . والبلاليق : نوع من النظم الشعبي .
(٢) في الطالع : « قد أرى » .
(٣) في الطالع : « خنجري » .
(٤) في الوافي : « حزنه » . وفي الأصل : « اللصوص » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .
* الوافي : ٣٩٥/١٨ ، والبداية والنهاية : ٢٢٩/١٤ ، والدرر : ٣٦١/٢ .
(٥) ليست في (س) .
(٦) إمام الدين عمر بن عبد الرحمن ، كما في الوافي .
(٧) الأعلم : المشقوق الشفة العليا .

ولم يزل على حاله إلى أن صُلِّيَ عليه ، وامتـدت يـد البِلَى إليـه . وتوفي رحمـه الله تعالى يوم الثلاثاء ، ثامن ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئـة في طـاعون دمشق ، بصق دماً على العادة . وخرج جنازتـه ومعهـا خمس جنـائز من بيتـه فيا أظن أو أكثر ، لأنه مات منهم في جمعة جماعة .

لما مات أخوه الخطيب بدر الدين محمد ، وَلّي الأميرُ علاء الدين ألطنبغا الخطـابـة للعـلامـة تقي الـدين السُّبكي رحمـه الله تعـالى ، وبـاشر الخطـابـة إلى أن مَلَـكَ الفخري دمشق ، فولي الخطابة لتاج الدين هذا .

وكتبتُ له توقيعاً من رأس القلم ارتجالاً ، جاء أوله :

« الحمد لله الذي رفع تاج الدين على رأس المنابر ، وأنطق بأوصـافـه أَلْسنـة الأقلام في أفواه المحابر .. » .

ولّما طُلب قاضي القضاة إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل تولى الخطابة من هناك ، وكان يطلع على المنبر ويجلس قبل الخطبة ويبكي ويقول : هذا السّبكي قد أخذ الخطابة وقطع رزقنا ، فكان يَرِقُّ العوام له ، ويبكون معه .

ولّما جاء قاضي القضاة إلى دمشق نزل له عنها ، فاستمرّ تاج الدين يخطب بـالجـامع الأموي من سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان خطيبَ جـامع بَشْتَـاك الـذي على بركـة الفيل ، وهـو أول من خطب بـه ، وكان معه بدمشق تدريس المدرسة الشاميّة الجوانية وتصدير بالجامع الأموي .

وقرأ كثيراً من العربيـة على الشيـخ الإمـام بهـاء الـدين بن عقيـل[1] وكثيراً من الأصول على العلامة الشيخ شمس الدين الأصبهاني .

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن ، صاحب شرح الألفيـة (ت ٧٦٩ هـ) ، وفيـات ابن رافع : ٢٠/٢ ، والبغيـة : ٤٧/٢ .

ولم يكن لـه يـدٌ في شيء من العلوم ، وتـأسف النـاس[١] لمـوتـه ، وكانت جنـازتـه حافلةً[٢] ، ولم يبلغ الأربعين .

٩٧٤ ـ عبد الرحيم بن علي*

ابن حُسَيْن بن منَّاع الْمُعَمِّر الصالح زين الدين التكريتي الدمشقي التاجر .

حَدّث بالصحيح غَيْرَ مرّة عن ابن عبد الدائم .

وكان مهيباً نبيلاً ، منوّر الشيبة ، كريم الأخلاق أُقعد في أواخر عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بالصالحيّة في سنة خمسٍ وأربعين وسبع مئة .

ومولِدُه في شهر رمضان سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٧٥ ـ عبد الرحيم بن يحيى**

ابن عبد الرحيم بن المفَرّح بن الْمَسْلَمَة ، الأُموي ، الشيخ الفقير أبو محمد بن المحدّث الدمشقي الكَوّافي .

حضر السخـاوي ، وعتيقـاً السلمـاني ، وعمر بن البراذعي ، وسمعَ كثيراً من عم أبيـه الرشيد بن مَسْلَمة ، والسديد بن عَلاّن ، وعِدّة .

وحدَّث وكتب في الإجازات في أيام ابن أبي اليسر ، وحفـظ القرآن . وكان يعمل الكوافي ، ويقرأ على التُّرَب .

وخرَّجَ له شيخُنا علم الدين البرزالي (مشيخةً) سمعها منه شيخنا الذهبي والجماعة .

---

(١) في (ق) ، (س) ، والوافي : « العوام » .

(٢) في الوافي : « حَفِلة » .

* كذا سمّاه المؤلف ، والمشهور أنَّ اسمه عبد الرحمن ، انظر : وفيات ابن رافع : ٢١٤/١ ، والدرر : ٣٣٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٤٥ .

** الوافي : ٣٩٨/١٨ ، والدرر : ٣٦٣/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ ، وذيول العبر : ١٠٦ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

٩٧٦ ـ عبد الرّزاق بن أحمد*

ابن محمد بن أحمد بن الصابوني ، الشيخ الإمام المحدِّث المؤرِّخ الإخباري النسَّابة الفيلسوف الأديب ، كمال الدين الشيباني بن الفُوَطِي البغدادي[١] ، صاحب التصانيف .

أفرد له شيخنا الذهبي ترجمةً تخصُّه في جزء ، ذكر أنه من ولد معن بن زائدة الأمير .

اشتغل في علوم الأوائل ، وحظي منها بكل طائل . وعبث بالنظم وبالنثر وتأدَّب ، وأتقن ذاك وتهذَّب . ثم إنه صَنَّف التواريخ المفيدة ، وكانت له يدٌ في ترصيع التراجم مجيده ، وذهنُه في جميع ذلك سَيَّال ، وإلى كل فنٍّ مَيَّال . وأمَّا خَطّه فلم أرَ أقوى منه ولا أبرع ، ولا أسرى ولا أسرع ، خطٌّ فائِق ، رائعٌ رائق ، بديعٌ إلى الغاية في تعليقه ، لو أنه ريحٌ[٢] لسابق الرياح في يومه إلى تخليقه[٣] ، وكان يكتب في كل يوم أربع كراريس ، ويأتي بها أنقش وأنفس من ذَنَب الطواويس . أخبرني من رآه قال : ينام ويضع ظهره على الأرض ويكتب ويداه إلى جهة السقف . ولم أرَ له بعد هذا خطاً إلا وهو عجب ، وقد أجاز لشيخنا الذهبي مروياته .

ولم يزل على [على حالـه][٤] إلى أن فَرَط أمرُ الفوطي ، ودِيْسَ خده تحت[٥] الأرض ووُطِي .

---

* الوافي : ٤١٢/١٨ ، والدرر : ٣٦٤/٢ ، والشذرات : ٦٠/٧ .

(١) ليست في (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « نيل » .

(٣) التخليق : التطييب .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) في (ق) ، (س) : « في » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

كان قد أُسِرَ في كائنة بغداد ، ثم إنه صار إلى النصير الطوسي سنة ستين ، واشتغل عليه بعلوم الأوائل ، وباشر كتب خزانة الرصد براغة أزيد من عشرة أعوام ، وهي على ما قيل أربع مئة ألف مصنف ، والأصح أن تكون أربع مئة ألف مجلد . ولَهَجَ بالتاريخ ، واطّلَعَ على كتب نفيسة . ثم إنه تحوّل إلى بغداد وصار خازن كتب المستنصرية ، فأكبَّ على التصنيف ، وسوَّدَ تاريخاً كبيراً جداً ، وآخر دونه ، سمّاه : (مجمع الآداب في معجم الأسماء على الألقاب) ، في خمسين مجلداً ، المجلد عشرون كراساً . وألَّف كتاب : (دُرَر الأصداف في غُرَر الأوصاف) مرتب على وضع الوجود من[1] المبدأ إلى الْمَعَاد ، يكون عشرين مجلداً ، وكتاب : (تلقيح[2] الأفهام في المختلف والمؤتلف) مُجَدْوَلاً ، و (التاريخ على الحوادث إلى خراب بغداد) . و (الدرر الناصعه في شعر المئة السابعه) . قال : ومشايخي الذين أروي عنهم ينيفون على الخمس مئة شيخ ، منهم : الصّاحب محيي الدين بن الجوزي[3] ، والأمير مبارك بن المستعصم بالله[4] حدثنا عن أبيه براغة ، وخَلَّفَ وَلَدين . وله شعر كثير بالعربي وبالعجمي .

٩٧٧ ـ عبد الرّزّاق بن أحمد بن عبد الله*

ابن الزبير ، الخطيب ، تقيُّ الدين ، ابن الشيخ العَلاَّمة شمس الدين أحمد الخابوري ، خطيب حلب وابن خطيبها .

---

(١) في الأصل : « في » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « تنقح » ، تحريف .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٧٢/٢٣ .

(٤) أشار إليه الذهبي في ترجمة المستعصم ، آخر خلفاء بني العباس ، السير : ١٧٥/٢٣ .

* الدرر : ٣٦٤/٢ .

توفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وسبع مئة ، في أوائلها .

ووَلِيَ الخطابة بعد قاضي القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعي المعروف بالدمشقي[١] .

٩٧٨ ـ عبد الرزاق بن علي*

ابن سليم بن ربيعة ، الفقيه ، المحصل جمال الدين بن القاضي ضياء الدين الشافعي .

كان اشتغل وتعب ، وحفظ (الوجيز) وحفظ كتابين في الطب ، وأقام مدةً بالباذرائية .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر رمضان سنة ستٍ وثلاثين وسبع مئة .

٩٧٩ ـ عبد السلام بن محمد**

ابن مزروع بن أحمد ، الإمام المحدِّث القُدْوَة ، عفيف الدين أبو[٢] محمد البصري الحنبلي .

حدث عن المؤتمن ابن قُمَّيْرَة ، وفضل الله الجيلي ، وجاور بالمدينة[٣] أكثر عمره ، خمسين سنة ، وحَجَّ أربعين حجّة منها[٤] متوالية . وكان من خيار الشيوخ .

سَمِعَ منه شيخنا علم الدين البرزالي ، وله نظمٌ .

---

(١) (ت٧٠٥ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٣٦٦/٢ .

** الوافي : ٤٣٥/١٨ ، والشذرات : ٦٣٥/٥ .

(٢) في الأصل « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصل ومصادر ترجمته .

(٣) في (س) : « في قلّة » .

(٤) ليست في الوافي .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

وكانت وفاته بالمدينة الشريفة .

وقرأ عليه علم الدين البرزالي (مشيخة) ابن شاذان الكبرى بدمشق [ثم][1] قرأها عليه بالحجاز في رابِغ وخُلَيْص[2] ، وقرأ عليه بالمدينة ثلاثة أجزاء ، وهي : الخامس من حديث الحَمَّامي ، والثاني والثالث من حديث أبي الأحوص[3] .

اللَّقَبُ وَ النَّسَبُ

☆ **ابن عبد السلام :** خطيب العقيبة ناصر الدين أحمد بن يحيى .

☆ **ومحيي الدين** عبد اللطيف بن عبد العزيز .

٩٨٠ ـ عبد السَّيِّد بن إسحاق بن يحيى*

الحكيم الفاضل بهاء الدين ابن المهذّب ، الطبيب الكحّال .

كان من قبل دَيَّان اليهود ، ثم إنه أَسْلَمَ وحَسُنَ إسلامه ، وتعلم القرآن وجالس العلماء . وكان طبيباً فاضلاً .

توفي رحمه الله تعالى في سادس جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) رابغ : واد يقطعه الحاج بين الذنواء والجحفة ، وخُليص : حصن بين مكة والمدينة . (معجم البلدان) .
(٣) محمد بن الهيثم ، من ثقات حفّاظ الحديث (ت ٢٧٩ هـ) . الأعلام : ١٣٢/٧ .
* الدرر : ٣٦٦/٢ .

٩٨١ ـ عبد الصَّمَد بن عبد اللطيف*

ابن محمد بن محمد بن نصر الله ، الصَّدر ، الرئيس ، الأصيل ، بهاء الدين أبو القاسم بن الشيخ الخطيب بدر الدين بن المُغَيْزِل الحموي .

كان رجلاً جيّداً ، له ثروة وتجاره ، وقد سمع على جماعه ، وحدَّثَ ببلَدِه وبطريق الحجاز ووَلِي الوزارة بحماة ، ثم تركها .

ولما مات أخوه الخطيب معين الدين ولي الخطابة بحماة مكانه ، فبقي سنة ومات في ثاني عشر ذي الحجة سنة خمسٍ وعشرين وسبع مئة .

اللقب والنسب[1]

☆ **ابن عبد الظاهر :** كمال الدين علي بن أحمد .

☆ **والقاضي علاء الدين** علي بن محمد .

٩٨٢ ـ عبد العزيز بن أحمد**

ابن عثمان ، الإمام البارع ، الرئيس عماد الدين ، أبو العز الهَكَّاري المصري الشافعي قاضي المحلّة ، ويُعْرَفُ بابن خطيب[2] الأُشْمُونين .

كان من الرؤساء النبلاء ، والفقهاء والعلماء ، له معرفة وفهم ، وحُكْمٌ ينْفَذ نفوذ السهم ، مع رياسة وسؤدُد ، وتُؤدَةٌ وقعدد . له اعتناء بالحديث واهتمام ، وله تصانيف مليحة الترتيب والنظام . وكان يتواضع مع رفعته ، ويتدانى على سَعَةِ رُقْعَته .

---

* الدرر : ٣٦٧ .

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

** الوافي : ٤٦٧/١٨ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٣٦٨/٢ ، والشذرات : ٧٧/٦ .

(٢) في الأصل : « قاضي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

حجّ مرات ، وفاز بما شاء من مَبَرّات . وذُكر لقضاء دمشق بعد ابن صَصْرَى ، ولم يرضَ بها لسكنه قَصْرًا .

ولم يزل على حاله إلى أن وليَ قاضي المحلة ـ محلة الأموات ، وأصبح وقد خَلَت بأهله الْمَثُلاَت[1] .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة سبعٍ وعشرين وسبع مئة .

وكان قد سمع من عبد الصمد بن عساكر[2] ، وغيره .

وله تصانيف وأدبٌ وشعرٌ ، ومن تصانيفه الكلام على حديث الأعرابي الذي واقع أهله في شهر رمضان ، استنبط منه ألف حكمة .

٩٨٣ ـ عبد العزيز بن أحمد بن شيخ السَّلاميّة*

القاضي الرئيس فخر الدين .

باشر الحسبَة بدمشق في يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى تسع عشرة وسبع مئة عوضاً عن القاضي بدر الدين بن الحدّاد[3] ، ووَلِيَ ابن الحداد نظر الجامع الأموي ، ولَبِسَا تشريفيهما[4] .

٩٨٤ ـ عبد العزيز بن إدريس**

ابن محمد بن أبي الفرج المفرّح بن إدريس ، الشيخ عز الدين أبو محمد ، وأبو بكر

(١) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وقد خلَتْ من قبلهم الْمَثُلاَت ﴾ الرعد : ٦/١٣ ، والْمَثُلات : العقوبات .

(٢) في الأصل : « ابن عبد الرحمن » ، سهو ، وهو عبد الصمد بن عبد الوهاب (ت٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٥/٥ .

* الدرر : ٣٦٩/٢ .

(٣) محمد بن عثمان بن يوسف (ت٧٢٤ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٤) في الأصل : « تشريفها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .

** الدرر : ٣٦٩/٢ .

أيضاً ابن الشيخ الإمام المحدِّث تقي الدين بن مُزَيز التنوخي الحموي ، أخو الشيخ تاج الدين أحمد ، وقد تقدم ذكره في الأحمدين .

روى (جزء ابن عرفة) عن شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز ، وسمع بالقاهرة من إسماعيل بن عزّون عدّة أجزاء تَفَرَّد ببعضها في الشام .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بحماة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

ولّما توفي صلى عليه أخوه الشيخ تاج الدين ، ودُفِنَ بمقبرة الباب القبلي ظاهر حماة .

٩٨٥ ـ عبد العزيز بن عبد الحق*

ابن شعبان بن علي بن الشيّاح عز الدين أبو محمد الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الخَشُوعي .

توفي بقرية يبرود[1] ، وحُمِلَ على الأعناق إلى تربة والده ، وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر[2] شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٩٨٦ ـ عبد العزيز بن سرايا**

ابن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العزّ بن سرايا بن باقي بن

* الدرر : ٣٧٢/٢ .

(١) يبرود : من قرى ريف دمشق ، تبعد عنها نحو سبعين كيلاً .

(٢) في (ق) ، (س) : « عشرين » .

** الوافي : ٤٨١/١٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٥/٢ ، والدرر : ٣٦٩/٢ . والسلوك : ٧٩٤/٣/٢ (في وفيات سنة ٦٤٩) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ٢٣٨/١٠ . وله ديوان مطبوع ، وكتب عنه عدد من الأبحاث .

عبد الله بن العُرَيّض ، الإمام العلاّمة ، البليغ ، الْمُفَوَّه ، الفاضل ، الناظم ، الناثر ، شاعر عصرنا على الإطلاق ، صفيّ الدين الطائي السِّنبسي الحلّي .

شاعر أصبح به راجحٌ الحِلّي[١] ناقصا ، وكان سابقاً فأصبح على عِقبِه ناكصا[٢] . أجاد القصائد الْمُطوَّلة والمقاطيع ، وأتى بما أخجل زهر النجوم في السماء ، فما قَدْرُ زَهْر الأرض في الربيع ؟ تطربك ألفاظه المصقولة ومعانيه المعلولة ، ومقاصده التي كأنها سهامٌ راشقة أو سيوف[٣] مسلوله . يغوص على المعاني ويستخرج جواهرَها ، ويصعَد بمخيّلته الصحيحة إلى السماء ويلْتَقط زواهرها . كلامه السحر إلاّ أنه حَلاَل ، ولفظه على القلب الظمآن ألذّ من الماء الزُّلال . تَلَعَّبَ بالمعاني كما يَتَلَعَّبُ النسيم بالأغصان الُّلدان ، ووَلَّدَ بعضها من بعض كما يتولَّد الضَرَج[٤] من الخجل في خدود الولدان ، مع بديعٍ ما سَمِعَ بمثله البديع ، وترصيع ما أَلَمَّ به الصَّريع[٥] .

وشعره مع حلاوة الديباجه ، وطلاوة التركيب التي ما فرحت بها طلاء الدن ولا سلافة الزجاجه ، لا يخلو من نكتٍ أدبية ترقِّص المناكب ، وفوائد[٦] علميّة من كل فن يُنَقّص الكواكب . عالماً بكل ما يقول ، عارفاً بغرائب النقول .

أجاد فنون النظم غير القريض ، وأتى في الجميع بما هو شِفَاءُ القَلْب المريض ، لأنه نظم القريض فبلغ فيه الغايه ، وحَمَل قدامه جماعةٌ من فحول الأقدمين الرايه .

(١) هو راجح بن إسماعيل الأسدي الحلّي ، شاعر من أهل الحلّة (ت٦٢٧ هـ) ، الشذرات : ١٢٣/٥ . والأعلام : ١٠/٣ .

(٢) أفاد من قوله تعالى : ﴿ فلمّا تراءتِ الفئتانِ نكصَ على عقبيهِ ﴾ الأنفال : ٢٨/٨ .

(٣) في الوافي : « وسيوف » .

(٤) في الأصل : « الفرح » ، تحريف .

(٥) البديع ، هو : بديع الزمان الهمذاني ، والصريع هو صريع الغواني مسلم بن الوليد .

(٦) في (ق) ، (س) : « وقواعد » .

وكذلك هو في الموشّحات والأزجال والمكَفِّرات[١] والبلاليق والقُرْقِيّات[٢] ، والدُّوبيت والمواليا ، والكان وكان والقُوما ، ليس له في كل ذلك نظيرٌ يُجاريه ، ولا يعارضه ولا يباريه .

وأما الشعرُ فجوَّد فنونه ، وصادَ من بَرِّه ضَبَّهُ ومن بحره نُوْنَه ، لأنه أبدع في مديحه وهَجْوِه ، ورثائه وأغزاله ، وأوصافه وتشبيهاته ، وطردياته وحماسته ، وحِكَمه وأمثاله ، لم ينحطَّ في شيءٍ منها عن الذُرْوَه ، ولم يخرج في مشاعرها عن الصَّفا والْمَرْوَه .

وأما نثره فهو طبقة وسطى ، وترسُّله يحتاج في ترويجه إلى أن يُعَلّق في أذنه قرْطًا . وعلى الجملة فإنه :

تقلَّلَ الشعر حتى ما لِـذي أدبٍ في النَّـاسِ شينٌ ولا عَيْنٌ ولا راء

وكان يسافر ويَتَّجِر ، ويعفّ في بعض الأحيان عن الاجتداء ويزدجر . وكان منقطعاً إلى الملوك الأُرتقية أصحاب ماردين ، وشهَر مدائحهم[٣] في الصَّادرين والواردين . وكانت فيه شجاعةٌ وإقدام ، وقوة جنان وثبوت أقدام .

ورد[٤] إلى مصر وامتدح السلطان الملك الناصر ، وبَزَّ بَمدِيحه كُلَّ مُتَقَدِّم ومعاصر . وعاد إلى البلاد الشرقيَّة ، إلاّ أنه كان شيعيًا ، وليس هذا الأمر في الحِلَّة بِدَعيًا .

وكان يتردّد إلى حلب وحماة ودمشق ، ويعود إلى ماردين ، ويُعَرِّج على بغداد .

ولم يزل على حاله إلى أن كَدَّرَ الموتُ على الصَّفيِّ عَيْشَه ، وأنساه خُرْقَه وطيشه .

وتوفي رحمه الله تعالى تخميناً سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

---

(١) منظومات يكفر بها الشاعر عما يظن أنه فرط منه من غزل أو فحش .

(٢) الأزجال العابثة بما تتضمنه من هجاء ومجون . وانظر : العاطل الحالي والمرخص الغالي للحلي ص ٢ ، وأدب الصناع د . محمود سالم محمد ٣٢٩ .

(٣) وعرفت مدائحه لهم بالأرتقيات .

(٤) في (ق) ، (س) : « وورد » .

ومولده يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وست مئة .

وقلتُ أنا فيه :

إنَّ فنَّ الشِّعرِ نـــــادَى في جميـــع الأُدَبـــاءِ
أحسَنَ الله تعـــالى في الصَّفِي الحِلِّي عَـــزَائي

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباته[1] :

يـا سـائلي عَنْ رُتْبَـةِ الحِلّيِّ في نَظْمِ القَريض وراضيـاً بي أحكُمُ[2]
للشعر حِلِّيّـان ذلـك راجـحٌ ذَهَبَ الـزمـانُ بـه وهـذا قَيِّمُ

وكان قد دخل إلى مصر في سنة ست وعشرين وسبع مئة تقريباً ، وأظنُّه ورَدَها مرّتين ، ومدح القاضي علاء الدين بن الأثير بعدة مدائح ، وأقبل عليه كثيراً ، ودخل به إلى السلطان الملك الناصر ، وقدَّم مديحَه ، واجتمع بالشيخ فتح الدين ، وبأثير الدين ، وبمشايخ ذلك العصر ، ولَمَّا دخلتُ بعده ، وجدتهم يُثنون عليه .

وأما الصدر المعظّم شمس الدين عبد اللطيف الآتي ذكْرُه إن شاء الله تعالى ، فكان يظنّ بل يعتقد أنه ما نظم الشعر أحدٌ مثلُه لا في المتقدّمين ولا في المتأخرين مطلقاً .

واجتمعتُ أنا به في الباب وبُزاعة من بلاد حلب[3] في مستهل ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، كُنّا في الصَّيْد مع الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، وأجاز لي بخطه جميع ماله[4] من نظم ونثر وتأليف مما سمعتُه منه ، وما لم أسمعه ، وما لعله يتّفق له بعد ذلك التاريخ على أحد الرائين ، وما يجوز له أن يرويه سماعاً وإجازة ومُنَاوَلةً ووجادَة بشَرْطه .

(١) انظر : ديوان ابن نباته ص : ٤٧٨ ،
(٢) في (س) : « يا سائلاً » . وفي النجوم الزاهرة : « راضياً » بلا واو .
(٣) انظر : معجم البلدان .
(٤) في الأصل : « جميع ما لم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه في التاريخ والمكان :[١]

للتُّرْكِ مَـالِيَ تَرْكُ مَـادِيْنُ حُبِّيَ شِرْكُ
حـواجبٌ وعيـونٌ لهـا بقلبيَ فَتْـكُ
كالقـوس يُصْمِيْ وهـذي تُشكي الْمُحِبَّ ويشكُـو

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه :

وإذا العُـدَاةُ أَرَتْـكَ فَرْ طَ مَـذَلَّـةٍ فـإِلَيْـكَ عَنْهَـا
وإذا الـذِّئـابُ اسْتَنْعَجَتْ لـكَ مَرَّةً فحـذارِ منهـا

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٢]

لا غَرْوَ أَنْ يَصْلَى الفـؤادُ بـذكركم نـارا تـؤَجِّجُهَـا يَـدُ التَّـذْكَـار[٣]
قَلْبِي إذا غِبْتُم، يُصَـوَّرُ شخصكم فيـه، وكلُّ مُصَـوِّرٍ في النَّـارِ

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٤]

يُقَبِّـلُ الأرضَ عَبْـدٌ تحتَ ظِلِّكُمُ عليكُمُ، بَعْـدَ فضـلِ الله، يَعْتَمِـدُ
مَـا دَارُ مَيَّـةَ مِنْ أَسْنَى مَطَـالِبِـهِ يـوماً وأنتم لـه العليـاءُ والسَّنَـدُ[٥]

وأنشدني من لفظه لنفسه :[٦]

---

(١) ديوانه : ٤٣٠ .

(٢) ديوانه : ٣١٧ .

(٣) في الأصل : « نارٌ » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٤) ديوانه : ٣١٣ .

(٥) في الديوان : « من أقصى » . وفي (ق) ، (س) : « فالسند » . وفي البيت إشارة إلى قول النابغة الذبياني :

يـا دار ميـة بـالعليـا فـالسـنـد أقـوت وطـال عليها سـالف الأمـد

(٦) ديوانه : ٢٦٧ .

وأَغَرَّ تِبْرِيٍّ الإهَـــاب مُــوَرَّد سَبْـطِ الأَديْمِ مُحَجَّـل بِبَيَـاض[١]
أَخْشَى عليه بأن يُصابَ بأسهمي مِمَّـا يسـابقُني إلى الأغراض[٢]

وأنشدني من لفظه لنفسه[٣] :

وأدْهمٍ يَقَــقِ التحجيــل ذي مَرَحٍ يميسُ من عُجْبه كالشارب الثَّمِل[٤]
مضمَّرٌ مشرفُ الأذنين تحسبـه موكّلاً باستراق السمع من زُحَل[٥]
رَكِبْتُ منه مَطَاليْلٍ تسير به كواكبٌ تُلحقُ المحمولَ بالحَمَل
إذا رميتُ سهامي فوق صَهْوته مرّت بهاديه وانحطت عن الكفل[٦]

قلت : ولم يَطُل[٧] اجتماعنا به ، لأنَّه[٨] كان قد قصد الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام رحمه الله ، لأنه كان قد سُرِقَتْ له عُمْلة بماردين ، وبلغه أن اللص من أهل صيدنايا ، وسأل كُتّابه إلى متولي البريد بدمشق بأمساك غريمه .

وقوله : « كالقوس ... » الأبيات ، إشارةٌ إلى قول ابن الرومي[٩] :

تُشكي المحبَّ وتشكـو وهي ظـالمـة كالقوس تُصمي الرَمايا وهي مرنان[١٠]

---

(١) ديوانه : « مردّد » .
(٢) في الوافي : « بأسهم » .
(٣) ديوانه : ٢٦٦ .
(٤) يقق : شديد البياض ناصعة .
(٥) في الديوان : « مطهّم مشرف » .
(٦) في الأصل : « مرت تهاديد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى . وفي ديوانه : « عن الكفل » .
(٧) عبارة الوافي : « ولم يطل مجلس .. » .
(٨) في الأصل : « إلاّ أنه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .
(٩) ديوانه ص : ٣٤٢٢ .
(١٠) في الوافي : « مريان » ، تحريف .

وقوله : « وإذا الذئاب استنعجت ... » البيت ، يريد بذلك قول القائل :

وإذا الـذئـاب استنْعَجَتْ لَـكَ مَرَّةً فحـذار منهـا أنْ تَعُـودَ ذئـابـا
والذئب أخبثُ مـا يكون إذا اكتسى من جِلْـدُ أولاد النعـاج ثيـابـا

و (ديوانه) يدخل في مجلدين كبار أو ثلاثة صغار ، وكله منتخبٌ .

وله قصيدة ميمية في مديح النبي ﷺ عارض بها (البردة) ، أتى فيها بما يزيد على المئة والأربعين نوعاً من البديع ، وشَرَحَها وسمّاها : (نتائج الألمعيّة في شرح الكافية البديعيّة)[١] . وجوّد في هذه القصيدة ما شاء .

وله مدائح ببني أُرْتُق على حروف المعجم ، مُجَلَّد . وله كتاب : (العاطل الحالي والمرخَّص الغالي) . وقال لي إنه وضع شيئاً في الجناس ، ولم أره إلى الآن . وقيل : إنه عمل (مقامات) يسيره .

والذي أقوله : إن الرجل كان أديباً كبيراً عالماً فاضلاً قادراً على النظم والإنشاء ، مهما أراد فعَل .

وأنشدني له إجازة :[٢]

سـوابقُنـا والنَّقْـعُ والسُّمْرُ والظُّبى وأحسَـابُنـا والحِلْمُ والبـأسُ والبِرُّ
هُبوبُ الصَّبـا والليلُ والبَرْقُ والقضـا وشمسُ الضحى والطَّوْد والنـار والبحرُ

وأنشدني إجازة ، وفيه استخدامان[٣] :

لئن لم أُبَرْقِـع بـالحيـا وَجْـهَ عفَّتي فـلا أشْبَهَتْـهُ راحتي في التكرُّمِ
ولا كنتُ مِمَّن يكْسِرُ الجفنَ في الـوغى إذا [أنـا] لم أغضضـه عن رأي مَحْرَمِ[٤]

(١) طبعت في مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الدكتور نسيب نشاوي ، رحمه الله .
(٢) ديوانه : ٤٥ .
(٣) ديوانه : ٤٦ .
(٤) الزيادة سقطت من الأصل فقط .

قلتُ : استخدام « الحيا » في مفهومَيْه ، وهو : الحيا ، نقيض الوقاحة ، والحيا : المطر . واستخدم « الجَفْنَ » في مفهوميه ، أحدهما : جفن السيف وهو قِرابه ، والجفن : غِطاء العين ، وهو من غريب النظم .

وأنشدني له إجازة في مثله[(١)] :

لا يَسْمَعُ العُودَ منّا غيرُ حاضنه ... من لَبّةِ الشُّوس يوم الرَّوْع بالعَلَق[(٢)]
ولا يعاطي كُمَيْتاً غيرُ مُصدِرِه ... يومَ الصِّدَام بليل العَطْف بالعَرَقِ

وأنشدني له إجازة في سبع تشبيهات[(٣)] :

وظَبْيٍ بقَفْرٍ فَوْقَ طِرْفٍ مُفَوَّقٍ ... بقَوْسٍ رَمَى في النَّقْع وَحْشاً بأسهُمِ
كشمسٍ بأفْقٍ فَوْقَ بَرْقٍ بكَفّه ... هلالٌ رمى في الليل جِنّاً بأنجُمِ

ونُقلتُ من خطّه وهو مما يُقْرأ مقلوباً : « كدْ صدّك . كُنْ كَمَا أَمْكَنَكْ . كَرِّمْ علْمَكَ يَكْمُلْ عُمْرَكَ » .

ونقلتُ من خطه رسالة طويلةً نظماً ونثراً ، كلّ كلمة منها تصحيف ما بعدها ، تكّون أربع مئة كلمة ، وهي :

« قَبّل قَبْل يَداكَ ثَرَاك عَبْدٌ عِنْد رَخَاكَ رَجَاكَ ، أَبيٌّ أَبَى سُؤَال سِوَاكَ . آمِلٌ أَمَّكَ رَجاء رَخَاءٍ . فَأَلْغَى فَأَلْقَى جِدّة خده بأعْتَابكَ باغيَاً بك شرفا سَرفا . لاَذَبكَ لأدبك مُقْدِماً مقدِّماً أَمَل آمِل يُزْجيه تَرَجِّيه يُبَشِّرُهُ بِيُسْره وُجُوْدكَ وَجُوْدكَ . فاشتاق فاستاف . عَرفَ عُرفٍ [منك مثل عبير عنبر ، وقَدِم وقُدِّم ، صَدَقه صِدْقه متجملاً متحملاً][(٤)] بصاعِه بضاعة تِبْر نَثْر .

(١) ديوانه : ٤٦ .
(٢) في الديوان : « خاضبه » .
(٣) ديوانه ٤٧٣ .
(٤) ما بين حاصرتين زيادة من الوافي .

سنَـــــدٌ سَيِّـــــدٌ حَلِيْمٌ حكيْمٌ فَـاضِـلٌ فَـاصِـلٌ مُجِيـدٌ مَجِيْـدُ
حَــــازِمٌ جَـــــازِمٌ بصِيْرٌ نَصِيْرٌ زَانَـهُ رَأيُـهُ الشَّـدِيْـدُ السَّـدِيـدُ
أمَّـــهُ أُمَّـــةٌ رَجـــاءَ رَخَـــاءٍ أُدْرِكْتَ إذْ زَكَتْ نُقُـوْدٌ تَقُـوْدُ[1]
مَكْرُمَـــاتٌ مكرمـــات بَنَتْ بَيْـ ـتَ عَـلاَءٍ عَـلاَ بِجُـوْدٍ يَجُـوْدُ

وهي طويلةٌ ، ربما تزيد على الأربع مئة[2] . وقد أوردْتُها بمجموعها في كتاب : (حَرْم الْمَرَح في تهذيب لُمَحِ المِلَح) .

وأنشدني له إجازة[3] مضمَّناً .

تـزوَّجَ جـاري وهـو شيـخٌ صبيَّـةً فلم يستطـع غشيـانها حين جـاءَهـا
ولـو أنني بـادَرْتُهـا لتركتهـا (يرى قائم من دونها ما وراءها)[4]

وأنشدني له إجازةً[5] :

ليهنِـــكَ أنَّ لي وَلَـــداً وعبـــداً ســواء في المقـــال وفي المقـــامِ
فهـــذا ســـابــق من غير سين وهـــذا عـــاقـــل من غير لامِ

وأنشدني لنفسه إجازةً[6] :

وذاتِ حِرٍ جـادَتْ بـه فصـدتُها وقلتُ لها : مقصوديَ العَجْز لا الفَرْجُ

---

(١) في الوافي : « نقود » .
(٢) عبارة الوافي : « أربع مئة كلمة أو أكثر » .
(٣) في الأصل : « أيضاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) هذا عجز بيت من أبيات لقيس بن الخطيم ، ديوانه ص : ٦ وما بعدها ، وتمامه :
ملكتُ بها كفي فأنهرت فتقها
(٥) الديوان : ٦٣٦ .
(٦) ليست في ديوانه .

فـدارت ودارت سُوءَ خُلْقي بـالرضـا وفي قَلْبِهـا ممـا تكابِـدُهُ وَهَـجُ[(١)]
إذا [ما] دفَعْتُ الأير فيها تَجَشَّأت وذاك ضراطٌ لم يتمّ لـه نُضْـجُ[(٢)]

وأنشدني له إجازةً :[(٣)]

خَلِّيـاني أَجُرُّ فَضْـلَ بُرُودي راتعـاً في ريـاض عَيْنِ البُرُوْدِ
كم بهـا من بـديـعِ زهرٍ أنيـقٍ كَفُصُـوْصٍ مَنْظُـومـةٍ وعُقُـوْد
زنبـقٌ بين قُضْبِ آسٍ وبـانٍ وأقـاحٍ ونَرْجسٍ ووُرُوْدِ[(٤)]
كجبينٍ وعـارضٍ وَقَـوامٍ وثُغُـورٍ وأَعْيُنٍ وخُـدُوْدِ

وأنشدني له إجازةً :

ولي غـلامٌ كالنَّجم طلعَتُـه أخـدُمُـهُ وهـو بَعْضُ خُـدَّامي
تراه خلفيَ طـول النهـار فـإنْ دجـا لنـا الليـل صـار قُـدَّامي
جَعَلْتُـه في الحُضُـورِ مـع سَفري كفروة الحرث بن هَمَّـام

قلت : يريد قول الحريري : « فعمدت لفروةٍ هي[(٥)] في النهار رياشي وفي الليل فراشي » .

وأنشدني لنفسه إجازةً :[(٦)]

---

(١) في الوافي : « وداوت سوء » . وفي (ق) ، (س) ، والوافي ، بيت بعد هذا ، وهو :
وظلت تغاشي من فعـالي شـدة ولم يعل من فرط الحياء لها رهـج
(٢) « ما » سقط من الأصل .
(٣) ديوانه : ٥٥٦ .
(٤) في الأصل : « وزرود » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٥) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٦) في (ق) ، (س) والوافي زيادة هنا ، وهي :
وأنشدني لنفسه إجازة :
ولم أنس إذ زار الحبيب بروضـة وقـد غفلت عنـا وشـاة ولـوّام =

لمــا رأت عُلْيــاك أني كالــذي   أبـدو فينُقصني السّقـامُ الـزائـد [1]
وافيتني ووفيت لي بمكارم   فنـداك لي صلـة وأنت العـائـد

قلتُ : أخذ هذا من واقعة شرف الدين بن عُنَيْن مع الملك المعظم لما كتب إليه وهو ضعيف :

انظر إليّ بعين مـولًى لم يـزل   يُـوْلي النّـدى وتـلافَ قبـل تـلافي
أنـا كالـذي أحتـاج مـا أحتـاجـه   فـاغنم ثنـائيَ بـالجميـل الـوافي

فحضر المعظّم إليه وقال له : أنتَ « الـذي » وأنـا « العـائـد » وهـذه « الصلـة » ، وأعطـاه صرّة فيهـا ثـلاث مئـة دينـار . ولكن صفيّ الـدين زاد هنـا النقص ، لأن « الذي » عند النحاة اسم ناقصٌ يحتاج إلى صلة وعائد .

وأنشدني له إجازةً[2] :

وعَـوْد بـه عـادَ السّرور لأنّـه   حوى اللهوَ قِـدْماً وهـو رَيّـانُ نـاعمُ
يغرّب في تغريـده فكأنـه   يُعيـد لنـا مـا لَقّنَتْـهُ الحمـائمُ

وأنشدني له إجازة يطلب مشمشاً[3] :

يـا جـواداً أكفُّـه في مجـال الحر   ب حَتْفٌ وفي النـوال غَمَـامَـهْ
جُـدْ بتضعيف عكس مشطـور تصحيف مثْنَى ترخيم مِثْـل عـلامَـهْ

=
وقـد فرش الـورد الخـدود ونشرت   بمقـدمـه للسـوسن الغض أعـلام
أقول وطرف النرجس الغض شاخص   إلينـا وللنمـام حـولي إلمـام
أيـا رب حتى في الحـدائـق أعين   علينـا وحتى في الريـاحين نمـام

والأبيات في ديوانه : ٥٥٩ .

(١) في الوافي : « عيناك » . والأبيات ليست في ديوانه .
(٢) الديوان : ٣٦٩ .
(٣) ليسا في ديوانه .

قلتُ : مِثْلُ علامة : « سِمَة » ، فإذا رَخّمتها كانت : « سِمْ » ، فإذا ثنّيتها كانت : « سمسم » ، فإذا صحَّفْتها كانت : « شمشم » ، فإذا أخذتَ شطرها كان : « شم » ، فإذا عكستها كانت : « مش » ، فإذا ضعّفتها كانت : « مشمش » .

ومثل هذا قول القائل يطلب حبراً :

تَصَدَّقْ عليَّ بمعكوس ضدّ مُصَحَّف قولِيْ خَبَتْ نارُه

فتصحيف : « خبت ناره » : « خسارة » ، وضدها : « ربح » ، ومعكوسها : « حبر » . ولكنّ الشيخ صفي الدين زادَهُ عملاً كثيراً .

وأنشدني إجازة لنفسه يستهدي راحاً[1] :

جادَ لنا الدهرُ بعد ما بَخُلاَ ومجلسُ الأُنْسِ قد صَفَا وحَلاَ
ونحن في مجلس يُزَيِّنُهُ رَشْفُ طِلَيٍّ بيننا ولثم طُلَى
فاهْدِ لنا لا بَرِحْتَ ذا نِعَمٍ مَاضِدُّ تصحيفِ عَكْسُه عَدَلاَ

قلتُ : ضد « عَدَل » : « جَارَ » ، وتصحيفه : « حار » ، وعكسه : « راح » . والله أعلم .

وأنشدني له إجازةً يطلب فلفلاً[2] :

أعوزتنا إحدى العقاقير في الدُّرْ يَاقِ فأتحفْ بها تكن خير تُحْفَهْ
ضعف تصحيف ضد مشطور مثلٍ لمثَنّى معكوس ترخيم دَفَّهْ[3]

قلتُ : ترخيم « دفه » : « دف » ، ومعكوسه : « فَد » ، ومثناه : « فدفد » ، ومثله : « مَهْمَهْ » ، ومشطوره : « مَهْ » ، وضده : « قل » وتصحيفه : « فل » ، وتضعيفه : « فلفل » .

---

(١) ليست في ديوانه .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) في الأصل : « مضعّف » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .

وأنشدني لنفسه إجازةً :[١]

بــأبي قــذارٍ منــك وابن زَرارة أدنيت حَتْفَ المستهـام العـاني
فلـو أن كاسم أبي معـاذ قلبَـه مـا كان في البلـوى أبـا حسّـانِ

قلتُ : المعنى : بسالف منك وحاجب أدنيت حتفي ، فلو أن قلبه جبل ما كان في البلوى ثابتاً ، لأن سالفاً أبوه قذار ، وحاجباً أبوه زرارة[٢] ، ومعاذاً أبوه جبل ، وحسّان أبوه ثابت .

وأنشدني لنفسه أيضاً :[٣]

مـا كان ودّك إذ عتَبْتُـك في الجفـا كابن الطُّفَيْـل ولا أبي حسّـان[٤]
وجهي أبـو المقـداد منـك من الحَيَـا والقَلْبُ منـك حكى أبـا سفيـان

قلتُ : المعنى : ما كان ودّك عامراً ولا ثابتاً ، وجهي منك أسود وقلبك صخر . لأن الطفيل ابنه عامر ، وحسان أبوه ثابت ، والمقداد أبوه الأسود ، وأبا سفيان كنيته صخر .

وأنشدني لنفسه أيضاً ـ رحمه الله تعالى ـ مَواليا[٥] :

تقـول بسّـك منّي يـا شقيـق البَـدرِ لقـول ضـدك عنّي بـالخَنَـا والغَـدْرِ
وكان ظنـك أني يـا جليـل القَـدرِ يكون ذلـك فنّي عنـد ضيق الصَّـدْرِ

قلتُ : وهـذان البيتـان يُقرأ شطر كل قفل منهـا فيصير بيتي قريضٍ قـائمـة الوزن بذاتها ، وهما :

(١) ليسا في ديوانه .
(٢) من سادات العرب في الجاهلية ، كان رئيس تميم في عدّة مواطن ، (ت نحو ٣ هـ) الأعلام : ١٥٣/٢ .
(٣) ليسا في ديوانه .
(٤) في الأصل : « في الهوى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٥) ليس في ديوانه .

تقــول بَسّـــــك مني لقــول ضـــدّك عنّي
وكان ظنّـــــــك أني يكــون ذلـــــك فنّي

وإذا قرأتَ هـذين البيتين بـالهجـاء حَرْفـاً فَحَرْفَـا ، خرج منهما بيتـا مواليـا قـائمـا الوزن ، وذلك :

تاءُ قـافٍ واوُ لامٍ بـاءُ سينٍ كافُ ميمٍ نونُ يـا
لامُ قافٍ واوُ لامٍ ضادُ دالٍ كافُ عَيْنٍ نون يا
واوُ كافٍ ألفُ نونٍ ظـاء نونٍ كاف ألفٍ نون يـا
ياءُ كافٍ واوُ نونٍ ذالُ لامٍ كافُ فـاءٍ نون يـا

وهذا عمل صعبٌ إلى الغاية ، ولا يتأتى إلاّ لذي القدرة والتسلّط على النظم . وقـد أردت أن أعمل مثل ذلك ، فأعان الله تعالى ، وفتح عليَّ ، فقلتُ :

علمتُ أنــك حُبّي يــا رشيـق القَــدْ وقلت : ودّك طبّي يـا شريـق الخَــدْ
فراع صَــدُّك لبّي يـا سعيـد الجَــدْ عسى يردّك ربي يـا مــديــد الصّــدْ

فشطر كل نصف أول يُقرأ فيكون قريضاً وهو :

علمتُ أنــــــك حبّي وقلتُ : ودّك طبّي
فراع صـــــــدك لبّي عسى يردّك ربي

وإذا قرأت هذين البيتين بالهجاء حرفاً فحرفا ، كانا بيتي مواليًا وهما :

عين لامٍ ميمُ تاءٍ ألف نونٍ كافُ حـاءٍ بـاءُ يـا
واوُ قافٍ لامُ تاءٍ واوُ دالٍ كافُ طـاء بـاء يـا
فاء راء ألفُ عَيْنٍ صادُ دالٍ كافُ لام بـاء يـا
عينُ سينٍ ألف ياءٍ راءُ دالٍ كاف راء بـاءُ يـا

وأنْشَدني له إجازةً[١] :

وَعَـــدَتْ في الخميس وصْـلاً ولكن   شـاهَـدَتْ حَـوْلَنـا العـدا كالخميس
أخلَفَتْ في الخميس وعدي وجـاءَتْ   بعـدمَـا قبل بعـد [يـوم] الخميس[٢]

قلتُ : المعنى : أنها أوعدته الزيارة في يوم الخميس فرأت العدا كالجيش ، فـأخلَفَتْ الوعـد في ذلـك النهـار ، وجـاءت في يوم الجمعـة ، وذلـك لأن البَعـد والقَبل متكافئـان فسقطا ، وفضل معه بعد والخميس بعده الجمعة . وهذا أخذه من قول القائل :

مـا يقـول الفقيـه أَيَّـدَهُ الله   ولا زال عنـــده الإحســـانُ
في فتىً علَّـــقَ الطـــلاق بشهر   بعـدمَـا قبـل بعـده رمضـانُ

وقـد أوردتُ هـذين البيتين في (شرح اللاميّـة)[٣] وتكلمتُ عليـه وعلى تقـديم القَبْلاَت والبَعْدَات ، وهناك يظهر هذا أوضح من هنا .

وأنشدني لنفسه ما يُقرأ مقلوباً[٤] :

أَنّثْ ثَنَـاءً نـاضراً لـكَ إنّـه   هَنَـا كلَّ أرض إن أَنثَّ ثنـاءَ
أمْرْ كـلاَمـا أَلَّفَتْـهُ مَظَنَّـه   لـه نظم هتفٍ لأَمَّ الكُرَمَـاءَ
أهْبَّ لـوَصْفٍ لالمـا هبَّ آمـلٌ   ملمـاً بهـا مـلء الفصـول بَهـاءَ[٥]
أرْوح أُطيـلُ الـدأبَ أبْرم همّـةً   مُرَبَّى بـإدلالٍ يُطَـاح وراءَ[٦]
أَرِقُّ فـلا حُـزْنٌ ينمّ بمُهْمَـلٍ   مُهِمّ بمنّ يُنْـزِحُ الفقراءَ

(١) ليسا في ديوانه .
(٢) الزيادة من (ق) ، (س) .
(٣) انظر : الغيث المسجم في شرح لامية العجم : ١/١٧٥ .
(٤) ليس في ديوانه .
(٥) في (ق) ، (س) : « هباء » . ولايستقيم العكس بها .
(٦) في الأصل : « يطوح » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

أخَرٌ لأني نـــــائبٌ لقضيَّـــــةٍ تهيض قلبي أن ينـــال رخـــاءَ
أفُـــوْه أراعي قُـــوْتـــه بتكلّفٍ لكتْبـــة تـوقيـع أراه وفـــاءَ[1]

وأنشدني له إجازةً مما يُقرأ مقلوباً[2] :

يَلــــذُّ ذُلّيْ بنضـــوِ لَـــوْضَنَّ بي لَـــذَّ ذُلّيْ
يَلُمُّ شَمْلِيْ لِحُسْنٍ إنْ سَــحَّ لِيْ لَمَّ شَمْلِيْ

وأنشدني لنفسه إجازةً في الجناس[3] :

كم قَـدْ أفَضْنـا من دمـوع ودِمـاً على رسـوم للـديَـار والـدِّمَنْ
وكم قَضَيْنَـــا للبكاء مَنْسِكاً لَّمـا تـذكَّرْنـا بهنّ من سَكَنْ[4]
معـاهـد تُحْـدِثُ للصّبر فَنَـاً إن هـاجت الـوُرْق بهـا على فَنَنْ[5]
تـذْكارُهـا أَحْـدَثَ في القلب شَجـاً وفي الحشـا قَرْحَـاً وفي القلب شَجَنْ[6]
لله أيـــامٌ لنـــا على مِنًى فكمْ لهـا عنـدي أيـادٍ ومِنَنْ
شربْتُ فيهـا لـذّة العيش حَسَـاً ومـا رأيتُ بعـدهـا مَرأىً حَسَنْ
كم كان فيهـا من فتـاةٍ وفتىً كلّ لقَلْب الْمُسْتَهـام قـد فتَنْ
فما ارتكبنـا بـالوصـال مـأثمـاً بـل بعتُهم رُوحي بغير مـا ثَمَنْ
وعـاذلٍ أضمر مَكْراً ودَهـا فنَمَّـقَ العيش بنُصْـح ودَهَنْ[7]
لاحٍ غَـدَا يعرف للقلب لحـاً إنْ أعْرَبَ القـولَ بعـذلي أو لَحَنْ

(١) في الأصل : « أذاه وفاء » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وبها يستقيم العكس .
(٢) ليسا في ديوانه .
(٣) ديوانه : ١٠٤ .
(٤) في الأصل : « تذكرت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والديوان .
(٥) في الديوان : « معاهداً » . « إن ناحت » .
(٦) في الديوان : « أحدث في الحلق » .
(٧) في الديوان : « فنبق الغشّ » .

يـزيـدني بـالـزّجر وجـداً وأسىً وكان مـاءُ الـوُدِّ منـه قـد أَسَنْ
سئمتُ منـه اللـومَ إذ طـال مَـدى ولم أُجِبْـهُ بـل بَـدَوْت إذا مَـدَنْ
بجسرةٍ تشـد في السير قِرًى إذا لم تَـذلَّـل بـزمَـام وقَرَنْ[1]
لا تتشكى نصبـاً ولا وجىً إذا دجـا الليـل على الركب وَجَنْ
حَنَّتْ وأعطتْ في السُّرى خيرَ عطـاً إن حنَّ يـومـاً غَيْرُهَـا إلى عَطَنْ[2]
وأصبحَتْ من بعـد أيْنٍ وعَنـاً للملـك النـاصر ضَيْفَـا وعَنَنْ[3]
مَلْـكٌ غـدا لسـائر النـاس أَبـاً إن سـار في كَسْب الثنـاء أو أَبَنْ
النـاصر الْمِلك الـذي فـاض جـداً فخلتـه ذا يـزَنَ وذا جَـدَنْ
ملـكٌ عَـلا قَـدْراً وجَـدًّا وسَنـاً فجـاء في طُرُق العـلا على سَنَنْ
لا جَـوْرَ في بـلاده ولا عـدى إنْ عُـدَّ في العَـدْل زبيـدٌ وعَـدَنْ
كم بِـدَرٍ أعطى الـوفـود وَلُهى وكان يُرضيهم كَفَـافٌ ولُهَنْ[4]
جنَيتُ من إنعـامـه خير جنى وكنتُ من قبـلُ كَمَيْتٍ في جَنَنْ
فمـا شكـوتُ في حِمَـاه لغبـاً ولـو أطـاقَ الـدهرُ غَبْنِي لغَبَنْ[5]
دعـوتـه بـالمـدح عن صـدقٍ ولاً فلم يجب يـومـاً بلم ولا ولَنْ
أنظمُ في كلّ صبـاحٍ ومَسـاً كأنـه لصـارمِ الفكر مِسَنْ[6]
يـا مـالكاً فـاق الملـوك ورَعـاً إن شـان أهـلَ الْمُلْـك طيشٌ ورَعَنْ
أكسبني بـالمجـد مجـداً وعُـلاً فصغتُ فيـك المـدحَ سِرّاً وعَلَنْ[7]

(١) في الأصل : « بحسرة » ، تصحيف . والجسرة : الناقة القوية العظيمة .
(٢) في الديوان : « حنت » .
(٣) في الديوان : « وعيا » .
(٤) في الديوان : « كفافاً » . واللّهن : جمع لهنة ، ما يهديه المسافر عند قدومه من سفره . والبدرة : كيس فيه دراهم .
(٥) في الديوان : « شكيت » .
(٦) في الديوان : « الصارم الدهر » ، والمِسنُّ : معروف .
(٧) في (ق) ، (س) والديوان : « أكسبتني » .

إن أُوْلِـكَ المـدحَ الجـزيـل فحرى وإن كبـا فكرُ سـواي وحَرَنْ[١]
لا زلتَ في مُلْكِـك خِلْـواً من عنـاً وليس لِلْهَمِّ لَـدَيْـكَ مِن عَنَنْ
ونِلْتَ فيـه مـا تروم من مُنًى وعشتَ في أمْنٍ وعِـزٍّ ومُنَنْ[٢]

وأنشدني إجازةً لنفسه[٣] :

سَلْ سَلْسَلَ الريقِ إن لم تَرْوِحَرّ ظَمَا بَـلْ بَلْبَـلَ القَلْبَ لَمَّـا زادَهُ أَلَمَـا
قَد قَدَّ قَـدُّ حبيبي حَبْـلَ مُصْطَبري إنْ آنَ أَنْ أجتني جُرْمـاً فـلا جَرَمَـا
مُـذْ مَـلَّ مَلْمَـلَ قلبي في تعَنُّتِـه لو كَفَّ كفكفَ دَمْعا صـار فيـه دمَا
بـل رُبَّ رَبْرَب سِرْب ثغره شنب لَـوْ لـؤلـؤٌ رام تشبيهـاً بـه ظُلِمَـا
لو قـابـل الشمس لألأ لاؤهـا كُسفت فـإنْ يَقُل للدُّجـازِجْ زَحْزَح الظُلَما
كم هَـدّ هُـدْهُـدُ واشينـا بنـاءَ وَفـاً غـداة عنعَنَ عن أعـدائنـا الكلمـا
مـذ نمّ نَمْنَم أقـوالاً شقيت بهـا إذ زلَّ زلـزل طـود الصبر فـانهـدمـا
[لِمْ لَمْلَم الوجدُ عنـدي بعد مصرفه عني وجَمْجَم جمّ الغيث فالتـأمـا][٤]
مذلـجً لَجْلَج نطقي عن إجـابتـه لـو رقَّ رقرق دمعـاً ظـل منسجما[٥]
إن كان دعدعَ دَعْ كاس العتاب وقُل مَنْ مَهْمَـهُ العشق لا يطويـه من سئما
إن قيل ضَعْضَعَ ضَعْ خدّيك معتـذراً أو قيـل قَلْقَـلَ قُـلْ أرضى بمـا حكمـا
أو قيل طحطح طحْ بـالحب ملتجئـا أو قيـل دَمْـدَمَ دُمْ بـالـود ملتزمـا
سَبْ سَبْسَبَ الحب واشكر مِنْ احبتنـا لكلّ مَنْ مَنَّ مِنْ أهـل الـوفـا كرمـا
هُمْ هَمَّهُمْ حفظُهم للخـلِ حـق وفـا من حيث حصحص حصَّ الهمَّ منتقما
إن قيل أحٍّ أُحَـاحُ الغـدْر فـارْضَ بهم أوْلا فنفَسـك لُمْ لِمَ لَمْ تَفِضْ نـدمـا

(١) في الديوان : « الجميل » .
(٢) في الديوان : « عزّ وبأس ومنن » .
(٣) ليست في الديوان ، والوافي .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
(٥) في الأصل : « في إجابته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وأنشدني لنفسه إجازةً :[(١)]

إنْهَضْ فهَـذا النَّجمُ في الغَرْبَ سَقَـطْ … والشَّيْبُ في فَـوْد الظـلام قـدْ وَخَـطْ
والصبـحُ قَـدْ مـدَّ إلى نهر الـدجى … يـداً بهـا دُرَّ النجـوم يُلْتَقَـطْ[(٢)]
وألهبَ الإصبـاحُ أذيـالَ الـدُّجى … بشمعـةٍ من الشّعـاع لم تُقَـطْ
وضجّتِ الأطيـار في أوْرَاقهـا … لمـا رأت سَيْفَ الصبـاح مُخْتَرَطْ[(٣)]
وقـام مِنْ فَـوْقِ الجـدار هـاتِف … متـوّجَ القـامـةِ ذُو فَرْع قَطَـطْ[(٤)]
يخبّر الراقـد أنَّ نـومَـه … عنـد انتبـاه جَـدّه من الغلَـطْ
والبـدرُ قـد صـار هـلالاً نـاحلاً … في آخر الشهر وبـالصّبـح اختلـطْ
كأنـه قـوسُ لُجَيْنٍ مُـوترٌ … والليـل زَنجيّ عليـه قـد ضَبَـطْ
وفي يَـدَيْـه للثريّـا نَـدَب … يـزيـد فَرْداً واحـداً عن النَّمَـطْ
فـأيُّ عـذْر للرمـاة والـدّجى … قد عُـدَّ في سِلْك الرّمـاة وانخرَطْ[(٥)]
أمَـا ترى الغيم الجـديـد مُقْبـلاً … قـدْ مَـدَّ في الأفـق رِداه وانبسَـطْ
كأن أيـدي الريـح في تلفيقـه … قـد لبّدت قطنـا على ثوب شمـط[(٦)]
يلمـع ضَـوءُ البَرْق في حـافـاتِـه … كأنّ في الجـوّ صفـاحـاً تُخْتَرَطْ
وأظهر الخريفُ مِن أزْهَـاره … أضعافَ ما يُخفي الربيع إذْ شحَط[(٧)]
ولان عِطْفُ الريـح في هُبـوبهـا … والظـلّ منْ بعـد الهجير قَـدْ سَقَـط[(٨)]

---

(١) ديوانه : ٢٥١ .

(٢) في الديوان : « نحر الدجى » ، وهي أشبه .

(٣) في الديوان : « وضجت الأوراق » .

(٤) في الأصل : « هاتفاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والديوان . والقطط : القصير .

(٥) في الأصل : « سلك الزمان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والديوان .

(٦) في الديوان : « الزنج » . بدل « الريح » .

(٧) في الديوان : « أخفى » .

(٨) في الديوان : « والطلّ » .

والشمس في الميزان موزونٌ بها ... قَسْطَ النَهار بعدما كان قَسَط[١]
وأرْسلت جبالُ دَرْبَنْدَ لها ... رُسْلا صَبَا القلبُ إليها وانبسط
من الكراكي الخُزَّرِيَّاتِ التي ... تُقْدِمِ والبعض ببعضٍ مُرْتَبَطْ
كأنها إذْ تابعت صُفوفها ... ركائبٌ عنها الرّحالُ لم تُحَطْ
إذا قفاها سَمْعُ ذي صبابةٍ ... مِثْلي تَقَاضاه الغرام ونشَطْ
فقمْ بنا نَرْفُل في ثوب الصّبا ... إنَّ الرضا بتركه عينُ السَّخَطْ[٢]
والتقطِ اللّذة حيثُ أمكنَتْ ... فإنّما اللذاتُ في الدّهر لُقَطْ
إن الشباب زائرٌ مودّعٌ ... لا يُستطاع ردّه إذا فَرَطْ
أما ترى الكُركيّ في الجوّ وقد ... نَعَّمَ في أفْقِ السَّماء ولَغَطْ
أنساه حُبُّ دجلةٍ وطيبُها ... مواطناً قد زَقَّ فيها وقَمَطْ[٣]
فجاء يُهدي نفسه وما دَرى ... أنّ الردى قرينُه حَيْثُ سَقَطْ
فابرز قِسِيا من كَمَنْدا ناتِها ... إن الجياد للحروب تُرْتَبَطْ
من كل سَبْطٍ من هدايا واسطٍ ... جعْدِ التلاع منه في الكعب تَقَطْ[٤]
أصلَحَه صَالحُ باجتهَادِهِ ... وكلُّ ذي لُبّ له فيه غَبَطْ
وما أضاع الحزمَ عند حزمها ... بل جاوز القيظ و للفصل ضبَط[٥]
حتى إذا حَرُّ حُزيرانَ خَبَا ... وتَمَّ تَمُّوزُ وآبٌ وشَحَطْ
وجاءَ أيلولُ بحَرٍّ فاترٍ ... في نضْجِ تعديل الثِّمارِ مَافَرَطْ
أبرَزَ ما أحرَزَ من آلاتِه ... وحَلَّ من ذاك المتاع مَارَبَطْ
ومَدَّ للصنَعةِ كفَّ أوْحَدٍ ... مُنَزَّهٍ عن الفَسَادِ والغَلَطْ[٦]

(١) في الأصل : « قسط الزمان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والديوان .
(٢) في (ق) : « في ذيل » .
(٣) في الديوان : « ولقط » .
(٤) في الديوان : « جعد البلاغ » .
(٥) في الديوان : « عند عزمها » .
(٦) في الديوان : « كفّاً أوحداً منزّهاً » .

وظـلّ يستقري بـلاغ عـوْدهـا فنبَّرَ الأطرافَ واختـارَ الـوَسَـطْ
وجـوَّد التـدقيـق في لحـامهـا فـأسْقَـطَ الكرشـاتِ منـهُ والسَّقـط
ولم يـزل ينقلهـا مَرَاتبـاً تَلْـزَمُ في صنعتـه وتُشْتَرَطْ[(١)]
فعنـدمـا أفْضَت إلى تطهيرهـا صَحّـح داراتِ البيـوت والنُّقَـطْ
حتى إذا قَمَّصهـا بـدُهْنهـا جـاءت من الصحّـة في أحلى نَمَـطْ
كأنهـا النـونـاتُ في تعريقهـا يَعْـوَجّ منها بُنْـدُق مثـلُ النقَـطْ[(٢)]
مثـل السُّيْـور في يـد الرامي فلـو شـاء طـواهـا وحَـواهـا في سَفَـطْ
لـو يقـذف اليم بهـا مـالكُهـا مـا انتقضَ العُـودُ ولا الـزورُ انكَشَـطْ
كأنمـا بُنْـدُقهـا نيـازكٌ أو من بد الرامي إلى الطير خِطَـطْ[(٣)]
من كل محنيّ الضلـوع مُـدْمَـجٍ مَـا وَهِمَ البـاري بهـا ولا فَرَطْ[(٤)]
كأنمـا لامٌ عليهـا ألفٌ وقـال قـوم إنهـا الـلام فَقَـطْ[(٥)]
فَـاجْـلُ قَـذى عُيُـوْنَـا ببَرْزَةٍ تنفي عن القلب الهُمُـوم والقَنَـطْ
فمـا رَأتْ من بعـد هُـوْرِ بـابـلٍ ومـائِـه التيـار عيشـاً يُغْتَبَـطْ
ونحنُ من مُرُوجـه في نشـوةٍ عنـد التحرّي في الـوقـوف للخُطَـطْ
مِن كلّ مقبـول المقـال صـادق قـد قبض القـوس وللنفس بَسَـطْ
يَقـدُمنـا فيهـا قـديم حَـاذقٌ لا كَسَـل يشَيْنُـه ولا قَنَـطْ
يحكم فينـا حكْمَ داودَ فـلا تنظر منـا خـارجـاً لمـا شَرَطْ[(٦)]
لا يَسبـك الأسبـاق من جفّتـه ولم يكن مثـل القرلّى في النَّمَـطْ [(٧)]

(١) في الديوان : « يُبْلغها مراتبا » .
(٢) في الديوان : « يعرج » .
(٣) في الديوان : « بندقها تنازلاً » .
(٤) في (ق) ، (س) والديوان : « محني البيوت » . وفي الديوان : « ما أخطأ الباري » .
(٥) في (ق) والديوان : « كأنه » .
(٦) في (ق) ، (س) ، والديوان : « عمّا شرط » .
(٧) في (س) : « لا يشتكي » ، وفي الديوان : « لا يشتك » .

إذا رأى الشَّرَّ تعلَّى وإذا ... لاحَ لـه الخير تـدلّى وانخبطْ [١]
مـا نغَمُ المِـزْهَرِ والـدفّ إذا ... فصَّـل أدوار الضُّرُوب وضَبَـطْ
أطيَبُ من تَـدَفُّـدُف التمّ إذا ... دَّقّ على الفيض الجنـاح وخَبَـطْ [٢]
والطير شتى في نـواحيـه فَـذَا ... قـد اكتَسَى الريشَ وهذا قد شَمَـطْ
وذاك يرعى في شـواطيـه وذا ... على الروابي قـد تحصَّى ولَقَـطْ
فمِن جليـل واجب تعـدادُهُ ... ومن مَراعٍ عَـدُّهـا لا يُشْتَرَطْ
تعرج منـا نحـوه بنـادقٌ ... لم ينـج منهـا من تَعَلَّى واخْتَبَـطْ
فمِن كسيرٍ في العُبَـاب عـائمٍ ... ومن ذبيـح بـالـدِّمـاء يُغْتَبـطْ [٣]

وأنشدني له إجازةً ، ومن خطه نقلتُ : [٤]

كَيْفَ الضّلالُ وصبحُ وَجْهِك مُشْرِقٌ ... وشَـذَاكَ في الأكـوانِ مِسْـكٌ يَعْبَـقُ
يَـا مَنْ إذا سَفَرَتْ محـاسِنُ وجهـه ... ظَلَّتْ بَها حَـدَقُ الخلائـق تُحْـدِقُ [٥]
أوْضَحْتَ عُـذْري في هَـوَاكَ بـواضحٍ ... مـاءُ الحيَـا بـأديمـه يتَرَقْرَقُ
فإذا العَـذُولُ رأى جَمَـالـك قـال لي ... عجبـاً لقلبـك كيف لا يتمـزَّقُ
يـا آسراً قَلْبَ الْمُحِبِّ فَـدَ مُعْـهُ ... والنـومُ مِنْـهُ مُطْلَـقٌ ومُطَلَّـقُ
أغْنَيتني بـالفكر فيـك عن الكرَى ... يـا آسري فـأنـا الغنيُّ الْمُمْلِـقُ
وصحبتُ قَـوْمَـاً لستُ من نظرائهم ... فكأنني في الطرس سطرٌ مُلْحَـقُ
قـولا لمن حَمَـل السـلاح وخَصْرُهُ ... مِنْ قَـدِّ ذابلـه أرقُّ وأَرْشَـقُ [٦]

---

(١) في (ق) : « وسقط » .
(٢) في الديوان : « على القبض » .
(٣) في الديوان : « يغتبط » .
(٤) ديوانه : ١٢٠ .
(٥) في الأصل : « الحدائق » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٦) في (ق) ، (س) : « أرقّ وأشق » ، وفي الديوان والوافي : « أدقّ وأرشق » .

لا تُـوْهِ جسمـكَ بـالسـلاح وحَمْلـه إني عليـك من الغِـلاَلَـة أَشْفَـقُ[١]
ظبيٌ من الأتراك فَـوْقَ خُـدوده نـارٌ يخرُّ لهـا الكليم ويُصْعَـقُ
تَلْقَـاهُ وهُـوَ مُـزَرَّدٌ ومُـدَرَّعٌ وتراه وهـو مُقَرَّط ومُقَرْطَـقُ
لم تترك الأتراك بَعْـدَ جمـالهـا حُسْنـاً لمخلـوق سـواهـا يُخْلَـقُ
إنْ نُـوزلـوا كانـوا أُسُـودَ عَرِيْكَـةٍ أو غُـوزلـوا كانـوا بُـدُوْراً تُشْرِقُ
قـومٌ إذا ركبُـوا الجيـاد رأيتهم أُسـداً بـألحـاظ الجـآذر تَرْمُـقُ[٢]
قـد خُلِّقت بـدَم القُلُـوبِ خُـدُودهم ودروعُهُم بـدم الكُمَـاةِ تُخلَّـقُ
جـذَبـوا القِسيّ إلى قسيّ حَـوَاجبٍ مِنْ تحتهـا نَبْـلُ اللواحـظ تُرْشَـقُ
نشروا الشعـور فَكُـلُّ قَـدٍّ مِنْهُمُ لَـدْنٌ عليـه من الذؤابـة صنجَـقُ[٣]
لي منهم رَشَـأ إذا قـابلتُـه كادت لـواحظُـهُ بسحرٍ تَنْطِـقُ[٤]
إن شـاء يلقـاني بخُلـقٍ واسـعٍ عنـد السلام نهـاه طرف ضيِّـقُ[٥]
لم أنس ليلـة زارني ورقيبُـه يُبـدي الرضـا وهو الْمَغيـظ الْمُحْنَقُ
حتى إذا عبث الكرى بجفـونـه كان الـوسـادةُ سـاعـدي والمِرْفَـقُ
عـانقْتُـه وضَمْمتُـه فكأنـه منْ سـاعـديَّ مُمَنْطَـقٌ ومُطَـوَّقُ
حتى بـدا فلـق الصَّبَـاحِ فراعـه إنَّ الصَّبَـاحَ هـو العـدوُّ الأزرقُ

وأنشدني له إجازةً يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون[٦] :

أَسْبَلْنَ من فـوق النحـور ذوائبـا فتركن حبَّـات القلـوب ذَوَائبَـا[٧]

(١) في الديوان : « وثقلة » .
(٢) في الأصل : « أسد » ، وفي الديوان والوافي : « ظننتهم أسداً » .
(٣) في الديوان : « الذوائب » .
(٤) في الديوان : « إذا غازلته » .
(٥) في الوافي : « طرق » .
(٦) ديوانه : ٩٥ ، والقصيدة معارضة لقصيدة المتنبي المشهورة ، وستأتي الإشارة إلى مطلعها .
(٧) في الديوان : « النهود » .

وجَلَوْنَ مِنْ صبح الوجوه أشعّةً ... غادَرْونَ فَوْدَ الليل منها شائبا
بيضٌ دعاهنَّ الغبيُّ كواعبَاً ... ولو استبان الرشدَ قال كواكبا
وربائبٌ فإذا رأيتَ نِفَارها ... من بَسْط أنسك خلتهنَّ ربَاربا
سَفَّهْنَ رأي المانويّة عندما ... أَسْبَلْنَ من ظُلَم الشعور غياهبا
وسَفَرْنَ لي فرأين شخصاً حاضراً ... شُدهَتْ بصيرتُه وقلباً غائبا
أشرقنَ في حلل كأنَّ أديمها ... شَفَقٌ تَدَرَّعَهُ الشُّموسُ جَلابِبَا[١]
وغَرَبْنَ في كِلَل فقلتُ لصاحبي ... (بأبي الشموس الجانحات غواربا)[٢]
ومُعَرْبِد الألحاظ يثني عِطْفَه ... فيُخالُ من مَرَحِ الشبيبة شاربَا[٣]
حلو التَّعَتُّب والدلال يَرُوْعُهُ ... عتبي، ولستُ أراه إلاّ عَاتِبَا
عاتبتُه فتضَرَّجْتُ وَجَناتُه ... وازوَرَّ ألحاظاً وقَطَّبَ حَاجِبا
فأراني الخدَّ الكليم وطَرْفُه ... ذو النون إذ ذهب الغداة مُغَاضِبَا[٤]
ذو منظر تغدو القلوب بحُسْنِه ... نهباً وإن مَنَحَ العيونَ مواهبا
لا غَرْوَ أنْ وَهَبَ اللواحظ حَظُّوه ... من نوره ودعاهُ قلبي ناهبا
كمواهب السلطان قد كَسَت الورى ... نِعَماً وتدعوه القساورُ سالبا[٥]
الناصرُ الملك الذي خضعت له ... صيدُ الملوك مشارقاً ومغاربا
ملكٌ يرى تَعَبِ المكارم راحةً ... ويعُدّ راحات الفراغ متاعبا[٦]
لم تَخْلُ أرضٌ من ثناه وإن خَلَت ... مِنْ ذكره ملئت قناً وقواضبا[٧]

(١) في الديوان : « كأن وميضها » . وفي الوافي :« جلائبا » .
(٢) ضمن مطلع قصيدة المتنبي . وتمام البيت :
اللابسات من الحرير جلاببا
(٣) في الأصول : « اللحظات » .
(٤) في الديوان : « فأذابني الخد » . وفي الأصل : « ذا » وأثبتنا ما في النسخ الأخرى وفي البيت إشارة إلى قصة النبي يونس عليه السلام .
(٥) في الديوان والوافي : « فمواهب » .
(٦) في الديوان : « القراع » .
(٧) زيادة من النسخ الأخرى .

بمكارم تَـذَرُ السَّبَاسبَ أبْحَراً ... وعزائمٍ تـذر البحـار سَبَاسِبَا
تُرجَى مـواهبُـه ويُخْشَى بَطْشُـه ... مثل الـزَّمـان مسـالمـاً ومحـاربـاً
فـإذا سطـا مـلأ القلوب مهـابـةً ... وإذا سخـا مـلأ العيـون مـواهبـا
كالغيث يسفـح مِن عطـائـه نـائـلاً ... سبطا ويرسل من سطاه حاصبا [1]
كالليث يحمي غـابَـهُ بـزئيره ... طَـوْراً ويُنْشِب في القَنِيصِ مخَـالِبـا
كالسيف يبـدي للنـواظر منظراً ... طلقاً ويمضي في الهيـاج مُضـاربـا [2]
كالسيـل يُحْمَدُ منـه عَـذْبـاً واصـلاً ... ويَعُـدُّهُ قـومٌ عَـذابـاً واصِبـا [3]
كالبحر يُهْـدي للنفـوس نفـائسـاً ... منـه ويُبـدي للعيـون عجـائبـا
فـإذا نظرت نَـدَى يـديـه ورأيَـهُ ... لم تُلْفِ إلا صيِّبـاً أو صـائبـا [4]
أبقى قـلاوون الفخـارَ لـوُلْـده ... إرثـاً ففـازوا بـالثنـاء مكاسبـا
قـومٌ إذا سئمـوا الصَّـوافن صيَّروا ... للمجـد أخطـار الأمـور مراكبـا
عشقـوا الحروب تيمنـاً بلقـا العِـدا ... فكأنهم حسبـوا العـداة حبـائبـا
وكأنمـا ظنـوا السيـوف سـوالفـاً ... واللُّـدْنَ قَـدّاً والقِسِيَّ حـواجبـا
يـا أيُّهـا الملـك العـزيـز ومن لـه ... شرفٌ يَجُرُّ على النجـوم ذوائبـا
أصلحتَ بين المسلمين بهمَّـةٍ ... تَـذَر الأجـانب بـالـوفـود أقـاربـا [5]
ووهبتهم زَمَنَ الأمـان فمن رأى ... ملكاً يكـون لـه الـزمـان مَـوَاهبـا
فرأوا خطـابـاً كان خَطْبـاً فـادحـاً ... لهم وكُتْبـاً كنَّ قَبْـلُ كَتَـائبـا
وحَرَست مُلْكَـكَ من رجيمٍ مـاردٍ ... بعـزائمٍ إنْ صُلْتَ كنَّ قـواضبـا
حتى إذا خَطِف المنـافـق خطفـةً ... أتبعتـه منهـا شهـابـاً ثـاقبـا [6]

(١) في الديوان : « وابلا » .
(٢) في الأصل : « كالليث » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٣) في الأصل : « عذباً وارداً » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى .
(٤) في الديوان : « إلا صائبا » .
(٥) في الديوان : « أنفذ في الزمان » .
(٦) في الديوان : « خطف المكافح » .

لا ينفع التجريبُ خصمك بعدَما أفنيت مَنْ أفنى الزمان تجاربا[١]
صَرَّمْتَ شمْلَ المارقين بصارم تُبْديه مَسْلُوباً فيرجع سالبا
صافيْ الفِرنْد حكى صباحاً جامداً أبدى النجيعَ به شُعاعاً ذائباً
وكتيبةٍ تدعُ الصهيل رواعداً والبيضَ برقاً والعجاج سحائبا
حتى إذا ريح الجلاد حَدَتْ لها مَطَرَتْ وكان الوبل نبلاً صائبا[٢]
بذوابلٍ ملْدٍ يُخَلْنَ أَرَاقِماً وشوائلٍ جُرْدٍ يُخَلْنَ عقاربا[٣]
تطأ الصدور من الصدور كأنّما تعتاض عن وطء التراب ترائبا
فأقمتَ تُقْسِم للوحوش وظائفا فيها وتصنعُ للنسور مآدبا
وجعلت هاماتِ الكماة منابراً وأقمْتَ حدَّ السَّيف فيها خاطبا
يا راكب الخطر الجَليل وقولُه فخراً بجدك لاعدمتِ الراكبا
صيَّرت أسحار السماح بواكراً وجعلت أيام الكفاح غياهبا[٤]
وبذلت للمُدَّاح صَفْوَ خلائق لو أنها للبحر طاب مَشَاربا
فَرَأوك في جنب النضار مفرِّطاً وعلى صلاتك والصلاة مواظبا
إن يحرس الناسُ النضار بحاجبٍ كان السماح لعين مالكِ حاجبا
لم يملؤوا فيك البيوت رغائبا إلاّ وَقْد ملؤوا البيوت غرائبا
أوْليتَني قبل المديح عنايةً وملأت عَيْني هيبةً ومواهبا
ورفعتَ قَدْري في الأنام وقد رأوا مثلي لمثلك خاطباً ومخاطبَا
في مجلس ساوى الخلائق في الندى وترتَّبَتْ فيه الْمُلُوك مراتبا
وافيتُه في الفُلْك أسعى جالساً فخراً على من قال أمشي راكبا[٥]

(١) في الأصل : « لا يمنع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٢) في الوافي : « الويل » .
(٣) في الديوان : « بذوائب » . والملد : اللين .
(٤) زيادة من الوافي والديوان .
(٥) في الديوان : « من جاء يمشي راكباً » .

فـــأقمتُ أُنْفِـــذ في الأنـــام أوامراً مني وأُنشب في الخطـوب مخـالبـا[١]
وسقتني الـــدّنيـــا غـــداة وَرَدْتُـــه ريّـا ومـا مَطَرَتْ عليَّ مصـــائبـــا
فطفِقتُ أمـلأ من ثنـــاك وشكره حقبـا وأمـلأ من نـداك حقـائبـا[٢]
أُثنِيْ فتثنيني صفـــاتُـــك مُظْهِرا عيّاً وكم أَعْيَتْ صفاتُـك خـاطبَـا
لـو أن أعْضَـانـا جميعـاً ألْسُنٌ تثني عليـك لمـا قضينـا الـواجبـا

وأنشدني إجازةً ، ومن خطه نقلتُ ، يمدح سيدنا رسول الله ﷺ :[٣]

كَفَى البَدْرَ حُسناً أن يقـال نظيرُهـا فيَـزْهَى ولكنّـا بـذاك نَضِيرُهـا
وحَسبُ غُصونِ البَـان أنَّ قَوَامهـا يُقـاسُ بـه مَيّـادُهـا ونضيرُهـا
أسيرةُ حِجْـل مُطلَقـاتٌ لحـاظُهـا قضى حُسْنُهـا أنْ لا يُفَـكَّ أسيرُهـا
تهيمُ بهـا العُشّـاقُ خَلْفَ حِجَـابهـا فكيف إذا مـا آن منهـا سُفـورهـا[٤]
وليس عجيبـاً أن غُرِرْتُ بنظْرَةٍ إليهـا فمِنْ شَـأن البُـدُور غُرورهـا
فكم نظرةٍ قـادتْ إلى القَلْب حَسْرةً يُقَطِّـعُ أَنْفَـاسَ الحيـاة زَفيرُهـا
فواعجبـاً كم نَسْلُب الأسْدَ في الـوغى ويسلبنـا مِنْ أعْيُن الحُـور حُـورهـا
فُتُـور الظُبي عنـد القِراع يشينهـا ومـا يُزْهِفَ الأجفـانَ إلاّ فُتـورهـا[٥]
وجُـذْوةُ حُسْنٍ في الخـدود لهيبُهـا يَشُبّ ولكن في القلـوب سعيُرهـا
إذا آنستهـا مُقْلَتي خَرَّ صـاعقـاً فؤادي وقال القلب لا دُكَّ طورهـا[٦]
وسربِ ظبـاءٍ مشرقـاتٍ شمـوسُـه على حلّـةٍ عنـد النجـوم بُدُورهـا[٧]

---

(١) في الديوان : « أنفذ في الزمان» .
(٢) في الديوان : « ثناك ونشره » .
(٣) ديوانه : ٧٣ .
(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٥) في الديوان :« يشيبنا » .
(٦) في الديوان : « جناني وقال » . وفي البيت إشارة إلى قصة موسى عليه السلام .
(٧) في (ق) ، (س) : « حلّه » ، وفي الوافي : « حلية » ، وفي الديوان : « جنّة » .

تُمانـع عمـا في الكنـاس أسـودُهـا وتحرُس مـا تحوي القصـورُ صقـورُهـا
تغـار مِنَ الطيف الْمُلِمِّ حُمَـاتُهـا ويَغْضَبُ مِنْ مَرِّ النسيمِ غَيُـورهـا
إذا مـا رأى في النّوم طَيْفـاً يرودهـا توهَّمـه في اليـوم ضَيْفَـاً يـزورهـا[(١)]
نظرْنـا فـأعْـدتْنَـا السِّقـام جفـونهـا ولُذْنَا فـأوْلَتْنَـا النحولَ خُصُورهـا [(٢)]
وزرْنَـا وأُسْدُ الحيّ تُـذكي لحـاظهـا ويُسْمَـعُ في غـاب الرمـاح زئيرُهـا
فيَـا سَـاعَـدَ اللهُ الْمُحِبَّ فـإنَّـهُ يَرَى غمرات الْمَـوْت ثم يـزورهـا [(٣)]
ولَمَّـا أَلَمّتْ للـزيـارة خِلْسـةً وسَجْفُ الدياجي مُسْبَلاتٌ ستورهـا
سَعَت بيننـا الواشُون حتى حُجُـولُهـا ونَمَّت بنـا الأعـداء حتى عبيرُهـا[(٤)]
وهمّتْ بنـا لـولا حبـائـل شعرهـا خطا الصبح لكن قيَّدته ظفورُهـا[(٥)]
ليَـاليَ يُعْـديني زمـاني على العِـدَا وإن مُلئتْ حِقْـداً عليَّ صـدورُهـا
ويسعـدني شرخ الشبيبـة والغنى إذا شـانهـا أقتـارهـا وقتيرُهـا
ومـذْ قَلَبَ الـدّهر المجنّ أصـابني صَبُوراً على حـالٍ قليلٍ صبـورُهـا[(٦)]
فلـو تحمـل الأيّـامُ مـا أنـا حـامـلٌ لمـا كاد يمحـو صبغـةَ الليـل نـورُهـا
سـأصبرُ إمّـا أنْ تـدور صُروفهـا عليّ وإمّـا تستقيمُ أمـورُهـا
فـإن تكن الخنسـاءَ إني صخرهـا وإن تكن الـزبّـاءَ إني قصيرُهـا
وقـد أرتـدي ثـوب الظـلام بجسرة عليهـا مِن الشَّوش الحُماة جَسُورُهـا[(٧)]
كأني بـأحشـاء السبـاسبِ خـاطرٌ فمـا وُجِـدَتْ إلا وشخصي ضميرُهـا

---

(١) في الوافي والديوان : « طيفاً يزورها » .
(٢) في الوافي والديوان : « السقام عيونها » .
(٣) في الديوان : « لأنه » .
(٤) في الوافي : « سعى » و « ثمت » .
(٥) في الديوان : « لولا غدائر » .
(٦) في الأصل : « وقد مكب » ، تصحيف .
(٧) الجسرة : الناقة الضخمة القوية .

وصـاديـةِ الأحشـاء غَصَّى بـآلهـا يعـز على الشِّعْرى العَبُـور عُبـورُهـا
ينـوح بهـا الخرّيت نَـدْباً لنفسـه إذا اختلفت حصباؤها وصخورُها
إذا وطئتهـا الشمس سـال لُعـابها وإن سلكتها الريح طال هريرها[١]
وإن قـامت الحِرْباء ترْصُد شمسها أصيلاً أذاب اللحظَ منها هجيرُها[٢]
تجنّبُ عنهـا للحـذار جنـوبُها وتُـدْبرُ عنهـا في الهُبـوب دَبُـورُهـا
خبرْتُ مرامي أرضهـا فقتلتهـا ومـا يَقْتُـلُ الأرضين إلاّ خبيرها
بخطـوة مِرْ قـالٍ أمُـونٍ عثـارُهـا كثير على وَفْقِ الصـواب عُثُـورها
ألَـذّ منَ الأنْغـام رَجْـعُ بَغَـامهـا وأطربُ من سَجْع الهديل هديرها[٣]
نُسـاهِم شَطْرَ العيش عيساً سَوَاهِماً لطول السُّرى لم يَبق إلاّ شطورها[٤]
حروفاً كنونات الصَّحـائف أصْبحَت تَخُـطُّ على طِرس الفيـافي سُطـورها
إذا نُظمت نظم القـلائـد في البُرَى تَقَلَّدَهـا خَصْر الرّبـا ونحـورهـا[٥]
طَواها طوَاهـا فـاغتـدت وبُطـونها تجـول عليهـا كالـوشـاح ظفـورهـا
يُعبّر عنْ فَرْط الحنين أنينُهـا ويُعْرِبُ عَمَّا في الضمير ضُمـورها[٦]
نسير بهـا نحـو الحجـاز وقصـدهـا مـلاعب شِعْبي بـابـل وقصـورهـا
فلمـا ترامت عن زَرُود ورَمْلِهـا ولاحت لهـا أعـلام نجـد وقُـورهـا
وصـدَّتْ يمينـاً عن شُمَيـط وحـاذرت رُبا قَطَن والشّهْبُ قد شف نُورها[٧]
وعـاج بهـا عن رمـلِ عـاجٍ دليلهـا فقـامَتْ لعِرفـانِ الْمُراد صُـدورهـا

(١) في الوافي والديوان : « هديرها » .
(٢) في الديوان :
وإن قـامت الحربـا تـوسّـد شعرهـا أصيلاً أذاب الظرف منهـا هجيرهـا
(٣) في الديوان : « أطيب » .
(٤) في الوافي والديوان : « لفرط السرى » .
(٥) في الديوان : « خضر » .
(٦) في الأصل : « حنينها » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٧) في الوافي والديوان : « وجاوزت » .

غـدت تتقـاضـانـا المسير لأنّهـا إلى نحـو خيرِ المرسَلين مَسيرُهـا
ترضّ الحَصَى شـوْقاً لمن سَبَّح الحَصَى لـديـه وحيَّـا بـالسَّلام بعيرُهـا[1]
إلى خير مبعـوث إلى خير أُمَّـة إلى خَيْرِ مَعْبُـود دَعَـاهـا بشيرُهـا
ومَنْ بَشَّرَ اللهُ الأنـام بـأنَّـهُ مبشّرهـا عن إذنـه ونـذيرهـا
ومن أُخْمِدَتْ مع وضعه نار فـارس وزُلْـزِلَ منهـا عَرْشُهـا وسَريرُهَـا
ومن نَطَقَتْ تـوراة مـوسى بفضلـه وجـاء بـه إنجيلُهـا وزَبُـورُهـا
محمّـدُ خَيْرُ الْمُرْسَلِيْنَ بـأسرهمْ وأوّلهـا في المجـد وهـو أخيرُهَـا[2]
فيـا آيـة الله التي مُـذ تَبَلَّجَتْ على خَلْقِهِ أخفى الظّلال ظهـورُها
عَليـكَ سَـلاَمُ الله يـا خَيْرَ مُرْسَـلٍ إلى أُمَّـةٍ لـولاه دام غُرُوْرُهـا
عليـك سـلامُ الله يـا خيرَ شـافـعٍ إذا النَّـارُ ضمَّ الكافرين حَصيْرُهـا
عليـك سَـلامُ الله يـا مَنْ تَعَبَّـدَت لَـهُ الجنُّ وانقـادَتْ إليـه أُمُوْرُهـا
تَشَرَّفَتِ الأقـدامُ لَمَّـا تتـابعَتْ إليـك خُطـاهـا واستمرَّ مريرهـا[3]
وفـاخَرت الأفـواه نَـوْرَ عيـوننـا بتربـك لَمَّـا قبَّلَتـه ثُغُـورُهـا
فضـائـل رامَتْهـا الرؤوسُ فقصَّرتْ ألم تر للتقصير جُـزَّت شعـورهـا[4]
ولـو وفتِ الـوُفَّـادُ قَـدْرَكَ حَقَّـه لكانَ على الأحـداق مَنهـا مسيرُهـا
لأنـك سرُّ الله والآيـةُ التي تجلَّت فجلَّى ظُلْمَةَ الشِّرْك نـورُها
مـدينـة عِلْم وابنُ عمّـك بـابهـا فمن غير ذاك البـاب لم يُؤْتَ سورُهَـا
شموسٌ لكم في الغَرْب مُـدَّتْ شمـوسُهـا بُدورٌ لكَم في الشرق حُفَّتْ بـدورُهـا[5]

---

(١) الرض : الدق والجرش .
(٢) في الأصول الأخرى : « في الفضل » .
(٣) في الأصل : « تشرفت الأقلام » ، تحريف .
(٤) في البيت حسن التعليل لتقصير الشعر عند التحلل من الإحرام في الحج .
(٥) في الأصـل : « في الغرب حفت » ، سهـو ، وأثبتنـا مـا في الأصـول الأخرى . وفي الـديـوان : « شقت بدورها » .

جبالٌ إذا مـا الهَضْبُ دُكّت جبـالُهَا بجور إذا ما الأرض غارت بحورُها[١]
فيـــــــا آل خير الآل والعترةُ التي محبتهـا نُعْمَى قليــل شكــورُهَــا[٢]
إذا جُـوْلِسْتُ للبــذلِ ذلَّ نضــارُهــا وإن سُوجلت في الفضل عزّ نظيرُها
وصحْبُــكَ خيرُ الصَّحب والْغُرَرُ التي بهم أَمِنَتْ مِنْ كلّ أرض ثغــورُهَــا[٣]
كُمَــاةٌ حُمَــاةٌ في القِراع وفي القِرَى إذا شـطّ قـاريهـا وطـاشَ وقورُهـا[٤]
أيَـا صـادقَ الـوَعْـدِ الأمين وعــدتَني ببُشْرَى فـلا أخشى وأنتَ بشيرُهَـــا
بعثتُ الأمــاني عــاطــلات لتبتغي نداك فجاءت حـاليـات نُحُورُهـا [٥]
وأرسلْتُ آمــالاً خِماصــاً بُطُـونهــا إليـك فعــادت مثقـلاتٌ ظهـورُهَـا
إليــك رســولَ الله أشكــو جرائمــاً يـوازي الجبـالَ الراسيـاتِ صغيرُهـا
كبــائر لــو تُبْلَى الجبــال بحملهــا لــدُكَّت ونــادى بــالثُّبـور ثبيرُهـا
وغــــالِبُ ظنّي بــل يقينيَ أنّهـــا سَتُمْحَى وإنْ جَلَّتْ وأنتَ سفيرُهـــا
لأنّي رأيت العُرْبَ تَخْفَر بـالعصـا وتحمي إذا مـا أمّهـا مستجيرهـا [٦]
فكيف بمَنْ في كفّــه أورق العصــا يُضام بنو الآمـال وهـو خفيرهـا [٧]
وبين يَـدَيْ نجْـوَاي قـدَّمت مـدْحـةً قضى خاطري أنْ لا يضيع خطيرُهَـا[٨]
يُرَوِّي غَليـل الســامعين قطــارُهَــا ويجلـو عيـون النـاظرين قطـورُهَـا
وأحسنُ شيءٍ أنني قـــد جَلَـوْتُهـــا عليــك وأمـلاكُ السَّماء حضــورُهـا
تـرومُ بهـــا نَفْسِي الجـزاء فكن لهــا مُجيزاً بـــأنْ تُمْسِي وأنت مجيرُهـــا

(١) في الوافي : « عادت » ، تحريف .
(٢) في الوافي والديوان : « فآلك خير » .
(٣) في الديوان : « بها » .
(٤) في الوافي : « قاربها » .
(٥) في الوافي : « باطلات » .
(٦) أسقط الناسخ عجز هذا البيت وصدر البيت الذي يليه ، ولفّق بينهما .
(٧) في الديوان : « تضام بي » .
(٨) في الوافي : « يخيب خطيرها » ، وفي الديوان : « نجيب » .

فلابن زهير قد أجزت ببردةٍ عليك فأثرى من ذويه فقيرُهَا[١]
أجْزني أجزْني واجزني أجْر مِدْحتي بِبُرْدٍ إذا ما النارُ شَبَّ سَعِيْرُها[٢]
وقابلْ ثناها بالقبول فإنَّها عَرائسُ فكرٍ والقَبُولُ مُهُوْرُهَا
فإنْ زانها تطويلها واطّرادُها فقد شانها تَقْصيرها وقصورُها
إذا ما القَوَافي لم تُحِطْ بصِفاتكمُ فسيَّان منها جَمُّهَا ويسيْرُهَا
بمدحك تمت حِجَّتي وهي حُجَّتي على عُصْبَةٍ يَطغى عليَّ فجورُهَا[٣]
أَقُصُّ بشِعْريْ إثْرَ فضلك واصفاً عُلاك إذا ما الناسُ قَصَّتْ شُعُوْرُهَا
وأَسْهَرُ في نظمِ القوافي ولم أَقُلْ (خليليَّ هل من رَقْدَة أستعيرُها)

٩٨٧ ـ عبد العزيز بن عبد الجليل*

الشيخ الإمام الفقيه عز الدين النمراوي الشافعي .

كان من فقهاء القاهرة المشهورين . أفتى ودَرَّسَ وصحب الأمير سيف الدين سَلاّر مُدَّةً ، وترقى بسببه .

توفي رحمه الله تعالى في تاسع ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة .

٩٨٨ ـ عبد العزيز بن عبد الغني**

ابن [أبي][٤] الأفراح سرور بن أبي الرجاء ، سلامة بن [أبي][٥] بن اليُمن

(١) في البيت إشارة إلى البردة التي ألبسها النبي ﷺ كعب بن زهير عندما أعلن إسلامه .
(٢) في الأصل : « الناس شب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .
(٣) في الأصل و (ق) و (س) : « وهو » ، وأثبتنا ما في الوافي والديوان .
* الدرر : ٣٧١/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ ، والسلوك ، ٩٤/١/٢ .
** الوافي : ٥٢٦/١٨ ، والدرر : ٣٧٣/٢ ، وعقد الجمان : ٧٣١/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٥٨/١ .
(٤) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .
(٥) زيادة من الأصول ومصادر ترجمته .

بركات بن أبي الحمد داود ، ويتصل بالحسن المُثَنّى بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . الينبعي المحتد ، الإسكندراني المولد .

أخبرني العلامة أبو حيان قال : أنشدنا لنفسه بجامع عمرو بن العاص ، ثاني عشر شهر رجب ، ثمانين وست مئة :

وَجَدْتُ بقائي عندَ فَقْدِ وُجُوديْ ... فلم يَبْقَ حَدٌّ جامعٌ لِحدُوْدِيْ
وأَلْفَيْتُ سِرِّيْ عن ضميري ملوّحاً ... برمز إشاراتي وفكٌّ قيوديْ
فأصبحت مني دانياً بمعارفٍ ... وقد كنت عني نائباً لِجُمُوْدِيْ
ومن عين ذاك الأمر حُكْمٌ مبينٌ ... لتحقيق ميراثي وحِفْظ عهوديْ
فمن مبتدا فرقي قنوتي ووجهتي ... إلى منتهى جمعي يكون سجوديْ[1]
وعاكفُ ذاتي مطلق غير مطرق[2] ... وبادي صفاتي قد وفا بعقودي
وإن أَمَرَتْني نَشْأتي غير نسبتي ... فصالح آبائي نذير ثَموديْ
سألقي عَصَايَ في رحاب تجرّدي ... لتأتي من نحو القَبُول وفودي
وأُخْلدُ بلعَامي إلى أرض طبْعه[3] ... لترفعني الآيات حال صعودي
إذا وردت من ماءِ مَدين نشوتي ... لِطَيْفَةِ أسراري بطيب ورودِيْ
فأنزلُ مني منزلاً بعدَ منزل ... وتنزلُ شَمْسي في بروج سعودِيْ
فلا منهجٌ إلاّ ولي فيه مَسْلَكٌ ... ولا مَوْطنٌ إلا وفيه[4] شعودي

قال العلامة أبو حيان : قال شيخنا الرضي الشاطبيّ : هذا يُعرف بالشيخ عبد العزيز المنوفي ، وهو من أتباع ابن العربي ، صاحب عنقاء مغرب .

(١) في الأصل : « مبدا فوقي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٢) في الأصل : « وهو مطرق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٣) في الوافي : « إلى أرض طيّعة » .
(٤) في (س) والوافي : « إلا ومنه » .

قال الشيخ أثير الدين : وهو شيخُ عبد الغفار بن نوح القوصي[١] .

قلت : توفي هذا الشيخ ، أبو فارس المنوفي ، رحمه الله تعالى ، سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده سنة سبعٍ وست مئة .

٩٨٩ ـ عبد العزيز بن عبد القادر*

ابن أبي الكرم بن أبي الذَّر الربعي البغدادي ، الشيخ نجم الدين ، أحد أشياخي الذين سمعتُ عليهم بالقاهرة .

أجاز لي بخطه سنة [ثمان و][٢] عشرين وسبع مئة ، وسمعتُ عليه (المقامات الجزرية) التي لابن الصَّيْقَل[٣] ، كان يرويها عن المصنف ، قرأها عليه الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن العسجدي[٤] بالمدرسة القراسُنقريّة بالقاهرة في السنة المذكورة ونحن نسمع . وله رسالة في الرد على الشيخ تقي الدين بن تيميَّة في إنكاره صحة الكيمياء ، وله مصنفاتٌ منها [كتاب][٥] (نتائج الشيب من مدح وعيب) وهو كبير ، ملكتُه بخطه .

وكان شيخاً قد أتقى واستمسك من الزهد بالعُرْوة الوثقى ، صوفيّاً قد تجرد ، وانفرد عن الوظائف ومَنْ فيها تمرَّد ، طويلاً مهيبا ، دانياً من القلوب قريبا .

---

(١) عبد الغفار بن أحمد بن عبد المجيد بن نوح ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٥٢٧/١٨ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٦/١ ، والدرر : ٣٧٥/٢ .

(٢) زيادا من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) وتعرف بالمقامات الزينيّة ، أنشأها شمس الدين أبو الندي ، معد بن أبي الفتح نصر الله بن رجب المعروف بابن الصيقل الجزري (ت٧٠١ هـ) ، وهي خمسون مقامة كالحريري . الكشف : ١٨٧٥/٢ .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم العسجدي (ت٧٥٨ هـ) ، والدرر : ٢٦٩/١ ، والشذرات : ١٨٤/٦ ، والذيل التام : ١٥٨ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

لم يزل على حاله إلى أن ذُرّ على ابن أبي الذَرّ ترابُه ، وفارقه لِدَاتُه وأترابهُ .

وتوفّي رحمه الله تعالى ..[١] .

[ومولده][٢] ببغداد سنة اثنتين وستين وست مئة .

٩٩٠ ـ عبد العزيز بن أبي القاسم*

ابن عثمان ، الشيخ عزّ الدين أبو محمد البابَصْري البغدادي الحنبلي الصوفي الأديب ، من أعيان الشميساطية .

سمع (مشيخة) الباقرْحِي[٣] على ابن الأجَلّ ، وسمع بدمشق من أصحاب ابن طَبَرْزَد .

وكان بالفقه بصيرا ، وعلى الأدب لمن عاناه نصيرا ، وله حظّ من معرفة أيام الناس ، وتراجم الأطهار والأدناس ، وعلى ذهنه من الشِّعر جمله ، وعلى ظهر قلبه من روايته حَمْلَه .

ولم يزل على حاله إلى أن شخص بصر البَابَصْري وبرق ، وغصّ بها الحلقوم وشَرَق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وخمس مئة[٤] .

وسمع منه ابن البِرْزالي ، وابن الصَّيْرفي ، وضعفُ بصره أخيراً . ولـه شعرٌ منه قوله : ...

(١) كذا بياض في الأصول والوافي . ووفاته كما في المصادر الأخرى (٧٤٨ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

* الوافي : ٥٣٨/١٨ ، وعقد الجمان : ٣٧٧/٣ ، وفيات (٦٩٦ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ .

(٣) هو الحسن بن محمد بن إسحاق (ت٥١٦ هـ) ، السير : ٣٨٤/١٩ .

(٤) وكذا وقع في الوافي ، وخطّأه المحقق بلا سند ، وجعل ولادته سنة (٦٣٤ هـ) . بينما ذكر صاحبا التذكرة ، وعقد الجمان أن ولادته سنة (٦٢٤ هـ) .

٩٩١ ـ عبد العزيز بن محمد*

ابن عبد الله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن صغير ، الصدر عزّ الدين بن القيسراني ، كاتب الإنشاء بالقاهرة .

سمع من الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد ، ومن الشريف موسى[(١)] وغيرهما .

ودَرَّسَ بالفخرية وغيرها[(٢)] على مذهب الشافعي .

وكان من بيت رياسه ، وجماعة وصدارة ونفاسه ، بزّتُه جميله ، ومنظره آنقُ من خميله ، وكفّه يسحُّ بالنوال ولا يشحّ عن السؤال ، ولُطْفُه كالنسيم ، وظُرفه كطلعة الصبح البسيم .

ولم يزل على حاله إلى أن ذَوَى رطيبا ، وركب أعواد النعش ولم يكُ خطيبا .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة تسعٍ وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ولم يكمل الأربعين .

وكتب عنه شيخنا البرزالي وجماعة من المصريين . وله نظم ونثر ، ومن نظمه ماقاله في قاضي القضاة بدر الدين بن[(٣)] جماعة وقد خطب بمصر :

تضوَّعَ نشرُ المِسْكِ من لفظِكَ العَذْبِ ... وأظهرْتَ من نَهْجِ البلاغة مَا يُصْبِيْ[(٤)]
وشَنَّفْتَ أسماعَ الأَنَــامِ بِخُطْبَــةٍ ... نَفَخْتَ بها الأرواحَ في ميِّتِ القَلْبِ[(٥)]

---

* الدرر : ٣٨٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨١/٢ .

(١) موسى بن علي بن أبي طالب ، ستأتي ترجمته .

(٢) ليست في (ق) ، (س) . والمدرسة الفخرية بالقاهرة ، أنشأها الأمير فخر الدين عثمان بن قزل (ت٦٢٩ هـ) .

(٣) في (ق) ، (س) : « محمد بن » .

(٤) في الأصل : « لفظ البلاغة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « وشنّف » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وقـد عَجِبَ الراؤون مِنْ عَـود مِنْبَرٍ تُـلاَمِسُـهُ إذا لم يكن مُنْبِتَ العُشْبِ
ولكنّـــهُ مِنْ حينِ لامَسَتْ عُـــودَهُ تعرَّفَ حتى صـار من مَنْـدَلٍ رَطْبِ

ومنه :

مَنْ طَلَبَ الأرزاقَ مِنَ عنـــد مَنْ يُطعمُـــــهُ اللّهُ ويَسْقِيْــــــه
يَكـونُ قـد ضَـلَّ سبيـلَ الهُـدى وحَـــادَ عنْ نَيْـلِ أمَـــانِيْـــه
لأنَّ مَنْ يَعْجَـــزُ عن نفسِـــــهِ يعجَـــزُ عن إرزاق راجِيْـــهِ [١]

٩٩٢ ـ عبد العزيز بن محمّد بن عبد الحق*

ابن شعبـان بن علي ، عز الـدين أبـو محمـد الشَّيَّـاح ـ بـالشين المعجمـة واليـاء آخر الحروف وألف بعدها حاء مُهْمَلة ـ الأنصاري الدمشقي .

روى عن ابن عبد الدائم ، وسمع من عبد الله الخشوعي .

كان رجلاً حسنا ، لوذعياً فطنا . تعانى الخدْم والتجاره ، وكتب في الديوان طلبـاً للمعيشة وحُسْن الشاره . وتولّى على عمارة الجامع السيفي بظاهر دمشق ، ولّمـا فرغ وليَ إشرافه ، واجتنى قطوفه وحاذر غَيْبَته عنه وانصرافه . ثم إنه تَوَجَّهَ للقـدس وعـاد فبـاشر مُشَارفة يبرود ، وأقام بها إلى أن نشرت له من الموت مطويات البُرَود .

وتوفي رحمه الله تعـالى في سـابع عشر[٢] شهر ربيع الآخر سنـة أربع وعشرين وسبع مئة ، وحمل على الأعناق إلى تربة والده بسفح قاسيون .

---

(١) الأبيات في تذكرة النبيه .
* اسمه في الدرر : « عبد العزيز بن عبد الحقّ بن شعبان » ، الدرر : ٣٧٢/٢ .
(٢) في (س) : « عشرين » .

٩٩٣ ـ عبد العزيز بن محمد بن أحمد*

ابن هبة الله بن جرادة ، قاضي القضاة ، عز الدين أبو البركات بن الصَّدر محيي الدين الحنفي ، ابن العديم قاضي القضاة بحماة .

كان شيخاً فاضلاً في عدة فنون . وَلِيَ قضاء حماة مُدّةً تقارب الأربعين سنةً . وكان مدرّساً بعدة مدارس ، وروى الحديث عن يوسف بن خليل الحافظ ، وسمع من أخويه[1] : يونس وإبراهيم ، ومن الضياء صَقَر ، وهديّة بنت المغربي ، وغيرهم .

وكان له اعتناء بـ (الكشّاف) و (مفتاح السكّاكي) وغير ذلك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربتهم بعقبة نقيرين .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

٩٩٤ ـ عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي**

ضياء الدين ، مدرس النجيبيّة[2] ومعيد الباذرائية والناصِريَّة .

كان بصيراً بالفقه وأصوله ، خبيراً بمنتخبه ومحصوله . أفاد وأفتى ، وتميَّز بمحاسن شتى ، وصيف[3] في العلم وطَلَبه وشَتَّى ، وصنّف التصانيف البديعة حتّى ، ووضع شرحاً (للحاوي) وأعان به الطلبة على الفتاوي . وشرح (المختصر) لابن الحاجب ، وأتى فيه بكل مهمٍّ واجب .

---

* الدرر : ٣٨٢/٢ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٤١/٢ ، وإعلام النبلاء : ٤٩٩/٤ .

(١) أي : أخوي يوسف .

** الدارس : ٣٥٩/١ ، والشذرات : ١٤/٦ ، وعقد الجمان : ٤٣٧/٤ ، وفيات (٧٠٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٥/٨ .

(٢) المدرسة النجيبية بدمشق لصق للدرسة النورية ، أنشأها النجيبي جمال الدين آقوش (الدارس) .

(٣) في الأصل : « وصنّف » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ولم يـزل على حـالـه إلى أن خرج من الحَمَّـام ، فـدخـل في الحِمَـام ، ورثـاه حتى سَاجِعَاتُ الحِمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سـابع عشر[1] جمـادى الأولى سنـة ستّ وسبع مئـة ، خرجَ من الحمّام ومات ، رحمه الله تعالى .

٩٩٥ ـ عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق*

ابن خلف بن عبد الحق ، الفقيه الإمام العَدْل عزّ الدّين الدّمشقي الشّافعي .

كان فاضلاً ، عنده فِقْه وحديث ، وله معرفة بـالشّروط وكان من أعيـان الشّهود ، ودرّس بالمدرسة الأسديّة ظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدّين البرزالي : روى لنا عن ابن الزّبيدي ، وابن صَبَّاح ، والفخر الإربلي ، وجعفر الْهَمْـداني ، وغيرهم . ولـه إجـازة من ابن القطّيعي ، وابن رُوزبــة ، وجماعة من بغداد .

وتـوّفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في الحـادي والعشرين من جمــادى الآخرة سنــة تسـع وتسعين وستّ مئة .

ومولده في تاسع عشر شعبان سنة خمس وعشرين وستّ مئة .

٩٩٦ ـ عبد العزيز بن منصور**

الصّدر عزّ الدّين الكُولمي التّاجر .

(١) في النجوم والبداية : « تاسع عشرين » .

* النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ .

** الوافي : ٥٦٣/١٨ ، وذيل العبر : ٧٥ ، والدرر : ٣٧٣/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٩/٩ ، وفيه وفاتـه سنـة (٧١٥ هـ) ، والسلوك : ١٣٢/١/٢ .

كان لـه أموال كالأمواه ، أو الكلمـات الّتي تخرج أفواجهـا من الأفواه ، لا يضبطهـا حساب ، ولا يُحصّل نظيرَها اكتساب ، فاتت العدّ ، وتعدّت الحدّ[١] .

٩٩٧ ـ عبد العزيز بن يحيي بن محمد*

القاضي الرّئيس عماد الدين أبو محمد ابن قاضي القضاة محيي الدين بن الزّكي القرشي الدّمشقي الشّافعي مدرّس العزيّة والتّقويّة .

وكان أحد من ولي نظر الجامع الأموي غَيْرَ مرّه ، ونوّل أهله ومن له به علاقـة كُلَّ مَسَرّه ، وكان شكله مليحا ، ونُطقه في المقـاصـد السّعيـدة فصيحـا ، فيـه حِشْمـه ، ولـه هِمَّه ، وعنده صداره ، وللرّياسة عليه إحاطة وإداره . وكان قد عُيّن للقضاء ، وقـابلـه النّاس بالارتضاء .

ولم يزل على حاله إلى أن حانت وفاته ، ولانت للموت صفاته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

[ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة][٢] .

وقرأ عليه شيخنا البرزالي (مشيخـة) أبي مُسْهِر[٣] بروايتـه حضوراً عن إبراهيم بن خليل .

٩٩٨ ـ عبد العزيز**

المغنّي المعروف بالفصيح .

---

(١) قال في الوافي : « توفي سنة ثلاث عشرة وسبع مئة » .

* الـوافي : ٥٦٥/١٨ ، والشـذرات : ٤٠٥/٥ ، والـدارس : ١٦٧/١ ، وعقـد الجمـان : ٣١/٤ ، وفيـات (٦٩٩ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) عبد الأعلى بن مسهر (ت ٢١٨ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٠ ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٣٨٤/٢ .

كان مشهوراً بالإجادة في صناعته ، وأظنّه دخل اليمن ـ رحمه الله .

وتوفّي بالقاهرة في جُمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

وفيه يقول علاء الدين الوادعي ـ ومن خطّه نقلت ـ :

قُل للّـذي عَشِقَ الفصيحَ وعنـدَهُ ... أنّ العيـونَ إليـه لم تتيقّـظِ
يـا مَنْ تحفّـظ في هـواه عَن الـورى ... ليس (الفَصيحُ) (كفايَةَ الْمُتحفّـظِ)[1]

ونقلتُ منه له :

عُـذّلي في هـوى الفصيـح دعـوني ... واسمعـوا العُـذْرَ واضحـاً مَشْرُوحـا
خِفْتُ لحنـاً في شَرْحِ مُجمـلِ حُبّي ... فلهـذا قـد حَفِظْتُ الفصيحـا[2]

ونقلت منه له :

لَحْنُ هـذا الفَصيـحِ أَحْسَنُ من إعْـ ... ـرابِ ذاكَ الفَصيحِ في كُـلِّ حـالِ
بين هـذين في الفصـاحـة بَـوْنٌ ... ذاك مِنْ ثَعْلَبٍ وذا مِنْ غَـزالِ

ونقلت منه له :

ولَيْلَـةٍ مـالهـا نظيرٌ ... في الطّيبِ لـو سـاعفت بِطـولِ[3]
كم نَـوْبـةٍ للفصيـح فيهـا ... أَطْرَبَ من نَـوْبَـةِ الخليـلِ

٩٩٩ ـ عبد العظيم بن عبد المؤمن*

الشّيخ زكيّ الدّين بن الشّيخ شرف الدّين الدّمياطي .

(١) في (ق) ، (س) : « من الورى » . والشاعر هنا يورّي بكتابي الفصيح لثعلب ، وهو مشهور ، وكفاية المتحفظ في اللغة لعبد الله بن محمد بن أحمد الخوئي (ت ٦٩٣ هـ) . الكشف : ٢/١٥٠٠ .

(٢) يورّي بالمجمل ، وهو معجم في ألفاظ اللغة لابن فارس .

(٣) في الأصل : « ساعدت » ، تحريف م وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ١٧/١٩ .

[مات كهلاً سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وكان شيخ الظاهريّة بالقاهرة][(١)] .

١٠٠١ ـ عبد الغالب بن محمد*

ابن عبد القاهر بن محمّد بن ثابت بن عبد الغالب الماكْسِيني .

سمع من إسماعيل بن أبي اليُسْر ، وأبي بكر محمّد بن علي النُّشّبي ، وإبراهيم بن إسماعيل بن الدَّرجي[(٢)] ، وغيرهم .

أجاز لي بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة[(٣)] .

١٠٠٢ ـ عبد الغفّار بن محمد**

ابن عبد الكافي بن عوض السّعدي المصري القاضي المفتي الْمُتْقِن المجيد تاج الدين الشّافعي .

روى عن إسماعيل بن عزّون ، والنّجيب ، وابن علاّق ، وعدّة ، وجمع وصنّف وقَطَع ورصّف ، ونسخ الكثير وجَوّد ، وأفاد الطّلبة وعوّد ، وعمل (المعجم) و (التّساعيات) ، وخرّج الْمُسَلْسَلات ، وكان موصوفاً بالفقه والإتقان والدّين والإيقان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد الغفّار عند الحفّار ، وتحدّث بأخباره السُّفّار .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) زيادة من الوافي .

* الوافي : ٢١/١٩ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٣٨٥/٢ .

(٢) (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٣٣٥/٥ .

(٣) وتوفي سنة (٧٤٩ هـ) .

** الوافي : ٢٦/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، والدرر : ٣٨٦/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، والدارس : ٦٧/٢ ، وذيول العبر : ١٧١ .

ومولده سنة خمسين وستّ مئة .

وكان شيخَ الحديث بالمدرسة الصّاحبيّة بمصر[١] ، وأخذ عنه تقي الدين بن رافع ، وشهاب الدّين أحمد بن أيبك الدّمياطي ، والواني ، وابنه ، والسّروجي[٢] . وأجاز لي بخطّه سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة .

ذُكر في شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة أنّه كتب بخطّه ما يزيد [على][٣] خمس مئة مجلّد ما بين فقه وحديث وغير ذلك .

وقرأ العربيّة على أمين الدّين المحلّي[٤] ، وسمع منه ، ومن ابن عزّون ، وابن علاّق ، والنّجيب عبد اللطيف ، وأخيه ، والمعين بن القاضي الدّمشقي[٥] ، ومحمّد بن مهلهل الْجُنبي[٦] وعبد الهادي القيسي[٧] والشّيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وأبي حامد بن الصّابوني ، وابن خَطيب المزّة ، وغازي الحلاوي[٨] ، ومحمّد بن إبراهيم الكلي الطّبيب ، وابن الخيمي الشّاعر ، والحافظ اليغموري ، والفضل بن رواحة ، وسمع بالإسكندرية من عثمان بن عوف[٩] آخر أصحاب ابن موقا وابن الدّهّان وابن الفرات وجماعة من أصحاب ابن البنّا وابن عماد ، وخرّج لنفسه (معجماً) في

(١) هي مدرسة الصاحب بهاء الدين بن حنا ، الوزير المصري المشهور ، تقع في زقاق القناديل قرب جامع عمرو بن العاص ، النجوم : ١٧/٥ ، ح ٢ ، و٢٤١/٧ ، ح ٣ .

(٢) في الأصل : « وابن السروجي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) محمد بن علي بن موسى (ت ٦٧٣ هـ) ، الوافي : ١٨٧/٤ .

(٥) هو المعين القرشي إبراهيم بن عمر (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٣/٥ .

(٦) في الأصل : « الحثني » ، تصحيف وهو محمد بن مهلهل بن بدران الأنصاري (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٢/٥ .

(٧) عبد الهادي بن عبد الكريم بن علي (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ .

(٨) غازي الحلاوي أبو محمد بن الفضل بن عبد الوهاب الدمشقي ، توفي سنة (٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٦٩/٥ .

(٩) عثمان بن هبة الله بن عبد الرحمن (ت ٦٧٤ هـ) ، العبر : ٣٠٣/٥ .

ثلاث مجلّدات ، وأجازه من دمشق ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وجماعة من أصحاب الخشّوعي وغيرهم .

وحدّث بالكثير ، واعتنى بهذا الشّأن ، وكان ذاكراً لشيوخه وسماعه ، حسنَ الخطّ ، جيّد الضّبط ، عارفاً بهذا الشّأن وناب في الحكم بمصر عن القاضي تقي الدين الحنبلي .

١٠٠٣ - عبد الغفّار بن أحمد*

ابن عبد المجيد بن عبد الحميد ، الذِرْوَيّ[١] المحتد ، الأقْصُري المولد ، القوصي الدّار ، المعروف بابن نوح .

صحب [الشيخ][٢] أبا العبّاس أحمد المُلَثّم ، والشيخ عبد العزيز المنوفي ، وقد تقدّم ذكره آنفاً ، وتجرّد زمانا ، وتفرّد بالمشيخة عيانا .

وكانت له قدرة على الكلام ، وفصاحة يشهد بها الأئمة الأعلام ، وله في السّماع حال ، وعنده قَالَ مَنْ جعل له القال ، وبه نزل من رقّقَ شعره في المحبّة والغزل ، وكان ينكر من المنكرات كثيرا ، ويأمرُ بالمعروف فيوقد به سراجاً منيرا ، وله قوة جَنان ، وتصرف عَنان في البيان .

ولم يزل على حاله بالقاهرة ، بعدما جاء إليها من قوص إلى أن قامت النّوائح على ابن نوح ، وفارق جسدَه ما كان قد تعلّق به من الرّوح .

---

* الوافي : ٢٧/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٢٣ ، والدرر : ٣٨٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٠/٨ ، والسلوك : ٥٠/١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٨٩/١ .

(١) في الوافي : « الدوري » وفي الطالع : « الدروي » . وفي التذكرة كما هاهنا ، والذِرْوي : لعلّه نسبة إلى ذِروة ، بلدة في اليمن . انظر : معجم البلدان ٥/٣ .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) . والشيخ أحمد بن محمد أبو العباس الملثم له أمور مشهورة ، توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر الطالع السعيد : ١٣١ .

وتوفّي بمصر سنة ثمانٍ وسبع مئة [ومولده ...][١] .

وكان قد تعبّد سنين ، وسمع من الدّمياطي بالقاهرة ، وحدّث عنه بقوص ، وسمع بمكّة من المحبّ الطّبري ، وصنّف كتاباً سمّاه (الوحيد)[٢] ، وله بظاهر قوص ، رباطٌ حَسَن ، وله بقوص أحوال معروفة ، ومقالاتٌ مَوْصوفة ، ويَنْسِب أصحابه إليه كرامات .

كان النّصارى قد أحضروا مرسوماً بفتح الكنائس ، فقام شخص في السَّحر بجامع قوص ، وقرأ ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم ﴾[٣] ، وقال : يا أصحابنا الصّلاةَ في هدم الكنائس ، فلم يأتِ الظّهر إلاّ وقد هُدِمَتْ ثلاث عشرة[٤] كنيسة ، ونُسب ذلك إلى أنّه من جهة الشّيخ [ابن][٥] نوح ، ثمّ إنّ عزّ الدّين الرّشيدي أستاذ دار سَلاَّر حضر إلى قوص ، فتوجّه إليه نصرانيّ يُدعى النّشو ، كان يخدم عندهم[٦] ، وتكلّم في القضيّة ، واجتمع العوامّ ، ورَجَمُوا إلى أن وصل الرّجم إلى حَرّاقة الرّشيدي ، فاتّهمَ الشّيخ بذلك ، ثمّ إنّه بعد أيّام حضر أمير[٧] إلى قوص وأَمْسَك جماعةً من الفقراء ، وضربهم ، وأَخذَ الشّيخ معه إلى القاهرة ، ورُسِمَ له أن يقيم بمصر ، ولا يخرج منها ، فحصل بعد مدّة لطيفة للرّشيدي مَرَض ، وتَهوّسٌ وتلاشَتْ حاله ، واستمّر في أنحس حال إلى أن توفّي ، وتوفّي الشّيخ بعده بمدّة في تاريخ وفاته[٨] .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، وكذا هي بياض في الدرر .

(٢) في (ق) ، (س) والوافي والطالع : « الوحيد في التوحيد » ، وسمّاه صاحب الكشف : ٢/٢٠٠٥ : الوحيد في سلوك أهل التوحيد ذكر أنه صنّفه في ربيع الأول سنة (٧٠٨ هـ) بثغر الإسكندرية . وكذا وقعت تسميته في الدرر .

(٣) محمد : ٤٧/٧ .

(٤) في الأصل و (س) : « ثلاثة عشر » .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) . وفي الطالع : « الشيخ عبد الغفار » .

(٦) في الوافي : « عنده » .

(٧) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، والطالع .

(٨) انظر الخبر في الطالع السعيد .

ومن شعره[١] :

أنــــــا أُفْتي أَنَّ تَرْكَ الْحُبِّ ذَنْبٌ   آثِمٌ في مــــــذهبي مَنْ لا يحبُّ
ذُقْ على أَمْري مَرارات الهــــوى   فهو عَـذْبٌ وعَـذابُ الحبِّ عَـذْبُ
كلُّ قَلْبٍ ليس فيـــه ســـاكِنٌ   صَبْـوَةٌ عُـذْريَّـةٌ مـا ذاك قلبُ

١٠٠٤ ـ عبد الغفّار*

وقيل : عبد القاهر ، الشّيخ العالم الفقيه نجم الدين المعروف بابن أبي السّفّاح الحلبي ، قاضي القضاة الشافعي بحلب .

توفّي بحلب ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة خمسين وسبع مئة .

وقيل : اسمه عبد القاهر ، وهو الصحيح[٢] .

١٠٠٥ ـ عبد الغني [بن يحيى]**

ابن محمّد بن عبد الله الحرّاني القاضي شرف الدين أبو محمد الحنبلي .

وَلِي نظر الخزانة بالدّيار المصرية مدّة طويلة ، ثمّ أضيف إليه قضاءُ الحنابلة .

كان رئيساً جواداً ، نفيساً لا يدخل الغِلُّ له فؤادا ، فيه لمن يقصده تعصّب ، وقيام

---

(١) في الطالع السعيد : « سمعت من شعره ما كتب به لجعفر المزموم ليلحّن ، فلحّنه وغناه له » . والأبيات في تذكرة النبيه أيضا .

* الدرر : ٣٩٣/٢ ، وأعلام النبلاء : ١٧/٥ ، وتذكرة النبيه : ١٤١/٣ .

(٢) وقع اسمه في الدرر هكذا : « عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف » . وكذلك في أعلام النبلاء ، والتذكرة .

** الوافي : ٣٥/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٣٨٩/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٧/١ ، والسلوك : ٨٤/١/٢ .

وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ومصادر ترجمته السالفة .

على من يعانده وتوثّب ، اشتهرت رئاسته ، وظهرت للنّاس نفاسته ، وشُكِرت في القضاء أيّامُه ، وحُمِدت فيه[١] أحكامُه .

ودرّس بالصّالحية إلى أن فارق دنياه ، وترك عُلياه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل سنة تسع وسبع مئة .

ومولده بحرّان في شهر رمضان سنة خمس وأربعين وستّ مئة . وروى (جزء ابنِ عَرَفَة) عن شيخ الشّيوخ شرف الدين الأنصاري ، وسمع منه الطلبة ، وتولى قضاء الحنابلة بمصر يوم السّبت سادس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ستّ وتسعين وستّ مئة عوضاً عن القاضي بدر الدّين [بن][٢] عوض .

١٠٠٦ ـ عبد الغني بن محمد بن عبد الواحد*

القاضي الفقيه تقي الدّين بن الشيخ شمس الدين المقدسي .

كان مدرّساً بالمنصوريّة بالقاهرة ، وعنده فضيلة ، وهو متعيّن في مذهبه .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ خامس جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة عند والده .

١٠٠٧ ـ عبد الغني بن منصور**

ابن منصور بن إبراهيم ، جمال الدين أبو عُبَادة الحرّاني المؤذّن .

---

(١) في (س) : « فيها » .

(٢) مابين حاصرتين زيادة من (س) ، والمعروف أنّ لقبه عز الدين ، وهو : عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسي (ت ٦٩٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٣٨٨/٢ ، وفيه : « عبد الغني بن محمد بن إبراهيم » .

** الدرر : ٣٨٨/٢ .

روى عن عيسى بن الخيّاط الحرّاني[١] ، وسمع من مجد الدّين بن تيميّة ، وغيرهما .

وكان من أعيان المؤذّنين ، طيّب الصّوت ، فقيهاً فاضلاً مناظراً مشاركاً في العلوم ، وله نظم .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بقرن الحارة[٢] ، وحمل إلى دمشق ، وكانت جنازته حافلة في ثالث ربيع الآخر سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين بحرّان .

وحدّث بَعَرفةَ ومِنى .

١٠٠٨ ـ عبد الغني بن عروة*

ابن عبد الصّمد بن عثمان ، جمال الدين أبو محمد بن الشّيخ الصّالح الرّأس عيني .

سمع بحلب سنة أربع وأربعين وستّ مئة على الشّيخ عزّ الدّين عبد الرّزّاق الرّأس عيني المعروف بالمحدّث[٣] .

وكان جمال الدّين هذا حسن الخلق خفيف الرّوح ، يتردّد إلى الأعيان وغيرهم مِنَ الأفرم ومَنْ دُونَهُ من جميع الطّوائف ، ويحاضرهم ويلاطفهم ويستجديهم ، وكان يَخْرجُ من بيته من بكرة ، ويَدُور على النّاس دَوْرَة ، وما تجيء الثّانية أو الثّالثة حتّى يحصل له العشرون درهماً فما دونها .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم السّبت رابع عشر جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة ، وقد تجاوز الثّمانين ، ودفن بمقابر الشيخ أرسلان .

(١) عيسى بن سلامة بن سالم الحراني (ت ٦٥٢ هـ) ، السير : ٢٣/٢٨٠ .
(٢) كذا . والحارة من قرى حوران ، نحو ستين كيلا إلى الجنوب من دمشق .
* تالي وفيات الأعيان : ١٨٤ ، والدرر : ٢/٣٨٨ .
(٣) هو عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر ، (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٥/٢٦٤ .

وكان كثيراً ما يحكي ويتعيّش بوقائعه مع الأمير علم الدّين أرجواش نائب قلعة دمشق ، لأنّه كان به خصيصاً ، لا يكاد يصبر عنه . حضر إلى صفد في وقت ، وكان الأمير علم الدّين سنجر السّاقي مشدّ الدّيوان[١] بصفد ووالي الولاة ، وهو متزوج بابنة أرجواش فتركها في مخدع بحيث تَسْمَع ، وأحضر الشّيخ عبد الغني واستحكاه ، فأخذ يحكي عن أرجواش ، وممّا حكاه أنّه لمّا توفّي الملك المنصور ، قال : ياعبد الغني ، أحضر لي مُقرئين يقرؤون ختمة للسّلطان ، قال : فأحضرت له جماعة ، وجلس أمامهم وإلى جانبه دبّوس ، وأخذ أولئك يقرؤون على العادة ، فقال : دعهم يقرؤون عالياً ، ليسمع السّلطانُ في قبره ، فقلت لهم : ارفعوا أصواتكم بالقراءة ، فَقَفَّزوا[٢] وما فرغوا منها إلى ربع اللّيل ، فقلت : ياخوند فرغوا ، فقال : دعهم ليقرؤوا ختمة أخرى[فقال][٣] ، فقلت لهم : ابدؤوا في أخرى فشرعوا في الثّانية ، وما فرغوا منها إلى نصف اللّيل ، فقلت : ياخوند فرغوا بسعادتك ، فقال : لا ، السّموات ثلاثة ، والأرض ثلاثة ، والبحار ثلاثة ، والمعادن ثلاثة ، كل شيء في الدّنيا ثلاثة ثلاثة ، يقرؤون الأخرى تمّة ثلاثة ، فقلت لهم : يا مساكين اقرؤوا [أخرى][٤] ، واحمدوا الله واشكروه كونه ما عرف أنّ السّموات سبع والأرض سبع ، فما فرغوا حتّى أشرفوا على الهلاك ، لأنّهم من المغرب إلى بكرة في عياط ، فقلت : ياخوند فرغوا ، فقال : رسّم عليهم إلى بكرة ، فإذا تعالى النّهار ، اكتب عليهم حجّة تحت السّاعات بالله وبالقيامة الشّريفة أن ثواب هذه الختمة لأستاذنا السلطان الملك المنصور ، وهات الحجّة إليَّ واعطهم مئة درهم . فما ملكت ابنة أرجواش نفسها ، بل فتحت الباب ، وخرجت إلى الشّيخ عبد الغني ونَتَفَتْ ذَقْنَه ، وخرّبت عمامته ، فخرج منها ، وهي تُشَيِّخه وتسبّه ، وأمّا زوجها ؛ فقاسى منها شدّة .

(١) في (س) : « الدواوين » .

(٢) كذا ، والظاهر أنهم صاروا يتركون قسماً ويقرؤون آخر للإسراع في إنهاء الختمة .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، وفي (س) : « ثلاثة » .

وقال : جئت يوماً إلى باب القصر الأبلق ، فوجدت الملك الكامل ، والصّاحب عزّ الدين بن القلانسي جالِسَيْن فَدَرْوَزْتُهما[١] ، فلم يعطياني شيئاً ، فلطّفْتُ القول ، وزدتُ فما رَشَحالي بشيء ، فقلت : والله لأُغَرِّمَنّكما جُمْلةً كثيرة على هذه العَشْرة دراهم ، وتركتهما ، ومضيت ، وشدَدْت طبق فاكهة ، وحَمّلتُه حَمّالاً ، وغطّيته بفُوطة مليحة ، وجئت إلى باب الصَّاحب ، ودققت الباب ، فخرجتِ الجارية ، فَدَفَعْتُ إليها الطّبق ، وقلت لها : قولي لمولانا الصَّاحب ، الله يجعلها ساعة مباركة ، وتركتها حتّى مشت خطوتين ، وقلت لها : ياستّي تعالي ، هذا بيته الجديد وإلاّ العتيق[٢] ؟ ، فقالت : ولي[٣] ! إيش يكون بيته الجديد ؟ فقلت : ياستّي هاتي الطّبق ، أنا أحسبه الّذي دخل فيه عروساً ، وأخذتُ الطّبق ومضيت ، فدخلتْ إلى ستّها ، وحكت لها الواقعة ، فما شكّت أنّ الصّاحب تزوّج بغيرها ، فقعدت في حزن شديد ، ولمّا حضر الصّاحب ؛ لم تقم إليه ، ولم تأخذ شاشَهُ ، ولا فرجيّتَه على العادة ، فقال : خير مالكم ؟! قالت : روح إلى عروسك الجديدة ، فضحك ، فصمّمت ، وصار كلما ضحك ؛ تُصمّم ، فحلف لها بالطّلاق ، أنّ هذا ما جرى منه شيء ، فزادت في التّصميم ، فاغتاظ[منها][٤] ، وحلف بطلاقها ، وبانت منه [وبقيت][٥] مُدّةً إلى أن ترضّاها وسألها عن الموجب لذلك ، فحكت له الصّورة ، فعلم من أين أُتي ؟ ، وحكى لها الصّورة ، فصدّقته ، فجدّد لها صداقاً ، وزاده ، وبذل لها شيئاً بجُملة ، وغَرِم في هذه الواقعة قريباً من خمسة آلاف درهم .

وأمّا الملك الكامل ؛ فإنّه كان يوماً عند الأفرم يحكي له ، ويتلطّف ، فحضر الملك الكامل ، فشكر الأفرمُ منه ، فقال عبد الغني : والله ياخوند ، ما في دمشق من يحبّ

(١) لم يستبن معناه .
(٢) يريد : أم العتيق .
(٣) عامية ، تقال غالباً إذا حلّت مصيبة .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

مولانا ملك الأمراء مثله ، و [لقد][1] بلغ المملوك أنّه من أيّام اشترى خمس مئة غرارة شعير ، ليحملها إلى اصطبل مولانا ملك الأمراء ، فالتفت إليه الأفرم ، وقال : يا ملك ليش تفعل هذا ؟ ، أنا أعْرَفُ بحالك ، والله ما تعود تفعل مثل هذا وأمثاله وأعود أقبل منك ، فقال : ياخوند الكلّ من صدقاتك ، وخرج فما أمكنهُ إلاّ حَمْلُ خمس مئة غرارة شعير إلى اصطبل الأفرم ، وكان الصّاحب عزّ الدّين بعد ذلك والملك الكامل إذا رأيا عبد الغني بادرا[2] بالمكارمة ، وقالا له : اِكْفنا شرّك ، وله من هذا الضّرب ألوان ، وأنواع يضيق عنها هذا المكان ، وهذا القدْرُ كافي .

١٠٠٩ ـ عبد القادر بن عبد العزيز*

ابن السّلطان الملك المعظّم عيسى بن أبي بكر محمّد العادل بن أيّوب هو الملك أسد الدّين أبو محمّد .

سمع من خطيب مَرْدَا (السّيرة النّبويّة) وحدّث بها في مصر ، وروَى عنه عدّة أجزاء ، وله إجازة من محمّد بن عبد الهادي[3] وَالصّدر البكري .

وله همّة وجلاده ، وقدوم على دمشق ووفاده ، مليح الشّكل لمن يراه ، صبيح الوجه ، يشهد بالقدرة لمن يراه ، حسن الأخلاق من الرّياضه ، كثير البِشْر لمن قصد اعتراضه ، شديد البنية والتّركيب ، عتيد القوى في الترغيب والتّرهيب ، قيل : إنّه ما تزوّج ولا تسرّى ، ولا تبرّم من ذلك ولا تبرّى .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أسدّ الدين مفترسا ، ورسب شخصه في القبر ورَسَا .

---

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) ، (س) : « بادراه » .

* الوافي : ٣٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٠/٢ ، والشذرات : ١١٥/٦ ، وذيول العبر : ١٩٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٣) توفي سنة (٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٤٩/٥ .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالكرك سنة اثنتين وأربعين وستّ مئة ، وكانت وفاته بالرّملة ، ونقل إلى القدس .

وأجاز لي بالقاهرة بخطّه سنة ثمانٍ وعشرين[(١)] وسبع مئة ، واجتمعت به غير مرّة .

١٠١٠ ـ عبد القادر بن محمد*

ابن أبي الكرم عبد الرحمن بن علوي بن الْمُعَلَّى بن علوي بن جعفر القاضي تاج الدّين بن القاضي عزّ الدّين العقيلي البخاري الحنفي .

سمع (الصّحيح) من ابن الزّبيدي ، وسمع من الإمامين جمال الدّين الْحَصَيْري[(٢)] ، وتقيّ الدين بن الصّلاح[(٣)] ، وولي قضاء الحنفيّة بحلب ، ونظر الأوقاف والمدرسة العصرونيّة . وعاد إلى دمشق ، وحدّث بها (بالمئة البخاريّة) ، وعاد[(٤)] إلى حلب .

ولم يزل بها إلى أن حلّت به في حلب الدّاهيه ، وأصبح ذا قوة[(٥)] واهيه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

ومولده بدمشق سنة ثلاث وعشرين وستّ مئة .

١٠١١ ـ عبد القادر بن محمد بن تميم**

الفَقيه الْمُحدِّث مُحيي الدّين الْمَقْريزي ، بالميم المفتوحة والقاف السّاكنة والرّاء المكسورة وبعدها زاي ، البعلبكي الحنبلي .

(١) في (س) : « وأربعين » ، سهو .

* الوافي : ٤٢/١٩ .

(٢) محمود بن أحمد بن عبد السيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٥٣/٢٣ .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٤٠/٢٣ .

(٤) في (ق) ، (س) : « ورجع » .

(٥) في الأصل : « قويّة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٤٢/١٩ ، والدرر : ٣٩١/٢ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٢ ، والسلوك : ٣٦٥/٢/٢ ، وفيه : « عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم » .

سمع ببلده من زينب بنت كِنْدي ، وبدمشق من ابن عساكر ، وابن القَوّاس[(١)] ، وبمصر من البهاء بن القيّم[(٢)] وسِبط زيادة ، وبحلب والْحَرَمَيْن . ونسخ وحصّل ، وجمع وأصّل ، ومَيَّز[(٣)] وفصّل ، وتفقّه ودأب ، وجدّ واجتهد في الطّلب ، وصار شيخ دار الحديث للبهاء بن عساكر ، وكان بها يُحاضر ويُذاكر .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل في الجدث ، وأنسى أصحابَه ماقَدُم بما[(٤)] حدث .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، عن خمس وخمسين سنة [أو نحوها][(٥)] .

١٠١٢ ـ عبد القادر بن أبي القاسم*

ابن علي الأسنائي ، القاضي ناصر الدين الشّافعي .

كان كاتب الحكم العزيز الشّافعي بالقاهرة .

كان فاضلاً ديناً ، عاقلاً صيّناً ، عفيفاً ورعاً ، خبيراً حفظ عهد القضاء ورعاه ، عمّر المدرسة الشّهابيّة بميدان القمح ظاهر القاهرة ، وعمّر وقوفاً من ماله ، ثمّ إنّه استعاد ذلك من ريع الوقف قليلاً قليلاً . وكان معيد الشّافعيّة بالمدرسة المنصوريّة[(٦)] ، وشاهد الحواصل بها وبالبيمارستان ، ومعيد المدرسة القطبيّة[(٧)] ، وناب[(٨)] في الحكم خارج باب

(١) عمر بن عبد المنعم ، ابن القواس الطائي الدمشقي . توفي (٦٩٨ هـ). العبر : ٣٨٨/٥ .

(٢) علي بن عيسى بن سليمان (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « وميّز » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي . وفي السلوك وفاته سنة (٧٣٣ هـ) .

* الدرر : ٣٩١/٢ .

(٦) مدرسة للشافعية بالقاهرة داخل باب المارستان المنصوري ، بناها الملك المنصور قلاوون سنة (٦٨٤ هـ) ، النجوم : ٣٢٥/٧ .

(٧) مدرسة للشافعية بالقاهرة ، أنشأتها خاتون القطبية (ت ٦٩٣ هـ) ، النجوم : ٥٢/١٠ ، ح ١ .

(٨) في الأصل : « ونائب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

الفتوح عن قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة ، وناب عن الشّيخ تقيّ الـدين بن دقيق العيد في بعض الأعمال ، وكان يَحجّ كلّ سنة ويترك سنـة ، وجـاور بمكّـة مـدّة ، وكان يعيد بالسّيفيّة .

وسمع من شهاب[1] بن علي الحسني وغيره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاثين وسبع مئـة وقد جاوز السّبعين ، وخلّف مالاً وثروة ، وتصدّق في مرضـه بنحوٍ من خمسـة عشر ألف درهم ، ودفن بالقرافة الصّغرى .

١٠١٣ ـ عبد القادر بن بركات*

ابن أبي الفضل : الشّيخ محيي الـدين الصّوفي المعروف بـابن قَريشـة أحـد الأخوة ، تقدّم ذكر أخيه الشّيخ إبراهيم ، وسيأتي ذكر أخيه الشّيخ تقيّ الدين في حرف الميم .

أسنَّ هـذا محيي الـدّين وكبر وعجـز عن المشي ، وكان يركب حمـاراً ، وكانت لـه خصوصيَّة بقاضي القضاة نجم الـدين بن صَصْرَى ، وكان من ذلـك الطّراز الأوّل ، فبقي في آخر عمره غريباً . إلى أن توفّي ـ رحمه الله تعـالى ـ سنـة تسع وأربعين وسبع مئـة في طاعون دمشق .

١٠١٤ ـ عبد القادر بن يوسف**

ابن مظفّر ، الصّـدر الجليل العـدل المـأمون أبـو محمّـد شمس الـدين بن الخطيري[2] الدّمشقي الكاتب .

---

(١) في الأصل : « سها » ، تحريف ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* وفيات ابن رافع : ٢٧٧/١ ، والدرر : ٣٧٩/٢ ، وفيه : « ابن أبي البركات » .

** الوافي : ٤٣/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٨ ، وفيه : « محمد بن عبـد القـادر » ، والـدرر : ٣٩٣/٢ ، والشذرات ، ٣٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٧ ، والسلوك : ١٦٧/١/٢ .

(٢) كـذا في الأصول والتـالي والإعـلام للـذهبي ٣٠١ ، والبـدايـة والنهـايـة : ٧٦/١٤ ، وفي مصـادر ترجمتـه الأخرى : « الحظيري » .

سمع من عبد الوهّاب بن رواج ، وأجاز له أبو القاسم بن الصّفراوي[(١)] ؛ وعلي بن مختار[(٢)] ؛ وجماعة .

وسمع منه جماعة : الواني ، والبرزالي ، وابن شيخنا الذّهبي ، ووَلِي نظر الجامع الأموي ونظر الخزانة .

وكان من الكُتّاب العقلاء ، والرّؤساء النّبلاء ، تنقّل في المباشرات ، وقابل بالمكاسرات المكاشرات . وساس دَهْره إلى أن زار قبره .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشري جمادى الأولى سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمسٍ وثلاثين وستّ مئة[(٣)] .

١٠١٥ ـ عبد القادر بن أحمد*

الفقيه الجدليّ المناظر محيي الدين حينئذٍ ، كان يكثر في بحوثه من [قول][(٤)] « حينئذٍ » .

كان أصله من بغداد ، ومَنْ سَمِعَهُ تحقّق أنّه أستاذ ، مليح السّمت عديم الصّمت ، له فضائل ، وعنده شُبَه ودَلائل .

لم يزل إلى أن سقط عن سلّم فما تنفّس وكان من الحياة في طريق مستقيم حتّى تنكّس .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ سنة سبع مئة في سنّ الكهولة .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن الصفراوي (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .
(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، قال الذهبي ثَمّة : « وبالإجازة شمس الدين بن الخطيري » .
(٣) كذا في المصادر ، والظاهر أنّ ولادته قبل ذلك بدليل وفيات شيوخه .
* الوافي : ٤٣/١٩ .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

١٠١٦ ـ عبد القادر بن مهذب*

ابن جَعْفر الأُدْفُوِّي .

قال الفاضل كمال الدّين جعفر الأدفوّي : هو ابن عمّي ، كان ذكياً جواداً متواضعاً ، وصل[١] إلى قوص للاشتغال بالفقه ، وحفظ أكثر (التّنبيه)[٢] ولم ينتج فيه ، وكان إسماعيلي المذهب ، مشتغلاً بكتاب (الدّعائم)[٣] تصنيف النّعمان بن أحمد[٤] ، متفقّهاً ، وكان فيلسوفاً ، يُقْرِئ[٥] الفلسفة ، ويحفظ من كتاب (زجر النّفس) ، وكتاب (أثولوجيا) ، وكتاب (التّفّاحة)[٦] المنسوب لأرسطو كثيراً .

قال : وذكر لي بَعْضُ أَصْحَابنا ، ممّن لا أتّهمه بكذب ، أنّه تعسّر عليه قفل باب ، فذكر أسماءً[٧] وفَتَحه ، وأنّهم قصدوا حضور امرأة ، فهمهم بشفتيه لحظة فحضرت فسألوها عن ذلك ، فقالت : إنّها حصل عندها قلق عظيم ، فلم تقدر على الإقامة . وكان مؤمناً بالنّبي ﷺ ، مُنْزِلاً له مَنْزِلَتَه ، ويعتقد وجوب أركان الإسلام ، غير أنّه يرى أنّها تسقط عمّن حصل له معرفة بربّه بالأدلّة الّتي يعتقدها ، ومع ذلك ، فكان مواظباً على العبادة في الخلوة والجلوة ، والصّيام ، إلاّ أنّه يصوم بما يقتضيه الحساب ، ويرى أنّ القيام بالتكاليف الشّرعيّة يَقتضي زيادة الخير ، وإن حصلت المعرفة ، وكان يفكّر طويلاً ، ويقوم ويرقص ويقول :

* الوافي : ١٩/٤٤ ، والطالع السعيد : ٣٣٠ ، والدرر : ٢/٣٩٢ .

(١) في الطالع : « رحل » .

(٢) في فروع الشافعية لإبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) . (ط) .

(٣) هو دعائم الإسلام في معرفة الحلال والحرام والقضايا والأحكام (ط) ، لأبي حنيفة النعمان بن محمد بن حيون (ت ٣٦٣ هـ) قاضي القضاة وداعي الدعاة في الدولة الفاطمية . انظر ما كتبه محقق الوافي .

(٤) كذا . وفي الطالع : « محمد » وهو الصحيح .

(٥) في الطالع :« يقرأ » . وهو أشبه بالصواب .

(٦) هذه الكتب نشرها عبد الرحمن بدوي في كتاب (أفلوطين عند العرب) و (الأفلاطونية المحدثة عند العرب) وانظر ما كتبه محقق الوافي . ومحقق الطالع .

(٧) في الوافي والطالع : « اسماً » .

يـا قُطوع مَنْ أَفْنَى عُمْرُو في المحلـول فـاتُوا العـاجل والآجل ذا البُهلول[١]

قـال : فمرض فلم أصل إليـه ، ومـات فلم أُصَلِّ عليـه ، وسـار إلى سـاحـة القبور ، وصار إلى من ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور ﴾[٢] .

وأظنّ وفاته في سنة خمس أو ستّ وعشرين وسبع مئة ، قال لي : جَمَـاعـة[٣] سنـة خمسٍ لا غير .

١٠١٧ ـ عبد القاهر بن محمد*

ابن عبـد الـواحـد بن مـوسى[٤] القـاضي الأديب الخطيب الشـافعي جمـال الـدّين أبو بكر البخاري ثمّ التّبريزي .

كان ذا شكالـة وعِمَّـه ، وحركات وهمّـه ، أبيضَ اللّحيـة نقيّهـا ، أحْمَر الـوجنـة وَرْدِيّها ، عليه قبول ، وللنّفس إليه تشوّق وبه ذهول ، مُغْرَى بـالأدب ، موفّر الهمّـة في تحصيله والطّلَب ، يَشْعُر مثلَ الصّبا إذا هبّت ، والقطر إذا نبّت ، وينثر الـدّرّ من فِيـه نثراً ، ويكتب الرّقعة كأنّ صُغْرَى وكبرى[٥] ، لم تُخرج تبريز مِثْلَ كَلِمِهِ الإبريز .

تولّى القضاء بسلميّة وعجلون ، وقضاء القضاة بصفد ، وختم ذلك بقضاء دميـاط ، وأقام بها إلى أن جاءه الأمر الّذي لا يدفع بالأعلاط[٦] .

(١) في الطالع : « .. عمره .... فاته ... ذا المهبول » .

(٢) غافر ١٩/٤٠ .

(٣) في الأصل : « بجماة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والطالع .

* الوافي : ٥٤/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٦٧/٢ ، والدرر : ٣٩٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣٢٠/٢ .

(٤) في التذكرة : « محمد » .

(٥) قطعة من بيت لأبي نواس ، تمامه :

كأنّ صُغرى وكبرى من فـواقعهـا حصبـاء درّ على أرض من الـذّهب

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ١٧٤/٦ .

(٦) كذا ، والأعلاط : النجوم ، ولعلّه يريـد : أنـه لا يقـدر على ردّ الموت ولو دفعـه بـالصعود إلى النجوم ، =

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في جُمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده بحرّان سنة ثمانٍ وأربعين وستّ مئة .

واشتغل ونشأ بدمشق ، وتفقّه للشّافعي ، وجاءنا قاضي القضاة إلى صفد في أيّام قاضي القضاة جمال الدّين الزُّرعي لمّا كان بدمشق ، ولم يزل تلك المدّة ، إلى أن عُزل وتولّى القضاء جلال[1] الدّين القزويني ، فعزله من صفد ، ثمّ إنّني رأيته بالقاهرة مرّات ، وَوَلِيَ قضاء دمياط مرّات ، وآخر عهدي به في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

قال شيخنا الذّهبي : قال فيما ذاكرني به ، يعني القاضي جمال الدّين التّبريزي ، قال : ماتت أمّي بنت عشرين سنة ، وكان أبي تاجراً ذا مال ، فقدم [بي][2] إلى دمشق ، وأنا ابن ستّ سنين فمات ، وكفلني عمّي عبد الخالق ، ورجع إلى حرّان ، وباع أملاكنا بثمانين ألفاً ورَدَّ بي ، ثمّ قال لي يوماً : امضِ بنا ، فَمَضَى بنا نحو ميدان الحصا ، وعرّج بي فوثب عليّ وخَنَقني ، فغشيت ، فرماني في حُفْرَةٍ ، وطمّ عليّ المدَرَ والحجارة ، فأبقى كذلك إلى أربعة أيّام ، فمرّ رجل صالح كان برباط الإسكاف عرفته بعد ثلاثين سنة ، فبكّر يتلو ، ومرّ بجسر ابن شوّاش[3] ثم إلى القطائع ، فَجَلس يبول ، وكنت أحرّك[4] رجلي فرأى الْمَدَر يتحرّك ، فظنّه حيّة ، فقَلَب حجراً ، فبدت رجلي في خفّ بُلْغَاريّ ، فاستخرجني ، فقمتُ أعدو إلى الماء فشربت من شدة عطشي ، ووجدتُ في خاصرتي فَزْراً من الحجارة ، وفي رأسي فَتْحاً - قال الشيخ شمس الدّين : ثمّ أراني القاضي أثر ذلك في كَشْحه ، ووضع أصابعي على جورَة في رأسه تَسَعُ باقلاّة - ودخلتُ البلد إلى

= وهو كقول زهير :

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلّم

(١) في الأصل : « إلى أن عزل قاضي القضاة جلال » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وكذا في الوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « سواس » .

(٤) في الوافي : « أحك » .

إنسان أعرفه ، فمضى بي إلى ابن عمّ لنا ، وهو الصّدر الخجندي ، وكان مختفياً بالصّالحيّة ، وله غلامان ينسجان[١] ويطعمانه ، اختفى لأمورٍ بدت منه أيّام هولاكو ، وكتب معي ورقة إلى نسائه بالبلد ، وكانت بنته ستّ البهاء الّتي تزوّج بها الشّيخ زين الدّين بن المنجّا ، وماتت معه ، هي أختي من الرّضاعة ، فأقمْتُ عندهنّ مدّة لا أخرج ، حتّى بَلَغْتُ ، وحفظت القرآن بمسجد الزّلاّقة ، فمررت[٢] يوماً بالدّيماس ، فإذا بعمّي ، فقال : ها جمال الدّين[٣] ، امش بنا إلى البيت ، فما كلّمته ، وتغيّرت[٤] ومعي رفيقان ، فقالا لي : مابك ، فسَكَتٌ وأسرعت ، ثمّ رأيته مرّة أخرى بالجامع ، فأخذ أموالي ، وذهب إلي اليمن ، وتقدّم عند ملكها ، ووزر ، ومات عن أولاد .

وجوّدتُ الخَتْمَة على الزّواوي[٥] ، وتفقّهتُ على النّجم الموغاني[٦] ، وتردّدتُ إلى الشّيخ تاج الدّين[٧] ، وتفقّهتُ بابن جماعة ، وقرأتُ عليه (مقدمة) ابن الحاجب [وعلى الفزاري][٨] ، ثمّ وُلّيت القضاء من جهة ابن الصّائغ وغيره ، وَنُبْتُ يوماً بجامع دمشق عن ابن جماعة ، فقيل له : إنْ دَاوَمَ هذا راحت الخطابة منك ، يعني لحُسْن أدائه وهيئته .

وجالسْتُه مرّات ، وكان يروي عن الشّيخ مجد الدّين بن الظّهير[٩] قصيدته التي أولها : كلّ حيّ إلى الممات مآبه[١٠]

(١) في الوافي : « ينسخان » .

(٢) في الأصل : « فمررنا » ، وأثبتنا .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « فما تكلمت ومعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) عبد السلام بن علي بن سيّد الناس (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ٣٨٦/١ .

(٦) لم نقف على ترجمته .

(٧) السبكي .

(٨) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٩) محمد بن أحمد بن عمر الإربلي الحنفي (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٢٣/٢ .

(١٠) في الأصل : « ذهابه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وتمام البيت :

ومدى عمره سريعٌ ذهابه

انتهى ما ذكر الذّهبي .

قلتُ : ولمّا كان بصفد ، قرأت عليه ديوان خُطَبِه سمّاه (تُحْفَة الألبّاء) وأجازني جميع ما يجوزُ لَهُ أَنْ يَرْوِيَه ، وفي هذه الخطب مواضع خارجة عن الصّواب من اللّحن الخفيّ ، فكتبتُ عليها طبقة ، وهي :

قَرَأْتُ هذه الخطبَ المسرودة على حروف المعجم من أوّلها إلى آخرها على مُصَنّفها وكاتبها العبد الفقير إلى الله تعالى [القاضي][1] جمال الدّين عبد القاهر بن محمّد التبريزي الحاكم بصفد المحروسة ، لا زالت الطّروس تُوَشّى وتوشَّعُ بكلامه وأقلامه ، وتُرَصَّفُ وتُرَصّع بحكمه وأحكامه ، ومحاسنُ أيّامه ولياليه تُنْشَا وتُنْشَد ، ودُرَرُ نظمه ونثره تُنْظَم وتُنْضَد ، قراءةَ من غاص اللّجّة من[2] بحر حِبْرها ، وعَلِمَ فيمة الْمُنْتَقى والْمُنْتَقَد من دراريها ودرّها ، واستشفّ معانيها المجلوّة في حِبْرِ حَبْرها ، وصدّق معجز آياتها ، وما شكّ في خَبَر خُبْرها ، واستجلى وجوه عُربها وتوجيه إعرابها ، وتحقّق أن القرائح مالها من طاقة على مثلها في بابها ، وتنزّه في حدائقها الّتي ضُربتْ عليها أوراق [الأوراق][3] ، واجتلى أبكارها الغرّ ، فكانت حقيقةً فتنةَ العشّاق ، فَسَرَّحتُ سوامَ الطّرف فيما أرضاه من روضاتها ، ورشفْتُ قَطْر البلاغة مِمّا زُهِيَ من زهراتها :

وتَشَنَّفتْ أُذني بلُؤلؤِ لَفْظِها ... وتنزّهَتْ عينايَ في جنّاتها
وتأمَّلَتْ أفهامُنا فتمايلت ... بترشّف الصّهباء من كاساتها[4]
وكأنَّ هَمْزَ سطُورِها بطروسها ... وُرْقٌ على الأغصانِ مِنْ أَلِفاتِها
وكأنّها وجناتُ غيدٍ نَقْطُها ... خالٌ على الأصْداغ من جبِاتِها
لله ما أطرى وأطربَ ما أتى ... في هذهِ الأوراق من سَجعاتِها
لا غرو أن عَقَدَتْ لسانَ أُولي النُّهى ... عن مِثلها بالسّحر من كَلِماتِها

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٢) في (س) : « في » .
(٣) زيادة من الوافي .
(٤) في الأصل : « أفهامها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

فكتب هو إليَّ :

شرَّفْتَ غَرْسَ الدّين حين قرأت ما … أَملَيْتُ مِنْ خُطَبٍ أَجَدْتُ شِياتها
بفصاحةٍ لو أنَّ قُسّاً حاضرٌ … لرآك تَسْبِقُهُ إلى غاياتها
يا فخرَ دهرٍ أنتَ من بلغائه … وعُلا ليالٍ أنتَ من ساداتها
خُطَبي الّتي أنشأتُها ما أنت من … خطّابها فتجافَ عَنْ عِلاّتها
عَظَّمْتَها وبرّرتها وجَبَرْتَها … وغَفَرْتَ ما قد كان من زلاّتها
فَلأَنْتَ أكرمُ فاضلٍ لّما بَدَتْ … لعيانِه غَطّى على عَوْراتها
فاسْلَمْ ودُمْ ما رنّحت ريح الصَّبَا … أعطافَ غصن الرّوض في هبّاتها

وأنشدني لنفسه في شبّابة ، وقد وجدتُها فيما بعد في (ديوان جوبان القوّاس) بخطّه :

وناطِقَةٍ بأفواهٍ ثمانٍ … تميل بعقل ذي اللُّبِّ العفيف[1]
لكلّ فمٍ لسانٌ مُسْتَعارٌ … يخالفُ بين تقطيع الحروفِ
تخاطبُنا بلفظٍ لا يَعيه … سِوى مَنْ كانَ ذا طبعٍ لطيف
فَضيحةُ عاشقٍ ونديمُ راعٍ … وعِزّةُ موكبٍ ومُدامُ صوفي

فأنشدته أنا لنفسي ملغزاً في الكنجا :

ما اسمٌ إذا خِفْتُ همّاً … رأيْتُ لي فيه مَنْجا
يَشْدو بلحنٍ عجيبٍ … حُروفُه ما تُهجّى
كم قد شجاك بصوتٍ … من الحمائم أشجَى
إن لم يَجِئْ لك طوعاً … في الحلّ فهو كمن جا

فأعجبه ذلك وزَهْزَهَ وطرب .

(١) في الأصل : « اللطيف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، قال : حضرت صحبة الملك الظّاهر بيبرس حصار قلعة صفد ، فصنَعت هذه الأبيات :

إذا القلعةُ الشّمّاء باتت حَصينةً   وبات على أقطارها القومُ رُصّدا[1]
ترى منجنيقاً يُذْهِبُ العَقْلَ جَسُّه   يُغادِرُهُمْ بين الأسرّة هُمّدا[2]
إذا ما أراها السَّهمُ منه ركوعَةً   تخرُّ له أعلى الشَّراريفِ سُجَّدا

وأنشدني لنفسه من لفظه كثيراً [من شعره][3] فمن ذلك قصيدة طويلة أوّلها :

أنتَ الْمُمَنّعُ والْمُحَجّبْ   إلاّ على من ليس يُحْجَبْ
ومع البعاد فأنت مِنْ   حبلِ الوريد إليّ أقرَبْ
سرٌّ بسيطٌ ظاهرٌ   يختال في شبحٍ مُرَكّبْ[4]

---

(١) في الأصل : « سجّداً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « حسّه » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) جاء في (ق) بعد هذا البيت ما نصّه : « ومن نظمه ، وذكره ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات :

جاءت تهزّ اختيالا   قدّ القضيب المنعَّمْ
تجرّ إثر خطاها   أذيال مِرْط مسهّم
قد أنجد الردف والخصـ   ـر غار لطفاً وأتهمْ
ياويح خصر شقيّ   من جور رِدْفٍ منعّم
وبات بدري بصدري   حتى إذا الصبح أنجم
ودعته وهو يبكي   ويمزج الدمع بالدم
في موقف لو ترانا   لكنت ترثي وترحم

وهذه الأبيات أوردها المؤلف في الوافي ، وقدّم لها بقوله : أنشدني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه » اهـ .

١٠١٨ ـ عبد القوي بن عبد الكريم*

القرافي الحنبلي الطّوفي ، نجم الدّين الرّافضي .

له مصنف في أصول الفقه ونظم كثير ، وعُزِّرَ بالقاهرة على الرّفض لأنّه قال :

كم بين من شُكّ في خلافته ... وبَيْنَ مَنْ قِيل إنّه الله

وهو الّذي يقول في نفسه :

حنبليٌّ رافضيٌّ ظاهريٌّ ... أشعريٌّ هذه إحدَى الكُبَر

توفّي ببلد الخليل عليه السّلام سنة ستّ عشرة وسبع مئة .

ويقال إنّه تاب أخيراً من الهجاء والرّفض .

١٠١٩ ـ عبد القَوي بن محمد**

ابن جعفر الأسناي ، نجم الدين المعروف بابن مغنّي[١] وبابن أبي جعفر .

قرأ على الشّيخ النّجيب بن مفلح[٢] ، والشّيخ بهاء الدّين بن[٣] هبة الله القفطي ، وناب في الحكم ، ودرّس بالمدرسة العزيّة[٤] بقوص .

وكان طيّب الْخُلق ، ضحوك السّنّ لو نظر [إلى][٥] الأفق ، كثير الرّياضه ،

* الوافي : ٦٢/١٩ ، والدرر : ٣٩٦/٢ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، والبغية : ٥٩٩/١ . ووقع في الأصل : « عبد العزيز بن عبد الكريم » سهو .

** الوافي : ٧٠/١٩ ، والطالع : ٣٣٣ .

(١) رسم في الوافي : « مغني » ، وفي الطالع : « معين » ، وما أثبتناه أقرب ، لما سيأتي من شدّة ولعه بالطرب .

(٢) عثمان بن مفلح أبو عمرو النجيب ، توفي سنة (٦٦٨ هـ) . الطالع : ٣٥٨ .

(٣) في الطالع : « بهاء الدين هبة الله القفطي » .

(٤) في الطالع : « الأفرمية » .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

لا يدخل من الغيظ في مخافة ولا مخاضه ، خفيف الرّوح إذا جالس ، ظريف الإشارة إذا خالس ، وكان محبّاً للسّماع ، لا يؤثر عليه شيئاً في الانتفاع ، يكاد إذا سمع شبّابة يطير طربا ، ولا يبلغ من اللّذة أربا ، وكان التزم أنّه لا يبحث مع قاض ، ولا يجيبه عن تقريرات ولا إنْقَاض .

ولم يزل على حاله إلى أن عُقِر سَمْعُه وطُفي من نور الحياة شَمْعه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بأسنا سنة ثمانٍ وتسعين وستّ مئة .

قال الفاضل كال الدّين الأُدْفُوِّي : بلغني أنّه وصّى أن تخرج جنازته بالدّفوف والشّبّابة ، وتمنع النائحات والباكيات عليه .

١٠٢٠ ـ عبد الكافي بن عثمان*

الشيخ جمال الدّين المعروف بابن بُصاقة الحيسوب [كان][١] كاتباً متصرّفاً ، يعرف صناعة الكتابة الدّيوانيّة ، وهو من قدماء الكتّاب ، وعمّر وضعف .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصّوفيّة ، وصُلّي عليه في جامع الأمير سيف الدّين تنكز .

وكان حسن الأخلاق .

١٠٢١ ـ عبد الكافي بن علي**

ابن تمّام بن يوسف ، الشيخ الإمام القاضي زين الدّين ، أبو محمّد السّبكي الشّافعي ، والد[٢] قاضي القضاة شيخ الإمام تقي الدّين السّبكي .

* الدرر : ٣٩٦/٢ .
(١) زيادة من (ق) ، (س) .
** البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٣٩٦/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٤/٢ .
(٢) في البداية والنهاية : « ووالده » ، تحريف .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ تاسع شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود سنة تسع وخمسين وستّ مئة .

هو من أهل سُبْك العبيد من الدّيار المصريّة . تفقّه بالقاهرة على السّديد ، والظّهير ، وقرأ أصول الفقه على الشّيخ شهاب الدّين القرافي ، وناب في القضاء ببعض أعمال القاهرة عن قاضي القضاة تقي الدّين بن دقيق العيد ، وتولّى أخيراً قضاء المحلّة الغربيّة ، وأقام بها إلى حين وفاته .

وسمع من ابن خطيب المزّة وغيره ، وحدّث .

وسمع منه ولده قاضي القضاة تقي الدّين .

وخرّج له أقضى القضاة تقي الدّين أبو الفتح محمّد بن عبد اللّطيف السُّبكي[(١)] (مشيخة) .

وحدّث بالقاهرة والمحلّة ومكّة والمدينة ، وسمع منه حفيده قاضي القضاة تاج الدّين أبو نصر عبد الوهّاب[(٢)] (جزء الغطريف)[(٣)] [وقطعة][(٤)] من (سنن أبي داود) وشيئاً من نظمه ، وتوفّي بالمحلّة ، ونقلتُ من خطّه [له][(٥)] :

قطعنـــا الأخـــوّة عن معشرٍ ... بهم مَرَضٌ من كتـــاب الشّفـــا[(٦)]
فمـــاتـــوا على دين رَسطـــالسٍ ... ومُتنـــا على مِلّـــة المصطفى

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) ابن علي بن عبد الكافي (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٤٢٥/٢ .
(٣) محمد بن أحمد بن الغطريف العبدي (ت ٣٧٧ هـ) ، السير : ٣٥٤/١٦ ، وفي الكشف ، ٥٨٨/١ : « جزء الغطريف .... من حديث القاضي أبي بكر الطبري » .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والبيتان في التذكرة .
(٦) في (س) : « من معشر » .

اللّقب والنّسب

☆ جمال الدّين بن عبد الكافي : اسمه سليمان .

١٠٢٢ ـ عبد الكريم بن حسن*

الشيخ المسلّك العارف كريم الـدّين الآمَلِي ، بميم بعـد الألف المـدودة ، ينتمي إلى سعد الدّين بن حَمُّوية شيخ خانقاه سعيد السّعداء بالقاهرة .

كان إلى الأعيان محبَّبا ، ولم يكن حَظّه منهم مخيَّبا ، لـه في النّفوس صورة كبيره ، وله أبّهة في الصّدور ، كأنّما أُلبس منها حَبيره[1] ، وعنده شيء يغطّي جراحـات بـاطنـه بجبيره ، وفيه [أمور][2] لا يَدْرِيها ولا يدّريها إلاّ العقول الخبيره ، وهو من كبـار القوم الّذين خاضوا تلك الغمرات ، وعظّموا تلك المشاعر ورموا بها تلـك[3] الجمرات ، وقـالوا في خلواتهم :

إذا لم يكنِ فيكُنَّ ظـــلٌّ ولا جنى فـــأبعـــدكنّ اللهُ من شجرات

وكانت له رياضات عديده ، ومفاوضات للصّوفيّة مديده .

وكان الشّيخ تقيّ الدّين بن تيميّة كثيرَ الحطّ عليه ، غَزير النّطّ ـ على رأي العوام ـ إليه .

حكى لي الشّيخ شمس الدّين محمّد بن إبراهيم بن سـاعـد الأكفـاني[4] ، قـال : دخل

---

* الوافي : ٧٧/١٩ ، والدرر : ٣٩٧/٢ ، وفيه : « عبد الكريم بن الحسين » .
(١) المشهور : « جبير » ، وهو ضرب من البرد الموشّى ، والثوب الجديد .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) .
(٣) ليست في (س) .
(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

الشيخ كريم الدّين مرّة[١] إلى الشيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد ، وتكلّم زماناً طويلاً والشّيخُ ساكت ، فلمّا خرج من عنده ؛ قال للحاضرين : هل فيكم من فهم عنه تراكيب كلامه ، لأنّي أنا مافهمت غَيْرَ مفرداته .

وقال شيخنا الذّهبي : أثبت الصّوفيّة فُسْقَه من ستة[٢] عشر وجهاً ، وأُخرج من الخانقاه ، ثمّ أعيد ، وتولّى مكانه بعد موته قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب من الآملي أَمَلُه ، ووافاه بالوفاة أَجَلَهُ .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شوال سنة عشر وسبع مئة ، وتولّى عوضه الشّيخ علاء الدّين القونوي .

١٠٢٣ ـ عبد الكريم بن يحيي*

ابن محمّد بن علي بن محمد بن يحيي بن علي بن عبد العزيز ، الشيخ الإمام القاضي تقيّ الدّين أبو محمّد بن قاضي القضاة محيي الدّين أبي الفضل بن قاضي القضاة محيي الدّين أبي المعالي[٣] بن قاضي القضاة زكي[٤] الدّين أبي الحسن بن قاضي القضاة منتخب الدّين أبي المعالي القرشيّ الأمويّ العثماني المصري ، ثمّ الدّمشقيّ الشّافعي .

ولد بمصر ليلة عرفة سنة أربع وستّين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

---

(١) ليست في (س) .

(٢) في (س) : « سبعة » .

* الدرر : ٤٠٤/٢ ، والشذرات : ١٥١/٦ ، والدارس : ١٢٤/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٦ .

(٣) زاد في الأصل : « ابن أبي المعالي » ، وهو تكرار . وفي الدارس نقلاً عن الذهبي : محيي الدين أبو المعالي محمد بن القاضي .

(٤) في (س) : « ركن » ، تحريف .

وقدم من مصر إلى دمشق ، وتفقّه بها ، وسمع من ابن البخاري وغيره ، وولي مشيخة الشّيوخ ، ودرّس بأماكن[(١)] ، وكان من رجال الدّهر عزماً وحزماً وسكوتاً ودهاءً وغوراً ومكارم وإفضال .

١٠٢٤ ـ عبد الكريم بن عبد الرحمن*

ابن عبد الواحد ، نجم الدّين بن صَدقة الكاتب ، ابن عمّ النّفيس واقف النّفيسيّة[(٢)] .

قال شيخنا الذّهبي : خدم في جهات الظّلْم ، وكان سمع من الرّشيد بن مسلمة[(٣)] وابن عبد الدائم وطبقته ، وحفظ (التنبيه) .

قلتُ : وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بصافيتا[(٤)] سنة ستّ وتسعين وستّ مئة .

١٠٢٥ ـ عبد الكريم بن عبد النور**

ابن منير ، الشّيخ الإمام الحافظ مفيد الدّيار المصريّة ، قطب الدّين أبو علي الحلبي ، ثمّ المصريّ الشّافعي المعروف بابن أخت الشّيخ نصر[(٥)] .

حفظ القرآن ، وتلا بالسّبع على أبي الطّاهر إسماعيل المُلَيْجي[(٦)] صاحب

---

(١) منها المدرسة المجاهدية ، كما في الدارس والدرر .

* الوافي : ١٩/٧٨ .

(٢) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحراني (ت ٦٩٦ هـ) الدارس : ١/٨٤ .

(٣) في (س) : « الرشيد مسلمة » ، سهو ، وهو أبو العباس أحمد بن المفرج بن علي بن عبد العزيز بن مسلمة الدمشقي (ت ٦٥٠ هـ) ، السير : ٢٣/٢٨١ .

(٤) من أعمال طرطوس على الساحل السوري .

** الوافي : ١٩/٨٠ ، والبداية والنهاية : ١٤/١٧١ ، وغاية النهاية : ١/٤٠٢ ، والدرر : ٢/٣٩٨ ، والنجوم : ٩/٣٠٦ ، والشذرات : ٦/١١٠ .

(٥) هو نصر بن سليمان بن عمر المنبجي (ت ٧١٩ هـ) . النجوم : ٩/٢٤٤ .

(٦) إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي (ت ٦٨١ هـ) ، غاية النهاية : ١/١٦٩ .

أبي الجود ، وتلاه بالسّبع على خاله الزّاهد الشّيخ نصر[١] المنبجي ، وانتفع بصحبته ، وسمع من العزّ الحرّاني ، وغازي ، وابن خطيب المزّة ، والقاضي شمس الدين بن العماد ، وطبقتهم بدمشق والْحَرَمَيْن من طائفة .

وكتب العالي والنّازل ، وسمع من السّامي والسّافل ، وخرّج وجمع ، ونفع وانتفع ، وشرح من البخاري شَطْرَه[٢] ، وأثبت في طِرْسِه سطره ، وعمل بمصر تاريخاً في عدّة مجلّدات[٣] بيّض أوائله ، وما ضمّ مسائله ، وله غير ذلك[٤] ، مع بصرٍ بالرّجال ، ومجالٍ بالفقه بعض مجال ، وحجّ غير مرّه ، وأحرز من الأجر كلّ دُرّه ، وروى الكثير ، وهو في جنب ما سمعه قليل ، وجالد وحَدُّ عُمْرِه فليل .

ولم يزل على حاله إلى أن دارت رَحا الموت على قُطْبِهِ ، ونزلت بأهله مصيبةُ خَطْبِه .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في يوم الأحد سلخ شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستّين وستّ مئة .

علّق في (تاريخه) عن شيخنا الذّهبي ، وما عنده عنه إلاّ الإجازة ، وكان يحبّه في الله .

وكان فيه تواضع زائد ، وحسن سيرة ، ولعلّ أشياخه تبلغ الألف ، وخرّج لنفسه (أربعين تساعيّات) .

---

(١) في الأصل « أبي نصر » ، سهو ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) لم يتمّه ، وقال صاحب الكشف : ٥٤٦/١ : « وهو إلى نصفه في عشر مجلدات » .

(٣) ذكره صاحب الكشف : ٣٠١/١ باسم (تاريخ قطب الدين) ، ورتّب على الأسماء ، وزاد ولده تقي الدين في المحمدين كثير .

(٤) في الأصل : « مع » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وأخذ عنه المحدّثون تقيّ الدين بن رافع ، وابن أيبك الدّمياطي ، وعمر بن العجمي ، وعلاء الدين مُغْلطاي ، والسّروجي[١] ، وعدد كثير .

وأنا في شكّ هل سمعت منه أو لا ؟ ولكنّه أجاز لي ، وأجزت له ولأولاده ، واجتمعتُ به عند الشيخ فتح الدين بن سيّد النّاس غير مرّة .

١٠٢٦ ـ عبد الكريم بن علي الشّهْرَزوري*

زين الدّين .

كان مقيماً بقوص ، وحظّه من الدّنيا منقوص ، وكان يتطَوّرُ أطْوَارا ، ويتدَوّر مع القدر أدوارا ، تارة يلبس زيّ الفقراء ، وتارة يكون في شعار الرّؤساء . بينا هو في الرُّبَط والزّوايا إذا هو يخدم في الجهات الّتي فيها المكوس والطّوايا .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه الله وأخذه ، واجتذبه من الحياة وفَلَذه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد سنة خمس وسبع مئة بقوص[٢] .

عمل بعضُ الرّؤساء من جيرانه عرساً ، وفرّق أطعمة كثيرة ، وغفل عنه فلم يرسل إليه شيئاً ، فكتب إليه :

يا جيرةً جُرتمُ على جاركم ... وعادةُ الجيران ألا تجور
ما كان في أمراقكم كلّها ... رَطْلُ خَرا يشربها الشّهرزور

وقال يهجو شهاب الدّين بن القاضي النّجيب القوصي :

وكِرْشَةٍ مملوءَةٍ ... مِنَ الخرا مُطَنَّبه[٣]

---

(١) علي بن محمد بن أيبك ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ١٩/١٠٣ ، والطالع السعيد : ٣٣٤ ، والدرر : ٢/٤٠٠ .

(٢) في الدرر أنه توفي في حدود سنة (٧١٠ هـ) . وفي الطالع : وفاته « بعد السبع مئة » .

(٣) أي : مسترخية .

شَبّهتُهـــا مرميّـــةً بِـــدَمِهـــا مختضِبَـــه
قيلطـــةَ القـــاضي الشّهـــا ب بن النّجيب بن هبَـــه[١]

وكان ينظم الأزجـال والبـلاليـق ، وطلب من بعض التّجّار جـوزة هنـديّـة ، فلم يبعث بها قال :

طلبت منـــك جـــوزةً منعتَ منّي قربَهـــا[٢]
وكم طلبتُ زَوْجَـــةً منـــكَ فلم تبخـل بِهـــا

قلتُ : الباء الأولى في قوله « قربها » مفتوحة ، والثّانيـة مكسورة ، وهي عيبٌ في القافية[٣] ، وكان ضامن الزّكاة بقوص .

١٠٢٧ ـ عبد الكريم بن علي بن عمر*

الأنصاري الشّيخ الإمام الفاضل علم الدّين ، ابن بنت العراقي .

كان من علماء مصر في عدَادهم ، وفضائُلُه الّتي قَضَت بسدادهم ، وكانت له مشـاركـة في عِدّة فنون ، ومَضَت عليـه في الإقراء سنون ، ولـه صبر على التّعليم والإشغـال وقـدرةٌ على الإكبـاب عَلَى نفـع الطّلبـة وإيغـال ، حتّى إنّ معظم مَنْ في الـدّيـار المصريّـة قرأ عليه ، وأخذ عنه العلوم ، ومثّل بين يديه .

وكان حَسَنَ المفاكهه ، مليحَ الْمَلْقَى بـالْمَلَق والْمُوَاجهه ، لا يسـأم المـذاكره ، ولا يَمَـلُّ طـول المحـاضَره ، كثير الحكايـات والنّـوادر ، والإصـابـات في البـوادر ، نَفْسُـه مُنْبَسطـه ، وسيـوف فـوائـده مخترطَـه ، إلاّ أنّـه أضرّ آخرَ عُمره ، وعـدم من الطّروس والأقلام رؤيةَ بِيْضِه وسُمْرِه .

(١) في الطالع : « قيليطة » .
(٢) في الطالع : « منعتني من » .
(٣) وعلى رواية الطالع لا عيب في القافية .
* الوافي : ٩٥/١٩ ، ونكت الهميان : ١٩٥ ، والـدرر : ٣٩٩/٢ ، وذيول العبر : ٢٩ ، والسلوك : ١٣/١/٢ ، وعقد الجمان : ٣٧٠/٤ .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغت التّراقي[(١)] ، وذهب ابنُ بنت العراقي .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في سابع صفر سنة [أربع][(٢)] وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ثلاث وعشرين وستّ مئة .

أخبرني شيخنا العلاّمة أبو حيّان قال : أصْلُه من [وادي][(٣)] آش من الأندلس ، وجدّه أبو أمّه ليس من العراق ، وإنّما رحل إلى العراق ، ثمّ عاد إلى مصر وهي بلده ، فَسُمّي العراقي .

وكانت له مشاركة في الفقه وأصوله والأدب والتّفسير ، وله اختصاص (بتفسير الزّمخشري) ، وصنّف مختصراً في أصول الفقه ، وردّاً[(٤)] على القاضي ابن المنيّر المالكي في ردّه على الزّمخشري[(٥)] . وكانت له معرفة بالحساب والكتابة ، وحظّ من النّظم والنّثر ، ودرّس بالشّريفيّة وبالمشهد الفقه ، وأملى كتاباً على تفسير القرآن مختصراً احتوى على فوائد[(٦)] ، وأنشدنا[(٧)] قال : نظمت في النّوم في قاضي القضاة ابن رزين وكان معزولاً :

يا سالكاً سُبُلَ السّعادَةِ مَنْهجاً ... يا موضِحَ الْخَطْبِ البَهيمِ إذا دَجا
يا ابنَ الّذين رَسَتْ قواعِدُ مَجْدِهم ... وسَرَى ثناهُم عاطِراً فتأرَّجَا
لا تيأسن مِنْ عَوْدِ ما فارَقْتَهُ ... بعدَ السِّرار تَرَى الهلال تبلّجا
وابْشِرْ وَسَرِّحْ ناظراً فَلَقَدْ تَرَى ... عمّا قليلٍ في العدى مُتَفَرِّجاً
وترى وليّك ضاحكاً مستبشراً ... قد نال من تدميرهم ما يُرتجى

---

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ كلاّ إذا بلغت التراقي ﴾ القيامة : ٢٦/٧٥ .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٤) في (س) : « وردّ » .
(٥) واسم كتابه (الإنصاف في ما تضمنه الكشاف من الاعتزال) ، طبع على حاشية الكشاف .
(٦) في الأصل : « فرائد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٧) في الأصل : « وأنشدني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

وكتب الشيخ علم الدّين المذكور بخطّه كتاب (الحاوي الكبير) للماوَرْدي[١] مرّتين . وكان يؤمّ[٢] بمسجد الدّرفيل .

قال شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقيّ الدّين السّبكي ـ رحمه الله ـ : سمعتُ عمّي ـ يعني أبا البقاء يحيى بن علي[٣] ـ يقول : كنّا حاضرين في الدّرس عند قاضي القضاة صدر الدّين ابن بنت الأعَز ، وهو يلقي في حديث « أنّ أرواح الشّهداء في حواصل طير خضر »[٤] فحضر الشّيخ علم الدّين العراقي ، فما استقرّ جالساً حتّى قال على وجه السّؤال : لا يخلو إمّا أن تحصل الحياة بتلك الأرواح أم لا ؟ والأوّل عين ما تقوله التّناسخيّة ، والثّاني مجرّد حبس للأرواح وسجن . انتهى .

قلتُ : لا نُسلّم أنّها إذا كانت كذلك تكون في سجن وحبس ، لأنّه أقلّ أقسامها أن تكون في حواصل الطّير ، كما كانت في أجْسادها في هذه الدّار ، وما قال أحدٌ إنّ هذا عذابٌ لها ولا سجنٌ ، ولا يُورد أنّ[٥] الدّنيا سجن المؤمن ، لأنّ هذا أمرٌ نسبيٌّ ، وقد يجعل الله لها في الحواصل من السّرور والابتهاج ما يحصل لبعض النّفوس في هذه الدّار من السّرور الزّائد والبهجة التّامّة .

١٠٢٨ ـ عبد الكريم بن أبي الفرج*

ابن الحكم الشّيخ الزّاهد القدوة الصّدر شرف الدّين بن الشّيخ السّيّد القدوة الزّاهد نجم الدّين الحموي الشّافعي .

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتابه في عشر مجلدات كما في الكشف : ٦٢٨/١ .

(٢) في الأصل : « يوماً » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٣) ابن تمام بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

(٤) أخرج ابن مندة والطبراني وأبو الشيخ عن ضمرة بن جندب مُرسلاً قال : سئل النبي عليه السّلام عن أرواح المؤمنين ، فقال : في حواصل طيرٍ خضر تسرح في الجنة حيث شاءت . قالوا : يا رسول الله ! وأرواح الكفّار ؟ قال : محبوسة في سجّين .
انظر : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور للسيوطي : ٣٠٧ .

(٥) ليست في (س) .

* الدرر : ٤٠١/٢ .

باشر حسبة حماة مدّة ، وكان يعرف بالمحتسب في حياة والده وبعدها ، وتركها[١] ، وكان له زاوية حسنة يقصدها الفقراء والزّوّار ويجدون عنده الرّاحة والفضل والمكارم والأوقات الطّيّبة والمكارم والسّماعات[٢] والسّماطات .

ودرّس بالمدرسة الحيرية بحماة ، ولم يزل بها إلى أن توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن شوّال سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بتربته بعقبة نقيرين ، وصُلِّيَ عليه غائباً وعلى الوزير فخر الدّين بن الخليلي بالجامع الأموي بدمشق في وقتٍ واحد .

١٠٢٩ ـ عبد الكريم بن محمد*

ابن محمّد بن نصر الله الحموي الشّيخ الفاضل الصّدر الكبير أبو السّماح ، ابن الْمُغَيْزل ، وكيل بيت المال بحماة .

حدّث بمصر[٣] والشّام ، وكان قد سمع من الكاشَغْري[٤] ، وابن الخازن[٥] ، وابن قُمَيْرة[٦] ، وسمع بحماة من العزّ بن رواحة .

وكان شيخاً حسن الخَلْق ، يلقى النّاس بوجه طَلْق ، يجتهد على قضاء الحوائج ، ويسلك في التّلطّف لهم أقربَ المسالك وأنجح الْمَنَاهج ، حسن التّوصّل إلى مقاصده ، لطيفَ التّوصّل في مصادره وموارِدِه ، لا يَخْبَأ[٧] عمّن يقصده نَفْسه ولا ماله ، ولا يزال يسعى إلى أن يبلّغه آماله .

(١) في (ق) ، (س) : « وبعده ثم تركها » .

(٢) في الأصل : « المكارم السماعات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الشذرات : ٤٣٨/٥ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٨/١ ، وعقد الجمان : ٣٨٠/٣ ، وأورده في وفيات سنة (٦٩٦ هـ) .

(٣) في (ق) ، (س) : « بديار مصر » .

(٤) هو أحمد بن أسعد بن المظفر . (ت ٦٦٧ هـ) .

(٥) عبد العزيز بن دلف بن أبي طالب (ت ٦٣٧ هـ) . (الشذرات) .

(٦) هو يحيى بن نصر بن أبي القاسم (ت ٦٥٠ هـ) . (الشذرات) .

(٧) في (س) : « يخبّئ » .

ولم يزل على حاله إلى أن نَحَلَتْ[1] حركاته ، وغاضت عمّن يقصده بركاته .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في رابع عشر المحرّم سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

ومولده سنة ستّ عشرة وستّ مئة .

١٠٣٠ ـ عبد الكريم بن هبة الله*

ابن السّديد المصري القاضي الجليل الكبير النّبيل المدبّر المشير الأثير[2] الأثيل ، كريم الدّين أبو الفضائل ، وكيل السُّلطان الملك النّاصر محّمد بن قلاوون وناظر خاصّته ومدبّر دولته .

أحيا الكرم والجود في الوجود ، وسهر في طيب الثّناء عليه والمدابيرُ هجود ، صدّق أخبار البرامكة بل أخملهم ، وزاد في اقتراح المكارم فحمّلهم الخجل بل جمّلهم ، ابتدع في الإحسان طرقاً خَفِيَتْ على الأوائل ، وابْتَدَهَ جُوْداً لا يُحْسِنُ الثّناءَ عليه سحبانُ وائل ، فكان كما قال أبو الطّيب[3] :

تمشي الكرامُ على آثار غيرهم وأنتَ تخلق ما تأتي وتبتدع

عمّر ربوع النّدى ، وغمر النّاس بالْجَدى ، وعمّ بجوده وما خَص ، وبَلّ جناح الشّكر وما حَصّ ، فَدَرَجَتْ حوله طيور الثّناء وما طارت ، وعَرَجت في مراقي حمده ودارت ، أجمع أهل عصره من غير مصره على سَمَاحِه ، ولم يخالف واحدٌ على مبالغة الجود في بطن راحه ، إلاّ أنّه كَرَمٌ ، كَرْمُهُ عَرّش على الفقراء والأمراء ، وتعدّى الغاية فتأدّى إلى الملوك والوزراء حتّى أخجل بنَيْلِه النّيل ، وفرّت مياه الفرات ، وقالت :

(١) في (ق) ، (س) : « تخلّت » .

* الوافي : ٩٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٣٧٧/٢ ، والبداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٤٠١/٢ ، وبدائع الزهور : ٤٥٣/١ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٠/٢ ، ١٣٣ ، والسلوك : ٢٥٩/١/٢ .

(٢) في الأصل : « الأبيل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) ديوان المتنبي : ٢٣١/٢ .

هـذا من المستحيل ، وعلى الجملة فكان خُبْرُه أكبر[١] من خبَره ، وهـو أبـو دُلَفِ زمـانـه الّذي ولّت الدّنيا على أثره[٢] ، وقـد تمكّن من سلطـانـه تمكُّنَ الصّبـابـة من بني عُـذْرَه ، والشّجاعة من آل أبي صُفْرَه ، وحلّ منه محلّ الإنسان من العين ، وأطاعه طاعـة المفلس لربّ الدَّيْن ، فهو له في القبول مثل المحب للواشين ، والغِرّ للغاشّين لا يكاد يخالفـه ، ولا يرى هواه في شيء إلاّ يميل إليه ويحالفه ، وكان به لذلك المُلْك نضارة ، ولذلـك العصر غضارة :

جَمالُ ذي الأرضِ كانوا في الحياةِ وَهُمْ بَعْـدَ المماتِ جَمَـالُ الْكُتْبِ والسِّيَر

ولم يزل نجمه في سعود ، وعزمه في صعود ، إلى أن غَدَرَ به زمانُـه ، وخـانـه محبّوه وإخوانه ، وتبرّأ منه من كان يجمعهم خوانُـه [فقبض عليـه][٣] ونظر بعـد الرّضـا بعين السّخط إليه[٤] وجهّزه إلى الشّوبَـك ، ثمّ إلى القـدس ، ثمّ إلى أسوان ، ومن هنـاك انتقل إلى رضوان ، وادُّعي أنّه شنق[٥] روحه ، واختار أن سكن[٦] ضريحـه ، وذلـك في ثـالث عشر شوّال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد أسلم كهلاً أيّام الجـاشنكير ، وكان كاتبـه ، وكان لا يُصْرَف على السّلطـان شيء إلاّ بقلمه ، ويقال : إنّه طلب يوماً إوَزّة ، ولَمْ يكن كريمُ الدّين حـاضراً ، فتعـذّر

(١) في الأصل : « أكرم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) يشير إلى أبيات علي بن جبلة في مدح أبي دُلف العجلي ، ومنها البيتان المشهوران :

إنمـا الـدنيـا أبـو دُلف بين مبـداه ومحتضره
فـإذا ولّى أبـو دُلف ولّت الـدنيـا على أثره

انظر : الأغاني : ٢٥٤/٨ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) يشير إلى قول الشاعر :

وعين الرّضـا عن كلّ عيبٍ كليلـة ولكنّ عينَ السُّوءِ تبـدي المسـاويـا

(٥) في الأصل : « شقّ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٦) في (س) : « يسكن » .

صَرْفُها إليه ، ولمّا هرب المظفّر ـ رحمه الله تعالى ـ[١] ووصل السّلطان إلى مصر ، لم يكن له دَأْبٌ في غير تطلّب كريم الدّين والتوّقّع عليه والسّؤال عنه في كل وقت .

أخبرني الحافظ فتح الدّين محمّد بن سيّد النّاس ، قال : جاء كريم الدّين إلى الأمير علم الدّين الجاوَليّ ، وقال له : قد جئت إليك ، فقال : ما في يدي لك فَرَج ، ولكن اليوم للسّلطان خاصكيّ ، يقال له : الأمير سيف الدّين طغاي الكبير وهو لا يخالفه فأريدُ[٢] أجتمعُ لك به ، وأعرّفك ما يكون ، ثمّ إنّه اجتمع به فقال له : أَحْضِرْهُ ، ودخل طغاي إلى السّلطان ، وهو يضحك ، فقال له : إن حضر كريم الدّين أيْش تُعْطِيني ؟ ، ففرح ، وقال له : أعندك هو ؟ أَحْضِرْهُ ، فخرج ، وقال للجاولي : أحضره ، فأَحْضَرَه ، وقال طغاي لكريم الدّين : مهما قال لك السّلطان ؛ قل له : نعم ، ولا تخالفه ، ودَعْنِي أنا أدبّر أمرك ، فدخل به عليه ، فلمّا رآه استشاط غضباً ، وقال له : اخرج السّاعة ، احمل ألف ألف دينار ، فقال : نعم ، وخرج ، فقال : لا كثير ، احمل خمس مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة . فقال : لا ، كثير ، احمل ثلاث مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة ، فقال : لا ، كثير ، احمل السّاعة مئة ألف دينار ، فقال : السّمع والطّاعة ، فخرج ، فقال له الأمير : سيف الدّين طغاي : لا تُسَقّع ذقنك وتُحضر الجميع الآن ، ولكن هات[٣] الآن منها عشرة آلاف دينار ، ودخل بها إلى السّلطان ، فسكن غيظه ، وبقي كلّ يومين وثلاثة يحمل خمسة آلاف دينار ، ومرّة ثلاثة آلاف دينار ، ومرّة ألفين . ولم يزل هو والقاضي فخر الدّين ناظر الجيش ؛ يُصْلحان أمره عند السّلطان إلى أن رضي عنه وسامحه بما بقي عنده[٤] ، واستخدمه ناظر الخاصّ فهو أوّل من باشر هذه الوظيفة ، ولم تكن تعرف أوّلاً[٥] ، ثمّ

(١) في الوافي والفوات : « وأخذ الخزائن معه » .

(٢) في الأصل : « فإني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي والفوات .

(٣) في الوافي : « هات لي » .

(٤) في (س) : « عنه » ، تحريف .

(٥) ليست في (س) .

تقدّم عنده ، وأَحَبَّهُ مَحَبَّةً زائدة عن الحدّ ، وكان يَخْلع عليه أَطْلَس أبيض والفوقاني بطرز ، والتّحتاني بطرز ، والقبع زركش على ما استفاض .

وكانت الخزائن عنده جميعها في بيته ، وإذا أراد السلطان شيئاً نَزَل مملوكٌ إليه في بيته ، واستدعى منه ما يريده ، فيجهّزه إليه من بيته ، وكان يخلع على أمراء الطّبلخانات الكبار من عنده ، وقيل : إنّ السّلطان نزل يوماً من الصّيد ، فقال له : يا قاضي ! اعرض أنت صيود[1] الأمراء ، فإنّ لي ضرورة ، ودخل الدّهليز ، ووقف القاضي كريم الدّين على باب الدّهليز ، فكان الأمراء يُحضرون صيودهم على طبقاتهم بين يديه ، وهو يخلع عليهم على طبقاتهم واحداً بعد واحدٍ .

وحجّ هو والخوندة الكبرى طغاي[2] ، واحتفل بأمرها ، وقد مضى ذكر حجّها في ترجمتها ، وكان يخدم كل واحد من الأمراء الكبار والمشايخ والخاصكيّة الكبار ، وأرباب الوظائف والجمداريّة الصّغار ، وكلّ أحد حتّى الأوشاقيّة في الإصطبل وأرباب الوظائف ، وكان في أوّل أمره ما يخرج القاضي فخر الدّين لصلاة[3] الصّبح إلاّ ويجد كريم الدّين راكباً وهو ينتظره ، ويطلع في خدمته إلى القلعة ، ودام الأمر هكذا ستّة أشهر أَوْ ما حولها ، ثمّ إنّ فخر الدّين كان يركب ويحضر إلى بابه ، وينتظره ليطلع معه إلى القلعة ، وكان في كلّ يوم ثلاثاء ، يحضر إلى دار فخر الدّين ، و يتغدّى عنده ، ويحضر مَحْفِيَّتَيْن لا يعود إليه شيء مِن ماعونها[4] الصّيني أبداً ، وكان يركب في عدّة مماليك أتراك ـ يقال سبعين[5] مملوكاً أو أقلّ ـ بكنابيش [عمل][6] الدّار وطُرُز

---

(١) في الأصل : « لصيود » ، وأثبتنا ما في (ق) ،. (س) ، والوافي والفوات .

(٢) امرأة السلطان ، كما في الوافي .

(٣) في الأصل :« صلاة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « ماعونها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) كذا في الأصل و (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « سبعون » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

ذَهَب ، والأمراء تركب في خدمته . وبالجملة ما رأى أحدٌ من المتعمّمين ما رآه القاضي كريم الدّين .

ولمّا ورد في صفر سنة ثماني عشرة وسبع مئة أمر ببناء جامع في آخر القبيبات[١] بدمشق ، فعمّره الصّاحب شمس الدّين غبريال ، وأخذ في العمل فيه بعد سفره .

قيل : إنّه طلبه السّلطان يوماً إلى الدّور فدخل ، وعادت [الخزندارة][٢] تروح وتجيء مرّات فيما تطلبه الخوندة طغاي ، فقال له السّلطان : يا قاضي ! أيش حاجَه لهذا التّطويل بنتك[٣] ، ما تختبئ منك ، ادخل إليها ، وأبصر الّذي تريده أفعلْه ، فقام ، ودخل إليها وسيّرَ[٤] قال لها : أبوك هنا ، أبصري له ما يأكل ، فأخرجت له طعاماً ، وقام السّلطان إلى كرمة في الدّور ، وقطع منها عنباً ، وأحضره في يده ، وهو ينفخه من الغبار ، وغسله بماءٍ بيده ، وقال : يا قاضي ، كُلْ من عنب دُورنا ، وهذا أمرٌ ما فرح به متعمّم .

وكان إذا أراد أن يعمل سوءاً ، ويراه قد أقبل يقول : جاء القاضي وما يدعنا نعمل شيئاً ممّا نريده ، فيحدّثه في إبطال ما كان قد همّ به من الشّرّ ، وفي مدّة حياة القاضي كريم الدّين لم يقع من السّلطان إلاّ خَيْر .

وأمّا مكارمه فحكى لي غير واحد بالقاهرة ـ جماعة لا يمكن تواطؤهم على نقل باطل ـ : أنه حضرت إليه امرأة رفعت له قصّة تطلب فيها إزاراً ، فوقّع في ظاهرها إلى الصّيرفي بِصَرْف[٥] مبلغ ثماني مئة درهم ، فلمّا رأى الصّيرفي ذلك ؛ أنكره ، وأوقفها ، وتوجّه إليه ، وقال : ياسيّدي ، هذه سألت إزاراً والإزار ما ثمنه هذا المبلغ ، فقال له :

---

(١) تذكرة النبيه : ٢/٩٠ .

(٢) في الوافي : « وبقيت الخزندارة » . والزيادة منه ومن (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « بينك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الوافي والفوات : « وسيّر السلطان » .

(٥) في الأصل : « يصرف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

صدقت ، وأخذ القصّة ، وقال : الأولى متاع الله تعالى ، وزادها مبلغ ثمانين ، وقال : هذه متاعي وقال : أنا ما أردتُ إلاّ ثمانين ، ولكنّ الله أرادها[١] ثماني مئة ، فوَزَنَ الصّيرفي للمرأة ثماني مئة درهم وثمانين درهماً .

وقيل : إنّه كان له صيرفي يستدعي منه ما يريد صرفه لمن يسأله شيئاً ، وإنّ الصّيرفي أحضر إليه مرّة وصولات ليست بخطّه فأنكرها ، فقال الصّيرفي : هذا في كل وقت يُحضر إليّ مثل هذه الوصولات ، فقال : إذا جاء أمسكه وأحضره ، فلمّا جاء على العادة أمسكه وأحضره إلى بابه فقيل : إن الصّيرفي وَقَع بالمزوّر ، فقال : سيبوه ، ما لي وجه أراه ، ثمّ قال : أحضروه ، فلمّا مثل بين يديه قال : ما حملك على هذا ؟ قال : الحاجة ، فقال له : كلّما احتجت إلى شيء اكتب به خطّك على عادتك لهذا الصّيرفي ، ولكن ارفق ، فإنّ علينا كلفاً كثيرة[٢] ، وقال للصّيرفي : كُلّما جاءك شيء من خطّ هذا فاصرفه ، ولا تشاور عليه .

وحُكي لي[٣] أنّه قبل إمساكه ضيّع [بعضُ][٤] بابيّةِ[٥] مماليك بكتمر السّاقي حياصَة ذهب ، فقال صاحبها للأمير ، فقال الأمير : إن لم يُحْضِر الحياصَة ، وإلاّ روحوا به للوالي ليقطع يده ، فنزلوا بذلك البابا[٦] ، فوجد القاضي كرم الدّين آخر النهار طالعاً إلى القلعة ، فوقف وشكا حاله ، فقال : أخّروا أمره إلى غدٍ ، فلمّا نزل إلى داره ؛ قال لبعض عبيده : خذ معك غداً حياصَة ذهب ، لنعطيها لذلك البابا المسكين ، فلمّا أصبح وطلع إلى القلعة أُمسك ، واشتغل النّاس بأمره ، ونسي أمر البابا ، ولمّا فرغ

(١) في (ق) ، (س) والوافي : « أراد » .
(٢) في (ق) : « كبيرة » .
(٣) ليست في (ق) ، (س) ، وهي ثابتة في الوافي .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٥) البابيّة : جماعة العمال في الطشت خاناه الذين يقومون بغسل الملابس وصقلها .
(٦) في الوافي : « البابي » ، وكذا في المواضع التي تكررت فيها .

النّاس طَلَب البابا ، وجهّز إلى الوالي ، فقال له رفاقه[١] : ما كان القاضي كريم الدّين وعدك ، رُوحْ إليه ، فقال : ياقوم ، إنسان قد أمسك وصودر ، أروح إليه ! فراح إليه ، وكان قد أُمر بالمقام في القرافة ، فلمّا دخل إليه ؛ شكا حاله ، فقال : يا بنيّ ، جئت إليّ وأنا في هذه الحالة ، ثمّ إنّه رفع المقعد ، وقال له : خذ هذه الدّراهم ، استعن بها ، كانت قريب الألفين ، فلمّا أخذها وخرج ؛ قال لذلك العبد : ما كنت قد أعطيتك حياصَة ذهب لهذ البابا ؟ فقال : نعم ، وهي[٢] معي ، فقال : هاتِها ، فأخذها ، وطلب البابا ، ودفعها إليه ، وقال : هذه الحياصَة أعطهم إيّاها والدّراهم أنْفِقْها ، فطلع بالحياصَة ، وأعطاها للمملوك ، فدخل بها المملوك للأمير سيف الدّين بكتمر السّاقي ، فطلب البابا ، وقال له : قل لي أمْرُ هذه الحياصَة كيف هو ؟ فحكى له ما جرى له مع كريم الدّين ، فقيل لي : إن بكتمر السّاقي لطم وجهه ، وقال : يا مسلمين ! [مثلُ][٣] هذا يمسك أو يؤذى ؟! وما إمساك كريم الدّين برضى بكتمر .

وحكى لي القاضي شهاب الدّين أحمد بن فضل الله أنّه بلغه أنّ القاضي علاء الدّين بن عبد الظّاهر والقاضي نجم الدّين بن الأثير قعدا يوماً على باب القلّة[٤] وأُجري ذكر كريم الدّين ومكارمه ، فقال علاء الدّين بن عبد الظّاهر : ما مكارمه إلاّ لمن يخافه ، فهو يُصَانع بذلك عن نفسه ، فما كان بعد يومين أو ثلاث إلاّ حتّى احتاج نجم الدّين بن الأثير إلى رصاص يستعمله في قدور حمّام ، فكتب ورقة إلى كريم الدّين يسأل فيها بيع جُمْلَة من الرّصاص بديوان الخاصّ ، فحمل إليه جملة كبيرة ، فضل له منها عمّا احتاج إليه ثلاثون قنطاراً ، ولم يأخذ عن[٥] ذلك ثمناً ، وأمّا علاء الدّين بن عبد الظّاهر ؛ فإنّه تركه يوماً في بستانه ، وانحدر إليه في البحر ، فلم يدر به إلاّ وقد

---

(١) ليست في (س) ، وفي الوافي : « رفقاه » .

(٢) في (ق) ، (س) والوافي : « وهذه » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي والفوات .

(٤) في الأصل : « القلعة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

أرست حرّاقته على زربيّة[١] علاء الدّين ، فنزل إليه ، وتلقّاه ، ودهش لقدومه ، فحلف أنّه ما يأكل ما يحضره إليه من خارج البستان ، ومهما كان طعام ذلك [النهار][٢] يحضره ، فأحضر له ما اتّفق حضوره ، وقال له : يا مولانا [أنا][٣] ما أعلمتك بمجيئي ، ولكن أنا مثل اليوم ضيفك ، ولكن لا ألتقي[٤] هذه العَمارة على هذه الصّورة ، وشرع رتّبها على ما أراد ، وخرج من عنده ، فلم يشعر علاء الدّين ذلك اليوم إلاّ بالمراكب قد أرست على زربيّته بأنواع الأخشاب والطّوب وأفلاق النّخل والجبس والمهندسين والصّنّاع والفعول ، وكلّ ما يحتاج إليه ، وأخذوا في هدم ذلك المكان ، وشرعوا في بنائه ، على ما قال لهم ، فلم يأتِ على ذلك خمسة أيّام أو ستّة إلاّ وقد تكامل ورُخّم وزُخرف بالذّهب واللّازورد ، وفرغ منه ، فلمّا كان قبل الميعاد بيوم جاء إليه مركب مَوْسُوق[٥] بأنواع الغنم والإوزّ والدّجاج الفائق وغيره ، والسّكّر والأرز ، وجميع ما يطبخ حتّى الخافي والماعون الصّيني والجبن ومن يقليه ، وعُمِلَ الطّعام الفائق المختلف ومُدّ السّماط العظيم ، ونزل القاضي كريم الدّين ومعه من يختاره وجاء إليه ، وجد[٦] الدّار قد عمّرت على ما أراد ، والطّعام قد مُدَّ سماطه ، فأكل هو و [من][٧] معه ، وأحضر أنواع الفواكه والحلوى والمشروب ، ولمّا فرغ من ذلك أحضر بُقْجَة كبيرة ، أخرج إليه منها ما يصلح للنّساء من القماش الإسكندري وغيره ، وما يصلح للملبوس علاء الدّين ، وقال : هذه خمسة آلاف درهم يَكْسُو بها مولانا عبيده وجواريه على

---

(١) الزربيّة : كوخ جدرانه من جرائد النخل ، يتخذه المرء مأوى يرتاح فيه . ووقع في الوافي : « زريبة » .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « أكتفي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٥) أي : محمّل ، وفي (ق)، (س) والوافي والفوات : « موسق » .

(٦) في (ق) ، (س) : « ووجد » .

(٧) زيادة من (ق) ، (س) .

ما يحبّه ويراه[١] ، وهذا توقيع تَصَدَّق به مولانا السّلطان على مولانا [فيه][٢] زيادة معلومٍ دراهمَ وغلّة وكسوة ولحم وجِراية ، ونزل يركب ، ونزل معه علاء الدّين ، فلما ركب وفارقه ، قال : يا مولانا علاء الدّين ! والله هذه الأشياء أنا أفعلها طباعاً[٣] ، وأنا لا أرجوك ولا أخافك .

وقيل : إنّه مرّة شرب دواء ، فجُمع له كلّ ما دخل القاهرة ومصر من الورد ، وحُمِل إلى داره وَبُسط ذلك الورد إلى كراسي الطّهارة[٤] ، وداس النّاس ما داسوه ، وأُخذ ما فَضُلَ أباعه[٥] الغلمان للبيمارستان بمبلغ ثلاثة آلاف درهم .

وكان السّلطان قد فوّض إليه نظر البيمارستان المنصوري ، فنمت أجور أوقافه ، وعمرت [وعمّر][٦] البيمارستان ، وكان كلّما دخل فيه تصدّق بعشرة آلاف درهم ، ومات [مرّة][٧] من الزَّحمة ثلاثة أنفس .

وبالجملة ، فما سمعت عنه بالدّيار المصريّة إلاّ كلّ مكرمة غير الأخرى يُبتدع فعلها ولم نسمعها عن غيره . وهو الّذي صدّق أخبار البرامكة ، ومن رئاسته الكاملة أنّه كان إذا قال : نعم ؛ كانت نعم ، وإذا قال : لا ؛ فهي لا ، وهذه الخلّة تمام الرّئاسة .

وكان في كلّ أوّل ثلاثة الشّهور رجب وما بعده من كلّ سنة يُخرج كلَّ من كان في الحبوس من الولاية ، ومن حَبْس الشّرع ، وما يدع في الحبوس أحداً ، إن كان عليه دين أوفاه ، أو على قضيّة معضلة أحضر الغريم ، وتوصّل إلى رضاه بكلّ طريق ، وعمّر

---

(١) في (ق) ، (س) والوافي والفوات : « على ما يراه » .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي ، والفوات .
(٣) في الوافي : « طبعاً » .
(٤) في الوافي : « كراسي بيت الماء » .
(٥) في الأصل : « أباحه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وفي الوافي : « وأباعه » .
(٦) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٧) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

بالزّربيّة جامعاً ومَيْضأه ، وعمّر في طُرق الرّمل البيّارات ، وأصلح الطّرق ، وعمّر في دمشق جامع القبيبات وجامع القابون ، ووقف عليهما الوقوف الجيدة .

وكان عاقلاً وقوراً داهية ، جزل الرأي بعيد الغور ، يحبّ العلماء والفضلاء ، ويبرّهم[١] ويحسن إليهم أخبرني الشّيخ شهاب الدّين العسجدي ، قال : كنت ليلةَ عيد مع الشّيخ صدر الدّين ونحن متوجّهان إلى القرافة ، فعرض لنا فقير ، وقال للشّيخ : ياسيّدي ، شيء لله ، فقال لي : كم معك ؟ قلت : مبلغ مئتي درهم ، فقال : ادفعها إلى هذا ، فقلت : ياسيّدي غداً العيد ! فقال : لاعليك ، توجّه إلى القاضي كريم الدّين ، وقُلْ له : الشّيخ يسلّم عليك ، ويهنّئك بالعيد ، فتوجّهت إليه ، وقلت لهُ ذلك ، فقال : كأنّ الشّيخ مفلّس في هذا العيد ، ياطُطاج - مملوكه - ادفع إلى رسول الشّيخ ألفي درهم ، قال : فأخذتها ، وجئت بها إليه ، فقال الشّيخ : صدق رسول الله ﷺ : الحسنة بعشرة .

قدم من [ثغر][٢] من الإسكندريّة مرّة في نوبة الحريق الّذي وقع بالقاهرة[٣] ، فغوّت بهِ الغوغاء ، ورجموه ، فغضب السّلطان ، وقطع أيدي أربعة ، ثمّ إنّه مرض في ذلك العام قبل الواقعة ، ولمّا عوفيَ زُيّنت القاهرة ، وتزاحم الخلق ، واختنق واحد .

ولمّا انحرف عنه السّلطان أمر للأمير سيف الدّين أرغون النّائب بالقبض عليه ، فلمّا أراد بكرة النّهار الدّخول إلى السّلطان على العادة طلبه إلى بيته وأمسكه ، وأُوْقعَت الحوطة على دوره وموجوده ، وأمسك ولده علم الدّين عبد الله ، وكان يوماً عظيماً ، وذلك يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين [وسبع مئة][٤] ، وبقي في بيته أيّاماً ، ثمّ إنّه رُسِمَ له بالنّزول إلى تربته بالقرافة ، فتوجّه إليها ، وأقام بها .

---

(١) في (ق) ، (س) : « ويقربهم » .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .
(٣) زاد في الوافي : « ونسب إلى النصارى » .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

وفي جمادى الآخرة رُسم بتسفيره إلى الشّوبك ، فأقام به إلى أن رُسم له بالحضور إلى القدس ، فوصل إليه تاسع عشر شوّال من السّنة المذكورة ، فأقام به يُحسن إلى الفقراء والمجاورين والزّوّار ، إلى أن رُسم له بالعِودة[١] إلى مصر ، فتوجّه من القدس في حادي عشر شهر ربيع الأوّل سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولمّا وصل إليها أخذ ما كان من ذخائره وحواصله وموجوده ، ورُسم له بالتّوجّه إلى أسوان ، فأقام بها إلى أن توجّه إليه الأمير ركن الدّين بيبرس الفارقاني ، وأصبح على ما قيل مشنوقاً بعمامته ، وقيل : إنّه لمّا أحسّ بقتله توضّأ ، وصلّى ركعتين ، وقال : هاتوا ، عشنا سعداء ، ومتنا شهداء . وكان النّاس يقولون : ما عمل أحدٌ مع أحدٍ ما عمله السّلطان مع كريم الدّين أعطاه الدّنيا والآخرة .

وكان قد طَلَبَ الحجّار وستّ الوزراء ، وسمع عليهما[٢] (صحيح) البخاري بقراءة شيخنا ابن سيّد النّاس ووصلها ، ووصل الشيخ بجملة ، وكتب له بها نسخ وذُهّبَتْ وجُلّدت .

وكتب إليه شرف الدّين القدسي :

إذا ما بار فَضْلُك عِنْدَ قَوْمٍ ... قَصَدْتَهُم ولم تَظْفَرْ بطائلْ
فخلّهمُ خَلاكَ الذّمُّ واقْصِدْ ... كريمَ الدّين فهو أبو الفضائلْ

وأنشدني[٣] إجازة شيخنا أبو الثّناء شهاب الدّين محمود ، ما كتب به إلى القاضي كريم الدّين يتقاضاه سكراً له في الدّيوان :

أيّها السّيّدُ الّذي لو تَجَارى ... جُودُه والْحَيَا لقَصّر وَبْلُه
والكريمُ الّذي تفرّدَ في الْجُو ... دِ فلم يُلفَ في المكارم مِثْلُه[٤]

(١) في (ق) ، (س) : « بالعَوْد » .
(٢) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) الكلام من هنا حتى آخره زاده المصنف على الوافي .
(٤) في (ق) ، (س) : « بالجود » .

والّــــذي كُــلُّ مـــا تفرّقَ بين النّـ ـــاسِ مِنْ فَرْعِ نـائلٍ فهـو أَصْلُـه
والّــذي كلُّ مـــا يُقـــال مِنَ الأو صـافِ والْمَـدْحِ والثّنـا فهـو أَهْلُـه
عَمّ معروفـــــهُ وتّمت أيــــــاديـ ـه ، وزادت عليـاه وامتـدَّ فضلـه[١]
وسَما نَيْلُــــــه على النّيــــلِ إذ في كلّ يـوم إنْ تـأتِـه فـاض فَضْلُـه
وهمى جُـودُه فلـو لم يُسَـلْ سـأ ل ومَنْ لم يَقْصِـدْه وافـاه بَـذْلُـه
ليَ رَسْمٌ على نَـــــداك مِنَ السّكّـ ـر هـــذا أوانُــــه ومَحلُّـــه
وخصـوصـاً والعَبْـدُ مِنْ إثرِ ضعفٍ آده ثقْلُـــه وأعيـــاه حَمْلُـــه
ليَ منّي تصحيفُـــه في نِظَـــامٍ يتقـــاضـــاه عَقْــدُه أو حَلُّـــه
مثْــل مــولاي مَنْ يرى الشّكر أولى فهــو آل النّـدى ويُصبيـه فعْلُـه
فابْق واسْلَمْ يُعزى إليـك النّـدى والـ ـجـود والفَضْـلُ والتّطـوُّل كلُّـه
مـا تغنّت ورقـاءُ في الـوَرَق النّضـ ـر وحلّى معـاطِفَ الدّوحِ ظِلُّـه[٢]

وممّا رثى به الشّيخ شهاب الدّين أحمد بن غـانم للقـاضي كريم الدّين - رحمه الله تعالى - :

كريمَ الــــدّينِ عِشْتَ بكُــلِّ خَيْرٍ ومتَّ ممــــــاتَ كُـــلِّ فتىً كريم
شهيــــداً قـــد دَرَجْتَ بغيرِ ذَنْبٍ ولا إثمٍ يُــــــؤَثّم لـــــــلأثيم
بلغت جميـع مـــا تختـــارُ حتّى بلـــوغِـــك رحمـــةَ الله الرّحيم
إلى جنّـات [عـدن] صِرْتَ يـا مَنْ لـــه تشتـــاقُ جنّـــاتُ النّعيمِ[٣]
وجُـدتَ بمـا حَوَت كفّـاك فينـا لأرملــــــة وشيـــــخ أو يتيم
ولــــــــــلأمراءِ والفُقراءِ حتّى لأَثْرى كُـل مُحتــاجٍ عـــديمِ[٤]

(١) في (ق) ، (س) : « عليائه وامتد ظله » .
(٢) في الأصل : « ورق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) زيادة من (ق) ، (س) .
(٤) في الأصل : « لاترى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

ففي دُنيـــاك فُــزْتَ بكُــلّ حَـــظٍّ وفي أُخراك بــــــــالأَجْرِ العظيم
وقــــد خلّفت مــــا يبقى إلى أن تقــومَ قيـــامــــةُ العَظْمِ الرميم[1]
من الـــــذّكرِ الجميــلِ لكُــلّ صُنْــعٍ حـــديثٍ منـــك أو بِرٍّ قـــديم
منـــاقبُ خصّهـــا الرّحمنُ منـــه بمـــا قـــد عمَّ مِنْ فَضْـــلٍ عَميم
وبـــالْمَـــدْحِ الْمُضَمَّنِ كُــلَّ حَمْــدٍ وشُكْرٍ ظَـــــاعِنٍ لثنــــاً مُقيم
ومـــــا أبقيتَ في قلبي جَـــواه الـ ـمُجـــــدِّدَ للهمُـــومِ وللغُمـــوم
لقــد جرّعْتَ حين جَرَعْتَ كأس الـ ـحِمَـــامِ فتـــاك كاســـاتِ الحميم
ففي الجنّــــات أنت بغير شـــكٍّ ومن خَلَّفْتَ في نـــــــار الجحيم
ويُحسب من تَصَبُّره سليـــــــاً وكيف وليلُـــــه ليـــلُ السّليم[2]
يقضّي ليلـــــــه بتعلّـــــلاتٍ ويخلـو في دُجَـــاه بـــالهمـــوم
فـلا تَبْعَـــد فـــإنّ المـوت آتٍ على المخـــدوم منّـــا والخـــديم

١٠٣١ ـ عبد اللّطيف بن بلبان*

ابن عبد الله السّعودي ، الشّيخ الصّالح الفاضل سيف الدّين أبو محمّد .

كان خليفة الشّيخ عُمَر السّعودي مدّة ، ثمّ ولي المشيخة ولدُ الشّيخ عمر .

سمع من ابن عزّون ، والْمُعين ابن القاضي الدّمشقي[3] ، وخَرَّجَ لـه شهـابُ الـدّين الدّمياطي (جزءاً) . وكان فيه خيرٌ وديانة ، وله شِعْرٌ وكلام على طريقة القوم .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر ربيع الآخر سنة ستّ وثلاثين وسبع مئـة ، ودفن بالقرافة ، وكتب في الإجازات .

(١) في الأصل : « العظم العظيم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) السليم : الملدوغ .
* الوافي : ١٢٠/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ ، ويعرف أيضاً باسم بلبان بن عبد الله السعودي ، الدرر : ٤٩٢/١ ، وسيكرر المصنف الترجمة باسم : عبد اللطيف الشيخ سيف الدين .
(٣) هو المعين أحمد بن علي بن يوسف (ت ٦٧٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

١٠٣٢ - عبد اللّطيف بن خليفة*

الصّدر الْمُعَظّم الفاضل شمس الدّين العَجَمي أخو النّجيب كَحّال غازان وغيره .

كان النّجيب المذكور له صورة كبيرة ، ومحل زائد عند ملوك الْمُغُل ، وكان أخوه [هذا][1] شمس الدّين عبد اللّطيف قد تسمّى في تلك البلاد بالملك الصّالح ، ووَرَدَ إلى الدّيار المصريّة ، فأُكْرِمَ كثيراً إلى الغاية .

وكان أديباً فاضلا ، لبيباً عاقلا ، على ذهنه غوامض من العربيّه ، وعنده نكت ظريفة أدبيّه ، يترسّل بغير سجع ، وينبت[2] في طروسه أزاهر بغير رَجْع ، لكن بعبارةِ فاضل ، بحّاث[3] مناضل ، يشتشهد على مقصوده بالآيات الكريمه ، والأحاديث القويّة والحكمة القديمه ، والأشعار[4] الرّائقه ، والفِقَر الفائقه ، وخطّه قَوِيّ إلى الغاية من [عادة][5] تعليق العجم ، وشِبْه الزّهر الّذي أينع لَمّا نجم ، وله مداخلات مع السّلطان وغيره مِنْ أَرْباب الدّوله ، ومِمّن له في الدّهر جوله ، يتحدّث بالتّركي والعجمي فصيحا ، ويَذَرُ من[6] يجادله في الوقت طريحا .

وكان له إقدام على الأكابر ، وجُرأة على أرباب السّيوف والمحابر ، ويحضر عند السّلطان في بعض الأحيان ، وينفع من يُريد ، ويُضرّ بكلّ لسان .

ولم يزل على حاله إلى أن مرِضَ بفالج ، فكَابد منه ألماً يعالج من بَرْحِهِ ما يعالج ، ثمّ إنّه بطلت حركاتُ جوارحه ، وقُيّدت مُطْلَقَات سوارحِه .

* الوافي : ١٢١/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ .
(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) في الأصل : « ويثبت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٣) في الأصل : « نجاب » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٤) في الأصل : « والأشغال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٥) زيادة من (ق) ، (س) .
(٦) في الأصل : « وعير بمن » تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الاثنين سلخ المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وَجَدُوه غريقاً في البركة ، ودفن في مقابر باب النّصر .

وكان له من الرّواتب في تلك الأيّام ما يقارب الألفي درهم ، واجتهد بدهائه ، إلى أن جعل ذلك في جملة رواتب المماليك السّلطانيّة حتّى[1] إنّ المستوفين لا يتعرّضون له إذا عملوا اِسْتِيماراً ، وكان الأمير سيف الدّين أرغون النّائب إذا رآه في القلعة يقول : ما أحسدُ إلاّ هذا الشّيخ الّذي له في كلّ شهر ألفا درهم ، وهو دائر بطّال بلا شُغْل .

وكان يحضر عند السّلطان في سِرْيَاقوس ، ويتكلّم بين يديه بالنّفع والضّرّ لمن يريد ، لأنّه كان خبيراً بأخلاق الملوك ، ومخاطباتهم وسياساتهم . قال لي من لفظه : أنا أتعيّش بين النّاس ، وأتجوّه[2] عندهم بكلّ جلْسَة أجلسها بسرياقوس عند السّلطان عدّة شهور .

وكانت له خصوصيّة بالقاضي فخر الدّين ناظر الجيش[3] ، وبالقاضي علاء الدّين بن الأثير كاتب السّرّ ، ونَفَع جماعة ، وهو كان أحدَ من ساعد الخطيب جلال الدّين القزويني على تَوَلِّيهِ قضاء القضاة بالشّام وعلى الحضور إلى قضاء الدّيار المصريّة .

ودخل يوماً إلى القاضي مجد[4] الدّين بن لُفَيْتَة ، وهو ناظر الدّولة ، يطالبه برتّبه وألحّ عليه ، وزاد في الإبرام ، فقال له : يا مولانا كلّ شهر ألفا درهم ، ما تُمْهِلْ علينا بشهر واحد ؟، فقال : يا مولانا هذه الألْفَان الّتي لي ما تكفي هذا عبدَك الّذي يحمل دواتك أن يَشْربَ بها نبيذاً ، فلم يُجِبْهُ بكلمة ، وصَرَف له ما أراد .

(١) في الأصل : « على »، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) مِنَ الجاه .
(٣) في (ق) : « الجيوش » .
(٤) في الأصل : « نجم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وكان إذا حضر عند فخر الدّين ناظر الجيوش أخذ الورقة من يده ، ونتشها بعنف ، ورمى بها ، وقال[١] : خَلِّنا من هذه ، وتحدّثْ بنا في شأننا .

وكان شيخاً تامّ القامة ، أعشى البصر قليلاً ، ذا عمّة [صغيرة][٢] كأنّها تَخْفِيفة ، وكان لا يخاطَبُ إلاّ بمولانا ، وكات يدّعي أنّه قرأ المنطق على الأثير الأبهري[٣] .

وكانت له دار مليحة على بركة الفيل ، وله أموال وجواهر نفيسة ، رأيته يوماً وقد دخل إلى الأمير شرف الدّين حسين بن جندر بك ، وقد انقطع الأمير من وجع مفاصل كان يعتريه في رجليه ، وكان قد غاب عنه مدّة ، فلمّا رآه مقبلاً ؛ قال له : يا مولانا ! أين كنت في هذه الغيبة ؟ واويلاه من يدك ، فقال له شمس الدّين عاجلاً : واويلاه من رجلك .

وكان أصله بتلك البلاد يهوديّاً ثمّ أسلم ، ولمّا انفلج جاء إليّ الشّيخ شمس الدّين محمّد [ابن][٤] الأكفاني ، وقال لي[٥] : يا مولانا الآن . كما[٦] أسلم شمس الدّين العجمي ، فقلت له : كيف ذلك ، وهو قديم الإسلام ؟! فقال : لأنّ المسلمين سلموا من يده ولسانه ، يعني بالفالج الّذي حصل له .

أخبرني من لفظه العلاّمة شيخ الإسلام ، قاضي القضاة تقيّ الدّين السّبكي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : اجتمع يوماً شمس الدّين ، والأمير ناصر الدّين بن البابا ، وشجاع الدّين التّرجمان ، ونجم الدّين بن قاسم بن مرداد ، فقال ناصر الدّين : أَخْبَرني

(١) في (ق) ، (س) : « وقال له » .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) هو أثير الدين المفضّل بن عمر ، كما ذكر الصفدي في الألقاب من الوافي : ١٨٩/٦ ، وتوفي هذا المذكور سنة (٦٦٣ هـ) ، انظر : الأعلام ٢٧٩/٧ .
(٤) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٥) في الأصل : « له » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .
(٦) كذا وقع في الأصول ، وفي الوافي : « لما » ، وفي بعض أصوله : « كما » ، وسياق الكلام على إسقاطها .

هذا ، وأشار إلى أحد الاثنين ، فقال شمس الدّين : من هو هذا ؟ ﴿ إنّ البَقَر تَشَابهَ علينا ﴾[١] فقال شجاع الدّين : [مولانا][٢] ، من قال هذا الكلام . فقال شمس الدّين : الّذين قال الله في حقّهم : ﴿ يا بني إسرائيل اذكر نِعمتي الّتي أنعمتُ عليكم وأنّي فَضَّلْتكُم على العالمين ﴾[٣] ، فقال شجاع الدّين : مولانا ، حاشاك تقول مثل هذا !، وإنّما قال الله في حقّهم : ﴿ وضربت عليهم الذّلّة والمسكنة ﴾ الآية[٤] ، أو كما قال .

ولّما دخلت القاهرة[٥] اجتمعت به في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فرأيت منه رجلاً داهية ، خبيراً بما يتكلّم به ، يغلب عليه العقليّات ، ويستحضر من كلام الحكماء جملة وافرة ، وينقل كثيراً ممّا يذاكر به من فنون الأدب ووقائع النّاس ، خصوصاً وقائع ملوك المغل ، وله ذوق جيد في الشّعر ، وتَفَضَّل في حقّي كثيراً - رحمه الله - ونوّه بذكري عند الأكابر وأثنى عليّ ثناء كثيراً انتفعت به ، شكوت إليه يوماً من بعض الكتّاب ، فقال لي : مولانا القواهر العلويّة دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتصّ من الظّالم للمظلوم ، ومن الحاكم للمحكوم[٦] .

وكتبتُ أنا إليه في أوّل شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة :

يا مَنْ بِحَبْلِ وَلائِه أتمسَّكُ ... وبِذِكْرِه بين الورى أتمسّكُ
أَوْلَيتَني نِعماً غَدَتْ تترى فما ... تُدرى وغايةُ شُكرها لا تُدْرَكُ
وأَفَدْتني فَضْلاً بكُلِّ نفيسةٍ ... تُشرى فجودُكَ في الورى لا يُشرَكُ
أنتَ المبوّأُ ذِرْوةَ الْمَجْدِ الّتي ... عزّت فما لِسوَاك فيها مَسْلَكُ

(١) البقرة : ٧٠/٢ .
(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .
(٣) البقرة : ٤٧/٢ .
(٤) البقرة : ٦١/٢ .
(٥) في (ق) ، (س) : « إلى القاهرة » .
(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

حُزْتَ السِّيادَة في الأنام وأنت في ... أهْل العلوم على الجميع مُملَّكُ
كلٌّ ينامُ عَنِ الْمَحامِد والعُلا ... وإذا دُعي لفضيلةٍ يَسْتَدْرِكُ
إلاّ عَزائمُك العليّةُ كم لها ... في كَسْب ذلك باعثٌ ومُحرِّكُ
وتجود مُبتدِئاً ومالَكَ مَقْصَدٌ ... إلاّ طِباعُ فتىً غدا يَتبَرْمَكُ
شِيمٌ من النّفس الأبيّةِ أشْرَقَتْ ... أبداً تُقادُ إلى الجميل وتُمْلَكُ
وغدت مرنّحةً بما تُوْلي الورى ... صُنْعاً جميلاً شأوه لا يُدرك
هذَّبْتَها بمعارفٍ قُدسيّةٍ ... فتَبيْتُ تُصْقَلُ بالعلوم وتُسْبَكُ
حتّى لَقَد خَلَصَتْ ونَوَّر ذاتَها ... عِرفانُ مَنْ بجَنابه تَتمسّكُ
إنْ لم يكن هذا فكيف بَرَزْتني ... وجعلْتَ ثَغْرَ الدهرِ نحوي يَضْحَكُ(١)
يا شمسَ فَضْلٍ ظلُّه المبسوطُ لي ... أنا من سَناه في الورى أتبرّكُ
سطّرْتَ ما أوليتني ذهباً على ... وَجْهِ الزّمان وذا المديحُ يُزمِّك
فتهنَّ شهراً قد أتاك مبشّراً ... يا خير مَنْ بصيامه يُتَنَسّكُ
واسْلَمْ ودُمْ في كلّ خيرٍ وافرٍ ... من حيث يأتي لا يُمَلُّ ويُتْرَكُ(٢)
ما بات ضوءُ الشّمس يَصْقُلُ جدولاً ... ويروحُ مِنْ نَفَسِ الصَّبا يتفرَّكُ

١٠٣٣ ـ عبد اللّطيف بن محمد بن سند*

سراج الدّين التّاجر الكارمي الإسكندراني .

كان من أعيان الكارم ، وذوي الجود والمكارم ، رئيساً وجيهاً ، فاضلاً نبيهاً ، وقف وقوفاً جيّده ، وبنى مدرسة بالثغر للمحاسن متصيّده ، وسمع وروى ، وأطنب في ذلك وما غَوى ، وله (ديوان) كلّه أمداح نبويّه ، ومحامد على خير البريّه .

(١) في الأصل : « الزهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .
(٢) في (ق) ، (س) : « كل سعد » .
* في الوافي : ١٢٣/١٩ ، واسمه فيه : « عبد اللطيف بن الرشيد الربعي التكريتي الكارمي » . والدرر : ٤١٠/٢ ، وتذكرة التنبيه : ٦٠/٢ .

ولم يزل على حاله إلى أن طَفِئ سِرَاجُه ، وكَمُلَ نَقْدُ عُمْرِه وخَراجُه .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد سمع من النّجيب ، وابن فارس[١] ، وغيرهما ، وحدّث وسمع منه الأعيان .

ومن شعره :

لي بالأُجَيْرعِ دونَ وادي المُنْحنَى ... قَلْبٌ تُقَلِّبُه الصّبابةُ والضنا[٢]
غارُوا عليه بالغُويرِ ويمَّموا ... نَجداً سُحَيْراً واستقلوا أيْمَنا
مَلَكُوه منّي بالمكارم والعُلا ... وحَمَوْه عنّي بالصّوارم والقَنَا
أتبعتُهُمْ يومَ استقلّتْ عِيْسُهم ... بحُشاشةٍ أَلِفَتْ معاناةَ العَنَا
ونثرتُ من جَفْنِي عقيقَ مَدَامعي ... حين التّفرُّقِ فاستحالت أعْيُنَا[٣]
وسَرَتْ بيَ الهُوجُ البوازِلُ تَرْتمي ... ليلاً ولذّ لَها الفَناءَ على الفَنا[٤]
حتّى إذا أهدت لنا ريحُ الصَّبا ... عَرْفَ الخُزامى زال عنها ما عنى
فأنخت نِضْوي ثمّ قلتُ لها : قفي ... مهلاً رويدك فالمُعَرَّسُ ههنا

وأنشدني من لفظه العلاّمة أبو حيّان قال : ومن شعر سراجِ الدّين المذكور :

ما للنياقِ عن العَراقِ تميلُ ... تهوى الحجازَ ومَا إليه سَبيلُ[٥]
ذكرَتْ لياليَها المواضي بالحِمى ... والوَجْدُ منها سائِقٌ ودَليلُ[٦]

(١) هو إبراهيم بن أحمد (ت ٦٧٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .
(٢) في الأصل : « والعنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر ، والتذكرة .
(٣) في الدرر : « مدامع » .
(٤) الأولى : ضرب من النبات تأكله الإبل ، والثانية : جبل بنجد .
(٥) في الوافي : « عن الفراق » ، تصحيف .
(٦) في الوافي : « سابق » .

واستَنْشَقت عَرْفَ الخزامِ وشاقها ... ظِلٌّ بأكنافِ الغُوَيْر ظليلُ
عَجَباً لها تَهوى النّسيمَ تعلُّلاً ... بنسيمِ رامةَ والنّسيمُ عليلُ
تَرِدُ النُّقَيْبَ وما تبلُّ به صدىً ... وتَوَدّ لو أنّ العُذَيْب بديلُ
لله ليلتُها وقدْ لاحَتْ لها ... أعلامُ يثربَ واستبانَ نخيلُ
وبَدا لها شِعْبُ الثّنيّةِ فانْثَنَتْ ... تَهْتزّ منْ طَرَبٍ به وتَميلُ
يَحْدُو لها حادي السُّرى مترنّماً ... ما بَعْد طيّبةَ للرّكاب مَقيلُ
يا سائقَ الوجناء عرِّجْ بالغضا ... فهُنَاك عُرْبٌ بالأراك نزولُ[1]
دارٌ لعَزّةَ ما أعزَّ جوارَها ... وظِلالُها للوافدين نزُولُ
للنّوقِ مَرْعاها البهيجُ وللعِدَى ... نَقِمٌ تهيجُ وللجيادِ صَهيلُ
فإذا حَلَلْتَ فللظباءِ مراتعٌ ... وإذا رحلت فللحمَامِ هديلُ

١٠٣٤ ـ عبد اللّطيف بن أحمد*

ابن محمود بن الإمام الفاضل التّاجر ، سراج الدّين بن الكُوَيْك ، بكاف أولى مضمومة ، وبعدها واو مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وبعدها كاف أخرى .

كان فاضلاً جَيّدَ العربيّه ، والمقاصدِ الدّقيقة الأدبيّه ، حسنَ الشّكالة والمحيّا ، لو حاول القَمَرُ حُسْنَه ما تمّ له وما[2] تهيّا ، حسن النظم البارع ، جيّد الذّهن فيما يفهمه وإليه يُسَارع .

سمع بقراءتي على شيخنا أثير الدّين كثيرا ، وكان يُحِلّني من قلبه محّلاً أثيرا .

---

(١) في الوافي : « بالغضا » ، تصحيف . وفي الأصل : « لاتزال نزول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٢٤/١٩ ، والدرر : ٤٠٥/٢ .

(٢) في (ق) ، (س) : « ولا » .

توجّه إلى التَّكْرور[١] بتجارة فلم يَكُر ، وحلَّ به من الموت هناك الأمر النُّكُر .

وتوفّي هناك ـ رحمه الله ـ سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

اجتمعت به غير مرّة ونحن نَحْضُر حلقة شيخنا أثير الدّين ، وسمع بقراءتي جملة[٢] ، وكان شافعيَّ المذهب ، قدم دمشق سنة عشر وسبع مئة ، وسمع بنت البطائحي[٣] وإسحاق الأسدي وابن مكتوم .

وقفتُ على ثلاثة أبيات بخطّه كتبها على مصنّف لشيخنا العلاّمة شيخ الإسلام تقيّ الدّين السّبكي سمّاه (كلّ وما [عليه][٤] تدلّ) وهي :

لله دَرُّ مسائلٍ هَذَّبْتَها ونفيت خُلْفاً عُدّ خَلْفاً تَقْلُه
وحَلَلْتَ إذ قيّدت بالشّرطين ما أعيا على العلماء قبلك حَلُّه
فَعَلا على الشّرطين قَدْرُك صاعداً أَوْجَ العلوم وفوق ذاك محلّه

١٠٣٥ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

ابن عبد السّلام ، الفقيه محيي الدّين بن الشّيخ عزّ الدّين السُّلَمي الدّمشقي الشّافعي .

روى عن ابن اللَّتّي ، وطلب الحديث بنفسه بالقاهرة وقرأ على الشّيوخ ، فكان أفضَلَ الإخوه ، وهو من بينهم صاحب القريحة والهمّة والنّخوه ، قرأ الفقه وتميّز ،

(١) قال ياقوت : « بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه النّاس بالزنوج » . معجم البلدان : ٣٨/٢ .
(٢) عبارة الوافي : « وسمع بقراءتي جملو من شعر الشيخ أثير الدين » .
(٣) فاطمة بنت علي بن عساكر (ت ٦٨٣ هـ) ، الشذرات : ٣٨٣/٥.
(٤) زيادة من (ق) ، (س) .
* الوافي : ١١٩/١٩ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٠/١ .

وانزوى إلى زاوية العلماء وتحيّز ، وكان يعرف تصانيف والده جيّدا ، ولم يكن عن معرفة غيرها متحيِّدا .

ولم يزل على حاله إلى أن لقي عبد السّلام من ربّه سَلاَما ، ولم يسمع مُحادِثُه منه كلاما .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ستّ وتسعين وستّ مئة ، وقيل : سنة خمسٍ[1] .

١٠٣٦ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

الشّيخ مجد الدّين بن تيميّة الحرّاني الحنبلي .

روى عن جدّه ، وعن عيسى بن سلامة ، وابن عبد الدّائم[2] . وخطب بحرّان سنوات ، وكان عدلاً خيراً .

توفّي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٠٣٧ ـ عبد اللّطيف بن محمد**

ابن الحسين العلاّمة أبو البركات بدر الدّين بن[3] شيخ الشافعيّة القاضي تقيّ الدّين بن رزين الْحَمْوي المصري الشّافعي .

كان إماماً تفنّن ، وعرف المذهب وتعيّن ، ودرَّسَ وأفتى ، وحَسُنَ وصفاً ونعتا ، أعاد لأبيه ، وولي قضاء العسكر ، فلم يكن له فيه شبيه ، ودرّس بالظّاهريّة ، وخطب بالجامع الأزهر .

---

(١) وولادته كما في الوافي : سنة ثمان وعشرين وست مئة .

* الوافي : ١١٨/١٩ .

(٢) في الأصل : « وابن عبد السلام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

** الوافي : ١١٧/١٩ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٤٠٩/٢ ، والشذرات : ٢٦/٦ .

(٣) ليست في الوافي .

ولم يزل على حاله إلى أن خَفَّ ابن رزين على نعشه ، وبَلَّه وَبْلُ الرّدى بطَشِّه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ثامن عشري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستّ مئة .

وحَدَّثَ عن عثمان خطيب القرافة ، وعبد الله ابن الْخُشُوعي ، وغيره ، وكان قد حفظ (الْمُحَرّر) في الفقه[١] .

وكان فقيهاً كبيراً قد تولّى الإعادة لوالده ، وهو ابن عشرين سنة ، وأفتى ، وناب في الحكم بالقاهرة وقَلْيوب ، وولي قضاء العسكر في حياةِ والده ، واستمّر على ذلك إلى أن مات ، أكثر من ثلاثين سنة .

ودرس بالمدرسة الظّاهريّة ، والسّيفيّة والأشرفيّة ، وخطب بالجامع الأزهر ، وكان يذكر الدّروس من الفقه والحديث والتّفسير والأصول ، وكان له اعتناء بالحديث والرّواية .

وولي قضاء العسكر عوضه جمال الدّين الأذرعي مضافاً إلى قضاء القضاة بمصر .

١٠٣٨ ـ عبد اللّطيف بن عبد العزيز*

الشّيخ الإمام النّحوي المقرئ شهاب الدّين بن المرحل الحرّاني .

كان في النّحو علاّمه ، له فيه أمارات[٢] بيّنة وعلامه ، لو عاصره الأستاذ ابن عصفور لكان غلامَه ، متثبتاً[٣] فيما يقوله ، سالمةً من الشّكّ تقولُه ، يكتب خطّاً

(١) هو المحرر في فروع الشافعية لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ .

* الوافي : ١١٩/١٩ ، والدرر : ٤٠٦/٢ ، والشذرات : ١٤٠/٦ ، والسلوك : ٦٥٩/٣/٢ ، وتذكرة النبيه : ٤٩/٣ .

(٢) في (س) : « أمارة » .

(٣) في الأصل : « مثبتاً » ، وأثبتنا ما في (س) .

حسناً قويا ، ويأتي به في المنسوب سويّا . وكان يتردّد من مصر إلى حلب ، ويتّجر بالكتب فيها إذا جلب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل رحلةً لم يعد منها إلى هذه الدّار ، ورثاه حتّى الْحَمَام الهدّار .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة أربع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة .

سمعتُ (صحيح) البخاري بقراءته في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بالظاهريّة بين القصرين على شيخنا أبي الفتح .

وكان فيه جمود يسير ، وما اعتقد ذاك الجمود عن بَلادة ، ولكنّه كان ذا تثبّت[١] في النّقل .

أخبرني الشّيخ شمس الدّين محمّد بن الخبّاز ، قال : سألته بحلب ، فقلت : يا سيّدي ، « كشاجم » بكسر الكاف أو فتحها أو ضمّها ؟ فأخذ يفكّر زماناً ، ويقول : كُشاجم بضمّ الكاف مثل « عُلابط »[٢] ، هذا وزن صحيح ، ثمّ التفت إليّ ، وقال : يا سيّدنا ، لا تنقل عنّي في هذا شيئاً ما يحلّ لك .

قلتُ أنا : المعروف بين أهل الأدب أنّه كشاجم بفتح[٣] الكاف لأنّه كما قيل في سبب تسميته بذلك أنّه كان كاتباً شاعراً أميراً جليساً منجّما ، فأخذوا له من كلّ وصفٍ حرفاً وركّبوا له هذا الاسم .

وكان الشّيخ شهاب الدّين[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ يعرف (ألفيّة ابن مالك) ، أقرأها جماعة بالقاهرة وحلب ، وممّن قرأها عليه بالقاهرة أخي إبراهيم .

(١) في (س) : « شديد التثبت » .
(٢) في الأصل و (س) : « علائط » ، تصحيف .
(٣) في الأصل : « بضم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .
(٤) في الأصل : « شهاب الدّين أحمد » ، سهو ، وأحمد أخوه ، انظر : ما قاله في الدرر .

وقد اجتمعت به ـ رحمه الله تعالى ـ غير مرّة ، وأخذت من فوائده ، وكان يلازم سوق الكتب كثيراً لأنّه كان يتّجر فيها ، وينقلها إلى حلب .

١٠٣٩ ـ عبد اللّطيف بن نصر*

ابن سعيد بن سعد بن محمّد بن ناصر بن الشّيخ أبي سعيد[١] الْمَيْهَني الشيخي[٢] ، نجم الدّين شيخ الشّيوخ بالبلاد الحلبيّة بن الشّيخ بهاء الدّين أبو محمّد .

سمع من جدّه لأمّه حامد بن أميري ، وعبد الحميد بن بليمان[٣] ، ويحيى بن الدّامغاني[٤] ، وابن رُوْزْبَه ، وغيرهم .

أقام بحلب وحدّث بها .

وغصّ بلقمة ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

ومولده [بحمص][٥] سنة تسع وستّ مئة ، وكتب لشيخنا الذّهبي بإجازة مرويّاته .

١٠٤٠ ـ عبد اللّطيف**

الشّيخ سيف الدّين شيخ زاوية السّعوديّة بالقاهرة ، كان يعرف قبل ذلك ببلبان الكُرْجي[٦] .

---

* الوافي : ١١٨/١٩ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٥/١ .

(١) في (ق) ، (س) : « سعد » .

(٢) في الأصل : « المنهني الشيخ » تصحيف وتحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي ، والتذكرة ، والميهني : نسبة إلى ميهنة من قرى فارس . (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « تيمان » ، تحريف ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) هو يحيى بن جعفر بن عبد الله ، الدامغاني (ت ٦٣٠ هـ) . إعلام النبلاء : ٣٥٤/٤ .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

** سلف أن ترجم له المصنف باسم : عبد اللطيف بن بلبان .

(٦) في الأصل : « الكرخي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

سمع من المعين أحمد بن علي بن يوسف الدّمشقي[١] ، وأبي إسحاق إبراهيم ابن عمر بن مضر[٢] ، غيرهما . وخُرّجت له (مشيخة) لطيفة ، وكتب خطّاً حسناً متوّسطاً .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكتب بخطّه :

أجَـزْتُ لهم روايـةَ كُـلِّ مـالي ... روايتـه سماعـاً أوْ إجـازَهْ
ومـالي من مقـولِ مـؤلّفـاتٍ ... حـوت نظماً ونثراً لي مُجَـازَهْ
أجـزتهم وأرجـو الله ربّي ... ينيلهم الكرامـة والعَـزَازَهْ

١٠٤١ ـ عبد المحسن بن حسن*

ابن سليمان البارنباري جمال الدّين .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدّين قال : رأيته مراراً بالقاهرة ودمياط ، وبمصر ، وله نظم ، منه ما أنشدني لنفسه بدمياط وهو :

متّى يـا أُهيـلَ الحيّ أَحظى بقربكمْ ... ويبلـغُ قلبي مِنْ لقـائكم القصـدا
وترجـع أيّـامٌ تقضّتْ على الحِمى ... وتُنجِزُ ليلى من تـواصلهـا الـوَعْـدَا

قال : وله أيضاً :

مَنْهَـجُ فخر الـدّين في حُكْمِـه ... وشَرْعِـه أقْـومُ مِنْهـاجِ
قَـدْ وَسِـعَ النّـاسَ بـأخـلاقـه ... فمـالـه في الخلـقِ مِنْ هـاجِ

(١) (ت ٦٧٠ هـ) ، الوافي : ٢٤٠/٧ .
(٢) (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ .
* الوافي : ١٤١/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ .

١٠٤٢ ـ عبد المحسن بن أحمد*

ابن محمّد بن علي ، الشّيخ المسند أمين الدّين أبو الفضائل بن شهاب الدّين بن الحافظ جمال الدّين أبي حامد[١] بن الصّابوني .

أجاز لي بخطّه المرتعش الْمِعْوَجّ بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة السّبت سادس جمادى الأولى سنة ستّ وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في سابع عشر ذي الحجّة سنة سبع وخمسين وستّ مئة .

وسمع من أصحاب البوصيري ، وكان مكثراً . وحدّث وهو من رواة (جزء ابن عرفة) . وسمع ابن عزون ، وابن القاضي الدّمشقي ، وابن علاّق[٢] ، والنّجيب الحرّاني بالقاهرة ، وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وشيوخ جمّة .

وكان شاهداً بمصر ثمّ ضعف بصره .

١٠٤٣ ـ عبد المحسن بن عبد اللطيف**

ابن محمّد بن الحسين بن رزين ، القاضي الإمام علاء الدّين بن القاضي بدر الدّين ابن قاضي القضاة تقيّ الدّين بن رزين .

سمع من العزّ الحرّاني ، وغازي .

سمعتُ خطابته ودَرْسَه بالظّاهرية غير مرّة ، وكان فصيحاً بليغاً ، ودَرْسُه بسكون ، لا يتكلم فيه أحدٌ غيرَه .

---

* الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٧٥/٢ .

(١) في الأصل : « الحامد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « علاّن » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ١٤٧/١٩ ، والدرر : ٤١٢/٢ .

أجاز لي بخطّه في رابع المحرّم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الاثنين عاشر شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وسمع من ابن خطيب المزّة (سننَ أبي داوود) بقراءة أبي حيّان .

وكان خطيباً بالجامع الأزهر .

١٠٤٤ ـ عبد المحمود بن عبد الرحمن*

ابن محمد بن [عمر بن محمد بن] عبد الله الشّيخ الإمام القدوة والصّدر الكبير شهاب الدّين أبو القاسم بن أبي المكارم بن الشّيخ عماد الدّين أبي جعفر بن الشّيخ الإمام القدوة شهاب الدّين أبي حفص السُّهروردي البغدادي .

كان شيخاً قَدْرُه كَبير ، له وقار يَخِفّ عنده ثَبير ، صَدْرُ العراقِ وقَلْبَه ، وعينه الّتي يُطْبق الدّهر عليها هُدْبَه ، أمواله جزيله ، وحشمته نبيله ، وكلمته كالسّهام النّافذه ، وعَظَمته في النّفوس تُرى وهي إلى الثّريّا آخذه . وكان يجلس للوعظ أحيانا ، ويموت سامعوه وَجداً ، وهم يقولون : أحيانا .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح عبد المحمود على الأعناق محمولا ، وقطع مِن كلّ مَنْ كان يؤمّه مأمولا .

وتوفّي ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر شهر رجب سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان قد لبس الخرقة من جدّه أبي جعفر محمد ، وروى عنه (سداسيّات) القاسم بن عساكر . ولشيخنا علم الدّين البرزالي منه إجازة .

---

* الوافي : ١٤٨/١٩ ، وترجمته مبتسرة ، والدرر : ٤١٣/٢ ، والشذرات : ٣٤/٦ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول الأخرى ، وانظر أيضاً : ذيول العبر : ٧٨ .

١٠٤٥ ـ عبد المحمود بن عبد السلام*

ابن حاتم بن أبي محمد بن علي البعلبكي الدمشقي الشافعي الشيخ الإمام العالم مجد الدين أبو المحامد .

اشتغل وحفظ (التنبيه) وعَرَضه على المشايخ ، وقرأ على الشيخ محيي الدين النووي ، ولازم الشيخ برهان الدين الإسكندري وقرأ عليه القرآن و (التنبيه) . وسمع الحديث من القاضي شمس الدين بن عطاء الحنفي[(١)] وحدث عنه .

وقال : كتبت الأسماء في مجالس الحديث ، وقرأت بنفسي على الكَرْجي[(٢)] والقاضي ابن الخُوَيِّي[(٣)] ، وأجلسني مع الشهود القاضي بهاء الدين بن الزكي[(٤)] .

وكان يدّعي أنه من ذريّة أبي فراس بن حمدان .

توفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين عرفة تاسع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وقال : كنت رضيعاً عندما دخل هولاكو البلاد .

١٠٤٦ ـ عبد الملك بن أحمد**

ابن عبد الملك الأنصاري ، تقي الدين الأرمنتي الشافعي .

---

* الدرر : ٤١٣/٢ .

(١) عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعي (ت٦٧٣ هـ) ، العبر : ٣٠١/٥ .

(٢) عمر بن يحيى بن عمر (ت٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٩/٥ ، ووقع في الدرر : « الكرخي » .

(٣) محمد بن أحمد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) ، العبر : ٣٧٩/٥ .

(٤) يوسف بن يحيى (ت٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٦/٥ .

** الوافي : ١٥٢/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٣٩ ، والدرر : ٤١٤/٢ .

سمع الحديث على شيخه مجد الدين القشيري ، وابنِه الشيخ تقي الدين[١] ، وعلى عبد المحسن ابن إبراهيم الْمُكْتِب[٢] وغيرهم .

وحدّث ، وكان فقيهاً مفتيا ، معيداً في فضله مبديا وكان يُحسن إلى الفقهاء ، ويجود على الأدباء[٣] ويساعدهم على المناصب ، ويكف عنهم بفضله كل شر واصل واصب .

ولم يزل على حاله إلى أن أنشبت فيه المنية أظفارها ، وحكمت فيه شفارها .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة . ومولده بأرمنت سنة اثنتين وثلاثين وست مئة[٤] .

وكان قد أجازه الشيخ مجد الدين بالإفتاء ، وله أرجوزة في الحُلى ، ورجزٌ[٥] (تاريخ مكة) للأزرقي[٦] . وكان يكتب خطاً رديئاً لا يحسن أحد يستخرجه إلا الشاذ .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوّي : كان بعض قضاة قوص إذا جاءت إليه ورقة بخطه ، يقول لصاحبها : أحضره ليقرأها .

ومن شعره :

قالَتْ لي النَّفسُ وقد شاهدَتْ حالي لا تَصْلُح أو تَسْتَقِيم[٧]

(١) مجد الدين هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ ، والطالع السعيد : ٤٢٤ ، وابنه تقي الدين محمد بن علي ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) الطالع السعيد : ٣٣٥ . والمكْتب : هو معلم الصبيان الخط والكتابة والأدب .

(٣) في الأصل : « إلى الأدباء » ، وفي (ز) ، (س) : « على الألباء » .

(٤) ومولده بأرمنت سنة (٦٣٢ هـ) . كما في الطالع .

(٥) في الوافي : « وموجز » ، تحريف .

(٦) محمد بن عبد الكريم الأزرقي (ت٢٢٣ هـ) ، الكشف : ٣٠٦/١ .

(٧) في الطالع : « لا يصلح » .

بــــأي وَجْـــهٍ نلْتَقي ربَّنـــا والحـــاكِمُ العَـــدْلُ هنـــاك الغَريم
فقلت : حَسبي حُسْنُ ظنّي بـــه يُنيلني منـــــــــه النعيمَ المقيم
قـالت وقـد جـاهرتَ حتى لقـد حُـقّ لـه يُصْليـك نـارَ الجحيم
قُلْتُ معـــــــاذ الله أن يبتلي بنـــــاره وهـــو بحـــالي عليم
ولم أَفُـــه قـــطّ بكفرٍ وقـــدْ كان بتكفير ذنـــــــوبي زعيم

وقال في لزومِ سُوق الوِراقة :

أيـا سـائـلاً حـالي بسُوْقٍ لـزِمْتُـهُ يُسَمُّونه سوقَ الـوراقة مـا يُجدي
خُـذ الـوصَفْ منّي ثم لا تَلْو بَعْـدَه على أحـدٍ من سائر الخَلْقِ من بعـدي[١]
يُكسبُ سـوءَ الظن بـالخلـق كلّهم وخسّة طبع في التقاضي مع الحقـد[٢]
ويَنْقُصُ مقـدارَ الفتى بين قـومـه ويُـدْعى على رغْمٍ من القرب والبُعْـد
وإن خـالف الحكام في بعض أمرهم يَرَى منْهُم والله كُـلّ الـذي يُردي
ولا سيّما في الـدهر إذ رسمـوا لنـا بـأربعـة في كلّ أمر بـلا بُـدّ[٣]
ويكفيـه تمعيرُ النقيب وكَـوْنُـه يُشَنْطط بين الرسل في حاجة الجندي[٤]
وإن قـال إني قـانـع بتفرُّدي فهـذا معـاش ليس يَحْصُـل للفرد
فبـالله إلا مـا قبلت نصيحتي وعانَيْت ما يُغنيك عنـه ومـا يجدي
وإن كنت مقهوراً عليـه لحـاجـة فصـابِرْ عَلَيْـه (لا تعيـد ولا تبـدي)

---

(١) في الوافي والطالع : « بعدها » .
(٢) في الأصل و (ز) ، (س) : « يكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والطالع .
(٣) في الطالع : « أن رسموا » .
(٤) معّر وجهه : غيّره غيظا .

١٠٤٧ ـ عبد الملك بن الأعز*

ابن عمران الثقفي ، تقي الدين الأسنائي .

كان بالتشيّع مُتّهما ، وعلى التوالي مُلْتئمًا . وكان في عداد الأدباء ، ومن جملة الشعراء . وكان قد قرأ النحو والأدب على الشمس الرومي . ورد عليهم أسنا . وله (ديوان) شعر .

ولم يزل على حاله إلى أن جفّ من حياته الورق ، ورَقّ خيطُ عُمره ودَق .

وتوفي رحمه الله تعالى بأسنا سنة سبع وسبع مئة .

ومن شعره :

لا تَلم منْ تُحبّ عند سُراه ... فغرامُ الحبيب قد أسراه
جَذَبَتْه يدُ الغرام لَمِنْ يهـ ... ـواه فاعْذرْه في الذي قد عراه
راح يطوي نشر الليالي من الشَّوْ ... ق إليه وَوَجْدُه قد بَرَاه

ومنه :

جُفوني ما تنامُ إلاّ ... لعَلّي أن أراك
فزُرْني قد براني الشو ... ق يا غُصْنَ الأراكْ
وطرفي ما رأى مثلك ... وقلبي قد حواك
فهو لك لم يزل مسكنْ ... فسبحان الذي أسكنْ ... وحسنك كم به أفتَنْ
وما قصدي سواك ... حبيبي آه ما أحلى ... هواني في هواك
فخَلِّ الصدَّ والهجرانْ ... ولا تسمع ملامْ

* الوافي : ١٥٥/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤١ ، وفوات الوفيات : ٣٩٦/٢ ، والدرر : ٤١٥/٢ ، ووقع في الأصل : « الأعز » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والمصادر الأخرى . ووقع في الوافي والطالع : « التقي » موضع « الثقفي » .

وصِلْني يـــــا قضيب البـــــانْ ففي قلبي ضِرام
وجُــــدْ للهــــائم الــولهــــانْ يـــــــــا بَـــــــــدْرَ التمام
وزُرْ يـا طَلْعَـةَ البْـدرِ ودَعْ يـــا قـــاتلي هجري وارْفُـقْ قَـدْ فني عمري
وعِـدْ أيـام وفـــاك واسمـح[١] أن أقبِّـل يــا مليـح بـالله فــاك
إذا مـــا زاد بي[٢] وجــــدي ولا ألقى معين
وصــــار معي على خــــدي كالمــــــــــاء المعِين[٣]
أفكّر ألتقيــــك عنــــدي يطيب قلبي الحــــــــزين
لأنّـك[٤] نزهـةُ النـاظر وشخصُك في الفُؤاد حـاضر وحبي فيـك بـلا آخر
وقـولي قـد كفـاك فجُـدْ واعْـدِل وعُـدْ واصِـلْ وَصْـل مَنْ رضـاك[٥]
جبينـــك يُشبـــه الإصبـــاح بنــورو قــدْ هـــدى[٦]
وريقُـــك مِنْ رحيـــق الراح بـــــه يُروى الصّـــدى
وخــــدُّك يُبْهِرُ التفــــاح مُكَلَّـــل بــــالنّـــدى[٧]
سبـاني لـونُـه القـاني فخّــلاني كئيب عــاني تجُـافي النّـومُ أجفـاني
فهـــــل عيني تراك فـذاك اليـوم فيـه خـدّي أعُفِّر في ثراك
عــــذولي لا تطـــل واقصر ودَعْ صَبّــــــــاً كئيبْ[٨]
تــــأمّـــل مَنْ هـــويت وابصرْ إلى وَجْـــــــــــه الحبيبْ

(١) في (س) : « واسمح لي » .
(٢) في الأصل : « زاد في » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٣) في الطالع : « كا الماء » .
(٤) في الأصل : « لأنه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي والطالع .
(٥) في الوافي والطالع :
فجــد واعـــدلْ وصِــلْ وواصـل رضـاي من رضـاك
(٦) في الطالع : « المصباح » .
(٧) في الطالع : « وخدك يشبه » .
(٨) في الأصل : « لا تطيل » . وأثبتنا ما في الطالع .

وكُنْ يـــا صـــاح مُستبصرْ ترى شيئـــــاً عجيبْ
ترى من حُسْنه مُبدع كبـــدر التّم إذ يطلـــع تحير[١] لم تَدْر ما تصنع
ولا تعرف هـــداك وتبقى مفتكر حيران إلاّ إنْ هَـــدَاك

١٠٤٨ ـ عبد الملك بن عبد الرحمن*

ابن عبد الأحد بن عبد العزيز بن أبي نصر حمّاد بن صدقة الحرّاني العطار، الشيخ جمال الدين العطار، عرف بابن العُنيقة.

قال شيخنا البرزالي: سمعت عليه الفوائد الملتقطة المخرَّجة من مسموعات أبي الفتح عبد الله بن أحمد بن أبي الفتح الخِرقي الأصبهاني[٢] انتقاء محمد بن مكي الحنبلي[٣] بسماعه من الشيخ العدل أبي الفضل معالي[٤]، بسماعه من الخِرَقي المذكور بأصبهان في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وست مئة، بقراءة الشيخ تقي الدين بن تيميّة، قال: ثم قرأت عليه عدة أجزاء.

توفي رحمه الله تعالى في ربيع الأول سنة سبع مئة في المحارة بعد الرحيل من الصالحية إلى العباسة بدرب مصر في الجفل.

١٠٤٩ ـ عبد المؤمن بن خلف**

ابن أبي الحسن بن شرف، الشيخ الإمام العالم العلاّمة، الحافظ البارع النسّابة،

---

(١) في الطالع: «تحار».
* الشذرات: ٤٥٧/٥.
(٢) (ت ٥٧٩ هـ)، السير: ٩٠/٢١.
(٣) (ت ٦١٠ هـ)، الشذرات: ٤٢/٥.
(٤) هو الفضل بن سهل الإسفراييني. وفي السير، ٩١/٢١: «لأبو الفضل بن سلامة العطار»، ذكره في تعداد من أخذ عن الخرقي. وفي الدرر: «أبو المعالي العطار».
** الوافي: ٢٣٩/١٩، وفوات الوفيات: ٤٠٩/٢، والبداية والنهاية: ٤٠/١٤، والدرر: ٤١٧/٢، وغاية النهاية: ٤٧٢/١، والشذرات: ١٢/٦.

الْمُجوِّد الحجّة ، علَمُ المحدثين ، عمُدةُ النُقّاد ، شرف الدين أبو محمد وأبو أحمد الدمياطي الشافعي .

قرأ القرآن وطلب الحديث بعدما[١] تميّز في الفقه ، وقد صار له ثلاث وعشرون سنة ، فسمع بالإسكندرية في سنة ست وثلاثين[٢] من أصحاب السلَفي ، ثم قدم القاهرة وعُني بهذا الشأن روايةً ودراية ، ولازم الحافظ زكي الدين[٣] حتى صار مُعيده[٤] .

وحج سنة ثلاث وأربعين وست مئة ، وسمع بالحَرَمَين ، وارتحل إلى الشام سنة خمس وأربعين وست مئة .

وارتحل إلى الجزيرة والعراق مرّتين ، وكتب العالي والنازل ، وبالغ ، وصنف إذ ذاك وحدّث ، وأملى في حياة كبار مشايخه .

وسمع من ابن المقيّر ، وعَليّ بن مختار العامري ، ويوسف ابن عبد المعطي بن المخيّلي[٥] ، والعَلَم بن الصابوني[٦] ، وإبراهيم بن الخيّر البغدادي ، وابن العلّيق ، وأحمد ويحي ابنى[٧] قُميْرَة ، وموهوب بن الجواليقي ، وعبد العزيز بن الزبيدي[٨] ، وهبة الله محمد بن مفرّج[٩] ابن الواعظ ، وعلي بن زيد التَسارسي[١٠] ، وظافر بن شحم

---

(١) في الأصل : « وبعدها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وثمانين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) محمد بن يوسف البرزالي (ت ٦٣٦ هـ) ، والشذرات ١٨٢/٥ .

(٤) في الأصل : « مفيدة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

(٥) (ت ٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ .

(٦) أبو الحسن علي بن محمود (ت ٦٨٤ هـ) ، العبر : ١٦٦/٥ .

(٧) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٨) عبد العزيز بن يحي بن المبارك (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥١/٢٣ .

(٩) في الأصل : « مطرح » ، تحريف .

(١٠) (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ ، والعبر : ١٦٩/٥ ، وفي الوافي : « البسارسي » .

المطرز[١] ، وشعيب بن الزعفراني المجاور ، وصفية بنت عبد الوهاب[٢] ، وحمزة بن أوس الغزّالي[٣] ، ومحمد بن محمد بن محارب القيسي ، ومحمد بن الجبّاب ، وابن عمه أبي الفضل بن الجبّاب ، وابن رواج ، وابن رواحة عبد الله ، وأبي الحسن محمد بن ياقوت[٤] ، وابن الجُميْزي ، وحسين ابن يوسُف الشاطبي ، وعبد العزيز بن النقّار الكاتب ، ومظفّر بن عبد الملك الغُوِّي ، وأبي علي منصور بن سند بن الدمّاغ[٥] ، ويوسف بن محمود السَّاوي ، وعبد الرحمن بن مكي السّبط ، ومحمد بن الحسن السفاقسي[٦] ، خاتمة من سمع حضوراً من السِّلفي .

وسمع بدمشق من عمر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة ، ومكّي بن علاّن ، وطبقتهم .

وبدمياط من خطيبها الجلال عبد الله .

وبحرّان من عيسى بن سلامة الخياط .

وبماردين من عبد الخالق بن أنجب النشتبري[٧] .

وبحلب من ابن خليل فأكثر ، لَعَلَّه سمع منه مئتي ألف حديث .

---

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت ٦٤٢ هـ) ، السير : ١١٦/٢٣ ، ووقع في الأصول : « سجم » ، تصحيف ، صوابه ما في السير .

(٢) في الوافي : « ضيفة » !، وسلفت الإشارة إليها .

(٣) حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ١٢١/٢٣ ، وفيه : « الغزّال » .

(٤) محمد بن يحيى بن ياقوت الإسكندراني (ت ٦٤٦ هـ) ، العبر : ١٩١/٥ ، والشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٥) في الوافي ، والعبر ، ١٩١/٥ : « سندان » ، وفي النجوم ، ٣٦١/٦ : « سند ابن الدباغ » (ت ٦٤٦ هـ) .

(٦) (ت ٦٥٤ هـ) ، العبر : ٢١٩/٥ ، والسير : ٢٩٥/٢٣ .

(٧) في الأصل : « التشتري » ، تصحيف ، وفي الوافي : « الشنتبري » ، تصحيف أيضاً ، والنشتبري نسبة إلى نشتبرى ، قرية في نواحي بغداد ، في طريق خراسان . (ت ٦٤٩ هـ) ، العبر : ٢٠١/٥ ، والسير : ٢٣٩/٢٣ .

وبالموصل من أبي الخير إياس الشهرزوري [(١)] صاحب خطيب الموصل [(٢)] .

وبمصر من عبد الكريم بن عبد الرحمن الترابي ، حدّثه عن خطيب الموصل ، وعنده [(٣)] عدة من أصحاب السلفي ، وشُهدة ، وابن عساكر ، وخلق من أصحاب ابن شاتيل [(٤)] ، والقزاز ، وابن بَرّي النحوي [(٥)] ، وإسماعيل بن عوف [(٦)] ، ويحيى الثقفي ، وابن كليب ، وأصحاب ابن طبرزد ، وحنبل ، والبوصيري ، والخشوعي . ونزل إلى أصحاب الكندي [(٧)] ، وابن ملاعب [(٨)] ، والافتخار الهاشمي [(٩)] .

وكتب عنه طائفةٌ من رفقائه ومن هو أصغر منه ، وعَدَدُ معجمه ألف ومئتان وخمسون نفساً .

وأجاز له أبو المُنجّا ابن اللّتي ، وأبو نصر بن الشيرازي . ويروي بالإجازة العامة عن المؤيّد الطوسي وجماعة .

وحدث عنه الصاحب كمال الدين بن العديم ، والإمام أبو الحسين اليونيني ، والقاضي علم الدين الأخنائي ، والشيخ علاء الدين القونوي ، والشيخ أثير الدين أبو حيان ، والشيخ فتح الدين محمد بن سيّد الناس ، والحافظ المزي ، والعلاّمة قاضي

---

(١) في الوافي : « السهرزورس » .

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمد (ت٥٧٨) ، السير : ٧٨/٢١ .

(٣) في الوافي : « وعنه » .

(٤) عبد الله بن عبد الله بن محمد (ت٥٨١ هـ) ، السير : ١١٧/٢١ .

(٥) عبد الله بن بري بن عبد الجبار (ت٥٨٢ هـ) ، السير : ١٣٦/٢١ .

(٦) إسماعيل بن مكي بن إسماعيل (ت٥٨١ هـ) ، السير : ١٢٢/٢١ .

(٧) أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد (ت٦١٣ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .

(٨) داود بن أحمد بن محمد الأرجي (ت٦١٦ هـ) ، السير : ٩٠/٢٢ .

(٩) عبد المطلب بن الفضل العباسي (ت٦١٦ هـ) ، السير : ٩٩/٢٢ .

القضاة تقي الدين السُبكي ، وفخر الدين النويري[١] ، وخلق كثير من الرحّالين ، وطال عمره ، وتفرد بأشياء .

قال المزي : ما رأيت أحفظ منه . وسمع (جزء ابن عرفة) من بضع وثمانين نفساً بالشام ومصر والعراق والجزيرة و (جزء ابن الأنصاري)[٢] من أكثر من مئة شيخ .

وكان قد أربى على من تقدمه في علم النسب ، لأنه طفا على مَن سواه ، وغيره رسا ورسب . وكان قد برع في علوم ، وآسى بعرفانه[٣] ما أعيا من الكلوم ، وتفنن في فضائل ، وتفرد بأدلّة ومسائل ، وصنف التصانيف المحرره ، والتواليف المحبّره ، ونَحْوُه فيه غوامض ، ولغته فيها الروافع والخوافض ، إلى فصاحته المنتهى ، وقراءته هي رصد السمع والمشتهى ، سريع القراءة لا يعرف التثبت ولا الإناءة ، كأنه السيل إذا تحدر ، والبحر إذا اندفع بعدما تصدر . مليح الهيئه ، قريب العودة والفيئه ، حسن الأخلاق ، غنياً بعلمه لا يلتفت في الإملاء إلى الإملاق ، جيّد العباره ، ظريف الإشاره ، صحيح الكتب كثيرها ، غزير المادة لمن يثيرها ، باسم الثغر في ملقاه ، طالب الزيادة والعُلُوّ في مرقاه ، حلو المذاكره ، زائد الإمتاع والتفنن في المحاضره ، حسن العقيده ، كافّاً عن الدخول في الكلام ، لا يفتح وصيده ، ينظم القريض ، ويأتي به كالإغريض .

وكان موسعاً عليه في رزقه ، ولم يك كما جرت العادة مثل من خمل مع حذقه ، له عند الناس حرمة وجلاله ، وأبّهة في النفوس تزين خلاله .

ولم يزل يسمع الحديث إلى أن مات فُجَاءه ، وكأنما كان ينتظر قدوم الموت فجاءَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف صفر سنة خمس وسبع مئة .

وقال شيخنا علم الدين البرزالي : في خامس عشر ذي القعدة من السنة المذكورة .

---

(١) في الأصل : « القونوي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) محمد بن عبد الله (ت٢١٥ هـ) ، الأعلام : ٢٢١/٦ ، والكشف : ٥٨٦/١ .

(٣) في (س) : « بوفاته » ، تحريف .

ومولده بتُونة ، قرية من أعمال تنّيس[١] في آخر عام سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان منشؤه بدمياط ، وسكن دمشق مدة ، وأفاد أهلها ، ثم تحول إلى الديار المصرية ونشر بها أعلام علومه ، وتولى مشيخة الظاهرية بين القصرين .

وتصانيفه كلها جيدة منقّحة مهذّبة ، تشهد له بالفهم وسعة العلم ، منها : كتاب (الصلاة الوسطى) مجلد لطيف[٢] . كتاب (الخيل)[٣] مُجَلّد وقد جوّده (قبائل الخزرج) مجلّد ، (العقد المثمن فيمن اسمه عبد المؤمن) مجلد ، (الأربعون المتبانية الإسناد في حديث أهل بغداد) مجلد ، (مشيخة البغاددة) مجلد ، (السيرة النبوية)[٤] مجلد ، (مشيخة) . وله غير ذلك .

قال الذهبي : سمعته يقول : سمعت ابن رواج يقول : قرأ عليّ السرّاج بن شُحانة[٥] (نتف الإبط) فحركه بالكسر ، فقلت : لا تحركه يفُح صُنانه .

وأخبرني شيخنا ابن سيّد الناس ، قال : دخل الشيخ على جماعة يقرؤون الحديث فسمعهم يقولون : عبد الله بن سلاّم[٦] بتشديد اللام ، فقال : سلام عليكم سلام .

وحمل عن الصاغاني[٧] عشرين مجلداً من تصانيفه في اللغة والحديث .

ومن شعره ...

---

(١) وتونة كما في معجم البلدان : جزيرة قرب تنّيس ودمياط من الديار المصرية .

(٢) مطبوع ، كما في الأعلام : ١٦٩/٤ .

(٣) فضل الخيل ، (ط) .

(٤) اسمه : المختصر في سيرة سيّد البشر ، كما في الأعلام .

(٥) في الأصل : « سحابة » ، تصحيف ، واسمه : عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت٦٤٣ هـ) ، السير : ٢١٤/٢٣ ، الشذرات : ٢٢٠/٥ .

(٦) (ت٤٣ هـ) ، السير : ٤١٣/٢ .

(٧) الحسن بن محمد (ت٦٥٠ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . وفي الوافي : « الصنعاني » ، ولعلّها مصحفة عن « الصَّغاني » .

١٠٥٠ ـ عبد المؤمن بن عبد الحق*

ابن عبد الله بن علي ، الإمام العالم صفيّ الدين البغدادي الحنبلي ، من علماء العراق .

كانت له بالحديث عنايه ، وله تواليف بلغ فيها النهايه ، وعنده فنون ، مضى من عمره في جمعها سنون ، وكان فيه خير وفتوّه ، وديانة ومُرُوّه .

ولم يزل إلى أن تكدر عيش الصّفي ، وظهر أَجَلُهُ الذي كان في غضون الأيام وهو خَفِيّ .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وخرّج لنفسه ، وسمع من شيخنا الذهبي ، ومن الفرضي[(١)] .

١٠٥١ ـ عبد المؤمن بن عبد الرحمن**

الشيخ الإمام الكاتب المجوّد عز الدين بن العجمي .

كانت له فضائل ، وعنده فوائد ومسائل ، وهو شيخ كتابه ، ورب ذكاء ومهابه .

كان قد رحل إلى القاهره ، وأهْلُها في ذلك العصر يفاخرون بالمكارم النجوم الزاهره ، فانقطع في بيتٍ بحارة أرجوان ، وأرخى على بابه ستارة أرجوان ، وتردد الناس إليه ، وأقبلو بخواطرهم عليه ، فنفقت سوقه ، [ومشت وما وقفت سوقه][(٢)] ،

* الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٨/٢ ، والشذرات : ١٢١/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٤ .

(١) في الأصل : « سمع مع ... ومع » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والفرضي هو العلاء محمود بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٢٤٥/١٩ ، والدرر : ٤١٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٨/٤ ، والسلوك : ٥٥٣/٣/٢ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ز) ، (س) ، وسوق الثانية جمع ساق .

وراج وأذكى السّراج ، وجبى ما وجب له من الإتـاوة والخراج . وكان يجلس في كل سوق حيث تبـاع المجلّدات والـدفـاتر التي فيهـا دواوين العلوم مخلّـدات ، فيشتري منهـا القَشّات[١] وما يمتري ، ويقع له فيها مخـاريم من (صحـاح) الجوهري ، فيكملهـا بخطـه ويناسب ، ويأخذ فيها مع ما يترجمـه عليهـا مـا شـاء من المكاسب . وكان يشـد الكتب أحمالاً أجمالا ، ويسير بهـا[٢] إلى حلب أجمـالاً أحمـالا ، وحصّل من ذلـك جُمَلا ، وأوقر من فوائدها جملا .

ولم يزل على حاله إلى أن أخذه الموت في قَشّه ، وجعل التراب فَرْشَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان هو وأخوه الشيخ شمس الدين خطيب حلب الآتي ذكره ، إن شاء الله تعـالى [في مكانه][٣] شيْخَي كتابة .

اجتمعت بالشيخ شمس الدين[٤] هذا بالقـاهرة غير مرة في بيتـه وفي سوق الكتب ، وكان من رجال الدنيا في بابه وإذا ذكر الرجال ما يكونون قطرة في حِسَاب سحابه .

وكتب له شيخنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود ، رحمه الله تعالى ، إجـازة ، وهي :

أمّـا بَعْـدَ حَمْـدِ الله جـاعـلِ علم البيـان عَلَماً على الإعجـاز ، وسُلَّماً إلى ارتقـاء ذُرْوَة الفصـاحـة المستقرّة على رُكني الحقيقـة والمجـاز ، ووسيلـةً إلى الإحـاطـة بـأسرار البلاغـة المستكنّةِ في طرفي الإطناب والإيجـاز ، والصلاة والسلام على سيـدنـا مُحَمّـد الـذي أُوتي

(١) يريد الكتب المستعملة أو البالية . والقش : الرّمام واللقاطة .

(٢) في (س) ، (خ) : « ويسيّرها » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، (ز) .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « عزّ الدين » .

جوامع الكَلِم ، ولوامع الحكم ، التي يتضاءل لديها كل منثور ، [من كلام][١] البشر ومنتظم ، وعلى آله وصحبه الذين من زلّ[٢] عن سُننهم ذلّ وهوى ، ومن تمسّك بسُننهم[٣] فاز وسَلِم .

فإنّي لمّا خَلْتُ في غِمار طَلَبة الأدَب رغبةً في اقتباسه ، وطعماً في تحصيل بعضه بإدامة التماسه ، وحصّلت كثيراً من كتبه روايةً ودرايه ، وعرفت ما أجتنب من نقائص المعاني والألفاظ التي لا تُؤمَنُ نكايتُها في الأذهان السليمة بالسرايه[٤] ، لم أزَلْ أستضيءُ بنور أئمّته ، وأهتدي بمنار مَنْ بلغ الغاية فيه من عُلماء أُمّته ، وأَقْنَعُ مِنْ لَحاقِ مَنْ بَرّز في مضماره برؤية غُباره ، وأرضى من مآثر مَنْ صَرَفَه على إيثاره بمُشاهدة آثاره ، فنمّت عليَّ نفحاتُ آدابهم ، ورَفَلْت[٥] في فواضل ما تشبّثتُ به من أهدابهم ، وكاتبوني فأجبْتُ بعدم الرَّغبة في العِتْق في رِقّهم ، وجارُوني فوافقتهم في المضمار الأدبي ، مع الاعتراف بتقدّمهم وسبقهم ، فقبلوا من كلامي ما لولا حُسْنُ إغضائهم لم يُقبَل ، وأسبلوا عليَّ ما اضطرتني إليه[٦] المباشرةُ سَتْرَ تجاوزهم ولولا جميل[٧] اعتنائهم لم يُسبَل .

ولما فُزْتُ بالاجتماع بالجناب العالي الشَّيْخي العزّي ، نفع الله به طارَحْتُه في فنون الأدب غير مرّة ، فرأيت مِن مواده [بحرا][٨] لا يَرى العبْرَ[٩] عائمه ، وشاهدت من بدائهه برقاً لا يَفْقِدُ الرّيَّ شائمُهُ ، وفاوضت منه إماماً تقطرُ الفصاحةُ من أعطاف قلمه ،

(١) زيادة من (ق) ، (س) .
(٢) في (س) : « حاد » .
(٣) في (س) : « سنتهم » .
(٤) في (خ) : « في السراية » .
(٥) في (خ) : « وقِلْتُ » .
(٦) ليست في (خ) .
(٧) في (س) : « جميع » .
(٨) زيادة من (خ) ، (س) .
(٩) الشطّ .

وتخطر البلاغةُ في أفواف[١] كلمه ، وتنزل المعاني المتمنّعةُ من معاقل القرائح على حِكَمِهْ ، وتقف جيادُ البدائه[٢] حسَرى دون التوسّط في حلبة عِلْمِه ، إن وشّى الطّرسَ فرياض ، وإن أجرى النِقْسَ[٣] فحياض ، أو نظم فقلائد ، أو نثر ففرائد ، لا يتجاسر المعنى المطروق أن يُلِمَّ بفكره[٤] ، ولا يُقدمُ التخيَّلُ المسبوق على المرور بذكره ، ولا يجوز زَيْفُ الكلام على ذهنه المنتقد ، ولا يثبت عناءُ النظام لدى خاطره المتّقد[٥] ، فسمعت منه مقامات في العرْفان قد وشّى الأدب حِبَرُها ، وحقّق الطلب خَبَرها ، وزان الصّدقُ لهجتها ، وزاد الحقُّ بَهْجتَها ، وحلَّتها البلاغة برقُومِها ، وكلَّلتها الفصاحةُ بشُهبها ونجومها ، تُشْرِقُ القلوبُ بأضوائها ، وترتوي النفوسُ بأنوائها ، وتستضيء البصائر بأقمارها ، وتغتذي السرائر بما تجتني في رياض اليقين من يانع ثمارها ، ووقفتُ له على طرائق في التوحيد ، أوضحها عِلْمُه لسالكها ، وهدى فكْرُه الطائف بكعبتها إلى لطائف مشاعرها ومناسكها ، فَمن أراد الصّفا في سلوكه سعى من مَرْوَةِ الإخلاص إليها ، ومن تعرّض لنفحات الفتح الذي[٦] اقتصر في طُرُقِ تعبُّده عليها ، مع بروزها في ألفاظ أرقّ مساغاً من الماء القراح ، وأدقّ مسلكاً في الجسوم من الأرواح ، وأجلى لليل الشك البهيم من صباحةِ محيّا الصباح ، إلى غير ذلك من أحاديث تكَلَّمَ على بلاغتها وبلاغها ، وأبان ما جهلته الأفهام الظامئة من أسباب مساغها ، ممّا لم يَبْغِ بذلك إلا إرشادَ الطالب ، وتنبيه الْمُفْتَقِر إليها على ما أودع في أثنائها من الكنوز ، وادّخر في أرجائها من المطالب .

ولمّا وقفت على تلك البدائع ، وفهمت ما تضّمنته من النكت الروائع ، وعلم مني

---

(١) في الأصل : « أفواه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٢) في الأصل و (س) : « البداية » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) النقس : المداد .

(٤) في الأصل : « بذكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٥) في الأصل : « المنقد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .

(٦) كذا ، ولعلّها (الندي) .

أني ممّن يعرف الدر وإن لم يملكه ، وينتقد التِّبْرَ وإن لم يَسْبكه ، ولذلك أتعوّض فيما أعانيه من الكتابة عن الدر بالخرز ، وأكتفي عن أبكار المعاني الجليلة من الْعُونِ الْمُسِنةِ بما هو سَدادٌ مِنَ عَوَز ، سامَني مع[1] ارتفاع شأنه في هذه الصناعه ، وإثرائه دوني من نفائس هذه البضاعه ، أن أُجيزَه رواية نظمي الذي قدّمْتُ العُذْرَ في انتهاج[2] طريقه ، ونَثْري الذي أوضحت السّببَ في مُصاحبة فريقه ، ومكاتباتي التي أنشأتها بسبب الوقائع التي دعت إليها ، وتواقيعي التي ارتجلْتُ غالبها لحَفْز الدَّواعي الباعثة عليها ، ولِمالي في قواعد ذلك من تأليف وتصنيف ، وانتخاب غنيٍّ بشُهرته عن التصريف[3] ، فسألته الإعفاء من هذه الدّرجة التي قَدْرُه أرفَعُ منها ، ورغبت إليه في قبول [القول][4] بالموجب في إجازتي من فوائده التي هي أحقٌّ بأن يُروى غريبها ويُحدّث عنها ، فلم يُعْفِ من تلك الإشارة التي قَصْدُه بها الإحسان ، ومراده أن ينظم سَبْحَ نظمي في سلك ما يؤخذ عنه من درر بدائعه الحسان .

فامتثلْتُ أَمْرَه ـ أعزّه الله تعالى ونفع به ـ وأجزته رواية ما يجوز لي روايتُه من مسموعاتي ومقروءاتي واختياراتي ومنا ولاتي ، وما لي من نظم مختلف الأوضاع ، مستحقّ ، لولا ما يضوع فيه من المدائح النبوية ، أن يُضاع ولا يذاع ، وإنشاءٍ نوّعَتْه كَثْرَةُ المباشره ، وكثّرَتْهُ المحافظة على الوظيفة والْمُثابره ، ونقّحتْهُ فوائد المطارحة والمذاكره ، إلى ما يندرج في سِلْك ذلك من تأليف حمل عليه التنقيبُ عن أسرار هاتين الصناعتين واختيارٍ واختصارٍ وانتقاءٍ وانتقاد ، وانتخابٍ تكلمت على ما فيه [من][5] معنى مُسْتَمْلح وأدب مُستفاد ، ورغبت إليه في أن يُصْلح من ذلك ما أغفله القلم ، وزلّ

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) .
(٢) في الأصل : « ابتهاج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
(٣) في (خ)ل (س) : « التعريف » .
(٤) زيادة من (خ) ، (س) .
(٥) زيادة من (ز) ، (س) .

فيه الفكر الذي عَثْرتُه أبلغ من عثْرة القَدَم ، إذ هو المليُّ بالإحسان في ذلك ، الجدير بتوطئة ما تعذر سلوكه على السالك .

ومولدي بحلب في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة ، وهي إذ ذاك للعلوم معالم ، ولوفود الفوائد مواسم ، وسمعت بها الكثير ولكن أين أصوله ؟ وفُقِدَ لي في الوقعة(١) ثبت كبير ، ولكن كيف حصوله ؟ فإن وُجد من ذلك شيء في الأصول فهو أصل في هذه الإجازه ، وإن تعذر وجوده فكم سُلبَت بضاعةُ فَضْلٍ في أثناء مفازه .

وكتب : محمود بن سلمان [في المحرم](٢) ، سنة ست عشرة وسبع مئة .

١٠٥٢ ـ عبد المؤمن ..*

كان مِقْداماً جريئا ، شجاعاً من الخير بريئا ، لا يهاب سيول السيوف إذا تحدّرت ، ولا يخاف من ورد الحتوف إذا تكدّرت ، بلا عقل بلا دين يردّانه عن الرّدى ، بلا لُبّ بلا ثبات يصدّانه(٣) عما يُوجب الصدى . قد ركب هوى نفْسه ، وذُهِلَ عن وجود حِسِّه . لا يخشى عاقبه ، ولا له من الله تعالى مراقبه ، يُقْدِمُ على الليث في غابه ، ويردُّ على المطلوب ولو أن فيه تمزيق إهابه .

ولم يزل في سُكْرِ جُنونه وسوءِ ما يتوهّم في ظنونه ، إلى أن رَكِبَ الجمل مصلوبا ، وانعكس حسابه عليه فأصبح مقلوبا .

كان هذا المذكور قد ورد القاهرة في أيام القاضي شرف الدين النشوِ ناظر الخاص ، وأخذ يتعلّق على خدمة الأميرين سيف الدين قوصون وسيف الدين بشتاك

---

(١) في (س) : « الوقعة بها » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

* كذا وهو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامي كما في السلوك : ٦٠٤/٣/٢ . وانظر فيه أخباره .

(٣) في الأصل : « يصداه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

بواسطة طاجار الدوادار ، ولم يكن في ذهن الناس منه شيء إلى[1] أن دخل مع الأمير قوصون وبشتاك على السلطان في معنى النشو ، على ما سيأتي في ترجمة النشو ، وخاف السلطان شرَّهُ ، فأراد إبعاده[2] ، وولاّه قوص ، وتوفي السلطان الملك الناصر وهو في قوص . ولما خَلَع الأمير قوصون الملك المنصور أبا بكر بعث به إلى قوص ، وكأنه سيّر إليه في السرّ بقتله ، فقتله ، وأخذ ما معه من الجواهر ، ولما جاء السلطان أحمد من الكرك وطشتمر والفخري طلبوه من قوص ، وسمّروه على جمل ، وطافوا به شوارع القاهرة ، وشمتَ به الناس وسبّوه ولعنوه ، واعترف وهو على الجمل مسمّر أنه هو الذي جرح القاضي شرف الدين النشو ، فقال : يا أهل مصر ، أنا ما أبالي بتسميري وقد قتلت ملك الكتّاب وملك الترك في بلادكم ، فأنا الذي جرحت النشو ، وأنا الذي عمل عليه حتى أُمسك وقتل ، وأنا قتلت المنصور أبا بكر سلطانكم وابن سلطانكم ، أو كما قال .

وكان تسميره في أواخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان المذكور رافضيًا ، والله أعلم بحاله وبما صار إليه في مآله .

١٠٥٣ ـ عبد الواحد بن منصور*

ابن محمد بن المنير ، العلامة عزّ القضاة فخر الدين الجُذَامي الإسكندري صاحب التفسير[3] .

سمع من السراج ابن فارس[4] ، وتفقه بعمّه ناصر الدين[5] ، وله نظم ونثر ، وعمل أرجوزة في السّبع .

---

(١) في الأصل : « إلاّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « بعاده » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الوافي : ٢٧٧/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، والبدائع : ٤٧٣/١/١ .

(٣) في ست مجلدات ، كما في البداية والنهاية ، وعشر مجلدات كما في الكشف : ٤٤٠/١ .

(٤) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل التيمي الإسكندراني (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ ، والشذرات : ٣٩١/٥ .

(٥) أحمد بن محمد بن منصور (ت ٦٨٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة في يوم السبت رابع جمادى الأولى .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

١٠٥٤ ـ عبد الواحد بن عبد الحميد*

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد ابن المسلم بن الحسن بن هلال بن الحسن بن عبد الله بن محمد ، الشيخ الفقيه الفاضل الأصيل ، مخلص الدين أبو المكارم ، ابن الشيخ عز الدين بن فخر الدين .

سمع من جده فخر الدين في سنة ست وخمسين وست مئة ، وسمع من ابن أبي اليُسر ، والنجم ابن النُشّي . وأجاز له إبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخُشُوعي ، وعبد الحميد بن عبد الهادي وجماعة . حفظ (التنبيه) . وكان يكرّر عليه إلى آخر وقت ، واشتغل على الشيخ تاج الدين(١) .

وكان له شعر وخدم في الجهات الدينية .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وكان عنده تعفف وانقطاع .

١٠٥٥ ـ عبد الواحد [بن علي]**

ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد ، شمس الدين القرشي الحنبلي .

أخبرني من لفظه شيخنا أبو حيان ، قال : كان المذكور موصوفاً بالصلاح ،

* الدرر : ٤٢١/٢ .

(١) الفزاري ، كما في الدرر .

** الوافي : ٦٧/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول الأخرى ، ومصادر ترجمته .

ويذكر عنه أنه اجتمع[(١)] بالخضر عليه السلام لمّا سافر عن جبل لبنان واشتاق إليه ، وأنشد[(٢)] لنفسه :

لعلّك يا نسيمَ صبَا زَرودِ تعودُ، فقد ذوى للبَيْنِ عُودي[(٣)]
ويا نفحات أنفاس الخُزامى على المشتاق من لُبنان عُودي

قال : وأسمع الحديث وسمعنا عليه بالحكْرِ ، وكان فيه[(٤)] مقيماً .

١٠٥٦ ـ عبد الواحد القيرواني*

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان عندنا بالقاهرة ، وله نظم حسن ، ورحل إلى الحجاز ، واستوطن بمكة[(٥)] ، وصحب ملكها أبانُميّ الحسيني . وله فيه أشعار حسنة ، أجاد فيها غاية[(٦)] ، ونظم بها نظماً كثيراً ، وتعرض في نظمه لأصحاب رسول الله ﷺ ، فقُتِل بها أشنع قتل .

ومن شعره بالقاهرة مما أنشدنا [بعض أصحابنا][(٧)] :

عَليلٌ أسىً لا يُهتدى لمكانه عَزيزٌ أسًى لا يُرتجى من سقامه
خذوا إنْ قضى في الحب عَمْداً بثأره أخا البدر يبدو في غمام لثامه
ورِفْقاً به لا ناله ما يشينُه وإنْ كان أسْقى الصَّبَّ كأسَ حَمامه

---

(١) في الوافي : « يجتمع » .
(٢) في الوافي : « لمّا سافر ... أنشد » .
(٣) في الدرر : « ذوي بالسير » .
(٤) في (ز) ، (س) : « وفيه كان » .
* الوافي : ٢٨٣/١٩ ، والدرر : ٤٢٢/٢ .
(٥) في (ز) ، (س) والوافي : « مكّة » .
(٦) في الوافي : « غاية الإجادة » .
(٧) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .

غـزالٌ تُضـاهيـه الغَـزَالـةُ في الضُّحى وتُشْبُهـه في البعـد عن مُسْتهـامِـه[١]
يمـوت جنيُّ الـوَرْدِ غمّــاً بخَــدِّه أَلَمْ تنظروه مُـدْرَجـاً في كِمـامِــه

١٠٥٧ ـ عبد الوهاب بن عمر*

الإمـام الزاهـد النحـوي ظهير الـدين بن عمر بن عبـد المنعم بن هبـة الله ابن أمين الدولة الحلبي الحنفي الصوفي .

سمع من حُبَيّة[٢] الحَرّانية ، وأجاز له شعيب الحَرّاني ، وابن الجمّيزي .

وحدّث ، وأخذ عنه محمد بن محمد بن طغريل[٣] وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة .

١٠٥٨ ـ عبد الوهاب بن عمر**

أخو الشيخ صدر الدين بن الوكيل .

كان أسود الجلدة ، لأن أمّه كانت حبشيّة . تفقّه وحضر المدارس ، ثم إنه انسلخ من ذلك ، وتمفقر وتجرّد تجرُّدَ العالم .

وتوفي رحمه الله تعالى شاباً ، سنة تسع وتسعين وست مئة .

---

(١) الغزالة : الشمس .

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وتـذكرة النبيـه : ١٥٧/٢ ، وإعلام النبـلاء : ٥١١/٤ . ، والـدرر : ٤٢٥/٢ ، وفيـه : « عبد الوهاب بن عثمان بن عبد المنعم بن هبة الله » . وانظر : البغية ١٢٤/٢ .

(٢) في البغية : « حبيبة » ، وكذلك في إعلام النبلاء .

(٣) الصيرفي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي : ٣١٧/١٩ .

١٠٥٩ ـ عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الخبير ، الكاتب الْمُدَبّر شرف الدين أبو مُحمَّد ، كاتب السرّ ، وصاحب ديوان الإنشاء بمصر والشام .

كان كاتباً مترسّلا ، حَسَنَ المقاصد متوصّلا ، ما كتب بين يدي الأتراك مثلُه ، ولا عرف مقاصدهم وأتاهم كما في نفوسهم مثلُ بنانه الذي فاض وَبْلُه ، يتحيّل في عبارته ، ويتجنّب مستثقل الألفاظ ، ويتحيّد عن الألفاظ الغريبة التي تُهْجَر من الأعراب ، فلا يخرج الكتاب من يده إلاّ عذباً فصيح الألفاظ ، ظاهر المعاني ، لا يحتاج إلى التنبيه والإيقاظ . يكتب خطّاً لو كان للحدائق يوماً ما احتاجت للأزاهر ، أو للغواني ما تحلّت بالجواهر ، متّعه الله بحواسّه الخمس ، وكان يسمع البعيد ويسمع الهمس . وكان مخاديمُه يحترمونه ويعظّمونه ، ويتوخَّوْن كبار الدرّ لأجل الثناء عليه وينظمونه . وكان كاملاً في فنّه ، حاملاً أعباء ديوانه ، إذا انفرد لا[1] تُثَنِّه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه بَرِيدُ حَيْنِه ، وحَلّ عليه من الأجل وفاءُ دَيْنِهِ .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الثلاثاء ثاني شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

وكان في أوّل أمرِهِ يلبس القماش الفاخر ، ويأكل الأطعمة المنوّعة الشهيّة ، ويعمل السماعات الطيبة ، ويعاشر الفضلاء مثل الشيخ بدر الدين بن مالك وغيره . ثم إنه انسلخ من ذلك كلّه لما داخل الدولة وقتّر على نفسه واختصر في ملبوسه ، وانجمع عن الناس انجماعاً كُلّياً .

---

* الوافي : ٣١٧/١٩ ، وفوات الوفيات : ٤٢١/٢ ، والدرر : ٤٢٨/٢ ، والشذرات : ٤٦/٦ ، والنجوم : ٢٤٠/٩ ، وتذكرة النبيه : ٨٣/٢ .

(١) في (س) : « بلا » .

وكان قد سمع في الكهولة من ابن عبد الدائم ، وأجاز له ابن مسلمة وغيره .

وتنقل إلى أن صار صاحب ديوان الإنشاء بمصر مدّة طويلة ، وما كتب قُدّام أحد إلاّ وَعَظّمة واحْتَرامه ، مثل حسام الدين لاجين ، والملك الأشرف ، والملك[1] الناصر محمد بن قلاوون . والأمير سيف الدين تنكز كان يذكره كل قليل ، ويجعل أفعاله قواعد يُمشّي الناس عليها .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن القيسراني . قال : كنت يوماً أقرأ البريد على الأمير سيف الدين تنكز ، فتحرك على دائر المكان طائر ، فالتفت إليه يسيراً ورجع إليّ ، وقال : كنت يوماً بالمرج ، وشرف الدين بن فضل الله يقرأ عليّ بريداً جاء من السلطان ، والصّبيان قد رموا جلمَة[2] على عصفور ، فاشتغلت بالنظر إليها ، فبطّل القراءة[3] وقال : ياخوند ، إذا قرأت عليك كتاب السلطان اجعل بالك كلّه مني ، ويكون كلُّك عندي ، ولا تشتغل بغيري أبداً ، وافهمه لفظةً لفظة ، أو كما قال .

وما رأى أحد ما رآه هو من تعظيم الناس له ، رآه الملك الأشرف مرّة ، وقد قام ومشى ، وتلقّى أميرا ، فلما حضر عنده قال : رأيتك وقد قمت من مكانك وخطوت خطوات ! فقال : ياخوند ، كان الأمير سيف الدين بَيْدَرا النائب قد جاء وسلّم عليّ . فقال : لا تعد تقوم[4] لأحد أبداً . أنت تكون عندي قاعداً وذاك واقف .

ولّما توفي القاضي فتح الدين محمد بن عبد الظاهر[5] بمصر ، وقام بعده عماد الدين بن الأثير مدة يسيرة طلب السلطان الملك الأشرف القاضي شرف الدين من دمشق ، ورتّبه بعد عماد الدين بن الأثير في صحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية ،

(١) في الأصل : « والملك الكامل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) كذا في الأصول والوافي ، ولم نقف على مراده ، ولعلّها بالحاء ، وهي دويبة من القردان .
(٣) عبارة الوافي : « فبطل القراءة وأمسكني » .
(٤) في الوافي : « تقم » .
(٥) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٦٩١ هـ) ، الوافي : ٣٦٦/٣ .

فأقام بها إلى أن جاء السلطان الملك الناصر من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، وكان قد وعد بالوظيفة للقاضي علاء الدين بن الأثير ، فأُخرج القاضي شرف الدين إلى صحابة ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه محيي الدين ، فوصل إلى دمشق يوم السبت تاسع عشر شهر الله المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، وهو يُنْفذ(١) بريداً إلى بعض النواحي .

ومتعه الله بجوارحه ، لم يتغيّر سمعه ولا بصره ، ولا تغيرت(٢) كتابته ، وخلّف نِعمة طائلة من الأموال .

ولما مات بدمشق حضر شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود مكانه في صحابه ديوان الإنشاء بدمشق ، ورثاه بقصيدة طنّانة ، وهي :

لِتَبْكِ الْمَعَالي والنُّهى الشّرف الأَعْلَى ... وتَبْكِ الوَرَى الإحسانَ والحلم والفَضْلا(٣)
وتنتحب الدنيا لِمَنَ لم تجدِ له ... وإن جَهِدَتْ في حُسْن أوصافه مِثْلا
ومَنْ أتعب النّاس اتّباعُ طريقه ... فكَفّوا وأعيتهم طريقته المثلى
لَقَدْ أثكل الأيّام حتى تجهمّت ... وإن كانت الأيامُ لا تعرف الثّكْلا
وفارق منه الدّستُ صَدْراً مُعَظّماً ... رحيباً يَرُدُّ الحُزْنَ تَدْبيرُه سَهْلا
فكم حاط بالرأي الممالك فاكتفت ... بهِ أن تَعُدّ الخيل للصَّوْنِ والرَّجْلا
وكم جَرّدت أيدي العدى نَصْل كيدهم ... فردّ إلى أعناقهم ذلك النّصلا
وكم جلّ خطب لا يَحَلُّ انْعِقادُه ... فأعْمَل فيه صائب الرأي فانحَلاّ
وكم جاء أمرٌ لا يُطاقُ هجومُه ... فلّما تولّى أمْرَ تدبيره ولّى
وكم كفّ محذوراً وكم فكّ عانياً ... وكم ردّ مكْرُوهاً وكم قد جَلاَ جُلّى

(١) في الأصل : « ينفد » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « تغير » ، وأثبتنا ما في» ز) ، (س) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « والحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .

ومنها :

وقَـــدْ كان لـلاّجين ظـلاً فقلّصت ... يَـدُ المـوتِ عَـدْواً عنهم ذلـك الظِّـلاّ
وعفٌ عن الأغراض مُغْضٍ عن القـذى ... صبورٌ عليـه في الورى يحمل الكلاّ[(١)]
سأَنْدِبُـه دَهْري وأرثيـه جـاهـداً ... وأُكْثِرُ فيـــه من بُكاي وإنْ قـلاّ[(٢)]
ولِمْ لا وقد صـاحَبْتُـه جُـلّ مـدّتي ... أراه أبـــاً بَرّاً ويعتــــدّني نجـلا[(٣)]
ولم يَرَنـا في طُـول مُـدّتنـا امرؤٌ ... فيحسبنـــا إلا الأقـــاربَ والأهْـلا
وكم أرشـدَتْني في الكتـابـة كُتْبُـهُ ... ولو زَلّ عن إرشـادهـا خـاطري ضلاّ
وكم مُشكـــلاتٍ لم تَبِنْ لُمحـــدّقٍ ... إليهـا جلاهـا فـانْجَلَتْ عنـدمـا أملى
فَمَنْ هــذه حــالي وحِــالتــهُ معي ... أيحسُن أنْ أبكي على فَقْـــده أمْ لا
وعهــدي بـــه لا أَبْعَـــدَ اللهُ عَهْـــدَه ... وأقـلامـه أنّى جَرَتْ نشرتْ عـدلاً[(٤)]
وتجري بما تجري الملوك من النـدى ... بهـا فتزيل الجَـدْبَ والْمَحْـلَ والأزلا
لقـد كان لي أُنسٌ بـه وهـو نـازح ... كأنّ التنـــائي لم يُفَرّقْ لنـــا شمـلا
وقـد زال ذاك الأُنس واعْتَضْتُ بعـده ... دُموعـاً إذا أنشـأْتُها أَنْسَتِ الوَبْـلا[(٥)]
فـلا مـدمعَي الهـامي يجفُّ ولا الأسى ... يخفُّ جــواه إنْ أَقُـــلْ لهما مهــلا
ولا حُرْقِي تخبـو وإن يُطْفَ وَقْـدُهـا ... بمـاء دموعي صـار فيهـا غَضـاً جَـزْلا
إلى الله أشكـو فَقْـد صَحْب رُزِئْتُهم ... وفَقْـدُ ابن فضل الله قـد عَـدل الكُلاّ
ولم يتْرُكِ المــوتُ الـــذي حُمَّ منهم ... حَماً ولا خَلَّى الرّدى منهم خِـــلاّ
وعمّهم داعي الحِمام فــــأسرعـــوا ... جميعـــاً وألغى قــولنـــا منهمُ إلاّ[(٦)]

(١) في (ز) ، (س) : « على القذى » .
(٢) في الوافي : « بكائي » .
(٣) في الوافي : « كلّ مدتي » .
(٤) في الأصل : « إنّ جرت » تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٥) في الوافي : « أنشأت الوبلا ! » .
(٦) في الوافي : « وألفى » .

وكم يُرْجِعُ السّاري الونى عن رفاقه ... بإبطائه عمّن تقدمه كلا[١]
أيطمعُ من قد جاز مُعْتَركَ الرّدى ... إذا ركْبُهم يوماً بدارهمُ حلا[٢]
ولا سيا مَنْ عاهدَ الدّاءُ جِسْمه ... يُعاوده بدْءاً إذا ظنّه ولى
عزاؤك محيي الدين في الذاهب الذي ... قضى إذا قضى فرض المناقب والنفلا[٣]
فمثلك مَنْ يَلقى الدّروس بكاهل ... يُقلّ الذي تَعْيا الجبالُ به حَمْلا[٤]
وفي الصّبر أَجْرٌ أنت تعرفُ قَدْره ... وآثارَهُ الحسنى فلا تدَع الفَضْلا
وسلّم لأمر الله وارْضَ بحُكْمه ... تحُزْ منه فضلاً ما برحْتَ له أهْلا
ولا زال صَوْبُ الْمُزْنِ والعَفْوِ دائماً ... يؤمّانه حتى إذا وصلا انْهَلاّ

ورثاه الشيخ علاء الدين علي بن محمد بن غانم ، أنشدنيها لنفسه إجازة :

ما كُنْتَ منْ حُزني عليك بلاَهِ ... لّما فَقَدْتُك يا بنَ فَضْلِ اللهِ[٥]
أصبحْتَ ذا جَلَد لفَقْدك واهنٍ ... حُزناً عليك وذا اصطباري واهِ
كم صُنْتَ سرَّ الْمُلْكِ منك بهِمَّةٍ ... وكفايةٍ ما صانها إلاّ هي
ولكم مُهمٍّ مُشْكِلٍ أمضَيْتَه ... إذ أنت منه آمرٌ أو ناهِ
مَنْ للمصالحِ والْمُهمّات التي ... ما كُنْتَ عنها ساعةً بالسّاهي
كم حاجةٍ حَصَلت تجاهك وانْقَضَتْ ... وكريهةٍ فرَّجْتها لله[٦]
مَنْ ذا يقومُ مقامَ فَضْلِك في العُلا ... مِنْ سائر الأنظار والأشباه
مازِلْتَ عُمْرَك مُحْسِناً حتى انتهى ... ولكلّ عُمرٍ في الزمان تَناهِ
كم قائلٍ مازلتَ أنت مَلاذَه ... قد كُنتَ عِزّي في الأنام وجاهي

(١) في الوافي : « يرتجي » .
(٢) في الوافي : عجز هذا البيت هو عجز البيت الآتي ، والعكس في البيت الآتي .
(٣) في الأصل : « عزاك » ، وفي الوافي : « عزاءك » .
(٤) في (ز) ، (س) والوافي : « يلقى الخطوب » .
(٥) في (ز) والوافي : « عن حزني » .
(٦) في (ز) ، (س) والوافي : « بجاهل وانقضت » ، تحريف .

ولكم سعيدٍ مات بَعْدَك خاملاً بل كان يفخرُ دائماً ويُباهي
ما فَرْدُ داهيةٍ برُزْئِك قد دَهَتْ بل قد دهت لما فُقِدْتَ دَوَاه
قَسَماً لقد خَمِلَ الزّمانُ وكنت لمّـ ـا كنتَ فيه هو الزّمانُ الزّاهي[1]
لله دَرُّ مَعارفٍ قد حُزْتَها مَنْ ذا يُجاري فَضْلَها ويُباهي[2]
أنْطَقْتَ أفواه الزّمانِ بمدحك الـ ـمعالي لفضل دام منك وفاهي[3]
أسفي على ما فات منك وأنت لم تَبْرَحْ بقُربي مُنْعِماً وتجاهي
أبكيك ما بقي البُكاء بكاء مَحْـ ـزونٍ على طُول المدى أوّاه
فسَقَتْ ضريحَك رحمةٌ فيّاضَةٌ ترويه بالأنواء والأمواه

ولمّا طُلب في الأيام الأشرفية إلى مصر ، كتب إليه علاء الدين الوداعي ، ومن خطه نقلت :

وافقتُ ربّي في ثلاث بأنْ تبقى وترقى وتنالَ العُلَى[4]
وقد رأتْ عيناي أُمنيتي والحمد لله تعالى عَلَى
والآن في مصر فلابُدّ [من] أن تخلُف الفاضل والأفضلا[5]

وكتب إليه ، ونقلت من خطه :

لئن كان أصلي من ذُؤابة كنْدَةٍ أُولي الحِكَم الغَرّاء والْمَنطِق الفَصْل[6]
فما زلتُ طولَ الدّهرِ أَشْكُرُ فَضْلَكُم إلى أن دعوني في القبائل بالفضل

ومن إنشاء القاضي شرف الدين بن فضل الله كتابَ بُشْرى بالنيل ، وهو :

(١) في الوافي : « وكان لما » .
(٢) في الأصل : « ذا يجازي » ، تصحيف .
(٣) في الوافي : « الرّفاق » .
(٤) في الوافي : « من ثلاث » .
(٥) زيادة من (ز) ، (س) والوافي .
(٦) في الأصل : « بالفراء والمنطق الواصل » . وأثبتنا ما في باقي الأصول .

لا زالت البشائر تَسْتَمْتِعُ بمُحاورته ، وتغتبطُ بمجاورته ، وتوّد لو استقرّ بذُراه قرارُها ، وطال معه سِرارُها ، وهذه البشرى[١] تبشّره بنعمةٍ عَظُمَتْ مواهبها ، وعَذُبَتْ مشارِبُها ، وانْتَشرتْ في البسيطة مذاهبُها ، ورَدّت الآمالَ الظماء ، وضاهت الأرضُ بها السماء ، وأغنت عن منّةِ الغَمام ، وعمّت مِصْرَ بالهناء حتى فاض إلى الشام ، وهي وفاءُ النيل الذي وَفّى ، وفي وفائه حياةُ البلاد والعباد ، وشُكْرُ النِّعْمَةِ به مُتعيّنٌ على الحاضر والباد .

ومنه أيضاً :

ورد كتابُه فتمتّع منه بعرائس أبكار الأفكار ، وتملّى منه بنفائس [من][٢] أنفاس الأزهار ، وشاهدَ كُلَّ سَطْرٍ منه أَحْسَنَ مِنَ سَطْرى ، وكان ناظره صائماً عن النظر لبُعْدِه فأوجب عليه عيد[٣] قدومه فِطْرا ، وردّد فِكْرُه في بدائعه الرائقة الرائعه ، ورأى التشريف بإرساله من جملة صنائعه[٤] المتتابعه ، ووقف عليه وسُرّ بدنوّه وإيابه . وشكر الأيام التي خوّلته من اقترابه مالم تُطمعه الأيام في تمثيله ولم يَدُرْ في حِسابه ، والله تعالى يقرن اليُمنَ بهذه الحركه ، ويجعلها مشمولة[٥] على السعادة مخصوصة بالبركه .

ومنه نسخة كتاب كتبه عن نائب السلطنة بالشام لّما قدم « المبارك » الذي ادّعى أنه ابن المستنصر :

﴿ سلامٌ عليكم طِبْتُم فادخلُوها خالِدين ﴾[٦] .

---

(١) في الوافي : « الجملة » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) في الوافي : « عند » .
(٤) في (س) : « رسائله » .
(٥) في (ز) ، (س) ، والوافي : « مشتملة » .
(٦) الزمر : ٧٣/٣٩ .

ليَهْنَكَ النِّعْمةُ الْمُخضَرُّ جانِبُها مِنْ بعدما اصفرّ في أرجائها الْعُشْبُ

ضاعف الله جلال الجناب الكريم الشريف العالي المولوي السيّدي النبوي ، وجعل قدومه كاسمه المبارك على الإسلام .

واسْم شققت له من اسمِك فاكتسِ شَرَفَ العُلوِّ به وفَضْلَ العُنْصرِ

وأورد ركابَه الأرض الشامية ورُوُدَ الغَمام ، وبيّن أنوار الخِلافةِ على جبين مجده فلا تُضام النواظِرُ في رؤيتها ولا الأفهام ، وأضاء بوُجوده بَيْتَ الإمامةِ حتى يعود إلى عوائده الْحُسنى في سالف الأيام ، وسخّر له العزائم والشكائم ، وجعل من شيمته السيوف والأقلام . ورد الكتابُ الكريم تبدو البركات من صفحاته ، وتَسْري نسمات السَّعْد من أنفاس كَلِمه الطيّب ونفحاته ، وكان كالسّحاب إذا سحَّ وابلُه ، وكالذِّكْرِ المحفوظِ إذا عمّت ميامنُه للإسلام وفواضِلُه .

وكالبدر وافته لوقتِ[١] سعودِهْ وتمَّ سناهُ واستقلّتَ منازِلُه

فتلقّاه حين أُلقي إليه من سماء الشرف بالإعظام ، وحلّ الواردون [به][٢] من مواطن القبول محلّ ملائكة الوحي الكرام ، وتلا على ماقبله : يابُشراي هذا سيد ولم يقل : هذا غلام . فأي قلب لم يُسرّ بِقُدمه ، وأي طَرْفٍ لم يستطلع أنوار مَطْلَعه على الدنيا ومَنْجمَه .

ومن شعره [يمدح الملك المنصور قلاوون الألفي][٣] :

تَهبُ الألوفَ ولا تهابُ لهم ألفاً إذا لاقيت في الصّفِّ
ألف وألفٌ في ندًى ووغًى فلأجْلِ ذا سَمُّوك بالألفي[٤]

(١) في الوافي : « لوقته » .
(٢) زيادة من الوافي .
(٣) زيادة من (س) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « وألف وألف » ، ولا يستقيم .

ومنه لما خُتن الملك الناصر محمد :

لم يُروِّعْ لـه الخِتَانُ جَنانـاً ... قَدْ أصابَ الحديدُ منه حَديدا
مثلما تَنْقُصُ المصابيحُ بالقَطْ ... ط فتزدادُ في الضياء وُقودا

ومنه :

كَتَبْتُ والشّوقُ يُدنيني إلى أَمَلٍ ... منَ اللّقاءِ ويُقصيني من الدار
والشّوقُ يُضْرِم [فيما] بين ذاك وذا ... بَيْنَ الجوانح أجزاءً من النار(١)

ومنه :

في ذِمّةِ الله ذاك الرّكْبُ إنّهم ... ساروا وفيهم حياةُ المُغرمِ الدَّنِف
فإن أَعِشْ بعدهم فَرْداً فيا عجباً ... وإن أَمُتْ هكذا وَجْداً فيا أسفي(٢)

ومنه يهنئ القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ببنت :

أمولاي فَتْحَ الدّين هُنّئ خِدْركُم ... بقُرَّة عَيْنٍ للصِّيانةِ والمَجد
ومُتّعْتُم منها بأيْمَنِ غرّةٍ ... مُبارَكَةٍ في الصالحات من الوُلْد(٣)
وصِين بني سَعْدٍ حِمَاكُمْ وعِشتُمُ ... مَيامينَ فُرْسانَ اليراعَةِ والحَمْد(٤)
وعُوِّذْتُمُ مِنْ عَيْنِ حاسدِ فَضْلِكم ... ومَجْدِكم في المجدِ يوماً وفي المَهْدِ(٥)
فأولادُكم إمّا بدورُ فضيلةٍ ... وإما شموسٌ هُنّ أَخْبيَةُ السّعْد
فبُورِكَ فيها طَلْعَةً فلرُبّما ... أفاد بني سعد فخاراً بنو نَهْدِ

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الوافي : « عجبي » .
(٣) في الوافي : « فيها » .
(٤) في الوافي : « وحين بني » ، تحريف .
(٥) في (س) ، (ز) ، والوافي : « في الدست » .

١٠٦٠ ـ عبد الوهاب بن فضل الله*

القاضي الكبير الأثير المهيب شرف الدين النشّو ناظر الخاص .

كان كالغُصن قدُّه . أو السيف حدُّه ، أو البدر محيّاه البَهيّ ، أو الدُّرّ كلامُه الشهّي . طويل القامة مُمتدّها ، ظَريفَ الخَطْرةِ يحسبها النـاظرُ خَطْرة كاعبٍ ويعتدُّها . باشر نظرَ الخاصِّ فعَمّ به إقبالَ الدوله ، وانتشرت له السُّمْعَةُ والصَّوْلَه ، وسَدَّ مهمّاتٍ لو جرى النيل ذهباً لأفناه الإنفاق[1] ، ولو نُثِرت النّجومُ دراهمَ لما ساعدها الإرْفادُ ولا الإرفاق ، وبُزّت أموالُ جماعة وأرواحُهم ، وركدَتْ بعدما هبّت بالسّعادة أرواحُهم ، وتمكّن من السلطان فوصل وقطع ، ولمع بارقُ سعوده وسطع ، وخلا له العَصْرُ ، وجلا [السعد][2] له القصر ، وانْفَرد بالتدبير ، وما خلا ذلك التمْيرُ من التدمير ، وغرَّه مَيْلُ السلطان إليه وتقريبُه ، وفاته منه ما يجري به تجريبُه ، فعاند الناسَ جميعاً ، ولم يكن لأحدٍ من الخاصكيّة سميعاً ، وأراد يتعشّى بأُناس فتغدَّوا به قبل ، وفوّقوا إليه من المصائب صائبات النَّبْل ، فافترسته ليوثُ خوادِر ، وساعدت عليه المقادر ، وعجز السلطان عن خلاصه ، وغنِموا الغفلة في افتراسه وافتراصه .

وجاءه شؤبوبُ الشيوب[3] ، واسْتَخرَج منه ومن أهله خبايا البيوت [قبل الجيوب][4] ، فقضى تحت العقاب نَحْبَه ، ولقي بما قدّم ربّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة أربعين وسبع مئة .

وفي ذلك قال القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب دواوين[5] الإنشاء :

---

* الوافي : ٣٢٤/١٩ ، التالي : ١٨١ ، والدرر : ٤٢٩/٢ ، وذيول العبر : ٢١٤ .

(١) في (س) : « النفاق » ، تحريف .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) كذا ، ولعلّها (السيوب) ، وهي مجاري المياه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) في (س) : « ديوان » .

في يوم الاثنين ثاني الشّهرِ مِنْ صَفَرِ نادى البشيرُ إلى أن أسْمَعَ الفَلَكا[١]
يا أهل مَصْرَ نجا مُوسى، ونَيلُكم وفّى وفرعون وهو النَشّو قد هلكا

وكان النشّو أولاً هو [ووالده][٢] وإخوته يخدمون عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فلما انفصلوا من عنده أقاموا بطّالين مُدّة في بيتهم ، ثم إن النشّو خدم عند الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور ، فأقام في خدمته تقدير ستة أشهر ، ثم إن السلطان طلب كُتّاب الأمراء ، فحضروا ، فرآه وهو واقف وراء الجميع ، وهو شاب طويل نصراني ، حلو الوجه ، فاستدعاه وقال له : إيش اسمك ؟، فقال : النشو . قال : أنا أجعلك نشْوي . ثم إنه رتّبه مستوفياً في الجيزيّة[٣] ، وأقبلت سعادته فأرضاه فيما يندبه إليه ، وملأ عينه بالنهضة والكفاءة ، فنقله إلى استيفاء الدولة ، فباشر ذلك مدة ، وخدم الناس ، وأحسن معاملتهم فأحبوه .

ثم إنّ السلطان استسلمه على يد بكتمر الساقي وسمّاه عبد الوهاب[٤] ، وسلّم إليه ديوان ابنه آنوك ، فلاحظته السعادة ، ونام عنه طرف الزمان . ولما توفي[٥] القاضي فخر الدين ناظر الجيش نقل السلطان القاضي شمس الدين موسى[٦] من نظر الخاص إلى نظر الجيش ، وولّى النشو ناظر الخاص مع كتابة ابنه ، وحج مع السلطان في تلك السنة ، وهي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « اثنين » .
(٢) زيادة من (ز) ، (س) .
(٣) في الأصل : « الخيريّة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٤) وكان اسمه نشئ الدولة ، كما في الوافي .
(٥) في الأصل : « تولى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٦) هو موسى بن إسحاق ، ويدعى عبد الوهاب بن عبد الكريم المصري القبطي ، شمس الدين ، وهو الذي عناه ابن فضل الله بقوله :

يا أهل مصر نجا موسى ...

(ت ٧٧١ هـ) ، الدرر ٤/٣٧٤ .

ولّما كان مستوفياً وهو نصراني كانت أخلاقه حسنة ، وفيه بِشْرٌ وطلاقة وَجْهٍ وتسرّعٌ إلى قضاء حوائج الناس ، ولما تولى الخاصّ وكثر الطلبُ عليه من السلطان ، وزاد السلطان في الإنعامات والعمائر وبالغ في أثمان المماليك وزوّج بناته وتوجه إلى الحج واحتاج إلى الكلَفِ العظيمة الْمُفْرطة الخارجة عن الحد ساءت أخلاق النشّو ، ولَبسَ للناس جلد النمر ، وأنكر من يعرفه ، وفُتحت أبواب المصادرات للكُتّاب ولمنْ معه مال ، وكان الناس يقعون معه ويقومون إلى أن جُرح ، فازداد الشّرُ أضعافه ، وهلك أناسٌ كثيرون ، وسلبَ جماعةً نعمهم وذهبت أرواح ، وزاد الأمر إلى[1] أن دخل الأمير سيف الدين بشتاك والأمير سيف الدين قوصون وجماعة من الخاصكية ومعهم عبد المؤمن الذي تقدم ذكره إلى السلطان ، فلما حضروا أجلسهم ، وأخرج عبدُ المؤمن سكيناً عظيمة من غِلافها ، فارتاع السلطان ، فقال عبد المؤمن : أنا الساعة أخرج إلى النشو وأضربه بهذه السكينة ، وأنت تشنقني وأريح الناس من هذا الظالم ، فقال السلطان : يا أمراء متى قُتل هذا بغتةً راح مالي ، ولكن اصبروا حتى نُبرم أمراً ، فلما كان ليلة الاثنين ثاني صفر الشهر المذكور اجتمع السلطان به ، وقال له : غداً أريد فلاناً[2] ، فاطلع أنت من سحر لتروح وتحتاط[3] عليه ، وأحضر جماعتك ليتوجه كل واحد إلى جهة أُعيّنها له . فلما كان من بكرة النهار طلع القلعة ودخل إليه واجتمع به وقرّر الأمر معه ، وقال له : اخرج حتى أخرج أنا وأعمل على إمساكه مع الأمراء ، فخرج وقعد على باب الخزانة ، وقال السلطان لبشتاك : اخرج إلي النشّو وأمْسِكه ، فخرج إليه وأمسكه وأمسك أخاه مجد الدين رزق الله المذكور في حرف الراء ، وصهره ولي الدولة ، وأخاه الأكرم ، وجماعتهم ، وعبيدهم ، ولم يفت في ذلك الوقت إلا المخلّص أخوه الكبير ، فإنه كان في بعض الدِّيَرة ، فجهز إليه مَنْ أمسكه وأحْضَره ، وسلّم بشتاك النشو إلى الأمير

---

(١) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٢) عبارة الوافي : « غداً نريد نمسك فلاناً » .

(٣) في الوافي : « لتروح تحتاط » .

سيف الدين برسبغا الحاجب ، وعوقب هو وأخوه المخلّص ووالـدتها وعبيـدهم . ومـاتت والدتها وأخوه المخلص تحت العقوبة في المعاصير والمقارع . ثم إن السلطان رقّ على النشو ورفـع عنـه العقـوبـة ، ورتّب لـه الجرايحيـة[١] والفراريـج والشراب فـاستشعروا رضـا السلطان عنه ، فأُعيدت عليه العقوبة ومات تحتها رحمه الله تعالى .

وقيل : إنّ الذي تحصل من النشو ومن إخوته ومن أمه ومن عبيدهم وأخيه وصهره مبلغ ثلاث مئة ألف [دينار][٢] مصريّة .

وأراني النشو قبل خروجي من الديـار المصريـة في سنـة سبع وثلاثين وسبع مئـة ، قال : هذه أوراق فيها ثمن المماليك الذين اشتراهم السلطان من أول مبـاشرتي سنـة اثنتين وثلاثين وسبع مئـة إلى الآن ، وجُملـة ذلـك أربعـة آلاف ألف دينـار [وسبع مئـة ألف دينار][٣] . وأمـا جراحتـه ، فـإنـه كان من عـادتـه متى أُذّن الصبح ركب من بيتـه في الزربيّة[٤] وتوجه إلى القلعة [فيجلس على باب القلعة][٥] إلى أن يُفْتح ويدخل ، فلمـا كان في ثاني عشر شهر رمضان سنة سبع أو ثمان وثلاثين وسبع مئـة ركب على عـادتـه ، فلما كان خلف الميدان عند أوّله إلى جهة البحر ، لحقه فارس يطرد الفرس وبيـده سيف مشهور ، فقال له عبده من ورائه : ياسيـدي جـاءك ، فـالتفت فرأى السيف مسلولاً ، قال لي : فرفستُ البغلةَ لأحيدَ عنه ، فأخذتني إليه ، فضربه على عضده اليسـار وعلى[٦] جنبه إلى مربط لباسه ، ثم تقدمـه وضربـه ضربـة أخرى إلى خلف[٧] ، فوقع شـاشـه إلى الأرض ، ولما ضربه هذه الثانية رفعت البغلةُ رأسهـا ، فجـاء السيف في حجـاج عينهـا

(١) الذين يداون الجراح .
(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٣) زيادة من (س) ، والوافي .
(٤) في الأصل : « الزريبة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) والوافي .
(٥) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي .
(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « أن خلف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

[وبعض أذنها][1] ، فلما وقع شاشه توهّمه رأسه وساق وتركه ، فرجع النشو إلى البيت ، فقطب الجرايحي يده بست إبر وقطب جنبه باثنتي عشرة إبرة ، ولو لم أر ذلك بعيني ما صدّقت ، فإن الناس أجمعوا على أنه ادعى ذلك ليؤذي الناس عند السلطان .

وحكى لي القاضي شرف الدين النشو من لفظه غير مرّة لما تولى نظر الخاص قال : كنت أطلع مع والدي إلى القلعة بالحساب ، فيتقدمني هو بحماره القويّ وأنقطع أنا على الحمار الضعيف ، والحسابُ عليه ، فلا أزال أضربه بالعصا إلى أن تتكسّر ثم أضربه بفردة السرموزة إلى أن تتقطع ، وأطلع القلعة في أنْحَس حال .

وحكى لي أيضاً غير مرة قال : لما بطّلنا من عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب أقمنا نبيع من أطرافنا ونُنْفِق عَلَيْنَا ، إلى أن لم يبق لنا شيء ، فاحتجنا يوماً ولم نجد ما نبيعه ، فجمعنا السراميز العتق وسيّرنا أبعناها بما أنفقناه علينا ، فقال لي والدي : هذا آخر الخمول ، ومابقي بعد هذا قطوع ، وقد قرب الفرج .

قال : وكان لي قميص إذا خرجْتُ أنا لبسته ، وإذا خرج أخي المخلّص لبسه ، فلما كان ثاني يوم نزل عبدنا[2] إلى البحر ، فاصطاد لنا سمكة مليحة سمينة ، فقلوناها بما فيها من الدهن ، ولم يكن عندنا ما نشتري به سيرجاً ، فلما كان ثاني يوم لذاك اليوم جاءني من طلبني لأخدم عند أيدغمش أمير آخور ، فتوجهت وقدر الله باتصال القسمة وخلع علي ، فتوجهت بالتشريف إلى الشرابشيين[3] وأبعته واشتريت قماشاً من الشرب كثيراً وفصّلناه قمصانا لِما وجدناه من حرقة عدم القمصان .

---

(١) زيادة من (ز) ، (س) ، والوافي . والحَجَاج : عظم الحاجب .
(٢) في الوافي : « عبد مفلح » .
(٣) الشرب : نسيج لطيف رقيق ، والشرابشي : بائعه .

١٠٦١ ـ عبد الوهاب بن محمد*

ابن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي ، الشيخ الإمام العالم النحوي الفقيه كمال الدين ابن قاضي شهبة الشافعي .

سمع من ابن أبي الخير (سُباعيات) الصيدلاني ورواها عنه . سمع الكتب الكبار و (مسند) الإمام أحمد ، وله ثبت بخط الوجيه السَّبتي .

ومن شيوخه الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن علاّن ، وابن البخاري ، والمجد بن الخليلي ، وإسماعيل بن العسقلاني[1] ، والبرهان بن الدرجي ، والشرف بن القواس .

كان فقيهاً فاضلا ، عارفاً بالمذهب ناقلا ، له حلقة بالجامع الأموي خلف محراب الحنابلة ، قرأ عليه جماعة من الطلبة أولاد الأكابر ، ومن أرباب السيوف وذوي المحابر . وكان حريصاً على التعليم ، مجتهداً على التفهيم ، يعيد الدرس للطالب مرات ، ويطالبه بإعادته كرات ، ويسمع على المشتغلين الماضي الذي تقدم ، ويقيم بالمذاكرة من ربوع العلم ما تهدّم ، لو أمكنه صَوَّرَ الدرس للطالب في الخارج ، ورقّاه في فهمه على المعارج ، وانتفع عليه بذلك جماعه ، وأرخى على وجهه قناع القناعه ، وكان يعتكف في الجامع الأموي شهر رمضان بكماله ، ويستجلي من الخير بدورَ جماله .

ولم يزل على حاله إلى أن لم يكن في عُدْم ابن قاضي شهبة شُبهه ، ودُسّ في التراب ذاك الوَجْهُ والجبهه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

---

* الوافي : ٣٣٤/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٤٣١/٢ ، والبغية : ١٢٤/٢ .

(١) إسماعيل بن أبي عبد الله العسقلاني (ت٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧٥/٥ .

ومولده في ثاني عشر شوال سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان من أعيان أصحاب الشيخ تاج الدين في الفقه والأصول ، ومن أعيان أصحاب أخيه شرف الدين في العربية . لازمها وسلك طريقها في الإشغال .

١٠٦٢ ـ عبد الوهاب بن أحمد*

ابن يحي بن فضل الله ، القاضي الرئيس شرف الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن القاضي محيي الدين ، موقع الدست بدمشق .

كان شكلاً ظريفا ، أبيَّ النفس شريفا ، فيه شجاعة[1] وإقدام ، وفروسية ثابتة الأقدام ، يلعب الكرة بالصوالج ، ويصيد بالطير والحوامي ما هو في وكره[2] والج ، ويسوق في البريد فيكاد يسبق الرياح ، ويثبت على ظهور [الخيل][3] من الليل إلى الليل إلى الصباح . وكتب الرقاع جيداً ، ووقّع على القصص متأيّدا

وكان فيه مروءة وكرم ، وحدّةٌ في أخلاقه تتوقّد بالضّرم .

ولم يزل على حاله إلى أن ذوى غصنه الناعم ، وأصبح وأعضاؤه للبلى مطاعم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ودفن في تربتهم بجبل قاسيون .

استخدمه السلطان بمصر بعد دخولهم إليها ، في سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وكتب في ديوان الإنشاء مع والده رحمه الله تعالى ، ومع عمه القاضي علاء الدين . وسمع بقراءتي على الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس وغيره[4] .

---

* الدرر : ٤٢٤/٢ ، والنجوم : ٢٩٥/١٠ ، والذيل التام : ١٣٧ .

(١) في الأصل : « شجاع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ذكره » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) زيادة من (ز) ، (س) .

(٤) ليست في (س) .

ولما رُسِمَ لوالده بكتابة سرّ دمشق حضر معه ، وكان يدخل بالعلامة إلى الأمير علاء الدين ألطنبغا ويخرج ، ويقرأ البريد عليه ، وكان يُؤثره ويحبّه ، وكان يكتب عن والده أوراق البريد وأسماء الموقّعين على القصص . ولما توفي والده رحمه الله تعالى تحدث له مع[1] القاضي ناصر الدين كاتب السر وأدخله إلى الدّست موقعاً في أوائل سنة خمسين وسبع مئة أواخر أيام أرغون شاه .

اللقب والنسب

☆ **ابن عبود :** جمال الدين الحسين بن محمد .

١٠٦٣ ـ عبيد الله بن محمد*

الإمام العابد شيخ الحنفية ركن الدين أبو محمد البارساه ، بالباء الموحدة وبعدها ألف وراء وسين مهملة وبعدها ألف وهاء ، السمرقندي ، نزيل دمشق ، ومدرّس الظاهرية ، ومدرس النورية .

كان من كبار الْمَذْهب ، تقمّص منه درعه الْمُذَهب ، وأصبح وحواصل علومه بيد التعليم تُنْهب ، مكبّاً على التعليم والمطالعه والتفهيم والمراجعه ، له وِرْدٌ في اليوم والليلة مئة رِكعه ، يحرم جَفْنَه في الليل لذاذة الهَجْعه[2] ، وله حلقة في الجامع للإفاده ، وللطلبة إلى حرمها في كل يوم وفاده .

ولم يزل البارساه إلى أن بار وجوده ، وطُفي في الماء وقوده ، فأصبح في بركة الظاهرية ملقًى غريقا ، أصيلاً في الأموات عريقا ، قتل لشيء كان معه من الحطام ، وقيد إلى المنيّة بخطام .

---

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٤١٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٣/٢ ، والدارس : ٤١٩/١ .

(٢) في الأصل : « المحفّة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

وذلك في ليلة الاثنين ثاني عشر صفر سنة إحدى وسبع مئة .

وكان قد أُعطي تدريس النورية قبل وفاته بستة أيام ، وألقى فيها ستة[١] دروس لا غير ، وأمسك طيّ الحوراني[٢] قيّم دار الحديث بالظاهرية ، وضرب ، فأقرّ بقتله ، فشنق على باب المدرسة .

١٠٦٤ ـ عبيد الله بن علم الدين*

ابن شراقي ، بفتح الشين المعجمة وبعدها راء وألف وقاف وياء آخر الحروف ، الكاتب .

أخبرني من لفظه العلاّمة أثير الدين ، قال : رأيته بالقاهرة ، وكتب إليَّ بأبيات .

ومن شعره ما كتب به إلى الخطيب مجد الدين[٣] بمدينة الفيوم من أبيات :

خلائقُك الحُسنى أبَرُّ وأَلْطَفُ ... وأنت بأنواع المكارم أعرف[٤]
وتلك السَّجايا الغُرُّ فهي كرَوْضَة ... مفوّفةِ الأزهار تُجنى وتُقْطفُ
طُبِعْتَ على فِعْلِ الجميلِ خلائقا ... فأنت بما تأتيه لا تتكلّفُ[٥]

فأجابه مجد الدين :

يميناً لأنت البَحْرُ للدُّرّ تَقْذِفُ ... وذا عَجَبٌ إذ أنْتَ بالعذب توُصَفُ
وما الدُّرُّ في البحر الفُراتِ وإنما ... خصائصُ فضْلٍ حُزْتَها بك تُعْرَفُ
فلا جِيدَ إلا وهو منها مُطوَّقٌ ... ولا سَمْعَ إلا وهو منها مُشنَّفُ

(١) في (ز) ، (س) : « أربعة » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها من حرف الطاء .

* الوافي : ٤٢٢/١٩ ، وفيه : « عبيد الله بن شراق » .

(٣) أحمد بن أبي بكر بن ظافر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « المكارم ألطف » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٥) قوله : « خلائقا » ليست في الوافي .

منها :

لقد نـالنـا من طيب نَشْرك نَشْوَةٌ فقلنـا : أهـذا الشِّعْرُ أم هـو قَرْقَفُ[١]
فـذاك هـو السِّحْرُ الحـلالُ حقيقـةً كمرِّ نسيمِ الرَّوضِ بـل هـو أَلْطف

وكتب علم الدين بن شراقي إلى زين الدين الأرمنتي[٢] :

بحـقٍّ مـا حُـزْتَ مِنْ خِصـال عطَّرَتِ الأكـوانَ بـالأريـجِ
شنِّفْ بنظمٍ كنظم دُرٍّ ورونـق اليـانـع البهيـجِ[٣]
مُـذْ قطَعْتَ القريضَ عنّي أمري في مقلـقِ مريـجِ

فأجاب زين الدين المذكور :

سـألتَ أمراً وبي احتيـاجٌ لنظمـك البـاهر البيهـجِ
تطلب مني وأنت أَوْلى مـا البحر يحتـاجُ للخليـجِ
نَظْمُـك في حُسْنِـهِ أراه كالـزّهر في يـانـعِ المُروجِ
بـلاغـةٌ فيـه لم ينَلْهـا . حبيبُ أوسٍ ولا السُّروجي

ومن شعر علم الدين شراقي :

ولقـد هَمَمْتُ بـأن أفـوزَ بنظرةٍ من مـالـكٍ تهوى المعـالي وَصْفَـه
لم يستطـع نظري يراه شـاكيـا فبعثْتُهـا عنّي تُقَبِّـلُ كفَّـه

اللقب والنسب

☆ **ابن عبيد الله الموقِّع :** شهاب الدين أحمد بن عبيد الله .

☆ **صلاح الدين** يوسف بن محمد .

---

(١) في الوافي : « طيب شعرك » .
(٢) الحسين بن الحسين ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « شرف بنظم » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

١٠٦٥ ـ عتيق بن عبد الرحمن*

ابن أبي الفتح ، المحدث الْمُتقن الزاهد تقي الدين أبو بكر القرشي العمري المصري الصوفي المالكي ، شيخ خانقاه ابن الخليلي .

سمع بمصر والشام والحجاز ، وحدّث عن النجيب عبد اللطيف ، وعبد الله بن علاّق ، وكتب عنه الطلبة .

وجاور بمكة مدّة ، وكان فيه تعبّد ، وعنده فَقْرٌ وتَزَهُّد ، وتحرّ وتجرُّد ، وله فضيله ، يخرج بها من السّمة الردَّية الرذيله .

مرض مُدّة بالفالج وعالج من آلامه ما كان يعالج .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

١٠٦٦ ـ عتيق بن محمد**

ابن سليمان المخزومي ، تاج الدين الدماميني ، بالدال المهملة والميم والألف والميم الثانية والياء آخر الحروف وبعدها نون .

قرأ الفقه بقوص ، وحفظ (التنبيه) ، واستوطن الإسكندرية ، وانتهت إليه رئاستها .

وكان ذكياً كثير العطاء ، وله مشاركة في التاريخ والأدب ، وبنى مدرسة بالمرجانيين بالثغر ووقف عليها أوقافاً كثيرة .

وحضر إلى مصر فتوفي بها في أواخر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

---

* الوافي : ١٩/٤٦٠ ، والدرر : ٢/٤٣٤ ، وحسن المحاضرة : ١/٣٩٢ ، والشذرات : ٦/٥٧ .

** الوافي : ١٩/٤٦٠ ، والطالع السعيد : ٣٥٩ ، والدرر : ٢/٤٣٤ ، وتذكرة النبيه : ٢/١٢٩ .

١٠٦٧ ـ عثمان بن إبراهيم*

ابن أبي علي الحمصي المقرئ الصالح أبو عمرو الصالحي النسّاج ، إمام مسجد القرشيين .

سمع حضوراً نصف البخاري الأخير من ابن الزبيدي ، وسمع من ابن اللَّتي ، لكنه كان يُحَرِّفُ كتابة الأسماء ، يكتب الحمصي المصري[1] ، فذهب سماعه . وكان قد سمع كثيراً من الحافظ الضياء .

وسمع منه الواني ، والمقاتلي ، والعلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والمحب ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة ، وعاش ثلاثاً وثمانين سنة .

وكان خيِّراً يتودّد إلى الناس ويتواضع ويَحسُنُ بِشْره .

١٠٦٨ ـ عثمان بن إبراهيم**

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام العالم فخر الدين الماردينى المصري ، مفتي الحنفية المعروف بابن التركماني .

كان فاضلاً في مذهبه ، عارفاً بدقائقه وتقلّبه ، شرح (الجامع الكبير)[2] وألقاه دروسا ، وجلاه للنواظر والبصائر عروسا .

---

* الوافي : ٤٦٤/١٩ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، والشذرات : ٢٣/٦ .

(١) في الوافي : « لكن يصحّف في كتابة الأسماء الحمصي بالمصري » .

** الوافي : ٤٦٥/١٩ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ ، والدرر : ٤٣٥/٢ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ٢١٣/٢ .

(٢) في الفروع للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي (ت١٨٧ هـ) ، وذكر صاحب الكشف الشرح المذكور ، وقال : هو كبير في عدّة مجلدات . الكشف : ٥٦٩/١ .

كان جميل المحاضره ، جليل المذاكره ، أخلاقه لطيفه ، وتناديبُه ظريفه ، طَلْقَ المحيّا ، فصيح العباره ، حسنَ العمّه ، كامل الشاره . وكان له ولدان ، كأنهما في سماء الفضل فَرْقَدان .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمّ يومه العصيب ، فأخذ من الموت بنصيب .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت حادي عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في عاشر جمادى الأولى سنة ستين وست مئة ، يوم توفي الشيخ عز الدين بن عبد السلام المنصوري .

وسمع من الأبْرَقُوهي ، والدّمياطي ، وغيرهما . وشرح (الجامع الكبير) في مئة كراس ، وألقاه في المدرسة المنصورية . وله نظم . وتفقه به ولداه الشيخ علاء الدين والشيخ تاج الدين[١] .

١٠٦٩ ـ عثمان بن أحمد*

ابن محمد ، المحدّث ، فخر الدين أبو عَمْرو الحلبي ، ثم المصري ، ابن الظاهري .

حضر النجيب ، وابن علاّق ، وسمع من عامر القلعي[٢] والعزّ الحراني ، ونسخ بعض الأجزاء وكتب الطباق .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : وله إلمامٌ ببعض هذا الشأن وكثرة مطالعه .

---

(١) علاء الدين هو علي ، ستأتي ترجمته في موضعها ، وتاج الدين هو : أحمد ، وقد سلفت ترجمته في موضعها ، وسها المصنف في الوافي فسمّاه : محمّداً ، وقال : تقدّم ذكره في المحمدين .

* الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٣/١ ، والشذرات : ٩٤/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٥/٢ .

(٢) (ت٦٧٦ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٨٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان له قبول ، وعنده مروءة ، وقرأ القرآن بروايات ، وحفظ (ألفية ابن مالك) ، وتعب عليه والده وأسمعه الكثير . قال شيخنا علم الدين البرزالي : شيوخه ست مئة شيخ ، وذلك في سنة خمس وثمانين وست مئة ، وازداد بعد هذا التاريخ خلقاً كثيراً .

وسمع منه الطلبة والرحّالون .

١٠٧٠ - عثمان بن أحمد بن عمر*

ابن أحمد بن هِرْمَاس بن نجا بن مُشرف بن محمد بن ورقة ، القاضي الفقيه الإمام العالم فخر الدين أبو عمرو قاضي نابلس[(١)] .

ولي القضاء بعدة أماكن بالشام . وكان حسنَ السيرة في القضاء عفيفاً ، يقال إنه أباع مُلكاً بثلاثين ألفاً ، وأنفقه عليه مدة الولاية . وكان كثير الاستحضار لمسائل المحاكمات .

قال البرزالي : كَتَبْنا عنه من شعره بنابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى تاسع عشر جمادى الأولى سنة [ثمان وسبع مئة ، ومولده سنة][(٢)] ثلاثين وست مئة بزُرَع .

---

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وفيه : « ابن عمرو » .

(١) في الدرر : « طرابلس » .

(٢) زيادة من (س) . وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٦٨ هـ) ، سهو .

١٠٧١ ـ عثمان بن أحمد بن عثمان*

ابن هبة الله بن أحمد بن عَقيل القيسي الشافعي ، المعروف بابن أبي الحوافر ، الطبيب بالقاهرة .

له إجازة من ابن اللّتي ، وابن المقيّر ، وإبراهيم الخُشُوعي ، وغيرهم . وكان يُنْعَت بجمال الدين .

توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة غرة صفر سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة تسع[١] وعشرين وست مئة .

١٠٧٢ ـ عثمان بن إدريس**

ابن عبد الله بن السلطان عبد الحق بن محيو ، البطل الضرغام ، فارس الإسلام ، مُقَدّم الجيوش أبو سعيد بن أبي العلاء المَريني .

قائد جيش غرناطة ، وهو الذي أبلى يوم الكائنة العظمى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ونصر اللهُ فيها الإسلام ، وأباد جيوش الفرنج .

وكان ذا دينٍ متين ، وعقلٍ صحيح مُبين ، فيه شرفٌ وعنده سياده ، وله كبرياء في الرئاسة ، وافرةُ الزياده ، أبلى في الحروب ، وأملى دروساً في الجراح والضروب ، يلقى الهجير بنَحْرِه ويُقدم على الهول وهو قد جاء وطمّ ببحره ، لا يبالي بالكتائب إن قلّت أو كثرت ، ولا يهمه أمر جياده ، إن كلّت أو عثرت ، أين من بأسه عنترة أو عامر بن الطفيل ؟! وأين من كرِّه على الفوارس زَيْدُ الخيل ؟ كاد يَردُ الموت من الظما ، أو يخال سُمرة الرماح لمى ، أو يتخيل أن السيوف جداول فهو يخوضها ، أو يتوهم أن المنايا ذاتُ دلالٍ فهو يروضها .

* الدرر : ٤٣٦/٢ ، وعقد الجمان : ٢٠٢/٤ .

(٢) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وعقد الجمان .

** الوافي : ٤٦٦/١٩ ، والدرر : ٤٣٧/٢ ، ونفح الطيب : ١٠١/٥ .

ولم يزل على حاله إلى أن صالت عليه المنايا ، وجاءته بما في زواياها من الجنايا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

قيل : إنه شهد مئتي غزوة وأربعاً وثلاثين غزوة . أهلك الله ضده الوزير المحروق الذي أبعده من الحضرة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة لأن ولده إبراهيم بن عثمان كان قد شارك يحيى بن عمر بن راجو[1] في قتلة السلطان أبي الوليد ، ثم عاد ابن أبي العلاء[2] إلى منصبه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة . نزل يوم الملحمة العظمى إلى الأرض ، وسجد وتضرّع إلى الله ثم ركب فرسه وقال لجيشه : احملوا ، وكانوا دون الألفين ، فحملوا على القلب وفيه « ذون بطرو » المقدّم ذكره ، وهو في بضعة عشر ملكاً من الفرنج فقُتلوا كلّهم ، ثم لم يفلت منهم أحد ، ودام القتال إلى الليل ، فأقلُّ ما قتل من الفرنج ستون ألفاً وقيل : ثمانون ألفاً ، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة إلى الغاية .

وتوفي رحمه الله تعالى وهو مرابط ، وكان من أبناء الثمانين .

١٠٧٣ ـ عثمان بن إسماعيل*

ابن عثمان ، الأمير صارم الدين .

كان أولاً حاجباً بصفد ، ثم نُقل إلى دمشق أميراً ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن توجّه صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى إلى ملطيّة .

ولّما عاد العسكر من ملطيّة توفي رحمه الله تعالى في الطريق في سابع عشري شهر ربيع الأول بالمعرّة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

(١) ترجم له صاحب الدرر : ٤٢٣/٤ ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٢) في (س) : « العلا » .

* الدرر : ٤٣٧/٢ .

وكان رجلاً جيداً ساكناً وقوراً . عُيّن لشدّ الدواوين بدمشق ، وكان يسكن بدرب الفراش[١] ، وخلف أولاداً وذريّة ، وكان جدّه من مماليك الدوادار الرومي ، كذا قاله شيخنا البرزالي . وعاش ثمانياً وخمسين سنة .

وهو أخو الأمير ناصر الدين مشدّ الأوقاف بدمشق ، وناظر الْحَرَمَيْن بالقدس والخليل عليه السلام . وكان يعرف في دمشق بحاجب صفد ، أعني الأمير صارم الدين .

١٠٧٤ ـ عثمان بن أيوب*

ابن مجاهد الفرْجوطي ، بالفاء والراء الساكنة والجيم والواو الساكنة والطاء المهملة .

كان مُلازم التلاوه ، ويستعمل الصّبر على ذلك عِلاوه ، قد التحف بالتُّحف من القناعه ، وجعل الشكر رداءه وقِناعه ، يرضى بالقليل من العيش الشَّظِف ، ويتجلّد لما مضى ولا يأْتَنِف ، عديمَ الطّلب من الناس ، سليمَ القلب في معاشرة الأخيار والأدناس .

ولم يزل على حاله إلى أن افترش تُرابَ لحدِه ، وألصق بالثرى ديباجةَ خدِّه .

وتوفي في مستهل شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتوفي ببلده فَرْجوط .

ومن شعره :

ألا في سبيل الْحُبِّ ما الوَجْدُ صانعُ   بقَلْبٍ له من وَشْكَةِ البَيْنِ صارِعُ[٢]
يُكابدُ من أجلِ البِعادِ هلوَعَه   وإنّ قِلى الأحباب للصَّبِّ هالِعُ

(١) في الأصل : « الفراس » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، وانظر : الدارس ٢٤١/٢ .

* الوافي : ٤٦٩/١٩ ، والطالع السعيد : ٣٤٧ ، والدرر : ٤٣٧/٢ .

(٢) في الوافي والطالع : « صادع » .

ويُقْلِقُــه داعي الهـوى ويُقيمُــه فيُقْعِدُه الإعجازُ والعَجْزُ مانُع[1]
ويصبو فتنصَبُّ الدموعُ صبابـةً ولا غَرْوَ إن صُبّت لـذاك المدامعُ
إذا فاح مِنْ أكناف طْيبةَ طِيبُها تحرِّكُه شوقاً إليها المطامعُ
وإن ذُكرَتْ نَجْدٌ وجَرْعاءُ رامةٍ ولله كم منْ لوعةٍ هو جارعُ[2]
هل الدّهرُ يوماً بعد تفريق شّملِنا بذاك الحِمى النّجديّ للشَّمْل جامعُ
وهل ما مضى من عيشنا في ربوعكم وطيبُ زمانٍ بالتّواصل راجعُ[3]
عِدُوا بالتّلاقي عِطْفةً وتكرُّماً عليّ فإني بالمواعيد قانعُ
وإن تسمحوا بالوَصْلِ يوماً لعَبْدكم فهذا أوانُ الوَصْلِ آنَ فسارعوا
أهيلَ الحمى هل منكم ليَ رَاحم وهل فيكم يوماً لِشكواي سامعُ[4]
فهذا لسانُ الحال يرفعُ قصّتي لديكم عسى منكم لبلوايَ رافِعُ

١٠٧٥ - عثمان بن أيوب*

ابن أبي الفتح ، فخر الدين أبو عَمْرو الأنصاري العسقلاني .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : مولد المذكور ببيت زينون ، بالنون لا بالتاء ، من عسقلان وغزة ، في خامس عشر شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وأنشدني ، قال : أنشدني لنفسه :

أتاني كتابٌ خِلْتُ في طَيِّ نَشْره بريقَ ضياء يُخجِلُ القَمَرَيْن
إلى عَلَمٍ أسعى به مِنْ سَمِيِّه فنلْتُ مُنىً بالسّعي في العَلَمين

(١) في الأصل : « ويقلعه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .
(٢) في الطالع : « فلله » .
(٣) في الطالع : « بربوعكم » .
(٤) في الأصل : « لي رحمة » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي والطالع .
* الوافي : ٤٧٠/١٩ .

فأجابه نور الدين بن سعيد[(١)] :

بِبَيْتٍ وَبَيْتٍ قـد سبقْتَ مُجلّياً ... فـلا زِلْتَ بـالبيتين ذا سبقين
وأنجحْت بالأمر الذي قد قصَدْتَه ... بِسَعْيِكَ يا ذا الفضْلِ بالعَلَمَيْن

قال : وأنشدنا المذكور لنفسه :

من ريقها وِرْدي ومِنْ وجناتها ... وَرْدي وخَمْري لَحْظُها والساقي
يا هِنْدُ عندكَ مُنيتي ومنيّتي ... بوعيدِ هَجْرٍ أو بوَعْدِ تلاقي[(٢)]

١٠٧٦ ـ عثمان بن أبي بكر*

ابن محمد قاضي القضاة جلال الدين أبو عمرو[(٣)] الحاكم بصفد . كان قاضيها من الأيام الظاهرية ، وكان نُوابها يحبّونه ويعزّونه ويكرمونه ، وهو والد قاضي القضاة شرف الدين محمد قاضي صفد وطرابلس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في المحمّدين .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت رابع عُشري المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وكان يعرف بالنّهاوندي بنون مفتوحة وهاء بعدها ألف وواو ونون ساكنة ودال مهملة .

١٠٧٧ ـ عثمان بن بلبان**

المحدّث فخر الدين الرومي المقاتلي الدمشقي الكُفتي . سكن مصر سنوات ،

---

(١) في الوافي : « ... ابن سعيد المغربي » ، وهو : علي بن سعيد ، صاحب كتاب : المغرب في حُلى المغرب .
(٢) علّق في الوافي على هذين البيتين بقوله : « قلت شعر جيد » .
* عقد الجمان : ٤٧٦/٣ في وفيات (٦٩٨ هـ) ، وتذكرة النبيه : ٢١٦/١ .
(٣) في (ز) ، (س) : « أبو عمر » .
** الوافي : ٤٧٢/١٩ ، والدرر : ٤٣٩/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ .

وداخل الرؤساء إلى أن صار مُعيداً في المنصورية للحديث . وكان حُلْوَ المذاكرة[١] ، يحفظ بعض القرآن .

سمع من ابن القوّاس ، ويوسف الغَسّولي[٢] ، وابن عساكر وبحلب من سنقر الزيني مملوك ابن الأستاذ ، وبمصر من الدمياطي وطبقته ، وعني بالرواية ، ونسخ الأجزاءَ وحصّل .

قال شيخنا الذهبي : كتبت عنه وكتب عني ، وكان في وَرَعِه نقص ، وغَيْرُه أَدْيَنُ منه ، وليس له محفوظ ، ولا حفظ القرآن يعني ختمه .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ثالث عشري شوال سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

١٠٧٨ - عثمان بن عبد الصمد*

ابن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل ، الشيخ بدر الدين أبو عمرو بن الشيخ جمال الدين الخطيب قاضي القضاة بن قاضي القضاة جمال الدين الحرستاني الدمشقي .

سمع حضوراً من جده سنة ست وخمسين وست مئة ، ومن عبد الله بن الخُشُوعي ، وشرف الدين الحسين الإربلي ، وابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، والمجد بن النشبي ، وغيرهم . واشتغل على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله المقدسي[٣] مدرس الشامية[٤] ، ورُتّب بالمدارس ، وكان يجلس مع الشهود .

---

(١) في (س) : « المحاضرة » .

(٢) في الأصل : « الغسول » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي ، وهو يوسف بن أحمد بن أبي بكر الصالحي الغسولي . (ت ٧٠٠ هـ) . العبر : ٤١٢/٥ .

* الدرر : ٤٤٠/٢ .

(٣) هو محمّد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤٠/٥ .

(٤) البرانية ، انظر : الدارس ٢٠٩/١ وما بعدها .

ومرض أواخر عمره بالفالج ، وعجز وانقطع إلى أن مات .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٠٧٩ - عثمان بن علي*

الإمام العالم المفتي القاضي فخر الدين الأنصاري الشافعي المصري ابن بنت أبي سعد .

كان فقيها كبيرا ، وحاكماً خبيرا ، فاضلاً في الأصول ، غزير المادة[١] والمَحْصُول ، ويدري العربيه ، وعنده جزء كبير من الأنواع الأدبيه ، وكتب الخط البَهج ، وأتى به أبهى من الروض الأرِج . وكان يشارك في علم الموسيقى ، ويُطَبّق الألحان على الكلام تطبيقا .

ولم يزل على حاله إلى أن تداول[٢] أصحابه نَعْيَه ، وتذاكروا اجتهاده وسعيه .

وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشره وسبع مئة[٣] .

ومولده بداريّا من أرض دمشق .

وحدث عن الكمال الضرير ، والرضيّ بن البرهان ، وتقلب في الخدم الديوانية ، ووقّع عن قاضي القضاة ابن رَزين ، وأفتى سنين وولي القضاء بقوص ، وتوفي رحمه الله تعالى وله تسعون عاماً .

ومن شعره يصف بركة :

وجلا بياضُ النّهرِ في مُخضَرِّها ... وكأنه إذْ لاحَ للأبصار

سَبْكُ اللُّجينَ على بَساطِ زُمرِّدِ ... والشّمْسُ فيه تلوحُ كالدّينارِ

* الدرر : ٤٤٦/٢ ، والشذرات : ١٢٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٧/٩ .

(١) في (س) : « المادة منه » .

(٢) في الأصل : « تدارك » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٣) في الدرر أنه توفي سنة (٧١٧ هـ) .

١٠٨٠ ـ عثمان بن علي بن إسماعيل*

ابن الشيخ الإمام العلاّمة صاحب الفنون ، قاضي القضاة ، فخر الدين أبو عمرو بن زين الدين الطائي الحلبي الشافعي ابن خطيب جِبرين[١] ، فقيه حلب ومُقرئها وحاكمها .

كان فاضلاً إذا قلت فاضل ، وعالماً يقرُّ له كُلُّ مناظر ومناضل ، قادراً على حَلّ كلام الناس في سائر الفنون ، مبادراً إلى شرح ما يُقْرَأ عليه ويأتي من ذلك بالنكت والعيون ، لم أر له[٢] في هذا الشأن نظيراً يقاربه ، ولا من يجاريه فيسالمه أو يحاربه ، وكان في كل فن ماهرا ، وعلى كلّ علم ظاهرا ، كأنّ ابن الخطيب ابنُ خطيب الرّي[٣] وكلاهما فخر ، وكأنّ هذا ذاك إلاّ أن الأول فينا يقطف من زهر وذاك يقطع من صخر ، يحل كلام كلّ مُصنف بغير كلفه ، ويتسرّع إلى فهمه ، كأن له دُربة قديمة وألفه .

لقد كنت أعجب من شأنه وحُقّ لي العجب ، وأتفكر في بيانه الذي اطّلع على [كل][٤] غائب وما احتجب ، وما كان إلا أعجوبة الزمان ، ونادرة الوجود في نوع الإنسان . لكنه تولّى قضاء قضاة حلب فما حُمد في ذلك العقبى ، وضُرب بينه وبين الراحة بسدّ فما اسطاع له نَقْبا[٥] ، وطُلب إلى مصر وأنكر السلطان ولايته وزَجَره ، فنزل من القلعة ، وكان ذلك مِنْ مَنْ أمره نهايته :

* وفيات ابن رافع : ٦٧/١ ، والبداية والنهاية :١٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٣/٢ ، والشذرات : ٩٣/٦ ، والنجوم : ٣٢٠/٩ ، وغاية النهاية : ٥٠٧/١ ، وإعلام النبلاء : ٥٢٥/٤ ، وتذكرة النبيه : ٣٠٣/٢ .

(١) جبرين : من قرى حلب .

(٢) ليست في (س) .

(٣) هو الفخر الرازي (ت٦٠٦ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) زيادة من (ز) ، (س) .

(٥) فيه إفادة من قوله تعالى في الحديث عن السّد الذي بناه ذو القرنين : ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نَقْباً ﴾ ، الكهف : ٩٧/١٨ .

فمـــالنـــــا اليـــوم ولا للنهى   من بعـــــــده إلا البّكا والنحيب

وتُوفّي رحمه الله في القاهرة بالمنصوريّة سنة ثمان[١] وثلاثين وسبع مئة .

ومَوْلِدُه سنة اثنتين وستين بالقاهرة ، كذا رأيته بخط بعض الفضلاء .

وكان رحمه الله قد تلا بالسبع على شمس الدين الخابوري[٢] ، والبدر التاذفي[٣] ، وابن بهرام ، والكمال الغرناطي . وتفقه بقاضي حلب شمس الدين بن بهرام ، وقاضي حماة شرف الدين ، وأخذ عن ابن ملي علم الكلام .

وتصدر وأقرأ[٤] ، وتخرج به الناس ، واشتهر اسمه ، وكان عاقلاً ذكياً غزير المادة ، كثير الاطلاع . قرأت أنا عليه بحلب سنة[٥] .. في (الأربعين)[٦] للإمام فخر الدين الرازي ، وفي (الشمسية)[٧] مشروحة لابن المطهر[٨] في المنطق . وحضرتُ دروسه الجماعة الذين يقرؤون عليه ، فكنت أرى منه العجب ، لم يَحضر إليه أحدٌ بأيّ كتاب كان في أيّ علم كان في أي باب كان من ذلك الكتاب إلا وأقرأه فيه ، وحل كلام ذلك المصنّف ، ولم أر مثله في هذا الباب ولا رأى[٩] غيري إلا ما حكاه لنا الأشياخ عن الشيخ كمال الدين بن يونس ، [فإنّه][١٠] كان عجباً في هذا الباب .

(١) وقيل إنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) ، نصّ على ذلك ابن كثير وابن رافع وابن العماد الحنبلي .

(٢) أحمد بن عبد الله بن الزبير (ت٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٥/٥ .

(٣) محمد بن أيوب بن عبد القاهر (٦٩٥ هـ) ، غاية النهاية : ١٠٢/٢ ،

(٤) في الأصل : « قرأ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

(٥) كذا في الأصول .

(٦) الأربعين في أصول الدين ، الكشف : ٦١/١ .

(٧) متنٌ مختصرٌ في المنطق لعلي بن عمر القزويني الكاتب (ت٦٧٥ هـ) ، الكشف : ١٠٦٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٨) الحسين بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٩) في (س) : « رآه » .

(١٠) زيادة من (ز) ، (س) ، وهو موسى بن يونس بن محمد بن منعة (ت٦٣٩ هـ) ، السير : ٨٥/٢٣ .

وكان يقرئ في (الشاطبية) وكُتُبِ القراءات ، وفي (الحاوي) ، وكُتُب الفروع ، وفي (المختصر) لابن الحاجب ، و (المحصّل) للإمام فخر الدين ، وفي الفرائض ، والجبر ، والمقابلة ، وفي الحساب ، وعلم : الصواب [(١)] ، وكتاب التحت والميل [(٢)] ، وفي (الحاجبية) ، وفي (تصريف) ابن الحاجب ، وفي تمرين التصريف ، وفي كتب الحكمة مثل (الملخص) لفخر الدين ، وفي كتب الطب ، وفي كتب الهجاء ، وفي أشياء غير ذلك .

وكان يومئذ يَنُوب عن القاضي زين الدين الشافعي ، وعن القاضي ناصر الدين بن العديم الحنفي ، ومع ذلك كله يحكم بين الناس ، وإذا فرغ من الحكم سبّح ، وكذلك في التعليم إذا قرأ الطالب اشتغل بالسبحة .

وصنف (شرح الشامل الصغير) [(٣)] و (شرح التعجيز) و (شرح مختصر) ابن الحاجب و (شرح البديع) لابن الساعاتي [(٤)] . وله في الفرائض نظم ، وشرحه في مجلد . ومصنف في المناسك ، وفي اللغة ، و (شرح الحاوي) في الفقه فيا أظن .

وتلا عليه بالسبع محتسب حلب نجم الدين بن السفاح الحلبي [(٥)] ، والشيخ علي السرميني ، وجمال الدين يوسف بن حسن التركماني ، وأحمد بن يعقوب [(٦)] ، ولم يكمل .

وتولى قضاة قضاة حلب الشافعية في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

---

(١) في (س) : « الصواب من الخطأ بيّن » .

(٢) كذا ، ولم يستبن مراده .

(٣) الشامل لأبي نصير عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ الشافعي (ت٤٧٧ هـ) ، قال ابن خلكان : هو من أجود كتب الشافعية وأصحها نقلاً . الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٤) اسم الكتاب : بديع النظام ، ومؤلفه : أحمد بن علي البغدادي ، ويعرف بابن الساعاتي (ت٦٩٤ هـ) ، الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) عمر بن يوسف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) الصابوني ، سلفت ترجمته في موضعها .

ثم إن السلطان طلبه وطلب ولده إلى مصر ، فلما مثلا بين يديه روّعهما الحضور قدامه ، لكلام أغلظه لهما ، فنزلا مرعوبين ، ومرض بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة ، ومات ولده قبله ، وتوفي هو رحمه الله بعده بيوم أو يومين ، مدة المرض دون الجمعة .

وكان قد ولي حلب عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب .

وكنت قلت فيه :

غدا ابنُ خطيب الرّي للناس آيةً ... فضائلهُ منها البدور تمامُ
وفي حلبٍ قاضي القضاة نظيرُه ... ففَخْرُهما يسمو وليس يُسام
كما اشتركا في ابن الخطيب إضافة ... ولكنّ ذا قاض وذاك إمام

ومن شعره في مقامة :

تأمّل ترحالي بديعاً وقصّتي ... وأنعم -رعاك الله- فِكْرَك في أمري
حويتُ الذي رِزْقُ الخلائق كلِّهم ... وأحكامُهم طولَ الزمان به تجري
ولو رُمْتُ مما في يد الناس حُبَّه ... عجزْتُ ولم أَبْلُغْ مرامي مدى عمري

ومنه في مروحة :

وخادم ما مثلها خادمٌ ... بكُلِّ معنى حُسْنٍ تُوصَفُ
يَرُوقُ مَنْ يُبصرُها حُسْنُها ... أخلاقهُا محبوبةٌ تُؤلَّفُ[1]
لِباسُها الوَشْيُ وفي حجرها ... عودٌ لها وهي به أَعْرَفُ
يُحَرِّكُ الأرواح ترويُحها ... ويَشْتفي المكروبُ إذ تَطرف[2]

ومنه :[3]

(١) في الأصل : « يرزق من » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .
(٢) في (س) : « حين تحريكها » .
(٣) الأبيات الثلاثة الأولى في تذكرة النبيه .

وقائل ما الذي ترجوه حين ترى ... ببابك الموتَ قد أرسى ولم تَرُم
وما الذي أنت يا مسكينُ قائلُه ... إذا حَلَلْتَ بضيقِ اللَّحْدِ والظُّلَم
فقلت: توحيدُ رَبِّ العرْشِ مُدّخَري ... وحُسْنُ ظني بربي بارئ النَّسم
والقول فاسْمَعْ رعاك الله قَوْلَ فتى ... على سوى الحق يا مولاي لم يقم
أمسيتُ جارَك يا مَنْ لا يُضامُ له ... جارٌ وضيفك ياذا الجودِ والكَرم

ومنه في أسماء الولائم :

بوليمة سِمْ كُلَّ دعوةِ مَأْكَل ... بتَقيُّدٍ لكِنْ لَعْرف أَطْلِق
ولذي الختان فتلك إعذار وما ... للطفل فهي عقيقة بتحقق[1]
وسلامة الحبلى مِن الطلق اجعلا ... خرُساً لها ولأجل غائبٍ انطق
بنقيعة ووكيرة لعمارة ... ووضيمة لمصيبة بتصدّق
وسم اليتامى ما لها سبب بمأ ... دُبةٍ وخُذْ ياصاح قولَ محقق[2]

قلت : لابأس بتصحيح ألفاظ هذه الولائم خوفاً من التصحيف : فطعام الختان « إعذار » وهو بالعين المهملة والدال المعجمة والراء ، لأن العرب تقول عذرت الغلام إذا ختنته . وطعام المولود في اليوم السابع « عقيقة » ، بعين مهملة وقافين وهو مشهور .

وطعام سلامة الحبلى من الطلق « خُرْس » ، بضم الخاء المعجمة وسكون الراء وبعدها سين مهملة ، تقول العرب فيه : خُرسَه .

وطعام الغائب إذا قدم من سفره « نقيعة » بنون مفتوحة وقاف مكسورة[3] وياء آخر الحروف ساكنة وعين مهملة مفتوحة .

---

(١) طمس في الأصل، وأثبتناها عن (ز)، (س)، وأعلام النبلاء، وفي الأخير» «ولدى» بالدال المهملة.
(٢) كذا في الأصل . وفي أعلام النبلاء : « وسم اللتيا مالها .. » .
(٣) طمست في الأصل ، وأثبتناها عن (ز) ، (س) .

وطعام الدار إذا فرغت عمارتها « وَكيرة » بفتح الواو بعدها كاف وياء آخر الحروف وراء بعدها هاء .

وطعام المصيبة[١] « وضيمة » بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة وبعدها ميم [وهاء][٢] .

والطعام بلا سبب « مأْدُبَة » بفتح الميم وسكون الهمزة وضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وبعدها هاء على وزن « مَأْرُبة » ، فإن كانت المأدبة عامة فهي « الجَفَلى » بفتح الجيم والفاء واللام وبعدها ألف مقصورة ، وإن كانت المأدبة خاصة لقوم بأعيانهم « النَقَرى » بفتح النون والقاف والراء وبعدها ألف مقصورة .

ومن شعر الشيخ فخر الدين في أسماء خيل الحلبة :

أسامي خيول الحَلْبَة اعلم أنها ... لمن عدّها عَشْرٌ فخُذ قَوْلَ واصف
مُجَلٍّ مُصَلٍّ قُلْ مُسَلٍّ لثالث ... ورابعها التالي وخمِّس بعاطف
وسَدِّس بمرتاح حظيٍّ مؤمّل ... لطيم سُكَيْتِ فارهٍ غير خائف
وخُذْهَا على الترتيب والفَسْكل الذي يجيء أخيراً فاستمع قول عارف

قلت : لا بأس بتقييد أسماء خيل الحلبة ليؤمن فيها التصحيف :

الأول : « المجلّي » ، بضم الميم وفتح الجيم وتشديد اللام .

والثاني : المُصَلّي مثل اسم الفاعل من الصلاة .

والثالث : المُسَلّي ، بضمّ الميم وفتح السين وتشديد اللام .

والرابع : « التالي » ، اسم فاعل من تلا يتلو .

والخامس : « العاطف » بالعين المهملة والألف والطاء المهملة والفاء .

---

(١) في (ز) ، (س) : « المأتم » .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

والسادس : « المُرْتَاح » ، بضم الميم وسكون الراء وبعدها تـاء ثـالثـة الحروف وألف وحاء مهملة .

والسابع : « الحَظيّ » بفتح الحاء المهملة وكسر الظاء المعجمة وتشـديـد اليـاء آخر الحروف .

والثامن : « المؤمّل » بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الميم وبعدها لام .

والتـاسع : « اللطيم » بفتح اللام وكسر الطـاء المهملـة وسكون اليـاء آخر الحروف وبعدها ميم .

والعـاشر : « السُّكَيْتُ » تصغير سـاكت ، بضم السين المهملـة وفتـح الكاف مخفَّفَـة وبعضهم يشددهـا ، وسكون اليـاء آخر الحروف وبعـدهـا تـاء ثـالثـة الحروف ، وبعض العرب تسميه « الفِسْكِل » بكسر الفاء وسكون السين المهملة وكسر الكاف وبعدها لام .

وقد طول الشيخ فخر الـدين رحمـه الله تعـالى في عـد هـذه العشرة ، وقـد نظمهـا بعض الأفاضل في بيتين وهما :

أتـــانـــا الْمُجلّي والْمُصلّي بعـــده   مُسَلٍّ وتـــالٍ بعـــده عـــاطفٌ يجري
ومُرتـــاحُهـــا ثم الحظِي ومُـؤمّـل   وجـــاء اللّطيم والسّكيت لـــه يبري

١٠٨١ ـ عثمان بن عمرو*

ابن أبي بكر بن محمد ، الملك العزيز فخر الـدين بن الملـك المغيث فتح الـدين بن الملك العادل سيف الدين بن الملك الكامل ناصر الـدين بن الملـك العـادل سيف الـدين أبي بكر بن محمد بن أيوب .

أجاز لي بخطِّهِ في القاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

سمع من مؤنسة بنت العادل[1] وجماعة .

* الوافي : ٤٨٩/١٩ ، والدرر : ٤٤٧/٢ .

(١) مؤنسة بنت الملك العـادل أبي بكر بن أيوب (ت٦٩٣ هـ) ، البـدايـة والنهـايـة : ٣٣٧/١٣ ، وفيـه : « مؤنس » .

وحدّث وجمع مجاميع بخطه الحسن . وكان ناظر البيمارستان القديم بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء رابع عشر المحرّم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بقلعة الكرك سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٠٨٢ ـ عثمان بن محمد*

ابن منيع بن عثمان بن شادي ، شمس الدين بن البُشْطَاري ، بضم الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة وفتح الطاء المهملة وبعد الألف راء .

سمع من ابن رَواج ، والْمُرسي ، وسمع منه شيخنا الذهبي .

وكان طيب النغمة يعرف الموسيقى موصوفاً بذلك .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة . وعمل المؤذنون عزاءَهُ بدمشق . وكانت وفاته بقوص .

ومولده بعد الأربعين وست مئة .

١٠٨٣ ـ عثمان بن محمد بن عثمان**

ابن أبي بكر ، الشيخ المقرئ الفقيه الزاهد مفيد الديار المصرية ، فخر الدين أبو عمرو المغربي التَوْزَري[1] ، بفتح التاء ثالثة الحروف وسكون الواو وفتح الزاي وبعدها راء ، المصري المالكي المجاور .

سمع من ابن الجمّيزي ، وسبط السِّلَفي . ثم طلب بنفسه سنة نيّفٍ وخمسين وست مئة .

---

* الوافي : ٥٠٧/١٩ .

** الوافي : ٥٠٧/١٩ ، والدرر : ٤٤٩/٢ ، وغاية النهاية : ٥١٠/١ ، والشذرات : ٣٢/٦ ، وتذكرة النبيه : ٥٧/٢ .

(١) نسبة إلى تَوْزر : مدينة في أقصى إفريقية . (معجم البلدان) .

وتلا بالسبع على أبي إسحاق بن وثيق[1] ، والكمال بن شجاع . وقرأ (صحيح مسلم) على ابن البرهان . وأكثر عن المنذري ، والرشيد بن عزّون ، وأصحاب البوصيري فمنْ بعدهم . قرأ (مسند أحمد) و (المعجم الأكبر) للطبراني والدواوين الكبار ، وذكر أنه قرأ (صحيح البخاري) نحواً من ثلاثين مرة . وسمع بقراءته خلق كثير ، وشيوخه نحو الألف .

ثم إنّه أقبل على شانه ، وعرف عواقب زمانه ، فجاور بالبيت الحرام ، وغني هناك بالحطيم عن الحُطام ، وتعبّد في مثل ذاك المقام ، وتهجّد فيه والناس ينام ، وحدث بالكثير ، وكان صاحب أصول وله فهم خطير ، ولديه محاضره ، وعنده مذاكرة ومسامره ، وخِبْرَتُه بالقراءات متوسّطه ، ولكنها غير مُغلَّطه .

ولم يزل على حاله إلى أن وصل بعد تسميعه إلى الفوت ، وحُسمت فوائده بمدْيَةِ الموت .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة .

وكانت له إجازة من ابن المقيّر . وقرأ عليه شيخنا الذهبي بِمنًى أجزاء ، وأخذ عنه الإمام عبد الله بن خليل[2] والناس .

١٠٨٤ ـ عثمان بن محمد*

ابن عبد الرحيم ، الإمام البارع قاضي القضاة فخر الدين أبو عمرو حفيد قاضي القضاة فخر الدين الحموي بن البارزي الشافعي .

(١) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن (ت٦٥٤ هـ) ، السير : ٣٠٣/٢٣ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل المكي ، سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٤٨/٢ ، والشذرات : ٩٤/٦ ، وذيول العبر : ١٦٥ ، وتذكرة النبيه : ١٧٢/٢ ، ١٩٩ .

لحق جده وأخذ عنه وعن عمّه قاضي[١] القضاة شرف الدين .

وكان ذا دين وصرامه ، وسيرة مشكورة عند الخاصة والعامّه ، وكان يحفظ (الحاوي) ويفهمه ، ويُنْزل مسائله[٢] على الرافعي ويَعْلَمه . وله إلمام كثير بنحو ابن مالك ، وخوض كثير في تلك المسالك .

ولي قضاء حمص وما ساس نوّابها ، فما دخل معهم مدينة الحرمة ولا رأى بوّابها . لا جرم أن القرماني[٣] ضربه ، ولولا الإنابة قرَّمَه[٤] ، وألهب جمر غضبه عليه وضرّمه . ثم إنه عاد إلى حَمَاه ، وأوى منها إلى حِمَاه ، ووليَ بها الخطابه ، وجمع بينها وبين النيابه . ثم إنه تولى قضاء القضاة بحلب ، وأماط عنها العدوان وسَلَب .

ولم يزل بها إلى أن مرض مدة وأفاق غير ناصح ، ثم بعد مدّة مات فجأة فما صحّ إلا أنه مَاصِح[٥] .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وحج غير مرة ، وحدّث (بمسند) الشافعي عن ابن النصيبي ، وتفقّه به جماعة .

وكان قد مرض مدة وأفاق ، وتوضأ بعد ذلك في يومٍ وجلس في مجلس حكمِه ينتظر صلاة العصر فمات فجأة .

وكان بحمص والأمير سيف الدين أرقطاي بها نائب ، فجرى بينهما يوماً كلام ،

(١) في الأصل : « وأخذ عنه عمّه وعن قاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « سائله » ، تحريف .

(٣) بدر الدين بكتوت ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) القرم : القشر ، والتقطع .

(٥) مصح : ذهب وانقطع .

فأساء الأدب على النائب ، فصبر له واحتمله ، ولما جاء القَرْماني إلى حمص نائباً جرى بينهما كلام ، فأساء الأدب[١] ، فبطش به وضربه ، وقال الناس : إنما ضربه الحاج أرقطاي .

وكان توجُّهُه إلى حلب قاضياً في أوائل الحجّةِ سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٠٨٥ ـ عثمان بن محمد بن علي*

فخر الدين أبو عمرو البزّاز مفتي الثغر[٢] .

١٠٨٦ ـ عثمان بن محمد بن عبد الملك**

ابن عيسى بن درباس ، فخر الدين الماراني القاهري .

سمع من أبيه ، وحَدَّث . وكان مقبول القول عند القُضاة ، وإذا فتح فمه بالشعر قلتَ : هذا سيف قد انتضاه[٣] . وهو من بيت حشمة وقضاء ، وقبولٍ عند الناس وارتضاء .

لم يزل على حاله إلى أن سكن منه النَّفَسَ ، وأصبح فيما بين ﴿ عمّ يتساءلون ﴾ و ﴿ عبس ﴾[٤] .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم عاشوراء سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

---

(١) ما بين « الأدب » و « الأدب » ، سقط من (س) منقلة عين .

* الوافي : ٥٠٨/١٩ ، والدرر : ٤٥٠/٢ ، وترجمته فيه أوفي مما ههنا .

(٢) (ت ٧١٤ هـ) .

** الدرر : ٤٤٩/٢ .

(٣) في (ز) ، (س) : « نضاه » .

(٤) ما بين السورتين سورة النازعات .

ومن شعره :

كيف الْمُقــامُ بــدارٍ لا أراكَ بهــا وأيُّ مَعْنَىً لمغنى لم تكن فيـــــه[١]
يفديك بالرّوحِ صبٌّ لو حَصَلْتَ لـه وفــاتَــهُ كُـلُّ شيءٍ كان يكفيــه

١٠٨٧ ـ عثمان بن محمد بن لؤلؤ*

الأمير فخر الدين بن الأمير شمس الدين لؤلؤ .

كان أحد الأمراء الطبلخانات بدمشق ، جهّزه الأمير سيف الدين تنكز إلى صفد مشدَّ الدواوين ووالِيَ الولاة عوضاً عن الأمير علاء الدين بن المرواني ، فأقام بها سنتين فأكثر[٢] ، وطلب الإقالة ، فتوجَّهَ إلى دمشق وأقام بها أميراً إلى أن توجه ابن المرواني إلى مصر ، فولاّه تنكز مكانه في ولاية البَرّ في أول شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها مُدّة إلى أن مرض[٣] وطلب الإقالة فأقيل .

وتوفي رحمه الله تعالى بعد ذلك بعشرة أيام في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع[٤] مئة .

وكان أميراً من خمس عشرة سنة . وكان خيِّراً ديِّناً عاقلاً وقوراً ، فيه حشمة وعقل وأدب ، وكان يقيم الثلاثة الأيام والأربعة ما يشرب فيها ماء ، ويعمل بيده عدّة صنائع ويُزركش ويطرز ويعمل الكشاتوين .

١٠٨٨ ـ عثمان بن يعقوب**

ابن عبد الحق ، السلطان أبو سعيد المغربي المريني ، صاحب مراكش وفاس وغير ذلك .

---

(١) في الأصل : « لمعنّى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

* الدرر : ٤٥٠/٢ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، وذيول العبر : ١٩٢ .

(٢) في (ز) ، (س) : « أو أكثر » .

(٣) قوله : « إلى أن مرض » ، ليس في (س) .

(٤) وكانت وفاته عن أربع وستين سنة ، كما في ذيول العبر .

** الوافي : ٥١٦/١٩ ، والدرر : ٤٥٢/٢ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٣٥/٢ ، ٢٢٦ .

كان ذا حِلْم ، وركون إلى السِّلْم ، فأهمل أمور الجهاد ، فامتلأت عليه بالوبال الرُّبا والوهاد ، وامتدت أفنان الفتن ، وجرى وَبْلُ الوبال وهَتَن . وعلا في أيامه أمر الغلاء ، وكادت سنوه تجري على الولاء . إلاّ أنه كان له نظر في العلوم ، واتصاف يدْخل [به] في ذوي الفهوم .

ولم يزل في إنكاد إلى أن كاد يفارقه الملك ، ويقع في ورطات ، يرمي بنفسه إلى الهُلْك ، إلى أن جاء الأمر الذي لا يُدْفع ، ولا يردّه صاحب[١] ولا يُمْنَع .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله بضع وستون سنة .

وكانت دولته اثنتين وعشرين سنة ، وملك أخوه [يوسف][٢] قبله خمساً وعشرين سنة ، لكن بينهما المِلكَان عامر وسليمان ، وخالف على عثمان ابنه عمرو ، وملك سِجِلْمَاسَة[٣] ، وجرت في ذلك أمور يطول شرحها .

وملك بعد عثمان ولُده الفقيه العالم السلطان العادل أبو الحسن علي ، الآتي ذِكْرُهُ إن شاء الله تعالى في مكانه .

١٠٨٩ ـ عثمان بن يوسف*

ابن أبي بكر ، القاضي المحدّث الفقيه الورع الصالح فخر الدين أبو محمد النويري[٤] المالكي .

صحب والده القدوة الزاهد علم الدين ، وتفقه به وبجماعة ، وأفتى ودرّس ، وكان كثير الحج والمجاورة والتألّه والصدق والإخلاص .

(١) في (س) : « حاجب » ، ولها وجه .
(٢) زيادة من (ز) ، (س) ، ويوسف هذا (ت٧٠٦ هـ) ، الدرر : ٤/٤٨٠ .
(٣) في الأصل : « سلجاسة » ، تحريف ، وهي مدينة في جنوب المغرب (معجم البلدان) .
* الوافي : ١٩/٥٢٠ ، ووفيات ابن رافع : ١/٣٣٤ ، والدرر : ٢/٤٥٣ ، والذيل التام : ١٤٧ .
(٤) نسبة إلى النويرة ، من أعمال بهنسة . (معجم البلدان) .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة[١] .

١٠٩٠ ـ عثمان أبو عمرو*

الصعيدي ، الحلبوني : بفتح الحاء المهملة ، وسكون اللام ، وضم [الباء][٢] الموحدة ، وبعدها واو ساكنة ، ونون ، الشيخ الصالح العابد .

كان فيه صدق وتأله ، وتُؤْثَرُ عنه أحوال وتَوَجُّهٌ وتأثير . أقام مدة ببعلبك ، ومدة ببرزة[٣] .

وكان قانعاً متعففاً ، ترك أكل الخبز مُدَّة سنين عديدة ، وقال إنه يتضرر بأكله .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري شهر المحرم سنة ثمان وسبع مئة ، وطلع الأفرم والقضاة والناس إلى جنازته .

١٠٩١ ـ عثمان بن أبي النوق**

فخر الدين المغربي .

كان له قدرة على الارتجال ، والبديهةِ التي يعجز عنها رَجَاءُ الرِّجال ، يكاد أنه لا يتكلم في جميع محاوراته إلا بالشعر الموزون ، والنظم الذي يَفْرَحُ به المخزون ، ولمّا وُصف لي بذل هَوَّنْتُ أمْرَهُ ، وقُلتُ : يكون ممّن يُوْرِدُ تَمْرَةً وجَمْرَه[٤] ، فما كان إلا أن

(١) ووفاته سنة (٧٥٦ هـ) ، وثمة اختلاف في سنة ولادته ، ففي بعض المصادر (٦٦٣ هـ) .

* الوافي : ٥٢٠/١٩ ، والبداية والنهاية : ٤٨/١٤ ، والدرر : ٤٤٢/٢ ، والملوك : ٥٠/١/٢ ، والشذرات : ١٧/٦ ، وذيول العبر : ٤٢ . وهو عثمان بن عبد الله .

(٢) زيادة من (ز) ، (س) .

(٣) برزة : من أحياء دمشق اليوم .

** الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٥١/٢ .

(٤) الجمرة : الحصا .

رأيته بالجامع الأموي في ليلة نصف شعبان وهو واقف يُنَضْنِض[1] بلسانه مثل الثعبان والناس في ذلك الأمر المريج ، وكأن صحْنَ الجامع بذلك الوقيد أزاهر الروض البهيج ، فقلت له : يا مولانا أنشدنا شيئاً من شعرك ، واقذف لنا قليلاً من لآلئ بحرك ، فأنشدني من وقته في الحالة الراهنة أبياتاً جمله[2] ، أتى بها سَرْداً من أول وهله ، كأنما كان قد بَيَّتها لذلك ، أو سهر فيها لَيْلَةَ الحالك ، ومعناها تشبيه ذلك الوقيد والاشتعال ، ووصفُ ما للناس به من الاحتفال والاشتغال ، وتشبيهُ القومة[3] وحركاتهم ، وترقّيهم في درجاتهم ، وانحطاطهم في دركاتهم ، بحيث لو وصف في ذلك لما صدّقت ، ولا ارتمى بي الظن إلى ذلك ولا حلّقت ، فما كدت أقْضِي عجبي منه ، ووددت أنني لم أنفصل عنه . ثم إنني اجتمعت به بعد ذلك في جامع حلب ، وكان الأمر على ذلك الأنموذج الذي مضى وذهب .

وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : رآني مرة وبين يدي كتابٌ له فاتحةُ ذهب ، فأنشدني كأنه يتحدث :

أَرَاكَ تنظرُ في شيءٍ من الكُتبِ — وفي أوائلـه شيءٌ من الـذَّهَبِ
لـو شئْتَ تَصْرِفُ نقداً مِنْ فواتحـه — صرَفْتَ منـه دنـانيراً بـلا رِيَبِ

قال : فوهبته الكتاب ، وأنشدته :

خُـذْهُ إليـك بمـا يَحْـوي مِنَ الـذّهَبِ — ففي ندي السُّحبِ لا يُخشى من اللَّهَبِ
واضْمُمْ يـديْـكَ عليـه لا تُمـزِّقُـهُ — فـإنّـه ذَهَبٌ مِنْ مَعْـدنِ الأَدَبِ

---

(١) أيّ : يحرّك .

(٢) عبارة الوافي : « فأنشدني في الحالة الراهنة من غير فكر ولا رويّة ثلاثة أبيات في الجامع ، والقناديل التي علقت به لأجل النصف وذِكْرِ القومة » .

(٣) القومة في الأصل حَرَسة القبور ، وكانت تفرق عليهم الحلوى في المولد النبوي الشريف ، والظاهر أنّ المصنّف أراد ههنا القائمين بالذكر في الاحتفالات الدينية .

قال : وكتب إليّ يتقاضاني عليقاً لفرسه ، وشيئاً يُنفقه :

دمـــــوع كُميتي على خَــــدِّه مِنَ الجُــــوعِ يطلبُ مني العَلَفْ
وليس معي ذهَبٌ حـــــاضِرٌ ولا فضّـــــــةٌ وعليّ الكُلَفْ
ولي منــك وَعْـــدٌ فعجّــلْ بــه فَمن أنجـزَ الـوعــدَ حــازَ الشّرَفْ
ودُمْ وتَهنّ بشَهْرِ الصيــــــــا م بــوَجْـــهٍ يهــلُّ وكفٍّ تَكِفْ

فبعثت إليه الشعير والنفقة ، وكتبْتُ إليه الجواب :

مسَحْتُ بكُميّ دُمـــــوعَ الكُميت وقلت لـــه قـــد أتـــاك العَلَفْ
ووافى إليــك جـــديـــدُ الشّعير لعـلّ يُـــداوي سقـــام العَجَفْ
وفي كُمّ ســــــائقــــــه صُرّة تسرُّ لتخفيفِ ثِقـــــــل الكُلَفْ
فــإيــاك تَحْسِبهـــا للـوفـــا فـــــإني بعثتُ بهــــا لِلْسَّلَفْ

وكان يقصُّ ما ينظمه في الورق قصّاً مليحاً محكماً جيداً بـالنقـط والضبـط ، ولكن أوضاعه على عادة المغاربة في كتابتهم .

ونقلت من قصّة قوله :

إلى الحُرِّ الحَسيب إلي عليٍّ عــلاء الـــدين ذي الحَسَب العَلِيّ
إلى مَنْ جـــودُه عمّ البرايـــا وفـــاق مكارمـــاً لكريم طيّ
إلى مَنْ قَـــدْرُه فـــاق البرايـــا وزاد عُـــلاً على الأُفـــق السَّميّ(١)

وكان اجتماعي به في الجامع الأموي سنـة إحـدى وعشرين وسبع مئـة ، أو في سنـة اثنتين وعشرين وسبع مئـة ، واجتماعي بـه في حلب سنـة ثلاث وعشرين وسبـع مئـة ، وتركته وهو يعمل مجلساً يفسر فيه القرآن ، وكان ذلك آخر عهدي به .

(١) في الوافي : « فاق الثريا » .

١٠٩٢ - عثمان*

المعروف بالدُّكالي ، بضم الدال المهملة ، وكافٍ بعدها ألف ، ولام ، الصوفي ، من فقراء الشُّمَيْسَاطيّة .

كان يتردد إلى الناس ، ويجتمع بطائفة من العوامّ والأدناس ، فاستخفّ منهم جماعه ، وألقى إليهم من الكلام ما ذِكْرُهُ للزّمان أضاعَه ، وسلك بهم شيئاً من الطرائق الباجربقيّه ، فإنه كان عنده منها بقيّةٌ غيرُ نقيّة ولا تقيّه ، وقال لهم : أنا أدلكم على الطريق إلى الله عز وجل ، وخالف القواعد الشرعية فضلّ أو أضلّ ، وتبعه شَرْذَمة قليله ، وطائفة أذْهانهم عن قبول الصواب كليله .

ولم يزل على حاله ، واستمراره على غيِّه وضلاله ، إلى أن فصَل السيفُ رأسه من بدنه ، وأراح الناسَ من فِتَنِهْ ، وذلك في حادي عُشْري القعدة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولمّا شاع أمره أمْسِك واعتُقِل ، وأُحضر في دار العدل ثلاث مرات في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وأدّوا عليه شهادات عجيبة ، ولم يعترف بشيء ، ولما كان يوم الثلاثاء أُحْضِر في زنجير وبلاس شعر ، وحضر الشيخ جمال الدين المِزّي والشيخ شمس الدين الذهبي وجماعة ، وشهدوا عليه بالاستفاضة عنه أنه قال ما ادُّعِيَ عليه به ، فحكم قاضي القضاة شرف الدين المالكي بإراقة دمه ، فضربت رقبته في سوق الخيل[1] ، ولم يكن ذلك رأي النائب ألطنبغا ولا رأي قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، ولكن أمر الله تعالى نفذ فيه .

حكى لي قاضي القضاة تقي الدين ، رحمه الله تعالى قال : قال لي الأمير

---

* الوافي : ٥٢١/١٩ ، والدرر : ٤٤١/٢ ، وفيه : « عثمان بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك : البداية والنهاية : ١٨٩/١٤ .

علاء الدين ألطنبغا : لما كانت ليلة الثلاثاء فكرّت[1] في أنهم يُحضرون عثمان الصوفي وأبتلش بأمره ، وقصدت دفع أمْرِه عني ، فقلت : غداً ما أعمل دار عدل ، وأركب بكرة وأروح ، فلما أصبحت أرسل الله عليَّ النوم ، فنمت إلى أن طلع النهار وتعالى ، فدخلوا إلي وقالوا : إن القضاة والحجّاب والجماعة حضروا وهم في انتظارك ، فالتزمت بعمل دار العدل ذلك النهار ، أو كما قال .

وحكى لي هو عن نفسه ، رحمه الله تعالى قال : أردت وأنا خارج من دار السعادة أن أقول لنقيب المتعمّمين أن يتوجَّه إليهم ويقول لهم ألاّ يعجّلوا في أمره ، فأنساني الله ذلك إلى أن فرط فيه الأمر ، أو كما قال .

ولم أر أنا أثبت جناناً منه ولا أَمْلَكَ لأمر نفسه ، لأنني كنت حاضرَ أمرِه في الثلاثة أيام .

١٠٩٣ ـ عثمان*

ابن الإمام العالم القاضي فخر الدين المعروف بابن علم .

كان شيخاً فقيهاً محدّثاً ، له اشتغال بالقاهرة وتحصيل ، وولي قضاء الخليل مدة ، ثم تركه لولده وسكن الرّملة ، وكان له بها ميعاد وحلقة إشغال ، وله معلوم على ذلك .

توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين سلخ المحرم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وهو والد القاضي برهان الدين قاضي الخليل .

وكانت وفاة فخر الدين بالخليل ودفن بمقبرة البلد .

١٠٩٤ ـ عثمان**

الشيخ المنيني الصالح المعروف بالقُرَيري ، بضم القاف وفتح الرآء الأولى ، وبعدها ياء [آخر] الحروف ساكنة وراء ثانية مكسورة .

(١) في الوافي : « أفكرت » .

* الدرر : ٤٤٢/٢ .

** لم نقف على ترجمته .

كان رجلاً مباركاً صالحاً . لّما اشتد الأمرُ بأهل بَعْلَبَكّ زمن غازان ، وكانت بعلبك مفتوحة الأبواب ، فلما نازلها « بولاي »[١] غلّقت أبوابها ، قال القاضي محيي الدين بن فضل الله : فتوجهنا لزيارته ، فوجدنا قطب الدين اليونيني خارجاً من عنده ، فقال لنا : دخلت على الشيخ فلم يكلمني ووجدته مفكراً ، فلم أجلس ، والرأي أن ترجعوا ، فإن هذا رجل له بادرة فقلنا : لا بد أن ندخل فدخلنا ، قال : فالتفت إلى وقال : يا محيي الدين ، لأي شيء غلّقتم أبواب المدينة ؟ فقلت له : يا سيّدي ، خوفاً من بولاي ، فإنه قد جاء ونزل عليها[٢] ، وربما أنه يريد أن يحاصرها ، قال : فغضب الشيخ غضباً شديداً ، واحمرّت عيناه ، وجثا على ركبتيه ، وطلعت الزبدة من فيه ، حتى ظنناه سَبُعاً يريد أن يفترسنا ، وبقي على هذه الحالة هُنَيَّة ، ثم قال : وعزة العزيز ، طَرَشهم رَجُلٌ طَرْشةً بدّد شملهم . وفتح يديه يُمْنَة ويسرَة ثم سُرِّي عنه . وقال : قل لهم يا محيي الدين أن يفتحوا الأبواب : قال : فقمنا وفَعَلنا ماقال ، فباكرنا الخبر في اليوم الثالث برحيل غازان عنْ دمشق في الساعة التي قال فيها الشيخ عثمان ماقال .

وتوفي الشيخ القرَيري في سنة ثمان وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن العجمي :** [الخطيب] شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن . وأخوه الشيخ عز الدين عبد المؤمن . وشمس الدين أحمد بن محمد .

☆ **شمس الدين العجمي :** عبد اللطيف بن خليفة .

(١) هو بولاي النوين التتري ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (ز) ، (س) .

☆ **وكمال الدين بن العجمي :** عمر بن محمد .

☆ **وابن العجمي الحنفي المدرس بالإقبالية :** محمد بن عثمان . وشهاب الدين بن محمد بن عبد الرحمن . وبهاء الدين يوسف بن أحمد . وتاج الدين يوسف بن إسماعيل .

١٠٩٥ ـ عدنان بن جعفر*

ابن محمد بن عدنان الشريف ، شرف الدين بن الشريف أمين الدين بن محيي الدين الحسيني بن أبي الجنّ نقيب الأشراف بدمشق .

تقدم ذكر والده وعمه ، وسيأتي ذكر جدّه في الْمُحَمّدين إن شاء الله تعالى .

لبس تشريفَةً عوضاً عن والده بطَرْحة في تاسع شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة وهو شاب ، فقُدِّمَ على غيره لعَقْلِه وفهمه وأهلّيته لذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في عشية الأربعاء تاسع عشري المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابرهم عند مسجد الذبان ظاهر دمشق[(١)] وعمره اثنتان وأربعون سنة .

الأنساب والألقاب

☆ **ابن عَدْلان :** محمد بن أحمد .

☆ **ابن العُدَيْسَة :** محمد بن علي .

☆ **ابن العديم :** عبد العزيز بن محمد . وناصر الدين محمد بن عمر بن عبد العزيز .

☆ **ابن عَرّام :** بهاء الدين أحمد بن أبي بكر .

---

* الدرر : ٤٥٤/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٠/٢ .

(١) خارج باب الجابية ، الدارس : ١٨١/٢ .

☆ **ابن بنت العراقي** : عبد الكريم بن علي .

☆ **العَزّازي التاجر الشاعر** : أحمد بن عبد الملك . وبدر الدين محمد بن عثمان . وولده فخر الدين عثمان بن أبي الوفاء .

☆ **ابن العِزّ الحنفي** : محمد بن محمد ، وجمال الدين يوسف بن محمد .

☆ **ابن العز عمر** : بهاء الدين علي بن عمر .

☆ **ابن العَسَّال** : أمين الدين فرج الله بن أسعد . وصلاح الدين يوسف بن أسعد .

☆ **بنو عساكر** : جماعة منهم : شرف الدين أحمد بن هبة الله . وفخر الدين إسماعيل بن نصر الله . وبهاء الدين القاسم بن مظفر . وبدر الدين محمد بن الحسين .

☆ **ابن عسكر المالكي** : عبد الرحمن بن محمد .

☆ **العسقلاني** : بهاء الدين عبد الله بن محمد .

☆ **العشاب المُحَدّث** : أحمد بن محمد .

☆ **ابن عُصَيَّة قاضي بغداد** : أحمد بن حامد .

☆ **ابن أخت ابن عصفور** : محمد بن أحمد .

☆ **أبو عصيدة صاحب تونس** : محمد بن يحيى .

١٠٩٦ ـ عَضُد*

بالعين المهملة المفتوحة ، والضاد المعجمة المضمومة ، والدال المهملة ، الشريف الخواجكي ، المعروف بابن قاضي يزدكان ، أحد خواجكية القان بوسعيد .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني الخواجا مجد الدين

* الدرر : ٢/٤٥٤ .

إسماعيل السلامي ، أن المذكور كان فيه تسلّط على الوزير ومَنْ حول السلطان ، ففكروا في إبعاده ، وحسّنوا لـ بوسعيد أن يجّهزه رسولاً إلى الهند إلى السلطان محمد بن طُغْلَق[(١)] ، قال : فجهزه ، فلما وصل إليه أقبل عليه ، وكان يقرّبه ويُدينه ويؤثر كلامه ويُسامره ، وأعطاه شيئاً كثيراً إلى الغاية ، ولما كان في بعض الأيام ، قال له : ادخل إلى الخزائن ، فدخلوا به إليها وعرضوها عليه . وقالوا : أمرنا السلطان أنك مهما أردت وأعجبك منها تأخذه ، فأخذ من جميع الخزائن مصحفاً ، فحكوا ذلك للسلطان ، فأحضره وأنكر عليه ذلك ، فقال : السلطان قد أغناني بإحسانه عن جميع ما رأيت ، ولم يكن لي غنًى عن كلام الله تعالى ، فأعجبه ذلك منه ، وأمر له بألف ألف دينار فحملت إليه . ولما عاد وقارب البلاد بلغ الوزير الخبر ، فحسّنوا لبوسعيد أن يجعل أحمد[(٢)] أميرَ ألَكه ـ بفتح الهمزة واللام والكاف وبعدها هاء ـ ومعناه أن يكون له الحكم حيث حلّ من المملكة ، وأن يفعل ما أراد ، فتوجه المذكور إلى أطراف مملكة بوسعيد وتلقى الشريف عضد ، وأخذ منه مبلغ مائتي ألف دينار ، وضرب منها أواني ، وقدّم بعضها لبوسعيد أو كما قال .

١٠٩٧ ـ عطاء الله بن علي*

ابن زيد بن جعفر ، الفقيه نور الدين بن الثقة الحِمْيَري الأسنائي .

كان فقيها فرضيّا ، عدلاً مرضيّا ، من كبار الصالحين ، والأولياء الناجحين ، انقطع ستين سنة في مكان ، لا يخرج منه إلا للصلاة إذا سمع الأذان ، ولا يملك شيئاً من الدنيا ، ولا يرغب إلاّ فيما في المنزلة العليا .

ولم يزل على حاله إلى أن خانت الليالي لابن الثقه ، وحانت من المنايا صعود العقبة الزّلقه .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) كذا ، وثمة بياض بمقدار كلمة أو كلمتين في النسخ .

* الطالع السعيد : ٣٦١ ، والدرر : ٢/٤٥٥ .

فتوفي رحمه الله تعالى بأسنافي سنة ثماني عشرة وسبع مئة . ووقع يوم موته مطر عظيم .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأُدْفُوّي : أُخبرت أنه قال : أنا أموت في هذا النهار ، فإن والدتي أخبرتني أنني ولدت في يوم مطر عظيم .

وقال : أخبرني جماعة أنه لمّا قدم نجم الدين بن ملّي[1] إلى أسنا اجتمع به وتكلم معه في الفرائض والجبر والمقابلة ، فقال : ما ظننت أحداً في كَيْمان[2] الصعيد بهذه المثابة .

وكان رحمه الله تعالى سليم الصدر جداً ، قال : قال لي صاحبنا علاء الدين الأصفوني[3] : قلت له مرة : ياسيدنا ، أبو بكر المؤذن طلّق زوجته ، فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، قلت له : لكن صارت بكراً كما كانت ، فضحك وقال : فتبول من أين ؟

وجمع دراهم ليحج بها ، وأقام سنين يجمعها فسُرقت ، فقصد الوالي أن يمسك إنساناً بسببه فلم يوافق .

قال : وحكي لي عنه أنه كان يقول : الجنّ في الليل يمسكون إصبعي ، ويقولون : هذا إصبع عطاء الله !

وأخذ علمه من الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي ، وأقام بالمدرسة الأفرميّة التي بأَسْنَا ستين سنة تقريباً [منقطعاً][4] لا يخرج إلا للصلاة في مسجد له أو لضرورة ، وليس عنده إلا عمامة وفوقانية طاقيّة[5] وفروة وشملة .

(١) في الدرر : « مكي » ، وهو كذلك في ترجمته في الطالع السعيد : ١٢٥ ، هو أحمد بن محمد بن مكي القمولي .

(٢) في الدرر : « كتاب » .

(٣) في الطالع السعيد : « الأسفوني » .

(٤) زيادة من (ز) .

(٥) في الدرر : « طاق » . وفي الطالع : « طاقي » .

الألقاب

☆ **ابن العطار :** جماعة منهم : شرف الدين إبراهيم بن أحمد . كمال الدين كاتب الإنشاء أحمد بن محمود . والشيخ علاء الدين بن العطار علي بن إبراهيم بن داود . وبدر الدين محمد بن أحمد .

☆ **ابن عطاء السكندري :** تاج الدين أحمد بن محمد .

☆ **ابن عطايا :** سعد الدين الوزير محمد بن محمد .

☆ **الشريف عطوف :** محمد بن علي .

☆ **ابن عطيّة :** عطية بن إسماعيل .

١٠٩٨ ـ عطية بن إسماعيل

ابن عبد الوهاب بن محمد بن عطيّة بن المسلم بن رجا اللخمي الإسكندراني المالكي ، العدل الكبير جمال الدين أبو الماضي بن مكين الدين .

سمع (كرامات الأولياء) من مظفر بن الفوّي ، وتفرد بذلك . وكان والده من أصحاب الصّفراوي[١] وجدّه ، وروى عن الحافظ ابن المفضل[٢] ، وجدُّهم عطية أخو أحمد يروي عن أبي بكر الطرطوشي[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وقد زاد على الثمانين أشهراً .

---

* الدرر : ٤٥٦/٢ ، والسلوك : ١٤١/١/٢ ، وذيول العبر : ٨١ .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) علي بن المفضل بن علي اللخمي (ت٦١١ هـ) ، السير : ٦٦/٢٢ ، والشذرات : ٤٧/٥ .

(٣) في الأصول : « الطرطوسي » ، تحريف . وهو محمد بن الوليد بن خلف (ت ٥٢٠ هـ) ، السير : ٤٩٠/١٩ ، وطرطوش : بلدة في الأندلس .

الألقاب

☆ **ابن العفيف** : الكاتب محمد بن محمد .

☆ **أولاد ابن عُقبة** : جماعة منهم : القاضي صدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عقبة . وصدر الدين يعقوب بن إبراهيم .

☆ **العَقيمي** : جمال الدين عمر بن إبراهيم .

١٠٩٩ - علي بن إبراهيم*

ابن الخطيب يحي بن عبد الرزاق بن يحي ، العدل المسند مؤيد الدين أبو الحسن الزُّبيدي بضم الزاي ، المَقْدسي ، ثم الدمشقي ، ابن خطيب عقربا .

سمع من جَدّه ، ومن الناصح ابن الحنبلي ، وابن غسّان ، والإربلي ، وابن اللَّتي ، والقاضي ابن الشيرازي ، وسالم بن صصرى ، ومحمد بن نصر القرشي ، وحجّ فسمع بالمدينة من النجم بن سلاّم[1] .

كان ديّناً متواضعاً ، ولي مخزن الأيتام ، وناب في نظر الجامع وغير ذلك ، وشهد على القضاة .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة .

١١٠٠ - علي بن إبراهيم بن داود**

الشيخ الإمام المفتي المحدّث الصالح ، بقية السلف ، علاء الدين أبو الحسن بن

* العبر : ٥/٤٠١ ، والشذرات : ٥/٤٥٠ .

(١) هو الحسن بن سالم بن علي (ت٦٤٢هـ) ، الوافي : ١٢/٣٦ .

** البداية والنهاية : ١٤/١١٧ ، والدرر : ٣/٥ ، والشذرات : ٦/٦٣ ، والدارس : ١/٥٢ ، وتذكرة النبيه : ٢/١٤٧ ، وذيول العبر : ١٣٦ ، والنجوم الزاهرة : ٩/٢٦١ .

الموفّق العطار بن الطبيب الشافعي ، شيخ دار الحديث النورية ، ومدرس القوصية والعلميّة[١] .

حفظ القرآن ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد العزيز بن عبد[٢] ، والجمال ابن الصيرفي[٣] وابن أبي الخير ، والمجد محمد بن إسماعيل ابن عساكر ، والعماد محمد بن صصرى ، وابن مالك شيخ العربية ، والشمس ابن هامل ، وأبي بكر محمد بن النشّي ، وخطيب بيت الآبار ، ومحمد بن عمر ، والقطب ابن أبي عصرون ، وأحمد بن هبة الله الكهفي[٤] ، والكمال بن فارس المقرئ ، والشيخ حسن الصّقلّي ، والفقيه زهير الزرعي ، والقاضي أبي محمد بن عطاء الأذرعي ، ومدلّلة بنت الشيرجي ، وإلياس بن عُلْوان[٥] المقرئ وغيره .

وسمع بمكة من يوسف بن إسحاق الطبري ، وأبي اليُمْن بن عساكر . وبالمدينة من أحمد بن محمد النصيبي . وبالقدس من قطب الدين الزُّهري[٦] . وبنابلس من العماد عبد[٧] الحافظ . وبالقاهرة من الأبرقوهي ، وابن دقيق العيد .

وعمل له شيخنا الذهبي (معجماً) بلغ أشياخه فيه مئتين وسبع وعشرين شيخاً .

وسمعه الشيخ كال الدين بن الزملكاني بقراءته سنة سبع وتسعين ، وابن الفخر ، وابن المجد ، والمجد الصيرفي ، والبرزالي ، والمقاتلي .

---

(١) شرقي جبل الصالحية ، بناها الأمير علم الدين سنجر . الدارس : ٤٢٩/١ .

(٢) عبد العزيز بن عبد المنعم بن الخضر ، ويعرف بالكمال بن عبد (ت٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

(٣) يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح (ت٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ . ووقع في الأصل : « عبد العزيز بن عبد الجمال وابن الصيرفي » ، وهو خلط ، صوابه ما في (أ) ، (ز) .

(٤) أحمد بن هبة الله بن أحمد السُّلمي الكهفي (ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٥/٥ ، والشذرات : ٣٣٤/٥ .

(٥) إلياس بن علوان بن ممدود الإربلي (ت٦٧٣ هـ) ، غاية النهاية : ١٧١/١ ، ووقع في الأصل و (س) : « علوي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وغاية النهاية .

(٦) عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم (ت ٦٨٧ هـ) ، النجوم الزاهرة : ٣٧٨/٧ .

(٧) في الأصل :« ابن عبد » ، سهو .

وكان فقيهاً أفتى ودرّس ، وركب الجادة في العلم وألج وعرّس ، وجمع وصنف ، ونسخ الأجزاء وألّف ، ودار مع الطلبة ووطّف[١] . وكان فيه زُهد ، وورع بلغ الجُهْد ، وتعبّدٌ وأمر بالمعروف على زعارة أخلاقه ، ومرارةٍ في مذاقه . وكان قد صحب الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، واشتعل ذهنه عليه اشتعالا ، وتفقه عليه ، وحفظ (التنبيه) بين يديه . وكان له محبّون وأتباع ، وسوق نافقة[٢] فيها تُطلب وتباع .

وأصيب رحمه الله تعالى بالفالج سنة إحدى وسبع مئة ، وكان يُحمل في محِفّه ، ويكون فيها جالساً مُرفَّه ، ويُدارُ به كذلك إلى الجامع والمدارس ، ويمارس حاملُه ما يُمارس .

ولم يزل على حاله إلى أن التقى عمله ، وأعطاه الله من جُوده[٣] أمله .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل ذي الحجة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده يوم الفطر سنة أربع وخمسين وست مئة .

رأيته غير مَرّة ولم أسمع منه ، لكن حصّلت بركة رؤيته لا روايته .

وعقد يوماً مجلس بمشهد عثمان في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى فطلب العلماء والفقهاء ، وغصّ المجلس بالأعيان ، فما كان إلا أن جاء الشيخ علاء الدين بن العطار وقد حمله اثنان في محفته على عادته ، فلما رآه الشيخ كمال الدين بن الزملكاني وقد دخلا به ، قال : أيش هذا ؟ من قال لكم تأتون بهذا ، وردّه تنكز إلى برّا ، وجلس خارج الشباك ، إلا أن ابن الزملكاني لحق كلامه بأن قال : قلنا[٤] لكم تحضرون العلماء ، ما قلنا لكم تحضرون الصلحاء .

(١) أصل الوطف : انهار المطر ، والإكثار من الشيء .

(٢) في (أ) : « وسوق نافقة بضائعه غير ضائعة .. » .

(٣) في الأصل : « جود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (ز) : « نحن قلنا » .

قلت : عَلى كل حال كَسَر خاطره .

وكان يكتب بيده اليسرى . وكان قد حج غير مرة ، وكان في شهر ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة تكلم الشيخ شمس الدين بن النقيب وجماعة في بعض الفتاوى الصادرة عن الشيخ علاء الدين بن العطار ، وأن فيها تخبيطا ومخالفة لمذهب الشافعي ، وأنه ينبغي للفقهاء والقضاة النظر في ذلك ، وتوجهوا إلى الحكام ، فحضر جماعة إلى ابن العطار وقالوا : إنهم قد هيؤوا شهادات يشهدون بها عليك ، فبادر هو إلى القاضي الحنفي ، وصورت عليه دعوى ، فحكم بإسلامه وحقن دمه وبقاء جهاته عليه ، ونفذ حكم ذلك ، فلامه أصحابه على عجلته ، فأحال الأمر على مَنْ نقل ذلك[1] فأنكروا ، ووصلت القضية إلى الأفرم فأنكر ذلك ، وغَضِبَ لحصول الفتن بين الفقهاء ، وأحضر[2] ابن النقيب وجماعة ، ورسّم عليهم بالقصر أربع ليال ، وأحضروا بدار العدل وسوعدوا ، فأطلقوا بعد ذلك .

١١٠١ - علي بن إبراهيم التُّجاني البجلي*

أخبرني العلامة أثير الدين قال : المذكور أستاذ بتونس يُقرأ عليه النحو والأدب ، قدم علينا حاجّاً ، وأنشدنا بالقاهرة لنفسه :

إن الذي يروي ولكنه ... يجهل ما يروي وما يكتبُ
كصخْرةٍ تنبعُ أمواهُها ... تسقي الأراضي وهي لا تشرب

قال : وأنشدنا وكان الممدوح قد وهبه مالاً عوناً على الحج :

ياسيداً قامت لدهري به ... على الذي تُعتبه الحُجَّه
جودك للناس ربيعٌ ولي ... منه ربيعان وذو الحِجَّه

(١) في (أ) : « ذلك إليه » .

(٢) في الأصل : « وأحضروا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

* لم نقف على ترجمة له .

١١٠٢ - علي بن إبراهيم بن عبد المحسن*

ابن قُرناص علاء الدين الخُزَاعي الحَمْوي الشافعي ، ابن قرناص .

أخذ عن جماعة ، ونسخ ، وقرأ على الشيوخ ولم يكثر . سمع بمصر من ابن خطيب المزة ، وبدمشق من شرف الدين بن عساكر .

وكان فصيح القراءة ، قليل الدربة بالرجال ، وله نظم .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بدمشق .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

ومن شعره ...(١)

١١٠٣ - علي بن إبراهيم بن علي**

ابن معتوق بن عبد المجيد بن وفا ، علاء الدين أبو الحسن الواسطي الأصل البغدادي المنشأ ، الواعظ المعروف بابن الثردة ، بالثاء المثلثة والراء والدال .

قدم إلى دمشق مراتٍ ووعظ بها ، وأخذ من فضتها وذهبها ، ولكنه في المرة الأخيرة تغيرت حاله ، وتغبّت سماء عقله وغَزَالُه(٢) ، فالتحق بعقلاء المجانين ، وسلك من الهذر في أفانين ، وكان يثوب إليه عقله في بعض الأوقات ، وتكون منادمته ألذّ من الأقوات ، فينشد الأشعار الرائقة له ولغيره(٣) ، ويبذرُ الحَبّ لسُقوط طَيْره ، ثم يعاود الاختلال والاختلاط ، ويَنْخَلُ(٤) ، إذْ يَنْخَلّ مِنَ الرباط . رأيته في هذه الحالة وهو

---

* الدرر : ٧/٣ ، وتذكرة النبيه : ٥١/٢ .

(١) كذا بياض في الأصل . وأورد صاحب التذكرة بعض شعره .

** فوات الوفيات : ٤٦٣/٢ ، والدرر : ٨/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٩/١ .

(٢) أي : وشمسه .

(٣) وقد أورد له صاحب الفوات طرفاً صالحاً من نظمه شعراً ومواليا وموشحات .

(٤) أي : يدّعي .

يجاري القاضي شهاب الدين بن فضل الله بيتاً فبيتا ، ويسبق إلى نظم البيت حتى إخاله كُميتا .

وابتدأ بعمل كارة[١] صغيرة يحملها تحت إبطه ، ويجتهد عليها بكل جهده وضبطه . وهو يزيدها في كل يوم مما يراه مُطَّرحا في الطُّرُق ، إما خيطاً أو حبلاً ويديره عليها كالنُّطق ، وتلك في كل يوم تنمو وتزيد ، وهو يقاسي من حملها العذابَ الشديد ، حتى إنه يكون في الطهارة وهو يكابد حملها ، وما ينكر خَمْلَها[٢] . ولّما كان آخر وقت ضعف عن حملها فألقاها[٣] ، وعجز عن ضمّها ومعالجة شقاها .

وأصبح ابن الثُّردة طعامَ الدود ، وشخصه المنتصب وهو تحت الأرض ممدود .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالبيمارستان النوري في أول شهر ربيع الآخر سنة خمسين وسبع مئة .

وسألته عن مولده ، فقال : في ثاني عُشري شعبان سنة سبع وتسعين وست مئة .

وكان في هذا الاختلاط يدّعي أنه كانت له ببغداد كتبٌ تقدير الألفي مجلد[٤] ، وأن جماعةً من التجار الذين قدموا إلى دمشق اغتصبوها وأخذوها منه ، ولم يلق مَن يساعده على ذلك .

وكان ذلك من مخيّلة السوداء ، فساءت حاله وأضّرت به ، وأخذه الولع الزائد في هذه الكارة ، ويطلبها الناس منه فيقول : لو دُفع لي فيها ألف دينار ما أبعتها[٥] . وكان قد أتى إلى بعض الحكّام وادّعى عنده ، وهو في هذه الحالة ، على التّجار الذين

(١) الكارة : ما يصرّ بها .

(٢) أي : ما يسببه حملها من آلام في المفاصل .

(٣) في (ز) : « فألفاها » ، تصحيف .

(٤) في (أ) ، والفوات : « ألفي مجلّدة » .

(٥) في الفوات : « لو دفع لي فيها ملك مصر ما أبعتها » .

أخذوا كتبه ، فقال له القاضي : ياشيخ علاء الدّين ، قولك دعوى ، ألـك بيّنـةٌ تَشْهَـد بذلك ؟ فقال له : كيف يكون لي بيّنة ، وقد صفعوك منها بئتي مجلد ، يعني دفعوها بِرْطيلاً ، فضحك القاضي والحاضرون منه .

وعلّق عنّي أشياء من نظمي ، وعلّقت عنه . وقال لي يوما : أَنْشِدْني هذين البيتين اللّذين لك في الجناس ، وأنا قد حفظتها ، ولكن أشتهي أسمعها منك لأرويها بالسماع . فأنشدتُهُ لنفسي :

أتـاني كتـابٌ فيـه أن محبّتي ... تـلاشت - كما قيـل - أيَّ تـلاشي
فيا قُبحَ ماقد ضمّ جانِبُ طِرْسِه ... فضائحَ واشٍ في فضاء حواشي

وكان إذا دَفع[1] إليه أحد شيئاً من دراهم أو غيرها يقول : مَن أنت ؟ أظُنُّ عندك شيء[2] من كتبي ، فأنت تُبَرْطلني على ذلك . ولا يقبل لأحد شيئاً .

وكنت أراه فأتألّم لحاله ، وأتوجع لما أصابه . وكنت أخضع له وأتذلل وأعطيه شيئاً قليلا من الدراهم ، فيقول : يامولانا ، والله لا أريد شيئا من مالك . فأُقسم عليه وأقول : لابُدّ من ذلك ، فأنا مُحبّك وراويةُ شِعْرِك . فيأخذ من عَرض ذلك درهماً واحدا ، ولا يزيد على ذلك . فَعَلَهُ مرّات .

وكتب ، وهو في هذه الحالة ، قصّة للأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نظماً ، نقلت ذلك من خطّه ، وهي :

يا نائبَ السُّلطان لا تَكُ غافِلاً ... عن قَتْلِ قومٍ للظواهر زوّقوا
قَوْمٌ لهم وَقْعٌ وذِكْرٌ في الورى ... ويُرى عليهم في المهابةِ رَوْنَق[3]

---

(١) في الأصل : « رفع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والفوات .
(٢) في الأصل : « شيئاً » وهو غلط .
(٣) في (أ) : « للمهابة » .

وإذا رأوا شيئاً عليه تحيّلوا في أخذه وتأوّلوا وتملّقوا
ماهم تجارٌ بل لصوصٌ كُلُّهم فأْمُرْ بهم أن يُقتلوا أو يُشنقوا
الْمَيْنُ دأبُهُمُ إذا ما حَدَّثوا مافيهم مَنْ في كلامٍ يَصْدُق[١]
مَرَقُوا من الدين الحنيف بأسرهم كالسّهم ظل من الرميّة يَمْرُق
كم أستغيث وكم أضجّ وأشتكي منهم إليك وكَمْ لقلبي أحرقوا
سدّوا عليّ الطّرْقَ بغياً منهم أنّى اتجهتُ وللأعادي أَذْلَقوا[٢]
وأتَوا بمالي من لآمةِ طَبْعهم نحو الشآم وبينهم قد مزّقوا
وأراك لا تُجدي إليك شكاية إلاّ كأنك حائطٌ لا ينطق
ماذا جوابك حين تُسأل في غدٍ عَنهم ورأسُك من حيائك مُطْرِق
ما أنت راعٍ والأنام رعيّة وإذا ركبت ، لك الملوك تُطَرق ؟
كُن مُنصفَ المظلوم من غُرمائه فالبغيُ مَصْرَعَةٌ وفِعلٌ مُوْبِق
واكشف ظُلامَةَ مَن شكا مِنْ خصمه فالحقّ حقٌّ واضحٌ هُوَ مُشْرِقُ
لا تَعْفُ عن قوم سَعَوا لفسادهم في الأرض بغياً منهم وتجوّقوا[٣]
وانصب لهم شَرَكَ الرّدى إنْ أَنْجَدُوا أو أتهموا أو أشأموا أو أعرقوا
لا تنبرق منهم وإنْ هُمْ أسرجوا أو ألجموا أو أرعدوا أو أبرقوا[٤]
ومتى ظفرت بمُفْسِدٍ لا تُبْقِه فبقاؤه للناسِ ضُرٌّ مُقْلِقُ
واكْفُفْ أكُفَّ الظالمين عن الورى ليكُفَّ عنك اللهُ شرّاً يطرق[٥]
لا زلت سيفاً للأعادي قاطعاً ورؤوسهم مهما حَييت تُحَلَّق
وبقيت في مَجْدٍ رفيعٍ لا يَهي وبُنُودُ نصرك عاليات تخفق

(١) المين : الكذب .
(٢) الذلق : الإطلاق .
(٣) تجوقوا أي : اجتمعوا .
(٤) أي : لا تخف من وعيدهم ، وبرق الرجل تهدّد وتوعّد .
(٥) في الأصل : « الردى » بدل « الورى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٠٤ - علي بن إبراهيم بن عبد الكريم*

تاج الدين الكاتب المصري .

كان رجلاً عـاقلاً ، كثيرَ السكـون ، فيـه لُطْفٌ وتـودّد إلى النـاس . يُعْرَف بكاتب قطلوبك ، لأنه كان كاتب الأمير سيف الدين قطلوبك الكبير .

ولم يزل في الخِدَم الديوانيـة . وهو والـد الشيخ الإمـام العـالم القـاضي فخر الـدين المصري الشافعي ، الآتي ذكره في المحمّدين - إن شاء الله تعالى - .

توفي في العشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة بالعادليّـة[(١)] عنـد ولـده المذكور ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ظاهر دمشق .

١١٠٥ - علي بن إبراهيم بن خالد**

الأمير علاء الدين بن جمال الدين .

كان قد باشر ولاية دمشق هو وأبوه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقرية من قرى حوران في سابع عشري شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة .

قال شيخنا علم الدين : رأيت سماعه على القاضي شمس الـدين بن عطـا الحنفي في (سُنن أبي داود) . ويُعرف بابن النحاس .

---

* البداية والنهاية : ١٧٢/١٤ ، والدرر : ٧/٣ ، والدارس : ٢٨٢/١ ، عن البداية .

(١) في الأصل : « بالعالية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، ومصادر ترجمته .

** الدرر : ٥/٣ .

١١٠٦ ـ علي بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نعمة بن أحمد ، الشيخ أبو الحسن المقدسي الصالحي ، قيّم جامع الجبل[(١)] .

سمع من البهاء عبد الرحمن ، وابن صبّاح ، وابن الزبيدي ، وابن غسان ، ومُكرّم[(٢)] ، والإربلي[(٣)] ، وأبي موسى الحافظ[(٤)] ، وجماعة بدمشق ، ولزم جعفر الهمداني .

كان رجلاً عابدا ، فقيراً لأهوال هذه الدنيا مكابدا . ابتلي فَصَبَرْ ، وثبت على البلاء لّما اجتاز به وعَبَرْ ، وانقطع لّما حصل له الزّمانه ، وشكر الله وما ذمّ زَمَانه .

وكان لا يبرح يتلو [في][(٥)] المصحف بين يديه ، ويتلو كل يوم خِتمة يقدمها بين يديه . ودخل عليه التتار لّما فتحوا الباب ، وحَمَّوْا له سيخاً ووضعوه في فرجه فمات في العذاب .

وكانت وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة عن ثمانين سنة .

١١٠٧ ـ علي بن أحمد بن عبد المحسن**

ابن أحمد ، الإمام الفقيه ، العالم ، الُمحَدّث ، المسند ، بقية المشايخ ، تاج الدين

---

* العبر : ٤٠١/٥ ، والشذرات ٤٥١/٥ .

(١) هو الجامع المشهور بجامع الحنابلة وبالمظفري بسفح قاسيون ، الدارس : ٣٣٥/٢ .

(٢) مكرم بن محمد بن حمزة المعروف بابن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) هو فخر الدين محمد بن إبراهيم بن مسلم الإربلي (ت ٦٣٣ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه . ووقع في (أ) : « مكرّم الإربلي » ، سهو .

(٤) جمال الدين عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الجّماعيلي (ت ٦٢٩ هـ) . السير : ٣١٧/٢٢ .

(٥) زيادة من (أ) .

** الدرر : ١٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٧/١ ، والنجوم : ٢١٤/٨ ، والشذرات : ١٠/٦ .

أبو الحسن العَلَوي [الحسيني][1] الغرّافي ، بالغين المعجمة والراء المشددة وبعد الألف فاء ، الإسكندري الشافعي ، المعدّل .

سمع في الخامسة من ابن عماد[2] وطائفة ، وببغداد من أبي الحسن القطيعي ، وابن بُهروز ، وابن القُبيطي ، وجماعة .

وسمع منه شيخنا الذهبي جماعة أجزاء ، وانتقى عليه عوالي ، وخرّج لنفسه ولغيره ، وحمل عنه المغاربة والرحالون ، وحدثوا عنه في حياته .

وكان قد سمع من ظافر بن شحم[3] ، وابن حاتم[4] ، وعلي بن جُبارة .

كان له بالحديث أُنس وعنايه ، ومعرفة بقوانين الروايه . وكان فقيهاً نبيها ، وفاضلاً في بلده وجيها . وكتابتُه حسنةٌ سريعه ، وإذا ألقى الطِّرْسَ من يده تراه روضة مرِيعه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبّى مَن دعاه ، وجاء إلى البلاد مَن نعاه[5] .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سابع ذي الحجة سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان شيخَ دار الحديث التي أنشأها نبيه الدين [بن][6] الأبزاري بثغر الإسكندرية[7] .

---

(١) زيادة من (أ) ومصادر ترجمته .

(٢) محمد بن عماد بن محمد الجزري الحرّاني (ت ٦٣٢ هـ) ، السير : ٣٧٩/٢٢ .

(٣) في الأصل : « سحم » ، صوابه ما في (أ) ، وقد سلفت الإشارة إليه في ترجمة عبد المؤمن بن خلف ، ووقع في الشذرات والدرر : « نجم » ، تحريف .

(٤) هو مرتضى بن حاتم بن المسلّم بن أبي العرب الحوفي (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٥) في الأصل : « بغاه » ، تصحيف ، صوابه ما في (أ) .

(٦) زيادة من (أ) .

(٧) وتعرف بدار الحديث النبيهية ، سلفت الإشارة إليها .

١١٠٨ ـ علي بن أحمد بن جعفر*

ابن علي بن محمد بن عبد الظاهر بن عبد الولي بن الحسين بن عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن محمد بن أبي هاشم بن داود بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، الشيخ كمال الدين الهاشمي الْجَعْفَري القوصي ، نزيل إخميم ، المعروف بابن عبد الظاهر .

سمع من الشيخ أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة[١] ، ومن شيخه مجد الدين بن دقيق العيد ، وأجازه بالتدريس على مذهب الشافعي .

وصحب الشيخ علي الكردي ، وقدم عليهم قوص ، فاجتمع عليه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد والشيخ جلال الدين الدشناوي[٢] والشيخ كمال الدين هذا ، وعبد الخالق بن الفقيه نصر[٣] ، ولازموا الذكر بمسجد جلال[٤] بقوص .

وكان الشيخ كمال الدين هذا قد أصبح شيخَ دَهْره ، وأوحد عصره . قد جمع بين العلم والعمل ، وبلغ من الصلاح كُلَّ أمل . وظهر له من الكرامات ما أخجل الشمس إذا حلّت دارة الْحَمَل . وانتشر ذِكْرُه ، وصدق خُبْره خَبَره[٥] . وحكى الناس عنه أموراً في الصلاح لم تُحْكَ عَمَّن سِواه من أهل ناحيته ، ولا رواها الرواة عمن هو في دائرته . وكان يحضر السماع ، ويخلع فيه على الأغاني ما عليه من المتاع ، وله فيه أحوال عجيبه ، وإشارات مصيبه .

---

* الطالع السعيد : ٣٩٢ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١١/٣ .

(١) اللخمي بن الجميزي (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٣/٢٣ .

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت ٦٧٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٨٠ .

(٣) عبد الخالق بن إبراهيم بن نصر القوصي ، الطالع السعيد : ٢٨٥ .

(٤) في (أ) : « الخلال » .

(٥) في الأصل : « خبره وخبره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أشبه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن عبد الظاهر في باطن الأرض ، وأقام تحتها إلى يوم العَرْض .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب الفرد سنة إحدى وسبع مئة [ودُفِن برباط إخميم ، وقبره هناك يُزَار . ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة][1] بقوصَ .

وامتدحه الشيخ تاج الدين الدشناوي بأبيات منها :

مُحِبُّك هذا العارف العازف الذي ... تبدّى بوجهٍ بالضّياء مُكَلّلِ[2]
حليف التُّقى والشُّكْرِ والذِّكْرِ دائمًا ... فلله هذا الشاكِرُ الذاكِرُ الولي
عزائِمهُ العُليا تُضاهي مَقامَهُ ... ومِقْداره والسرّ أنّ اسْمَهُ عَلِي[3]
ألا إن لله الكمالَ جميعَه ... وما لِسواه منه حبّةُ خَرْدَلِ

ومن شعر الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر :

يا عين بحقّ مَن تُحبّي نامي ... نامي فهواه في فؤادي نامِ
والله ماقلت ارقدي عن مَلَلٍ ... إلا لعسى تَرَيْه في الأحلام[4]

قلت : فيهما لحنتان خفيفتان خفيّتان ، ولو قال : « يا عين بمن سهرت فيه نامي » « إلا لعسى أراه في الأحلام » ، لَخَلص من ورطة اللحن .

وقال الفاضل كمال الدين الأُدفوّي : حكى لي القاضي نجم الدين القَمُولي أن الشيخ كمال الدين رأى مرحاضاً قد أُخرج ما فيه ، ووضع بجانب المسجد ، فقال في نفسه : لا بد أن أحمل هذا ، فنازعته نفسه في[5] ذلك ، لأنه من بيت رياسة وأصالة وسيادة

(١) زيادة من (أ) . وقريب منه في الطالع السعيد .
(٢) في الطالع : « العارف الغارق » .
(٣) في الطالع : « والسر اسمه » .
(٤) في الدرر : « أراه » . والبيتان كذلك في الطالع .
(٥) في (أ) : « من » .

وعدالة ، فقال : لا بدّ من ذلك ، ثم استدرجها إلى أن حمله في النهار ، ومرّ به في حوانيت الشهود حتى تعجبوا منه ونسبوه إلى خبل في عقله . ثم إنه سافر إلى القاهرة[١] ، واجتمع بإبراهيم الجعبري[٢] ولازمه وانتفع به . ثم إنه استوطن إخميم ، وظهرت بها كراماته وانتشرت بركاته .

وقال [حكى][٣] لي صاحبنا الفقيه علاء الدين العدل علي بن أحمد الأصفوني[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ وكان ثقة في نقله ، قال : كنت بأُدفو أخذت في العبادة ، ولازمت الذكر مدة حتى خطر لي أني تأهلت . قال : وكان أخي جلال الدين غائباً عنّا مدة وانقطع خبره ، فحضر شخص وأخبرني أنه قدم من ألواح ونزل سيوط ، فسافرت إلى سيوط ، فلم أجده ، وصحبت شاباً نصرانياً ورافقته في الطريق إلى سوهاي[٥] ، وصار يُنْشدني طول الطريق شعراً ، وكان جميلاً ففارقته من سوهاي ، ووجدت ألماً كبيراً لمفارقته ، فدخلت إخميم وعندي وجدٌ بذلك النصراني ، فحضرت ميعاد الشيخ كمال الدين بن عبد الظاهر ، فتكلم في الميعاد ، على عادته ، ونظر إليّ وقال : لا إله إلا الله ، ثمَّ أُناسٌ يعتقدون أنهم من الخواص ، وهم من عوام العوام ، قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ﴾[٦] ، والنّحاة يقولون : « مِن » للتبعيض ، ومعنى التبعيض ألاّ ترفع شيئاً من بصرك إلى شيء من المعاصي .

ثم قال : حكى لي فقير قال : كنت في خدمة شيخ ، فمررنا بدار ، وإذا بامرأة جميلة ورأسها خارجة من الطاق تتطلّع إلى الشارع ، فوقف الشيخ زماناً يتطلع إليها ويتعجب من ذلك . ثم بعد ساعة والشيخ صاحَ صيحة عظيمة ، وإذا بالمرأة نزلت

(١) في الطالع : « من قوص إلى القاهرة » . وفي باقي الخبر اختلاف يسير عما هنا .
(٢) سلفت ترجمته .
(٣) زيادة من (أ) ، والطالع .
(٤) ستأتي ترجمته بعد قليل . ووقع في الأصل : « ابن العدل » ، سهو .
(٥) من قرى إخميم . (معجم البلدان) ومشهورة اليوم أيضاً بالجيم (سوهاج) .
(٦) النور : ٢٤/٣٠ .

وقالت : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله[١] ، فالتفت الشيخ إلى الفقير وقال : نظرت إلى هذا الجمال ، فقال : أنقذني من هذا الكفر ، فتوجهت إليه ، فالشيخ ما نظر إلى حُسن الصورة ، وإنما نظر إلى صورة الحسن ، فمن أراد ينظر إلى النصراني فلينظر كذا .

قال الشيخ علاء الدين : فصرختُ ووقعتُ .

قال : وحكى لي صاحبنا محمد بن العجمي ، وهو من أصحاب أبي عبد الله الأسواني[٢] قال : عُمِل سماع في دار ابن أمين الحكم ، وحضر الشيخ ورؤوساء البلد وخلق كثير ، وكنت من جملة الحاضرين ، فحضر القوّال ، وهو مظفّر بالشبابات والدفوف ، وقالوا شيئاً[٣] ، ثم قال :

من بعد [ما][٤] صدّ حبيبي ومارْ جا اليوم وزار
أبصرت ما كان أَبْرَكُو من نهار
جاني حبيبي وبلّغني[٥] المنى وزال عن قلبي الشّقا والعنا
ودار كاس الأُنس ما بيننا
يا ما أحسن الكاسات علينا تدار في وسط دارْ[٦]
أنا ومحبوبي نهاراً جهارْ

فقام الشيخ وقال : إي والله ، أنا ومحبوبي « نهاراً جهار » . إي والله . وطاب وخلع جميع ما عليه ، وخلع الجماعة ما عليهم ، ولم يبق كل أحد إلا بلباسه ، ثم أرسلوا

(١) زاد في (أ) : « وكانت المرأة نصرانية » .
(٢) هو محمد بن يحيى بن أبي بكر . الطالع السعيد : ٦٤٠ .
(٣) عبارة الطالع : « وهو مظفر ، وكان يغني بالشبابات والدفوف ، وقال أشياء .. » .
(٤) زيادة من (أ) ، والطالع السعيد .
(٥) في (أ) والطالع : « وبلغت » .
(٦) في الطالع : « الدار » .

وأحضروا ثياباً ، فقال : يامظفر ، قال : لبيك ، قال : ثيابي وثياب الجماعة ، الجميع لك . فَشَدّوا كارات . فقلت : يا مظفر لولا رأس هذا المنسر معك ما قشطت ثياب الجماعة ، فبَلَغَت الشيخ فضحك .

١١٠٩ ـ علي بن أحمد بن الحسين*

علاء الدين الأُصْفُوني .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وتأدّب على الغضنفر[١] الأصفوني والجلال بن شوّاق[٢] الأسنائي وغيرهما .

كان أديبا ذكيا ، سريَّ النفس زكيّا . له مكارم لم تنلها الغمائم ، ومحاسن تسجع بأوصافها الحمائم[٣] . وكان له شعر ألذّ من نغمات الأوتار ، وأطرب من تغريد القُمْريّ في الأسحار على الأشجار . وله يَدٌ طولى في صناعة الحساب ، ومباشرة في الخِدَم السلطانية[٤] جعلها من باب الارتزاق والاكتساب . وجلس بين الشهود بقوص وبالقاهره ، وتقمّص تلك[٥] الحلّة الفاخره .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه أمرٌ ما أطاقَ دَفْعَه ، وأعمل الموتُ فيه خَفْضَهُ ورَفْعَه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

---

* الطالع السعيد : ٣٦٥ ، والدرر : ١٣/٣ .

(١) في (أ) : « الغضنفري » ، وهو عبد القادر بن عبد الملك بن الغضنفر الأصفوني ، الطالع السعيد : ٣٢٨ .

(٢) هو الحسن بن منصور بن محمد . (ت ٧٠٦ هـ) . انظر الطالع السعيد : ٢١٠ .

(٣) في (أ) : « لم ينلها الغمام ... بأوصافها الحمام » .

(٤) في (أ) : « الديوانية » .

(٥) في (أ) ، (ز) : « بتلك » .

أثنى عليه الفاضل كمال الدين الأُدْفُوّي ، ووصفه بمكارم أخلاق .

قال : لمّا طلع داود الذي ادّعى أنه [ابن][١] سليمان من نسل العاضد إلى الصعيد في سنة سبع وتسعين وست مئة ، وتحرّكت الشيعة ، بلغ علاءَ الدين هذا أنه قال لبعض أهل أصفون ، إنه يتحمّل عنه الصلاة . فنظم علاء الدين .

ارجع ستلقى بعدها أهوالا لا عشت تبلغ عندنا الآمالا[٢]
يا مَن تجمّع فيه كل نَقيصَةٍ فلأضربنّ بَسيْرك الأمثالا
وزعمت أنك للتكالف حامل وكذا الحمار يُحَمَّلُ الأَثْقَالا[٣]

ولمّا ولي السَّفَطي[٤] قوص سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان بصره ضعيفاً جداً حتى قيل إنه لا يبصر به شيئاً . وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيش قد قام في ولايته . قال علاء الدين :

قالو: تولّى الصعيدَ أعمى فقلت: لا بل بألف عين

وبلغه شعر الشيخ عبد القادر الجيليّ[٥] ، وهو :

ما في المناهل مَنْهَلٌ يُستعذبُ إلا ولي منه الألذُّ الأَطْيَبُ
أنا بُلبلُ الأَفْراحِ أَمْلأُ دَوْحَها طَرَباً وفي العَلْياءِ بازٌ أَشْهَبُ

فقال علاء الدين :

ما في الموارِدِ مَوردٌ يُستَنْكَدُ إلاّ ولي فيه الأمرُّ الأَنْكَدُ
أنا قنبرُ الأحزان أملأُ طَلْحَها حُزناً وفي السُّفْلى غرابٌ أسودُ

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، والطالع .
(٢) في الطالع : « آمالا » .
(٣) في الطالع : « للتكلف » .
(٤) هو إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . (ت ٧٣٩ هـ) . الطالع السعيد : ١٦٧ .
(٥) في الطالع : « الجيلاني » .

١١١٠ ـ علي بن أحمد بن يوسف بن الخضر*

الشيخ الإمام العالم زين الدين أبو الحسن الآمدي الحنبلي العابر .

كان شيخاً مهيبا ، يقظاً لبيبا ، فَهِماً أريبا ، صالحاً صدوقا ، ثقة إذا كان نطوقا ، عابراً للرؤيا ، عارفاً بأحوال الدنيا ، أضرّ في آخر عمره ، وكان إلى ذلك نهايةُ أمره .

وكانت تبدو منه عجائب مع عماه ، وصوائب من كل سَهْم رماه ، إلى أن فُتن به القان غازان ، وأنعم عليه بما زاد[1] وبما زان . وكانت له منامات غريبة الكَوْن ، تدلّ على أنه له من الله نِعْمَ العون .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ الآمدي إلى مداه ، وتجاوز عُمُرَهُ ببلوغ رداه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وكانت له حكايات عجيبة تُحكى عنه ، منها أنه أهْدَى إليه بعضُ أصحابه نصفيّة حسنة ، فسُرقت ، فرأى في نومه شيخه الإمام مجد الدين عبد الصمد بن أحمد بن [أبي][2] الجيش المقرئ شيخ القرّاء ببغداد ، وهو يقول له : النّصفيّة أخذها فلان وأودعها عند فلان ، اذهب وخذها منه . فلما استيقظ قال في نفسه : الشيخ مجد الدين كان صدوقاً في حياته ، وكذلك هو بعد وفاته . فذهب إلى الرجل الذي ذكره ، فدقّ عليه الباب ، فخرج إليه ، فقال[3] : أعطني النّصفية التي أودعها فلان عندك ، فقال : نعم ، فدخل وأخرجها له ، فأخذها وذهب ، ولم يقل له شيئاً . وجاء السارق بعد ذلك

* نكت الهميان : ٢٠٦ ، والدرر : ٢١/٣ .

(١) في الأصل : « راد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . وفيهما : « ومازان » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) ، وابن أبي الجيش هذا (ت ٦٧٦ هـ) . غاية النهاية : ٣٨٧/١ ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) في (أ) : « فقال له » .

إلى الْمُوَدع يطلب النصفية ، فقال له : جاء الشيخ زين الدين الآمدي ، وطلبها على لسانك ، فأعطيته إياها . فبُهت السارق وبقي حائراً ، ولم يعنّفه الشيخ ولا واخذه .

ومنها أنه قال : رأيت في المنام كأن شخصاً أطعمني دجاجة مطبوخة ، فأكلت منها ثم استيقظت وبقيتها[1] في يدي . وهذا شيء عجيب .

وهذه الوقائع مشهورة عنه في تلك البلاد .

ولّما دخل القان غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن جنكزخان بغداد في سنة ... ...[2] وتسعين وست مئة ، ذُكر له الشيخ زين الدين المذكور ، فقال : إذا جئتُ غدا المدرسة المستنصرية أجتمع به ، فلما أتاها احتفل الناس له واجتمع بالمدرسة أعيانُ بغداد وأكابرها من القضاة والعلماء والعظماء ، وفيهم الشيخ زين الدين لتلقي غازان ، فأمر غازان أكابر أمرائه أن يدخلوا المدرسة قبله واحداً بعد واحد ، ويسلم كلٌّ منهم على زين الدين ، ويوهمه الذين معه أنه هو السلطان امتحاناً له ، فجعل الناس كلما قدم أمير يزهزهون له ويعظمونه ، ويأتون إلى زين الدين ليسلم عليه ، والشيخ زين الدين يرد عليه السلام من غير تحرّك له ولا احتفال ، حتى جاء السلطان في دون من تقدمه من الأمراء في الحفل ، وسلم على الشيخ وصافحه ، فحين وضع يده في يده نهض له قائماً ، وقبّل يده ، وأعظم مُلتقاه والاحتفال به ، وبالغ في الدعاء له باللسان الْمُغْلِيّ ثم بالتركي ثم بالفارسي ثم بالرومي ثم بالعربي ، ورفع به صوته إعلاماً للناس . فعجب غازان من فطنته وذكائه وحِدّةِ ذهنه مع ضرره . ثم إن السلطان خلع عليه في الحال ووهبه مالاً ورسم له بمرتب في كل شهر ثلاث مئة درهم ، وحظي عنده وعند أمرائه ووزرائه وخواتينه .

---

(١) في الأصل : « ولقيتها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وعبارة الدرر : « وفي يدي منها » .

(٢) كذا بياض في الأول . وفي الدرر أنّه دخلها قبل السبع مئة .

وكان يتجرّ في الكتب ، وعنده كتب كثيرة جداً ، وإذا طلب منه إنسان كتاباً نهض إلى كتبه ، وأخرجه من بينها . وإن كان الكتاب عدّة مجلدات ، وطلب منه الأول مثلا أو الثاني أو الثالث أو غيره[1] أخرجه بعينه . وكان يمسّ الكتاب أولاً ، ثم يقول : يشتمل هذا المجلد على كذا كذا كراسة ، فيكون الأمر كما قال . واذا مرّ بيده على الصفحة قال : عدد أسطرها كذا كذا سطراً ، فيها بالقلم الغليظ هذا وهذا ، المواضع[2] كُتبت به ، وفيها بالأحمر هذا وهذا ، المواضع كُتبت به . وإن اتفق أنها كُتبت بخطين أو ثلاثة ، قال : اختلف الخط من هنا إلى هنا ، من غير إخلال بشيء منها مما يُمتحن به .

وكان لا يفارق الإشغال والاشتغال في غالب أوقاته ، وللناس عليه إقبال عظيم لدينه وورعه .

ومن تصانيفه : (جواهر التبصير في علم التعبير) ، وله تعاليق كثيرة في الفقه والخلاف وغير ذلك . وانتفع به جماعة .

١١١١ ـ علي بن أحمد بن سعيد*

ابن محمد ابن الأثير ، القاضي الكبير الصدر علاء الدين أبو الحسن بن القاضي تاج الدين الحلبي الأصل ثم المصري ، صاحب ديوان الإنشاء بالديار المصرية أيام السلطان الملك الناصر محمد .

وكان السلطان لمّا توجّه في المرّة الأخيرة إلى الكَرك توجّه القاضي علاء الدين معه فأقام عنده مُدَّة ، ووعَدَهُ بالمنصب ، وأعاده إلى القاهرة . ولمّا قَدِمَ السلطان من الكرك أباع القاضي علاء الدين إكديشا كان عنده بمئة وعشرين درهما ، واشترى بذلك

(١) مطموسة في الأصل ، وأثبتناها عن (أ) ، (ز) .
(٢) في (أ) : « لمواضع » .
* البداية والنهاية : ١٤٩/١٤ ، والدرر : ١٤/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٠/٢ ، والسلوك : ٣٢٧/٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٣/٩ .

حلوى ، وتوجّه للقاء السلطان ، فلما استقرَّ له الأمر ، قال السلطان للأمير الدوادار : اكتب إلى محيي الدين بن فضل الله ، وقل له يكتب إلى أخيه القاضي شرف الدين ليطلب مني دستوراً في التوجّه إلى الشام ، وأنا أستحيي أن أبدأه بالخروج من مصر . فكتب محيي الدين إلى أخيه بذلك فلم يلتفت إليه ، وقال : أنا ما أعيش بعقل يحيى . ولَمّا علم السلطان بذلك رسم للقاضي شرف الدين بن فضل الله في أوائل المحرّم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بأن يكون صاحب ديوان الإنشاء بدمشق عوضاً عن أخيه القاضي محيي الدين ، وتولّى القاضي علاء الدين بن الأثير مكانه في كتابة السر بالديار المصرية في سابع عشر ذي الحجة يوم الثلاثاء سنة إحدى عشرة وسبع مئة[١] .

وكان القاضي شرف الدين له على السلطان خِدَم كثيرة ، وإنّما لّما خرج إلى الكرك جُهّز معه القاضي علاء الدين بن الأثير ، وكان في تلك الأيام صغيراً بين الجماعة ، فنقم السلطان ذلك ، ونسبه إلى شرف الدين ، ووعد القاضي علاء الدين بالمنصب .

ولّما ولاّه عظّمه وقرّبه وكرّمه[٢] وأنعم عليه ونوّه بقدره ، فبلغ منه في المكانة العالية مالم يبلغه أحد . وكان يأمره السلطان بأشياء إلى نوّاب الشام ، ويقول له : اكتب إليهم بكذا وكذا عنك ، فيكتب إليهم بما أَمَره ، حتى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فزادت عظمته في القلوب ووجاهته ، وكان يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك ، فيهم ما هو بعشرة آلاف درهم وأكثر . وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان سماطين ولا يتكلم إلاّ بالتركي ، ومماليكه يقرّبون كلامه للناس .

وكان فيه ذكاء وعنده نباهه ، وحُسن كتابة ، فيها للنواظر نزاهه ، وتدبير يعينه على التقدم والوجاهه ، وإحسان إلى مَن يعرفه ، وجُود على مَن يحضر إليه من الشام ويصرفه . أنشأ جماعة وقدّمهم في الدّوله ، وجعل لهم بنظره إليهم أبّهة في النفوس وصوله . واقتنى

---

(١) انظر البداية والنهاية : ٦٣/١٤ .

(٢) في (أ) ، (ز) : « وأكرمه » .

المماليك والأملاك ، وخضع [له][١] الأمراء والنّواب والأملاك ، وحصّل نِعماً أثيرة ، وأصّل في الديوان كلمات[٢] كثيرة ، ودانت له الأقدار ، وصفت له أيامه من الأكدار .

وعلا علاء الدين بن الأثير ، إلى أن صار من دونه[٣] الفلك الأثير ، ورقد في سعوده[٤] على الفرش الوثير ، ورأى كلَّ مَنْ دونه قليلاً[٥] وهو كثير ، وتقدم به أولاد أخيه ، وكتبوا معه في الدست ، فشُدّت بهم قواعد الملك وثُبّتت أواخيه .

وأصبح ذِكْرُهُ في كل أرض يُدار به الغناء على العُقارِ

ولم تزل كواكبه في سعود ، ومراتبه في صعود ، إلى أن قلب الدهر له مجنّه ، وأظهر له ما كان أكنّه ، وتيقّظ له وكأنما كان في أكِنّه ، ورُمي بفالج عدم معه الانتفاع بحواسه ، وبطلت حركةُ يَدِهِ وطالما كان القلم فيها كأنما شُدّ بأمراسه على أم راسه ، وعزّ أمرُه وما نزل به على السلطان ، وطلب علاجَه من النازحين والقُطّان ، فما نجع فيه دواء مَن يُعالج ، ولا ظهر طريق مستقيم لطبٍّ ما به مِنَ الفالج ، فنزل من ديوانه إلى البيت ، ورآه الناس وهو حيّ كأنه الْمَيْت ، و :

ما زال يدفع كلَّ أمرٍ فادحٍ حتى أتى الأمرُ الذي لا يُدْفَعُ

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الأربعاء منتصف شهر الله المحرّم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن يوم الخميس بمقبرتهم بالقرافة ، ومات وهو في حدود الخمسين .

أصابه مبادي فالج ، فكابر هو نفسه ، وصار[٦] يدخل ويخرج إلى السلطان ويفهم السلطان عنه ذلك ، وما يقول له شيئاً ، فلما كان في بعض الأيام أراد أن يقوم من بين

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .
(٢) في (أ) ، (ز) : « كَلِماً » .
(٣) في الأصل : « دولة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٤) في الأصل : « سعود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٥) في الأصل و (ز) : « قليل » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٦) في (أ) : « وبقي » .

يدي السلطان ويحمل الدواة بيمينه ، فسقطت من يده فتألّم له السلطان ، وقال للأمير سيف الدين أُلجاي الدوادار : اكتب إلى نائب الشام ليجهّز لنا القاضي محيي الدين بن فضل الله ، وسيّر السلطان يقول له : يا علاء الدين ، انزل واضرب لك خاماً في جزيرة الروضة ، وعالج هذا الحادث ، وأنا أجهّز لك الأطباء ، فلم يفعل ، وبقي في الديوان مريضاً إلى أن جاء الخبر بوصول القاضي محيي الدين بن فضل الله إلى قطيا ، فقال لأُلجاي : مُر ابن الأثير بالنزول إلى بيته . فجهّز يقول له : قد جاء صاحب الديوان ووصل ، وغداً يكون هنا ، فباسم الله انزل استريح في بيتك .

سبحان الله العظيم ، هم أولاً به عُزلوا ، وهو ثانياً بهم عُزل .

فذي الدارُ أخْدَعُ مِنْ مومسٍ وأمكر من كِفّة الحابل[1]

وكان نزول ابن الأثير إلى بيته في أوائل المحرّم سنة تسع وعشرين وسبع مئة[2] ، وأقام في بيته ، وتزايد به المرض ، وجهّز السلطان أحْضَر أمين الدين سليمان[3] رئيس الأطباء بدمشق ، وقال له لمّا وصل : انزل إلى القاضي علاء الدين بن الأثير ، وعالجه ، ووعده ، فنزل إليه وعالجه فما أفاد وآل أمره إلى أنه لم يبق فيه شيء يتحرك غير جفونه فكان إذا أراد شيئاً علا صارخاً بصوته ، فيحضرون إليه ، ويدقّون على الأرض دقات متوالية ، وهو يعد الحروف من أول المعجم ، فإذا وصلوا إلى أول حرف من مقصوده أطرق وأغمض جفنه ، فيحفظون ذلك الحرف ، ثم يفعلون ذلك ، فإذا وصلوا إلى الحرف الثاني من مقصوده أغمض جفنه . ولا يزالون كذلك حتى يفهموا عنه قصده . وكان الزمان يطول عليهم وعليه حتى يفهموا عنه لفظة أو لفظتين . نسأل الله ـ تعالى ـ العفو والعافية من آفات هذه الدار .

---

(١) هي حبالة الصائد أو شبكته .

(٢) البداية والنهاية : ١٤٣/١٤ .

(٣) هو سليمان بن داود بن سليمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

وكان يكتب خطاً قوياً منسوباً ، وله قدرة على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة ، وما [كان][1] يخرج كتاب عن الديوان حتى يتأمّله ، ولا بد له أن يزيد فيه بقلمه شيئاً . وله إنشاء ، وهو الذي أنشأ توقيع الشيخ مجد الدين الأقصرائي[2] بمشيخة شيوخ الخانقاه بسرياقوس[3] لما فرغت عمارتها .

وعلى الجملة ، فإنه عمل كتابة السرّ جيّدا ، ونفّذ المهمات على أحسن ما تكون .

ومدحه شعراء عصره . ومِمّا كُتب إليه به ما أَنْشَدَنَاه لنفسه إجازةً شَيْخُنا العلاّمة شهاب الدين أبو الثناء محمود ـ رحمه الله تعالى ـ :

أمـا ومكانـةٍ لـك في ضميري ... وذكرك لا يـزال معي سميري
لقد سافرتُ بالأشواق أسعى ... إليـك وإنْ قَعَـدْتُ عن المسير
ولـو أدركتُ من زمني مُرادي ... لما نـاب الكتـابُ عن الحضـور
ولم أوثر ولا لابني اختيـارا ... بحظّي من نـوال ابن الأثير
وكيف وليس إلا بالتشـامي ... بنـانَ يـديه يكْمُل لي سروري
كريمٌ طـاهرُ الأعراق تعلـو ... أصـالتُـه على الفَلَـك الأثير
لـه خُلُـقٌ يـدمّثـه حيـاءٌ ... كروضٍ دَمَّثتـه يَـدُ الغَـدير
وجُـوْدٌ كلمـا أخفـاه صـوناً ... حكى شمس الظهيرة في الظهـور[4]
إذا وشّى بليـل النّقس صبـحَ الـ ... ـطروس أراك نُـوْرَا فـوق نـور[5]
وأبـدى للمُـوالي والمُعَـادي ... أمـانيَ أو منـايـا في السطـور

وله فيه أمداح كثيرة .

(١) زيادة من (أ) ، (س) .
(٢) موسى بن أحمد بن محمود (ت ٧٤٥ هـ) . وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ .
(٣) وتعرف بالخانقاه السرياقوسية ، أنشأها السلطان الناصر محمد للصوفية .
(٤) في الأصل : « صون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهي أشبه .
(٥) في الأصل : « النقش » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

وأنشدني من لفظه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة قصيدة ، مدحه بها[(١)] ، أولها :

أصـــــاب بجفنـــــه عقـــلَ الأسير فيـــا ويـــلَ الصحيـــح من الكسير[(٢)]
غــزالٌ كالغــزالــة في سنــــاهـــــا تُحجّبـــه المــلامــةُ بــالسّفــور[(٣)]

منها :

يَلَـــــذّ تَغَــزُّلُ الأشعـــــارِ فيـــه لـــذاذةَ مَـــدْحِهـــا في ابن الأثير
أغرٌّ إذا احتبى وحَبـــا العطـــايـــا رأيتَ السيـــل يُـــدفـع من ثبير[(٤)]
أخـو يَـوْمَيْن يــومِ نــدى ضحــوكٍ ويـــــوم ردىً عبـــوسٍ قَمْطَرِير[(٥)]
كأن حــــديثـــــه في كل نــــادٍ حـــديثُ النــــارِ عن نَفَس العبير
لـــــه قَلَمٌ سَرَى للنفــعِ ســـــارٍ يبيت على المهالـــــك كالخفير[(٦)]
تلثّمَ بـــــالمـــداد لثـــــام ليـــلٍ فـــأسفرت عن سنا صُبْـحٍ منير[(٧)]
عليٌّ الاسمِ والأوصــــافِ يُــزْهَى بـه الـدهر العليُّ عَلَى الـدهـور[(٨)]
من القـــوم الـــذين لهم صعــودٌ إلى العليــــاء أسرعُ من حــــدور
سما شِعري وزاد على عــــــلاهم فلقّبنـــــاه بـــالفَلَـــك الأثير[(٩)]

---

(١) ديوان ابن نباتة : ٢١٢ .
(٢) صدر البيت في الديوان :

لقد عبثت لواحظه بعقلي

(٣) في الديوان : بالستور .
(٤) في الأصل : « اجتبي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) وفي الديوان : اجتنى . وثبير : جبل .
(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إنّا نخاف من ربّنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾ الإنسان : ١٠/٧٦ .
(٦) في الديوان :

له قلمٌ سريّ النفع

(٧) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .
(٨) البيت ليس في ديوانه .
(٩) في الديوان :

وعاد على علاهم

أأنــدى العــالمين يــداً وأجــدى على العـــافين في الــزمن العسير[١]
إليـك سعى رجـاي وطـاف قصـدي فـــدُمْ يـــا كعبـــةً للمُسْتَجير[٢]

ولمّا دخلت أنا إلى القاهرة في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت بعض الناس قد لهج بالمقامة[٣] للقاضي علاء الدين بن عبد الظاهر التي وَسَمها بـ (مراتع الغزلان) ، وكُلّفت أنا في ذلك بإنشاء رسالة في تلك المادة ، فأنشأت رسالتي التي وَسَمتها بـ (عبرة اللّبيب[٤] بعبرة الكئيب) ، وكتبت في أولها أبياتاً تتعلق بمديحه ، وقد شَذّت الآن عني ، وحملتها إليه ، فوقف عليها . ولمّا جئته بذلك قال لي : الله يزيدك من فضله . وطوّق عليّ ، فقلت له : والله يزيدك سعادة .

١١١٢ ـ علي بن أحمد بن عبد الواحد*

قاضي القضاة أبو الحسن عماد الدين بن محيي الدين أبي[٥] العباس بن بهاء الدين أبي محمد الطرسوسي الدمشقي[٦] الحنفي .

كان قاضياً سَؤُوسا ، عالماً في مذهبه رئيسا . كم ألقى دروساً ، وأطْلَع من ألفاظه غُرُوسا ، حسنَ الشكل مديدَ القامة ظريف العِمامه ، كأن وجهه الشمس تحت الغمامه .

(١) في الديوان :

أأندى العالمين ندىً

(٢) صدره في الديوان :

أتيتك محرماً من كلّ صنعٍ

(٣) في (أ) ، (ز) : « بالرسالة » .

(٤) في الأصل : « الكثيب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، والرسالة مخطوطة .

* وفيات ابن رافع : ٢٥١/١ ، والدرر : ١٨/٣ ، والنجوم : ١٨١/١٠ ، والدارس : ٤٧٨/١ .

(٥) في الأصل : « ابن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والدارس .

(٦) ليست في (خ) .

لم ينكّد عليه في منصبه ، ولا رأى فيه ما ارتاع بسببه . ماشياً فيه على السّداد ، سالكاً فيه سبل الرشاد . يُعظّمه نواب السّلطنة بالشام ، ويثنون على مالَهُ من القضايا والأحكام .

وكان لا يملّ من قراءة[١] القرآن ، ولا يَفْتُر لسانه عن[٢] سرد آياته في كل زمان ومكان إلى أن سأل في النزول عن منصب القضاء لولَده[٣] ، وإيثاره به لِمَا دار[٤] في خَلَده . فأجابه السلطان إلى ما قصده وعجّل له الأمر الذي رصَدَه . فلازم بيته آناء الليل وأطراف النهار[٥] ، ويعمل على خلاصه في غد إذا وقف على شفا جُرُف هار[٦] .

إلى أن حان مَصْرَعُه ، وآن من وُرْد المنية مَكْرَعُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الاثنين ثامن عشري الحجة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ودفن بالمِزّة .

وكان الأمير تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ قد ولاّه تدريس المدرسة القايمازية بعد وفاة الشيخ رضي الدين المنطيقي[٧] في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، فكتبت أنا توقيعه بذلك . ونسخته :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين عَلِيّا ، وأيّد شَرْعَةَ المطهّر بمن رقى بعلمه سُمُوّا

---

(١) في (أ) : « تلاوة » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « من » .

(٣) إبراهيم ، كما في الدارس (ت ٧٥٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها ، وانظر : البداية والنهاية : ٢٢١/١٤ .

(٤) في الأصل : « ثار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومن آناء اللّيلِ فسبّح وأطراف النّهار ﴾ طه : ١٣٠/٢٠ .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ أمْ مَنْ أسس بنيانه على شفا جرفٍ هَارٍ فانهار به في نار جهنم ﴾ التوبة : ١٠٩/٩ .

(٧) إبراهيم بن سليمان بن الآب كرمي (ت ٧٣٢ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وأصبح للوصيّ سَمِيّا ، ورفع قَدْرَ مَن إذا كان في حفلٍ هَمَى نَدَى وحَمَى نَـديّـا ، وهـدى الناسَ بأعلام علمه التي إذا خَفَقت كم هزمت كَمِيّا وقادت إلى الحق أبيّا .

نحمده على نِعمه التي جعلت العلماء للأنبياء ورَثَة[١] ، وأقـامت بِهِم الحجـةَ على من نكب عن[٢] الحق أو نقض الميثاق ونَكَثـه . ونَفَت بهم شُبَـه البـاطل عن الـدين القيّم كا ينفي الكير خَبَثَه . وجعلت كل حَبْرٍ منهم إذا نطق في المحافل جـاء بـالسحر الحلال من فيه ونَفَثَه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهـادة نـدّخرهـا في المعـاد خَيْرَ عُـدّه ، ونأمن بها يوم الفَزَع الأكبر إذا ضاق على الناس خناقُ الشـدّه ، ونجـدهـا في الصحـائف نوراً يضيء لنـا إذا كانت وجوهُ الـذين كـذبوا على الله مسوّده[٣] . وتجعـل أيـدينـا على قطاف ثمار الرحمة وجنى غصونها ممتَدّه .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسولَـه خَيْرُ مَنْ هـدى الخلق ببرهـانـه ، وأشرف مَن قضى بين الناس بالحق وفرقانه ، وأعزّ مَن دفع في صدور البلغاء بنان بيانِـه ، وأكرمُ مَن أطلق في ملكوت الله ـ عز وجل ـ عنان عيانه .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوا لأوليائهم السُّنـه ، وروّوا من أعـدائهم الأَسِنّه ، وأضحت طريقهم لطالب هديّة الهـدى مطيّـة الْمَظِنّـه ، وأمْسَوا حربـاً لحزب الشيطـان الـذين جعـل الله في آذانهم وَقْراً وعلى قلـوبهم أكنّـه[٤] ، صـلاة تطلـق جيـادُ الألسنة في ميدانها الأعنّه ، وتبلّغهم أمانيهم التي بايعهم عليها بأن لهم الجنّة .

---

(١) يشير إلى قولـه ﷺ : (.... وإنّ العلمـاء ورثـة الأنبيـاء ، وإنَّ الأنبيـاء لم يورثـوا دينـاراً ولا درهـماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظّ وافر) . رواه أبو داود والترمذي . انظر : رياض الصالحين : ٢٤٧ .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وجوهم مسودّة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) يشير إلى قـولـه تعـالى : ﴿ وجعلنـا على قلـوبهم أكنـةً أن يفقهـوه وفي آذانهم وقراً ﴾ الأنعـام : ٢٥/٦ . ووردت في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

وبعد ، فلمّا كان العلم الشريف هو للدين حافظ نظامه ، وضابط أحكامه في حلاله وحرامه ، بنشره يطيب نَشْرُ الإيمان وأَرَجه ، ويتّسع من[١] صدر الجاهل بأحكام ربّه ـ تعالى ـ ضِيْقُه وحَرَجه . والعلماء هم الذين يَرْعَوْن سوامه ويراعون ، ويُقْدمون على منع مَن يتعدّى حدود الله ـ تعالى ـ فما يهابون ولا يُهانون ولا يُراعون . وكفى بالعلماء فخراً أنهم للأمة أئمةُ الاقتداء ، وأن مدادهم جعله الله بإزاء دم الشهداء .

وقد خلت في هذه الأيام المدرسة القايمازيّة ، أثاب الله واقفها ، ممن ينشر فيها أعلام العلم ، ويُبدي في مباحثه مع خصومه معنى الحرب في صورة السلم ، ويُنبت[٢] في رياض دروسها شقائق النعمان ، ويُثبت في حياض غروسها دقائق النعمان .

تعيّن أن يقع الاختيار على مَن يُحْيي بدروسه ما دَرَس من مذهب الإمام[٣] أبي حنيفة النعمان ، رضي الله عنه ، ويجدّد بفضائله التي أتقن فنونها ما رثّ من أقواله التي لا توجد إلا فيه ، ولا تؤخذ إلا منه .

وكان المجلس[٤] العالي القضائي العمادي أبو الحسن علي الطرسوسي ، أدام الله أيامه ، وأعزّ بالطاعة أحكامه ، هو الذي تفرّد بهذه المزايا ، وجمع هذه الخلال الحميدة والسجايا ، تضع الملائكة له إذا خطا في العلم الأجنحه ، ويتخذ الناس إذا اضطروا لدفع الأذى عنهم من صلاحه الأسلحه ، قد أراد الله به خيرا لمّا وفّقه وفقّهه في الدين ، وأقامه حجةً قاطعة ولكنْ في أعناق الملحدين ، تنقاد المشكلات لذهنه الوقّاد في أسلس قياد ، وتَشيد أفكاره الدقيقة للنعمان إمامة ما لا شادته من المجد للنعمان أشعارُ زياد[٥] ،

---

(١) في الأصل : « في » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « ويبيت » . تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) في (أ) ، (خ) : « الإمام الأعظم » .
(٤) في (خ) : « الجناب » .
(٥) يشير إلى اعتذاريات النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر .

وتبيت النجوم الزّهْر ناظرة إلى محاسن مباحثه من[١] طرفها الخفي ، وتَنْكَفّ الألسنة الحداد من خصومه إذا جادلهم وتنكفي ، ويأتي بالأدلّة التي هي جبال لا تنسفها مغالط النّسفي[٢] .

فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري - أعلاه الله تعالى - أن يفوّض إليه تدريس المدرسة المذكورة . فليُظْهر عرائس فضله المجلوّه ، ويُبرز نفائس نَقله الْمَخْبُوّه ، وليطرّز دروسه بدقائقه التي بهرت ، ويَزِد المباحث رونقاً بعبارته التي سحرت الألباب وما شعرت ، إذ هو الحاكم الذي سيف قلمه إذا أمضاه كان في الدماء محكّما ، والحَبر الذي لا يُقاس به البحر وإن كان القياس في مذهبه مقدّما ، والعالم الذي إذا نهض بالإملاء فهو به مليّ ، والفاضل الذي إن كان العلم مدينة فبابُها عليّ[٣] .

وليتعهد المشتغلين بالمدرسة بمطالبة محفوظهم ، والحثّ والحض على الأخذ بزيادة العلم ، فإن ذلك أسعدُ حظوظهم ، والحفظ والجدل جناحا العلم ويداه ، وبهما يتسلط الطالب على مقاربة المدى وإن كان العلم لا نهاية لمداه . فمن استحق رُقيّاً على غيره فليرقّه ، وليوفّه حقّه ؛ فإنه إذا نظر الحاكم في أمره وصل إلى حقه .

والتقوى هي ملاك الأمور وقوامها[٤] ، وصلاح الأحوال ونظامها ، على أنه - أدام الله أيامه - هو الذي يشرّع الوصايا لأربابها ، ويعلّم المتأدّب كيف يأتي البيوت من

(١) في (أ) : « في » .

(٢) المغالط ، ويقال المغالطة « قياس مركّب من مقدمات شبيهة بالحقّ ، ويسمّى سفسطة ، أو شبيهة بالمقدمات المشهورة ، ويسمّى مشاغبة »، كليات أبي البقاء : ٢٦٣/٤ .
وأغلب الظن أن النسفي المراد هو محمد بن محمد بن محمد برهان الدين النسفي ، من علماء الأصول والجدل (ت ٦٨٦ هـ) من مصنفاته : القوادح الجدلية ، والمقدمة النسفية ، ومنشأ النظر في علم الخلاف .... انظر : الوافي : ١٨٥/١ ، وهدية العارفين : ١٣٥/٦ ، والأعلام : ٣١/٧ .

(٣) يشير إلى الحديث : « أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب » . رواه العقيلي في الضعفاء ، وابن عدي في الكامل ، والطبراني في الكبير . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٠٨/١ .

(٤) في الأصل : « وقوائمها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

أبوابها . وإنما أخذ القلم على العادة نصيبه ، وأتى بنكتٍ ومَنْ علَّم العَوان الخمرة[١] كانت منه عجيبه .

والله يوفّق أحكامه السديده ، ويمتّع الأيام بمحاسنه ، فإنها في الناس باب القصد وبيت القصيده . والخط الكريم أعلاه حجّة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكان قد وصل تقليده من الديار المصرية بقضاء قُضاة الحنفيّة بالشام عوضاً عن قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصروي[٢] في نصف شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وخُلع عليه ، وقُرئ تقليده يوم الجمعة بجامع دمشق[٣] ، وولي الحكم مع تدريس المدرسة النورية ، واستناب في الحكم عنه القاضي عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز الحنفي[٤] .

وكان قاضي القضاة عماد الدين صاحب هذه الترجمة ينوب أوّلاً في الحكم عن قاضي القضاة صدر الدين ، فلما توفي ـ رحمه الله تعالى ـ عُيّن هو للمنصب لجَوْدة أحكامه وحُسْن سيرته . وكان قد باشر النيابة بعد موت القاضي شمس الدين بن العز الحنفي[٥] في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

(١) يشير إلى المثل المشهور : (إنّ العوان لاتُعَلَّمُ الخمرة) ، أي : إن المرأة المجرّبة لاتَعلَّم كيف تفعل .
(٢) علي بن أبي القاسم بن محمد (ت ٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته . وانظر تذكرة النبيه : ١٧٥/٢ .
(٣) انظر : البداية والنهاية : ١٢٩/١٤ .
(٤) (ت ٧٨٣ هـ) ، الدرر : ٣٧٩/١ .
(٥) محمد بن محمد بن صالح بن أبي العز الحنفي (ت ٧٢٢ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

١١١٣ ـ علي بن أحمد بن زُفَر*

ابن أحمد بن مُظَفر الإربلي ، الدُّنْبَاوندي[1] الأصل ، الشيخ الفاضل عز الدين أبو الحسن الصوفي .

كان فقيراً قانعا ، خبيراً نافعا ، محفوظُه كثير ، وملفوظه غزير ، حسَن المجالسه ، كثير المؤانسه . رأى بلاداً عديده ، وأنفق فيها مدّة مديده ، ونظر في علوم كثيره . وحصّل منها فوائد إذا ذكرها تُخجل اللآلىء النثيره .

وكان ضبطه جيّدا ، ونقله مقيّدا ، وزُكِّيَ في الطب فلم يعالج تورّعا ، وفعل ذلك تبرّعا .

ولم يزل على حاله إلى أن أربدّ وجه الإربلي ، ومُحي أثره تحت الثرى وبلي .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة بإربل .

وكان قد سافر البلاد وأقام بتبريز وماردين وغيرها من المدن .

وكان قد رُتّب بمدرسة الطب ، وزكّي ، وأُذن له في العلاج . ولم ينتصب لذلك .

كان صوفيا بدُوَيْرَةِ حَمَد[2] ، وساكناً بها ، وكان قد اختار مقام دمشق إلى أن مات .

---

* الدرر : ١٣/٣ . وقد اختلطت ترجمته مع ترجمة الحسن بن أحمد بن زفر الإربلي ، عز الدين . انظر : البداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ١١/٢ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وقد سلفت ترجمة الحسن هذا في موضعها ، ولعلهما واحد .

(١) نسبة إلى دُنباوَنْد ، من نواحي الري ، (معجم البلدان) .

(٢) دار بباب البريد بدمشق أوقفها حمد بن عبد الله المقرئ (ت ٤٠١ هـ) للمتصوّفة . انظر : الدارس : ١١٥/٢ .

١١١٤ ـ علي بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن عمر بن الشيخ علي الحداد ، المؤذن بالجامع الأموي بدمشق .

كان لـه شعر ومـدائح نبويـة ، وكان يُنشـد في المحـافل والمجـالس . وتعلّم صنـاعـة الحدادة بالعُقَيْبَة ، وأذّن بالمرشدية[1] ، والصـاحبيـة[2] ، وجـامع النيرب[3] ، وبيروت . وحج غير مرة .

وتوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في تـاسع عشر شهر رمضـان سنـة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب سنة خمس وخمسين تقريباً .

١١١٥ ـ علي بن أحمد بن عبد الرحمن**

ابن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقـدسي ، الإمـام الخطيب فخر الـدين أبو الحسن بن قاضي القضاة نجم الدين أبي العباس ابن الشيخ قاضي القضاة شمس الدين أبي محمد الخطيب بالجامع المظفّري[4] بسفح قاسيون .

---

* أعلام النبلاء : ٥١٦/٤ ، وفي نسبه اختلاف عما ههنا .

(١) بالصالحية على نهر يزيد ، أنشـأتهـا بنت الملـك المعظم شرف الـدين عيسى سنـة (٦٥٤ هـ) الـدارس : ٤٤٣/١ .

(٢) بسفح قاسيون من الشرق ، أنشأتها ربيعة خـاتون بنت نجم الـدين أيوب سنـة (٥٤٣ هـ) ، الـدارس : ٦٢/٢ .

(٣) سلفت الإشارة إليه . والنيرب من قرى غوطة دمشق .

** الدرر : ١٦/٣ .

(٤) ويعرف بجـامع الجبل ، سلفت الإشـارة . والمظفري نسبـة إلى الملـك المظفر كوكبوري صـاحب إربل ، وهو الذي أتم بناءه فنسب إليه . انظر : الدارس : ٣٣٥/٢ .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الأحد حادي عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . وقد قارب الخمسين .

سمع من الشيخ فخر الدين بن البخاري وغيره .

وحدّث ، وفوّض أمر الخطابة إلى خاله الشيخ عز الدين محمد بن الشيخ [عزّ الدين إبراهيم بن الشيخ][1] شرف الدين [ابن الشيخ][2] أبي عمر ، وإلى ابن أخته[3] نجم الدين أحمد بن قاضي القضاة عزّ الدين محمد بن قاضي القضاة تقي الدين سليمان بن حمزة[4] ، بينهما على الاشتراك .

١١١٦ ـ علي بن أحمد بن محمد*

الأمير السيّد الشريف علاء الدين العبّاسي . أحد أمراء العشرات بدمشق .

أول ما عرفت من أمره أنه كان والياً بالقدس ، ثم إن الأمير سيف الدين[5] أخذه وجعله أستاذ داره الكبير في بابه . ولمّا أُمسك هو في جملة مباشري ديوانه ، ووزن شيئاً في تلك المرّة ، ثم إنه تولّى شدَّ الأوقاف في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وتداول هو والأمير حسام الدين بن النجيبي[6] هذه[7] الوظيفة مرات ، ثم إنه قوي عليه بانتمائه إلى الفخري ، ثم أُعطي إمرة عشرة مع الوظيفة .

---

(١) زيادة من (أ) يقتضيها سياق نسبه ، وستأتي ترجمة محمد هذا في موضعها .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) في الأصل : « أخيه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) (ت ٧٥٥ هـ) ، الدرر : ٢٦٧/١ .
* وفيات ابن رافع : ٣٠٥/١ ، والدرر : ٢٠/٣ ، والذيل التام : ١٢٢ .
(٥) في (أ) ، (ز) : « سيف الدين تنكز » .
(٦) أبو بكر بن أيبك ، سلفت ترجمته .
(٧) في الأصل : « في هذه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في مستهل ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان شكلاً طويلا ، تام الخلق نبيلا ، له عَبْسَه وطول جلسه ، وصمت وإطراق وإعراض عمّن يخاطبه وإخراق . إلا أنه ليس فيه شرّ ، ولا عنده كرّ إلى الفتن ولا فرّ .

ولمّا كان الفخري بدمشق ، ويئس من مجيء السلطان أحمد الناصر من الكرك ، وبلغه[1] أنه توجّه إلى مصر ، خطر له الخروج على المصريين ، وقال : هذا عندنا رجل شريف[2] عباسي ، نُقيمه نحن خليفة ، ونبايعه ، وما نحتاج إلى أحد من المصريين . وكان الفخري قد عنى هذا علاء الدين مشدّ الأوقاف .

١١١٧ ـ عليّ بن أحمد بن أسد*

القاضي علاء الدين بن الأُطروش ، [ابن][3] أخي شمس الدين بن الأطروش ، كان يُعرف بالسكاكيني .

وسمع القاضي علاءُ الدين [هذا][4] الدارَقُطْني[5] على الحافظ شرف الدين الدمياطي . وكان شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : هو رفيقي في السماع على الدمياطي .

---

(١) في الأصل : « وجعله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٢) في (أ) ، (ز) : « عندنا واحد شريف » .

* وفيات ابن رافع : ٣٤٣/١ ، والدرر : ٣/٣ ، والنجوم : ٣٢٧/١٠ ، والذيل التام : ١٥٩ ، وذيل العبر : ٣١٥ . وقد اختلف في اسم أبيه ، وما وقع ههنا موافق لما في ذيل العبر . وفي وفيات ابن رافع والدرر والذيل : « ابن إبراهيم » ، وفي النجوم : « ابن محمد » . وانظر السلوك : ٧/١/٢ ـ ٨ ، ٣٨ .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) عبارة الدرر : « ومن الدمياطي ، وسمع عليه سنن الدار قطني » ، وهو علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥ هـ) ، السير : ٤٤٩/١٦ .

وحدّث بدمشق ، وربما حدّث بالديار المصرية .

ورد إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزتمر متولّياً نظر الحسبة ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين ، في أواخرها ، وباشرها مباشرة جيدة بصلف ومهابة . ولم يزل بها ، وهو يخدم الأمراء المصريين وغيرهم إلى أن سعى في طلبه مع الأمير سيف الدين أرغون العلاي والحجازي وغيرهما ، فطُلب إلى مصر في أواخر سنة خمس وأربعين ، فتوجه إلى القاهرة ، وباشر الحسبة [بها][1] ثم إنه عُزل منها ، وتولّى حسبة دمشق مرة ثانية ، فورد إليها بعد وفاة الشيخ عز الدين بن المنجا المحتسب في سنة ست وأربعين وسبع مئة فيما أظن ، وتوّلى مع الحسبة نظر الأسرى بدمشق أيضاً ، فباشر ذلك مدة لطيفة ، وانفصل من الأسرى ، وبقي على وظيفة الحسبة بدمشق ، وهو مستمر على خدمة الأمراء المصريين ، يسعى في العَوْد إلى القاهرة . فطُلب إليها ثانياً من دمشق[2] في سنة ...[3] .

وأقام بها ، وتوّلى الحسبة بالقاهرة ونظر المارستان المنصوري مرات ، وعُزل منهما ثم أعيد إليهما ، وولي قضاء العساكر بالقاهرة أيضاً ، ولمّا تولى علم الدين بن زنبور الوزارة عزله من وظائفه ، ثم إنه أعيد إليها ، ثم عزل أخيراً من البيمارستان .

وبقي على الحسبة وقضاء العساكر إلى أن ورد الخبر إلى دمشق بوفاته ـ رحمة الله تعالى ـ وصُلّي عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب يوم الجمعة عشري جمادى الآخرة [سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . وكانت وفاته بالقاهرة يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة][4] .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٢) في (أ) ، (خ) : « من دمشق إلى القاهرة » .
(٣) كذا في الأصول .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .

وكان ـ رحمه الله ـ فيه خدمة للناس ، ورعاية لأصحابه ، ومكارم لمن يصحبه .

أول ما عرفت من أمره أنه تعلّق على صحبة الأمير علم الدين سنجر الجاولي ، وتمارض في وقت ، وسعى مع أصحابه في أن يَعُوده الجاولي ، فجاء إليه وعاده ، فطار هذا الخبر في القاهرة ، فتشبّه الناس بالجاولي ، وعاده الكبار من أرباب السيوف والطيالس .

ولم يزل بعد وفاة السلطان الملك الناصر يسعى مع أمراء الدولة إلى أن ولي حسبة دمشق ، كما تقدم . وكان من رجالات العالم في السعي ، وحفظ المودّة والرَّعْي ، لا يملّ من المشاكلة للأكابر ، والتردد إليهم إن كانوا أرباب سيوف أو محابر ، والتودّد إلى مَن حولهم ، والتعهد إلى مَن يسمع قولهم ، ولا يزال يداخلهم بكلّ صنف يميلون إليه ، وينازلهم في كل مَرْبع ينزلون عليه ، حتى يخلب[1] قلوبهم بخَدَمِه ، ويثبّت لديهم رسوخ قدمه ، فحينئذ يقترح بعد التطفّل ، ويترفع بعد التّسفل .

له عزمةٌ ما استبطأ الدهر نَجْحَها ولا استعتبَ الأيّامَ وَرْيُ زنادها
إذا شوهدت بالرأي بان اختيارها وإن بان ذو الرأي اكتفت بانفرادها[2]

وكانت الدنيا تهون عليه في البذل ، ويستوي عنده في المكارمة ذو الوجاهة والنّذل ، لا يرى إلا قضاء مآربه ، وإضاءة الوجود بذكره في مشارقه ومغاربه .

ولّما جاء إلى حسبة دمشق عبث بشمس الدين الشاعر [الخيّاط][3] المنبوز بالضفدع ، وضربه واعتقله ، وهمّ بحلق ذقنه ، فقام في أمره القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وخلّصه ، فتسلّط على عِرْضه ، وهجاه بقصائد ومقطعات كثيرة ، من ذلك قوله وقد ركب بغلة بزنّار :

(١) في الأصل و (أ) : « يجلب » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٢) في (خ) : « اختيارها » ، تصحيف .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) . وهو محمد بن يوسف .

رقى ابن الأطروش إلى رتبـــــة   بـــاع لهـــا الجنـــة بـــالنـــار
تنصّرت بَغْلَتُـــــــه تَحْتَـــــــهُ   فَقَـــدْ غَـــدَتْ تمشي بـزنّـــار

١١١٨ ـ علي بن أرقطاي*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج أرقطاي نائب صفد وطرابلس وحمص وحلب والقاهرة ، تقدّم ذكر والده في مكانه .

كان ذا وجه سبحان مَن أبدعه ، ومُحيّا كأن الله تعالى خلق الجمال له وأودعه . حلو الصوره ، كأن المحاسن عليها مقصوره ، أو صفات الجمال البارعة فيها محصوره ، أو الفتنة تقابلها العيون من صورة منصوره ، إذا رأى الناظر عينيه يخال أن الكحل في جفونها قد نُفض ، والسحر من الزمن القديم إلا من حركاتها قد رُفض ، بقوام من أين للغصون الميّادة حركاته ، أو للقنا الذابل تحت الأسنة[1] فتكاته ، وذؤابة أورق بها من قدّه الغصن الرطيب ، وحكت مجنون ليلى إذا خطا ، فهي تخطّ على كثيب :

حلـو الشمائـل والمعـــاطف أهيف   جُمعت مـلاحـة كلِّ حسن فيــه
يختـال معتـدلا فـإن عبث الصَّبـا   بقـوامـــه متعرّضـــا يَثْنيـــه

كان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ يميل إليه ميلاً شديدا ، ويجد منه غراماً جعل قلبه في هواه عميدا ، إلا أنه على عادته ، في هواه ، وقاعدة جواه ، لم ينل منه إلا لذّة نظره[2] ، واستجلاء قمر وجهه في دياجي شَعره . طلبه وطلب أخاه إبراهيم ، وكان الآخر بارع الجمال ، ولكن علي هو البدر في ليالي الكمال . وكتب إلى

* الدرر : ٢٣/٣ ، ووقع في الأصل و (ز) : « أقطاي » .
(١) في الأصل : « الأسدّه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « النظر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهو أنسب للسّجعة . وفي قوله إشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

إني امرؤ مولع بالحسن أتبعه   لاحظّ لي منه إلا لذة النظر

السلطان في معناهما ، وأمّرهما عنده بدمشق ، لبسا تشاريفهما ، وأنزلها عنده بدار السعادة ، وأقاما قريباً من شهر . وجعل عليّاً بطبلخاناه وإبراهيم بعشرة ، وأعادهما إلى أبيهما .

وتوجّه أمير علي مع والده إلى الديار المصرية ، وأقام فيها مدّة إلى أن هَصَرت يد الموت غصنه الرطب ، وأعظمت على أبيه الْخَطْب ، وتوفي رحمه الله تعالى[١] .

١١١٩ ـ علي بن إسحاق*

الشيخ المسند علاء الدين أبو الحسن بن الملك المجاهد صاحب الجزيرة بن السلطان بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل[٢] .

سمع من الحرّاني (جزء ابن عرفة) و (المصافحات) المخرّجة له و (الثمانيات)[٣] وغير ذلك ، وسمع من ابن علاّق (الجمعة) للنسائي .

وكان من أعيان الجند بالقاهرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثامن شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

ومولده ثامن عشري المحرم سنة سبع وخمسين وست مئة بجزيرة ابن عمر[٤] .

---

(١) بعد الخمسين وسبع مئة ، كما في الدرر .

* الدرر : ٢٣/٣ .

(٢) (ت ٦٥٧ هـ) ، البداية والنهاية : ٢١٤/١٣ ، والشذرات : ٢٨٩/٥ .

(٣) وتعرف بـ ثمانيات النجيب ، وهو عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي بن نصر الحراني (ت ٦٧٢ هـ) . الكشف : ٥٢٣/١ .

(٤) بلدة فوق الموصل ، تنسب إلى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي . (معجم البلدان) .

١١٢٠ ـ علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن كسيرات ، القاضي تاج الدين بن الصاحب مجد الدين المخزومي[١] .

كان يخدم بطرابلس في وظائف الديوان من سنين .

وكان كاتباً ظريفاً شاباً ، ليّن[٢] الشمائل ، ظاهر الرئاسة ، له اشتغال ونظم . سمع مع الشيخ علم الدين البرزالي كثيراً .

[وتوفي][٣] رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده في مستهل الحجة سنة تسع وستين وست مئة .

١١٢١ ـ علي بن إسماعيل بن أبي العلاء**

ابن راشد بن محسن ، الشيخ الفاضل علاء الدين أبو الحسن الدمشقي القوّاس الوتّار .

سمع من ابن أبي اليُسْر والزين عليّ بن الأوحد ، والبدر عمر بن محمد الكرماني . وحدّث .

وكان رجلاً جيّداً فاضلاً أديباً ، له نَظْمٌ ، وعنده طَرَف من العربية واللغة ، وذهنه جيد . وكان حسنَ المجالسة والمحاضرة ، ملازماً لسُوق القوّاسين ، يقصده الناس في دكانه ، ويصحح جماعةٌ عليه ما يقرؤونه عليه في المواعيد[٤] وعلى الكراسي .

* الدرر : ٢٤/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته . ووقع في الأصل : « علي بن إبراهيم بن إسماعيل » ، سهو . وعقد الجمان : ٣٧٩/٣ ، وذكره في وفيات (٦٩٦ هـ) .

(١) (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٧٤/٩ .

(٢) في (أ) : « لبق » ، تحريف .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٢٩/٣ .

(٤) عبارة الدرر : « وكان الذين يقرؤون المواعيد يصححون عليه » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

١١٢٢ ـ علي بن إسماعيل بن يوسف*

الإمام العالم العامل العلاّمة القدوة العارف الْمُسَلِّك ، ذو الفنون قاضي القضاة بدمشق الشافعي شيخ الشيوخ بالديار المصرية ، القونوي[١] التبريزي .

سمع الحديث عن إبراهيم بن عنبر[٢] المعروف بالمارداني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الله اليونيني ، وأبي العباس أحمد بن عبد الواحد الزملكاني ، وأبي الفضل أحمد بن هبة الله[٣] بن عساكر ، وإسماعيل بن عثمان بن الْمُعَلِّم[٤] ، وأبي الخير سلامة بن سالم الجعبري ، وعبد الله بن محمد الرصافي[٥] ، وأبي حفص عمر بن القواس .

وسمع بمصر من الأبرقوهي ، وابن الصّواف ، وابن القيّم ، ومن الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وقاضي القضاة تقي الدين أبي الفتح بن دقيق العيد ، ولازمه زمناً طويلاً ، يحضر عنده بالليل ، وكتب له بخطه مع تحرّيه وضبطه على (مختصر ابن الحاجب) على النسخة التي هي مُلكه ، باحَثْتُ صاحب هذا الكتاب ، ونَعَتّه[٦] وقال : فوجدته يُطْلَقُ اسم « الفاضل » عليه استحقاقاً . وحسبك هذا الثناء من الشيخ تقي الدين ـ رضي الله عنه ـ وعلى مَن كان يطلق هذه اللفظة ، أعني « الفاضل » .

---

* البداية والنهاية : ١٤/١٤٦ ، والدرر : ٣/٢٤ ، والشذرات : ٦/٩١ ، والدارس : ١/١٢٠ ، وتذكرة النبيه : ٢/١٧١ ، ١٩٢ .

(١) نسبة إلى قونية ، مدينة في بلاد الروم ، وهي تركيا اليوم .

(٢) في (أ) : « عنتر » ، تصحيف ، (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٥/٣٩٦ ، والشذرات : ٥/٤٤٥ ، وفيهما : « المادريني » ، خلافاً لما ههنا .

(٣) في الأصل : « عبد الله » ، تحريف ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) (ت ٦٩٥ هـ) ، الشذرات : ٥/٤٣٠ .

(٦) عبارة الدرر : « صاحب هذا الكتاب فلاناً » .

وكان الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ جبل علوم ، وطَوْدَ حلوم ، وبحر فضائل ومَسِيلَ مسائل ، فاضل الدهر وعالمه العلاّمه ، ومَن إذا ذَكَر الناسُ غَيْرَه لم يقل الإنصاف له إلاّ « مَهْ » ، عرف التفسير وكَشَفَ سِرَّ (كشافه) ، وعلم ما يخاطب به منه وما يُشافِه ، وخاض بحر الفقه فلو رآه الروياني[١] لأغرقه في بَحْرِه ، وحوى محاسن (الحاوي) ، فلو عاصره الماوردي[٢] لعجز عن ثنائه الطيّب وشُكْرِه ، ومخض زبد الكلام ، فلو تأمّله السيف الآمدي[٣] لوقف فيه عند حدّه ، أو الإمام فخر الدين لتحقّق أن (محصّله)[٤] من عنده ، وحقّق أصول الفقه فلو تقدّم زمانه كان ابن الحاجب بين يديه نقيبا ، أو البيضاوي[٥] لتَسوّد وجوه طروسه ولم يكن في (منهاجه) مصيبا .

وذاق لبّ العربية فالفارسيّ يفتخر[٦] به ويقول أنا أبو علي[٧] ، وابن مالك يقول : مَنْ شافعي في هذا الفن إلى هذاالوَلِي . وخاض في لُجّة المعاني والبيان ، فعبد

---

(١) عبد الواحد بن إسماعيل الروياني الشافعي (ت ٥٠٢ هـ) ، واسم كتابه : « بحر المذهب » في الفروع . الكشف : ٢٢٦/١ .

(٢) علي بن محمد الماوردي الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) ، واسم كتابه : « الحاوي الكبير » في الفروع . الكشف : ٦٢٨/١ .

(٣) علي بن محمد بن سالم التغلبي من علماء الكلام ، صاحب « منتهى السول » و « أبكار الأفكار » في علم الكلام ولباب الألباب (ت ٦٣١ هـ) ، السير : ٣٦٤/٢٢ ، والأعلام : ٣٣٢/٤ .

(٤) يشير إلى المحصّل للأمام الرازي ، واسمه : « محصّل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين » ، الكشف : ١٦١٤/٢ .

(٥) عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ، له تفسير البيضاوي ، ومنهاج الوصول إلى علم الأصول ، الآتي ذكره ، الكشف : ٢/ ١٨٧٨ .

(٦) في (أ) : « يفخر » .

(٧) تورية بين اسم المترجم له ، وكنية الفارسي ، وهو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي سلفت الإشارة إليه .

القاهر عنده عبد مقهور ، وصاحب (المفتاح)[١] لا نسبة له إلى مَن عنده خزائن المنظوم والمنثور .

وبرع في المنطق فهو من الخونجي[٢] أفضل ، ومن الكاتبي[٣] أنبه ، ومن الأبهري[٤] أبهر وأنبل .

وجَدّ للجدل حتى وافقه العميدي[٥] على الخلاف ، ونسف حبال النّسفي وما تلافاه أحد من التلاف .

وهذّب نفسه بالمعارف في التصوف ، وذاب في خلواته من التشوّق إلى حضرة القُدْس والتشوّف ، فلو رآه الشبلي[٦] لقال هذا الأسد ، أو معروف[٧] لأنكر نفسه وقال : هذا الذي بلغ من الأَشُدِّ الأَشَد .

هذا إلى صورة قد حسّنها الذي فطرها ، وشيبةٍ بيّضها الله ونَوَّرها ، وأخلاق ليس للنسيم لطفها ، ولا للرياض نُضْرتها وظرفها .

أقام في القاهرة فملأها علما ، وجاء إلى دمشق فسرّها[٨] حُكْماً وحِلْما .

ولم يزل [فيها][٩] على حاله إلى أن غاض بحره العجّاج ، وطُفئ سراجه الوهّاج .

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، في علوم البلاغة العربية .
(٢) محمد بن ناماوَر بن عبد الملك (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٦/٥ .
(٣) علي بن عمر بن علي القزويني (ت ٦٧٥ هـ) ، هدية العارفين : ٧١٣/١ .
(٤) المفضل بن عمر بن المفضّل (ت ٦٦٣ هـ) ، هدية العارفين : ٤٦٩/٢ .
(٥) محمد بن محمد بن محمد ، ركن الدين العميد ، (ت ٦١٥هـ) الوافي : ٢٨٠/١ .
(٦) دُلَف بن جحدر الشبلي (ت ٣٣٤ هـ) ، السير : ٣٦٧/١٥ .
(٧) معروف بن فيروز الكرخي (ت ٢٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣١/٥ .
(٨) في (أ) : « فسدّها » ، ولعلّها أشبه .
(٩) زيادة من (أ) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدمشق رابع عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون بتربة اشتريت له .

ومات بورم الدماغ ، بقي مريضاً أحد عشر يوماً . وكانت جنازته حافلة ، وتأسّف الناس عليه .

خرجوا به ولكلٍّ باك حَوْله   صَعَقَات موسى يوم دُكَّ الطُّورُ
حتى أتَوا جَدَثاً كأن ضريحَه   في كلّ قَلْبٍ مُوَحِّدٍ محفورُ
تبكي عَليه وما استقرّ قراره   في اللحد حتى صافحته الْحُور

وكان الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد قدم دمشق في أول سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، فرتّب صوفيا ، ثم إنه درّس بالإقبالية [1] ، ثم إنه توجّه إلى الديار المصرية ، وأقام بها ، وولي مشيخة سعيد السعداء ، وأقام ثلاثين سنة على قدم واحد ، إذا طلع الفجر خرج من مسكنه للصلاة بسكون ووقار ، وإذا فرغ منها أخذ في إشغال الطلبة في غير ما فن إلى أن يؤذّن الظهر ، فيصلّي ، ويأكل شيئاً في بيته ، ثم إنه من الظهر إلى العصر يدور ، إما أن يزور أصحابَه الأعزّة ، أو يتوجه في شفاعةٍ لأحدٍ قصده ، أو يسلّم على غائب أو يُهنّئ أو يعزّي أو يعود مريضاً ، إلى أن يتوجّه إلى وظيفة الخانقاه للذكر والعبادة . هكذا أبداً لا يمرّ له وقت في غير ذلك .

وكان قد ولي [2] تدريس الشريفية بالقاهرة ، وبها سكنه . وكان السلطان يعظّمه ويُثني عليه ، وكذلك الأمير سيف الدين أرغون النائب .

(١) داخل باب الفرج وباب الفراديس بينهما ، شمال الجامع الأموي ، أنشأها جمال الدولة إقبال . الدارس : ١/١١٨ .

(٢) في (أ) : « تولّى » .

أخبرني القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين كاتب السر بدمشق ، قال : سمعت الأمير سيف الدين أرغون النائب يقول بحلب : ما رأيت رجلاً مثل الشيخ علاء الدين القونوي ولا ملأ عيني غيرُه .

وكان يعرف بالتركي وبالعجمي .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي الشيخ كال الدين محمد بن الزملكاني ببُلبيس ، وقد طلبه السلطان ليولّيه قضاء دمشق ، فحينئذ عَيَّنَ السلطان الشيخَ علاء الدين لقضاء الشام ، فما خرج منها إلاّ كارهاً . كان يقول لأصحابه الأعزّة عليه : أخملني السلطان كونه لم يولّني قضاء الديار المصرية ، وليته كان عيّنني لذلك في الظاهر ، وكنت أنا سألته الإعفاء من ذلك .

ولّما خرج إلى الشام حمل كُتبه معه على البريد[1] ، وأظنها كانت وَقْر خمسة عشر فرساً أو أكثر . وباشر منصب الحكم بدمشق أحسن مباشرة بصلف زائد وعفّة مفرطة[2] ، ولن يكن له تهمة في الأحكام ، بل رغبته وتطلعه إلى الإشغال والإفادة . وطلب الإقالة أولا من السلطان ، فما أجابه ، ثم إنه لّما جاء إلى الشام واستقر في دمشق ، كتب إلى شيخنا العلاّمة تقي الدين السبكي ليُناقله إلى وظائفه بالقاهرة ، ويأخذ هو قضاء الشام ، فما وافقه ذاك .

وكان منصفاً في بحوثه ، ريّضاً معظّماً للآثار ، ولم يُغيّر عِمّته للتصوف . ولّما جاء إلى دمشق ، بلغني أنه أحضر القاضي فخر الدين المصري والقاضي جمال الدين ابن جَمْلة ، وحلّ من وسطه كيساً فيه ألف دينار ، وقال : هذه جاءت معي من الديار المصرية .

---

(١) في (أ) : « على خيل البريد » .

(٢) في (أ) : « زائدة مفرطة » .

وخرّج له ابن طُغريل والشيخ عماد الدين بن كثير[١] (مشيخة) ، فوصلها بجُمْلة . وشرح (الحاوي)[٢] في أربع مجلدات وجوده ، واختصر (منهاج) الحليمي[٣] وسمّاه (الابتهاج) . وله (التصرف) ، شرح (التعرف في التصوف)[٤] .

وكان قد أحكم العربية ، وله يد طولى في الأدب ، ويكتب خطاً قوياً إلى الغاية مليحاً تعليقاً .

وكان له حظ وافر من صلاة وصيام وخير وحياء ، وكان مع مخالفته للشيخ تقي الدين بن تيمية وتخطئته له في أشياء كثيرة ، يثني عليه ويعظّمه ويذّب عنه ، إلا أنه لمّا توجّه من مصر قال له السلطان : إذا وصلت إلى دمشق ، قل لنائب الشام يفرج عن ابن تيمية . فقال : ياخوند ، على ماذا حبستموه ؟ قال : لأجل ماأفتى به في تلك المسألة . فقال : إنما حُبس للرجوع عنها ، فإن كان قد تاب ورجع أفرجنا عنه . وكان ذلك سبب تأخيره في السجن إلى أن مات .

وكان له ميل إلى محيي الدين بن عربي ، إلا أن له ردوداً على أهل الاتحاد . وكان يتحدث على حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « كنت سَمْعَه الذي يسمع به »[٥] ، وشرحه شرحاً حسناً ، وبيّنه[٦] بياناً شافياً .

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير ، صاحب البداية والنهاية (ت ٧٧٤ هـ) .

(٢) للقزويني ، الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) حسين بن الحسن الحليمي الجرجاني (ت ٤٠٣ هـ) ، واسم كتابه : « منهاج الدين » ، الكشف : ١٨٧١/٢ .

(٤) للكلاباذي ، محمد بن إبراهيم البخاري (ت ٣٨٠ هـ) ، الكشف : ٤١٩/١ .

(٥) يشير إلى قوله ﷺ : (إنَّ الله تعالى قال : مَنْ عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري . انظر : رياض الصالحين : ٨٨ .

(٦) في (أ) : « ويشرحه ... ويبيّنه » .

ورأيته يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي تخالف السُّنة من اعتزال وغيره[١] :

عرفت الشرّ لا للشر ر لكنْ لتوقّيه
ومَنْ لا يعرف الشر رَ من الخير يقع فيه

وكان يترسل جيداً من غير سجع ، ويستشهد بالأبيات المناسبة والأحاديث والآيات اللائقة بذلك المقام .

وكنت أنا بصفد أكتب إليه وهو بمصر عن الأمير شرف الدين حسين بن جندر - رحمه الله تعالى - فتأتي أجوبته بخطه ، وهي في غاية الحسن ، وفيها السلام عليّ والثناء الكبير والتودّد من غير معرفة . ولّما دخلت القاهرة واجتمعت به مرّات ، عاملني بكل جميل وطلب مني كتابي (جنان الجناس) . ووقف عليه ، وبقي عنده مدة[٢] ، ثم أعاده إليّ ، وبلغني الثناء الزائد منه عليّ . ثم لّما قدمت من مصر إلى دمشق متوجّهاً إلى الرحبة ، وهو بالشام قاض ، طلب ذاك الُمصنَّف مني ، فحملته إليه ، وبقي عنده مُديدة ، ثم أعاده ، وأخذ في الفضل[٣] والشكر على عادة إحسانه ، جزاه الله عني الخير ، ورحمه ورضي عنه .

وكتب هو - رحمه الله - إلى ناصر الدين شافع ، وقد طلب منه شيئاً من شعره :

غَمرتْني المكارمُ الغرّ منكمْ وتوالت عليّ منها فنونُ[٤]
شرط إحسانكم تحقّق عندي ليت شعري الجزاء كيف يكون

يقبّل الباسطة الشريفه ، لا زالت للمكرمات مستديمه ، وفي سُبُل الخيرات مستقيمه .

(١) البيتان في الدرر .
(٢) في (أ) : « مديدة » .
(٣) في (أ) : « التفضّل » .
(٤) البيتان في الدرر .

ويُنهي أن بضاعة الملوك في كل الفنون مُزْجَاه ، ولا سيما في فن الأدب ، فإنه فيه في أدنى الدرجات . وقد وردت عليه إشارةُ مولانا ـ حرسه الله تعالى ـ في طلبه شيئاً من الشعر الذي ليس المملوك منه في عير ولا نفير ، ولا حظي منه بنقير ولا قِطْمير[١] ، سوى ما شذّ من الهذيان ، الذي لا يصلح لغير الكتمان ، ولا يُحفظ إلا للنسيان . والمسؤول من فضل مولانا وكرمه المبذول أن يُتمّ إحسانه إليه بالستر عليه ، فإنه وجميع ما لديه من سقط المتاع ، ولا يُعار لسقاطته لا[٢] لنفاسته ولا يباع[٣] ، والله يؤيّد مولانا ويُسعده ويحرسه بالملائكة ويعضده .

وكتبت إليه وقد وقف على كتابه الذي سمّاه (مخالفة المرسوم في حلّ المنثور والمنظوم) :

مخالفة المرسوم وافقتِ الْمُنى　　وحازت من الإحسان خَصْل المناضل
أثارت على نجل الأثير إثارة　　من العلم مفتونا بها كلّ فاضل

وشاعت بالشام صورة فُتيا على لسان بعض اليهود ، وهي :

أيا عُلَماءَ الدّين ذمّيٌّ دينكم　　تحيّر دُلّوه بأوضح حُجّة
إذا ما قضى ربّي بكُفْري بزَعْمِكم　　ولم يَرْضَهُ مني فما وجهُ حيلتي
دَعاني وسدّ الباب عنّي فهل إلى الـ　　ـدخول سبيل ؟ بيّنوا لي قصتي
قضى بضلالي ثمّ قال ارضَ بالقضا　　فها أنا راضٍ بالذي فيه شقوتي
فإن كنتُ بالمقضيّ يا قومُ راضيا　　فربّيَ لا يرضى لشؤم بليّتي
وهل لي رضى ما ليس يرضاه سيّدي　　وقد حِرْتُ دلّوني على كشف حيرتي

---

(١) القطمير : القشرة الرقيقة بين النواة والتمرة .
(٢) في الأصل : « إلاّ » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) يشير إلى قول عبدة بن ربيعة في صفة فرسة .

أبيت اللّعن إن سكاب علق　　نفيس لا يعار ولا يباع

انظر : شرح الحماسة للتبريزي : ١١٢/١ .

إذا شـــاء ربّي الكُفْرَمني مشيئـــةً ... فهـا أنـا راض بــاتّبــاع المشيئـــة
وهـلْ لي اختيـارٌ أن أخـالِفَ حُكْمَـه ... فبـــالله فـــاشفـوا بـــالبراهين غُلّتي

فكتب الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله ـ الجواب :

حَمِـــدْتُ إلهي قَبْـلَ كلِّ مقـــالـــةٍ ... وصلّيتُ تعظيمـــاً لربّ البريّـــة
وحـــاولتُ إبلاغَ النصيحــةِ مُنْصِفـاً ... لَمنْ طلب الإيضـــاحَ في كلّ شُبهـــة
فـــأوّل مـــا يُلْقَى إلى كل طـــالب ... لتحقيــق حــقّ واتّبـــاع حقيقـــة
نـزوع الفتى مِنْ كُـلِّ عَقْـدٍ وشُبهـة ... تصـدّ عن الإمعـان في نظم حجـة[1]
وإلقـــاء سمـع واجتنـــاب تعنّت ... فـــلا خير في الْمُسْتَحْمِـــقِ الْمُتَعنِّت
إذا صـحّ عنـك الجِـدّ في كشف غمّـة ... بُليت بهـا فـاسمع هُـديت لرشـدتي[2]
صـدقْتَ ، قضى الرب العظيم بكلّ مـا ... يكـون ومـا قـد كان فـوق المشيئـة[3]
وهـــذا إذا حقّقتـــه متـــأمّـلا ... فليس يُسدّ البـاب من بعـد دعـوة[4]
لأنَّ مِنَ الْمَعْلُـــوم أن قضَـــاءه ... بـــأمْرٍ على تعليقِـــه بشريطـــةِ
يجـوز ولا يـــأبـــاه عقـل كما ترى ... حـدوثُ أمـورٍ بَعْـدَ أخرى تـأدّت
كما الريّ بعـد الشرب والشبـع الـذي ... يكـــون عَقيب الأكلِ في كُـــلِّ مرّة
فليس ببـــدعٍ أن يكـون مُعلّقـــا ... قضـــاءُ إلـــهِ الْخَلْـقِ رَبُّ الخليقـــة
بكُفْرِك مهما كنت بـــالبغي رافضـــا ... تعـاطِيَ أسبـابِ الهـدى مَعَ مُكْنَـة
فمن جُملـةِ الأسبـاب ممّـــا رفضتَـــه ... مـع الأمر والإمكان لفـظُ الشهـــادة
فـأنت كَمَنْ لا يــأكلُ الـدهرَ قـائـلا ... أمـوتُ بجـوع إذ قضى لي بجُـوعـة[5]

---

(١) في الأصل : « تروع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في (أ) : « منك » ، وهي أشبه .
(٣) في (أ) : « الرب الحكيم » .
(٤) في الأصل : « من غير » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٥) في (أ) : « بجرعة » ، تحريف .

فلـــــو أنتمُ أقبلتمْ بضَراعـــــــة إلى الله والـــدين القـــويم الطريقـــة
ووفّيتم حسنَ التـــأمّـــل حقّـــهُ وأحسنتمُ الإمعـــــانَ في كُـــلّ نظرةِ
لكان الـذي قـد شـاءه الله مِنْ هُـدى وليس خروج من قضـاء بحـالـــة[1]
ألا نفحـــات الربّ في الـــدهر جمّـــةٌ ولكن تَعَرّضْ كَيْ تفـــوزَ بنفحـــة
ولا تتكّـــلْ واعمَـــلْ فكلٌّ ميسّرٌ لِـمـا هـو مخلـوق لـه دُون ريبـــة
ولـو كنت أدري أن فهمـك قـابـل لفَهْمِ كـلام ذي غمـوض ودقّـــة[2]
لأشبعتُ فيـه القـول بسطـاً محقّقـاً على نَمَطَيْ عِلْمَي كـلامٍ وحكمـــة
ولكنّما المقصـــود إقنـــاعُ مثلِكم فهـاكَ قصيراً من فصـولٍ طـويلـة
ولـولا ورودُ النّهي عن هـــذه التي سـألت لصـار الفُلْـك في وسـط لُجّـة
فهـا أنـا أطـوي بَسْـطَ مـا قـد نشرتُـه وأستغفر الله العظيم لـــــــزلّتي

ونظم الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله ـ أبياتا في الشِّجَاج[3] ، أنشدنيها عنه الإمام قاضي القضاة جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاّتي المالكي[4] ، قال : أنشدنا لنفسه ، وسمعتها منه غير مرة[5] :

إذا رُمت إحصـاء الشِّجَـاج فهـاكَهـا مُفَسّرةً أسماؤهـــا مُتَـــواليـــهْ
فحـارِصَـة إن شقّت الجلـد ثم مـا أسـال دَمـاً وهي الْمُسمّـاة داميَـه
وبـاضعـةٌ مـا تقطـع اللحم والتي لهـا الغَـوْص فيـه للـذي مرّ تـاليـه
وتلـك لهـا وَصْفُ التـلاحم ثـابت وما بعدها السِّمْحاق فافهمه واعيـه[6]

---

(١) في (أ) : « عن قضاء » .
(٢) في الأصل : « وهمك » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) انظر : فقه اللغة للثعالبي : ١٥٣ ، فصل في ترتيب الشجاج ، باختلاف عمّا سيأتي .
(٤) (ت ٧٧١ هـ) الدرر : ١١/٤ .
(٥) أورد معظمها صاحب الدرر .
(٦) وتسمّى : المتلاحمة .

وقل ذاك ما أفضى إلى الجلدة التي تكون وراء اللحم للعظم غاشيه
ومن بعدها ما ينقل العظم واسمها مُنَقِّلة ثم التي هي آتيه[(١)]
ومُوْضِحة ما أوضح العظم باديا وهاشمة بالكسر للعظم باغيه
ومأمومة أمّت من الرأس أُمَّهُ وقد بقيت أخرى بها العشر وافيه
فدامية تُسْمَى لخرق جُلَيْدة هي الأمّ كِيسٌ للدماغ وحاويه[(٢)]
وهذا هو المشهور في عدّها وإن تُرِدْ ضبط حُكم الكُلّ فاسمع مقاليه
ففي الخمسة الأولى الحكومة ثم ما بإيضاح عمد فالقصاص وجانيه
وخُصّت بهذا الْمُوْضحاتُ لضبطها فلا عشرُ في استيفائها متكافيه[(٣)]
وإنْ حَصَلَتْ من غير عمد أو انتهت إلى المال عفواً فاقْدِر الأرش ثانيه
على ذمّة النفس التي أوضحت بها فتلك لنصف العُشْرَ منها مساويه
وذاك لأرش الهشم والنقل مفردا وزد بانضمام للحساب مُراعيه
ففي اثنين منها العشرُ ثم لثالث يزيد عليه نصفه بك حاسيه[(٤)]
ومأمومة فيها من النصف ثلثها ودامغة مثلٌ لها ومكافيه
وقيل بأن الدّمغ ليس جراحة لتدقيقه كالحرز وهي ملافيه
وقد نجز المقصود والعيّ واضح وعجمتيَ العجماء في النظم باديه

١١٢٣ - علي بن إسماعيل بن إبراهيم*

ابن قريش ، الْمُسْنِد نور الدين أبو الحسن بن المحدّث تاج الدين المخزومي المصري .

(١) في (أ) : « مثقلة » ، تصحيف .
(٢) في الأصل : « للأماغ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في الأصل : « منا كافيه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في (أ) : « حاشية » .
* الدرر : ٢٣/٣ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧٣ .

سمع الحافِظَيْن المُنْذِري والعطّار ، وشيخ الشيوخ الحموي ، ومحمد بن أنجب ، والكمال الضرير ، وابن البرهان ، وابن عبد السلام . وسمع حضوراً من عبد المحسن بن مرتفع[١] . وتفرّد بأشياء ، وكان صالحاً خيّراً ، من الشهود .

أخذ [عنه][٢] شهاب الدين الدمياطي ، والشيخ تقي الدين بن رافع ، وشمس الدين السروجي ، وجماعة .

وسمعت أنا عليه الجزء الأول والثاني من عوالي (المعجم الكبير) لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، بقراءة شيخنا الحافظ أبي الفتح ، في منزله بين القصرين في عدّة مجالس ، آخرها في سابع جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وأجاز لنا جميعَ ما يرويه ، ورواهما لنا بسماعه من الشيخ زين الدين أبي الطاهر إسماعيل بن عبد القوي بن عزون[٣] .

قال : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت الإمام أبي الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ، قراءة عليها ، وأنا أسمع ، قالت : أخبرتنا الشيخة فاطمة بنت أحمد بن عبد الله بن عقيل الجوزدانية[٤] ، قراءة عليها ، وأنا حاضرة ، في الثالثة ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن رِيذة الضبّي[٥] ، أخبرنا الطبراني .

وتوفي الشيخ نور الدين بن قريش المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

---

(١) لم نقف على ترجمته . وفي الشذرات ما يشير إلى أنه سمع عليه في الرابعة .

(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٣) (ت ٦٦٧ هـ) ، العبر : ٢٨٦/٥ ، والشذرات : ٣٢٤/٥ ، ووقع في (أ) : « عبد القوي بن أبي العز بن عزّون » .

(٤) كذا ، وفي السير ، ٥٠٤/١٩ : « فاطمة بنت عبد الله بن أحمد (ت ٥٢٤ هـ) » .

(٥) أبو بكر محمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم (ت ٤٤٠ هـ) ، السير : ٥٩٥/١٧ ، ووقع في الأصول : « ريدة » ، تصحيف .

١١٢٤ ـ علي بن إسماعيل*

الشيخ الإمام نور الدين الصفدي .

ربي في حجر الشيخ زين الدين أبي بكر المقرئ إمام مسجد الشيرَزِيّ[١] بصفد ومقرئها .

كان له قدرة على الحفظ ، وشُهْرة بكثرة اللفظ ، ذكياً إلى الغايه ، زكيّاً في نفسه ليس لطلبه نهايه ، يحرص على أن يسلك طريق الشيخ تقي الدين بن تيميه ، ويأخذ نفسه بالدخول في كل بليّه ، ويشتهي أن يحيط بالأشياء عِلْماً ، وألا يدع عِلْما ولا غيره حتى يملكه فَهْما ، فلذلك ضيّع الزمان ، وإن كان قد خرج عن الجهل بأمان ، لكنه ذو عربية جيّده ، ورويّة لم تكن عن الصّواب متحيّده . وبرع في الحديث درايه ، وشاكل فيه ببعض روايه . وشارك في الفقه فأخذ منه بنصيب ، وكابد من الفقر كل يوم عصيب .

ثم إنه دخل اليمن ، وتولّى هناك تدريسا ، ولم يكشف الله لي بعد ذلك من أمره تلبيسا .

وأظنه توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بعد الست والثلاثين وسبع مئة .

كان هذا نور الدين أعجوبة لمن يفكّر في أمره ، كان شديد الحرص على أن يعرف[٢] كلَّ شيء ، وإذا سئل عن شيء ، يريد أن يجيب عنه بالقوة ، وإذا لم يوافق الصواب يتحيّل على نُصرةِ ما يقوله بكل الطرق[٣] .

---

* الدرر : ٢٩/٣ .

(١) نسبة إلى شِيْرز ، من قرى سَرخس . (معجم البلدان) .

(٢) في (أ) : « يعلم » .

(٣) في (أ) : « بكل طريق » .

وأعرف له يوماً وَضَعْتُ قدامه قطع الشطرنج التي وَصْفُها مشهور[١] ، وهو أنها تُصفّ صفاً مخصوصاً من القطع البيض والسود ، وإذا تكامل ذلك يُدَّعَى أن مركباً كان فيه مسلمون ونصارى جالسين على هيئة مخصوصة ، وكان الرائس مسلماً ، فهاج البحر عليهم وهم في وسط اللّجة ، فاحتاجوا إلى أن يرموا بعضهم في البحر[٢] ليخف المركب فأرادوا يعملون القرعة ، وكان الرائس ذكياً ، فنظر إليهم وقال : ما نحتاج إلى قرعة ، بل نعد مِنْ هنا ، وكل مَن جاء تاسعا ألقيناه إلى البحر ، فارتَضَوا جميعاً بذلك ، وأخذ الرائس يعدّ ، وكلما جاء تاسع من النصارى رمى به إلى البحر إلى أن رمى بالنصارى جميعهم ، ولم يرم بأحد من المسلمين .

فلمّا صَنَعْتُ ذلك قدّامه ، أعجبه ذلك وزهّره ونخنح وبقي مفكّراً في ذلك ، واشتغل بالُه به عامَّةَ نهارِه . ثم إني فارقته وعدت إليه ، فوجدته يكرّر عليها ويقول : أربعة مسلمون وخمسة نصارى ، ومسلمان ونصراني وثلاثة مسلمون ونصراني ومسلم ، وهو يدرس ذلك ، ويكرّر عليه ، ويقع التخبيط عليه في سرد ذلك على الصحة ، فرحمته وقلت : يا مولانا هذا أمر يتعبك ولا ينضبط لك ، وقد تطلبه في وقت الحاجة ، فيشذّ الصواب فيه عنك . فقال لي : فكيف انضبط لك هذا ؟ قلت له : هذا ضابطه في بيت واحد من الشعر . فطار عقله ، وقال : هذا أعجب . ولم يصدّق . قلت : نعم ، بيت واحد ، حروفه المهملة مسلمون ، والمعجمة نصارى . فلما أنشدته ذلك ، وصفّ القطع على حكمه وعدَّهُ وصحَّ معه ، خرج من حبال عقله ، فقلت : وأزيدك أخرى ، إن أردت صففت لك ثمانية ثمانية وسبعة سبعة وستة ستة وخمسة وخمسة وأربعة أربعة وثلاثة ثلاثة . فقال : هذا بقاعدة أيضاً ؟ قلت : نعم . فقال : أريد تعلمني[٣] ذلك ، فقلت : ما هو وقته . وقمت وتركته . وحفظ مني بيت التسعة ، وهو :

(١) في (أ) : « صفتها مشهورة » .
(٢) في (أ) : « إلى البحر » .
(٣) في (أ) : « تعرفني » .

ولمّـــا فُتنت بلحـــظٍ لـــــه عُـذِلْتُ فمـا خِفْتُ من شـامت[1]

وفرح به فرحاً عظيماً ، ثم إنه طالبني في آخر وقت بمعرفة القاعدة في ذلك ، فما قلت له . وفرّق الدهر بيننا بعد ذلك .

[ونور الدين هذا في عُذر ممّا ذهب ، لأنني وجدت الفاضل الأديب الكامل صفيَّ الدين الحِلّي قد جاء إلى شيء مثلِ هذا ، فأراد ضَبْطَ صفّه ، وصنع له أبياتاً لِتَعْلَقَ بالذهن ، فقال خمسة أبيات ، أولها :

جيشٌ من الزّنج والإفرنج يَقْدمه مـــا كان بينهما زَوْجٌ من الْخَـــدَم

والضبط في هذا ببيت واحد أخصر وأحسن وأسرع في العمل . ثم إنني بعد فراقي لنور الدين هذا بثلاثين سنة ، أردت ضابطاً لعَدّ ستة وإلقاء السابع ، وأخذت نفسي به ، وتصورته ، وعملت لذلك بيتاً ، وهو :

فـديتـــك إن صـــدقي من فخـــار أبـــان بنـــاء سرٍّ في دعـــائي

ثم إنني فكّرت في رصّ مهارك النّرد ، وهي ثلاثون مهركة ، وأردت أن توضع كذا دائرة ، وتُعدّ : ستة ويُلقى السابع ، ففتح الله بذلك ، ووضعت له هذا البيت ، وهو :

قـــد رَدّ شـــاني بكُـــلّ شَيْن عَـــدِمْتُ ذا في صَـــلاح جَبْري

ثم أردت أيضا أعدّ قطع الشطرنج : أربعة ويُحذف الخامس ، ففتح الله به ، ونظمت لذلك بيتا ، وهو :

عبتم فلم أنــــــدفـــــع ومَن ذا يـــدفـع بـــالسَّبِّ عنـــه ضُرّا ؟

ثم إني أردت ذلك في قطع النّرد ، ففتح الله به ، ونظمت له بيتاً ، وهو :

(١) ووقع في هامش (أ) بيت آخر لضبط هذا الترتيب هو :

الله يقضي بكل يُسْرٍ ويرزق الضيف حيث كانـــــا

لاتَبْكِ إنْ هَبَّ رِيحُ نَجْدٍ إنّك يابِئْسَ مابُليتا][1]

وكان قد نزل إلى دمشق ، وقرأ على الشيخ نجم الدين القحفازي نحواً وعروضاً ، ولمّا رآه الجماعة بهذه المخيّلة عبثوا به ، ونظم فيه جمال الدين يوسف الصوفي[2] ـ رحمه الله تعالى ـ .

وسائل يسأل مستفهما من أين ذا المولى عَلَيَّ[3] وَرَدْ
قلت له : من صفدٍ، قال لي : ولا رأى أولى به مِنْ صَفَد

وشاع البيتان في دمشق واشتهرا ، فحصل له خيال ، وترك دمشق ، وتوجّه إلى صفد ، وفتح له حانوتَ تجارةٍ في البطاين ، ثم إنه طُلب في بكرة نهار فلم يوجد له خبر ، وغاب سنين ولم يظهر له أثر ، فعمل أهله عزاءه . ولمّا كان بعد مدة ظهر خبره من مصر ، ثم إنه عاد إلى صفد ، فرأيته قد زاد الحال به ، وقد تعلّق بلعب الشطرنج ، فكان يستغرق نهاره وليله ، ولا يأكل ولا يشرب إلا إذا لم يجد مَن يلعب معه ، وزاد في ذلك ، فقلت له : يامولانا ، هذا الشطرنج هو مثل الكتابة ، متى وصل الإنسان فيهما إلى غاية لا يمكنه أن يتعدّاها ، وأنا قد نصحتك فما بقيت تقدر تزداد على هذه الغاية التي وصلت إليها شيئاً . فقال : كيف أعمل ؟ أريد أكون فيها عالية مثل غيري . قلت : هذا الذي فتح الله به عليك ، فلم يرجع عن غيّه ، ثم إنه لازم ذلك زماناً وعاد إلى ماقلت له . ثم إنه نزل إلى دمشق ورأيته بها ، ثم إنّا طلبناه فلم نقع له على خبر . وبعد حين تقديره عشرة أعوام طلع خبره في[4] اليمن ، وأنه هناك شيخ حديث[5] ، وهذا آخر عهدي بخبره في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

(١) ما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، وبيّن أنها من تتمة الترجمة بأسلوب المصنّف نفسه .
(٢) يوسف بن سليمان بن أبي الحسن بن إبراهيم النابلسي ، ستأتي ترجمته في موضعها .
(٣) في الدرر : « علينا » .
(٤) في (أ) : « من » .
(٥) في (أ) : « شيخ حديث في مدرسة » .

١١٢٥ - علي بن إسماعيل بن جعفر*

القاضي علاء الدين بن الآمدي .

كتب المنسوب الفائق ، وحقق ما فيه من الطرائق ، وأتقن أقلامه[١] السبعة ، مع ثبوت التأنّق وعدم التأنّي والسرعه . تسابق البروقَ أقلامُه ، وتفوق سطورُه الدرَّ إذا زانه نَظّامه . كأنما همزاته الحمائم على ألفاته التي هي الأغصان ، وكأنما عطفات الجيمات وَجَنات ، ونَقْطها خيلان . كم كتب ختمة وكأنها للعيون روضةُ ورد ، وكم حرّر ربعة فلم تحتج إلى ذهب ولا لازَوَرْد ، تسودت بعده أوراق التجويد ، وتحطمت أقلام الكتّاب بعدما كانت أماليد :

وأكبّت الكتّاب تَبْكِي بعده بمدامع بلّت بها أوراقَها

باشر جهات الديوان والأوقاف والدَّرْج ، وكان معدوداً في كُتّاب الحساب ، متفرداً بالضبط في الدَّخْل والخَرْج .

ولم يزل على حاله إلى أن قطع الآمديّ مدى الحياة ، وجعله الطاعون ملقى على قفاه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بعد عصر الخميس ليلة عيد رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة في طاعون دمشق ، وقد ناهز الخمس وسبعين[٢] .

وكان إماماً في صناعة الحساب ، ليس في كتّاب المسلمين له نظير في عصره . كنت أقول له : كم جملةُ ما أقول لك ، وهو خمس مئة عشرون ألف وخمس مئة وثمانين[٣] وخمسة وعشرين وسبعة وثلاثون ومئة وسبعين . وأقول له من هذه التفاصيل جملة ، وهو يلتقط ذلك على أصابعه ، فإذا فرغت من الكلام ، قال على الفور : كذا وكذا .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وقد خلَتْ (أ) من ترجمته أيضاً .

(١) في (ز) : « الأقلام » .

(٢) في (ز) : « وسبعين سنة » .

(٣) كذا في الأصل مع ما بعدها .

وكان قد باشر في ديوان الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ مستوفياً فيما أظن ، وأقام به مدة ، ثم إنه في أيام حمزة التركماني صادره مع علاء الدين بن القلانسي وغيره ، وأخذ منه مبلغ ستين ألف درهم . ثم استخدمه في ديوان خاصّ داريا ودومة ، وخدم كاتباً عند الأمير سيف الدين قُرْمُشي[1] في أيام القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، دخل به ديوان الإنشاء في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا ، وباشر في أيام طقزدمر في ديوان الأسرى .

وكان يشتري المُلْكَ بالدَّين ، ويجعل الأُجرة في وفاء الدّيَن ، فحصّل من ذلك أملاكاً كثيرة من بساتين وقاعات ورباع .

وكتب ما يقارب المئة والاثنتي عشرة ختمة وربعة ، وأشعار (تاريخي الكبير) و (التذكرة) التي لي جميعها ، وانتخب من ذلك مجاميع عديدة .

وكان قد أودعه الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله ـ عشرة آلاف دينار ، ونسيها ، فلمّا صادره ، قال له : لك عندي وداعة . فقال : لا ، إن كان صحيحاً ، فهاته ، فأحضر الذهب بجملته ، وكان الناس يلومونه على ذلك ، وهو معذور لأنه لو ذكرها فيما بعد راحت روحه معه .

١١٢٦ ـ علي بن أسمح*

العلامة الزاهد أبو الحسن البعقوبي[2] الشافعي النحوي المعروف بالشيخ علي مَثَلا[3] ، بفتح الميم والثاء المثلثة وبعدها لام ألف .

(١) ابن قطوان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢٩/٣ ، وبغية الوعاة : ١٤٨/٢ ، وذيول العبر : ٥٦ .

(٢) نسبة إلى (بعقوبا) ، قرية كبيرة كالمدينة ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، من أعمال طريق خراسان . (معجم البلدان) .

(٣) في الدرر : « منلا » ، وفي البغية : « ست » ، تحريف .

أخذه التتار من بَعْقُوبَا فأقام ببلغار عند التتار . وحفظ (المصابيح) للبغوي و (المفصّل) و (المقامات) وغير ذلك .

وكان شديد الديانه عتيد الصيانه ، يلفّ رأسه بمئزر صغير ، ويَغْنى بقناعته عن الأمير والوزير . وكان ممّن يعبث بالشيخ[(١)] تقي الدين بن تيمية ويؤذيه بلسانه ، ويستعمل في الحطّ ما عَلِمَه من معانيه وبيانه .

ولم يزل كذلك إلى أن توجّه للحج في سنة عشر وسبع مئة ، فأدركه باللجون حِمامه وحان من الحياة انصرافه وانصرامه .

وكان قد سكن الروم ، وولي مشيخة الحديث هناك ، وهو شاب ، وركب المغلة[(٢)] ، ثم إنه بعد ذلك تزهّد ، وفارق الروم ، وحضر إلى دمشق سنة بضع وثمانين وست مئة .

١١٢٧ ـ علي بن أَغُرلُو*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أغرلو العادلي[(٣)] .

كان والده مملوك الملك العادل كتبغا ، وكان والده ملك الأمراء بدمشق في أيام أستاذه ، وقد تقدم ذكره في مكانه من حرف الهمزة .

وكان هذا الأمير علاء الدين من جملة أمراء الطبلخاناة بدمشق .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق .

---

(١) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (ز) ، وعبارة الدرر : « شديد الحطّ على ابن تيميّة » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ز) وذيول العبر : « البغلة » ، وفي (أ) : « الناقلة » ، ولم نتبيّن مراده .

* الدرر : ٣/٣٠ .

(٣) في الأصل : « العادل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) ، والدرر .

١١٢٨ ـ علي بن ألدمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين أمير جاندار ، قد تقدم ذكر والده ـ رحمه الله تعالى ـ في مكانه .

ورد هذا الأمير علاء الدين [أمير][1] علي إلى دمشق أميراً من مصر على طبلخاناة في تاسع ذي القعدة سنة ستين وسبع مئة ، وجلس تحت الأمير ناصر الدين بن ألملك .

وأقام على حاله بدمشق إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في العشر الأواخر من شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١١٢٩ ـ علي بن أيبك**

الأمير علاء الدين بن الأمير عز الدين أيبك الطويل ، وهو أخو الأمير صلاح الدين محمد بن أيبك الطويل ، وسوف يأتي ذكره في مكانه من المحمدين .

وكان الأمير علاء الدين أوّلاً بدمشق في جملة أمراء الطبلخانات ، ثم إنه نقل إلى طرابلس على إمرة طبلخاناة ، وأقام بها إلى أن عُزل الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمري أمير حاجب من طرابلس ، ونقل إلى إمرة الحُجْبَة بدمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة ستين أو في سنة إحدى وستين وسبع مئة ، فأُعطي الأمير علاء الدين بن أيبك الطويل مكانه .

وكان بطرابلس أمير حاجب إلى أن نقل منها إلى دمشق أميراً ، فحضر إلى دمشق ، وبقي بها أميراً ، وكان وصوله إلى دمشق في العشر الأول من شعبان سنة ثلاث وستين وسبع مئة . إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

---

* الدرر : ٣/٣٠ ، وفيه : « أيدمر » .

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

** لم نقف على ترجمة له .

١١٣٠ - علي بن أيوب بن منصور*

الشيخ الإمام علاء الدين المقدسي الشافعي ، معيد المدرسة الباذرائية[١] بدمشق .

كان أولاً يعرف بـ « عُليّان »[٢] ويكتب ذلك بخطه في أوّل أمْرِه[٣] .

سمع من الفخر بن البخاري ومن عبد الرحمن بن الزين .

وحدّث بدمشق والقاهرة . وكان قد عُني بالحديث ، وطلب وقرأ بنفسه ، وحرّر الألفاظ وضبطها .

وكان يكتب خطّاً فائقا ، ويُبْرِزُ الصحفَ من يده تحكي روضاً بالأزاهر رائقا [صحيحة الألفاظ مضبوطه ، سليمة من اللحن مشكولة منقوطه][٤] . ولمّا أبيعت كتبه في حياته ، تغالى الناس في أثمانها ، وبالغوا في قيمتها رغبة في صحتها وحسنها وإتقانها .

وكان قد درّس بالأسديّة وبحلقة صاحب حمص[٥] . ثم إنه توجّه إلى القدس وسكنه فاختلط ، وتلفظ بالصواب تارة ، وتاراتٍ بالغلط ، وأخذ في ادّعاء المستحيلات ، والقدرة على فعل ماهو خارج عن[٦] الممكنات . وكابد مع ذلك فقراً شديدا ، وعيشاً من الهناء بعيدا .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل قَبْرَه ، وما يملك خيطاً في إبْرَة .

---

* الدرر : ٣٠/٣ ، والشذرات : ١٥٣/٦ ، وذيول العبر : ٢٦٥ .

(١) انظر : الدارس ١٥٤/١ .

(٢) بالتصغير ، نصّ على ذلك في الدرر .

(٣) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) وتعرف بدار الحديث الحمصية . الدارس : ٤٥/١ .

(٦) في الأصل : « من » ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة بالقدس[(١)] .

وكان بدء اختلاطه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان يذكر الجنّ كثيراً في كلامه ، ويقول : قد وعدوني بأن يسوقوا إليّ نهراً من النيل ، ونهراً من زيت نابلس إلى داري هذه ، ويَعُدّ لذلك أماكن يكونُ فيها الماء وأماكن يكون فيها الزيت ، وأشياء من هذه المستحيلات . وكابد فقراً مُرّاً مع هذه الحالة . نسأل الله تعالى العافية من كل بلاء .

١١٣١ - علي شاه بن أبي بكر*

التوريزي[(٢)] ، الوزير الكبير .

خدم [القان][(٣)] بوسعيد ملكَ التتار ، وتمكّن منه عظيما ، وجعل عِقْدَ وزارته نظيما . وهو الذي قام على الرشيد الوزير ، وأهلكه ، وساق إليه حتفه حتى أدركه .

وكان داهية ذا هبه ، غير مفكر في أمر دنياه الذاهبه . وكان محبّاً لأهل السُّنه ، قوي اليقين في ذاك والمنّه . صافى السلطان الملك الناصر ، وهاداه ، وكان إلباً على مَن خالفه وعاداه . ولم تزل رُسله ترد ، وسيل هداه إلى دمشق ومصر يجري ويطّرد ، وكلمته مقبوله وإشارته على العين محموله .

وكان في أول أمره سمسارا ، فما زال يرقى إلى أن صار النجم له جارا .

ولم يزل على حاله إلى أن حُمل على شَرْجَعِه ، وعزّ على ذويه أوان مَرْجِعِه .

(١) ومولده سنة (٦٦٦ هـ) تقريباً ، كما في الدرر .

* البداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ٣٤/٣ وتذكرة النبيه : ١٤٨/٢ ، والشذرات : ٦٣/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ . ووقع في الأصل : « علي بن شاه » ، سهو .

(٢) كذا في الأصل و (أ) ، (خ) ، (ز) ، ووقع في مصادر ترجمته الأخرى : « التبريزي » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بأرّجان في أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

وهو والد الأمير ناصر الدين خليفة ، أحد أمراء دمشق ، المقدم ذكره في مكانه .

وكان قد أهدى إلى السلطان الملك الناصر ربعة[1] مليحة في قطع نصف البغدادي في ورق جيد ، وهي مكتوبة ، جميع أجزائها الثلاثين ، بليَقَة ذهب ، بقلم محقق كبير ، مزمّكة ، في غاية الحسن . رأيتها في الخانقاه بسرياقوس . وأهدى أخرى مثلها إلى الأمير سيف الدين تنكز ، أظنه جعلها في جامعه .

١١٣٢ ـ علي بن أبي بكر بن محمد*

ابن محمود بن سلمان بن فهد ، القاضي علاء الدين بن القاضي شرف الدين ، وقد تقدم في حرف الباء ، ابن القاضي شمس الدين ، وسيأتي ذكره في حرف الميم ، ابن العلامة شهاب الدين محمود ، وسيأتي ذكره .

كان قد شَدَا طَرَفاً من الأدب ، وعُني بالإنشاء وكَتَب . ونظم ونَثَر ، وجرى إلى الغاية فما شارفها حتى عَبَر .

وكان يتودّد إلى الناس ، ويخدمهم بما يقدر عليه من غير إلباس .

ولم يزل على حاله إلى أن كبا جواده في وسط الميدان ، وخلا منه صدر الدّست وقَلْبُ الديوان .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى في نهار الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

---

(١) في الدرر : « رتعة » ، تصحيف .

* الدرر : ٣٣/٣ ، وذيول العبر : ٣٧٠ .

ومولده ـ فيما أظن ـ سنة ثلاثين وسبع مئة .

كان قد دخل إلى الديوان ، وكتب الإنشاء . ولما توفي أخوه القاضي شهاب الدين أحمد وكان يوقع في الدست[١] ، دخل هو بدل أخيه ، ووقّع في الدست بدمشق المحروسة . وحج إلى بيت [الله][٢] الحرام في سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ كثير الأسقام ، ضعيف التركيب[٣] .

وكان في وقت قد أهدى إليّ صحن حلوى مُشَبّك ، وتحته قطائف ، فكتبت إليه :

يا سيّدي إنّ الذي أهديْتَه … عِطْفُ الموائد مِنْ حُلاَه مائِدُ
وافى فأذكرني عهود مَكارمٍ … والخير منك كما يقال عَوائد
صَحْن لأنواع الحلاوة جامع … ذا راكع فيه وهذا ساجد
نُصبت بساحته شِباك مُشّبكٍ … وقَطا القطائفِ تحتهن رواكدُ
وبأُفْقه أقراص ليمون بَدَت … فكواكب قد رُصّعت وفراقد
والسُّكَر المَذْرور فيه مَجَرَّةٌ … أو لا فمِنْ فَوقْ النّحور قلائد
إن كنتُ قد فرّغتُه أكلاً فقد … مَلأْتُهُ منّي في عُلاكَ محامد
لا زلت تُهدي للموالي مِثْلَهُ … في كلّ صومٍ فيه عيد عائد

١١٣٣ ـ علي بن أبي بكر*

علاء الدين بن البرقعيدي الكحّال .

ما رأيت مثله في العمل بالحديد ، قطع عندي لإحدى بناتي شرانيقَ من عينها في

(١) في (أ) : « موقع الدست » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ز) .
(٣) هنا تنتهي ترجمته في (أ) .
* لم نقف على ترجمته .

دُفْعَة واحدة ، من أسرع ما يكون . فتقَ الجفن الأعلى ، واستخرج منه شيئاً شبيهاً بالشحم الأصفر ، ولم يعمل ما يعتمده غيرُه من تعليق الصنانير في الأجفان ، وحكّ الشرانيق بالسُّكر النبات ، لأن ذلك أمر مطوّل [مؤلم][1] .

وكانت عنده مشاركة في الطب وغيره ، وكان كحّالاً بالبيمارستان النوري بدمشق .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، وادّعاه أنه نَظَمه في مشدّ الدواوين بدمشق :

مُشِدُّنا في الشام قد شَقِيَتْ ... ممّا تُقاسي من جَوْرِه الأُمَمْ
يذبح الناسَ[2] ما يرِقُّ لهم ... كأنما الناس عنده غَنَمُ

[وتوفي رحمه الله في حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة][3] .

١١٣٤ ـ علي بن بكتمر*

الأمير علاء الدين بن الأمير سيف الدين الأبو بكري . أحد الأمراء أخيراً بمصر .

كان هو وإخوته[4] قد أخرجهم الملك الناصر محمد بعد موت أبيهم في حبس الإسكندرية إلى دمشق ، فأقاموا بها . وقد تقدَّمَ ذِكْرُ أخيه الأمير شهاب الدين أحمد .

وطلب السلطان الملك الناصر حسن الأمير علاء الدين هذا ، وأخاه الأمير سيف الدين أسنبغا[5] إلى مصر ، وأقبل عليهما .

(١) زيادة من (أ) .
(٢) في (أ) : « الخلق » .
(٣) زيادة من (أ) .
* الدرر : ٣٢/٣ .
(٤) في الأصل : « وأخوه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٥) (ت ٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٣٨٦/١ .

ولم يزل الأمير علاء الدين بمصر أميراً إلى أن جرى للملك الناصر حسن ما جرى ، وتصافّ هو والأمير سيف الدين يلبغا ، وتناوشوا القتال ، فحصلت للأمير علاء الدين جراحة في وجهه ، فمات منها بعد يُوَيْمَات ، على ما قيل ، ووصل الخبرُ بموته إلى دمشق في أواخر جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ولمّا كان بالشام توجّه إلى الرّحبة نائباً مرتين ، وأنا شاكٌّ في الثالثة . وكان من أبناء الستين أو ما يزيد عليها .

وكان شكلاً تامّاً ذا رُواء ، وهمّة في الأمور واعتلاء . يكتب ويقرا ، ويودّ لو أنشأ نظماً ونثرا ، لأنه بمصر كان يجتمع بالأفاضل ، ويُرامي الأقران بالجدال ويناضل . وله ميل كثير إلى الألغاز ، ولم يكن كغيره يهواها ، وهو في العُمْي ضائع العكّاز .

ولمّا كنت بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، طلب منّي لغزاً ، فكتبت إليه :

أيا سيّداً حاز العُلا وَهْوَ يافع ... فراوي الندى عنه كثير ونافع[1]
ومن حاز فضل السيف في مَعْرك الردى ... فبارقُه في ظلمة النقع ساطع
ومَن إن سألنا : مَن أولو الفضل والنّهى ... أشارت إليه عند ذاك الأصابع[2]
ومَن نفّق الآداب بعد كسادها ... وجلّى دجاها من محيّاه لامع
ومن هو ذُخْرٌ للعُفاة وملجأ ... إذا صدّهم حظٌّ من الدهر صادع
أُحاجيك ما اسم ، أعوز الناس قطرهم ... فلما دعا انجابت عيون هوامع
كتابته في الطِّرس لا شك أربع ... وعدّته خمس وفي العكس سابع
وإن زال منه ثالث فقبيلة ... لها في قراع الدارعين وقائع

---

(١) يورّي باسم القارئين : ابن كثير المكي ، ونافع المدني .

(٢) يشير إلى قول جرير :

إذا قيل أيّ الناس خيرٌ خليفة ... أشارت إلى عبد العزيز الأصابع

وعُـدَّة مـا يبقى لعكسٍ ثـلاثـة ... ولكنّـه سَبْـعٌ، ففيمَ التنـازع[١]
وإن تمَّ معكوسا وصحّفت لفظه ... تجده مُنَى مَن قد غدا وهو جائع
وإن كان لم يظهر لفضلك حَلُّهُ ... وحاشاك يا مَن ذِهْنُه الحدُّ قاطع
فصحّفْهُ بَعْدَ القَلْبِ مِنْ غَيْرِ نَقْصِه ... فذلك في التصحيف والقلب شائع
أبِنْ لي مُعمّاي الذي قَدْ سَتَرْتَهُ ... فغَيْرُك فيه مِثْلُ أشعب طامع
ودُم وارْقَ في أوجِ المَفَاخِرِ والعُلاَ ... مدى الدهر ما غنّت بأيْك سواجع

فحلّه في « عباس » . ولم يكتب الجواب نظماً .

وطلب الزيادة مني ، فكتبت إليه [أيضاً ملغزاً][٢] في أبيات ، منها :

تقدّمَ لُغْزٌ قَبْلَ ذا وحَلَلْتَهُ ... فمن يقتنِ العَليا بفضلك يَقْتَدِ[٣]
فما اسمٌ رُبَاعيّ الحروف وإنّما ... تركّب من حرفين مَنْ رَامَها هُدي
رسولٌ إلى قومٍ كريمٌ كتابُه ... به خاطب القرآن كلَّ مُوَحِّد
ويُقتلُ عِنْدَ الشافعيّ ومالك ... وعند الفتى النعمان والحَبْرِ أحمدِ
له في أعالي كُلّ غصن تلاوةٌ ... بلَحْنٍ كأنّ الدّوح مَعْبَدُ مَعْبَد
تكاد قوافي ذا القريض تذيعه ... فقد زُيّنت منه بحرف مُرَدَّد[٤]
ودُمْ راقيا في أفْقِ كلِّ سَعَادَةٍ ... بنى لك منها الدهرُ أَشْرَفَ مقْعَد

[فحلّه في « هُدْهد » ، وهو صحيح][٥] .

---

(١) في (أ) ، (ز) : « بعكس » .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) في الأصل : « يقين » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٤) في (أ) : « ذي » .
(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

١١٣٥ ـ علي بن بَلْبَان

الأمير المفتي المُحدّث النحوي ، أبو الحسن علاء الدين الفارسي المصري الجندي الحنفي .

سمع من الحافظ شرف الدين الدمياطي (جزء ابن ديزيل)[١] ، وسمع من محمد بن علي [بن] ساعد[٢] ، وبدمشق من البهاء بن عساكر وغيره .

وكان جيّد الفهم ، لا يُردّ له عن إصابة الصواب سَهْم ، حَسَنَ المُذاكره ، كثير الفوائد في المحاضره . وله تقدّم في الدولة المظفريه ، ووجاهة في الدولة الناصريه . وله شعر مُمَوّه بالبديع ، يوهم أنه مفيد ، وهو طعام من ضريع . إلا أنه مقبول غير مردود . وفيه دلالة على أنه برز من[٣] خاطر مكدود . وكان مليح الشكاله ، وافر الجلاله .

ولم يزل على حاله إلى أن بلّغ الأجلَ كتابُه ، وهِيل عليه تُرابُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في تاسع شوال سنة تسع وثلاثين وسبع مئة في منزله بشاطئ النيل .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

وكان قد تفقّه بقاضي القضاة أبي العباس أحمد السروجي[٤] ، وبفخر الدين عثمان بن التركماني وبمحيي الدين الدمشقي وغيرهم .

* وفيات ابن رافع : ٨٧/١ ، والدرر : ٣٢/٣ ، والبغية : ١٥٢/٢ ، والنجوم : ٣٢١/٩ ، وتذكرة النبيه : ٣١٠/٢ .

(١) في (أ) : « جزءاً لابن ديزيل » ، وجاء في الكشف ، ٥٨٣/١ : « جزء ابن ديزل : وهو إبراهيم بن حسين الكسائي ، فيه حديث الإفك » .

(٢) هو محمد بن علي بن ساعد بن إسماعيل بن سليم بن ساعد المحروسي الخالدي (ت ٧١٤ هـ) ، الدرر : ٦٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، والدرر .

(٣) في (أ) : « عن » .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي . (ت ٧١٠ هـ) . التذكرة : ٣١/٢ .

وقرأ المنطق والأصول على الشيخ علاء الدين القونوي ، والنحو على العلامة شيخنا أبي حيان ، وصحب الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وكان قد تقدّم في أيام المظفر .

وله تصانيف ، منها : (شرح كتاب « الجامع ») تصنيف صدر الدين الخلاّطي[١] . ورتّب (صحيح ابن حِبّان)[٢] على أبواب الفقه ، وكذلك (معجم الطبراني الكبير)[٣] بإعانة الشيخ قطب الدين عبد الكريم[٤] .

وانتشا ولده جمال الدين ، فتفقّه لأبي حنيفة ، ثم تحوّل شافعياً ، فتألم والده لذلك .

وكان علاء الدين الفارسي يصلح للقضاء لسكونه وعلمه وتصوّنه .

ومن شعره :

سرت نسمةٌ طابت بِطيبة للذكر ... فأرَّجتِ الأرجاءَ مِنْ عَرْفِها العطر
وجاءت بها البشرى فسرّت بما سَرَت ... وأحْيَت بما حيّت إلى مَطلع الفجر
فيا حُسنها بخديّةً زمزميّة ... أضاء لها من ثغرها زاهرُ الدُرِّ
تبسم منها كلُّ قَلْبٍ وقالَبٍ ... فتيقٍ نَسيق الشيح والرند والزهر
تجلّت فجلّت بالشفا كلّ غلّة ... وحلَت فحلّت بالصفا عُقْدَة الهجر[٥]
أباحت حِباء من حبائل شعرها ... تصيد به صِيْدَ الصناديد عَنْ قسر[٦]

(١) هو محمد بن عباد بن ملك (ت ٦٥٢ هـ) ، واسم كتابه : (تلخيص الجامع الكبير في الفروع) ، واسم الشرح الذي وضعه ابن بلبان : (تحفة الحريص) ، قال صاحب الكشف ، ٤٧٢/١ : « شرح طويل أبدع فيه وأجاد » ، وفي الأعلام للزركلي : ٢٦٨/٤ ، أنه مخطوط .

(٢) في كتاب سمّاه : (الإحسان في تقريب صحيح ابن حِبّان) ، الأعلام : ٢٦٨/٤ ، وذكره صاحب الكشف : ١٠٧٥/٢ ،ولم يُسمّه .

(٣) أشار إليه صاحب الكشف : ١٧٣٧/٢ ، وكلمة « الكبير » زيادة من (أ) ، (ز) لابدَّ منها .

(٤) ابن عبد النور الحلبي ، سلفت ترجمته .

(٥) في الأصل : « فحلّت بالشفا » ، تصحيف .

(٦) في (أ) : « أتاحت » .

وغــادرت الأسرى وأُسري بسرّهــا   تُسِرُّ بِــــا لاقت وذاقت من الأسر
فأصبحتُ مشتاقـا إلى سـاكن الحِمى   ولم أستطع من بَعْدُ شيئـا سوى الصبر

وهي طويلة . وهذا القـدر منهـا كاف[١] ، إذ هو شعرُ فـاضل . أتى فيـه بصنـاعـةِ بديع يوهم أن ذلك شعرٌ يُسْمَع فيطرب ، وليس كذا « ما كل باسمة لبنى » .

١١٣٦ ـ علي بن بلبان*

الأمير علاء الدين بن الأمير الكبير سيف الدين البـدري[٢] . تقـدم ذكر والـده في مكانه من حرف الباء الموحّدة .

وكان الأمير علاء الدين أحد أمراء الطبلخـانـاة بـدمشق . كان حسن السيـاسـه ، كثير الرياسه ، وافر الأمانه ، زائد الصيـانـه ، عفيفـاً عن[٣] أموال الرعيّـة[٤] ، سـالـك الطريق المرضية المرعيه . قلّ مَن رأينـا سلـك[٥] مسلكـه القويم ، أو تولّى أمر نـاحيـة فسقى عدلُـه أهلهـا كاسـاً ، مزاجهـا من تسنيم[٦] . مـا بـاشر جهـة إلا وسـدّ خَللها[٧] ، وأزاح عِللها ، وشفى غُللها وفصم جُلَلَها[٨] ، ونشر حُلَلَهـا . لا جرم أنـه وجـد لـه ذلـك مدّخرا ، وجَعَل ذِكْرَه[٩] الطيّبَ في الناس سَمَرا .

---

(١) في (أ) : « أنموذج كاف » .
* الدرر : ٣/٢٢ .
(٢) ليست في (خ) .
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .
(٤) في (خ) : « الناس والرعيّة » .
(٥) في (أ) : « مَنْ سلك » .
(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ المطففين : ٨٣/٢٧ ، والتسنيم : عين في الجنة .
(٧) الخلل : الفرجة بين الشيئين ، والجمع : خِلال .
(٨) الجَلل : الأمور العظام .
(٩) في الأصل : « ووجد ذكر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، (خ) .

وراح إلى الله معفواً عنـه مغفـوراً لـه خَطـأه ، ودخـل في قـوم ضُرب مثلهم بـزرع أخرج شَطْأه[١] .

وتوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في مستهل جمـادى الآخرة سنـة إحـدى وخمسين وسبـع مئة .

ولاّه الأمير علاء الدين ألطنبغا ولاية نابلس لمّا كان بدمشق ، فأجمل فيها السيرة . ثم إنه تولّى ولاية الولاة بالصّفقة القبلية ، فأجمل سياستها ، وعفّ عن أموال الرعايا إلى الغاية ، ثم ولي نيابـة الرحبـة فحمـدت سيرتـه بهـا ، ثم عزل منهـا وأقـام في دمشق على إمرته ، ثم أعيـد إلى نيـابـة الرحبـة ، ثم إنـه عزل منهـا[٢] ، ثم تولّى القبليـة ، فزداد في حُسن المبـاشرة والعفـة عن أموال الرعـايـا حتى إنـه كان لا يعلّق التّبن على خيلـه ، ولا يشرب المـاء إلاّ بثمن من دراهمـه ، ثم إنـه استقـال فـأعفي من ذلـك . ثم ورد مرسـوم السلطان بإعادته إلى نيابة[٣] الرحبة ، وكان قد حصل لـه مرض استرخـاء ، فعـاقـه عن ذلـك ، وطولع بـأمره ، فورد مرسوم السلطـان بـأن يعفى من ذلـك ، ويتوجـه إليهـا الأمير ناصر الدين محمـد بن الزيبق[٤] . وبقي الأمير علاء الـدين بعـد ذلـك قريبـاً من شهرين أو ثلاثة ، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ المقدّم .

١١٣٧ ـ علي بن بهادر آص*

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير سيف الدين بهادر آص .

---

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرعٍ أخرج شَطْأه ﴾ الفتح : ٢٩/٤٨ .
(٢) ما بين « منها » و « منها » سطر سقط من (خ) بنقله عين .
(٣) ليست في (أ) .
(٤) هو محمد بن داود ، ستأتي ترجمته .
* انظر السلوك : ٦٢٠/٣/٢ .

كان أمير عشرة ، ولم يكن في دمشق مَن يلعب الكرة أحسن منه ، يقال إنه هو بهذا اللعب كان السبب في خلاص والده ، لأن تنكز كان يعظّمه ، ولكنه ضيّع ماله وتضعضع حاله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في العُشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة أربع [وأربعين][١] وسبع مئة .

١١٣٨ - علي بن بَيْبرس*

الأمير الفاضل الذكي النحرير ، علاء الدين بن الأمير الكبير ركن الدين . تقدم ذكر والده في حرف الباء مكانه .

كان هذا علاء الدين له ألمعيه ، وعنده لَوْذَعيّه ، يتوقّد ذكاء وفطنه ، ويتقلّب ما بين حالتي مِنْحة ومِحْنَه . عاشر الناس وصحب الفضلاء ، واجتمع بالأكابر الرؤساء والنبلاء . وطالع كتب الأدب ، وعلّق لنفسه واختار ودأب ، وحفظ من المنظوم والمنثور جملة وافيه ، وعلِقَ بذهنه من أخبار مَنْ تقدّم قطعةً[٢] كافيه .

نشأ بمصر وأقام بدمشق وحلب ، وترسّل إلى سيس ، فلذلك كان إذا تحدّث[٣] خلب . وجلب إلى النفوس[٤] مِنْ مَحاسنه ما جَلَب . ولّما عمل الحجوبية ما كان يدع أحداً يسبقه إلى كلام ، وإذا قال شيئاً كان بريئاً من المؤاخذة والملام . فكأنما عناه أبو الطيب بقوله[٥] :

---

(١) زيادة من (أ) ، (ز) ، (خ) .

* الدرر : ٣٢/٣ ، وأعلام النبلاء : ٢١/٥ .

(٢) في (أ) : « وعلّق .... قِطَعاً » .

(٣) في (أ) : « حدّث » .

(٤) في (أ) : « النفس » .

(٥) ديوانه : ١٢٨/١ .

في رُتبــةٍ حُجِبَ الـورى عن نَيْلِهــا   وعَــلاَ فسمّــوه عليَّ الحــــاجبـــا

ولي الحجوبية بحلب ثم نقل منها إلى دمشق ، وكان [و][١] هو حاجبٌ عَيْنَها ، وأصلح منها ما فسد ، وسدّ مَيْنَها ، ثم عاد إلى حلب على الوظيفه ، وزاد علوّاً في مراتبها المُنيفه .

ولم يزل بها على حاله إلى أن أطبق الموت أجفانَه ، وأودعه تحت الأرض أكفانَه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وخمسين وسبع مئة . وقد عدّى الخمسين بقليل .

وهو أكملُ الإخوة وأسعدُهم وأفضلُهم ، سعى بنفسه إلى أن أخذ الإمرة من مصر ، وكان قد كتب على يده الأمير سيف الدين يلبغا كُتباً ومطالعةً إلى السلطان ، فاتّفق تغيُّرُ الدولة ، فأقام هناك ، وأُعطي إمرةً بدمشق ، فجاء وأرغون شاه بدمشق نائب ، فما مكّنه ، وتلقّاه بوجه عابس ، وجهّزه إلى حلب ، فأقام بها[٢] أميراً إلى أن حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملي إليها نائباً ، فخدمه ، فولاّه بها شدّ الدواوين . ولم يزل إلى أن اتّفقت للكاملي تلك الكائنة مع الحلبيين ، وهرب من عندهم ، وجاء إلى دمشق ، وتوجّه منها إلى مصر ، وأعيد إليها نائباً ، فأحسن إلى علاء الدين [بن][٣] بيبرس ، لأنه ما غفل عن خدمة بيته وأهله ، ولا خانه ، فرعى له ذلك . ولمّا قدم الكاملي إلى دمشق ، وطُلب الأمير سيف الدين تُلَك[٤] الحاجب إلى مصر ، خلت الوظيفة ، فطلبها للأمير علاء الدين ، فجاء إلى دمشق حاجباً ، ولم يكن عنده غيره ، لأنه عارف خبير دَرِب ، عاشر الناس ورآهم في مصر والشام ، فما كان يتكلم في الدست غَيْرُه .

---

(١) زيادة من (ز) ، يقتضيها السياق .

(٢) في (أ) : « فيها » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٤) الأرغوني ، سلفت ترجمته .

ثم إنه توجّه إلى لُدّ ، وجاء معه إلى دمشق ، وتوجه معه إلى حلب ، فكان معه ، فلما رُسم له بالإقامة هناك ، أقام عنده حاجبا ، ولمّا طُلب الكاملي[١] إلى مصر لم يُمكنه إلاّ الإقامة في حلب ، وحضر الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائبا ، فراج عليه ونفق عنده بعدما كان قد أعرض عنه . ولم يزل إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في التاريخ .

وكان يستحضر شعراً كثيراً للأقدمين والمتأخرين وأهل العصر ، وعلى ذهنه تواريخ ووقائع من قديم[٢] الإسلام وحديثه . وكان حُلْوَ العبارة ، فصيح اللسان ، يستحضر الواقعة في وقتها ، ويتمثّل بالشعر النادر في كتبه .

وكان غريباً في أبناء جنسه . كتبت إليه بعدما توجّه من دمشق لّما أقام بحلب ارتجالاً من رأس القلم في شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة :

لقد أَوْحَشْتَ أهلَ الشامِ حتى سَلَبْتَ رُبُوعَها ثوبَ البهاء[٣]

يقبّل الأرض ويشكو[٤] حظّه من الأيام ، وما يَجده لهذه الحادثة من الآلام ، وما يُجرّعه[٥] من الغصص لفراق مولانا الذي آنس مقامه حلب ، وأوحش فراقه الشام .

وإذا تأمّلت البقاعَ وَجَدْتَها تشقى كما تَشْقَى الرجالُ وتَسْعَدُ[٦]

نعم يا مولانا ، لقد شَقِيَتْ دمشقُ ببعدك عنها ، وسَعِدَتْ حلب بقربك منها . وما يقول المملوك إلا كأن[٧] الله تعالى كان قد كمّل محاسنها بحلولك ، وأطلع الأمن فيها

(١) في الأصل : « الفخري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « قدم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٣) في (أ) : أرض الشام » .
(٤) في (أ) : « ويشكر » .
(٥) في (أ) : « يتجرّعه » .
(٦) في (أ) : « وإن نظرت » .
(٧) في (أ) : « أنّ » .

بنزولك ، وكاثر أنهارها بما تجريه المكارم فيها من سيولك ، وفاخر أهلّة أفقها بما تؤثّره في طُرُقِها حوافرُ خُيولك ، وفاضَلَ أزاهرها النافحة بآثار جرِّ ذيولك :

فتجمّلت وتكمّلت فأصابها عَيْنُ الكمال
ورمى الإله صفاتها الـ ـحُسنى بحادثة الليالي
فعيُوننا مِنْ ذَا بَوَا كٍ في مَنَازلها البوالي
وكأنما عَرَصاتُها سِلْكٌ وأدْمعُنا لآلي

ومولانا عزّ نَصْرُه ، فيجد أمثالنا كثيراً ، وأما نحن فوالله ما نجد مِثْلَه ، ولا مَن إذا أصابنا ظمأ أفاض علينا بالجُود وَبْلَه وبَلّه . وقد حرّم المملوك على نفسه المرور على باب دار مولانا الكريمة ، لا أخلاها الله تعالى من[1] المُحيا الكريم ، والوجه الذي يخجل البدر إذا أنار في الليل البهيم .

يا مولانا ، الله يُمتّعنا بحياتك ، ما ينسى المملوك تلك الليلة التي مرّت ، ومماليكك بين يديك ، وكأنَّ الأنس والسعدَ والفضل في قبة ضُرِبَتْ عليك ، والمسرّة والإقبال والهناء خدّام وقفوا لديك . ودموع المملوك ما يملك ردّ عنانها ، ولا يخبا عقود دُرِّها وجمانِها ، ولا ينقطع لها خيطُ مُزْن ، ولا يُعْلم الباعث لها ما هو ، أمِن سرور أو حزن . نعم ، للنفس شعور بما يقع فيما بعد ، وإدراكٌ بما سوف يتجدد مِن النَّحس أو السعد .

ولمّا عاد المملوك تلك الليلة[2] من عند مولانا ـ أعزّ الله أنصاره ـ ودخل مسكنه واستجنّ دارَه ، نظم المملوك :

تعجّبَ خِلّيَ مِنْ عَبْرَتي وقد هطلت كالحيا السّاكِبِ
فقلت : دموعي تُحاكي نَدَى عَلِي بن بَيْبَرَسٍ الحاجب

(١) في (أ) : « من ذلك » .
(٢) في الأصل : « البلاد » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) .

وبالله يقسم المملوك أنّ دمشق بعد مولانا ما تُسكن ، والعمل على الخروج منها مُتعيّن إنْ أمكن . فلقد كان لها بمولانا ملكِ الأمراء جمالٌ وأيّ جمال ، ورونق لا يملكه إلاّ البدور إذا كانت في ليالي الكمال ، وعزّ دائم لو أنّ ركابه الكريم فيها يحل ويرحل ، وظل ظليل لو أنّ مغناها[1] ما أقفر منه ولا أمحل .

ما العيشُ فيها طيِّبٌ لبُعَاده عنها ولا روض الحمى بنضير

وعلى الجملة ، فدمشق لها مُدَّةٌ سنين في خمول ، الله يجعل هذا آخره ، ويرينا وَجْهَ مولانا على ما يسرُّ من أوقات أنسه الفاخرة :

وكُنّا كما نهوى فيا دهرُ قُلْ لنا أفي الوسع يوما أو نكون كما كُنّا[2]

وألطاف الله تعالى خفيّة بعباده ، وقد يُرجع [الله][3] الغريب إلى بلاده ، بمنّه وكرمه . أنهى ذلك إن شاء الله تعالى .

١١٣٩ ـ عليّ بن تنكز*

الأمير علاء الدين أمير علي بن الأمير الكبير المهيب سيف الدين نائب الشام .

كان يحبّه والدُه محبّة عظيمة ، وأظنه [من] زَوْجِهِ[4] بنت الأمير سيف الدين كوكاي[5] .

أمّره السلطان الملك الناصر ، ولبس التشريف والشربوش[6] ، ومشى الأمراء

(١) في الأصل : « معناها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) : « أو نعود » .

(٣) زيادة من (أ) .

* الدرر : ٣٥/٣ .

(٤) في الأصل : « وأظنّه زوجة » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) الشربوش : قلنسوة طويلة أعجمية ، كانت شارة للأمراء لا يلبسها غيرهم .

والحُجّاب ووجوه الدولة من أرباب السيوف في خدمته من مدرسة نور الدين الشهيد إلى دار السعادة في يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان لا يزال عليلاً كثير الأوجاع والأسقام ، فتنكّد عيش والده بذلك ..

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي - رحمه الله - في عشيّة الاثنين عند المغرب ، العشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في أول الليل بتربة والده التي بجوار جامعهِ ، ظاهر دمشق .

ووجَدَ عليه وَجْداً عظيماً والده ، وجهّز إليه السلطانُ أميراً كبيراً يعزّيه ، وجهّز إليه[١] تشريفاً عظيماً ، فلبسه .

وكان قد جاء منه كتاب إلى الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، يوصي فيه بأخته ، زوج أمير أحمد بن بكتمر الساقي ، وكان اسمه فيه بخط يده ، لأنه كان صغيراً جداً أول ما كتب . فكتبت أنا الجواب عنه وأنا بالديار المصرية في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ونُسخته :

« أدام الله تعالى نعمة الجناب العالي الأميري العلائي ، وزاد العيونَ بآثاره كلَّ بَهْجَه ، وسرّ بأبكار معانيه[٢] كلَّ نفس وأقرّ بها كل مهجه ، وشدّ ببأسه عضد والده حتى يطفئ به حرّ الوغى ورَهْجَه[٣] .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُطْوَى على[٤] سلام ، هو أصدق القول وأطْرَبُه لَهْجَه ، وينشر عن ثناء جعل طَرِيقَهُ إلى الأسماع على الرياض ونَهْجَه ،

(١) في (أ) : « معه إليه » .
(٢) في الأصل و(ز) : « معاليه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في (أ) « ووهجه » .
(٤) في (أ) : « كل » .

وتوضح[١] لعلمه الكريم ورود[٢] مكاتبته التي هي حقيقة المحاسن ومجازُها ، وبُرودَ الفضل التي أضحت ، وخط اسمه الكريم طرازُها ، فوقف منها على الرياض رَقمها الغمام بأبرّ قطره ، ودبّج ثراها بملوّنات زهره ، لا بل نظر منها إلى الأفق يلمع في ليل مداده صباحُ طِرْسِه ، ووجد ألفاظه الدر ، لا بل تعلو على الدر ، أن تكون من نوعه وجنسه ، وسُرّ من الجناب العالي بدُرِّه ، أهذا أبوه وهو في الحقيقة بحرٌ وَسْماً واسْمَا ، وتَعْجَب له من ماجد فاق البدورَ هلالاً وعلا الشموس نجما[٣] ، ورأى خط يده يطير جناحه بنجاح النجابه ، وعلم أنه لا بد وأن يغدو فارس الكتائب والكتابه .

فيا عزّ هذه الدولة الناصريّة ببأسه الماضي الشَّبَا ، ويا بُشْرَى المعالي منه بأمارة نجيب قالت له الإمارة مرحبا ، والله يجمّل ببدره هالات المواكب ، ويعلي قَدْرَه على أقدار السّعود من الكواكب ، فإن الظنّ في الصدقات السلطانية ما رقى له غير أولي درجة ، ولا تخطّى الأملُ الصادقُ منعطفه ومُنْعَرجه .

وأما الإشارات الكريمة إلى كريمته ، فهي أين كانت كريمة ، وحيث سارت وصارت سعودها مقيمة ، وما الجناب العالي وأهله إلا بمنزلة الولد بل أعزّ قدرا ، وإذا جاء أحدهم بحسنة واحدة نال بها[٤] عشرا ، فهي درّة أحرزها مُودعها وشمسٌ أشرق بالسعد واليُمن مَغْرِبها ومطلَعها .

فلتقرّ عينه من جهتها المصونة ، ولتطِبْ نفسه بما تناله من العناية والمعونة ، إن شاء الله تعالى .

١١٤٠ ـ علي بن جابر بن عليّ بن موسى*

نور الدين الهاشمي اليمني .

---

(١) في (أ) : « وتوضحه » .

(٢) في الأصل : « وضوح » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل : « فاق على البدر هلالاً وعلى السماء نجماً » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٤) في (أ) : « بدلها » .

* الدرر : ٣٥/٣ ، والشذرات : ٦٨/٦ ، وذيول العبر : ١٤٠ ، وتذكرة النبيه : ١٥١/٢ .

شيخ[١] الحديث بالمنصورية بالقـاهرة . سمع بـاليمن من الزكيّ البيلقـاني[٢] ، وبمصر من العزّ الحراني وخلق ، وبدمشق من الفخر ، وجماعة .

كان فاضلاً محدّثاً أديبا ، رئيساً في نفسه أريبا ، أخلاقـه سَهْلـه ، وحركاتـه تقتضي التراخي والْمُهْلَه ، متـواضعـاً في نفســه ، مقتصراً في حــالــه ولُبْســه ، وكان للكتب جمّاعه[٣] ، ونفسه إلى التزّيد منها طمّاعه . وكان صوته جَهُورّيا ، وليس من الفصـاحـة عَرِيّا ، وقراءته مليحه ، وكلماته صحيحه .

ولم يزل على حاله إلى أن هَشَم الموتُ عظـام الهـاشمي ، وأتـاه منـه مـالم يَسْلَم منـه النوع الآدمي .

وتـوفي ـ رحمـه الله تعـالى ـ في ثـالث عشري جمـادى الآخرة سنـــة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولـده بمكـة سنـة سبع وأربعين وست مئـة وقيل : سنـة ثمـان وأربعين ، في يوم عاشوراء ، كما ذُكر .

قال الفاضل كمال الدين الأُدْفُوي : وأصحـابنـا ينسبونـه إلى شيء من التسـاهل فيما يقوله ويدّعيه .

وكان الشيخ أبو عمرو بن سيّد الناس يذكر عنـه أنـه ذكر شيئـاً وكتب بخطـه ، ثم ادّعى غيره وأصلحه[٤] .

وكانت فيـه مكرمـة ، وكان يـوصف بحسن الجـوار والمخـالطـة ، وتَـوَرّع في أنــه هاشمي .

(١) في الأصل : « سمع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) . والتذكرة .

(٢) هو زكي بن الحسن البيلقاني ، نسبة إلى البيلقان ، مدينة بالدربند (ت٦٧٦ هـ) الشذرات : ٣٥٢/٥ .

(٣) وفي الدرر أنه خلّف ستة آلاف مجلّدة . وكذلك في التذكرة .

(٤) وكذا نقل صاحب الدرر عن أبي عمرو أنّه نسبة إلى التزيد . ولا له ترجمة في الطالع السعيد للأدفوي .

وقال شيخنا الذهبي : وكان مع علمه ليس متحريّاً في النقل . قال أبو محمد النويري[1] . أخذ عنه الطلبة .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ قال : استعرت من نور الدين المذكور مجلّداً ، فوجدت فيه في مكان الأبيات الضّادية التي للشافعي ـ رضي الله عنه ـ وفيها تخريجة إلى الحاشية تتصل ببيتين ، الأول حفظته ، وهو :

قِفْ ثُمّ نادِ بأنني لمحمد ... ووصيّهِ وابْنَيْهِ لست بباغض[2]

ثم تأمّلت الخط ، فإذا هو خط نور الدين ، انتهى .

قلت : وقد اشتهر هذا البيت ، وأثبته الفضلاء والحفّاظ والناس من شعر الشافعي ، وهو[3] :

يا راكباً قِفْ بالْمُحصَّب مِنْ مِنًى ... واهتِفْ بقاعدِ خيفها والناهض
سَحرا إذا فاضَ الحجيج إلى منًى ... فيضاً كمُلْتَطِم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبُّ آل محمد ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقلان أني رافضي

ولكن مَن له معرفة ودُربة بقدر الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يتحقق أن الشافعي ما يقول : « باغض » ، اسم فاعل من أبغض[4] .

---

(١) نقله صاحب الدرر ، ووقع في الأصل و (أ) : « أبو عمرو النويري » ، وهو سهو ، فالنويري هذا ، وسمّاه في الدرر الفخر النويري ، هو أبو محمد عثمان بن يوسف فخر الدين النويري ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) البيت وما يليه في الدرر .

(٣) ديوان الإمام الشافعي : ص٥٥ .

(٤) هذا التعليق نقله صاحب الدرر عن تقي الدين السبكي .

وذكر الثقات عن الربيع[١] أنه قال : حججنا مع الشافعي ، فما ارتقى نجدا ، ولا هبط واديا ، إلاّ وهو يبكي وينشد هذه الأبيات الثلاثة . فإذا زيد[٢] رابع أو خامس ، أخرج ذلك أهل النقد .

وعن الربيع قال : سمعت الشافعيّ يقول :

شَهِدْتُ بأنّ الله لا ربَّ غيره ... وأشهد أن البَعْثَ حَقٌّ وأَخْلَصُ
وأنّ عُرى الإيمان قَوْلٌ مُبيّن ... وفعلٌ زكيٌّ قد يزيد وينقصُ
وأنّ أبا بكر خليفةُ أحمد ... وكان أبو حفص على الحقّ يحرص[٣]
وأشهد ربي أن عثمانَ فاضل ... وأن عليّاً فضله مُتَخَصِّص[٤]
أئمة دين يُقتدى بفعالهم ... لحى الله مَن إيّاهم يتنقّص

وروى أبو سعد بن السمعاني[٥] في (ذيله)[٦] ، وبسنده إلى جعفر بن أحمد بن الحسن السراج[٧] أنه أنشد ردّاً على مَن زعم أن في الشافعي تشيّعاً :

لا دَرَّ دَرُّ معاشرٍ لم يحفظوا ... غيب الأئمة عاجزٍ أو ناهض[٨]
زعموا بأن الشافعيّ محمداً ... جادت ثراه بمصر مُزنة عارض[٩]
مترفّض إذ قال في بيت له ... « فليشهد الثقلان أني رافضي»

---

(١) هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ، صاحب الإمام الشافعي (ت٢٧٠ هـ) ، السير : ٥٨٧/١٢ .
(٢) في (أ) : « زيد فيها » .
(٣) في الديوان : « خليفة ربه .. على الخير .. » .
(٤) في (أ) : « يتخصص » .
(٥) في الأصل و (أ) : « أبو سعيد » ، تحريف ، وهو عبد الكريم محمد بن المنصور (ت٥٦٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٠٩/٣ .
(٦) على تاريخ بغداد ، كما في الكشف : ٢٨٨/١ .
(٧) (ت٥٠٠ هـ) ، السير : ٢٢٨/١٩ .
(٨) في الأصل : « عيب » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٩) في (أ) : « بمصر ثراه » .

مــا قــالـــه إلاّ بشَرْطٍ واضـح لأُولي النّهى والـدين ليس بغـامض
«إن كان رفضـاً حب آل محمـد فليشهـد الثقـلان أني رافضي»
وبـه يقـول المسلمـون فهـل ترى عينٌ لآل محمـد من بـاغض
يـا مَن رمـاه ببـدعـة في دينـه لا زال جسمـك حلف حُمّى نـافض

رجع القول إلى ذكر نور الدين الهاشمي : الله أعلم بسريرته .

ومن شعره في أصحاب الطيالس :

قـوم لهم سيرة سـارت ببغيهمُ قـد ارْتَـدَوا برداء الكِبْر والحُمق[1]
خفّت رؤوسهم إذ خفّ عقلهم لـولا طيـالسهم طـارت من العنـق

ومنه في أصحاب العَذَبات :

قـوم إلى الثيران أقرب نسبـةً وحقيقـة قـد ألبسـوا أثـوابـا
سترت عمـائمهم شعـوب قرونهم أو مـا ترى عـذبـاتهم أذنـابـا[2]

ومنه :

يفخر زيـدٌ بحُسن عِمّتـه يخطر بـالكم إذا رأى عَـذَبـه
كمثـلِ ثَـوْر يَـدُورُ ملتهيـا يمرح عجبـاً إذا رأى ذَنبـه

ومنه :

هـو المجـد لا زور الأمـاني الكـواذبِ وليس العُـلاَ إلا ابتـذال الرغـائب
ومـا فـاح نَشْرُ الروض إلاّ لأنـه بـذولٌ لمـا أولاه قطرُ السحـائب
ومـا طـاب ذكر الحَمْـد إلا لأنفسٍ لهـا في اقتنـاء الحَمْـد أسنى المكاسب
حنانيـك من عَصْرٍ خلت منـه سـادةٌ غيـاث لُمُسْتَجْـدٍ وغـوث لراغب

(١) في الأصل : « الكفر والحمق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الدرر : « شعور » .

ومنه[1] :

نـال من صَـدّهـا الفـؤادُ سلـوّا ... رُبّ خير أتى بغير اعتماد
شيمـة في الحِسَـان بغض المحبـ ... ـبين فـلا تَرْجُـونّ صَفْـوَ الـوداد

قلت : شعر جيد ، ومقاصد حسنة ، ولكنـه هو ولـد بمكـة ، ورَبِي بـاليمن ، وأهل تلك البلاد المعهود عنهم[2] اللطف ورقّة الحاشية ، ولا سيا وقد أقام بالـديـار المصريـة ، فكيف يقول :

نـال من صـدّهـا الفـؤادُ سلـوّا ... رُبّ خير أتى بغير اعتماد

هذا فيه جفاء وغِلظة طباع . وأين هذا من قول الأوّل :

علّمتني بِهَجْرِهـا الصبرَ عنهـا ... فهي مشكـورة على التقبيـح

قـال علّمتني ، فنسب ذلـك إليهـا ، وقـال : الصبر ، ومـا قـال : السّلُوّ . والنصف الثاني في غاية الحسن .

وكان الشيخ نور الدين المذكور يدّعي أنه يحفظ (الوجيز) .

١١٤١ - علي بن الحسن بن أحمد*

الإمام الزاهد العابد ، عَلَم الأولياء ، أبو الحسن الواسطي الشافعي .

صحب الشيخ عز الدين الفاروثي ، وسمع من أمين الدين بن عسـاكر وغيره . وقرأ

(١) البيتان في الدرر .
(٢) في (أ) : « منهم » .
* الدرر : ٣٧/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

القرآن[١] والفقه ، وأكثر من مطالعة العلم ، ولاذ بظل الصبر والحلم ، ولازم الحجّ[٢] ستين عاما ، وجاور في بعض ذلك مقاما .

وكان منجمعاً عن الناس ، منعزلاً عن الأدناس ، لا يَقبَل من كل أحد ، ولا له غير الصبر ملتحد . له كشف وحال ، وفضل وقال[٣] . كثير التلاوة والقيام ، والذكر والصيام ، منقطع القرين ، متواصل الآهة والأنين .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ ببدر مُحْرِما ، وراح إلى الله مُكرما ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١١٤٢ ـ علي بن الحسن*

الإمام الخطيب ابن الجابي ، بالجيم والألف والباء الموحدة ، خطيب جامع جرّاح .

كان طيّب النغم ، حَسَن الصوت إذا نَغَم ، جيِّدَ الأداء ، فصيح التلاوة يُشوّق إلى الاقتداء به والاهتداء . يوردُ خُطَبا طوالا ، يطيل فيها جواباً وسؤالا . وله عمل كثير[٤] في الكيمياء ، ويزعم أنها صحّت معه . والظاهر أنه ظفر [منها][٥] ببعض صبغ أطمعه .

ولم يزل في نَصَبه وكدّه إلى أن حصّل [في][٦] لحدِه .

---

(١) عبارة الدرر : « وقرأ القراءات » .

(٢) في الأصل و (ز) : « الصبر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، وعبارة الدرر : « حجّ ستين حجّة » ، وفي الشذرات : « حجّ واعتمر أزيد من ألف مرّة » .

(٣) أي : قول .

* الدرر : ٣٩/٣ ، وفيه : « بن الحسن بن عبد الله » . وعقد الجمان : ٢٠٢/٤ .

(٤) في الأصل : « كبير » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) و (ز) .

(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .

(٦) زيادة من (ز) تستقيم بها العبارة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة إحدى وسبع مئة[١] .

وخطب بعده الشيخ شرف الدين الفزاري إلى أن نُقل إلى خطابة الجامع الأموي .

وكان هذا الخطيب ابن الجابي قد جمع نحو أربع مئة دينار ، وجاءت التتار ، فكابر وقعد في بيته في الجامع ، فدخلوا عليه ، فكلّمهم بالتركي ، فأخذوا ثيابه وفرشه[٢] ونحو ثلاثين قطرميزاً من زبيب[٣] ومخلل وعسل . ثم جاءته فرقة أخرى ، وقالوا له : أين المال ، فتمسكن لهم ، فرأوا هناك لازَوَرْدا ، فأرادوا أن يُوَجّروه[٤] به ، فصاح وخرج[٥] لهم عن ثلاث مئة دينار ، فأخذوا الذهب ، وعذّبوه ، ثم إنه هرب وتسلّق من الباب الصغير ، فظفر به أناس آخرون ، وطالبوه مصادرةً ، وقاسى أهوالاً ووبالاً وفقراً[٦] إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ في تاريخه .

ولمّا أُبيعت كتبه ، جاء الشيخ تقي الدين[٧] ـ رحمه الله تعالى ـ واشترى منها كتباً بألف درهم ، جميعها في الكيمياء ، ورمى بها في وقته في بركة ، وغسلها ، وقال : هذه كانت تُضِلّ الناس وتُضيع أموالهم .

١١٤٣ ـ علي بن الحسن بن علي بن أبي نصر*

علاء[٨] الدين بن عمرون .

(١) في سابع عشر ربيع الآخر ، كما في الدرر .
(٢) في (أ) : « وفرسه » .
(٣) في (أ) : « زيت » ، ولعلّها أقرب .
(٤) وجَرَ الدواء إذا بلعه .
(٥) في (أ) ، (ز) : « وحفر » .
(٦) في الأصل : « وفقر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٧) ابن تيميّة ، كما في الدرر .
* الدرر : ٣٩/٣ ، وعقد الجمان : ٤٤٢/٤ .
(٨) في الأصل : « ابن علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

نشأ علاء الدين هذا ، وقد عدم ما كان لوالده من الدنيا الواسعة ، فاشتغل بالحساب[(١)] ، وولي الزكاة ثم الوكالة وغيرها .

وكان من عقلاء الناس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة ست وسبع مئة في خامس عشر شهر رجب .

وروى (سُداسيات الرازي) عن أحمد بن النحاس ، سمعها عليه[(٢)] بالإسكندرية عن ابن موقا .

وكان والده من أرباب الأموال الجزيلة . وأقام بالإسكندرية وتوفي بها .

١١٤٤ ـ علي بن حسن**

الأمير نور الدين بن الأمير بدر الدين حسن بن الأفضل .

كان الأمير نور الدين هذا ابن أخي الملك المؤيد صاحب حماة . جاء إلى دمشق بعد الفخري أمير طبلخاناة ، وأقام بدمشق ، واشترى دار أيدغدي شقير التي عند مئذنة فيروز من الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب ، وهي دار عظيمة وبها بحرة متسعة ، لم يكن بداخل دمشق أكبر منها ، وعمّر بها الأمير نور الدين قبّة مليحة إلى الغاية .

وكانت له أملاك وسعادة بحماة وإقطاع جيد ، وعنده جواري جُنكيّات[(٣)] ودُفيّات ، فانقصف ، وأورث أهله الأسى والأسف .

---

(١) في (أ) ، (ز) : « بكتابة الحساب » .

(٢) في (أ) : عليهم » .

** الدرر : ٣٨/٣ .

(٣) هن الجواري اللائي يعزفن على الجنك ، وهو من الآلات الوترية ، والجُنكي : هو الراقص في المنتديات والأفراح .

وكان موته في عاشر صفر سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وعمره تقدير أربع وعشرين سنة .

وكان يعرج قليلاً إلا [أنّ](١) وجهه حسن .

١١٤٥ ـ علي بن حسن*

الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان في دمشق من خيار الناس ، وأعقلهم ممّن يود أنْ(٢) يعد أو يدخل في كَيْس الأكياس . ظريفاً مُندَّبا ، مُخرّجاً مهذَّبا ، يخدم الناس ويتقرب بإحسانه ، ويُحسن بيده وبلسانه ، إلى أن تولّى الصعيد بمصر ، فاكتسب هناك الإثم ، وأصرّ على الإصرِ وسفك الدماء نهاراً جِهارا ، وأجرى منه بجُرْأته أنهارا .

ثم إنه نُقل إلى ولاية القاهرة ، فأظهر فيها من الجبروت ما تجفّ(٣) منه البحار الزاخرة ، ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى الآخرة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ...(٤)

أوّل ما علمت من أمره أنه جاء إلى صفد شادّ الديوان ووالي الولاة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الساقي ، جهّزه الأمير سيف الدين تنكز في سنة ثماني عشرة أو تسع عشرة . ولم يزل بصفد إلى أن طلب إلى دمشق ، وتولّى ولاية البَرّ بها في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة عوضاً عن سنجر الطرقجي ، فأحبه تنكز والصاحب شمس الدين ، وقرّباه وأدنياه وبالغا في إكرامه .

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

* الدرر : ٤٠/٣ .

(٢) في الأصل : « أو » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

(٣) في الأصل و (أ) : « تخف » ، وأثبتنا ما في (ز) وهي أقرب .

(٤) كذا في الأصول . وفي الدرر أنه مات قبل الأربعين .

ولم يزل مُعظماً يحبه أهل دمشق ، ويُحسن هو إليهم إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى القاهرة في شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وولاّه الصعيد ، فدخل يوماً إلى ديوان الإنشاء بقلعة الجبل لإلفه بأهل دمشق ، وقعد عندنا يسيراً يتحدث ويذكر دمشق ، فجاء إليه إنسان من عند بعض الخاصكية يقول : هذا يكون في خدمتك ، يُصلّي بك ويؤذّن ويقرأ . يُشير إلى فقيه[1] معه . فقال : سلّم على الأمير ، وقل له : أنا ما أروح إلى الصعيد مُسْلماً ، فضلاً عن أني أُصَلّي . فأخذنا منه ذلك على عادة بسطه وتنديبه . فما كان إلا أن راح إلى الصعيد ، وحطّ يده والسيف . فوسّط وسمّر وشنق ، وسفك الدماء ، إلى أن نُقل إلى ولاية القاهرة في سادس عشري جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان الحال في هذه الولاية أشق . أول ولاية بالقاهرة[2] قطع على ما قيل خمسين يدا غير الأرجل ، وزاد في ذلك ، ودخل مع القاضي شرف الدين النشو وأحبه [وأخذا][3] أرواح جماعة من الكُتّاب .

وولّى السلطان ابنه الأمير ناصر الدين محمداً مصر ، وأضاف الحسبة في الخبز إلى الأمير علاء الدين في أيام الغلاء ، لكنه ساس ذلك سياسة جيدة . وأظنه تولى القاهرة بعد سيف الدين بلبان الحسامي ، بعدما نُقل إلى نيابة دمياط .

١١٤٦ ـ علي بن الحسن بن علي*

الشيخ نور الدين أبو الحسن الأرموي الشافعي ، شيخ خانقاه القاضي كريم الدين .

سمع من الفخر بن البخاري وغيره .

(١) في (أ) : « فقير » .
(٢) في (ز) : « القاهرة » ، وهي أشبه .
(٣) زيادة من (أ) ، (ز) ، يقتضيها السّياق .
* الدرر : ٣٩/٣ .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده بأقصر سنة اثنتين أو ثلاث وخمسين وست مئة .

علي بن حسن بن أبي الفضل*

ابن جعفر بن محمد بن كثير الحلّي .

قدم دمشق وأقام بها سنوات ، ثم إنه في يومٍ شَقّ الصفوف في الجامع الأموي ، والناس في صلاة جنازة ، وجعل يقول : لعن الله مَن ظلم آل محمد . ومِن هذا وشِبْهه ، فنبّه الشيخ عماد الدين بن كثير عليه[١] ، وقال : أمسكوه ، فإن هذا يسبّ الصحابة ، فأمسكوه وأحضروه إلى العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى فاستفهم منه عمّا يقول ، فظهر له أنه يسب أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فأمر باعتقاله .

ثم إن الناس قاموا في أمره ، ورفعوه إلى قاضي القضاة جمال الدين المسلاّتي المالكي ، فضربه ثلاثة أيام بالسياط ، ويأمره بالتوبة ، وهو مصرٌّ ، ثم إن الناس حملوه إلى دار العدل بين يدي النائب ، فأمره بالتوبة هو والقضاة ، وهو مصرّ ، ثم إن نائب القاضي المالكي حكم بضرب عنقه ، فتوجه الناس [به] إلى [سوق][٢] الخيل ، وتوجه بعض الناس يشاور عليه ، فجاء بعض الجند ، وضرب عنقه ، وأخذ رأسه ، ولعب الجند به الكرة في سوق الخيل ، ثم إن العوام أحرقوا جسده بالنار ، وطيف برأسه بعد ذلك في أسواق دمشق . وكان ذلك في يوم الخميس عشري جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

---

* البداية والنهاية : ٢٥٠/١٤ ، وفيه : « ابن حسين » ، والدرر : ٤٠/٣ ، وذيول العبر : ٢٩٥ ، وسمّاه : « حسين بن عبد الله » .

(١) انظر في تفصيل ذلك ما ورد عن ابن كثير في البداية والنهاية عند ترجمته .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ز) .

١١٤٨ ـ علي بن حسن بن صبح*

الأمير علاء الدين ، أحد الأمراء بدمشق .

صحب الأفرم وداخله ، ولما قفز [الأمراء وتركوا][1] الأفرم وحده ، ولم يبق عنده أحد من الأمراء إلاّ مَنْ هُوَ مَنْ خَواصّه ، ولا مَن هو بعيد عنه ، أخذه علاء الدين بن صبح ، وتوجّه به إلى الشقيف .

ولما دخل السلطان إلى دمشق كتب لهما أماناً ، فحضر إليه ، ثم إنه أمسكه فيما بعد ، وأقام في سجن الإسكندرية إلى أن أَفْرَج السلطان عنه ، ووصل إلى دمشق يوم عيد الأضحى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

ولم يزل بدمشق مقيماً على إمرته إلى أن توجه إلى البقاع ، ومرض به .

وتوفي هناك في يوم الأربعاء سابع عشري شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وعمره سبع وأربعون سنة .

١١٤٩ ـ علي بن الحسن بن محمد بن الحسين**

القاضي الرئيس الشريف ، شرف الدين الحسيني الأرموي ثم المصري ، نقيب العلويين ووكيل بيت المال بالقاهرة ، وقاضي العساكر .

حدّث عن ست الوزراء ، ودرّس بمشهد الحسين بالقاهرة ، وكان من كتّاب الإنشاء . وهو ابن عم السيد الشريف شهاب الدين الحُسين المقدّم ذكره .

وكان السيّد علاء الدين ظريف الشكل والمنظر ، دائم البشر بوجهٍ يخجل القمر إذا

---

* الدرر : ٣٨/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ز) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ ، والدرر : ٣٩/٣ ، والذيل التام : ١٥٣ ، وذيول العبر : ٣١٢ ، وفيه : « بن علي بن الحسين » . والنجوم الزاهرة : ٣٢٢/١٠ ، وفيه : « علي بن الحسين بن محمد » .

تمّ وأبدر . وله إنشاء جيد ، ونثر ما عرّج عن الحُسن ولا حاد عنه ، فإنه بالبلاغة متأيّد ، وبينه وبين الشيخ جمال الدين بن نباتةً مكاتبات راقت صدُروها وسطورها ، ولاق بالقلوب منظومُها ومنثورها .

وكان قد حَصَلَتْ له وجاهة في أيام الملك الصالح إسماعيل من جهة أم السلطان ، وساد فيها ، وعبث به ابن عمه الشريف شهاب الدين بما كُتب على الحيطان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في أكفانه مُدْرجا ، وانقطع أملُ مَنْ أمّ له ورجا .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سنة سبع وخمسين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٠ ـ علي بن الحسين بن قاسم بن منصور بن علي*

الشيخ الإمام العالم الفاضل العلاّمة المتبحّر الْمُفْتَنّ الأصولي الفقيه النحوي ، الكامل زين الدين أبو الحسن ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ زين الدين بن العُوينة الموصلّي الشافعي .

كان حسن الشكاله ، ظاهر الجلاله ، نيرَّ المحيّا ، يُشبهه البدرُ لو تمّ له ذلك أو تَهَيّا ، أحمر الوجنه ، رؤية البدر[1] معها هُجْنه ، نقيّ الشيب ، بريئاً من العيب ، طاهر الذيل عاطرَ الحبيب ، فكِه المحاضرة مأمون الغَيب ، خالياً من الشبهة والرَّيب ، حالياً بمواهبِ الفوائد التي ما يذكر معها للغمائم سَيْب .

فقيه إذا قلت فقيه ، يبهر علمه وبحثه[2] كلَّ مَن يلتقف فضله[3] أو يلتقيه ،

* الوافي : ٥٢/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٣٢٦/١ ، والدرر : ٤٣/٣ ، والنجوم : ٩٧/١٠ ، والذيل التام : ١٤ ، والبغية : ١٦١/٢ ، والشذرات : ١٧٨/٦ .

(١) في (خ) : « الورد » .

(٢) في (خ) : « علمه وفضله وبحثه » .

(٣) في (أ) : « لفظه » ، وهي أقرب .

أصولي مدّ أطناب الإطناب في شرح (المختصر) ، وقام بأعباء هذا العلم وجالد لمّا جادل وانتصر .

مفسّر غير مقصّر ، بليغٌ إذا تفوه ألهى[١] بعذوبة نطقه عن العُذَيب ووادي مُحَسِّر[٢] .

نحوي حلّ ما في (التسهيل) من التعقيد ، وأوضح غوامِضَهُ فأغمض ناظر الناظر فيه بعد ما كان يعالج التسهيد .

ورياضيٌّ أخذ جُمَل محاسنه بلاحساب ، وقرّب بعيد هذا الفنِّ وسهّل الاكتساب .

وناظم أدار قوافيه كؤوساً[٣] على الألباب وأنسى المتيمين بأغزاله ذكرى المنازل والأحباب[٤] .

نَبّه[٥] به جماعة من الأعيان ، وتخرج به طائفة من أولي الفهم والأذهان .

ولم يزل يُفيد ، ويُبدي البدائع في البدائة[٦] ويعيد إلى أن أتى سيل المنية على ابن شيخ العونية ، واستوفى أجلُه مِنْهُ دَيْنَه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالمَوْصل ، وصلّي عليه في مارَدين غائباً في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

وسألته عن مولده ، فقال : بالموصل ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وثمانين وست مئة .

---

(١) في الأصل : « ألغى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) موضع ما بين منى وعرفة ، وقيل : بين منى والمزدلفة ، (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « إذا دقوا كوسا » ، وفيها تحريف وسقط .

(٤) في الأصل : « والأحساب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (أ) ، (خ) : « تنبه » .

(٦) في (خ) : « ويبدي البدائه في البدائع » .

اجتمعت به في دمشق بالمدرسة القليجية جوار دار الذهب في شهر شوال سنة خمسين وسبع مئة ، وقد ورد للحج إلى دمشق صحبة بنت صاحب ماردين ، فرأيت منه حَبْراً[(١)] كامل الفوائد ، وبحراً لا تبخل أمواجه بإلقاء الفرائد . وكتبت إليه بعد ذلك سؤالاً نظمته قديماً[(٢)] ، وهو :

ألا إنما القرآنُ أكبرُ مُعْجِزٍ ... لأفضل مَن يُهْدَى به الثَّقَلان
ومن جملة الإعجاز كونُ اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبَسْطٍ معان
ولكنني في (الكهف) أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عناني
وما ذاك إلا «استطعما أهلها» فقد ... نرى «استطعماهم» مِثْلَهُ ببيان
فما الحكمة الغرّاء في وضع ظاهر ... مكانَ ضمير إن ذاك لشان

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

سألتَ لماذا «استطعما أهلها» أتى[(٣)] ... عن «استطعماهم» إن ذاك لشان
وفيه اختصارٌ ليس ثَمَّ ولم تقف ... على سبب الرّجْحان منذُ زمان
فهاك جواباً رافعاً لنقابه ... يصير به المعنى كرأي عيان
إذا ما استوى الحالان في الحكم رُجّح الضمير، وأما حين يختلفان
فإن كان في التصريح إظهار حكمة ... لرفعة شان أو حقارة جان[(٤)]
كمثل أمير المؤمنين يقول: ذا ... وما نحن فيه، صرّحوا بأمان[(٥)]
وهذا على الإيجاز واللفظ جاء في ... جوابي منثوراً بحُسْنِ بيان

---

(١) في (خ) : « خيراً » ، تصحيف .

(٢) عبارة الوافي : « وكتبت إليه لمّا قدم إلى دمشق متوجّهاً إلى الحجاز سنة خمسين وسبع مئة سؤالاً كنت كتبته إلى الشيخ نجم الدين داود بن علي القحفازي » .

(٣) في الأصل : « إني » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بأن كان ... كرفعة » .

(٥) في الوافي : « صوّحوا » .

فلا تمتحن بالنظم مِنْ بعدُ عالما ... فليس لكلٍّ بالقريض يدان
وقد قيل إن الشعر يُزري بهم فلا ... تكاد ترى من سابق برهان
ولا تَنْسَني عند الدعاء فإنني ... سأُبدي مزاياكم بكل مكان
وأستغفر الله العظيم لما طغى ... به قلمي أو طال فيه لساني

والجواب المبسوط بالنثر، فهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل بعض الفضلاء عن الحكمة في ﴿ استطعما أهلها ﴾[1] دون « فاستطعماهم » مع أنه أَخْصَر ؟

والجواب : قلت ، والله الموفق : إنه لمّا كانت الألفاظ تابعة للمعاني ، لم يتحتم الإضمار ، بل قد يكون التصريح أولى ، بل ربّما يكاد يصل إلى حدّ الوجوب ، كما سنبين إن شاء الله تعالى ، ويدل على الأوليّة قول أرباب علم البيان ما هذا ملخّصه : لمّا كان للتصريح عَمَل ليس للكناية ، كان لإعادة اللفظ من الحسن والبهجة والفخامة ما ليس لرجوع الضمير ، انتهى كلامهم .

فقد يُعدل إلى التصريح إما للتعظيم وإما للتحقير وإما للتشنيع والنداء بقبح الفعل ، وإما لغيرهم ، فمن التعظيم قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ☆ الله الصمد ﴾[2] دون « هو » . وقوله تعالى : ﴿ وبالحقِّ أَنْزَلْنَاهُ وبالحقّ نَزَل ﴾[3] ولم يقل « وبه » . وقوله : ﴿ الحجُّ أشهرٌ مَعْلُوماتٌ ، فَمَنْ فَرض فيهن الحجَّ فلا رَفَثَ ولا فُسُوق وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾[4] فقد كُرِّرَ لفظُ الحجّ مرتين دون أن يقال : « فمن فرضه فيهن ،

(١) الذي في التنزيل : ﴿ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما ﴾ [الكهف : ٧٧/١٨] .
(٢) الإخلاص : ١/١١٢ ـ ٢ .
(٣) الإسراء : ١٠٥/١٧ .
(٤) البقرة : ١٩٧/٢ .

ولا جدال فيه » ، إعلاماً بعظمة قَدْرِ الحجّ ، وعبادته[١] ، من حيث إنها فريضة العمر ، وفيها شبه عظيم بحال الموت والبعث ، فناسب حالُ تعظيمه في القلوب [التصريح][٢] باسمه ثلاث مرّات .

ومنه قول الخليفة « أمير المؤمنين : يَرْسُم بكذا » دون « أنا » ، إما لتعظيم ذلك الأمر أو لتقوية داعية المأمور أو نحوهما .

وقول الشاعر :[٣]

نَفْسُ عصامٍ سوّدت عِصاما

وقول أبي تمام :

قَدْ طَلَبْنَا فلم نجد لك في السّؤ دد والمجد والمكارم مِثْلاَ

[فإنّ إيقاع الطلب على المثل أوقعُ من إيقاعه على ضميره لو قال : طلبنا لك مِثْلاً فلم نجده][٤] .

وقول بعض أهل العصر :

إذا بَرَقت يوماً أَسِرّةُ وَجْهه على الناس قال الناس جَلَّ المنّورُ

وأما ما يكاد يصل إلى حد الوجوب ، فمثل قوله تعالى : ﴿ يا أيّها النبيّ إنّا أحْلَلْنا

---

(١) اضطربت عبارة المطبوع من الوافي ههنا .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) وبعده :

وعلّمَتْهُ الكَرَّ والإقداما

وعصام هو : عصام بن شهبر حاجب النعمان بن المنذر .

انظر : مجمع الأمثال : ٣٣١/٢ ، واللسان (عصم) .

(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

لك أزواجك ﴾ إلى قوله : ﴿ وامرأةً مؤمنـةً إنْ وَهَبَتْ نفسهـا للنبي ، إن أراد النبي أن يَسْتنكحها ﴾[١] عدل[٢] عن الإضمار إلى التصريح ، وكرر اسمه - ﷺ - تنبيهاً على أن تخصيصه - ﷺ - بهذا الحكم - أعني النكاحَ بالهبة - عن سائر الناس ، لمكان النبوة ، وكرر اسمه - ﷺ - تنبيها على عظمة شأنه وجلالة قدره ، إشارة إلى علّـةِ التخصيص وهي النبوّة .

ومن التحقير : ﴿ فَبـدَّلَ الَّـذين ظَلَمُـوا مِنهُمْ قَـولاً غَيْرَ الَّـذِي قِيـل لَهُمْ ﴾[٣] ﴿ فأَنزلنـا على الـذين ظلموا ﴾[٤] ، دون : « عليهم » ، ﴿ وقـالوا قلوبنـا غُلْفٌ ، بَلْ لَعَنهم الله بكفرهم ﴾[٥] أُضمر هنا ، ثم لمّا أراد[٦] المبالغة في ذمّهم صّرح في الآية الثانية والثالثة بكفره فقيل ﴿ لَعْنَـةُ الله على الكافرين ﴾[٧] ﴿وللكافرين عـذاب مَهين ﴾[٨] .

وأمثاله كثير ، فإذا تقرر هذا الأصل ، فنقول : لمّا كان أهل هذه القرية موصوفين بالشحّ الغالب واللؤم اللازب بدليل قوله - ﷺ - « كانوا أهل قرية لئاماً »[٩] وقد صدر منهم بحق هذين العبدين الكريمين على الله ما صدر من المنع بعد السؤال ، كانوا حقيقين بالنداء[١٠] عليهم بسوء الصنع ، فناسب ذلك التصريح باسمهم ، لما في لفظ

---

(١) الأحزاب : ٥٠/٣٣ .
(٢) في الوافي : « إن عدل » ، ولا وجه لـ (إن) ههنا .
(٣) الأعراف : ١٦٢/٧ .
(٤) البقرة : ١٥٩/٢ .
(٥) البقرة : ٨٨/٢ .
(٦) في الوافي : « أريد » .
(٧) البقرة : ٨٩/٢ .
(٨) البقرة : ٩٠/٢ .
(٩) مسند أحمد : ١٢١/٥ .
(١٠) قوله : « بالنداء » ، ليس في الوافي .

الأهل من الدلالة على الكثرة[١] مع حرمان هذين الفقيرين من خيرهم[٢] مع استطعامهما إياهم ، ولما دلّ عليه حالهم مِن كَدَر قلوبهم وعمى بصائرهم ، حيث لم يتفرّسوا فيهما ما تفرّسه صاحب السفينة في قوله : أرى وجوه الأنبياء .

هذا ما يتعلّق بالمعنى ، وأما ما يتعلق باللفظ ، فلما في جمع الضميرين في كلمة واحدة من استثقال ، فلهذا كان قليلاً في القرآن المجيد . وأما قوله تعالى : ﴿ فَسَيَكفيَكَهم الله ﴾[٣] وقوله : ﴿ أَنُلْزِمُكُموها ﴾[٤] فإنه ليس من هذا القبيل ، لأنه عدول عن الانفصال إلى الاتصال الذي هو أخصر ، وعند فكّ الضمير لا يؤدي إلى التصريح باسم ظاهر ، بل يقال : « فسيكفيك إيّاهم الله » ، و « أنلزمكم إياها » ، فكان الاتصال أولى ، لأنه أخصر ، ومؤداهما واحد ، بخلاف مسألتنا .

ثم هنا سؤالات[٥] ، فالأول : ما الفرق بين الاستطعام والضيافة ؟ فإن قلت : إنهما بمعنى ، قلت : فلِمَ خصصهما بالاستطعام ، والأهل بالضيافة ؟

والثاني : فلِمَ قيل ﴿ فأبوا أن ﴾ ، دون « فلم » ، مع أنه أخصر ؟

والثالث : لِمَ قيل ﴿ أتيا أهل قرية ﴾ ، دون « أتيا قرية » ، والعُرْفُ بخلافة ؟ تقول : « أتيت الكوفة »[٦] دون « أهل الكوفة » ، كما قال تعالى : ﴿ ادخلوا مصر ﴾[٧] .

والجواب عن الأول : أن الاستطعام وظيفة السائل ، والضيافة وظيفة المسؤول

(١) في الوافي : « الكره » ، تحريف .
(٢) في الوافي : « خير لهم » .
(٣) البقرة : ١٣٧/٢ .
(٤) هود : ٢٨/١١ .
(٥) في الأصل : « سؤالان » ، تصحيف .
(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « أتيت إلى الكوفة » .
(٧) يوسف : ٩٩/١٢ .

لأن العُرف يقضي بذلك ، فيدعو المقيمُ إلى منزلـه القـادمَ ، يسـألـه ويحملـه إلى منزلـه . وعن الثـاني : أن في الإبـاء من قوة المنـع مـا ليس في « فلم » ، لأنهـا تقلب المضـارع إلى الماضي وتنفيـه[١] ، فلا يـدلُّ على أنهم لم يضيّفوهم في الاستقبـال ، بخلاف الإبـاء المقرون « بأنْ » ، فإنه يدل على النفي مطلقاً ، وآيتـه : ﴿ ويـأبى الله إلاّ أن يتم نوره ﴾[٢] أي حالا واستقبالا .

وعن الثالث : أنه مبنيّ على أن مسمّى القرية ماذا ؟ أهو الجدران وأهلها معاً حـال كونهم فيها ؟ أم هي فقـط ، أم هم فقـط ؟ والظـاهر عنـدي أنـه لم يطلق عليهـا[٣] مع قطع النظر إلى وجود أهلها وعـدمهم بـدليل قولـه تعـالى : ﴿ أو كالـذي مرّ على قريـة وهي خاوية على عروشها ﴾[٤] سمّاها قرية ، ولا أهل ولا جدارَ قـائمـاً ، ولعـدم تنـاول لفظ[٥] القرية إياهم في البيع إذا كانت القرية وأهلها مُلكاً للبائع ، وهم فيهـا[٦] حـالـة البيع ، ولو كان الأهل داخلين في مسمّـاهـا لـدخلوا في البيع ، ولثبـوت المغـايرة[٧] بين المضاف والمضاف إليـه ، وإنمـا ذكر الأهل لأنهم[٨] المقصود من سـابق[٩] الكلام ، دون الجدران ، لأنه بمعرض حكاية ما وقع منهم من اللؤم .

فإن قلت : فما تصنع بقوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا من قريـة بَطِرت معيشتهـا ﴾[١٠] ﴿ وكم من قرية أهلكناها ، فجاءهـا بـأسنـا بيـاتـاً أوهم قـائلون ﴾ ﴿ وضرب الله مثلاً

(١) في الوافي : « وسفيه » !
(٢) التوبة : ٩/٣٢ .
(٣) في الأصل : « عليهما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) البقرة : ٢/٢٥٩ .
(٥) في الأصل : « اللفظ » ، غلط ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٦) في الأصل : « ههنا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٧) في الوافي : « ولبدت المعايرة » ! .
(٨) في الوافي : « لأنّه هو » .
(٩) في الوافي : « سياق » .
(١٠) القصص : ٢٨/٥٨ .

قريـة كانت آمنـة ﴾[1] إلى آخره ﴿ واســأل القريــة ﴾ فـإن المراد في هــذه الآيــات [وأمثالها][2] الأهل والجدران ؟

قلت : هو من بـاب المجـاز بـالقرينـة ، لأن الإهـلاك[3] إنّما يُنْسَب إليهم دونهـا ، بـدليـل ﴿ أوهم قـائلـون ﴾ فـأذاقهـا الله لبــاسَ الجـوع والخـوف وبطرت معيشتهــا ، ولاستحـالـة السؤال من غير الأهل . على أنّـا نقول : لو تُصوّر وقـوعُ الهـلاك على نفس القرية بالخسف والحريق والغريق[4] ونحوه ، لم تتعيّن الحقيقة ، لما ذكرناه .

وهذه عجالة الوقت ، ونحن على جناح السفر .

هذا صورة ما كتب به إلى الشيخ [زين الدين رحمه الله تعالى ، وقـد كنت كتبتُ هذا السؤال للشيخ][5] الإمام العلامة نجم الـدين علي بن داود القحفـازي وأجـاب عنـه بجواب يأتي إن شاء الله في ترجمته .

وأجـاب عنـه العلاّمـة قـاضي القضـاة تقي الـدين السبكي ـ رحمـه الله تعـالى ـ يجيء في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وقرأ الشيـخ زين الـدين القرآن ببغــداد على الشيـخ عبــد الله الـواسطي الضرير لعـاصم[6] من طريـق أبي بكر[7] . وشَرَحَ (الشـاطبيــة) على الشيـخ شمس الــدين بن الورّاق المـوصلي[8] ، وحفـظ (الحـاوي الصغير) ، و (شرحـه) على أقضى القضـاة عز

(١) النحل : ١٦/١١٢ .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٣) في الأصل : « الأهل » ، تحريف . وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في (خ) : « الغرق » .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٦) ابن بهدلة أبي النجود الكوفي (ت١٢٧ هـ) ، غاية النهاية : ١/٣٤٦ .
(٧) شعبة بن عياش بن سالم ، راوي عاصم (ت١٩٣ هـ) ، غاية النهاية : ١/٣٢٥ .
(٨) محمد بن علي بن أبي القاسم (ت٧٢٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

الدين أبي السعادات عبد العزيز بن عَدِي البلدي[١] ، و (شرحه) أيضاً على السيد ركن الدين[٢] . وقرأ (مختصرات ابن الحاجب) ، وشرحه على السيد ركن الدين أيضاً .

وقرأ أصول الدين والمعقولات على السيد ركن الدين أيضاً ، وقرأ (ألفيّة ابن مُعْط) على الشيخ شمس الدين المعيد المعروف بابن عائشة[٣] .

وقرأ (اللمع) أيضاً لابن جنّي ببغداد على مهذّب الدين النحوي ، وعلى شمس الدين الحَجَري ـ بفتح الحاء والجيم ـ[٤] التبريزي مدّرس العربية في المستنصرية .

وقرأ الحساب على القاضي[٥] عز الدين المذكور آنفاً ، وقرأ عليه الطبّ أيضاً .

وأجاز له جماعة ، منهم الشيخ تاج الدين بن بُلدجي الحنفي ، وسمع عليه بعض (جامع الأصول) لابن الأثير ، وكان يرويه عن ابن الحامض عن المصنّف ، وسمع أكثر (شرح[٦] السّنة) على الشيخ تاج الدين [عبد الله][٧] بن المعافى ، وأجاز له الشيخ شمس الدين بن الوراق الحنبلي .

وقدم إلى دمشق سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وسمع على الشيخ جمال[٨] الدين المِزّي (صحيح البخاري) والترمذي و (مسند الشافعي) ، وأجزاء كثيرة . وعلى

---

(١) لم نقف على ترجمته .

(٢) الحسن بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) لم نقف على ترجمته .

(٤) في الدرر : « بفتح الحاء وسكون الجيم » ، وسمّاه : « محمد بن فضل الله » .

(٥) في الأصل : « الشيخ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « الشيوخ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وشرح السنة للبغوي ، وهو مطبوع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٨) في (أ) : « شمس » .

الشيخ شمس الدين السّلاوي (صحيح مُسْلم) ، وعلى الشيخ زين الدين بن تيمية[(١)] [سنن][(٢)] النسائي ، وعلى الشيخ شمس الدين الذهبي (سنن ابن ماجة) ، وسمع على الشيخ شمس الدين بن النقيب قاضي حلب بعض (سنن الدارقطني) ، وأجازه الباقي . وسمع على الشيخ علم الدين البرزالي كتاب (علوم الحديث) لابن الصّلاح[(٣)] .

وأجازه الشيخ شمس الدين محمد بن شكاره المؤدب الموصلّي (المقامات الحريرية) .

وروى مصنّفات الشيخ موفق الدين الكُواشي عن الشيخ شمس الدين بن عائشة عن السيد ركن الدين عن المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ

وله من المصنفات (تفسير بنج الحمد) ، وهو خمس سور من القرآن الكريم ، أول كل سورة : « الحمد » . و (شرح مختصر ابن الحاجب) في مجلد ، و (شرح البديع) لابن الساعاتي الحنفي[(٤)] ، و (شرح مختصر المعالَمِيْن)[(٥)] للسيد ركن الدين ، وكتاب (تنفيح الأفهام في جملة الكلام) اختصار (مقاصد السول في علم الأصول) للسيد ركن الدين ، ونظم (الحاوي الصغير) في دون الخمسة آلاف بيت ، ونظم (شرح المنظومة الأسعردية في الحساب) و (شرح التسهيل) لابن مالك ، ولم يكمل ، وشرح قصيدة في الفرائض للشيخ عبد الله الجزري . وله كتاب (عَرْف العبير في عُرْف التعبير) .

هذه الترجمة أملاها عليّ من لفظه ، وسألته عن معنى هذه التسمية ، أعني شيخ العوينة ، فقال : الشيخ زين الدين الأعلى كان من أهل الثروة والسعادة بالموصل ،

---

(١) في الوافي : « زين الدين عمر بن تيميّة التنوخي » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ) . انظر : الكشف ١١٦٢/٢ ، والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور نور الدين العتر .

(٤) الكشف : ٢٣٥/١ .

(٥) هما : (المعالم في أصول الدين) ، و (المعالم في أصول الفقه) للإمام الرازي فخر الدين .

فآثر الانقطاع والعزلة ، فآوى إلى الجبّانة بباب الميدان ظاهر الموصل ، ولا ماء لها[(١)] هناك إلا من الآبار المحفورة ، طول البير خمسون ذراعاً وستون ذراعاً وأكثر وأقل فكان الشيخ زين الدين يتوجّه في كل يوم إلى الشط ، ويملأ إبريقين ، ويحملهما ، ويجيء بهما لأجل شربه ووضوئه . فمكث على ذلك مدة ، وهو يقاسي مشقّةً لبُعد المسافة ، فلما كان في ليلة ، رأى النبي - ﷺ - أو الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يقول له : احفر لي[(٢)] عندك حفيرةً ، يظهر لك الماء ، فلما انتبه استبعد ذلك ، لأن الآبار هناك بعيدة الغور ، ولبث مدة ، فرأى تلك الرؤيا ، فاستبعد ذلك ، وقال : لو حفرت بعكاز[(٣)] طلع لك الماء . فقصّ ذلك على بعض أصحابه ، وحفر في ذلك المكان تقدير ثلاثة أذرع أو أكثر ، فأجرى الله تعالى هناك عيناً ، وهي مشهورة هناك ، فمِنْ ثمّ قيل له شيخ العوينة ، وكان من الصلحاء [الكبار][(٤)] . انتهى .

ولّما بلغتني وفاة الشيخ زين[(٥)] الدين المذكور ، قلت أنا في رثائه :

الشيخ لّما توفى ... وقدّر الله حَيْنَهْ
سالت دموعي عيونا ... على ابن شيخ العُوَيْنَه

وأنشدني الشيخ زين الدين - رحمه الله - من لفظه لنفسه ما كتب به إلى الشيخ شمس الدين الحَيالي[(٦)] :

سلام مثل أنفاس العبير ... على مَنْ حبُّه زادُ المسير
ونَهْجُ سبيله حِرْزُ الأماني ... ومصباح الهداية للبصير

(١) في (خ) : « له » ، وهذه الكلمة ليست في الوافي .
(٢) ليست في الوافي .
(٣) في الوافي : « بعكازك » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٥) في الأصل : « زكي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) محمد بن شرشيق بن محمد ، ستأتي ترجمته . وواضح في النص التورية بأسماء عدد من الكتب المشهورة .

عـوارفـــه لأهــل الكَشْفَ قُـوت وإحيـــــــاء لعلَمهم الغــــزيرِ
إشـارتُـــه النجّـــاةُ لمن وعـــاهـــا ومَنْطِقُـــه شفـــاءٌ للصـــدور
تحيـــــة مَنْ ذَريعتُـــــه إليـــــه خـلاصـــة نيّـــةٍ وصفــــا ضمير
وفي جُمـــلِ الفصـــول لـــــه مثيرٌ إلى المقصـورِ في تلـــك القُصـــور
ولـــو واتــــــاه تيسيرٌ وفـــوزٌ بتكميـل المقـــــاصـــد والسرور
وقـــابـل سرّه وجـــهُ التهـــاني ولاح طـــوالـــع السعــــد المنير[١]
سعى ورمى جمـــار البعـــد عنـــه وطـــــاف بكعبـــــة الحرم الخطير
ولم يقنـــــع بتحفـــــةِ بنت فكر ولا اعتـاض السطـور عن الحضـور[٢]

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح سيدنا رسول الله - ﷺ - بـالحرم الشريف في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة :

دَعـاهـا تـواصل سيرهـا بسُرَاهـا ولا تَرْدَعـاهـا فـالغرامُ دَعـاهـا
ولا تخشيـا منهـا كَلالاً من السُّرى وحقكُما إن الكـلالَ عَــــداهـــا
فـإنْ مـلّ حـاديهـا وحـارَ دليلُهـا هَـداهـا إلى تلـك القِبـاب سَنـاهـا
عسى ينقضي في مَسْجـد الخيف خَوْفها وتلقى مُنـاهـا في نـزولِ منـاهـا
وتَجرْع من مـــاء الأُجَيْرِع شَرْبَـــةً وتنقـعُ مِن حَرّ الـذميـل صـداهـا
متى مـــــا تخللتِ النخيـــلَ بيثرب بهـا[٣] عَـدِمَت تثريبهـا وعَنـاهـا
ولم يبـق من أكـوارهـا في ظهـورهـا ظهـورٌ إذا مـا بطنُ مَرّ حـواهـا[٤]
إليـــك رسـول الله سعيُ عصـابـــة تعدّ خطاهـا فيـك مَحْوَ خَطـاهـا[٥]

---

(١) في الوافي : « وقائل » .

(٢) في الأصل و (خ) : « بيت » تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) بطن قر : من نواحي مكّة . (معجم البلدان) .

(٥) في الأصل : « تجد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

أتت وقِراهـا مُـوْقَرٌ بـذنـوبهـا ... فـأحسِنْ كعـادات الكرام قِراهـا
وليس لهـا عنـد الإلـه وسيلـةٌ ... سـواك إذا مـا النـار شَبَّ لظـاهـا[(١)]

وأنشدني من لفظه ما كتبه لصاحب ماردين ، يودّعه ، وقد توجّه للحج سنة خمسين وسبع مئة :

ودّعتكم وتركت قلبي عنـدكم ... ورحلت بـالمخلـوق مِنْ صَلْصَـال
فـالقلب في الفِرْدَوس يشهـد حُسْنكم ... والجسم في نـار التفرّق صـال[(٢)]

ومن شعره أيضاً يمدح صاحب ماردين :

إلهي إنَّ الصـالـحَ المصلـح الـذي ... بـدا عـزّه في آل أرتـقَ يَـزهر[(٣)]
وألبستَـهُ مِنْ نـور وجهـك حلّـةً ... تكاد لأبصـار الخـلائـق تَبْهَر
إذا بَرقت يـومـاً أسِرّةُ وَجْهـه ... على النـاس قـال النـاس جَلّ المنـوّر
وقـالوا كما قـالت صـواحبُ يـوسفٍ: ... أَذَا مَلـك أم آدميٌّ مُصَـوَّر
يـؤمِّـل أن يـدعـوك ظنـاً بـأنني ... لـديـك وجيـهٌ مستجـاب مـوقّر[(٤)]
إلهي فـلا تخلف بي الظنَّ عنـده ... وإن لم أكن أهـلاً فحلمُـك يَسْتُر
وهـذي يـدي مرفـوعـةٌ بتضرّع ... فيسّر عليـه كلَّ مـا يتعسّر
وآمِنْـهُ من خـوف فقـد أَمِنَ الـورى ... بهيبتـه ممـا يُخـاف ويُحـذَرُ
وأحسنْ لـه العقبى وبلّغه بيتـك الـ ... ـحرامَ على وجـه يُحبّ ويـؤثر[(٥)]
وحُـطْ مُلْكَـهُ حتى يـؤوب مسلّما ... وقـد حُطّت الأوزار وهـو مطهّر
فما في اعتقـادي في السلاطين مثلُه ... وأنت بمـا يُخْفِي ويُعْلَنُ أخبر

(١) في الأصل : « شبت » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) في (خ) : « من نار » .
(٣) في (أ) ، (خ) : « غرَّة تزهر » ، وفي الوافي : « عزَّة تزهر » .
(٤) في (أ) ، (خ) : « نؤمل ... ندعوك » ، وفي الوافي : « أدعوك » .
(٥) في الوافي : « تحب وتؤثر » .

فإن لم يكن فاجعلْهُ حيثُ ظننته فأنت على قلب الحقائق أقدر

١١٥١ ـ علي [بن] الحسين بن علي بن بشارة*

الفاضل علاء الدين أبو الحسن الشِّبْلي ، بالشين المعجمة والباء الموحدة واللام ، الدمشقي الحنفي .

سمع كثيراً من اليونيني ، وسمع بنفسه ، وكتب ، وأعاد ، وتأهّل للإفتاء .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة تسعين وست مئة في غالب الظن .

وولي إعادة المدرسة الشبليّة . قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمع معنا كثيراً ، ورافقته[1] في الحج ـ رحمه الله تعالى ـ .

١١٥٢ ـ علي بن الحسين بن محمد بن عدنان**

السيد الشريف علاء الدين بن الشريف زين الدين بن الشريف محيي الدين بن أبي الجن الحسيني .

كان أوّلاً خليعا ، ظريفاً خريعا ، فيه دماثة أخلاق ، وسَعةُ صَدْرٍ في حالتي يُسْرٍ وإملاق . قل أن يُرى إلاّ وهو يضحك ، ولسلامة صدره يَعْتقد وُدَّك ونُصْحَك . وكان الناس يتطفّلون على عِشْرَته ، ويعتقدون وُدَّه لعدم شِرّته ، ولم يكن في باطنه حقد ، وخَيْرُه دون شرّه نقْد . إلا أنّه لسلامة باطنه يتظاهر بمذهب الاعتزال ، وإذا أنكرنا عليه حاله في الوقت زال . ومع ذلك فكان عامّياً خالياً من العلم ، قد مُلئ باطنه وظاهره من الحلم .

---

* الوافي : ٦٢/٢١ ، والدرر : ٤١/٣ ، والدارس : ٤١٢/١ .

(١) في الأصل : « ورفقته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

** الدرر : ٤٦/٣ ، وذيول العبر : ٢٥٧ .

ولم يزل على حاله إلى أن طَفِئَت شعلته[١] ، وراح إلى الله تعالى ومعه نِحْلَته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سلخ شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد ابتلي بحمّى الربع وطالت به مدّة سنتين ، ثم إنه راح إلى الربوة ، وأكل سمكاً [ولبناً][٢] ، وربما أنّه نزل في النهر ، فمات ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان أوّلاً بيده شهادة المواريث الحُشرية ، وله فيها أخبار[٣] .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنقابة الأشراف بدمشق في شهر رجب الفرد سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

الحمد لله الذي زان أشراف هذه الأمة بعَليِّها ، وجَعَلهُ من الذُرّية المنسوبة إلى نَبيّها ، ورفع شأنها إلى رُتَب تحفّ الملائكة بناديّها والملوك بنَديِّها ، وقَمع مَن شانَها برفعِ لوائها في آفاق الفخار إلى غاية لا يترجّل عُلْوي عن علوّيها ، نحمده على نِعَمِه التي لا تزال تجود وليّها بجود وليِّها ، ومِنَنِه التي طاب عَرْفُ ريّاها[٤] ، وطار عُرف رِيِّها ، وأياديه التي بَلَّغت النفوسَ آمالها بماليها[٥] خيراً ومَليّها ، وعوارفه التي نأت عن لحاق الشكر فما نجد عبارة ، وفيها حقّ وفيّها .

ونشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادةً يلمع الإيمان من محيّا ألمعيِّها ، وتميس أعطافُ قائلها تحت اللواء المعقود في حُلاَها وحُلِيِّها ، وتَردِ نفس معتقديها الحوض المورود ، فتبلّ غلّتها بشهيّ كَوْثريِّها .

---

(١) في (خ) : « شِرّته » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « إشارة » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٤) في الأصل : « رباها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) مخففة من « مالئها » .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده[(١)] الذي ابتعثه من سادة لم يَلْوِ المجد عن لُؤَيِّها ، ولا أقصى الله المحامد عن قُصَيِّها ، ورسوله الذي انتخبه من أنجابٍ كَمْ انجاب الظلام بسنا السنان من سمهريها وحَفيّه الذي انتقاه من أمجادٍ لم تستقم طرق النجابة حتى شقّها سُنبك أعوجيِّها . صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الذين هم خير جماعةٍ ، رَكِبَتْ إلى الشرف مطامطيِّها ، وأعزّ فئة لم تُخْطِ غرضَ الصوّاب سهامُ قِسيِّها ، وأفضل زمرة تُفَرّق الأبطال إذا انحسر فوْق[(٢)] كَميّها ، وأشرف سادة عاد غنيّها على فقيرها ، وعاذ[(٣)] فقيرها بغنيّها .

صلاة ترفل الأقلام من الطروس في سُندسيِّها ، وتبسم شفاه الطروس اللُّعْس عن جوهريّ كَلِمها ولؤلؤيّها ، وشرّف ومجدّ وكرّم .

وبعد ، فإن أَوْلى النسب بأن ترعى له الأقلامُ حُدودا ، وترفعه إلى غاية تُعْقَدُ له على السّماك ألويةً [تخفق عذباتُها][(٤)] وبُنُودا ، وتُودِعُ في غابٍ متى دخله دعيّ داخله[(٥)] الخوف مما ملئ أساود[(٦)] وأسودا ، وينتهي إلى مَحَلٍّ إذا سَرَحتِ العيونُ في أفيائه « لم تَلْقَ إلاّ نِعْمةً وحَسُودا » :

نَسَبٌ كأن عليه مِنْ شَمْس الضُّحَى نُوْرا ومن فَلَق الصَّباح عَمُودا

فهو بيت النبوّة الذي أذهب الله عنه الرِّجْسَ وطهَّره ، وأعلاه على كل ذي شرف باذخ ، وأظهره[(٧)] ، وفَرْعُه من شجرة أصْلُها ثابت من أبي القاسم ، كما حَرّره[(٨)] النقل

(١) في الأصل و (خ) : « عبده ورسوله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) ، وهو الصحيح بدليل ما سيأتي .
(٢) في الأصل : « فوق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) في الأصل و (أ) و (خ) : « عاد » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ز) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « دخله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٦) في الأصل : « أساور » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٧) في الأصل : « أو ظهره » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٨) في (أ) : « حرّرها » .

والنقد ، وحَبِّره ، وفرعها في السماء[١] ، تتشعّب غصونه من البتول وحَيْدَره ، ولم تزل نقابة الطالبيّين تُسَاهِمُهم الخلافةُ العباسيةُ في المناصب ، وتزاحمهم[٢] في كواكب المواكب بالمناكب ، وتُشركهم في كل عقد وحلّ ، وتجاذبهم سقيا رياضهم بكل وابل وطلّ ، وقد قال الشريف الرضي للطائِع ، ومااستحيا : مهلاً أمير المؤمنين فإننا لم نَتَفرَّق في درجة العَلْيا[٣] .

ولمّا خلت الآن هذه الوظيفة السَّنِيّة ، والرتبة العَليّة العلويّة ، من النقيب عماد الدين موسى بن جعفر ، قدّس الله روحه تطاول كلّ عُرابةٍ لِتَلَقي رايةِ مَجْدِها بيمينه[٤] ، ونظر بعين صَلَفه ، وخطر بعِطْفِ شَرَفه ، وشمم عِرنينه ، واحتاجت[٥] العصبة الطاهرة ، والأَنْجُم[٦] التي كلٌّ منها نَيِّر فكلّها بحمد الله تعالى زاهِرة إلى مَنْ يَسُدُّ مَسدّه ، ويبلغ أشدَّهُ الذي لا يبلغ الوصفُ حَدَّه أجمعوا رأيهم على مَنْ عَقَدوا عليه الخناصر ، وحكموا بأنه الأحقُّ لِما حواه من كرم الأصول ، وطِيب العناصر ، واتفقت كلمتُهم عليه بمجلس الحكم العزيز الشافعي زاده الله علّواً ، وأفاد أحكامه رفعة وسمواً ، وقال لسان حاله لمّا ولي :

لا سَيْفَ إلاّ ذو الفقار ولا فتى إلاّ عليّ

ولمّا كان الجناب العالي الأميري العلائي أدام الله عِزي شَرَفه ، ونَفع ببركةِ سَلَفِه هو الذي أسرّ القلمُ ضميره ، وحكم الفكرُ فيه بصفاء السريرة ، وأشارت الصفات إليه ،

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كشجرة طيّبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ إبراهيم : ٢٤/١٤ .
(٢) في الأصل : « وتزاحم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) أصله :
مهلاً أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
(٤) يشير إلى بيت الشماخ المشهور ، وقد سلف أن ضمّن معناه غير مرّة .
(٥) في (خ) : « احتاجت » .
(٦) في الأصل : « والنجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكادت سماته الصادقة تدلّ الرائد عليه . فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ، ولا زال الشرف بأوامره المطاعة يزيد علاء ، ويفوق على مدى الأيام سَناً وسَناء أن يفوّض إليه نقابة الطالبيّين بدمشق المحروسة على عادة من تقدّمه بحكم رضى السادة الأشراف به ، لما حازَه من مفاخرة التي تَبْتَلِجُ بها الوجوه الوضاء ، ومآثره التي يترنم بها الركبان على ذات الأضاء[1] ، ومناقبه التي انساقت إليه من الحسين إلى زين العابدين إلى محمد الباقر إلى جعفر الصادق إلى موسى الكاظم إلى عليّ الرضى ، إلى محمد الجواد ، وهلمّ جرّا ، حتى انتهى صباح ذلك إليه فأسْفَر[2] بمَسَاعيه وأضَا ، ولأنه من بيت أحياه مُحْيِيه ، وزاده زَينا ، وجعل رئاسته ، أعزه الله تعالى ، في ذمّة الزمان إلى هذا الوقت دَيْنَا ، وسماه عليّاً تفاؤلاً بعُلّوه ، ولذلك جعل أوّل اسْمِه عينا ، فلْيَفْخَر بهذا النسب الذي أضحى « على هامة الجوزاء مُرْخَي الذوائب » والبيتِ الذي عَلَت شرفات شَرَفِه ، فكأنما « تحاول ثأراً عِنْدَ بَعْض الكواكب » ، والمكارم التي شرح الجُود بها التباس المذاهب ، وليجمع السادة الأشراف عليه بأحسانه ، ويُوْدع كبيرهم وصغيرهم من الحنوّ والرأفة سُرادق أجفانه ، وينشر [عليهم][3] ملاءة عارفته وعرفانه ، ويعاملهم بالبرّ والتقوى حتّى[4] يروا طرف الزمان الذي عمّه عَمَهٌ ، كيف مَنَّ اللهُ عليه بإنسانه ، وليحفظ عليهم أنسابهم المتصله ، ويضبط ماتفرّع من أغصانه[5] المتهدّله ، حتى لا تشذّ شَذْرةٌ من مكانها ، ولا تتركّب حبة مع غَيْرِ جمانها ، ولينزّههم عن مناكحة غيرهم من الأجانب ، ومخالطة من لا يعادلهم في الدَّرج والمراتب ، فقبيح بالجواهر أن ينخرط الجِزْع[6] في أسلاكها ، وغير لائق بالدراري أن لا تدور في غير أفلاكها ، ولْيَصُنْهُم عن التبذّل في اكتساب المعاش ، والتظاهر بغير ماألفوه من زينة اللباس والرياش ،

(١) اسم واد ، كما ذكر ياقوت .
(٢) في الأصل : « فاستقر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٤) في الأصل : « كما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٥) في (أ) ، (خ) ، (ز) : « غصونه » .
(٦) هو الخرز اليماني ، فيه سواد وبياض .

ولْيَمنعهم من التحاكم إلاّ إليه ، والوقوف في التنازع إلاّ بين يَدَيه ، ولا يدعهم يتبذّلون فإنهم سادةُ مَنْ فاه أو تكلّم ، وأشرفُ من تكرّم أو تحلَّم[(١)] ، وبقيةُ قوم إذا غضبوا غَضْبةً مُضَريّة[(٢)] قطر السيف دماء وتثلّم ، وإذا أعاروا ذُرَى المنابر سيّداً صلى عليهم وسلّم[(٣)] ، وليأمرْهُم بالاتّضاع لمن دونهم في المحافل والمجامع ، والانقياد في الخير ، فإن الناس يدخلون مَعَهم في النسب الواسع ، ولْيستوق المباشرين في تحصيل مالهم وصَرْفه ، وإنفاقه في طبقاتهم حين جَنَاه وقطفه ، وليحذرهم كلّ الحذر من الخوض فيما شَجَر بين الصحابة ، ومن القول إنه كان الخطأ مع هذا ، ومع ذاك الإصابة ، فإنّه لم يخرج أحد منهم عن الكتابِ والسُّنّة ، والقاتل والمقتول بين علي ومعاوية من أهل الجنة ، وكل منهم اجتهد فيما ترك وأخذ ، وأنعم النظر فيما تناول ونَبَذ ، والمجتهد يخطئ تارة ويُصيب ، وله من الأجر على كل حال نصيب ، ولكنْ كانَ الحقُّ مع علي يدور كيف دار ، ويسير مع مقاصده كيفما سار .

وأما المقالات المبتدعة ، والضلالات التي خاب مَنْ شَامَ بَرْقها وانتجعه[(٤)] ، فليزجرهم عن الخوض في باطلها الذي لا يُعلم ، ويكن عليهم في مثل ذلك قاسياً ، ومن كان حازماً فَلْيَقْسُ أحياناً على من يرْحَم ، فقد دوّن أهلُ الباطل مقالات ابتدعوها ، وزخارفَ (لا يُكبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلاّ حصائدُ ألسنتهم)[(٥)] من تلك العقائد التي زرعوها .

(١) في الأصل و (ز) : « تحكم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، وهي أنسب للسجعة .

(٢) يشير إلى قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تقطرَ الدّما

(٣) يشير إلى قوله :

إذا ما أعرنا سيّداً من قبيلة ... ذرا منبر صلّى علينا وسلّما

(٤) في الأصل : « أو انتجعه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

(٥) عن معاذ رضي الله عنه (قال .. قلت : يا رسول الله ! وإنّا لمؤاخذون بما نتكلّم به ؟ فقال : ثكلتك أمّك ! وهل يكبّ الناس بالنّار على وجوههم إلاّ حصائد ألسنتهم) .

رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . انظر : رياض الصالحين ٢٦٩ .

أمّا أمر الخلافة فإنه ثابت الأساس ، واضح القياس ، مأمون الالتباس ، لقوله ﷺ فيما نهى وأمر : « اقتَدُوا باللَّذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر »[(١)] ، وقد ماتا قبل عليّ ، فَلَوْ تَوَلَّى الخلافة قبلهما لما صحّ إخبارُ هذا الخبر ، ولا كان له من المعجزات أثر ، وقد بايع عليّ أبا بكر فيما بعد مجتهدا ، ولو كانت خلافته غَيْرَ صحيحة لما سوّغ نكاح الحنفية حتى أولدها محمّدا ، والحجج في هذا الباب كثيره ، والأدلة فيها قاطعة عند أولي البصيره . وأنت أيها السيد أعلى الله قَدْرَك أدرى بهذه الأمور ، لأنك جُهينةُ أخبارها ، وحقيبةُ أسرارها التي توجد عند أخيارها دون أشرارها[(٢)] ، فبصّرهم المحّجة ، ولقّنهم الحجة ، وأقلُّ الأقسام الإمساك عمّا لا عاصروه ، ولا عالجوا جرحه المؤلم ، ولا شاهدوا فتنه التي كانت كقطع الليل المظلم[(٣)] .

وأما العقائد فحذّرهم من الخوض في أخطار لُجتّها ، والركوب على ظهر مِحَجَّتها ، كالقول بأنه الكِسَف الساقط[(٤)] ، أو أنه يأتي ﴿ في ظلل من الغمام ﴾[(٥)] والرعد الضاغط ، ولهذا يسلّمون على ما يزجر من السّحاب ، ويخالون أنّ البرق سوطُه المتألق بالالتهاب ، أو أنه اشتبه بغيره اشتباه الغراب ، واعترفوا بهذا الباطل ودانوا ، وغلّطوا جبريل في الوحي ، فمالوا عن الهدى ومانُوا أو أنّه الضوء[(٦)] من الضوء ، يعنون أنه لا فرق إلاّ أن أحدهما أسبق ، فافترى القائل بهذا وحاد عن الحق[(٧)] ولم يلحق ، أو أن العصمة للأئمة والمَعصية جائزة على الأنبياء ، فإن القائل بهذا من أكبر الضُّلال والأشقياء ، أو أن الإمام الظاهر حجتُه مَستورة ، والمَستور حجته ظاهره ، فإن ذلك

(١) انظر : الجامع الصغير ٥١/١ .
(٢) في الأصل : « أخبارها .. أسرارها » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .
(٣) يشير إلى حديث النبي عليه السلام في الفتن ، وهو حديث مشهور .
(٤) في التنزيل : ﴿ وإن يروا كِسَفاً من السماء ساقطاً ﴾ الطور : ٤٤/٥٢ .
(٥) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾ البقرة ٢١٠/٢ .
(٦) في (أ) ، (خ) : « كالضوء » .
(٧) في الأصل : « بهذا عن الحق » ، وما أثبتناه يوافق ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

جهل وضعفٌ في الأذهان الفاتره ، أو أنّ الدّين معرفة الإمام ، فإن هذا وأمثاله تحكم منهم والسلام ، إلى غير ذلك من المقالات التي خبطوا خبط العشواء فيها ، واستعملوا في القول بها من كان غُمراً أو سفيها ، فما الدينُ القيّم إلاّ ما كان النبي ﷺ عليه ، وأشار الخلفاء الراشدون إليه ، ولزم السلف الصالح مِنْهاجَهُ ، وقوّى الكتابُ والسنةُ والإجماعُ احتجاجَه ، فاجهد على أن يركبوا الصراط المستقيم من ذلك ، واحرص على أن يسلكوا إلى [الحق][1] أوضح المسالك ، وتقوى الله تعالى ملاك الوصايا ، وأنت إن شاء الله تعالى لا تزال خَيِّرَ خدْنها ، وساكنَ عَدْنها ، وساحب رِدْنها ، وصاحب مُدْنها ، فاجعلها نصْبَ عَيْنك ، وهذا فراقٌ بين الوصايا وبينك ، والله تعالى يعين ولا يتك ، ويوضح لأَهل الحَقّ بالسنّة عنايتك ، والخطُّ الكريمُ أعلاه حجة في العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١١٥٣ ـ علي بن داود*

ابن يحيى بن كامل بن يحيى بن جَبَارة بن عبد الملك بن يحيى بن عبد الملك بن موسى بن جبارة بن محمد بن زكري[2] بن كُليب بن جميل بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير بن العوام ، الشيخ الإمام العَلامة الفريد الكامل الفقيه الأصولي النحوي الأديب نجم الدين أبو الحسن ابن القاضي عماد الدين القُرَشي الأسدي الزبيري القَحْفَازي ، بالقاف والحاء المهملة ، وفاء بعدها ألف وراء .

قرأ القرآن الكريم على الشيخ علاء الدين بن المطّرز ، وكان قد أخذ القراءات

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) .

* الوافي : ٨٣/٢١ ، والبداية والنهاية : ٢١٤/١٤ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٤٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢١٣/١ ، وفوات الوفيات : ٢٣/٣ ، والدرر : ٤٧/٣ ، والبغية : ١٦٦/٢ ، والشذرات : ١٤٣/٦ . والدارس : ٣٩٩/١ و ٣٢٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٧٤/٣ .

(٢) في الوافي والدرر : « زكرياء » .

السبع عن عماد الدين بن أبي زَهْران الموصلي[١] ، قرأ عليه رواية أبي عمرو من طريقي الدُّوري والسّوسي إفراداً وجمعاً .

وأخذ الفقه عن قاضي القضاة صدر الدين علي[٢] مع الفرائض قبل أن يباشر الحكم ، وأصولَ الفقه على قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لعنايته (بمختصر ابن الحاجب) ، وعن الشيخ جلال الدين الخَبّازي[٣] الحنفي .

وقرأ في أصول الدين عقيدة الطَّحَاوي حفظاً ، واعتنى بحلها وبمطالعة كتب الأصول لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وغيرهم ، وعلم العربية من الشيخ شرف الدين الفزاري ، ثم عن الشيخ مجد الدين التونسي . وعلم البلاغة عن الشيخ بدر الدين بن النحوية[٤] الحموي حين جاء إلى دمشق سنة تسع وتسعين وست مئة مع الجُفّال ، ونزل بالبادرائية ، قرأ عليه كتابه (ضوء المصباح) ، وشَرحه (إسفار الصباح) .

والمنطق والجدل عن الشيخ سراج الدين الرومي مدرّس الفَرُّخْشَاهية والسفينيّة[٥] بالجامع الأموي .

وعلم المواقيت عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في (مقدمته) التي صنفها

---

(١) في الأصل : « عماد الدين وغر بن الموصلي » ، وفي (أ) : « عماد الدين بن الموصلي » ، وفي (خ) : « عماد الدين ومن ابن الموصلي » ، وفي الوافي : « عماد الدين بن وهران الموصلي » ، وكلّه تحريف واضطراب ، والصواب ما أثبتناه .
وهو علي بن يعقوب بن أبي زهران الموصلي المقرئ (ت ٦٨٢ هـ) .
وغاية النهاية : ٥٨٤/١ ، والشذرات : ٣٧٩/٥ .

(٢) هو علي بن الصيفي ، أبو قاسم البصروي ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) هو عمر بن محمد بن عمرو الخجندي (ت ٦٩١ هـ) ، الشذرات : ٤١٩/٥ .

(٤) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته . وفي الوافي : « ابن النحوي » .

(٥) في الأصل : « السيفية » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي . وفي الدارس ، ٤٠٦/١ : أنها مدرسة للأصناف ، بجامع دمشق ، لم يعرف لها واقف .

[ثمّ عن الشيخ بدر الدين بن دانيال بمدينة الكرك حين جَفَل الأعيان إليها سنة سبع مئة في مقدمته التي صنّفها][١] في علم الإسطرلاب وهي مطوّلة مفيدة .

وعلم العروض فَمنَ الكتب الموضوعة في ذلك .

وحلَّ المترجم ، وَجَد[٢] في الكتب الموضوعة وقد تُكلم [فيه][٣] كلاماً غير شاف ، فأخذه بالقوة حَتّى[٤] كُتب له فيه :

إنّ زَرْزُوراً وَوَزَّه زَوَّدا داودَ زَادا

فحلّه .

وسمع الحديث من الشيخ برهان الدين بن الدرجي[٥] فيما حول سنة ثمانين وست مئة . سمع عليه أجزاء كثيرة ، وسمع (موطأ) مالك من قاضي القضاة جمال الدين المالكي ، ومن الشيخ نجم الدين الشقراوي[٦] الحنبلي ، وسمع (مختصر الرعاية)[٧] للمحاسبي على قاضي القضاة شرف الدين البارزي لّما قدم إلى دمشق حاجّاً ، ومن غيرهم .

وكان الشيخ نجم الدين مجموعاً للفضائل ، ممنوعاً من الرذائل ، مطبوعاً على التنديب والتندير الذي يَدُلُّ على لُطْفِ الشَّمائل ، كثير الحكايات المختصرة في دروسه ، والنوادر المضحكات في غصون فوائده وغروسه ، لا يُخلّ بذلك ، ولا يوجد في وقت إلاّ وَهُو عليه متهالك ، يُضْحِكُ الثّكالى ، وينشط[٨] الكسالى ، مع الأصولِ التي أَحكم

(١) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ز) ، والوافي .

(٢) في (خ) : « وجده » .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « حيث » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) والوافي .

(٥) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم (ت٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٣٧٣/٥ .

(٦) موسى بن إبراهيم بن يحيى ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٧) (الرعاية في التصوف) للشيخ حارث بن أسد المحاسبي (ت٢٤٣ هـ) ، الكشف : ٩٠٨/١ .

(٨) في الأصل : « ويبسط » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ز) .

قواعدها ، وكثر[١] بروقها ورواعدها ، والفقه الذي تهدّلت فروعه ، وتملأت منه أفاويقه وضروعه ، والنحو الذي برّز على أقرانه في إقرائه ، وظهر مذهَبه الصحيح من إفرائه[٢] ، قرأ عليه فيه من الأعيان جماعه ، واشتهر ذلك [عنه][٣] في عصره ، فما ينكر أحدٌ سماعه ، لو عاصره صاحب (المفُصّل) كان عليه مفضّلا ، أو صاحبُ (التكملة) كان ناقصاً ، وهذا مُكَملا[٤] .

وكتب المنسوب القويّ ، وحرّر أَصْلَه السَّوي ، وكان خطّه آنق من حواشي الأصداغ ، وأظرف مِنَ الحُلل التي رُقمت في أوان الصحة والفراغ . وله النظم الذي هو وسط ، لا هو الذي ارتفع ، ولا هو الذي سقط .

كان من محاسن دمشق التي يفخر بها الزمان ، وغرائبها التي قَلّدت جيد الدهر قلائد الجمان ، وقلّ أن اتّفق مجموعُه في عصره لغيره من أهل مذهبه ، أو قارب[٥] مداه من يُجاري إلى غاية مَطْلبه . وخطب بالجامع التنكزي فبَلّ بالدموع الأردان ، وعلا المنبر فما ذُكِرَ معه سَجْع [الحمائم على][٦] البان .

ولم يزل على حاله إلى أن أصاب الموت قحف القحفازي ، واختطف روحَهُ من المنية بازي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ونَقَلْتُ مَوْلده من خطه ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وست مئة .

---

(١) في (خ) : « وأكثر » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « أقرانه » ، تصحيف وتحريف وفرى الشيء وأفراه : شقه ، أراد من تكلمه فيه وتفتيق معانيه ، وبذلك لُقّب الفراء المعروف .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « مفضلاً » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « قارن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) .

حكى لي نور الدين عليّ بن إسماعيل الصفدي ، وقد تقدم ذكره ، قال : أنشد الشيخ نجم الدين يوماً لغزاً للجماعة وهم بين يديه في الحلقة يشتغلون عليه :[١]

يـــا أيهـــا الحَبْرُ الـــذي عِلْمُ العَرُوض بـــه امتزَجْ
أبنْ لنـــــــــا دائرةً فيهـــا بَسيـــط وهَــزَج

فقال واحد منهم : هذه الساقية ، فقال له الشيخ : دوَّرْتَ فيها زَماناً حتى ظهرتْ لك ، يريدُ أنَّه ثَوْرٌ يدورُ في الساقية .

وجئت أنا إليه في سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وسألته في أن أقرأ عليه (المقامات الحريرية) ، فقال : أنا والله قليلُ الأدب .

وسمعته يوماً يقول لمنصور الكُتُبي رحمه الله : يا منصور[٢] ! هذا أوانُ الحُجَّاج ، اشترِ لك منهم مئتي جراب ، وارمها خلف ظهرك إلى وقت مَوْسِمها تكسب فيها جملة ، فقال له : والله الذي يشتغل عليك في العلم يحفظ منك حُرافاً[٣] قدره عشر مرات .

وقيل لي : إنه لمّا عَمَّر الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى الجامع الذي له بظاهر دمشق كان قد عيّنوا له شخصاً من الحنفية يُلقب « الكشك » ليكون خطيباً ، فلما كان يوماً[٤] وهو يمشي في الجامع المذكور ، أُجري[٥] له ذِكر الشيخ نجم الدين ومجموع فضله[٦] وأنه في الحنفية مثل الشيخ كمال الدين الزملكاني في الشافعية ، فأحضره ، واجتمع به ، وتحدّثا ، ثم قال له وهم في الجامع يمشون : أيش تقول في هذا الجامع ؟. فقال : مليح ، وصحَنٌ مليح ، لكن ما يليق أن يكون فيه كشك ، فأعجب

---

(١) البيتان في الفوات .

(٢) في (أ) ، (خ) والوافي والفوات : « يا شيخ منصور » .

(٣) لفظة استخدمها أهل العصر للدلالة على ما هو خلاف المستقيم من الأمور .

(٤) في الوافي : « يوم » .

(٥) في الأصل : « وأجري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٦) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « فضائله » .

ذلك الأمير سيف الدين تنكز ، وأمر له بخطابة الجامع ، وسمعت خطبته فيه أول يوم خطب به ، وذلك في يوم الجمعة عاشر شعبان سنة ثماني عشرة وسبع مئة[١] ، ثم إنه رُسم له بعد مدّة بتدريس الركنية ، فوليها سابع عشري المحرّم سنة تسع عشرة وسبع مئة ، فباشرها مدّة[٢] ، ثم نزل عنها ، وقال : لها شرطٌ لا أقوم به ، ومعلومها في الشهر جملة كثيرة[٣] ، تركه تورعاً .

وكان إذا قال هذه التناديب يقولها سريعة رَشِقة[٤] من غير فكر ولا رويّة ، ويقولها وهو يضحك وينبسط .

وكان يعرف الإسطرلاب ، ويَحُل التقويم ، ويشتغل في (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجبية) و (الألفية) لابن مالك ، و (المقرب) لابن عصفور ، وفي (ضوء المصباح) وغيره في المعاني والبيان .

وكان قد تولّى تدريس الركنية بجبل قاسيون عوضاً عن الشيخ محي الدين أحمد بن عقبة الحنفي لمّا مات في المحرّم سنة تسع عشرة[٥] وسبع مئة . وتولّى الظاهرية عوضاً عن شمس الدين بن العزّ[٦] في أول صفر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وكنت قد كتبت إليه لما وَضَعْت (تاريخي الكبير) أطلب منه ما أستعين به على ترجمته على العادة في مثل ذلك ، ومنه :

---

(١) انظر : البداية والنهاية ١٤/٨٨ .

(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « مُدَيْدة » .

(٣) في (أ) : « كبيرة » .

(٤) في (أ) : « صَنِعة » ، وفي (خ) : « رشيقة » .

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن عقبة ، وذكر صاحب الدرر أنه توفي سنة (٧١٨ هـ) الدرر : ١/٨١ . وفي (أ) ، (خ) : سبع عشرة .

(٦) محمد بن محمد بن صالح ، ستأتي ترجمته في موضعها . وانظر : الدراس ١/٤٢١ .

يــا مُفيــدَ الــورَى معــاني المعــالي وإمــــام الأنـــــام في كلّ عِلْمِ
إن لي معجماً كأفْـــــق فسيــــح اشتهى أن يُـــزان منـــــك بنجم

فتأخّر جوابه عني ، فكتبت إليه أيضاً :

ظفرتُ بــوَعْــدٍ مِنْـــكَ بلّغني المنى وجــودُك نجم الــدين ليس يحــولُ
وقــد طـــال ليلي لانتظـــار ورودِه ولَيْلُ الذي يرعى النجومَ طويل [١]

وكتبت معـه السؤال الـذي تقـدّم ذِكْرُه[٢] في ترجمـة الشيخ زين الـدين بن شيـخ العوينة آنفاً وأوّله :

ألا إنمـــــا القرآن أكبرُ معجـــــزٍ لأفضـــلِ من يُهـدى بـــه الثَّقــلان

فكتب هو إليّ بخطّه[٣] :

يـــــا ســــائلي عن نسبي ومَــــوْلــــــدي وأدَبي
ومــــــا قرأتُ في العلـــو م مِنْ شريف الكتب
ومن أخــــذت ذاك عنــــــه من شيــوخ مَــــذْهبي
وغيرِهم ممّن حــــــوى سِرَّ كــــــــلامِ العَرَب
ومــــا الـــذي سَمِعْتُـــــه عن النبيّ العربي[٤]
صلّى عليــه الله مــا احلــو لـــــك جنـــح غَيْهب
وذكرِ شيء صُغْتُـــــــه من شعري المنتخب[٥]

---

(١) المعنى تداوله غير واحد من الشعراء . قال النابغة :
تطـــــاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الـذي يرعى النجوم بـآيب
(٢) في الأصل : « في ذكره » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) عبارة الوافي : « مجيباً عن الأول والثاني » .
(٤) زيادة من الوافي .
(٥) في الوافي : « وذكرت شيئاً » .

وما الــذي صنّفتُــه مِنْ كُتُب وخطب
لــولا وجــوبُ حُرْمــة الـقصــد ورَعْي الرتب
مــا قلت ذاك خشيــة من حــاســد مــؤنّب
يقــول إنّي قلتــه مفتخراً بحسبي
لكنمــا البخــلُ بمــا سئلت لا يحسن بي
والمقتَضى منّي لــه لا يــأتلي في الطلب
وهــو خليــل في الرخــا وعُــدّة في الكُرب
وهَمُّــهُ في جمــع شمـ ــل الفضل لا في النشب[1]
ومــا صــلاح الــدين إلا في اقتنــاء القُرَب
هــو الــذي أوجب لي يــا صــاح كشفَ الحُجُب
عن محتــدي ومــولــدي وفضــلي المُحتجــب
فقلت غير آمن من عــائب مُنَــدِّب
مختصراً مقتصــداً معتــذراً من رَهَبي[2]
مــا ستراه واضحــاً مرتسماً عن كَثَب
مــازلت للفضــل حمًى ولبنيــه كالأب[3]
تجمــع شمــل ذكرهم مخلّــداً في الكتب

وذكر نثراً ما ذكرته في صدر ترجمته هذه ، ثم إنه قال : وأمّا الرواية فإني لم أسمح لأحد بأن يروي عني مَسْمُوعاتي لصعوبة ما شرطَهُ أصحابنا في الضبط بالحفظ من حين سمع إلى حين روى ، وأن الكتب التي سمعتها لم تكن محفوظة عندي ، فضلاً عن حفظ ما سمعته . وأما ما صنفته من الكتب فإني رغبت عن ذلك لمؤاخذتي للمصنفين ،

(١) في الأصول : « النسب » ، ولا وجه لها ، وما أثبتناه يتفق مع بعض أصول الوافي .
(٢) في الوافي : « مقتصراً » .
(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « لازلت » .

فكرهت أن أجعل نفسي غَرضاً لمن يأخذ عليّ ، غير أني جمعت منسكاً للحج أفردت فيه أنواع الجنايات ، ومع كل نوع ما يجب من الجزاء على من وقع فيه ؛ ليكون أسهل في الكشف ومعرفته ، وكان ذلك بسؤال امرأة صالحة لا أعلم في زماننا أعْبَدَ منها ، وانتفع بحُسْنِ القصد فيه وبركتها خلق كثير . وأمّا ما سمحت به] القريحة الجامدة][1] والفكرة الخامِده ، فمن ذلك ما كَتَبتُ[2] به إلى عماد الدين بن مزهر ، وقد كان يجتمع معنا في ليالي الشتاء عند بعض الأصحاب ، فلما مات عمّه تزوج جاريته ، وانقطع عنا ، فقلت :

إن يكن خَصَّك الزمان بخَوْدٍ ذات قدٌّ لَدْنٍ وخدٌّ أسيل
فلقد فزتَ بالسعادة والرحب وفارقْتَنا بوجه جميل

قلت : هو مأخوذ من قول ابن الخيمي[3] :

لو رأى وجه حبيبي عاذلي لتفارقنا على وجهٍ جميل[4]

وقال : وقلت متذكراً لزيارةِ الكعبة وزيارة سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام :

يا ربّة الستر هل لي نحو مغناك مَنْ عَوْدَةٍ أجتلي فيها مُحَيّاك[5]
أم هل سبيلٌ إلى لقياك ثانية لمغرم ما مُناهُ غير لقياك[6]

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « كتب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٣) محمد بن عبد المنعم بن محمد اليمني (ت ٦٨٥ هـ) ، فوات الوفيات : ٤١٢/٣ .

(٤) من أبيات أوردها صاحب الفوات في ترجمة ابن الخيمي : ٤٢١/٣ . ووقع في الأصل و (أ) و (خ) : « لتفاصلنا » ، والظن أنها تحريف ، وأثبتنا ما في الفوات ، وهي مأخذ صاحب الترجمة .

(٥) كأنه يعارض الشريف الرضي في قصيدته المشهورة :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

(٦) في الأصل : « رؤياك » تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

لـه نـوازعُ شـوقٍ بـات يُضْرِمُهـا ... بين الجـوانـحِ والأحشـاء ذكراك
لم ينسَ طيب ليـاليـك التي سلفتْ ... وكيف ينسـاك صبٌّ بـاتَ يهواك
يـا ربّـة الخـال كم قـد طِـل فيك دم ... فـمـا أجَـلَّ بعُرض البيـد قتـلاك[1]
أَسَرْتِ بـالحسن ألبـاب الأنـام فـمـا ... أعـــزَّ في ذلّ ذاك الأسْر أسراك[2]
ماذا عساها تُرى تنـأى الـديـار بنـا ... لو كنتِ في مسقط الشِّعْرى لَجِئْنـاكِ
ولـو تحجبتِ بـالسُّمر الـذوابـل عن ... زُوّار رَبْعـك يـا سَمْرَا لـزرنـاك
ذلت لعـزّك أعنـاقُ الملـوك فمـا ... أعلاك يـا منتهى سُـؤْلي وأغْـلاكَ
تهتكتْ فيـك أستـارُ الهـوى وَلَهـاً ... لمّـا بَـدَا مِنْ خـلال السّتر معْنـاك
يـا هل ترى يسمحُ الـدهر المشتُّ بمـا ... أرجـوه مِنْ قُرْب مَغْنـاك لمُضْنَـاك
وأجتلي مِن محيّـاك الجميـل ضحًى ... مابات يحكيه لي مِنْ حُسْنِك الحـاكي
من بعد حطٍّ رحـالي في حمَى أرجِ الأرجـاء بـالمصطفى الهـادي الرضى الزاكي[3]
خير الخـلائـق طُرّاً عنـد خـالقـه ... وخـاتم الرُسْـل مـا حي كلّ إشراك
سبّـاق غـايـاتِ أقصى الفضـل والشرف الأ عـلى وراقي العُلى مِنْ غير إدراك
مُهـدي المعـارف مُبـدي كلّ غـامضـة ... مُشْـدِي العـوارف مُردي كلّ فتّـاك
محّـدٍ ذي المقـال الصّـادق الحسنِ المصـدوق في القـول مُقصي كلّ أفـاك
يـا نَفسُ إن بلّغتْـك العيسُ حُجْرَتـه ... وصـافحت يمنَ ذاك الربع يُمْنَـاك
ونلت مـا أمـؤلـك الأقصى بلثم ثرى ... أعتـابـه وبلغتِ القصـد مَن ذاك
وقمتِ بين يـديـه للسـلام على ... أقـدامِ ذُلّـك تُـذْري الـدمع عينـاك
وقـد مـددتِ يـد الإمـلاق طـالبـةً ... سؤالـه لـك عفـواً عنْـد مـولاك
فقـد بلغتِ المنى والسـولَ فـاجتهـدي ... هناك واستنجدي لي طرفـك البـاكي

(١) في الأصل : « طال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي . وفي (خ) : « فما أحلّ » ، ولعلّها أشبه .
(٢) في الأصول : « أرباب » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) اضطرب البيت في مطبوعة الوافي .

عســاك أن ترزقي عطفــاً عليــك فــإن رُزِقْت ذاك فيــا والله بُشْرَاك[1]

وليهنك السعدُ إذْ حطّت رحالك في ربع به لم تـزل تُحْدى مطـايـاك

فثمّ أنـدى الـورى كَفّـاً وأعظمُهم جـاهـاً وأرْحَبُهم صَـدْراً لملقـاك

وخيرهم لنزيـلٍ في حمـاه وأو فـاهم ذِمـامـاً وأمـلاهُمْ بجَـدْوَاك

واحَرَّ قلبـاهُ من شـوقي لرؤيتـه فقـد تقـادَم عَهْـدُ الشيّق الشـاكي

بـالله يـا نَفْسُ كـوني لي مسـاعِـدَةً حاشاك أن تَخْذُليني اليوم حـاشـاك

وجَدِّدي العزْمَ في ذا العام واجتهدي عَسَى بـذلـك تخبـو نـار أحشـاك

فـإن حُرِمتِ لقـاهُ تلـك معـذرةٌ وإن ظفرتِ به يـا حسن مسعـاك[2]

صلى عليـه إلـهُ العرش مـا قطعت كـواكبُ الأفـق ليـلاً بُرْجَ أفـلاك

قـال : وقلت عنـد قـدوم الحـج في بعض السنين أبيـاتـاً أُنشـدت بـدار الحـديث الأشرفية :

يـا نيـاق الحجيـج لا ذُقْتِ سُهـداً بعـدهـا لا ولا تجشمتِ وَخْـدا

لا فـدينـا سـواك بـالروح منّـا أنتِ أَوْلى مَنْ بات بـالروح يُفْدَى[3]

يـا بنـات الـذميـل كيف تركتنّ شعـاب الغضـا وسلْعـاً ونجـدا

مرحبـاً مرحبـاً وأهـلاً وسهـلاً بـوجـوهٍ زارت معـالم سُعـدى[4]

قال : ولم يحضرني باقيها .

ولما ظفر قازان في سنة تسع وتسعين ، ثم جاء في سنـة اثنتين وسبع مئـة ، فكسر ، وقيل لي : إن قازان عندهم اسم للقِدْر ، قلت :

---

(١) في الأصل : « أن تذرقي : » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في (أ) ، (خ) ، والوافي : « يا نُجْحَ مسعاك » .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « رأت » .

لَمَّـا غَـدا قـازان فخّـاراً بمـا قـد نـال بـالأمس وأغْرَاهُ البَطَرْ
جـاء يُرَجِّي مثلهـا ثـانيـة فـانْقَلَب الـدّسْتُ عليـه فـانكسر

قلت أنـا : هـذان البيتـان في غـايـة الحسن في بـادئ[1] الرأي ، ولكن إذا حكّمها النظر ونقدهـا تَبَهْرَجا وتَزَيّفـا وذلـك لأن القـدْرَ في اللغـة التركيـة « قزن » ، هكـذا بلاألف ، وأولها قاف ، وقـازان إنمـا هو : غـازان ، بـالغين المعجمـة ، وإنمـا قـال ذلـك المتهكم[2] به ، كما قـالوا في بولاي : « بوليه ، وفي خُـدَاي بَنْـدَا : خَرَبَنْـدَا ، وفي قولـه : « فانقلب الدست عليه ، فانكسر » فيه أيضاً ، نظر ، لأن المعنى الذي ورّى بـه لا يصح لـه وبـأدْنى تـأمل [يظهر][3] هـذا للبّيب ، ولولا أن هـذا شعر مثل [هـذا][4] شيـخ الأدب وفقيه ما واخذته ، فإنه قـد مرّ ويمر في هـذا التـاريخ أشيـاء من هـذا النوع فما أعرّج على المؤاخذة .

قال الشيخ نجم الدين : ولّمـا ذهب بـدر الـدين بن بَصْخـان[5] مع الجُفّـال إلى مصر وأقام هناك كتبت إليه :

يـاغـائبـاً قـد كنت أحْسِب قَلْبَـه بسـوى دمشـق وأهلِهـا لا يَعْلَـقُ
إن كان صَـدّك نيـلُ مصر عنهم لا غَرْوَ فهـو لنـا العـدوُّ الأزرق

قلت : وقد ذكرت في (ألحان السواجع) ما جاء في هذه المادة .

قال الشيخ : ومن الخطب فاتحة خطبة رأس السنة :

« الحمد لله الذي لا تُدْرِكُ كُنْهَ عَظَمته ثَواقِبُ الأَفْهَام ، ولا تحيـط بمعـارف عوارفـه

(١) في الأصل : « نادي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « للتهكم » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « نصحان » ، تصحيف ، وهو : محمد بن أحمد بن بَصْخـان . قـال الصفـدي : « بفتح البـاء الموحدة وسكون الصاد المهملة ، وبعد الخاء المعجمة ألف ونون » . وستأتي ترجمته في موضعها .

خطراتُ الأوهام ، ولا تبلغ [مَدَى][1] شكرِ نعمه مَحَامدُ الأنام ، الذي طرّز بعَسْجد الشمس حواشيَ الأيّام ، ورصّع بجواهر النجوم حُلَّةَ الظَّلام ، وفصَّلَ بلُجَيْن الأهِلّة عقود الشهور والأعوام .

أحمده على نعمه الجلائلِ العظام ، ومِنَنِه الشوامل[2] الجسام .

وأشهد أن لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريك له ، شهادةً لا يُنْقص لها تمام ، ولا يُخْفَر لها ذِمَام ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله ، أرْسَله وسُوقُ الباطل قَدْ قام ، ومُحِب الباطل[3] قد هام ، وطَرفُ الرشد قد نام ، وأُفُقُ الحق قَدْ غام ، فجرّدَ سيف العزم وشام ، وعنف على الغيّ ولام ، واقتاد الخليقة إلى السعادة بكل زِمام ، صلى الله عليه وعلى آله الخِيَرة الكِرام ، صلاة لا انفصال لمتتابعها ولا انفصام » .

قال : وأمّا الجواب عن إعادة لفظ الأهل في قوله تعالى : ﴿ حتّى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ﴾[4] ، ولم يقل : (استطعماهم) ، والمحلّ مَحَلّ إضمار ، وفيه[5] الإيجاز ، فقد علم أن البلاغة لا تختص بالإيجاز ، وإنما هو نوعٌ من أنواعها ، وأنَّ مَدار حُسْن الكلام وارتفاع شأنه في القبول بإيراده مطابقاً لمقتضى الحال ، فإنّ [كان مقتضى الحال][6] خليقاً ببَسْط الكلام تعلقت البلاغة ببسطه ، وإن كان حقيقاً بالإيجاز كانت البلاغة في إيراده كذلك ، ثم [قد][7] يَعْرض للبليغ أمور يحسن معها إيرادَ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، فيتنزّل[8] غير السائل منزلة من يسأل إذا كان قد لوّح له بما

(١) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « السوامل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « ومحبّ الضلال » .

(٤) الكهف : ٧٧/١٨ ، وانظر ما قيل في ترجمة ابن شيخ العوينة .

(٥) كررها الناسخ في الأصل .

(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

(٨) في الوافي : « فينزل » .

يقتضي السؤال ، ويتنزل[(١)] غيرُ المنكرِ منزلة المنكر إذا ظهرت عليه مَخَايل الإنكار ، ويوقع المضمر في موضع الظاهر ، والظاهر في موضع المضمر إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم البلاغة . والذي حسّن إيقاع الظاهر موقع المضمر في الآية الكريمة أن الظاهر أدلُّ على المعنى الذي وضع له اللفظ من المضمر ؛ لأنه يدل عليه بنفسه ، والمضمر يدل عليه بواسطة ما يفسّره ، وقَصْدُ المتكلم هنا الإخبار عن الذين طُلب منهم الإطعام أنهم أهل القرية ؛ لأن مَنْ غَشِيَهُ الضيف في منزله [ولم يعتذر][(٢)] بعذر عن إكرامه ؛ بل قابله بالمنع مع ظهور حاجته التي أوجبت له أن يسأل منه ذلك ؛ لأن المسألة آخر أسباب الكسب يُعْلَم بذلك أن الحامل له على الامتناع من إضافته[(٣)] لؤم الطباع واتّباع مَذْمُوم البخل والشح المطاع ، كما قال الشاعر :

حريص على الدنيا مُضيعٌ لدينَهُ ... وليس لما في بيته بمضيع

حتى روي عن النبي ﷺ أنه قال : « كانوا أهل قرية لئاماً »[(٤)] ، ومن كانت هذه سجيته كان حرياً بالإعراض عنه ، وعدم مقابلته بالإحسان إليه ، فلما رأى موسى صلوات الله عليه إصلاح[(٥)] الخضر عليه السلام لجدار مشرفٍ على السقوط في القرية التي هؤلاء أهْلُها من غير طلب أجرٍ ذلك منهم مع الحاجة إلى ذلك عجب من ذلك وأنكره حتى كأنه نسيَ ما قدَّمه مِنْ وعده إياه بالصبر وبعدم المصاحبة إنْ سأله عن شيء بعد ذلك ، مع حرصه على صُحبته والتعلم منه فكان في إعادة لفظ (الأهل) في الآية الكريمة إقامةٌ لعذر موسى في الاعتراض[(٦)] في هذه الحالة ؛ لأنها حالة لا يصبر[(٧)] عن

(١) في الوافي : « وينزل » .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٣) في الأصل : « الضيافة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٤) مسند الإمام أحمد : ١٢١/٥ .
(٥) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .
(٦) في (أ) ، (خ) : « الإعراض » .
(٧) في الأصل : « لأنها حالة لأنّه لا يصبر » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الاعتراض فيها لأن حالهم يقتضي بذل الأجر في إصلاح أمر دينـاوي لحرصهم وشحّهم ، فتَرْكُ طلب الأجرة على إصلاح ذلك مع الضرورة والحاجة وقع إحساناً إلى أهلها الذين قابلوهما بالمنع عن الضيافة ، فكانت البلاغة متعلقة بلفظ (الأهل) التي هي الحاملة على الاعتراض ظاهراً ، فأطلعه الخضر عليه السلام بأن الجدار إنما كان لِيَتِيمَيْنِ من أهلها ، واليتيم محلّ المرحمة[(١)] ، وليس محلاً لأن يُطلب منه أجرة ، إمّا لعجزه ، أو لفقره وهو الظاهر ، أو لأنه لا يجوز تصرّفه في ماله ، ولهذا قال : ﴿ رحمةً من ربّك ﴾[(٢)] ، ولم يكن لأهلها الذين أبوا أن يضيفوهما ، والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى ما نقلته من خَطِّ الشيخ رحمه الله تعالى .

قلت : جواب الشيخ رحمه الله تعالى في غاية الحسن ، وهو كلام عارف بهذا الفن ، جار على القواعد ، والذي قاله الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى في الجواب عن ذلك ملخّصه : أنه إنما أعاد الأهل بلفظ الظاهر ، لأمرين . أحدهما : أنّ (استطعم) صفة لـ (قرية) ، فلو قال : استطعماهما لكان مجازاً ، إذ القرية لا تُستطعم ، فلا بد من ذكر الضمير ، ولا يمكن ذِكْرُه وهو مضاف إليه ؛ إلاّ بذكر المضاف ، ولا يمكن ذكر المضاف مضمراً ، فتعيّن ذكره مظهراً ، ولا يَرِدُ عليه أنّ « استطعما » جواب لـ (إذا) ، لا صفة لقرية ، لأنا نقول : [لقوله][(٣)] في القصة[(٤)] الأخرى : ﴿ حتى إذا لقيا غلاماً فقتله ﴾[(٥)] ، فقال : ههنا جوابُ (إذا) متعيّن ، ولا يستقيم أن يكون « فقتله » جوابه [إذ][(٦)] الماضي الواقع في جواب ، « إذا » لا يكون

---

(١) في الوافي : « الرحمة » .
(٢) الكهف : ٨٢/١٨ .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في (خ) : « القضية » ، تصحيف .
(٥) الكهف : ٧٤/١٨ .
(٦) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .

بالفاء ، فتعيّن فيه . قال : والظاهر أن الجواب في القصة الأخرى هكذا لأنها في مساق واحد .

الثاني : أن « الأهل » لو أضمر لكان مدلوله مدلول الأول ، ومعلوم أنه جميع الأهل ، ألا ترى أنك إذا قلت : أتيت أهل قريةٍ[1] كذا ، إنما تعني : وصلت إليهم ، فلا خصوصية لبعضهم ، والاستطعام في العادة إنما يكون لمن يلي النازل بهم وهم بعضهم ، فوجب أن تقول[2] : استطعما أهلها لئلا يفهم أنهم استطعموا جميع الأهل ، وليس كذلك .

وقد أجابني عن هذا السؤال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى بجواب طويل ، نظم ونثر ، وقد كتبته بخطي ، وقرأته عليه ، وهو مثبتٌ في (التذكرة) التي لي . وقد تقدّم جواب الشيخ زين الدين علي بن الحسين بن شيخ العوينة في ترجمته أيضاً .

ومن شعر الشيخ نجم الدين رحمه الله تعالى ، قوله في مليحة اسمها : (قلوب) :

عاتبني في حبّكم عاذلٌ ... يزعمُ نُصْحِي وهو فيه كَذُوب
وقال: ما في قلبك اذكرْهُ لي ... فقلت في قَلْبِي[3] الْمُعَنَّى قلوب

ومنه في مليح نحوي :

أضمرتُ في القلب هوى شادن ... مشتغلٍ في النحو لا يُنْصِف[4]
وصفتُ ما أضمرتُ يوماً له ... فقال لي: المضمر لا يوصف

---

(١) في الأصل : « القرية » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « يقال » .

(٣) في الأصل : « قلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الأصول : « لا يوصف » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات .

وأنشدني من لفظه لنفسه ما كتبه من أبيات إلى الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليمني .

بــأبي بِكْرٌ خُصِصْتُ بهـا ... مِن أخي الأَفْضَـال والْمِنَنِ
أقبلت تختـال في حُلَـلٍ ... وَشْيُهـا مِنْ صَنْعَـةِ اليمن
فرعهـا يُملي خـلاخلَهـا ... مـا يقـول القُرْط في الأذن

قلت : هو مأخوذ من قول الصاحب جمال الدين عيسى بن مطروح :

إذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها ... فيـا طيب مـا تملي عليـه الظفـائر

[ولكن قول الشيخ نجم الدين أخصر بكثير ، فهو أحق به][1] .

١١٥٤ ـ علي بن رزق الله بن منصور*

الشيخ نور الدين المقدسي .

سمع من ابن عبد الدائم ، وأبي حامد محمد بن الصابوني .

أجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١١٥٥ ـ علي بن سالم بن عبد الناصر**

القاضي الرئيس الفاضل المنشئ علاء الدين أبو الحسن الكناني الغزي الشافعي ، أحد الإخوة .

كان حَسَن الشكل والسّمت ، بهيّ الْمَنْظَرِ ؛ إلاّ أنـه لا يملـك الصّمْت ، لا يكاد يسكت إذا تكلم ، ولا يَخْشَى على حُسَام لَفْظِـهِ أنْ يَتَثلم . تـامَّ القـامـه ، مليحَ الوَجْـه

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .
* الوافي : ١٠٥/٢١ ، والدرر : ٥٠/٣ .
** الوافي : ١٢٧/٢١ ، والدرر : ٥١/٣ .

والعِمامه . وخطّه جيّد ما به باس ، وفضله ظاهر ما به إلباس ، له قُدْرَةٌ عَلَى مُدَاخلة الأكابر ، والخوض معهم في اللجج والمعابر ، يتحدث بالتركي ، ويَرْمي في[1] الإمـاج[2] والألكي ؛ إلاّ أن الموت هَصَر غُصْنَهُ اليانع ، وأجْرَى عليه المدامع .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة فيما أظن .

باشر التوقيع بغزة بعد ابن منصور لّما توجّه إلى طرابلس فيما أظن ، وتغيّر عليه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى وعزله ، وأحضره إلى دمشق ، واعتقله . ولّما كان في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا رسم له بالمدرسة الجرّاحيّة والمواعيد بالصخرة في القدس الشريف .

وكتب إليَّ أيامَ غضب تنكز عليه شعراً كثيراً ، من ذلك :

غـدا حـالي بحَمْـد الله حـالي ... وبـالي قَـدْ تخلّص مِنْ وَبَـالي
وراحَ الخَيْرُ مُنْحَـلٌّ العَـزالي ... عليّ وقبـل ذا كان العَـزَا لي[3]
وحـزتُ العـزّ مـذ يمتُ حَبْراً ... كبحر لا يُكـدّرُ بـالقِـلال[4]
فحيّـاني وأحيـاني وأبـدى ... مكارم لم يُشِنْهـا بـالقِـلا لي[5]
وأرشفني على ظمأ زُلالاً ... فكان ألـذّ مِنْ بنْتِ الـدَّوَالي
وشنّفَ مَسْمَعِي ببـديـع لفْـظ ... فقلتُ أتيتَ بـالسّحْرِ الحـلال
فـزدني من قريضـك يـا خليليْ ... فـإنّ بليـغَ لَفْظِـك قَـدْ حَـلاَ لي
أبثُّ لـدَيـك خَطْبـاً قَـدْ دَهَـاني ... نـوائبَ أذهبَتْ جـاهي ومَـالي
وقـد فنيَ اصطبـاري واحتمالي ... وقَـدْ خـانَ الْمُنـاصـح والْمُـوالي

(١) في الأصل : « من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) هو الهدف الذي يرمى فيه السهم ، وجمعه إماجات .
(٣) في الوافي : « وقيل ذا » ، تصحيف . والعزالي ، جمع عزلاء وهو مصب الماء من الراوية .
(٤) في الوافي : « حيراً » ، تصحيف .
(٥) في الوافي : « يشبها » .

فعجّـل يـا أخـا العَلْيـاء جَبْري وعـامِلْني مُعَـاملـةَ الْمَـوَالي
فقـد ذُقْتُ المنـايـا لاالمنى يـا إمـامـاً قـد تَفَرَّدَ بـالمعَـالي[1]
فقـد قـدّتْنيَ الأحـزانُ قَـدّاً بـوخـزِ البيض والسُّمْر العَـوالي
وأنّبني ونيّبني زمـانـي وصيّرني على جَمْر المقـالي
وأنت أبـا الصفـاء تُقيم عُـذْري وتُغضي من عيـوبٍ في مقـالي
أيـا مَنْ عِلْمُـه عَمَّ البَرايـا وحشّى حِلْمَـه في كل حـال
فبلّغني ولا تُرْجِي رجـائي فسيف الغمّ يـا ابن العم خـالي
رجـوتُـكَ مِنْ قـديم ثُمَّ لَمَّـا عَلَـوتَ مكانـةً زاد الرَّجـا لي
فـلاحظني بعين الجبر واعطف حمـاك اللهُ من غَلَب الرجـال

قلت : خانتـه « العوالي » و « المعـالي » و « مـالي » ، مـا أتى لها بـأخت ، وكان يمكنه ذلـك ، وتكررت معـه : [لفظـة][2] : « لي » ، بلام الجر ، ويـاء المتكلم ، وهو إيطاء ، وبعضهم تسمّح فيه[3] .

وكتب على كتابي (جنان[4] الجناس) :

نـزّهتُ في رَوْض الجنـان النـاضر طَرْفـاً يفـدّيـه بنُـور النـاظر
خَطرت بـه والْحُسْن فيـه شـاهـدٌ أبكارُ أفْكارٍ بَـدَت للخـاطر
أكرم بجنّـاتِ الجنـاس وزُهْرهـا مَعْ زَهْرهـا الـزاهي البهيّ البـاهر[5]
نَمّت بهـا لمـا نَمَت ريـح الصَّبـا فغـدت تَضَـوّعُ بـالعبير العـاطر
يحيـا الصريـع بهـا إذا مـا جَعْفرٌ منهـا أتت غـدرانـه بغـدائر

(١) في الأصل : « المنايا والمنى » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .
(٤) في الأصل : « جناس » ، تحريف .
(٥) في الأصل : « الجنان » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .

ويصير في رَوْضِ المحاسن خالداً | يأتي يفضل ربيعها للزائر
فاعْجَب لِرَوْض زخرفتُهُ يراعُه | في نقشِ قِرْطاس بنقس محابر
أضحى به دُرّ البلاغة زاهياً | فالناس فيه ناظم مع ناثر
قد فاق مُنْشِئه به مَنْ قبله | فاعجب لسبّاقٍ أتى في الآخر
ما قَدْرُ سَحبانٍ وقَدْر قُدامةٍ | إن خاض في بَحْر الخليل الزاخر
فلقد أتيتَ أبا الصفا بفضائلٍ | كَمُلَتْ به من كل وافٍ وافر
قلّدت أجيادَ الزمان قلائداً | نظّمتها مِنْ كلّ زَاهٍ زاهر
وسكنت مَعْنى العزّ ياابن الغر إذْ | أبرزت معنىً ذا بهاءٍ باهر(١)
فَلَكَ الفصاحةُ والسماحة والكيا | سة والرياسة من أقلّ مفاخر
قصّرتُ في مَدْحِيك فاعْذُر إنني | فَنّي فروعُ الفقه لست بشاعر
أصبحتُ مِنْ جَوْر الزمان نعامتي | فتخاءُ تجفل مِنْ صَفير الصافر(٢)
ونظمت هذا والهمومُ ضجيعتي | بل كان قَلْبي في جناحيْ طائر(٣)
فاغضض عن العيّ الذي في منطقي | واحرص بجهدك أن تقيم معاذري
واسْلَم ودُمْ لعرائسٍ أبْرَزْتها | وجَلَيْتَها مِنْ بكرِ فكرٍ ظاهر

فكتبت أنا الجواب أشكره على ذلك :

أَسَماءُ نَظْمٍ قدْ زَهَت بزواهر | وحديقةٌ قد أحْدَقَتْ بزواهر(٤)

---

(١) في (أ) : « ياابن العزّ » .

(٢) الفتخاء : اللينة الجناح . والبيت مأخوذ من قول عمران بن حطان يخاطب الحجاج لما حاصرته غزالة مع زوجها شبيب :

أسد علي وفي الحروب نعامة | ربداء تنفر من صفير الصافر

(٣) في الأصل : « بل كان في قلبي جناحي » ، ولا تستقيم . والبيت أيضا من تتة قول عمران بن حطان :

هلا برزت إلى غزالة بالضحى | بل كان قلبك في جناحي طائر

(٤) في (أ) : « بأزاهر » .

أمْ غـــادةٌ أهـــديتَهـــا في جيْبهـــا ... منْ شِعْرِكَ الفتّـــانِ عقْـــدُ جَـــواهر
بَكَرت [إليّ] فبــــاكرتني نشـــوةٌ ... مـا كان يَخْطُر مِثْلُها في خَـاطِري[1]
في بـــــاطني منهـــا بـــواقي سَكْرةٍ ... يبـــدو عليّ بهـــا المنـــا في ظـــاهري
مهـــلاً عـــلاءُ الـــدين قـــد حمّلتني ... مِننـــاً تفـــوقُ على الغمام المـــاطر
وجَبَرْتَ تصنيفي الكسير فقد غـدا ... يروي الإجـازة في الورى عن جـابر
مـــا هـــــذه أُولى يـــدٍ أَوْليتني ... لـك يـا بن سـالم ابْن عبـد النـاصر[2]
زهرٌ ودرٌ ذاك مِنْ رَوْضٍ زَهَـــــا ... نبتـــاً وهـــــذا من خضّمٍ زاخر
إن كان شعرٌ كنتَ أفْقَـــه عـــالم ... أو كان فقـــهٌ كنت أبْـــدَعَ شـــاعرِ

وكتب إليّ كثيراً وهذا القدر كاف .

وحمل إليّ (تخميس البردة) ؛ قصيدة البوصيري ، فكتبت أنا له عليها : « وقَفْتُ على هـذا التخميس الـذي طُرِّز طِرْسُه ، وسُقِيَ الفَضْلَ غَرْسُه ، وجـلا للعين عِرْسُه ، ونوّع في البـديع جِنْسَـه ، ونوّلَ أهلَ الأدب أُنْسَـه ، وساقَ إلى طيبـة بـأحمـال المـدائـح عَنْسَه[3] ، فرأيت أسرار البلاغة فيه فـاشيـه ، وأبكار الفصـاحـة كيف غـدت في خـدور السطور ناشيه ، و (البردةَ) كيف اكتست بهذه الزيادة رقة الحاشيه :

للهِ من جـــــاء بـــــه أوّلاً ... فـــإنـــه أتعبَ مَنْ بَعْـــدَه
عَسَّـــل ثغر الـــزهرِ في روضـــه ... لَمّـــا روى الإبـــداعَ عن شَهْـــده
وكلُّ سطرٍ غصنٌ قـــد غـــدا ... يحمـــل من قـــافيـــةٍ وَرْدَه
أقْسِم مـــا خمّسهـــا نـــاظماً ... لكنّـــه قـــد طرّز البُرْدَة

فيا لَهُ مِنْ سَهْمٍ خَرَج مِن كنانـه ، وشَهْمٍ لا يُثْني الإحجـامُ عِنَـانه ، وذي فهمٍ ثقّف

(١) الزيادة من (أ) .
(٢) كذا أثبت ألف الوصل في (ابن) ضرورة .
(٣) في الأصل : « عيسه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

العلمُ رمحَ قلمه ، وأرهف سنانَه ، لقد أصبحت غزّة به ذات عزّه ، وأمسى كثير الفضائل وفوائده تخجل منها عَزَّه ، يقول جاره البحر : ما لي عجائِبُه ، ولا لي لآليه ، ويعجز بَلَدِيُّه أبو إسحاق[١] أن يكون قِوىً [فيه][٢] لقوافيه ، ويرى الخيّاط أن البردة كانت قبل هذا التفصيل سدى ، ويعترف الرّفّاء[٣] أن إبرة قلمهِ قد لبست من المداد الصّدا ، فالله يديم لبني الآداب هذه الفوائد ، ويميرهم من هذه المآدب التي غصون أقلامهم في امتداحهم[٤] فوائد ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

علي بن سعيد بن سالم*

علاء الدين الصُّبَيْبي ، بضم الصاد المهملة ، وبعدها باء موحدة مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وباء ثانية نسبة إلى قلعة الصُّبيبة وهي قلعة بين صفد ودمشق ، [ومدينة][٥] هذه القلعة بليدة[٦] بانياس ، الخياط ، الشاعر المعروف بالشُّوش بشينين معجمتين بينهما واو ساكنة والأولى مضمومة .

كان من أعاجيب الأناسي ، وممن غدت لحيته وكأنها خُلقت بالمواسي ، ووقفت سُفنه في أبحر[٧] القريض ، ولم تجرِ لأنها قيّدت بالمراسي ، وأضحكت[٨] الثّكالى حركاته ، حتى قال الزمان : لقد بان ياسي من التعجب بعد البانياسي ، ما عساي أن أقول فيَمَنْ

---

(١) إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزي (ت ٥٢٤ هـ) ، الوافي : ٥١/٦ .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) التورية ظاهرة باسمي الشاعرين : الخياط ، والسري الرفاء .
(٤) في (أ) : « امتداحها » .
* الدرر : ٥١/٣ ، وفي (أ) : « علاء الدين أبو سعيد الصبيبي » .
(٥) زيادة من (أ) ، (ز) .
(٦) ليست في (أ) .
(٧) في الأصل : « بحر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٨) في الأصل : « وأضحك » ، وأثبتنا ما في (أ) .

يَزْعُم أنّ أبا الطيب عنده باقِل[١] ، وأن أبا تمام لم ينهض من الحضيض شعره المتثـاقل ، يدّعي مِثلَ هذا بتصميم ، ويتبادَى وما فيه شَعْرَةٌ من تميم .

ولم يزل في طيشه ، وتقتير عيشـه إلى أن دبّ سوس البِلى في الشوش ، وفتح فـاهـاً له قَبْرُه المرفوش[٢] .

وتوفي رحمه الله تعالى فجأة في شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في حدود سنة ست وسبعين وست مئة .

اجتمعت به غير مرة بالجامع الأموي وبجسر اللبّادين ، وكان ينشـدني كثيراً[٣] من شعره فأسمع العجـائب والغرائب ، وأشكرُ اللهَ على نعمـةِ العقلِ ، إلاّ أنـه كان ينـدر لـه البيت في القصيدة ونصف البيت .

وقال لي غيرَ مرة وأنا وهو نمشي في صحن الجامع بعد مـا يُـدير وجهـه إلى القبلـة : وحقَّ هـذا المعبـد ومـا يُتْلى فيـه ، لو اجتمعتِ الإنسُ والجن على أن يـأتـوا بمثـل شعري ما أتوا بمثله[٤] ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا[٥] .

وقال لي غيرَ مرة : أنـا والله الـذي لا إلـه إلاّ هو ، مـا لي غرض مع المتنبي ، شعري خير من شعره ، وكذا يقول في أبي تمّام وغيره .

ولقد قال لي مرّة وأنا بجسر اللبّادين : يا مولانا ! ما هذا الحاتمي [٦] إلا كان إمامـاً

---

(١) هو ممن يضرب بهم المثل في العيّ ، يقال : « أعيا من باقل » .

(٢) في (أ) : « المرشوش »ت

(٣) في (أ) : « شيئاً » .

(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (آ) ، (ز) .

(٥) اقتبس من قوله تعالى في سورة الإسراء ٨٨/١٧ : ﴿ لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ .

(٦) محمد بن الحسن بن المظفر ، لـه رسالـة سمّاهـا : « تقريع الملبـاجـة في معرفـة الشعر والشعراء » (ت ٣٨٨) ، الوافي : ٣٤٣/٢ .

عظيماً ، هَذَا يسمّي شعراء عُمُرُنا ما سمعنا بهم[(١)] ، مثل « الحَطَبة » ، كذا قال بالباء الموحدة ، ومثل « الطُّرْمَاخ » كذا قال ، بضم الطاء وسكون الراء ، وبعد الألف خاء معجمة .

وأنشدني في وقت قصيدة له ثانية جاء منها :

والليل أسود كالزنجيّ حالكُهُ   والبَرْقُ سَيْفٌ له فيه جراحاتُ

فقلت له : ياشيخ علاء الدين : عابوا عليك هذا ، وقالوا : كأنك تقول : الليل أسود أسود أسود ، فنفر فيّ وقال : ما أراك أنت الآخر إلاّ قليل العقل مثلهم .

وقال لي مرة : يا مولانا هجاني واحد أبلم[(٢)] ، قلت : ما قال ؟ قال : [قال][(٣)] :

في الخوّاصين خيّاط   قالوا إنّ اسمو الشوش
من جهلو صار لو   فوق راسُو شربوش

ثم مَرّ بيده على رأسه في الهوى ، وراح وجاء مرات ، وقال : يا مولانا ! أين الشربوش الذي على رأسي .

وقلت أنا فيه وقد تبرّمتُ به :

كأني إذا أنْشَا وأنشد شعرَه   «لدى سَمُرَاتِ الحيّ ناقفُ حنظل»[(٤)]
فيرمي ولا يدري فؤادي ومسمعي   « بجلمود صخر حطّه السّيلُ مَنْ عَل»

ونقلت من خطّ شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : أنشدنا لنفسه موشحاً :

(١) في الدرر نقلاً عن الصفدي : « يأتي بأسماء شعراء عمرنا ما سمعنا بهم » .
(٢) الأبلم : غليظ الشفتين .
(٣) زيادة من (أ) .
(٤) ضمن الشطر الثاني من معلقة امرئ القيس ، وكذلك البيت الثاني .

هل لكم من شعور بأفاعي الشعور حين يلدَغْنَ قَلْبي من كثيب الخصور
لا تــزيـــدوا[1] مــلامي مــــالــــدائي دوا
قــــد وهى بي غرامي وهــــوى بي الهــــوى
وبرى من عظــــامي جلْـــدَهـــا والقــــوى
وتــــداني حِمامي آه أنَّى[2] للنــــــوى
من ذوات الخدور هـل لنـا من مجير راشقـات بهـدب من نشاط الفتور
مِن سهــــام الجفــــون كم بقلبي كلــــوم
نَــزْحهــا[3] من عيــوني عنـــد ميّ مقيم
أوردتني منــــوني وهـــو منهم نعيم
لَــذّ فيهم شُجــوني أَقْصروا لا تلــومـــوا
إن نــار السعير جنّتي مَعْ سُروري لا تـزيـدوا فعتبي كنـادي القبـور

١١٥٧ ـ علي بن سليم بن ربيعة*

القاضي الفقيه الأديب أقضى القضاة ضياء الدين الأذرعي الشافعي .

تنقل في قضاء النواحي نحواً من ستين سنة من جهة ابن الصّايغ وغيره ، أكبرها طرابلس وأعمالها ، وناب بدمشق أياماً سنة تسع وعشرين ، وله نظم كثير ، من ذلك : نظم (التنبيه) في ستة عشر ألف بيت .

وكان منطبعاً بسّاماً عاقلاً .

(١) في الأصل : « لا تروا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .
(٢) في الأصل : « أنَّ النوى » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) في (أ) : « برحها » .
* الوافي : ١٤٠/٢١ ، والدرر : ٥٣/٣ ، والشذرات : ٩٦/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢١٢/٢ .

توفي رحمه الله تعالى بالرملة ثالث عشري شهر ربيع الأول[١] سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وله أربع وثمانون سنة .

١١٥٨ ـ علي بن سليمان بن أحمد*

أبو الحسن الهادي بالله ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم .

كان أبوه المستكفي بالله قد عهد إليه بالخلافة بَعْدَه ، فتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشرين شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وعاش أقل من عشرين سنة ، ودفن في تربة جدّه بجوار السيدة نفيسة رضي الله عنها ، وفجع به والده ، ووَجَدَ عليه وجداً عظيماً .

١١٥٩ ـ علي بن سنجر**

الإمام العالم تاج الدين بن قطب الدين أبي اليُمْن البغدادي [ابن][٢] السّباك ، بالسين المهملة وبالباء الموحدة المشددة ، وبعدها ألف وكاف ، الحَنفي .

عالم بغداذ ، وواحدها الذي يُطلق عليه أنه أستاذ ، انتهت إليه رئاسة المذهب بالمستنصريه ، وتفرّد [هناك][٣] بالعلوم الأدبيّه .

وكان قيّما بعرفانه ، ذكياً قد مضى فضلُه برفعةِ شانه . وخطّه رياض مُؤنِقَه ، وآفاقٌ بالشموس مُشْرِقه ، ما يرضى أن يكون ياقوت فصّاً في خاتمه ، ولا يرى أن جُودَ هذه الصناعة يُنْسَبُ إليه ، لا إلى حاتمه .

(١) في (أ) : « جمادى الأولى » ، سهو .

* الدرر : ٥٣/٣ .

** الوافي : ١٤٨/٢١ ، والدرر : ٥٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) زيادة من (أ) .

ونظم شعراً تجاوز به الشِّعرى ، وظنّ من سمعه أن قوافيه وُضعت في أذنه دُرّا .

ولم يزل على حاله إلى أن سُبكَ ابنُ السبّاك في بَوْتقة القبر ، وعدم الطلبة على المصيبة به ذخائر الصبر .

وتوفي رحمه الله ...[1] .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة ، أو في ستين ، في شعبان ، الشّكّ منه .

وكان قد سمع وهو كهل (صحيح البخاري) عن [ابن][2] أبي القاسم[3] ، و (أحكام) ابن تيميّة[4] منه ، و (إحياء علوم الدين) من كال الدين محمد بن المبارك الْمُخَرّمي[5] ، و (مسند الدارمي) من ست الملوك ، وله إجازة من أبي الفضل بن الدَبّاب[6] ، ومحمد بن المريح[7] .

وأخذ السبع عن أمين الدين مبارك بن عبد الله الموصلي ، والمنتجب التكريتي[8] .

وتفقّه على ظهير الدين محمد بن عُمَر البخاري ، وعلى مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب بن الساعاتي صاحب (مجمع البحرين)[9] .

---

(١) كذا في (أ) ، والوافي ، وفي الدرر أن توفي (٧٥٠) .

(٢) زيادة من (أ) والوافي .

(٣) عبد الله بن أبي القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ) ، الشذرات : ٣١٤/٥ .

(٤) مجد الدين ، كما في الدرر .

(٥) في الدرر : « المخزومي » .

(٦) في الدرر : « الزيات » ، تصحيف ، وهو محمد بن محمد بن علي (ت ٦٨٥ هـ) ، الشذرات : ٣٩٣/٥ .

(٧) في الوافي : « المزيح » ، وفي (أ) : « المرنخ » .

(٨) هو الحسين بن حسن ، المنتجب ، أبو عبد الله التكريتي (ت ٦٨٨ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤٠/١ .

(٩) اسمه بتمامه : مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية . الكشف : ١٦٠٠/٢ ، ووقع في الأصول : « تغلب » ، تصحيف .

وقرأ الفرائض على أبي العلاء محمود الكلاباذي [(١)] ، والأدب على حسين بن إياز [(٢)] ، وحفظ (اللمع) ، ثم (المفصّل) و (البداية) و (أصول) ابن الحاجب ، وله أرجوزة في الفقه ، وشرح أكثر (الجامع الكبير) .

ومن شعره :

هل أرى للفراق آخر عهدٍ   إنّ عُمْرَ الفراق عُمْرٌ طويلُ
طال حتى كأننا ما اجتمعنا   فكأنّ التقاءنا مستحيل

وأنشدني الإمام تقي الدين بن رافع ، قال : أنشدنا الْمَطَرِيّ ، قال : أنشدنا ابن السّباك لنفسه :

الأمرُ أعظمُ ممّا يَزْعُم البَشَرُ   لا عقلَ يدركه كَلاّ ولا نَظَرُ
فانظر بعينك أو فاغمض جفونك واحـ   ـذر أن تقولَ عَسَى أن ينفعَ الحذر
فكلٌّ قول الورى في جنب ما هو في   نفسِ الحقيقة إنْ هم فكّروا هَذَرَ [(٣)]
فاستغفر الله قولاً قد نطقت به   فيما مضى وهو في الألواح مستطر

وأنشدني الحافظ نجم الدين أبو الخير سعيد الذّهليْ ، قال : أنشدنا ابن السّباك لنفسه :

يا نهارَ الهجير نجم الدين قد طُلْتَ بالصّو   م كما طال ليلُ هَجْرِ الحبيب
ذاك قَدْ طالَ بانتظارِ طلوعٍ   مثلَ ما طُلْتَ بانتظار مغيب [(٤)]

---

(١) محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء البخاري الكلاباذي (ت ٧٠٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .
(٢) في (أ) : « أبار » .
(٣) في الوافي : « هذروا » .
(٤) في (أ) : « ما طال » .

ومن شعره :

يُخفي السلام عليّ خَوْفَ وُشَاته ويبيت لي حتى الصباحِ نديما
فلسانُه حين التقينا صامِتٌ ولِحاظه تُقْرينني التسليما[1]

قلت : هذه « تقرينني » مستثقلة إلى الغاية لو أنها في النيل كدّرته ، أو في وجه الصباح جدّرته ، ولو قال : ولحاظه تهدي لي التسليما ؛ لكان أحسنَ وأعذب في السمع .

ومن شعره :

لّما غدا والشهدُ مِنْ ريقه ودونه يُسْتشهد الْمُسْتَهام
ازدحم النمل على خَدّه والمنهلُ العَذْب كثير الزّحام

وكان قد قرأ عليه جماعة منهم : القاضي حسام الدين الغوري قاضي قضاة مصره ، ولّما ولي الغوري القضاء ببغداد دخل على شيخه ابن السباك بالخلعة ، وقال : الحمد لله الذي جعل من غلمانك قاضي القضاة .

ورأيت أنا بخطه نسخة (بالكشاف) في مجلدين صغيرين وهي كتابة عظيمة صحيحة مليحة إلى الغاية .

١١٦٠ ـ علي بن طرنطاي*

الأمير علاء بن الأمير الكبير حسام الدين طرنطاي المنصوري .

كان أصغر الأخوة ، وهو أمير عشرة بالديار المصرية ، مليح الشكل ، حسن الهيئة[2] .

توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وعمل عزاؤه أياماً .

---

(١) في (أ) : « تسليما » .

* الدرر : ٥٦/٣ .

(٢) في الأصل : « الهيبة » ، وأثبتنا ما في (أ) .

١١٦١ ـ علي بن طُغْريل*

الأمير علاء الدين أمير حاجب دمشق .

حضر من مصر إلى دمشق حاجباً في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة في أواخر أيام يَلْبُغا ، فما أقام إلا يَسيراً حَتّى جَرى ليلبغا ما جرى ، على ما سيأتي في ترجمته ، وكانت الملطّفات قد جاءت مِن السلطان المظفر حاجّي إليه وإلى الأمراء بدمشق بإمساك يلبغا ، فلما هرب يلبغا ساق الأمير علاء الدين خلفه وجماعةٌ من الأمراء ، ورَدَّ من رَدّ منهم ، وبقي هو وراءه إلى أن اضطره إلى حماة .

حكى لي الأمير سيف الدين تمر المهمندار أنه رأى هذا الأمير علاء الدين وقد جاءه اثنان من جماعة يلبغا ، وطعناه برمحيهما ، وأنه عطّل ذلك بقفا سيفه ، ولم يؤذِ أحداً منهما ، وكان يحكي لي ذلك ، ويتعجب من فروسيته .

ولم يزل بدمشق على إمرته ووظيفته إلى أن وصل الأمير سيف الدين أرغون شاه ، فأقام يدخل عليه في كل خدمة ، ويطلب منه الإقالة من الشام والرجوع إلى مصر إلى أن كتب له إلى باب السلطان ، وجاء الجواب بالإجابة إلى ذلك ، فعاد إلى مصر في شعبان سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ، وحضر الأمير سيف الدين منجك عوضه حاجباً .

وأقام الأمير علاء الدين بالقاهرة بطالاً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١١٦٢ ـ علي بن طَيْدَمُر كُكُزْ**

بضم الكافين ، وبعدهما زاي ، الأمير علاء الدين أحد أمراء العشرات بدمشق ، والده من مماليك السلطان الملك الناصر محمد .

* الوافي : ١٥٧/٢١ ، والدرر : ٥٦/٣ ، والسلوك : ٥٨٤/٣/٢ ، ٦٩٣ ، ٧٠٥ ، ٧٠٩ ، ٧٢٨ ، ٧٣٨ ، ٧٩٥ .

** الوافي : ١٥٨/٢١ ، والدرر : ٥٧/٣ .

وكان هذا ظريف القدّ ، أسيل الخدّ ، وجَفْنهُ يُجَرّد[١] سَيْفاً مـاضي الحـدّ ، وخـدّه كأنما وَرَدَ الوِرْدَ وما رَد ، ظريف العمّة ، لبق الشمائل ، يودّ الغصن لو ضمّه ، والبـدر لو وهبه كماله وتَمَّه . يتجمّل به الموكب إذا كان في دارته ، والأفق إذا تخيّل أنه في شارتـه . ومع حسنه البارع فكان لطيفا ، إذا خطا رأيت الْجَمال[٢] به مطيفـا ، سهل الانقيـاد ، كثير الوداد ، ليس فيه شمم ، ولا عنده عن طلب الميل صمم .

ولم يزل إلى أن أذبل الموت وَرْدَ خدّه ، وكفّ عن جفنه غَرْب حَدّه .

وتوفي رحمـه الله تعـالى في أوائـل شهر رجب سنـة تسـع وأربعين وسبـع مئـة ، ولم يبقل[٣] وجهه .

١١٦٣ ـ علي بن طنبغا قوين باشي*

علاء الدين ابن الأمير علاء الدين نائب حمص ونـائب غزة . تقـدّم ذكر والـده في مكانه من حرف الطاء .

كان هـذا عليّ ذا صـورة جميلـه ، وطلعـة كم جعلت القلـوب من حسنهـا دمنـة ، والعيون كليلـه ، أرشقَ من الغصن إذا عَطَفَتْـهُ النسمات ، وأعـدل من الرمح إلا أنَّ هـذا ألطفُ حركات ، كم فتن قلبا ، وجعل من الصبّ دمعه صبّا .

بينا هو بدرٌ في ليالي كماله إذا به قد انخسف[٤] ، وبينـا هو غصنٌ يميسُ في اعتـدالـه إذا هو[٥] قد انقصف ، وأنشد الناسُ قبره :

(١) في الأصل : « وسيفه مجرّد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) في الأصل : « الحال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) بقل وجهه : نبت فيه الشعر .
* الدرر : ٥٦/٣ .
(٤) في (أ) : « إذا هو انخسف » .
(٥) في (أ) : « به » .

مَـا أنت يـا قَبْرُ لا رَوْضٌ ولا فَلَـك   من أين جُمّـعَ فيـك الغُصْنُ والقَمَرُ

وتـوفي رحمـه الله تعـالى بُكْرَةَ الثـلاثـاء رابع عشر شهر ربيع الأول سنـة ثـلاث وعشرين وسبع مئة ، ومـات عن اثنتين وعشرين سنـة ، وصلى عليـه بسـوق الخيـل ، وحضره الأمير سيف الدين والأمراء .

وكانت جنازتـه حـافلة ، وكان قـد حجَّ مرّتين ، وأثنى النـاس عليـه ، وتـألموا لـه ولوالده .

١١٦٤ ـ علي بن عُثْمَان*

ابنِ يعقـوب بن عبـد الحـق السلطـان أبـو الحسن بن أبي سعيـد بن أبي يـوسف الْمَريني ، صاحب مرّاكش وفَاس وغَيْرِهما ، المريني ، تقدّم ذِكر والده في مكانه .

مَلَكَ أبو الحسن هذا ، رحمه الله تعالى ، بَعْدَ مَوْتِ والده سنة إحـدى وثلاثين وسبع مئة . وكان سلطاناً فاضلا ، مناظراً للفقهاء ولأرباب السلاح مناضلا .

قام بالجهاد مُدَّة مُلْكِه ، ونَظَم كثيراً مِنَ البلاد في سِلْكِـه ، امتشق الصوارم واعتقل الأَسَل ، واشتار العَسَل من غزواته وما اختـار الكَسَل ، وبـاشر القتـال بنفسـه ، وأقـام وَجْهَه للنبل[1] مُقَـام ترسِـه ، ووجـد ضَرْبَ الْمَواضي أحلى مِنَ الضَّرَب ، وجـادَ بروحـه للخطـوب[2] حتّى « كأنّما لـه في قَتْلِـه أرب » . يكُرُّ على الأبطـال ، والسيفُ مُصْلَتٌ بكفِّه ، ويُقْدِم على الصفوف باجتهادٍ ، كأنّه يخاف أن يُطْعَن مِنْ خَلْفِـه ، فما حَمَل على جيش إلاّ أبـادَه ، وأبـان للملائكـة كَرَّه ، وفَرّه وطِرادَه ، وأجـالَ في حَوْمـات[3] الوغى

* الدرر : ٨٥/٣ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ ، وتذكرة النبيه : ١٤٩/٣ ، والذيل التـام : ١٢٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ ، والسلوك : ٨٥٨/٢ .

(١) في الأصل و (خ) : « للنيل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) في (أ) ، (خ) : « للحتوف » ، وهي أشبه .

(٣) في الأصل : « حموات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

جيَادَه ، وارتجل المنايا للأعادي وبادَه[١] ، وعلّى صَرْحَ الإسلام وشادَه ، وأصْلَح فسادَ الدّهر وأهْلِه فسَاده ، هذا مَعَ فضائلَ بَحْرُها زَخّار ، وعلومٍ نيّرها سيّار .

ولم يزل في جهاد[٢] مع الفِرنج ، وحُروبٍ نصره الله فيها ، وقد ظنَّ أنّه لم يَنْجِ ، إلى أن أدْبَرَ سَعْدُه ، وأخْلَفَهُ الزمانَ وَعْده ، وطالما صَدَق وَعْدُه ، وخانه حتّى ابنُه ، وسَاعَدَه عليه حتى أدْبَرَتْ شجاعته وأقبل جُبنه ، وهذه قاعدةُ الأيام التي قلَّ ما انخَرَمَت ، وطالما أصبحت جَمَراتها رمَاداً بعد ما اضطرمَت .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة[٣] .

وكان هذا السلطانُ أبو الحسن قد صادَقَ سلطاننا الأعظم الملك الناصر محمد بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون ، وهَاداه ورَاسله ، وجهّزَ إليه التحف والطُرَف ، وجَهّز إليه مرّةً في سنةِ ثمان وثلاثين وسبع مئة خمسين فرساً بسُروجها وعُدَدِها الْمَغْرِبيّة صحبة الجهة التي حضرت للحجاز ، وتُدْعى « الْحرَّة » ، وحضر معها شيء كثير[٤] من التحف النفائس .

قيل : إنّها أحْضَرَت معها صورةَ كَرْمَةٍ تُحمل على رؤوس النّساء ، عناقيدُها الجواهرُ النَّفيسة ، وأحضرت مِنَ الثياب البيضِ الرِّفاع جُمْلَةً وافرة . وكانت هذه السروج على كلِّ ركابٍ منها طلاءُ ذَهب ، ستّةُ سبعةُ دنانير ، وأمر السلطان لها بجميع[٥] ما دعت حاجتُها إليه من آلاتِ الحجّ وزادِه وماعونِ مائهِ لها ولمن[٦] حضر معها ، وكان

---

(١) من المبادهة .

(٢) في الأصل : « اجتهاد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) وفاته في المصادر الأخرى سنة (٧٥٢) ، ويؤيد هذا التاريخ أن ابن تغري بردي قال : « وكانت مدة ملكه إحدى وعشرين سنة » . وقد استلم الحكم من أبيه سنة (٧٣١ هـ) .

(٤) في (خ) : « وأحضرَ معها شيئاً كثيراً ».

(٥) في (أ) ، (خ) : « يجمع » .

(٦) في الأصل : « وما عونه ولمن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مَعَها فيما أظنّ خمس مئة نفر ، ولمّا عادت أرسل السلطان معها مِنْ تُحَفِ مِصْرَ وقماشِ إسكندريّة ، وقماش العراق شيئاً كثيراً .

وكان قد جَهّز إلى مكة ، شرّفها الله تعالى ، ختمةً بخطّ يده ، وقْرَ[1] بَعير مذهّبَة مليحة في بابها ، وإلى القُدْس الشريف خِتْمة أخرى نظيرها صحبة ابن فَرْقَاجة ، وجهّز معه مَبْلغاً اشترى به مُلْكاً وَوَقَفه على من يقوم بقراءة القرآن هنا وهنا .

وكانت المكاتبات ما تنقطعُ بينهما كل[2] قليل . وورَدَ منه[3] كتابٌ على السلطان الملك الصّالح إسماعيل في أواخر شعبان سنة خمس وأربعين وسبع مئة على يد كاتبه ابن أبي مِدْيَن يُعَزّي السلطان فيه بأبيه ، ويهنئه بالجلوس على تَخْتِ الْمُلْك ، ويذكر واقعةً جَرَتْ له ، ويطلب الدعاء ، ويستنجد به على الأَعْدَاء ، ونسخته بعد الحمدلة[4] والصلاة : « مِنْ عبد الله عَليّ أميرِ المسلمين الْمُجَاهدين في سبيلِ ربّ العالمين ، المنصورِ بفضل الله ، المتوكل عليه ، المعتمد به جميع[5] أموره ما لديه ، سلطانِ البرّين ، حامي العَدْوَتين ، مؤثِرِ المرابطة والْمُثَاغرة ، مؤازر حَرْب الإسلام ، مظاهرِ دين الْمَلِك العَلاّم ، ابن مولانا أمير المسلمين المجاهدين[6] في سبيل ربّ العالمين ، فخر السلاطين ، حامي حَوْزةِ الدين ، ملكِ البَرّين ، إمامِ العَدْوَتين ، ممهّد البلاد ، مبدِّدِ شَمْلِ الأَعَاد ، مجنّدِ الجنود ، المنصورِ الرايات [والبنود][7] ، محطّ الرِّحال ، مُبَلّغ الآمال ، أبي سعيد ابن مولانا أميرِ المسلمين المجاهد في سبيل ربّ العالمين ، حسنةِ الأيام ، حسامِ الإسلام ، أبي الأملاك ، شَجى أهلِ العِناد والإشراك ، مانعِ البلاد ، رافعِ علمِ الجهاد ، مُدَوّخ

(١) الوقر : الحمل .
(٢) في (أ) ، (خ) : « في كلّ » .
(٣) ليست في (خ) .
(٤) في (أ) ، (خ) : « البسملة » .
(٥) في (أ) : « في جميع » .
(٦) في (خ) : « المجاهد » .
(٧) زيادة من (أ) ، (خ) .

أقطارِ الكفار ، مُصْرِخ مَنْ ناداه للاستنصار[(١)] ، القائمِ لله بإعلاء دين الحقّ ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أخلصَ اللهُ لوجهه جهادَه ، ويَسّرَ في قَهْرِ عُداةِ الدين مُرادَه .

إلى محلّ ولدنا الذي طلع في أفق العُلا بَدْراً تمَّا ، وصَدَع بأنوار[(٢)] الفخار فجلّى ظلاماً وظُلْمَا ، وجَمّع شَمْلَ المملكةِ الناصريّة ، فأعلى منها عَلَما ، وأحيا بها[(٣)] رَسْما ، حائط الحرمين ، القائمِ بحفظ القِبْلَتين ، باسطِ الأَمَان ، قابضِ كفّ العُدْوَان ، الجزيلِ النوال ، الكفيلِ تأمينُه بحياطةِ النفوسِ والآمال ، قُطبِ الْمَجْدِ وسماكه ، حَسْبِ الحمد وملاكه : السلطان الجليل ، الرفيعِ الأصيل ، الحافل العادل ، الفاضل الكامل ، الشهيرِ الخطير ، الأضخم الأفخم ، المعان المورّث[(٤)] المؤيّد المظفّر ، الملكِ الصالح ، أبو الوليد إسماعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه ، المستطير في الآفاق ثناؤه ، زين الأيّام والليال ، كمّال عَيْنِ إنسان الْمَجْد ، وإنسانُ عَيْنِ الكمال ، وارث الدُّوَل ، النافث بصحيح رأيه[(٥)] في عقود أهْلِ المِلَلِ والنحل ، حامي القبلتين بعَدْله وحُسَامه ، النامي في حِفْظ الحَرَمين أجرُ اضطلاعِه بذلك وقيامه ، هازم أحزابِ الْمُعَاندين وجيوشها ، هادم الكنائس والبِيَع ﴿ فهي خاويةٌ على عُرُوشها ﴾[(٦)] ، السلطان الأجلّ الهُمَام ، الأحْفَل ، الأفخم ، الأضْخَم ، الفاضل العادل ، الشهير الكبير ، الرفيع الخطير ، المجاهد المرابط ، الْمُقْسِط عَدْلَه في الجائر والقَاسط ، المؤيّد المظفر المنعّم الْمُقَدَّس الْمُطَهّر ، زين السلاطين ، ناصر الدنيا والدين ، أبي المعالي محمد ابن الملك الأرضى الهمام[(٧)]

---

(١) في (أ) ، (خ) : « للانتصار » . وأصرخه : أنجده ونصره .
(٢) في (خ) : « بأنواع » ، تحريف .
(٣) في (خ) : « لها » .
(٤) في الأصل : « المؤدب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) في (خ) : « بصحيح عُقَد رأيه » .
(٦) الحج : ٤٥/٢٢ .
(٧) في (خ) : « الهيامي » .

الأقضى ، والـد السـلاطين الأخيـار ، عـاقـد لـواء النصر في قهر الأرْمَن والفرنـج والططار[١] ، مُحْيي رسوم الجهاد ، مُعلي كلمة الإسلام في البلاد ، جمال الأيام ، ثمال الأعلام ، فاتح الأقاليم[٢] ، صالح ملوك عصره المتقادم ، الإمام المؤيّد المنصور المُسَدّد ، قسيم أمير المؤمنين فيما تَقَلَّد ، الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاوون مكّن الله له تمكين أوليائه ، ونمّى دَوْلَته التي أطلعها السعدُ شمساً في سمائه ، وأحسن إبزاغه للشكر أنْ جعله وارث آبائه .

سلامٌ كريم يفاوح زَهْرَ الرُّبا مسراه ، وينافح نسيم الصِبّا مَجْراه ، يَصْحَبُه رضوانٌ يَدُوم مادامت تقلّ الفَلَك حركاتُه ، ويتولاه رَوْح وَرَيْحَان[٣] تحيّيه به رحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله مالك الملك ، جَاعلِ[٤] العاقبة للتقوى صدعاً باليقين ودفعاً للشك ، وخاذل[٥] من أسرّ في النفاق النجوى ، فأصرَّ على الدَّخَن[٦] والإفك . والصلاة والسلام على نبينا محمد ورسوله الذي محا بأنوار الهدى ظُلَم الشّرك ، ونبيّه الذي ختم به الأنبياء ، وهو واسطة ذلك السِّلْك ، ودَحَا به حجّة الحق ، فمادَت بالكفرة محمولة الأفلاكِ ، وماجت بهم حاملة الفلك ، والرضا من آله وصحبه الذين ملكوا سبل[٧] هُدَاه ، فَسَلكَ في قلوبهم أجمل السِّلْك ، وملكوا أعنّة هواهم ، فلزموا مِنْ محجّة الصواب أَسْحَجَ[٨] الْهُلْك ، وصابَرُوا في جهاد الأَعْدَاء ، فزاد خُلوصهم مع الابتلاء ، والذَّهَبُ

(١) في الأصل : « الشطار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) في (خ) : « الأقالم » .

(٣) اقتباس من قوله تعالى في سورة الواقعة ٥٦/٨٩ : ﴿ فروح وريحان وجنّة نعيم ﴾ .

(٤) في الأصل : « فاعل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في (خ) : « وجادل » .

(٦) الدخن : الحقد وسوء الخلق .

(٧) في (أ) ، (خ) : « سلكوا سبيل » .

(٨) الإسحاج : حسن العفو . ومنه : « ملكت فأسجح » .

يزيد خلوصاً على السَّبْك ، والدعاء لأولياء الإسلام ، وحماته الأعلام بنصر لمضائه في العدا[١] أعظم الفتك ، ويَسّرَ بقضائه دَرْكَ آمال الظهور ، وأَحْفِل بذلك الدَّرْك ، فكتبنا إليكم ـ كتب الله لكم رسوخ القدم ، وسبوغَ النعم ـ من حضرتنا بمدينة فاس المحروسة وصنْع الله سبحانه تُعْرّف مذاهب الألطاف ، وتكيّف مواهب تلهَج الألسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ، وتصرف من أمره العظيم وقضائه المتلقَّى بالتسليم ما يتكوّنُ بَيْنَ الكاف والنون ، ومكانكم العتيد سلطانه ، وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه ، وعلاؤكم الفسيح في مجال الجلال مَيْدانُه ، وإلى هذا زاد الله سلطانكم تمكيناً ، وأفاد مَقامكم تحصيناً وتحسيناً ، وسلك بكم من سنن[٢] من خَلَفتموه سبيلاً مُبيناً ، فلا خفاء بما كانت عَقَدَتْهُ أَيْدي التقوى ومهّدته الرسائل التي على الصّفاء تُطْوَى بيننا وبين والدكم ـ نعّم الله روحه وقدّسه ، وبقربه مع الأبرار في عِلّيين آنسه ـ من مؤاخاة أحكمت منها العقودَ تاليةُ الكتب والفاتحة ، وحفظ عليها محكمَ الإخلاص معوّذتاها المحبّة والنية الصالحية ، فانعقدت على التقوى والرّضوان ، واعتضدت بتعارف الأرواح عند تنازُح الأبدان حتّى استحكمت وُصْلَةُ الولاء ، والتحمت كلحمة[٣] النسب لحمة الإخاء ، فما كان إلاّ وشيكاً من الزمان ، ولا عجبَ في قِصَرِ زَمَنِ الوُصْلَة أن يشكوه الخلاّن وردَ واردٌ أورد رَنق[٤] المشارب ، وحقّق قَوْلَ : « ومَنْ يسأل الرُّكبانَ عَنْ كلّ غائب » ، أنبأ باستئثار الله بنفسه الزكيّة وإكنان دُرَّته السنيّة ، وانقلابه إلى ما أعدّ له من المنازل الرضوانية بجليل ما وَقَر لفَقْدِه في الصدور ، وعظيمِ ما تأثرت له النفوس لوقوع[٥] ذلك المقدور حناناً للإسلام بتلك الأقطار وإشفاقاً من أن يعتور قاصدي بيت الله الحرام من حرّ الفتن عارض الأضرار ، ومساهمة في مصاب الملك الكريم ،

(١) في (أ) ، (خ) : « الأعداء » .
(٢) في (خ) : « سبيل » .
(٣) في الأصل : « كلمة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) الرنق : الكدر في الماء .
(٥) في الأصل : « لولوع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والولي الحميم ، عمِيَت الأخبـار ، وطُويت طيّ السجلّ الآثـار ، فلم نرَ مُخْبراً صـدقـاً ولا مُعْلماً بمن استقرَّ له ذلك الْمُلك حقـاً ، وفي أثنـاء ذلـك أحفزنـا الحركـة عن[1] حضرتنـا لاستصراخ أهل الأنـدلس وسلطـانهـا وتواتر الأخبـار بـأنَّ النصـارى أجمعوا على خراب أوطانها ، ونحن أثناء ذلكم الشأن نستخبر الواردَ من تلكم البلدان عمّا أجلى عنـه لَيْلُ الفتن بتلكم الأوطان .

فبعد لأْيٍ وقعنا منها على الخبير ، وجـاءنـا بوقـايـة حرم الله بكم البشير ، وتعرفنـا أنَّ الْمُلْك استقرَّ منكم في نصابه ، وتداركه الله منكم بفـاتح الخير من أبوابـه ، فـأطفـأ بكم نارَ الفتنة وأخمدها ، وأبرأ مِن أدواء النفـاق مـا أعَلَّ البلادَ وأفسـدهـا . فقـام على سبيـل الحجّ سابلا ، وتعبَّد طريقَه لمن جاء قاصداً أو قـافلا ، ولمَّـا اجتَمَعَتْ بهـذا الخبر القرائن ، وتواتر بنقله الحاضر له والمعـاين ، أثـار حفـظ الاعتقـاد البواعثُ ، والودّ الصحيح تجرّه حقـاً المـوارث ، فـأصـدرنـا لكم هـذه المخـاطبـة المتفننـة الأطـوار ، الجـامعـة بين الخبر والاستخبار الْمَلبسة من العزاء والهناء ثوبي الشّعار والـدّثـار ، ومثل ذلكم الملكِ رضوانُ الله عليـه مَنْ يجلّ المصـاب لفقـدانـه ، وتُحَلُّ عُرَا الاصطبـار لمـوتـه ولات حينِ أوانـه ، ولكن الصبر الجميل أجمل مـا[2] ارتـداه ذو عَقْل حصين ، والأجر أولى مـا اقتنـاه ذو دِينٍ مَتين ، ومثلكم من لا يخف وَقَـارُه ، ولا يشفّ عَن ظهـور الْجَـزَع للحـادث[3] اصطبـاره ومن خَلَّفكم فما مات ذكره ، ومن قمتم بأمره فما زال بل زاد فَخْرُه ، وقد طالت والحمـد لله العيشةُ الراضيّة بالحقب ، وطاب بين مبتداه ومُحْتَضِره[4] هنيئاً بمـا مِنَ الأَجْر اكتسب ،

(١) في (خ) : « من » .

(٢) في (أ) : « بما » .

(٣) في الأصـل : « ولا يخف من ظهـور الجـزع الحـادث » ، وفي (خ) : « ولا يشفّ عن ظهـور الجــزع الحادث » ، وأثبتنا ما في (أ) ، وهي أقرب .

(٤) لعلّه يشير إلى قول الشاعر :

بين باديه ومحتضره

وفي (خ) : « وخبره » .

وصار حميداً إلى خَيْر الْمُنْقَلب ، ووَفَد من كرم الله على أفضل ما منح موقناً وَوَهب ، فقد ارتضاكم الله بَعْده[١] لحياطة أرضه المقدّسه ، وحماية زوّار بيته مقيمة[٢] أو مُعَرّسه ، ونَحْنُ بَعْدَ بَسْط هذه التعزية نهنئكم بما خوّلكم الله أجملَ التهنئة ، وفي ذات الله الإيراد والإصدار ، وفي مرضاته سبحانه الإضار والإظهار ، فاستقبلوا دولةً ألقى العزّ عليها رِوَاقَه ، وعقد الظهورُ عليها نِطاقَه ، وأعطاها أَمانُ الزمان عهده[٣] وميثاقه ، ونحن على ما عاهَدنا عليه الملكَ الناصر رضوان الله عليه من عهود موثّقه ، وموالاة محقّقة وثناء كمائمه عن الزهر غِبَّ القطر مفتّقه ، ولم يغب [عنكم][٤] ما كان مِنْ بَعْثِنا الْمُصْحَفين المكرمين[٥] اللّذين خطّتهما منّا اليمين ، وأَوَت[٦] بهما الرغبة من الحرمين الشريفين إلى ﴿ قرار مكين ﴾[٧] ، وأنه كان لوالدكم الملك الناصر ؛ تولاه الله برضوانه وأورده موارد إحسانه ؛ في ذلكم من الفعل الجميل ، والصنع الجليل ، ما ناسب مكانه الرفيع ، وشاكله فَضلُه من البر[٨] الذي لا يضيع حتّى طبّق فعلُه الآفاق ذكرا ، وطوّق أعناق الورّاد والقصّاد بِرّا ، وكان من أجمل ما به تحفّى وأتْحَف ، وأعظم ما يعرفه إلى رضا الملك العلاّم في ذلك تَعَرَّف ، إذنه للمتوجّهين إذ ذاك في شراء رباع[٩] توقف على الْمَصْحَفين ، ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين ، فجَرَت أحوال القرّاء فيها بذلك الخراج المستفاد وبما يصلهم من خراج ما وقفناه عليهم بهذه

---

(١) في الأصل : « لهذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في (أ) ، (خ) : « مقيلة » .
(٣) في (خ) : « عقده » .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في (أ) : « الأكرمين » ، وفي (خ) : « الكريمين » .
(٦) في (أ) ، (خ) : « وأرت » .
(٧) المؤمنون : ١٣/٢٣ ، والمراسلات : ٢١/٧٧ .
(٨) في الأصل : « الرأي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٩) في الأصل : « أرباع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

البلاد ، على ما رسمه رحمة الله عليه من عنايـة بهم متصلـه ، واحترامٍ في تلـك الأوقـاف فوائدُها به مُوَفّرة [(١)] مُتحصّله .

وقد أمرنا مؤدّي هذه لِكَمَالِكم ، ومُوفِدها على جلالكم كاتبنـا الأسنى الفقيـه الأجل الأحظى الأكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيـه الأجل الحـاج الأتقى الأرضى الأفضل الأحظى الأكمل المرحوم أبي عبد الله بن أبي مَدْين حفظ الله عليه رُتْبَتَـه [(٢)] ، ويَسَّر في قصد البيتِ الحرام بُغْيَته ، بأنْ يتفقّـدَ أحوالَ تلـك الأوقـاف ، ويتعرَّفَ تصرّفَ النـاظر عليهـا ، ومـا فعلـه من سَـداد وإسراف . ويتخير لهـا من [(٣)] يرتضى لـذلـك ، ويُحْمَد تصرفه فيما هنالك ، وخاطبْنَا سلطانكم في هذا الشـأن جَرْيـا على الودّ الثـابت الأركان ، وإعلاماً بما لوالدكم رحمه الله تعالى في ذلك من الأفعـال الحِسَـان ، وكمالُكم يقتضي تخليـد ذلكم البرّ الجميل ، وتجـديـد [عمل][(٤)] ذلكم الملـك الجليل ، وتشييـد مـا اشتمل عليـه من الشكر الأصيل والأجْرِ الجزيل ، والتقدّم بالإذن السلطـاني في إعـانـة هـذا الوافـد بهـذا الكتاب ، على ما يتوخاه في ذلـك الشـأن مِنْ طُرَق الصّواب ، وثنـاؤنـا[(٥)] عليكم الثنـاء الذي يُفَاوِح زَهْرَ الرُّبَا ، ويطارح نَغَم حَمام الأيك مُطرِبا .

وبحسب المصـافـاة ومقتضى الْمُـوَالاة نشرح لكم المتزيّـدات بهـذه الجهـات ، وننبئكم بموجب إبطاء إنفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجناب ، وذلك أنَّـه لَمَّـا وصَلَنـا من الأنـدلس الصريخ ، ونادى الجهاد منّا عَزْماً لمثل ندائه نَصيخ ، أنبأنا أنَّ الكفار قد جَمَعوا أحزابهم من كل صوب ، وحتّم عليهم بَابَـاهُمُ اللعين التنـاصرَ من كلّ أَوْب ، وأن تقصـدَ طوائفُهم البلادَ الأندلسيّة بإيجـافهـا[(٦)] ، وتُنقص بـالمنـازليّـة[(٧)] أرضَهـا من أطرافهـا ، لتمحو كلمـةَ

(١) في (أ) ، (خ) : « متوفّرة » .
(٢) في الأصل : « مدّته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) في (أ) ، (خ) : « وأن يتخيّر » . وفي الأصل : « ما يرضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « وثناؤه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) أي : بالاستيلاء عليها .
(٧) في (أ) ، (خ) : « بالمنازلة » .

الإسلام منها ، وتقلّصَ ظلّ الإيمان عنها ، فقدَّمْنَا من يشتغل بالأساطيل من القُوّاد ، وسِرْنا على أثرهم إلى سبتة منتهى المغرب الأقصى وباب الجهاد .

فما وصلناها إلا وقد أخذَ أخذَهُ العدوّ الكفور ، وسدّ اختطاف الطواغيت على التعاون مجاز العبور ، وأتوا من أجفالهم[1] بما لا يحصى عدداً وأرْصَدوها بجمع البحر حيث المجاز إلى دفع العِدا ، وتقلصوا عن الانبساط في البلاد ، واجتمعوا إلى الجزيرة الخضراء ، أعاذها الله ، بكلّ مَنْ جمعوه من الأعادِ ، لكنّا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجميل ، حاولنا إمداد تلكم البلاد بحسب الجهد ، وأصرخناهم بمن أمكننا من الجند ، وجهّزنا أجفاناً مختلسين فرصة الإجازة وتَتَّرِد على خَطر مَنْ جهّز الجهاد جهازه ، وأمرْنا لصاحب الأندلس مِنْ المال بما[2] يجهزّ به حركته لُمداناة حِزْب الضلاّل ، وأجرينا له ولجيشه العطاء الجزل مشاهره ، وأرضخنا لهم في النوال ما نرجو به ثواب الآخره ، وجَعَلَتْ أجفانُنا تَتَردّد من يمشي السواحل ، ويلج أبواب الخوف العاجل ، لإحراز الأمن الآجل ، مشحونة بالعُدد الموفوره ، والأبطال المشهوره ، والخيل المسوّمه ، والأقوات الُمقوّمه ، فَمن ناجٍ حاربَ دُونه الأجل ، وشهيدٍ مضى لما عند الله عز وجل ، وما زالت الأجفان تترّدد على ذلك الخطر ، حتى تَلِفَ منها سبع وستون قطعةً غَزَويّة أجرها عند الله يدّخر[3] ، ثم لم نقنع بهذا العمل والإمداد ، فبعثنا أحد أولادِنا أسعدهم مُسَاهمة[4] لأهلْ تلك البلاد ، فلقي من هول البحر وارتجاجه ، وإلحاح العدوّ ولجاجه ، ما به الأمثالُ تُضْرب وبمثله يُتَحَدث ويُسْتَغرب ، وَلّما خلص لتلك العَدْوَة بمن أبْقَتْهُ الشدائد نَزَل بإزاء الكافر الجاحد ، حتّى كان منه بفرسخين أو أدنى ، وقد ضَرب بطعنٍ يصابح العدوّ ويماسيه بحرب بها يُمنَى ، وقد كان

(١) ضرب من السفن ، وفي (أ) ، (خ) : « أجفالهم » .

(٢) في الأصل : « بالماليّة بل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « مُدَّخر » .

(٤) في الأصل : « مشابهه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مِن مَـدَنِـا بـالجزيرة جيش شريت شرَارتـه ، وقويت في الحرب إدارتـه ، يبلون البلاء الأصـدق ، ولا يبـالون بـالعـدوّ وهم منـه كالشـامـة البيضـاء في البعير الأورق ، إلا أنَّ المطاولـة بحصرهـا[1] في البحر مـدة ثلاثـة أعوام ونصف ، ومنـازلتهـا في البرّ نحو عـامين معقوداً عليهـا الصفّ بـالصَّف ، أدى إلى فنـاء الأقوات بـالبلـد حتى لم يبقَ لأهلـه قُوت نصف شهر مع انقطـاع الْمَـدَد ، وبـه من الخلـق مـا يُربي على عشرة آلاف دون الحَرَم والولد .

فكتبَ إلينا سلطانُ الأندلس يرغب في الإذن لـه في عَقْـد الصُّلح ، ووقَع الاتفـاق على أنَّه لاستخلاص المسلمين من وجوه النُّجح .

فأذنَّا فيـه الإذن العـام ، إذ في إصراخِـه وإصراخ مَنْ في قُطْره من المسلمين توخينـا ذلك المرام ، هنالك دعا النصارى إلى السّلم فاستجـابوا لـداعيـه ، وقـد كانوا عَلِموا فنـاء القوت[2] ، وما استرابوا الصلح إلى عشر سنين ، وخرج من بها [من][3] فرسان ورجال وأهـل وبنين ، ولم يُرْزؤوا مـالاً ولا عُـدّه ، ولا لقـوا في خروجهم غير النزوع عن أوّل أرضٍ مسَّ الجَلدة ترابها شدّه ، ووصلوا إلينا فأجزلنا لهم العطـاء ، وأسلينـاهم عمَّـا جرى بالحِبـاء ، فمن خيل تزيـد على الألف عتـاقهـا ، وخلع تُربي على عشرة آلاف أطواقهـا ، وأمـوالٍ عمّت الغنيَّ والفقير ، ورعـايـةٍ شملت الجميـع بـالعيشِ النضير ، وكفى بـالله ضَرَّ الطواغيت عمّا عَداها ، وما انقلبوا بغير مَدرةٍ عفا رسمها وصمَّ صداها[4] .

وقد كان من لطف الله حين قضى بأخذ هذا الثغر أن قدّم لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر ، وهو المطلّ على هذه المدَرَه ، والفرصـة منـه فيهـا إن شـاء الله مُيَسره[5] ،

(١) ليست في (خ) .

(٢) في الأصل : « الموت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) إشارة إلى قول امرئ القيس :

صَمَّ صـداهـا وعفـا رسمهـا   واستعجمت عن منطـق السـائـل

(٥) في (أ) ، (خ) : « متيسّرة » .

حين يفترق[(١)] عقد الكفار ، ويُفرد بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الدار[(٢)] فلولا إجلابهم من كلّ جانب ، وكونُهم سدّوا مسلك العبور بما لجميعهم من الأجفان والمراكب ، لما بالينا بأضعافهم ، ولحللنا بعون الله عقد اتفاقهم . ولكن للموانع أحكام ، ولا رادّ لما جرت به الأقلام ، وقد أمّرْنا لذلك الثغر بمزيد المَدَد ، وتخيّرنا له ولسائر تلك البلاد [من][(٣)] العَدد والعُدد ، وعُدْنا لحضرتنا « فاس » لتستريح الجيوش من وَعْثَاء السفر ، وتُربط الجياد وتنتخب العُدد لوقت الظهور المنتظر ، وتكون على أُهْبَة الجهاد وعلى مَرْقَب الفرصة عند تمكّنها في الأعاد ، وعند عَوْدنا من تلك المحاولة نسيّر الركب الحجاز موجهاً إلى هنالكم رواحله ، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب إصدار الودّ[(٤)] الخالص والحُبّ اللباب ، وعندنا لكم ما عند أَحْنَى الآباء ، واعتقادُنا فيكم في ذات الله لا يَخْشى جَديدَه من البَلاء ، وما لكم مِن[(٥)] غَرَضٍ بهذه الأنحاء ، فَمُوفّىً قَصْدُه على أكمل الأهواء موالىً تَتْميه على أجمل الآراء ، والبلاد باتحاد الودّ مُتّحده ، والقلوب والأيدي على ما فيه من مَرْضاة الله تعالى معتضده ، جعل الله ذلكم خالصاً لربّ العباد ، مذخوراً ليوم التناد ، مسطوراً في الأعمال الصالحة يومَ المعاد بمَنّه وفضله ، وهو سبحانَه يصل إليكم سعداً تتفاخر به سعود الكواكب ، وتتضفّر على الانقياد له صدور المواكب ، وتتقاصر عن نيل مجده متطاولات المناكب ، والسلام الأتمّ يَخُصّكم كثيراً أثيراً ، ورحمة الله وبركاته .

وكتب في يوم الخميس السادس والعشرين لشَهْر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مئة ، صورة خط أبي الحسن المريني صاحب فارس .

وكتب في التاريخ المؤرخ .

---

(١) في (خ) : « تفرّق ».

(٢) في (أ) ، (خ) : « الأقطار » .

(٣) زيادة من « أ » .

(٤) في الأصل : « اللّب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

وكنت أنا إذ ذاك في القاهرة فرُسِم لي بكتابة الجواب فكتبته بخطي من إنشائي ، في سادس شهر رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وسبع مئة بعد البسملة في قطع النصف بقلم الثلث :

عبد الله ووليّه

صورة العلامة الشريفة

وَلَده إسماعيل بن محمد .

السلطان الملك الصّالح السيّد العالم العادل المؤيّد المجاهِد الْمُثَاغر المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدّين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالَمين ، مُنْصف المظلومين من الظالمين ، وارث الْمُلْك ، مَلك العربِ والعجم والترك ، فاتح الأقطار ، واهب الممالك والأمصار ، إسكندر الزمان ، مُمَلّك أصحاب المنابر والأَسِرَّة والتخوت والتيجان ، ظلُّ الله في أرضه ، القائم بسُنّته وفَرْضِه ، مالِكُ البحرين ، خادمُ الحَرَمَيْن الشريفين ، سيّدُ الملوك والسلاطين ، جامعُ كلمةِ الموحّدين ، وليّ أمير المؤمنين ، أبو الفداء إسماعيل ابن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين ، أبي الفتح محمّد ابن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون ، خلّدَ الله سلطانه ، وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه .

يخصّ المقامَ العالي الملك الأجلّ الكبير المجاهد المؤيّد المرابط الثاغر المعظم المظفر المعمّر الأصعد الأوحد الأمجد الأنجد السَّنِيّ السَّرِيّ ، المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، أمدّه الله بالظّفر ، وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبُكَر ، بسلام وشَّتِ البروقُ وشائعه ، وادّخرت الكواكب ودائعه ، واستوعب[1] الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه ، وثناءٍ اتّخذ المِسْك الأذفر طلائِعَه ، ونبّه للتغريد في الروض سواجعه ، وجَلاَ في كأسه من الشفق الأحمر مداماً ومن النجوم فواقِعَه .

(١) في (أ) : « واستودع » .

بعد حمد الله على نِعَمٍ أدّت لنا الأمانة في عَوْد سلطنة والدنا الموروثه ، وأجلستنا على سرير مملكة زرابيّها بين النجوم مبثوثه[١] ، وأحسنت بنا الخَلَف عن سلفٍ عهودُه في الأعناق غَيْرُ منكورة ولا منكوثه .

وصلاته على سَيّدنا محمَّد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم[٢] في الكفرة غايةَ أمله وسُوله ، صلاةً تنحطّ بالرضوان سُيولها ، وتُجَر بالغفران ذُيولُها ، ماتراسلَ أصحاب ، وتواصل أحباب وسلامه .

ونوضح لعلمكم[٣] الكريم ورودَ كتابكم الكريم ، وخطابكم الفائق على الدُّرّ النظيم ، تفاخر الخمائلَ سطورُه ، ويصبغ خدود[٤] الورد بالخجل منثورُه ، وتحكي الرياضَ اليانعة فالألفات غُصونه ، والهَمْزات عليها طيوره ، ويخلع على الآفاق حُلَلَ الأيام والليالي ، فالطِرس صباحه والنِّقس دِيْجُورُه ، لفظه يُطرب ، ومعناه يُغْرِب فَيُغْرِب ، وبلاغتُه تدلّ على أنّه آية لأنّ شمس بيَانِها طَلَعت مِنَ الْمَغْرِب .

فاتخذنا سُطوره رَيْحَانا ، ورَجَّعْنَا ألفاظه ألحانا ، ورَجَعنا إلى الجِدّ فشبّهنا ألفاته بظلال الرِّمَاح ، ووَرَقَهُ بصِقال الصِّفاح ، وحروفه المعرَّقة بأفواه الجراح ، وسُطورَه المنتظمة بالفرسَان المزدحِمَة في يوم الكفاح ، وانتهينا إلى مَاأَوْدَعتموهُ من اللفظ المسجُوع ، والمعنى الذي يُطْربُ طائرُه المسموع ، والبلاغةِ التي فَضَحَ المتطبّعَ [فيها][٥] بيانُها المطبُوع .

فأمَّا العزاء بأخيكم الوالد ، قدّس الله روحه وسقى عَهْدَه ، وأحسنَ لسَلفه خَلَفنا بَعْده ، فلنا برسول الله ﷺ أُسْوَةٌ حَسَنَة[٦] .

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة [الغاشية ١٦/٨٨] : ﴿ وزرابي مبثوثة ﴾ .
(٢) في (خ) : « بلغ بهم بجهادهم » .
(٣) في الأصل : « لعلمه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) في (أ) ، (خ) : « خدّ » .
(٥) ما بينهما زيادة من (خ) .
(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ ، [الأحزاب : ٢١/٣٣] .

ولولا الوثوق بأنّه في عدّة الشّهداء ما رأى القلب قرارَهُ ولا رأى الطرفُ وَسَنَه . عاشَ سعيداً يملك الأرض ، ومات شهيداً يفوز بالجنة يَوْمَ العرض ، قد خلّدَ الله ذِكرَه يَسيرُ مسيرَ الشمس في الآفاق ، ويُوقف على نضارة حدائقه نظراتِ الأحداق ، وورثنا منه حُسْنَ الإخاء لكم والوفاء بعهودِ مَوَدّة تشبه في اللّطف شمائلكم .

وأمّا الهناء بوراثة مُلكه ، والانخراطِ مع الملوك في سلكه ، فقد شكرْنا لكم مَنْحنا هذه المِنْحه ، وقابلْناها بثناءٍ يعطّر النسيمَ في كلّ نَفْحَه ، وَوَقَفْنَا عليها حمداً جعل الودُّ علينا إيرادَه ، وعلى أنفاس سَرحةِ الروضِ شَرْحَه ، وتحقّقنا به حسن ودّكم الجميل وكريم إخائكم الذي لا يميد طَوْدُ رُسوخه ولا يميل .

وأمّا ما ذكرتموه من أمر الْمُصْحَفين الشريفين [اللذين][1] وفقتموهما على الحَرَمين الشريفين ، وأنّكم جَهّزتم كاتبكم الفقيه الأجل الأسنى الأسمَى أبا المجد ابن كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مَدْيَن ، أعزّه الله تعالى ، لتفقّدِ أحوالهما والنظرِ في أوقافهما فقد وصل المذكور بمن معه في حِرْزِ السلامة وأكرمنا نُزُلَهم ، وسهّلنا بالترحيب سُبُلَهم ، وجمَعْنا على بَذْل الإحسان إليهم شَمْلَهم ، وحضر المذكورُ بَيْن أيدينا وقَرَّبناه وسَمِعْنَا كلامه وخاطبناه ، وأمرنا في أمر المصحفين الشريفين بما أشرتم ، ورسمنا لنوّابنا في نواحي أَوْقَافهما بما ذكرتم ، وهذا الوقفُ المبرورُ جارٍ على أحسنِ عادةٍ أَلِفها وأثبتِ قاعدةٍ عَرَفها ، مَرْعيُّ الجوانب ، محميُّ المنازل والمضارب آمنٌ من إزالة رسمه ، أو إدالة حكمه ، بَدْرُه أبداً في مطالع تِمّه[2] ، وزَهْرُه دائماً يَرْقُص في كُمّه ، لا يَزداد إلاّ تخليدًا ، ولا إطلاق ثبوته إلاّ تقييداً ولا عُنقُ اجتهاده إلاّ تقليدا ، جَرْياً على عادة أوقافِ ممالكنا وقاعدة تصرفنا[3] في مسَالكنا ، ولَهُ زيادةالرِّعَايه ، وإفادةُ الحِمَايه ، ووِفادَةُ العِنايه .

وأمّا ما وصفتموه من أَمْر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهَلُها ، ومُني به مِن الكُفّار

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « يمّه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) ، (خ) : « تصرّفاتنا » .

حَزْنُها وسَهلُها ، فإنَّه شقّ علينا سَماعُه الّذي أنكى أهلَ الإيمَان وعَدَّدَ بهِ ذُنوبَ الزمَـان كلُّ قلب بـأنَـامل الخَفقـان ، وطـالمـا فزتم بـالظّفر ، ورُزقتم النّصرَ على عَـدوّكم ، فجرَّ ذَيْـلَ الهمزية وَفرّ ، ولكنَّ الحرُوبَ سِجَال ، وكلّ زمَـان لِـدَائـه دَوْلَـة ولرجـائـهِ رجَـال ، وَلو أمكنت المسَاعدة لطارت بنا إليكم عُقبانُ الجيَاد المسوّمَه ، وسَـالَتْ على عـدوّكم أبـاطُحهم بقسّينا المعوجّة وسهامنا الْمُقوَّمَـهِ ، وكحلّنـا عيُونَ النجوم بَمراودِ الرّمـاح ، وجعلنـا لَيل العَجاج ممزّقا ببروقِ الصِّفَاح ، واتّخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كُرَات ، وفرّجنا مضـائِقَ الْحَرْب بتوالي الكَرّات ، وعَطَفنا عليهم الأعنّه ، وخُضْنَا جـداول السُيُوف ودُسْنَـا شوك الأسنّه ، وفَلَقنا الصخرات[١] بالصّرخات ، وأَسَلْنَـا العَربـات[٢] بـالرَّعبَـات ، ولكنْ أين الغايةُ مِن هذا الْمَدى المتطاول ، وأين الثُّريـا من يـد المتنـاول ، ومـالنـا غير إمـدادكم بجيوش الدُّعَاء الذي نرفعه نحنُ له ورعايانـا ، والتوجـه الصّـادق الـذي تعرفـه ملائكـة القبول في سَجَايانا .

وأمَّا ما فقدتموه من الأَجْفَان التي طرقها طيفُ التَّلاف[٣] ، وأمّ حَرَم فنـائهـا الفنـاء وطـاف بـه بعـد الإلطـاف ، فقـد روّع هـذا الخبر قَلْبَ الإسلام ، ونوّع لـه الحـزن على اختلاف الإصبَاح والإظلام ، وهذه الـدار مَـا يَخْلُو صَفْوهـا مِنْ كَـدَر القـدر ، وطـالمـا أنامت بالأمن أوّل الليل ، وخـاطَبت بـالخَطْب في السّحر ، ولكنْ في بقـائكم من خطب العَطب ومع سَـلامـة نفسكم الكريـة فـالأمرَ هيّن ، لأنَّ الـدرَّ يُفـدى بـالـذهب ، وأمّـا مَـا رأيتموه من الصّلح فرأيُ عَقْـدِهِ مُبَـارك ، وعقـده[٤] مـا فيـه فـارط عـزم ، وإنْ كان فيُتَدارك .

والأمر يجيء كما يجبّ لا كما يحبّ ، والحروبُ يزور نصرها تارة ويَغِبّ ، ومع اليوم غَدَا ، وقد يَرُدّ اللّهُ الردى ، ويُعيد الظَّفَر بالعِدَا .

---

(١) في (خ) : « الصخر » .

(٢) في (أ) ، (خ) : « العبرات » ، ولها وجه .

(٣) في الأصل : « التلاق » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٤) في (أ) ، (خ) : « ورأيه » .

وأمّا عَوْدكم إلى فاس المحروسَة طَلباً لإراحة مَاعنـدكم من الجنود ، وتجهيزاً لِمَنْ يَصِلُ من عندكم إلى الحجاز الشريف من الوفود ، فهذا أمرٌ ضَروريّ التـدبير ، سروري التثمير ، لأنَّ النُفوس تملّ وِثِير الجهَادِ فكيف ملازمَة صهوات الجياد ، وتسأم من مجـالسـة الشّرب فكيف بمُمَارسة الحرب ، وتعرض عن دوام اللذه ، فكيف بمباشرة المنايا الْمُغَذَّه ، وهذا جبل طارق الذي فَتَح الله به عليكم ، وساق هُدَى هَدِيّته إليكم ، لعَلّه يكون سبباً إلى ارتجـاع ماشَرَد ، وحَسْماً لهذا الطاغية الـذي مَرَد ، ورَدّاً لهـذا النـازل الـذي قـدِمَ ورَدّ الصبرَ لَمّـا وَرَد ، فعَادةُ الألطاف الإلهيّة بكم مَعْروفه ، وعَزَماتكم إلى جهات الجهاد مصروفـه ، وقـد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنَّه طارِقُ خَيْرٍ من الرّحمن يَطرق . وجَبَلٌ يَعْصم مِنْ سَهْم يمرّ مِن قسيّ الكفار ويَمْرُق .

وأمَّـا مـا منحتموه من الخيل العِتـاق والملابس التي تُطْلع بُـدُورَ الوجوه من مشـارق الأطواق ، والأموال التي زَكت عِنْـدَ الله تعـالى ونمت على الإنفـاق ، فعلى الله عز وجـل خلَفُها ، ولكم في منازل الدنيا والأخرى شُرَفُهـا وشَرفَهَـا ، وإليكم تسـاق هـدايـا أَثْنيتهـا وتحفكم تُحَفُها ، وإذا وصل وَفْدُكم الحَاجّ ، وأنار له[1] بوجهِ إقبـالنـا عليهم ليلُهم الـدّاج ، كانوا مقيمين تحت ظِلّ إكرامنـا ، وشُمُولِ إسعـافنـا لهم وإنعـامنـا ، يتخـوّلـون تُحَفَـا أنتم سَبَبُها ، ويتناولون طُرَفاً في كؤوس الاعتناء بهم تَنضَّدَ حَبَبُهـا ، وإذا كان أوانُ الرّحيل إلى الحّج فسَحنَا لهم الطريق ، وسَهلّنـا لهم الرفيق ، وبَلَّغنـاهم بحَوْل الله مُنـاهم مِن مِنى ، وسُؤلَهم ممّن إذا زاروا حجرته الشريفة [حازوا][2] الراحة من العَنـا ، وفـازوا بـالغنى ، وإذا عادوا عاملناهم بكلّ جميل يُنسيهم مَشقّة ذلك الـدَّرب ، ويخيَّل إليهم أن لا مسـافـة لمسَافر بين الشرق والغَرْب ، وغَمَرناهم بـالإحسـان في العَوْد إليكم ، وأَمَرْنَـاهم بمـا يُنهونـه شفاهاً لـديكم ، وعنـايـةُ الله تعـالى تحوطُ ذاتكم ، وتوفِّرُ لأَخْـذِ الثـأر حُمَـاتكم ، وتخصّكم بتأييدٍ تَنْزلون رَوْضَةَ الأنضر ، وتَجْنون به ثمر النَصرِ اليـانع من ورَق الجـديـد الأخضر ،

(١) في (أ) : « لهم » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

وتُتحفكم بسَعْدٍ لا يَبْلَى قشيبه ، وعزّ لا يَمحُو شبابَهُ مشيبهُ ، وتحيّته المباركة تغاديكم وتَرَاوحكم ، وتُناوحكمْ أنفاسُها المعنبَرة ، وتنافحكم ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١١٦٥ ـ علي بن عبد الله بن رَيّان*

ابن حنظلة السِينَاني ، بالسين المهملة [وياء آخر الحروف][(١)] ونون بعدها ألف ونون ، نور الدين الحضرموتي .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : وُلِدَ المذكور بدَمرِيْط ، بدال مهملة وميم ساكنة وراء مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة ، قرية من الشرقيّة بالديار المصريّة .

تولّى القضاء بجهَات من الشرقيّة ، وله معرفة بالنَسب ومشاركةٌ في الفقه . وحفظ جملة من الحديث ، وَله أدبٌ ونظم على طريق العرب . و « سِينانٌ » الصّحيح أنّها من حِمْيَر وأنشدني لنفسه :

لقيَ الفؤادُ مُذْ نَأوا تَلَهُّبَا ... وصَارَمَتْهُ الغِيْدُ رَبّاتُ الخِبَا
نارُ أسىً تُضْرَمُ في أحشائه ... تُشَبُّ مِنْ وَقْدِ الغرام مَا خبَا
يا راكبَ الوجناء مِنْ خُزَاعة ... يُرْقلَها طَوْراً وطَوْراً خببَا
كأنّها إذا انبرَتْ بَارقَةٌ ... تَقْطَعُ أجْوَاز الفَلاَ والْحَدبَا
حيّ ـ أبَيْتَ اللّعْنَ ـ دارَ[(٢)] زينب ... إن جُزْت بالرَبع وحيّ زَيْنَبا[(٢)]
مَا أنصفت زينَبُ لَمّا أنْ نأت ... وغادرتني دَنِفا مُعَذّبَا
أسَامرُ النجّم إذا جَنّ الدُّجَا ... شوقاً إلى غيْدٍ كأمثال الظبّا

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، والدرر : ٧٤/٣ .
(١) زيادة من (أ) ، والوافي .
(٢) في (أ) ، والوافي : « ربع » .

بِيْضٌ حِسَـــان خُرَّد كـــوَاعِبٌ إذا رَنَـوا عُجْبـاً رأيتَ العجَبَـا
يُسْفِرْنَ عَنْ مِثْـل الشمـوس أوْجهاً ويختلبنَ[1] القـانت الْمُهَـذّبـا[1]

توفي رحمه الله تعالى ...[2]

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة[3].

١١٦٦ - عليّ بن عبد الله بن عمر*

نور الدين القَصْري .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : وقّع المذكور لبعض القضاة . وله نظمٌ ونثرٌ جَيّدان[4] ، أنشدني له يصف فرساً :

لّمـا جرى شَـوْطـا بَعيـد الْمَـدَى أَلّف بين الغَرْب وَالشَّرْق
فـاتَ ارتـداد الطرف ثم انثنى يهـزأ بـالرّيـح وَبـالبِرْق

قلتُ : أنا : اختصره مِن قَوْل ابنِ حَجّاج من أبيات :

قـالت لـه البَرْق وقـالت لـه الـ ـريـح جميعـاً وهمـا مَـاهُما
أأنت تجري مَعَنـا قـال لا إن شئتُ أضحكتكمـا منكمـا
هـذا ارتـداد الطّرف قَـدْ فُتّـه إلى المـدى سَبقـا فمن أنتما

قلت : وأنشدني لنفسه في روضةِ مصر :

ذاتُ وَجْهَيْن فيهما قُسِّم الْحُسْـ ـنُ فـأَضْحَتْ بهـا القلـوبُ تَهيمُ

---

(١) في الأصل : « ويحتلبن » ، وفي الوافي : « يختلين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) كذا في الأصول ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته .
(٣) في الدرر : (سنة ٦٦٤) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٤) في الأصل : « نظمٌ ونثران » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

ذا يلي مَصْرَ فهــوَ مِصْرٌ وهــذا يَتَــولّى وسيم فهــوَ وسيمُ
قـد أعـادَتْ عَصْرَ التّصـابي صِبـاهـا وأبـادت فيهـا الغُمُـومَ الغُيُـومُ

قال الشيخ أثير الدين وزدت أنا بيتاً وهو :

فَبِلُـجٌ البِحَـار يَسْبَـحُ نُـونٌ وبفَـجّ القِفـار يَسنـح رِيمُ

ومن نثره : « جفنٌ علّمـه الغرامُ كيف يَكِف ، ودمْعٌ أبي حين وقف بـالربـع أن يَقِف » انتهى .

وقال كمال الدين الأُدْفوِي : وكان فيه مروءة ومَكْرمة .

أخبرني بكتوت مَوْلى قاضي القضاة مُعِزّ الدين الحنفي : أنَّ ابن الكَيْلج تحـدّث لـه مع مولاه في العدالة ورسم بكتابة أسجال[1] . قـال بكتوت : فـاستـأذنتـه في أن يكتبـه ابن القصري ، وأعطـاني ابن الكيلج أربعـة دنـانير للكاتب ، فركبت وتـوجّهتُ إليـه ، ووضعت الـدنـانير بين يـديـه ، فقـام وفتـح صنـدوقـه ، فـأخرج منـه ورقـاً وكتَبَ الأسجال ، وأخرج من عنده دينارين وأضافها إلى الأربعـة ، وقـال : هؤلاء ضيـافتـك لدخولك إلى منزلي .

وتوفي نور الدين بالقاهرة سنة ست أو سبع وتسعين وستّ مئة .

١١٦٧ ـ علي بن عبد الله بن عمر*

ابن أبي القـاسم البغـدادي الحنبلي ، أخـو الإمـام رشيـد الـدين ، وهـو الشيـخ زين الدين أبو الحَسن .

أجـاز لـه ابن العُلّيـق[2] وجمـاعـة . وسمـع من فضـل الله الجيليّ ثـلاثـة أجـزاء

(١) الأسجال : هي الكتابة أو التسجيل .
* الوافي : ٢٢١/٢١ ، والدرر : ٧٥/٣ .
(٢) أبو نصر الأعز بن فضائل البغدادي (ت ٦٤٩ هـ) ، الشذرات : ٢٤٤/٥ .

أبي الأحوص[١] . ومن عليّ بن محمد بن خطّاب بن الخيمي (جزء) التراجم للنجاد[٢] ، ومن ابن تيميّة أحكامه ، ومن محيي الدين بن الجوزي[٣] كثيراً من تواليف أبيه .

وتفرَّدَ في وقته ، وكتب في الإجازات ، لكنّه كان عاميّاً ، يتهاون في الدين ، وكان أخوه يزجر عن السماع منه .

قال السِّراج القزويني : تركته لما فيه ممّا لا يليق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١١٦٨ ـ علي بن عبد الله بن أبي الحسَن*

ابن أبي بكر الإمَام ، العلاّمَة ، المُفَتّن ، المفتي ، المتكلّم ، تاج الدين ، الأردبيليّ المولد ، التبريزيّ الدار ، الشافعي ، الصوفي . قال : سمعت من (جامع [الأصول][٤] على القطب الشيرازي[٥] ، وبعض (الوسيط) على شمس الدين بن المؤذّن . وأخذت النحّو والفقه عن ركن الدين الحديثي[٦] . وعلم البيان عن النظام الطوسي ، والحكمة والمنطق عن السيّد برهان الدين عُبَيْد الله ، و (شَرْحَ الحاجبيّة) عن السيّد ركن الدين[٧] المؤلف ، وأجازَني شمسُ الدين العُبَيْدي[٨] ، وعلِمَ الخلاف عن علاء الدين النعمان الخوارزمي ، وإقليدس وأوطاوَقس وبادوسيوس ، والحساب والهيئة

(١) محمد بن الهيثم بن حماد الثقفي (ت ٢٧٩ هـ) ، الأعلام : ١٣٢/٧ .

(٢) أحمد بن سلمان بن الحسن (ت ٣٤٨ هـ) ، السير : ٥٠٢/١٥ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٦/٥ .

* الوافي : ٢١٨/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٢٧/١ ، والدرر : ٧٢/٣ ، والشذرات : ١٤٨/٦ ، والبغية : ١٧١/٢ ، وحسن المحاضرة : ٥٤٥/١ ، وتذكرة النبيه : ٨٩/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٥) محمود بن مسعود بن مُصْلح (ت ٧١٠ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) هو الحسن بن محمد العلوي ، توفي بالموصل سنة (٧١٥ هـ) ، الكشف : ٣٧٦/٢ .

(٧) الأستراباذي ، حسن بن محمد ، وقد سلفت ترجمته .

(٨) عبد الكافي العبيدي (ت ٧٠٧ هـ) ، ذيل العبر : ٣٩ .

عن فيلسوف الوقت كمال الدين حسن الشيرازي الأصبهاني ، و (الوجيز)[١] في الفقه عن شيخ الزمان ، حمزة الأردبيلي[٢] ، وعلم الجبر والمقابلة والمسَاحة والفرائض عن الصلاح موسى ، و (شرح السنّة) و (المصابيح) عن فخر الدين جار الله الجَنْدَرَاني والبَستي تاج الدين الملقّب بالشيخ الزاهد عن الشيخ شمس الدين التبريزي عن الركن السجاسي[٣] عن القطب الأبهري عن أبي النجيب السهروردي[٤] عن أحمد الغزالي عن أبي [بكر] النيسَابوري عن محمّد النّساج عن الشِّبلي [عن الجنيد][٥] .

وأدركت كمال الدين أحمد بن عَرَبشاه بأردبيل ، دَعَا لي ، ولقَّنني الذكرَ عن أوحد الدين الكرماني ، وأدركت شيخاً كبيراً أجاز لي ، أدرك الفخر الرازي . وأدركت ناصر الدين البيضاوي ، وما أخذت عنه شيئاً ، وجالست ابن المطهَّر الحليّ ، وما أخذت عنه لتشيّعه .

واشتغلت وأنا ابن عشرين إلى تسع وعشرين سَنَة ، وأفْتَيْتُ ولي ثلاثون سنة ، ووُلِّيت الخانقاه والتدريس وأنا ابن ثلاث وثلاثين ، وخَرَجت إلى بغداد بَعد ست عشرة[٦] وسبع مئة ، وأتيت المشهدَ والحلّة والسلطانيّة ومَراغة ، وحججتُ ، ثم دخلتُ مصر سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : هو عالم كبير شهير ، كثير التلامذة ، حَسن الصيانة ، من مشايخ الصّوفية ، كاتبن ي غير مَرّة ، وحصّل نسخةً بالميزان[٧] ، وذكرني في تواليفه .

---

(١) في الوافي : « والوجيه » ، تحريف .
(٢) في (أ) : « سراج الدين حمزة ... » ، وفي الوافي : « تاج الدين حمزة » .
(٣) في الوافي : السحاسي » .
(٤) عبد القاهر بن عبد الله بن محمد (ت ٥٦٣ هـ) ، السير : ٤٧٥/٢٠ .
(٥) الزيادة من الوافي .
(٦) في الوافي : « بعد سنة عشر » ، تحريف .
(٧) ميزان الاعتدال ، للذهبي .

وقال الشيخ تقيّ الدين بن رافع : قَدِمَ فسمع[١] عليّ بن عمر الواني ، ويونس الدبابيسي ويوسف الخُتَني ، وابن جماعة . وكتب الطباقَ ، وحصّل جملة من الكتب الحديثيّة ، وَشغَل في فنون ودرّس بالطرنطائية[٢] ، وناظر ، وكثرت طلبته . وصنَّف في التفسير والحديث والأصول ، وأقرأ (الحاوي) كلَّه في نصف شهر ، رواه عن شرف الدين علي بن عثمان العتقي[٣] عن مصنِّفه ، انتهى .

قلت : كان الشيخ تاج الدين من أفراد زمانه ، وأنجاب عصره وأنجاد أوانه ، بحراً يتموّج علوما ، وحَبْراً يتأرّج طيباً بالفوائد مستديما .

أخذ عنه جماعة وانتفعوا وترَقَّوا من حضيض الجهل وارتفعوا ، وأقرأ الناس المنقولَ والمعقولَ ، وتفرَّد بفنونه ، فلو شاء لم يَدع قائلاً يقول ، وحضرتُ دروسه للطلبه ، وسمعتُ عبارته إلاّ أنها في عجمتها تُوْرِدُ من الدُرّ مُخشلبه[٤] ، واعترف المشايخ بفضله ، وأصاب الأغراض والشواكل[٥] بنبال نَبْله .

ولم يزل بمصر على حاله إلى أن سكنت تلك العبارات ، وبطلت تلك الإشارات .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان المعَظّم سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وتوجّهت إليه يوماً ، وهو بالمدرسة الطرنطائية ، ومعي كتاب (كشف الحقائق) لأثير الدين الأبهري[٦] ، وطلبت الاشتغال فيه عليه فقال : ماعندي عليه

---

(١) في وفيات ابن رافع : « فسمع من » .
(٢) هي مدرسة حسام الدين طرنطاي ، كما في الدرر .
(٣) في الوافي : « العنقي » ، وفي الدرر : « العفيفي » .
(٤) كذا ، ولم نقف على مراده .
(٥) هي الطرق المتشعبة عن الطريق الأعظم .
(٦) (ت ٦٦٣ هـ) ، الكشف : ١٤٨٩/٢ .

شرح ، وكلامه عَقِد ، ففارقته ، وَسمعت[١] غير واحد من المصريين أنّه أقرأ (الحاوي) من أوله إلى آخره في شهر واحد تسع مرات .

وكان يشغل في هذه العلوم التي ذكرها كلها ، وعلى الجملة ، فكان في عصره عديم النظير .

وقلت أنا فيه لمّا مات رحمه الله تعالى :

يقول تاجُ الدين لَمّا قضى من ذا رأى مثلي بتَبْرِيز
وأهل مصر بَاتَ إجمَاعهم يَقْضي على الكلِّ بتبْرِيز

١١٦٩ ـ علي بن عبد الله بن عَبْد القويّ*

ابن الحسن بن أبي المجد بن ناجي بن سليمان المدلجي ، الشافعي ، المعروف بالعصلوجي .

كان فقيهاً مدرّساً بمصر ، روى كتاب (الشهاب) للقضاعي[٢] عن الحافظ رشيد الدين العطار القرشيّ[٣] ، وسمع منه أمين الدين الواني وغيرُه . وناب في الحكم عن ابن دقيق العيد بمصر .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شهر الله المحرم سَنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة ست وأربعين وست مئة .

---

(١) في (أ) : « وسمعت من » .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) في الأصل : « الشهادة للقضاعي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، واسم الكتاب : (شهاب الأخبار) ، ألّفه القاضي محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) ، الوافي : ١١٦/٣ ، والكشف : ١٠٦٧/٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن علي القرشي (ت ٦٨٦ هـ) ، الشذرات : ٣٩٩/٥ .

وكان يُنْعَتُ بالقاضي جلال الدين بن[1] أبي الحسن .

١١٧٠ ـ علي بن عبد الله بن مالك*

الشيخ الصّالح الإمام الفاضل نور الدين أبو الحسن الدّمْدَيْطي ، بضم الدال المهملة الأولى وبعدها ميم ساكنة ودال ثانية مفتوحة وياء آخر الحروف ساكنة وطاء مهملة[2] ، الشافعي .

كان يَعْرِف قطعة صالحة مِنْ أنساب العرب ، ويذاكر بذلك ، وله شعر .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ، ودفن بمقابر الصوفيّة خارج باب النّصر في آخر صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١١٧١ ـ علي بن عبد الحميد بن محمد بن وفاء**

الفقيه الفاضل ، علاء الدين بن التراكيشي ، الحَنبليّ .

كان من أعيان الحنابلة ، فاضلاً نبيهاً نبيلاً ، يبحث ويناظر ويجادل .

توفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في سابع عشري شوال سنة تسع وسبع مئة ، ودُفن خارج باب النّصر ، وكان قد سمع (جزء ابن عرفة) على ابن أبي الخير[3] .

١١٧٢ ـ عليّ بن عبد الرحمن بن عبد المنعم***

ابن نِعْمَة بن سُلطان بن سُرور المقدسي ، فخر الدين ، مفتي نابلس .

(١) ليست في (أ) .

* الدرر : ٧٥/٣ .

(٢) وفي الدرر : « الدمياطي » .

** الدرر : ٥٨/٣ .

(٣) أحمد بن أبي الخير سلافة بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .

*** الوافي : ٢٣١/٢١ ، والدرر : ٥٩/٣ ، والشذرات : ٥/٦ .

كان مِن العلماء الأتقياء ، أفتى نحواً من أربعين سَنَة ، وارتحل ، وسمع من ابن الجُمَّيْزي ، وسبط السِّلَفي ، وابن رواج ، ومحيي الدين بن الجوزي .

وكتب شيخنا الذهبي عنه ، وهو والد عماد الدين مفتي نابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة بنابلس .

واجتمع خلق كثير في جنازته ، وحضر أهل القرى من البرّ ، وكان شيخاً صالحاً ، كثير التواضع ، محبباً إلى الناس .

١١٧٣ - علي بن عبد الرحمن*

القاضي نور الدين بن الْمُغَيْزِل ، الحموي ، الكاتب .

كان بحماة له وجاهه ، وعنده أُبُوَّةٌ ونَزَاهه ، وحَظِيَ عند المنصور بحماه ، ولاذ القاصدون لها بحِمَاه ، وكتب الدَّرْج[1] للمنصور ، وأصبح وممدودُ جاهِهِ عليه مَقْصور[2] . وبَعْدَه توجه إلى طرابلس صحبَة أَسَنْدَمر النائب ، فلم تطل مُدَّته ، وحلّت به النوائب ففارق مَغْنَى العيش ، ولم يُغْنِ عَنْهُ ثباتٌ ولا طيش .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة إحدى وسبع مئة . وهو من نسل بنات شيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري .

حضر إلى دمشق أول سنة إحدى وسبع مئة ، وتوجه مع نائبها الأمير سيف الدين

* الوافي : ٢٣٢/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٣ ، والدرر : ٥٨/٣ .

(١) كتّاب الدرج : هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء . (التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : ٢٨٠) .

(٢) في الأصل : « منصور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ز) .

اسَنْدمر كاتب دَرْج ، وتقدّم عنده ، وحظي لديه ، وأقام من بعض صَفَر إلى جمادى الآخرة ، وتوفي . وكان قَدْ رَتَّبه عِوض ابن رواحة[1] ، فأعيدَ لموته ابنُ رواحة إلى مكانه .

١١٧٤ - عليّ بن عبد الرحمن بن أبي بكر الواني*

الأمير علاء الدين ، مُقَدَّم البريديَّة بدمشق المعروف بابن الفرّا .

كان حَظِيّاً عند الأمير سيف الدين تنكز ، يسوق في المهمّات ، ويُجَهِّزه إلى باب السلطان في المُعْضَلات ، إلا أنّه كان يَنْبَسط معه بالفعل المؤذي والقولِ الفاحش ، وتارة يُدنيه كالمحبوب ، وتارة يبعده كالوارش[2] .

أعطاه السلطان الملك الناصر طبلخاناه وحَضَر بها ، فأنكر ذلك عليه ، وحَبَسَهُ مرّة بسببها .

ولم يزل يقع [معه][3] ويقوم ، ويسفّ تارةً ويَحُوم إلى أن أُمْسِك فخلص ، وزاد من فَرَحه ما كان نَقَصَ ، وأقام بعده مُدّة إلى أن عُقِر سمعه ، وطفيء مِنَ الحياة شَمْعُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة . في طاعون دمشق ، وولده شهاب الدين أحمد ، ولمّا مات كان أميرَ عشرة لا غير .

١١٧٥ - عليّ بن عبد الرحيم**

كمال الدينَ بن الأثير الأرمنتي .

---

(١) نور الدين أحمد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .

* الدرر : ٦٠/٣ .

(٢) الوارش : من يتطفّل على طعام غيره .

(٣) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٣٣/٢١ ، والطالع السعيد : ٣٨٩ ، والدرر : ٦١/٣ .

كان فقيهاً شافعيّا ، قاضياً بليغاً لا تَجدُ فيه عيّا ، من بيت أصالة في الصّعيد ، ورئاسةٍ ذِكْرُها باقٍ لا يَبين ولا يبيد ، وكان أبوه حاكماً بأعمال قوص ، واسم سُؤدده فيها صحيحٌ غير منقوص .

وكان هذا كمال الدين قد تولى قضاء الشرقيّة وأحاديثُ سيرته فيها نَقِيّة ، وتولى قضاء أشموم الرّمان ، وذكره فيها باق على مرّ الزمان .

ولم يزل إلى أن طوّحت به الطوائح ، وقامت عليه النوائح وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة بمصر .

قال الفاضل كمال الدين الأُدفوي : أخبرني القاضي أبو الطاهر إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق السّفطي قاضي قوص قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قد عَزَل نفسه ، ثم أُعيد إلى القضاء فولاّني بُلْبَيْس ، وقال لا تُعْلِم أحداً ، وتوجّهْ إليها عَجِلا ، فتوجهت ثاني يوم الولاية إليها ولم يشعر أحد ، فلمّا جلست للقضاء بَلَغَ الكمال الأرمنتي ، وكان قاضياً بها[1] ، فأرسل إلى أصحاب الشيخ يسألهم ، فسألوا الشيخَ هل عَزَله ، فقال : ما عزلته ، فكتبوا إليه فأخذ في الحديث في الحكم ، فلمّا بلغ الشيخ ، قال : أنا ما عزلته وإنما انعزل بعَزْلي ولَمْ أُوَلّه .

١١٧٦ ـ عليّ بن عبد الرحيم بن مَرَاجل*

الصَّدر علاء الدين الحَمْوي الأصل الكاتب .

كان والدُه شهاب الدين عبد الرحيم يَتَصرَّف في جهات الديوان بحلب ودمشق . وكان علاء الدين له إلمامٌ بالأدب ، وله فيه تحصيلٌ وطَلَب .

---

(١) زاد في الطالع : « فلم يصدّق » .

* الوافي : ٢٣٤/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٠٨ ، والدرر : ٦٠/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٦٢/١ ، وعقد الجمان ٣٢٩/٤ .

وكان يَنْظُم ويُقْدم على ذلك ولا يَعْظُم ، إلا أنّه كان للشرّ يتسرّع ، ويقلّد الجهل في أموره ولا يتشرّع .

ولم يزل يُغير وينجد في البلاد ، ويتقلّب بين ظهراني العباد ، إلى أن غَلَت مراجل المنيّة لابن مَراجلْ ،وعجّل أجله الآجل .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان قد باشر عدّة جهاتٍ من مشارفةٍ ونظر ، وباشرَ أخيراً استيفاء النظر بدمشق ، وتوجه إلى مصر بعد السبع مئة ، وتأخّر مقامه بها شهوراً[١] فقال :

أقول في مِصْرَ إذ طال المقام بها ... وسَاءَ من سُوءِ مَلقى أهلِها خُلقي[٢]
يا أهلَ مصر أجيبوا في السؤال عَسى ... يُسَكِّنُ الله ما ألقى من القَلَقِ[٣]
هلْ فيكمُ من يُرَجَّى للنوال وَمَنْ ... يَلْقى لوفدٍ بوجهٍ ضاحك طلِقِ
أم عندكمْ لغريبٍ في ديَارِكُمُ ... بقيّةٌ مِنْ ندىً أو عَارضٍ غَدِقِ[٤]
فقيل ذلك ممّا ليس نَعْرِفُه ... وإنّما سُفْنُنَا تجري على المَلَقِ[٥]

فبلغ ذلك الصاحب تاج الدين بن حنّا ، فأرسل طَلَبها منه ، فزاد فيها علاء الدين بن مَراجل :

لكنْ رأيت بها مولىً خلائقُه ... أعَاذها الله بالإخلاص والفَلَقِ
السَيّدُ الصّاحبُ المولى الوزير ومَنْ ... فَاق الورَى كلَّهُم بالْخَلق والْخُلُقِ
تاج الْمَعالي وتاج الدين قد جُمِعَتْ ... فيه المكارمُ تأتي منه في نَسَقِ

(١) في عقد الجمان : « وقال وهو بمصر لما دخل إليها في سنة إحدى وسبع مئة » .
(٢) في العقد : « سوء خلقي .. » . تحريف .
(٣) في العقد : « أجيبوني السؤال .... ما ألقاه من قلقي » .
(٤) في العقد : « من يَدٍ » .
(٥) في العقد : « فقيل لي ذاك مما .... وإنما سقتنا فيها على » . وفي الوافي والتالي : « سقينا يجري » .

سِتْرٌ[١] على أهل مصر لم يزل أبداً مُغَطِّياً منهم للوَيل والْحُمق[١]
فَالنيل مِنْ جُود كفيه يفيض بها كالسَّيل لكنه يُنْجِي من الغرقِ[٢]

فلمَّا وقف عليها أرسَل له شيئاً له صُوره .

١١٧٧ ـ علي بن عبد العزيز*

الخطيب الكبير عماد الدين ابن قاضي القضاة عماد الدين بن السُكّري .

كان فيه وجاهة وصَداره ، وحِشمَة ترشّحه[٣] للوزاره . جُهِّز إلى التتر رسولاً وبَلَغ برسَالته مآربَ وسُولا ، وأحسن السفارة فيما توجّه فيه ، ورغب أُولئك القوم في تلافِ مَنْ عانَدَه وتَلافيه ، وعاد إلى القاهره ، وصارت له بذلك ترجمة نادره .

ولم يزل على حاله إلى أن قالَ له داعي الموتِ حيَّهَلْ ، ونَهَل من حوض المنايا مَعَ مَنْ نَهَل .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر صفر في السادس والعشرين منه سَحَرِ يوم الْجُمعَة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده خامس عشري الْمُحَرَّم سنة خمس وثلاثين[٤] وستّ مئة .

وكان يُدَرِّس بمشهد الحسين بالقاهرة ، وبمدرسةِ منازل العزّ بمصر . وكان خطيباً بالجامع الحاكمي ، وَولي إمَامَةَ مشهد السيدة نَفيسَة والنظرَ على أوقافه . وكان مشهوراً بين رؤساء الديار المصريّة ، وعنده عقلٌ وافر وديانة .

(١) في (أ) والوافي والتالي : « ستراً » ، وفي الأخيرتين : « للوم » .
(٢) في الأصل : « فيض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي . وفي التالي : « من فيض كفيه يجود بها » .
* الوافي : ٢٤٨/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٦ ، والدرر : ٦٢/٣ ، والشذرات : ٣٢/٦ .
(٣) في الأصل : « توشحه » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٤) في (أ) : « ثمان وثمانين » ، وفي الدرر : « ثمان وثلاثين » .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن جدّه لأمه الشيخ بهاء الدين [بن][1] الجّميزي ، وحدّث بالقاهرة وبدمشق ، وأظنّه كان مفتي دار العدل .

١١٧٨ ـ علي بن عبد الغَني*

الفقيه الْمُعَمّر العَدْل علاء الدين بن تيميّة ابن خطيب حران ومفتيهَا ، الشيخَ مجد الدين .

كان هذا علاء الدين شروطياً بمصر .

روى عن الموفّق عبد اللّطيف وابن رُوزْبه ، وكان شاهداً عاقلاً عاقداً[2] مرضيّاً .

توفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وسبع مئة .

ومَوْلده بحران سنة تسع عشرة وستّ مئة . حَمَل عنه المصريون .

١١٧٩ ـ عليّ بن عبد الكافي**

ابن علي بن تّمام بن يوسف بن موسى بن تّمام بن حامد بن يَحْيي بن عُمَر بن عثمان بن علي بن مِسوَار بن سوّار بن سُلَيْم : الإمام العالم العَامل الزاهد العابد الورع الخاشع البارع ، العلاّمَة شيخ الإسلام ، حَبْر الأمّة ، مفتي الفرِق ، الْمُقْرِئ ، المحدّث ، الرَّحلَة ، الْمُفَسِّر ، الفقيه ، الأُصُولي ، البليغ ، الأَديب ، المنطِقيّ ، الْجَدَليّ ، النظّار ،

---

(١) زيادة من (أ) .

* الوافي : ٢٥١/٢١ ، والدرر : ٦٣/٣ .

(٢) في الوافي : « عاقلاً عدلاً » .

** الوافي : ٢٥٣/٢١ ، والبداية والنهاية : ٢٥٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وغاية النهاية : ٥٥١/١ ، والدرر : ٦٣/٣ ، والنجوم : ٣١٨/١٠ ، والبغية : ١٧٦/٢ ، وحسن المحاضرة : ٣٢١/١ ، والدارس : ١٠٠/١ ، والشذرات : ١٨٠/٦ .

جامع الفنون ، علاّمة الزمان ، قاضي القضاة أوحد المجتهدين تقيّ الدين أبو الحسن الأنصاري الخزرجي السُّبكي[١] الشافعي الأشعري .

يا سَعْدَ هذا الشافعيّ الّذي بلّغَهُ الله تعالى رضَاه
يَكْفيه يومَ الْحَشْر أنْ عُدّ في أصحابه السُّبْكيّ قاضي القضاة

أمَّا التفسيرُ فيا إمْسَاك ابن عطيّة[٢] ، ووقوع الرازي[٣] معه في رزيّة .

وأمَّا القراءات فيا بُعْدَ الداني ، وبُخْلَ السَّخَاوي بإتقان السبع المثاني .

وأمّا الحديث فيا هَزيمة ابن عساكر ، وعَيّ الْخَطيب[٤] لمّا أن يذاكر .

وأمَّا الأصُول فيا كلال حَدّ السيف[٥] ، وعظمة فخر الدين كيف تحيَّفها الْحَيْف .

وأمّا الفقهُ فيا وقوع الْجُويني في أول مَهْلك من (نهاية الْمَطْلَب) ، وجَرَّ الرافعي[٦] إلى الكَسْر بعد انتصاب عَلَمه الْمُذْهَب في الْمَذْهَب .

وأمّا المنطق فيا إدبار دَبيران[٧] وقَذَى عَيْنه ، وانبهار [٨] الأَبْهَريّ وغطاء كشفه ، بمَيْنه .

---

(١) نسبة إلى موطنه « سُبْك العبيد » كما في الدرر .
(٢) واسم كتابه في التفسير : « المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز » . طبع معظمه .
(٣) يريد الفخر الرازي ، واسم تفسيره « مفاتح الغيب » .
(٤) يعني الخطيب البغدادي .
(٥) هو السيف الآمدي .
(٦) عبد الكريم بن محمد أبو القاسم الرافعي القزويني (ت ٦٢٣ هـ) : أعلام الزركلي : ٥٥/٤ .
(٧) هو علي بن عمر بن علي الكاتبي القزويني ، يقال له : دبيران . (ت ٦٧٥ هـ) . أعلام الزركلي : ٣١٥/٤ .
(٨) في (أ) : « وابتهار » .

وأمّا الخلاف فيا نَسْفَ جبَالَ النَسَفي ، وعَمى العَميدي ، فإنَّ إرشاده[(١)] خَفي .

وأمّا النّحو فالفارسي تَرَجّل له يطلبُ إعظامَه ، والزَّجّاجيّ تكسّر جَمْعُه ومَا فاز بالسّلامه .

وأمّا اللغةُ فالجوهريّ ما (لصحاحه) قيمه ، والأزهريّ أظلمت لَياليه البَهيَه .

وأمّا الأدبُ فصَاحبُ (الذّخيرة) استعَطى ، وواضعُ (اليتيمَة) تركها ، وذهبَ إلى أهله يَتَمطّى[(٢)] .

وأمّا الحِفظُ فما سَدّ السِّلَفي خلّة ثغرِه ، وكُسِرَ قَلْبُ الجوزيّ لّما أكلَ الحُزنُ لبَّهُ وخَرج من قِشْرِه .

هذا إلى إتقان فنون يطولُ سَرْدُها ، ويشهد الامتحان أنّه في المجموع فَرْدُهَا ، واطّلاعٍ على مَعَارَفَ أُخَر ، وفوائدَ[(٣)] متى تكلم فيها قُلْتُ بَحرٌ زَخَر[(٤)] ، وإذا مشى الناس في رقراق عِلْمٍ كان هو خائضَ اللجّه . وإذا خَبَط الأنامُ عَشواءَ سار هو في بياض المحَجّه[(٥)] .

وأمّا الأخلاق فقلّ أنْ رأيتَها في غيره[(٦)] مجموعه ، أو وُجِد في أكياس الناس دينار على سكّتهَا المطبوعه ؛ فمٌ بسّام ، ووجهٌ بين الجمال والجَلال قسّام ، وخُلُقٌ كأنَّه نَفَسُ

---

(١) يعني الإرشاد في علم الخلاف والجدل لمصنّفه ركن الدين أبي حامد محمد بن محمد العميدي (ت ٥١٥ هـ) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ ثمّ ذهب إلى أهله يتمطّى ﴾ ، القيامة : ٣٣/٧٥ .

(٣) في (خ) : « وفرائد » .

(٤) في الأصل : « زاخر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « المحبّة » ، تحريف .

(٦) في الأصل : « غير » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وعبارة (أ): « في أصله مجموعة » .

السَّحَرِ على الزَّهر نسّـام[١] ، وكفٌّ تَخْجَـل الغُيُـوث من سَـاجمِهَـا ، وتَشْهَـد البرامكـة أنَّ نَفْسَ حاتمٍ في نَقْش خاتمها ، وحِلمٌ لا يستقيم معه الأَحْنَف[٢] ، ولا يُرَى المـأمون معـه إلاّ خائناً عند من روى أو صنّف ، ولا يوجَـد لـه فيـه نظير ولا في غرائب أبي مِخْنف[٣] ، ولا يحمل حلمَه جَبلٌ ، فإنَّه جاء بالكَيْل الْمُكْنَف[٤] .

لم أرَه انتقم لنفسه مع القُدْرَه ، ولا شَمِت بعدّو هُزِمَ بعد النُّصْرَه ، بل يعفو ويصفح عمّن أجْرَم ، ويتألّم لمن أوقد الدهر نارَ حربه وأَضْرَم ، ورعايةُ ودٍّ لصـاحبـه الـذي قَـدُم عَهْدُه ، وتذكّرٌ لمحاسنه التي كاد يَمحُوها بُعْدُه ، وطهارةُ لسانٍ لم يُسْمَع منه في غيبـة بنت شَفَه ، ولا تسفّ طيور الملائكـة منـه على سَفَـه . وزهـدٌ في الـدنيـا وأقلامـه تتصرف في الأقوال ، وتفضّها على مرّ الأيام والْجُمَع والأشهر والأحوال ، واطِّرَاحٌ للمَلبَس والمـأكل ، وعزوفٌ عن كلّ لـذه ، وإعراضٌ عن أغراضِ هـذه الـدنيـا التي خلق الله النفـوس إليهـا مُغِذّه .

وهذا مـا رآه عيـاني ، وختم عليـه جنـاني ، وأمـا مـا وصف لي من قيـام الـدجى ، والوقوف في موقف[٥] الخوف والرجا ، فـأمرٌ أجزمُ بصِـدْقِـه ، وأشْهَـدُ بحقّـه ، فـإنَّ هـذا الظاهر لا يكون له باطن غيرُ هذا ، ولا يُرَى غَيْرُه حتّى المعاد مَعاذا :

عمـل الـزمـانُ حِسَـابَ كلِّ فَضيلـة ... بجماعـةٍ كانت لتِلْـك مُحَرّكَـه[٦]
فرآهم مُتَفرِّقينَ على الْمَـــدَى ... في كل فنّ واحـداً قـد أدركَـهْ
فـأتى بـه مِن بعـدِهِم فـأتى بمَـا ... جـاؤوا بـه جَمْعاً فكان الفـذلكْـه

(١) في الأصل و (خ) : « بسّام » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٢) الأحنف بن قيس ، مشهور بحلمه .
(٣) لوط بن يحيى الكوفي ، راوية عالم بالسير والأخبار . الأعلام : ٥/٢٤٥ ، ووقع في الأصل : « مخيف » ، تصحيف .
(٤) أي : الممتلئ .
(٥) في (أ) ، (خ) : « مقام » .
(٦) في الأصل : « حمل الزمان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

وتصانيفه تَشْهدُ لي بما ادَّعيت ، وتؤيّد ما أوتيتُ به ورَوَيْت ، فدونك وإياها ، وترشفْ[١] كؤوس حُمَيّاها ، وتناولْ نجومها إن وَصَلْت إلى ثُرَيّاها .

ولّما توفي قاضي القضاة جلال الدين القزويني بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة طلبه[٢] السلطان الأعظم الملك الناصر محمّد ، وطلبَ الشيخ شمس الدين بن عَدْلآن بحضور قاضي القضاة عز[٣] الدين بن جماعة ، وقال له : يا شيخ تقي الدين قد ولّيتك قضاء الشام[٤] ، وألْبَسه تَشْرِيفاً عظيماً ، وخرج صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى . وكنت أنا في خدمته طول الطريق فالتقطتُ الفوائد ، وجمعتُ الفَرَائد التي ظَلَّ في طلبها ألْفُ رائد ، وسهَّلْتُ بسُؤاله ما كان عندي من الغوامض الشدائد ، وودِدت أن النوى لم تُلْقِ لها عَصَا[٥] ، وأن اليَعْمَلات في كُلّ هاجرة تنفي يداها الْحَصَا[٦] .

يودّ أنَّ ظلام الليل دَامَ لَهُ ... وزِيدَ فيه سَوادُ القلب وَالبصَر[٧]

ودخل دمشق ، فَقُلْ[٨] في رَوْض حَيَّاهُ الغَمَام ، ومادَت غُصُونُهُ بالطرب لما غنّى عليها الحَمَام . أحيا الله به معالم علومها ، وأطْلَعَ في آفاقها للهُدَى نيِّرات نُجومها ، وباشر

---

(١) في الوافي : « ورسف » .

(٢) في الأصل : « طلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) في (أ) : « نجم » ، سهو .

(٤) عبارة الوافي : قضاء القضاة بالشام » .

(٥) إشارة إلى البيت المشهور :

فألقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قرّ عينا بالإياب المسافر

والبيت ينسب إلى معقر بن حمار البارقي ، وغيره . انظر اللسان (عصا) .

(٦) أخذ كلامه من قول الفرزدق :

تنفي يداها الحصا في كلّ هاجرة ... نفي الدنانير تنقادُ الصياريف

ديوانه : ٥٧٠ .

(٧) في (خ) : « سواد السمع » .

(٨) كذا في الأصول ، ولعلّها : « فحلّ » .

قضاءها[١] بصَلفٍ زاد ، وسُلوك مَا حَالَ عن جادّة الحقّ ، ولا حَاد ، منزَّهَ النفس عن الحُطام منقاداً إلى الزهد الصّادق بخطام ، مُقْبلاً على شأنه في العلم والعمل ، منصرفاً إلى تحصيل السَّعَادة الأبديّة فماله في غيرها أمل ، ناهيك به[٢] من قاضٍ حُكْمُهُ في هذا الإقليم متصرّف الأوامر ، وحديثه في العِفّة عن الأموال عُلاَلَةُ المسَامر[٣] ، ليس في بابه مَنْ يقول لخَصْم هات ، ولا من يُجَمْجم الحقَّ أو يموّه بالترّهات .

ومات الأمير سيف الدين تنكز وهو يعظّمه ، ويختار أكبر الجواهر[٤] للثناء عليه وينظّمه :

وعاجوا فأثنَوا بالذي أنتَ أهلُه ولَوْ سَكتوا أَثْنَت عليك الحقائبُ[٥]

ولم يَزَل على حاله إلى أن حصل له مِنَ الْمَرض ما حَصَل ، وتماثَل من سُقمه[٦] ونَصَل ، ونزل عن منصبه لَولده قاضي القضاة تاج الدين عَبْد الوهاب ، فتلقت الدولة ذلك منه بالتِرحَاب ، وقالوا سمعاً لما قاله وكرامة ، وأهلاً بهذا النهر الّذي غادَرَته تلك الغمامة .

ولما استقرّ الأمر لولده وثَبَت ، ورأى غُصْنَه الذي تفرع عن أصْله ونبتَ توجّه إلى الديار المصريّة شوقاً لأرض أوّل ما مسّ جلدَه ترابها ، وأوّل مَا ضمّه جنّاتها[٧] واتسع له جَنَابُها ، فقال النيلُ : مرحباً بغمام الشام ، وقالت نجومها : أهلاً بهذا القمر التام ، فأقام بها رَيْثَما بلّ صَداه ، ورَدّ برؤية ربوعها رَدَاه ، ونقله الله إلى حضرةِ قُدْسه ،

---

(١) في (خ) : « القضاء بها » .
(٢) ليست في (أ) .
(٣) في (أ) ، (خ) والوافي : « السامر » .
(٤) في الوافي : « الجواهر » .
(٥) هو لنصيب بن رباح في مدح سليمان بن عبد الملك . الأغاني : ٣٣٧/١ .
(٦) في الأصل : « وتمايل من سكره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٧) في الأصل : « جنابها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

ومواطنِ رحمته وأنسه . فلبّى المنادي ، وخلا من نَداه النادي ، وقام الناعي فأسمَع ، وأوجد القلوبَ حُزنُها فأوجع .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده أول يوم من صفر سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

وتفقّه في صِغَره على والده رحمه الله تعالى ، ثم على جماعةٍ آخرُهُم فقيه العصر نجم الدين بن الرِّفْعَة ، ورأيته رحمه الله يُثني عليه ثناء كثيراً ، ويعظّمه تعظيماً زائداً .

وقرأ الفرائض على الشيخ عبد الله الغماري المالكي .

وقرأ الأصلين وسائر المعقولات على الشيخ الإمام النظّار علاء الدين الباجي ، وكان يعظّمه ويَصفُه بالدين .

وقرأ المنطقَ والخلاف على الشيخ سَيف الدين البغدادي .

وقرأ النحو على الشيخ أثير الدين أبي حيّان .

وقرأ التفسير على الشيخ علم الدين العراقي .

وقرأ القراءات على الشيخ تقي الدين بن[1] الصائغ .

وتخرّج في الحديث على الحافظ شرف الدين الدمياطي .

وصَحِبَ في التصوّف الشيخ تاج الدين[2] .

---

(١) ليست في الوافي .

(٢) في الدرر : « ابن عطاء الله » ، وهو أحمد بن محمد بن عبد الكريم عطاء الله الإسكندري تاج الدين في (ت ٧٠٩ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

ورحل في طلب الحديث إلى الإسكندريّة والشام ، ومن مشاهير أشياخه[١] في الرواية ابن الصوّاف ، وابن جماعة ، والدمياطي ، وابن القيّم ، وابن عبد المنعم ، وزينب ، هؤلاء بالإسكندريّة وبمصر . والذين بالشام : ابن الموازيني ، وابن مشرِّف ، والمُطَعّم ، وغيرهم .

والذين بالحجاز : رضيّ الدين[٢] إمام المَقام[٣] ، وغيره .

وخرّج له شهاب الدين الدمياطي[٤] (معجماً) لشيُوخه .

جلس بالكلاّسة جوار الجامع الأمويّ بدمشق ، وحدّث به قراءةً عليه الإمام أقضى القضاة تقي الدين أبو الفتح السبكي ، وسمعه عليه خلائق منهم الحافظ الكبير جَمال الدين المزّي ، والحافظ أبو عبد الله الذهبيّ ، وروى عنه شيخنا الذهبيّ في (معجمه) .

وتولّى بدمشق مع القضاء خطابةَ الجامع الأموي وباشرها مدّة ، وذلك في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فقال شيخنا الحافظ شمس الدين الذهبي : مَاصَعد هذا المنبرَ بعد ابن[عبد][٥] السلام أعظم منه ونظم في ذلك :

لِيهنِ المنبرَ الأمويَّ لَمّا ... علاه الحاكمُ البَرُّ التقيّ
شيوخ العصر أحفظهم جميعاً ... وأخطَبُهم وأقْضاهم عَليّ

وتولّى بعد وفاة شيخنا المزي رحمه الله تعالى مشيخة دار الحديث الأشرفيّة . فالذي تقول : إنّه[٦] مادخلها أعلم منه ، ولا أحفظ في الرجال من المِزّي ، ولا أورع من

(١) في الأصل : أصحابه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ)والوافي .
(٢) الطبري ، كما في الدرر ، وهو إبراهيم بن محمد (ت ٧٢٢ هـ) ، سلفت ترجمته .
(٣) في الأصل : « القاهرة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) أحمد بن أيبك (ت ٧٤٩) ، سلفت ترجمته .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٦) في (خ) : « إنها » .

النووي وابن الصلاح ، ولا يُورَد زين الدين الفارقي فإنّه أفقهُ منه رحم الله كُلاًّ .

وتولّى تدريس الشاميّة البرّانية بعد موت مدرسّها قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب رحمه الله في أوائل سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكتبتُ له [بذلك][1] توقيعاً هو مذكورٌ في الْجُزْءِ الخامس والعشرين مِنَ (التذكرة) التي لي .

ثمّ إنّه ولِيَ تدريس الْمَسْرُوريّة بعد الشيخ تاج الدين المراكشي[2] ، وكتبت له توقيعاً بذلك هو في الجزء الثاني من (التذكرة) التي لي .

وكان قد طُلِبَ في نهار الجمعة بعد الصلاة سادس عُشْرَيّ جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة إلى الديار المصرية ، جاء البريد بِطَلَبه لِيُجْعَلَ قاضي القضاة بالديار المصرّية ، فتوجّه . ثم إنّ القضية فَتَرت ، وأقام بها قليلاً وعاد إلى دمشق على منصبه .

ومن مسْمُوعَاتِهِ الْحديثيّة :

الكُتُب الستّة ، و (السيرة النبوية) ، و (سنن الدار قطني) ، و (معجم الطبراني) ، و (حَلْيَة الأولياء) ، و (مُسْند الطيالسي) ، و (مسند الحارث بن أبي أسامة) ، و (مسند الدارمي) ، و (مسند عَبْد) ، و (مسند العَدْني)[3] ، و (مُسْنَد الشافعي) رضي الله عنه ، و (سنن الشافعي) ، و (اختلاف الحديث) للشافعي ، و (رسالة الشافعي) ، و (معجم ابن الْمُقْرئ)[4] ، و (مختصر مُسْلم) ، و (مسند أبي

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) في (أ) : « ابن المراكشي » ، وهو محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي (ت ٧٥٢ هـ) وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العدلي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، والوافي ، وهو أبو عبد الله محمد بن يحي العدني (ت ٢٤٣ هـ) ، ويعرف مسنده أيضاً باسم مسند ابن أبي عمرو . الكشف : ١٦٧٨/٢ .

(٤) هو محمد بن إبراهيم بن علي (ت ٣٨١ هـ) ، السير : ٣٩٨/١٦ ، والكشف : ١٧٣٤/٢ .

يَعْلَى) ، و (الشفـاء) للقـاضي عِيـاض ، و (رسـالـة القشيري) ، و (معجم الإسماعيلي)[(١)] ، و (السيرة) للدمياطي ، و (موطّـأ) يحي بن يحي[(٢)] ، و (موطّـأ) القَعْنَبي .

و (موطأ) ابن بكير ، و (الناسخ والمنسوخ) للحازمي[(٣)] ، و (أسباب النزول) للواحدي ، وأكثر (مسند أحمد) ، ومن الأجزاء شيء كثير .

ولقد كان عمره بالديار المصريّة وجيهاً في الدولة الناصريّة يعرفه السّلطـان الأعظم الملك النـاصر[(٤)] ويولّيـه المنـاصب الكبـار ، مثل تـدريس المنصوريّـة وجـامـع الحـاكم والكهاريّـة[(٥)] . والأمير سيف الـدين أرغون النـائب يعظّمـه ، والقـاضي كريم الـدين الكبير يقرّبُه ويقضي أشغاله ، والأمير سيف الدين قجليس . وأمّـا الأمير سيف الـدين ألجـاي[(٦)] الـدوادار فكان لا يفـارقـه ويبيت عنـده في القلعـة غـالب الليـالي ، ونـائب الكرك والأمير بـدر الـدين جنكلي بن البـابـا والجـاولي والخطيري وغيرهم جميعهم يُعظّمُونه ويحترمونه ويشفع عندهم ويقضي الأشغال للناس .

وجـاء إلى الشـام قـاضي القضـاة من سنـة تسع وثـلاثين إلى بعض[(٧)] سنـة ست وخمسين[(٨)] هذه المدة كلها ، وجاء في أيامه الطاعون فلو شـاء هو وولَـدُه أقضى القضـاة جمال الدين حسين أَخَذا في إثبات الوصايا ودعاوَى القرابات وما يرث الناس بـأسبـابـه

(١) هـو معجم الشيـوخ لأبي بكر أحمـد بن إبراهيم بن إسماعيـل الإسماعيلي (ت ٣٧١ هـ) ، الكشف : ١٧٣٥/٢ .

(٢) الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٤٣/٦ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

(٣) محمد بن موسى الحازمي الهمذاني (ت ٥٨٤ هـ) ، الكشف : ١٩٢٠/٢ .

(٤) في (أ) : « الناصر محمد » .

(٥) مـدرسـة بـالقـاهرة كانت بـالـدرب المعروف بهذا الاسم ، وموقع هـذا الـدرب بجوار حـارة الجـودريـة والقهامين . (عن حاشية السلوك : ١٧٠/٢) .

(٦) في الوافي : « الجابي » ، تصحيف .

(٧) ليست في (أ) .

(٨) في (أ) : « خمس وسبع مئة » .

ثلاث مئة ألف دينار وأضعافها ، وكان ينفرد هو رحمه الله تعالى بولايات الوظائف بنصف ذلك ، ولم يقدر أحد يقول إنّه وزن ديناراً ولا درهماً ولا أقل ولا أكثر . وأمّا لبسه الذي يكون عليه في غير دُور العدل والمحافل فما أظنه كان يساوي ثلاثين درهماً .

وإن كان في لُبْس الفَتى شَرَفٌ لـه ... فمـا السيف إلاّ غِمْـدُهُ والْحَمائِـلُ

وبعد هذا جميعه يموت فيوجد عليه دين مبلغ اثنين وثلاثين ألف درهم ، ولو لم يكن له داران بمصر اشترى الواحدة ، وورث الأخرى مع مجلداته التي قناها في عمره ، أُبيع الجميع فكمّل ثلثي الدين ، والتزم ولداه مدَّ الله في عمرهما بوفاء البقية ، « هكذا هكذا وإلاّ فَلاَلا »[1] .

يُنسب إلى الشافعي أنَّه قال : مَنْ ولي القضاء ولم يفتقر فهو لِصّ ، قدّس الله روحه ، ونوَّر ضريحه ، والذي استقر في ذِهني منه أنَّه كان إذا أخذ أيَّ مسألةٍ كانت من أي باب كان ، من أي علم كان عمل عليها مجلّداً أو مصنفاً لطيفاً ، أعني في علوم الإسلام من الفروع والأُصْلين والحديث والتفسير والنحو والمعاني والبيان . وأمَّا العَقْليات فما كان في آخر وقته[2] فيها مثله .

وأمَّا فَنُّ الأدب فما احتاج مع أسماء كتبه وتصانيفه إلى بَيان ، هي تشهد له بأدبه وذوقه . وأمَّا الهجاء وفن الكتابة فكَان مَا يُلْحق فيه . وأمَّا صناعة الحساب فرأيت أئمتها يعترفون له فيها ، ولم أرَهُ في مُدَّةِ ولايته القضاءَ يَسْتكثر[3] على أحد شيئاً والعلّة في ذلك إعراضه عن الدنيا وإلقاؤها وراء ظهره ، حتى لم تكن له ببال حتى إنني قلتُ فيه :

---

(١) هذا عجز بيت للمتنبي ، وهو مطلع قصيدة له يمدح سيف الدولة ، وصدره : « ذي المعالي فليعلون من تعالى » . (ديوانه بشرح العكبري : ١٣٤/٣) .

(٢) في (خ) : « وقت » .

(٣) في (خ) : « يستكبر » .

لم يلتفتْ يَـوْمــاً إلى زَهْرةِ الـــدُ نيـــا وإن كانت لـــــه زَاهِره
رئــاســة العلم التي حــازَهَــا تَكْفيــه في الـــدنيَــا وفي الآخرة

ولم نَرَ أحداً من النوّاب الذين هم كانوا ملوكَ الشام ولا مِنْ غيرهم تعرّض لـه فـأفلح بعدها ، إمّا يموتُ فجأةً أو يُغْتال أو يُعَطّل ويستمر في عُطلتـه إلى أن يموت ، جرَّبْنَـا هـذا غير مرّة مع غير واحـد ، وهـذا شـاع وذاع . ولقـد جئت إليـه يـومـاً ، وقلتُ لـه ياسيدي هذه قضية حَديثا[١] ، بالله دع أمرها فإنَّـك قـد أبلغت[٢] فيهـا عُـذْرا ، وهـذا ملك الأمراء وغيره في ناحية وهم بمعزل ، وأخشى يحصل بسببها شرّ ، فما كان جوابي إلا أن أنشَدَ :

وَلَيْتَ الَّـذي بَيْني وبَيْنَــك عــامرٌ وبيني وبينَ العــــالَمينَ خَرَابُ[٣]

فَعَلِمْتُ أنَّه لا تأخذه في الحق[٤] لومةُ لائم .

ومن حين نافسَه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي مـا قرّ لـه قرار ولا هنـاه عيش بدمشق ، وجرى له ما جرى ، وعُزِل منها ، وتولى حلب ، وقـاسَى بها شـدائـد . ثم إنَّـه عُزِل ونقل إلى مصر ، ثم إنَّه أُمْسِكَ واعتقل بالإسكندريّة ، ثم حَضَر إلى القدس .

ولم يَزل يدخل في مَرَض ويخرج منه إلى أن توفي رحمه الله تعـالى ، ولمّـا طلب إلى مِصْرَ خوفوه من أمره ، فقال : يروح إليها وما يفلح ، ويموت والله ولده قـاضي القضـاة تاج الدين[٥] حيث قال في ترجمته لمّا ذكره في (طبقات الفقهاء) :

---

(١) من قرى غوطة دمشق . قال ياقوت : يقال لها حديثة جرش ، (معجم البلدان) . وعبارة الدرر نقلاً عن الصفدي : ياسيدي دع أمْرَ هذه القرية فإنك ...
(٢) في (أ) : « بلّغت » .
(٣) هو من مشهور شعر أبي فراس الحَمْداني .
(٤) في (في) : « الله » .
(٥) عبد الوهاب (ت ٧٧١ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٤٠/٢ .

ومـا عليَّ إذا مـا قُلْتُ مُعْتَقـدي ... دع الحسودَ يظنّ السّوءَ عُـدْوَانـا
هـذا الـذي تعرف الأمـلاكُ سيرتَـه ... إذا ادْلَهَمّ دُجَى لم يَبْـقَ سهرانـا
هـذا الـذي يُسْرِع الرحمَنُ دَعوَتـه ... إذا تقـاربَ وقت الفَجْر أو حَانـا[1]
هَـذا الـذي يسمع الرحمن صَـائحَـه ... إذا بكى وأفـاضَ الـدَّمْـعَ ألـوانـا
هـذا الـذي لم يـزل من حين نشـأتـه ... «يُقَطـع» اللّيـلَ تسبيحـاً وَقرآنـا»
هـذا الـذي تعرف الصحراء جَبْهتَـه ... من السجـودِ طـوال الليـل عرفـانـا
هـذا الـذي لم يغـادر سيـلُ مـدمعـه ... أركانَ شيبتـه البيضـاء أحيَـانـا
والله والله والله العظيم ومَنْ ... أقـامَـهُ حجـةً في العصر بُرهَـانـا
وحـافظـاً لنظـامِ الشَّرْعِ ينصرُه ... نصراً يلقّيـه مِنْ ذِي العرش غفرانـا
كلُّ الـذي قلتُ بعضٌ من منـاقبـه ... مَـا زِدْتُ إلا لعلّي زِدْتُ نُقْصَـانـا

وصنف بالديار المصريّة ودمشق مـا يزيـد على المئـة والخمسين مصنفـاً فمن ذلـك : (الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم) ، عمل منه مُجَلّدين كَبيرين ونصفاً ، و (تكملةُ المجموع في شرح المهذب) ولم يَكْمُل ، و (الابتهاج في شَرْح المنهاج) في الفِقْه ، بلغ فيه إلى آخر وقت و (التحقيق في مسألة التعليق) ردّاً على الشيخ تقي الـدين بن تيميّـة في مسألة الطلاق ، وكان فضلاء الوقت[2] قد عملوا ردوداً ووقف عليها ، فما أثنى على شيء منها غير هذا ، وقـال مـا ردّ عليّ فقيـه[3] غَيْر السُبكي ، وكتـاب (شفـاء الأسقـام[4] في زيارة خير الأنام) ردّاً عليه في إنكاره[5] سَفَر الزيارة ، وقرأته عليـه بـالقـاهرة في سنـة سبع وثلاثين وسبع مئة من أوله إلى آخره وكتبت عليه طبقة جاء مّما فيها نظماً :

(١) في (خ) ، « يَسْمع » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « العصر » .
(٣) في (خ) : « فتية » .
(٤) في (أ) ، (خ) والوافي : « السقام » .
(٥) في الأصل : « إنكار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

لقــول ابن تيميّـــة زُخْرَفٌ أتى في زيــارة خَيْر الأنَــام
فَجـاءَتْ نُفوسُ الـورى تشتكي إلى خير حَبْر وأزكى إمــام
فصَنّف هَــــذا وداوَاهُمُ فكانَ يقينــاً شفــاءَ السّقــام

وَ (الرّفْدَة في معنى وَحْدَه) وكتبتها بخطّي ، وقرأتها عليه وكتبت عليها :

خــلِّ عنــك الرّقــدة وانتبــه للرّفْــدَه
تجنِ منهــا علمــاً فــاق طَعْمَ الشهــدَه

و (التعظيم والمنّة في ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ به ولِتَنْصُرُنّه ﴾[1]) وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه وكتبتُ عليها :

غــالب مَــا صنّفــه النــاسُ في مسبَّبَــات المــال والجــاه[2]
فللرّبــا ذلــك قــد كان والْـ ـتعظيم وَالمنّــــة لله

و (الحلم والأناة في إعراب ﴿ غير ناظرين إناه ﴾[3]) ، وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبتُ عليها :

يــا طــالبَ النحــو في زمَــانٍ أطْــوَل ظــلاً من القنــاة
ومَــا تحلّى منهَــا بعِقْــدٍ عليــك بــالحلم والأنــاة

و (الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض) كتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

قــل لمن رَاح بــاحثــاً عن كــلام في كنــايــاتــه وفي التعريض :
لا تُغَالِـط ، مـا يشبـه الـدّر شيءٌ إن تــأمَّلْتَــه سـوى الإغريض

(١) آل عمران : ٨١/٣ .
(٢) في (خ) : « الأنام له » .
(٣) الأحزاب : ٥٣/٣٣ .

و (ورد العَلَل في فهم العِلَل) ، وكتبتها بخطي ، وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

أيَـا من شفى مَـابنـا من عِلـل ... وردّ ردانـا بـوِرْدِ العَلَـلْ
جَـزاك إلهـكَ مِن مُحْسِنٍ ... هـدانـا الصّـوابَ وروّى الغُلَـلْ

و (نيل العُلاَ في العطف بلا) ، وكتبتها بخطّي وقرأتها عليه ، وكتبت عليها :

يـامَن غـدا في العلم ذا همّـةٍ ... عظيمَـةٍ في الفضـل تمـلا المـلا
لم ترقَ في النحـو إلى رُتبـةٍ ... سَـاميـة إلا بنيـل العُـلاَ

ومن تصانيفه أيضاً (رافع[1] الشقاق في مسألة الطلاق) ، و (الرياض الأنيقة في قِسْمَة الحديقة) ، و (منْية الْمُبَاحِث[2] في حكم دَيْن الوارث) ، و (لمعة الإشراق في أمثلة الاشتقاق) و (إبراز الحِكَم مِن حديث : رُفِعَ القلم) ، و (إحياء النفوس في حكمةِ وضع الدروس) و (كشف القناع في إفادة « لو » الامتناع) ، و (ضوء المصَابيح في صلاة التراويح) ، و (مسألة « كل » ومَا علَيها تدل) ، وكتب عليها الفاضل سراج الدين عبد اللطيف بن الكويك ثلاثة أبيات أوردتها في ترجمته[3] ، و (الرسالة العلاّنية)[4] و (التحبير الْمُذْهَب في تحرير الْمَذْهَب) ، و (القول الْمُوعَب في القول[5] بالْمُوجَب) و (مناسك أُولى ومناسك أُخْرى) ، و (بيع المرهون في غَيْبَة المديون) ، و (بَيان الرَّبْط في اعتراض الشرط على الشرط) ، و (نَوْر الربيع من كتاب الربيع)[6] ، و (الرّقْم الإبريزي في شرح التبريزي) ، (وعقود الْجُمَان في عقود

(١) في الوافي : « رفع » .
(٢) في الوافي : « منبّه الباحث » .
(٣) صريح كلامه في الوافي أنّ هذه الأبيات تعليق على رسالة المصنف « مسألة ضع وتعجّل » .
(٤) في الوافي : « العلائية » .
(٥) في الوافي : « في القضاء » .
(٦) في الأصل : « البديع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

الرّهْن والضمَان) ، و (طليعة الفتح والنّصر في صلاة الخوف والقصر) ، و (السيف المسلول على من سَبّ الرسول) ، و (السّهم الصّائب في بيع دَين الغائب) ، و (فصل[١] المقال في هدايا العُمّال) ، و (الدّلالة على عموم الرسالة) ، و (التّهدّي إلى معنى التعدّي) ، و (النقول البديعة في أحكام الوديعة) ، و (كشف الغُمّة في ميراث [أهل][٢] الذمّة) ، و (الطوالع المشرقة في الوقوف على طَبقَةٍ بعد طبقة) ، و (حُسْنِ الصّنيعة في حكم الوديعَة) ، و (أجوبة أهل طرابلس) ، و (تلخيص التلخيص) وتاليه ، و (الإبهاج[٣] في شرح المنهاج) في الأصول ، بدأ فيه قدر[٤] كرّاسين ، وكمّله ولده قاضي القضاة تاج الدين .

و (رفع الحاجب في شرح ابن الحاجب) في الأصول ، و (القراءة خَلْفَ الإمام) ، و (الرد على الشيخ زين الدين الكتّاني[٥] ، و (كشف اللبس في المسائل الخمس) و (منتخب طبقات الفقهاء) ، و (قطف النوار[٦] في دراية الدَّوْر) ، و (الغيث المُغْدِق في ميراث المُعْتِق) ، و (تسريح الناظر في انعزال الناظر) و (الملتقط في النّظر المُشْتَرَط)[٧] ، و (تنزّل السكينة على قناديل المدينة) ، و (دفع من تَغَلْبك في مسألة مدرسة بَعَلْبَك) ، (وشي الحُلى في تأكيد النفي بلا) ، (الاعتبار ببقاء الجنة والنار) ، (ضرورة التقدير في تقويم الخمر والخنزير) (تقييد التراجيح) ، (الكلام على حديث : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث)[٨] ، (الكلام مع ابن الدارس في المنطق) ، (جواب سؤال عليّ بن عبد السلام) (رسالة

---

(١) في (أ) ، (خ) : « فَضْل » .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٣) في (أ) ، (خ) : « الابتهاج » .
(٤) في (أ) ، (خ) : « بدأ فيه قطعة قدر ... » .
(٥) في الوافي : « ابن الكناني » .
(٦) في الأصل : « الدرن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٧) في الوافي : « المشترك » ، وبه تنتهي قائمة مصنفاته في الوافي .
(٨) الحديث برواياته في جامع الأصول : ١١/١٨٠ .

أهل مكة) ، (أجوبة أهل صفد) ، (فتوى : كلّ مولود يُوْلَدُ على الفطرة)[(١)] ، (مسألة فناء الأرواح) ، (مسألة في التقليد) ، (النوادر الهمذانيّة) ، (الفرق في مطلق الماء والماء المطلق) ، (المسائل الحلبيّة) (أمثلة المشتق) ، (القول الصحيح في تعيين الذبيح) ، (القول المحمود في تنزيه داود) ، (الجواب الحاضر في وقف عبد القادر) ، (حديث نحر الإبل) ، (قطفُ النَّوْر من مسائل الدَّوْر) ، (مسألة ما أعظم الله) ، (مسائل في تحرير الكتابة) ، (مسألة هل يقال العشر الأواخر) ، (مختصر كتاب (الصلاة) لمحمّد بن نصر الْمَروزي) ، (الإقناع في قوله تعالى ﴿ ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطَاع ﴾)[(٢)] ، (جواب سؤال من القدس) ، (منتخب تعليقة الأستاذ في الأصول) ، (عُقودُ الْجُمَان في عقود الرهن والضمان) ، (مختصر عقود الْجُمان) (وقف بني عساكر) ، (النصر الناهد في لا كلّمت كلّ واحد) ، (الكلام في الجمع في الحضر لعذر المطر) ، (الصنيعة في ضمان الوديعَة) ، [النقول البديعة في ضمان الوديعة][(٣)] ، (بيان الْمُحتمل في تعدية عَمَل) ، (القول الجدّ في تبعيّة الجد) ، (تفسير ﴿ يا أيها الرسُل كُلوا من الطّيبات ﴾[(٤)]) ، (المواهب الصَمديّة في المواريث الصفديّة) ، (كشف الدسائس في هدم الكنائس) ، (حفظ الصيام عن فوت التمام) ، (جواب سؤال ورد من بغداد) ، (كتاب الحيل) ، (جواب الأمير سيف الدين بيبُغاروس ورد من حلب) ، (كم حكمة أرَتْنا أسئلة أرْتَنَا) ، (جواب أهل مكة) ، (جواب المكاتبة من حارة المغاربة) ، (معنى قول الإمام الْمُطَّلبي[(٥)] : إذا صحّ الحديث فهو مَذهبي) ، (سبب الانكشاف عن إقراء الكشّاف) ، (وقف على وقف أولاد

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث : ٢٣١/٣ ، وهو في جامع الأصول : ٥٢٢/٨ .
(٢) غافر : ١٨/٤٠ .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٤) المؤمنون : ٥١/٢٣ .
(٥) محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١) ، السير : ٣٣/٧ .

الحافظ) ، (النظر الْمَعيني في محاكمة أولاد اليونيني) ، (موقف الرُمَاة مِن وقف حماة) ، (مَركز الرُمَاة) ، (القول في التقوِي في الوقف التّقَوي) ، (القول المختطف في دلالة : إذا اعتكف) ، (كشف اللّبْس عن المسائل الخمس) ، (غيرة الإيمان لأبي بكر وعمر وعثمان) ، (زكاة مال اليتيم) ، (الكلام على لباس الفُتّوة) ، وهو (فتوى الفتوّة) ، (بيع المرهون في غيبة المديون) ، (الألفاظ التي وضعت بإزاء المعاني الذهنيّةَ أو الخارجية) ، (أجوبة مسائل سأله عنها ولده قاضي القضاة تاج الدين في أصول الفقه) ، (العَارِضة في البيّنة المتعَارِضَة) ، (مسألة تعارض البيِّنَتَيْن) ، (كتاب برّ الوالدين) ، (أجوبة أسئلة حديثية وردت من الديار المصريّة) ، (نصيحة القضاة) (الكلام على قوله تعالى ﴿ لاجناحَ عليكم إنْ طلّقتم النساء ما لم تمسّوهنّ ﴾[1] .

ولّما وقف على ردِّ الشيخ تقيّ الدين بن تيميّة على ابن المطهّر في الرفض[2] قال ، وأنشدنيها من لفظه ، وهي :

إنَّ الروَافضَ قَومٌ لا خَلاَقَ لهم ... منْ أجْهَل الناس في عِلْم وأكذَبه[3]
والناسُ في غُنْيَة عن ردِّ إفكِهِمُ ... لِهُجْنَةِ الرَّفْض واستقباح مَذْهَبه[4]
وابن المطهّر لم تَطْهُر خلائقُه ... داعٍ إلى الرفض غَالٍ في تعصبه
لَقَدْ تقوّل في الصَّحْبِ الكرام ولم ... يَسْتَحْيِ مِمَّا افتراهُ غيرَ مُنْجَبِه
ولابنِ تيميّةٍ رَدٌّ عليه وَفَى ... بمقصد الردِّ واستيفاء أضْرُبه
لكنَّه خَلَطَ الحقَّ المبينَ بَما ... يشُوبه كَدَراً في صَفْو مشربه

(١) زاد في (أ) ، (خ) : « (الافتقار في أهل العار) ، (المحاورة والنشاط على المجاورة والرباط) ، (منع الاستطراق في الباب المستحق الإغلاق) ، (تنصيص الشهود على تشخيص الحدود) ، (المعدلة في قتل من لا وارث له) ، (غيرة الإيمان الجلي لأبي بكر وعثمان وعلي) » .

(٢) عبارة الوافي : « في تصنيفه في الرفض » .

(٣) في الوافي : « أجهل الخلْق » .

(٤) في الوافي : « كذبهم » .

يخالط الحشوَ أنّى كان فهوَ لَهُ حثيثُ سَيرٍ بشرْقٍ أو بمغربِهِ[١]
يَرَى حوادثَ لا مَبْدا لأَوَّلِها في الله سبحانه عَمّا يُظَنُّ بهِ[٢]
لو كان حيّاً يَرَى قولي ويفهمُه رَدَدْتُ ما قال أَقْفُو إثر سَبْسَبِهِ
كما رَدَدْتُ عليه في الطلاق وفي تَرْك الزيارة ردّاً غير مشتبهِ
وبَعْدَه لا أرى للردّ فائدةً هذا وجوهَرُه ممّا أظُنُّ بهِ
والردّ يَحْسُن في حالين واحدةٍ لِقطعِ خَصْمٍ قويّ في تغلُّبهِ
وحَالةٍ لانتفاعِ الناسِ حَيْثُ به هدىً وربحٌ لديْهم في تطلُّبهِ[٣]
وليسَ للناسِ في علمِ الكلام هُدىً بل بدعةٌ وضلالٌ في تَكَسُّبهِ[٤]
ولي يدٌ فيه لولاَ ضَعفُ سامِعِهِ جَعَلْتُ نَظْمَ بَسيطي في مُهَذَّبِهِ

وقال : مَا أنشَدنيه من لفظه لما رَدّ على ابن تيميّة في الطلاق ، وقد أكثر من الاحتجاج بيمين ليلى :

في كلّ وادٍ بليلى والِهٌ شَغِفٌ ما إن يزالُ به من مَسِّها وصَبُ[٥]
ففي بني عَامر مِنْ حبّها دَنِفٌ ولابن تيميّةٍ من عهدها شغَبُ

وكتب لابنه الأكبر محمّد رحمه الله تعالى في سنة عشر وسبع مئة ، وأنشدنيه من لفظه رحمه الله تعالى[٦] :

أُبنيّ لا تُهْمِلْ نصيحَتيَ الّتي أُوصيك واسمع مِنْ مَقَالِيَ تَرْشُدِ
احفظ كتابَ الله والسُّنَنَ التي صحّت وَفِقهَ الشافعيّ محمّدِ

(١) في الوافي : « يحاول الحشو » .
(٢) في الوافي : « لا مبدا لها ولها » ، تحريف .
(٣) في الوافي : « تكسبه » .
(٤) في الوافي : « تطلّبه » .
(٥) في الوافي : « نصب » . والوصب : الوجع والألم ، أو التعب والفتور .
(٦) منها أبيات في الدرر .

وتعلّم النحوَ الذي يُدنِيْ الفتى — من كلّ فَهْمٍ في القران مُسَدَّدِ
واعلم أصولَ الفِقْهِ علماً مُحْكَماً — يَهْديك للبَحث الصّحيح الأيِّدِ
واسْلُكْ سَبيلَ الشافعيّ ومَالِكِ — وأبي حنيفة في العُلوم وأحْمَدِ
وَطريقةَ الشيخ الْجُنَيْد وصحبه — والسَالكين طريقهم بهم اقتدي
واتْبَعْ طريق الْمُصْطَفى في كلّ ما — يأتي به من كلّ أمرٍ تَسْعَدِ(١)
واقصد بعلمك وَجهَ ربك خالصاً — تظفرْ بسُبْل الصّالحين وتهتدي
وَاخشَ المهينَ وأْتِ مَا يدعو إليـ — ـهِ وانتهِ عما نهى وتزهَّدِ
وَارفعْ إلى الرحمن كُلَّ ملمَّة — بضراعَةٍ وتمسْكُن وتعَبُّدِ
وَاقطع عَنِ الأسباب قَلْبَك واصطبر — واشكر لمن أولاك خَيْراً واحْمَدِ
وَعليكَ بالوَرَع الصَّحيح ولا تَحُمْ — حَوْلَ الحِمى واقْنت لربّك واسجدِ
وخذ العلوم بهمّة وتفطُّنٍ — وقريحة سَمْحاءَ ذاتِ توقّدِ
واستنبط المكنونَ مِنْ أسرارها — وابْحَثْ عن المعنى الأسَدّ الأرْشَدِ
وَعليك أربابَ العُلُوم وَلا تكن — في ضبط مَا يُلقونَهُ بمُفَنّدِ
فإذا أتتك مَقالة قد خالفت — نَصّ الكتاب أو الحديثِ الْمُسْنَدِ
فاقفُ الكتابَ ولا تَملْ عنْهُ وَقِف — متأدِّباً مَعْ كُلِّ حَبْرٍ أوْحَدِ
فلحُوم أهل العلم سُمّت للجَنَا — ة علَيهم فاحفَظ لسَانكَ وَابعُدِ
هَذي وصيّتيَ التي أُوصيكَهَا — أكْرِم بهَا من وَالِدٍ متوَدّدِ(٢)

وكتَبَ لولده قاضي القضاةَ تاج الدين وقد رُتّب مُوَقّعاً بالدّست الشريف بالشام في سنة خمس وَسَبعُ مئة :

أقولُ لنَجْليَ البرِّ الْمُفَدَّى — مقالاً وُثِّقَتْ مِنْه عُرَاهُ
وَليتَ كتابةً في دَسْت مُلْكٍ — رَسَتْ أركَانُهُ وسَمَت ذُرَاهُ

(١) في (أ) : « صراط المصطفى » .
(٢) (أ) : « إليك » .

فـلاَ تكتبْ بكفّـك غير شيءٍ ... يَسُرّكَ في القيـامَـةِ أَنْ تَراهُ[١]
ولا تـأخـذ من الْمَغْلُـومِ إلاّ ... حَـلالاً طيّبـاً عَطِراً شـذاه[٢]
وَنُصْحُكَ صَاحبَ الـدست اتخـذه ... شِعـارَك فـالسَعـادة مَـا تَراهُ[٣]
ثـلاثٌ يـابنيّ بهـا أُوَصّيْ ... فَمَن يَـأخـذ بهَـا يُحْمَـد سُرَاهُ
وتقـوى الله رأسُ المـال فـالـزم ... فمـا للعبـد إلاّ من بَراهُ

قلتُ : التزم رحمَهُ الله فيها الراء والثالث تضمين ، وهو بيت مشهور جاء في موضعه متمكنـاً ، و « تراه » في هـذا البَيت من الرؤيَـة ، وفي الخـامس من الرأي فلا يُظَنّ أنّـه إيطاء .

وأجابه رحمه الله تعالى وَلدُه قاضي القضاة تاج الدين عن ذلك بقوله :

أتت والقلبُ في الغفَـلاَتِ سَـاهٍ ... تُنَبّـهُ كلَّ سَـاهٍ من كَرَاهُ[٤]
وصيّـة والـدٍ برٍّ شفُـوقٍ ... يقـوم مـع ابنـه فيا عَرَاهُ
رؤوف بـابنـه لـو يبْـعَ مجـدٌ ... بمقـدور لبـادَرَ واشتراهُ
ألا يـا أيّهـا الرَّجُـلُ الْمُفَـدّى ... ومن فـوق السَمـاء يُرَى ثراهُ[٥]
أَنَلْتَ فَنِلْتَ في الـدنيـا مَنَـالاً ... يَسُركَ في القيـامَـةِ أَنْ تراهُ

وقال رحمه الله تعالى في معنى قول امرئ القيس : « « ومَـا ذرفت عَينـاك »[٦] ... البَيْت ، وأنشدني ذلكَ من لفظه :

---

(١) (أ) ، (خ) : « بخطّك » .
(٢) في (أ) ، (خ) : « ثراه » .
(٣) (خ) : « شعاراً » .
(٤) في الأصل : « أأنت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٥) في الأصل : « ألا أيّها » ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٦) من معلقته .

قَلْبِيْ مَلَكْتَ فَـا بِـهِ مَرْمىً لِـواشٍ أَوْ رَقِيْب
قَـد حُـزْتَ من أعشَـارِهِ سَهْمَ الْمُعَلّى والرقيب
يُحْيِيـه قربُـك إن مَنَنْـتَ بِـه وَلـو مِقْـدَارَ قِيْب[1]
يَـا مُتْلفي بِبِعَـادِهِ عَنّي أَمَـا خِفْتَ الرقيب

قلتُ : ليس لهذه القوافي خامسٌ فيما أظنّ ، وقَدْ تلطف في القافية الثالثة حتى تركبّت معه من كلمتين وامتزجت ، « وقيب » لغةٌ في « قاب » ، وفي هذه الأبيات معنى من المعاني الأدبية ، وهو ممّا يمتحنُ به الأدباء في قول امرئ القيس :« وما ذرفت عَيناك » ، البيت ، لأنَّ الأصمعي قال فيه ما هُوَ باد لكل أحد ، وهو أنَّ عَيْنَيْها سهمَان ضَرَبْتَ بها في قلبه المقتّل الذي هو أعشار ، أي مكسّر ، من[2] قولك : « بُرْمَة أعشار »[3] إذا كانت كذلك .

وأمَّا ابن كَيْسَان فقال ما هو أدقّ من هذا المعنى ، فقال : ضَرَبْت بسهميك اللذين هُمَا من سهام الميسر لتلكي أعشار القلب ، وهي جَميع مَا يخصّ الْمَيْسر من القِدَاح ، فالمعلّى له سَبعةُ أَسْهُم ، والرقيبُ له ثلاثة أسهم ، فيستغرق السهان جميعَ الأعشار ، وهذا وإنْ كان دقيقاً وفيه غَوْصٌ ففيه تَعَسُّف ، وتأويلٌ فيه بُعد ، وأمَّا هذا الذي نظمَهُ شيخ الإسلام رحمَه الله تعالى فهو صريح في هذا المعنى[4] .

وكنت قد طلبَتُ منه مَا أستعين به على ترجمته لما وَضعتُها في تاريخي الكبير (الوافي بالوفيات)فكتب لي مَسْمُوعاته وأشياخَه ومُصَنّفاته ، ولم يكتب شيئاً من نظمه ، فكتبت إليه :

---

(١) القيب : المقدار ، وما بين وتر القوس ومقبضه . (التاج) .
(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) البُرْمَة : القِدْر .
(٤) زاد في (خ) : « مع ما فيه من الجناس البديع » .

مُولاي يَا قاضي القضَاة الّذي أبوابُه مِنْ دَهْرنا حِرْزُ
أفَدْتَني ترجمةً لم تزل بُحسن أقمار الدّجَى تهزو
لبسْتُ منها حُلةً وَشْيُهَا أعْوَزَهُ من نَظْمك الطّرْزُ

فكتب الجوابَ رحمه الله تعالى :

لله مَولىً فَضْلُه بَاهرٌ مِنْ كلّ علم عندَهُ كَنْزُ
يا واحدَ الدهر ومَنْ قَدْ عَلا مِنْه على هَام العُلاَ الغَرْزُ
تسألُني النظمَ ومَنْ لي به وعندي التقصير والعجزُ

قبّلَ الداعي طِرْسًا قد سَمَا نَوْراً ونقْسا ، جَمَعَ أفانين العُلوم في شبه الوشي المرقوم ، ما بين خطٍّ إذا رَمَقَتهُ العُيُون قالت : هذا خطُّ ابنِ مُقْلة ، ونظم لا يُطيق حبيب أن ينكر فَضْلَه ، ونثرٍ يَرَى عبدُ الرحيم(١) عليه طوْلَه ، صَدَرَ عمّن توقّل(٢) ذرْوَة البلاغة وسَنَامَها ، وامتطى غارِبَها ومَلك زِمَامَها ، وكَمَّلهَا مِنْ كلِّ علمٍ بأكمل نصيب ، ضارباً فيه بالسّهم [المصيب](٣) ، مشمّراً فيه عن سَاق الجدّ والاجتهاد ، متوقّداً ذكاءً مع ارتياضٍ وارْتياد ، إلى مَنْ هُوَ عن ذلك كلّه بَمعْزلْ ، ومَنْ قعد به قصورُه إلى(٤) حضيض منزل يَطْلُب منه شيئاً مِمّا نَظم ، ولعمري لقد استسمن ذا وَرَم ، ومن أين لي النظم والرسائل إلاّ بنَغْبه(٥) من المسائل ، على تبلُّدِ خاطرٍ وكلال قَريحه ، وتقسّمِ فكرٍ بين أمور سقيمة وصحيحه ، فأنَّى لمثلي شِعرٌ ولا شعور ، أو يكون له(٦) منظوم ومنثور ، غير أنّي مضت لي أوقاتٌ استخفّني فيهَا إمّا محبّةُ التشبّه بأهل الأدب ، وإمّا ذهولٌ عمّا يَحْذَرُه العقلاء من العَطَب ، وإمّا حالة تَعرِضُ للنّفْس فَتَنْضَح بما فيها ،

(١) في (أ) : « القاضي الفاضل » .
(٢) توقل : صعّد فيه .
(٣) زيادة من (أ) ، (خ) والوافي .
(٤) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٥) النغب : التجرع .
(٦) في (أ) والوافي : (لي) وفي (خ) : « في » .

وأقول دعهَا تَبْلُغ من أمانيهـا ، فنظَمتُ مَا يُسْتَحيـا مِنْ ذكِره ، ويستحقّ أن يُبَـالغ في سَتْره ، ولكنكَ أنت الحَبيبُ الذي لا يُستَر عنه مَعيب ، أذْكُرُ لـك منـه حَسْبَمَا أشرت[(١)] نُبَذا ، وأقطع لكَ منه فِلَذا . وذكَر أبيـاتـاً أوردتهـا في ترجمتـه في (تـاريخي الكبير) ، ونقلت من خطِهِ له وأنشدنيه من لفظه :

إنَّ الـولايـــة ليسَ فيهَـــا راحــةٌ إلاّ ثـلاثٌ يَبْتغيهَـــا العَـــاقـلُ
حُكمٌ بحـقٍّ أو إزالــــةُ بـــاطِـلٍ أو نَفْـعُ محتـاجٍ سـواهَـا بَـاطِـلُ

ونقلت منه أيضاً له[(٢)] :

مثــــال عَمٍّ وخـــــالٍ بقَـوْل صِـــدق وَجيــــهِ
بَنِي بـــــأخْت أخيــــه لأمِّـــــه لاأَبيــــــهِ
وَذاكَ لا بـــــاسَ فيــــه في قَــوْل كُـلِّ فقيــــهِ
فنجلُـــــــهُ هُـــــوَ داعٍ بــذاكَ لا شــك فيــــه[(٣)]

وكتب إليَّ وقـد وقع ثلج بـدمشق في أول شهرِ رمضـان سنـة أربـع وخمسين وسبـع مئة :

نظرْتُ إلى أشجـار جِلّـق فَـوْقَهـا ثُلُـوجٌ أراهَـــا كالبُروق تَلُـوحُ
فشبّهتهـا قضبـانَ فضــةٍ اكتَسَت وقـابَلَهـا منّـا الغَـداة صَبُـوحُ
ومن تحتهـا الأوراق خضرٌ كأنّهـــا زمرّدة تغــــدو بنــــا وتروحُ
ومن بينهـا النـارِنْجُ كالـذَّهَبِ الّـذي هَـواهُ بـــهِ كلّ النفـوس تبـوحُ[(٤)]

---

(١) في الوافي : « أمرت » .
(٢) عبارة الدرر : « وله أيضاً في الإلغاز » .
(٣) في الوافي : « فيحلّه » ، وفي الدرر : « فيحلّه وهو .... » .
(٤) (خ) : « تنوح » .

فقلت : لقد أخطـأتَ تشبيهي الـذي ... يعـــزّ علي المعتزّ وهـــو فصيـــحُ
تُشبِّـــهُ يبســاً ذاويـــاً برطيبـــه ... ومَيْتــاً بمن فيـــه الحيَـــاة وروحُ
فَـوَلّ صَــلاحَ الـدين هـذا فـإنَّـه ... إذا قـــال تشبيهـــاً أقـول صحيـحُ

وبَعْده :

أقـــولُ للسَّرْوِ قـــد كَسَـــاهُ ... ثلـــجٌ رُوَاءً عليـــــهِ نُـــورُ
زمرّدٌ أنت في لجينٍ ... فقـــالَ مَـــهْ إنَّ ذا قصُـــور
تشبيـــهُ ذَاوٍ بـــلا حَيَـــاة ... بمن لَـــــهُ منظرٌ نضيرُ(١)

وبَعْدَه أيضاً :

أقـــولُ للسَّرو قـــد كسَـــاهُ ... ثلـــجٌ بَـــدا نَـــوْرُه وأنَهَـــجْ
زمـــرّدٌ أنتَ في لُجَـــيْنٍ ... فقـــالَ أبْهى سنـــا وأَنْهَـــج
فهــــل ذكيّ يُطيـــــق وَصْفي ... أرُيـــه طُرق الهَـــدَى وأَنْهَـجَ(٢)
تقـــولُ لي ذائب المعَـــاني ... فـــلا تَراني لـــذاك أنهـــج(٣)
وَأنتَ يَـــا واصفي بشعرٍ ... بغير رِدْفٍ سَـــواهُ أَنْهَـــجَ(٤)

فكتبتُ أنا الجواب إليه رحمه الله تعالى « يُقبّل الأرض » ويقول :

أتتني سُطـورٌ كالـديـاجي مِـدَادُهَـا ... وفيهـــا المعَـــاني كالنجـوم تلـوحُ
يغني بها الشـادي إذا مَـا حَسَـا الطّلا ... ويخلُـو بهـا عــاني الهـوى فيبـوحُ
فكلّ معـــانيهـــا غريبٌ مُصَنَّف ... كما لفظهـــا بين الأنـــام فصيـحُ
مُلـوكيّـــة التشبيــه فيما تخيّلت ... كـذلـك تشبيـه الملـوك مَليـحُ

(١) في الأصل : « تسبيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أسرع » .
(٣) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أبهر » .
(٤) في حاشية (أ) : قرب أنهج : « أفعل التفضيل » .

فقابلت منها نسخةً تَقَوَيّه على كُلِّ سَطْرٍ قد حَوَته صحيحُ
فأعملتُ فكري فانثنى متقاعساً وَعَهْدِي به عند القريض لحوحُ
وعَادَ فقيراً في زوايا أضالعي ومَا عنده في نظم ذاك فُتوحُ[1]

ثم إنَّ أَعْقِلةً[2] بَارَحَتْهُ ، وصبر إلى اليوم حتى رأى نشاطه لما كان عليه وجانَحَتْهُ ، وغالَطَه في نظم شيء في هذه المادّة ، وقال : مَا ضرّك أن تُسَيّر جوادك في هذه الجادّة ، فلا بدّ له من العَرْض بين يدي مولانا قاضي القضاة أدام الله تعالى أيامَه ، وإغْضَاؤه مضمون الدَّرْك فما كل السَّوانح غزلان رامَة ، فانفعَل لذلك بعدما استحيَا وخجِل ، وقال وَهو ما بين الْجَذِل والوَجِل :

الثلج يَسْقُط فوق أَوْراقٍ حَوَتْ نارنجَ بُستانٍ سَبَى برُوائه
فكأنّما تلك الثلاث سَرَقْن من قاضي القضاة الْحُسْنَ يوم لقائه
فابيضّ ذا كثنائه واخضرَّ ذا من جُوْدِه وأنارَ ذا كَذَكائه

فشكرتُ لَهُ هذا التخيّل وَعَلمتُ أنّه لطيفُ التحيّل ، وقلتُ : مَا بك مَا يَعوق ، فالْحَقْ ببضاعتك السُّوق ، فإذا به قد نظم واستعمَل القلم ، وقال :

نارنجنا في الغصون يحكي والثلجُ في بعضهنّ رَقْمُ
خدّا تبدّى بهِ عِذارٌ عاجَلَهُ بالمشيب هَمُّ

فقلتُ له : لابُدّ من الزيادة ، فإن الخير عَادَة ، فقال : أزيدك شيئاً من الاستعَارَة فإنّها لِقَمر التشبيه دَارَه . وقال :

قد سَقَطَ الثلج فوق دَوْحٍ نارنْجها يُفْرِحُ الْحَزِيْنَا

---

(١) (أ) ، (خ) : « زوايا ضمائري » .

(٢) (خ) : « أغفلة » .

كــوَرْدِ خـــدّ وآسِ صُـــدغ لاح بـــه الشيبُ يـــاسمينـــا[١]

فقلت له : حَسَنٌ ، ولكن التشبيهَ الملوكيّ فاتَ وهو مِنْ أعظمِ الآفات فقال :

كأنّ سَقيطَ الثلج في الـوَرق التي تضمّنت النـارنـجَ عنـد التضرُّج
لآلِي مشيبٍ في زمّردِ عـــارضٍ تبـدّى على يَـاقـوتِ خَـدّ مُضَرَّج

فقلتُ هذا كاف ، فانظم في السَرْو بلا خلاف ، فقال بعدما نَضِج ولم يبق فيه عرقٌ يَختلِج :

عـاينت سَرْوةَ دوحـة قـد أشبهت والثلـجُ يَسْقُـط فَـوْقَهـا مُتَـوالي
حسنـــاءَ زُفّت في مُـلاءة مُخْمَـلٍ خضراءَ كلهـــا سُمــوط لآلي

فكتب هو رحمه الله تعالى الْجَوابَ إليَّ عن ذلك :

تراقصت الأشجـار عِنْـدَ سَماعِهَـا قريضَكَ وَاختـالتَ كنشَوانَ يَطْرَبُ
وقـالَت : ألم أخبرك أنـكَ قـاصِرٌ؟ فقلت لَهَـا : بـابٌ صحيـحٌ مجرّبُ

ورَكّبْتُ أنا مَغْلِطةً مِنْ مَغَالِط[٢] المنطق ، ونظمته وكتبت به[٣] إليه وهو :

أيـا قـاضيْ القضَـاةِ بَقيت ذُخْراً لِتَشْفي مَـا يُعَـالِجُـه الضميرُ[٤]
فـأنت إمـامُنـا في كُـلِّ فَنٍّ ومثلـك لا تجيءُ بـه الـدهـورُ
كأنّـك للغـوامضِ قُطْبُ فَهْم عليـك غَـدَتْ دقـائقهـا تـدورُ
بَلَغْتَ بـالاجتهـاد إلى مـدىً لا يَحُـونُـك في مَعَـارفـه فتـورُ
وَبَـابُـك عـاصمٌ مِنْ كُـلِّ جَـوْرٍ وعلمـك نـافـعٌ وَلنـا كثيرُ
وقلْنـا أنتَ شَمسُ عـلاً وعلمٍ فكيف بَنُـوكِ كلهُمْ بُـدورُ

(١) (أ) : « باح » .
(٢) في الوافي : « مغالطات » .
(٣) في الوافي : « ونظمتها وكتبتُ بها » .
(٤) في الأصل : « لتصفي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

إليــــكَ المشتكَى مِنْ سُــوْءِ فهمٍ يُعْسِّر إذ يَسيرُ لَــــةَ اليسيرُ[١]
بُليتُ بفكْرَةٍ قــــد أتعبتني تحـــور إليَّ كَسْلَى إذ تحـــورُ[٢]
مقــدّمتـــان سُلّمَتَـــا يقينــاً ولكنْ أنتجـــا مـــا لا يصيرُ
تقـولُ البـــدر في فلــك صغيرٍ وذلـــكِ في كبير يَستـــديرُ
فيلـــزم أنَّ بـــدرَ التمّ ثــــاوٍ بجـــانحـــةِ الكبير وذاكَ زورُ
فـأوضح مَـا تقـاعَسَ عَنْـه فهمي فـــأنت بحلّـــه طَبٌّ خَبيرُ
وفَهْمُـكَ في الـورى كضيـاءِ شمس وعلْمـكَ في الأنــام هــدى ونــورُ

فكتب الجواب في ليلته وفرّع عليه ثلاثة أجوبة ، وهو :

سُـؤَالـــكَ أيّهـــا الْحَبْرُ الكبيرُ سَمَتْ في حُسْنِ هـالتـه البُـدورُ[٣]
وهِمَّتُــكَ العليّــة قــد تَعَــالت فــدون طــلابهـا الفَلــكُ الأثيرُ
ونظمُــكَ فَـوْقَ كل النّظم عَـــالٍ على هَـذا الـزَمَـانِ لَـهُ وفـورُ[٤]
فَلَـوْ سَمَحت بـك الأيـام قِـدْمـاً لقـدّمـك الجحـاجحَـةُ الصّــدورُ
سَــألتَ وأنتَ أذكى النــاس قَلْبــاً وعنــــدك كلُّ ذي عُسْرٍ يسيرُ
وقلتَ المشتكى من ســـوءِ فَهمٍ وحـــاشى إنَّ فَهْمَـــك مستطيرُ
وَفِكرتـك الصّحيحـة لن تُجـارَى ولم أرَهَــا تَحُــور ولا تحــورُ
وَلا كسَـلٌ بهَـا كـلا وأنّى ودُونَ نشـــاطِ أوّلهــا السَعِيرُ
فهَـاكَ جـوابَ مَـا قـد سلَتَ عنـه وأنت بِـا تضمّنــه خبيرُ
مقــدّمتـــان شرطَهُمَـا اتحــاَد بـأوسَـطِ إن يَفُتْ فـات السُرُور
وهـــذا منـــه فـالانتـاج عُقْمٌ وأعْقَبَــهُ عن التّصـــديـق زُورُ

(١) في الوافي : « من فهم سوء » .
(٢) في الوافي : « تخور » .
(٣) (خ) : « أيها الطبّ » .
(٤) في الأصل : « ونور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

وذلـــك أنَّ قـــولـــكَ في صَغير هـــو المحمُـــولُ ليسَ هـــو الصغيرُ
وَفي الكُبرى هـو الْمَـوضـوعُ فـاعلم فَمِنْ ذيّــــاكَ للشَّرْط الثبـــورُ
وإنْ رُمْتَ التـوصّـل بـاجتـلابٍ مقــدَمَــةً بهـا يقـع العثـورُ
على تحقيـــق مظروفٍ وظَرفٍ فمشترَكٌ عن المعنى قصيرُ
فمعنَى البـدرِ في فلـك صغيرٍ يُخـالِفُ مـا تضمّنـه الكَبيرُ(١)
فلم يَحْصُـل لشرطهمَـا وجـودٌ لـذلـك أنْتَجـا مـالا يصيرُ
وفي التحقيـق لاإنتـاجَ لَكِنْ لأجلِكَ قلتَ قـولَـك لي عـذيرُ(٢)
وأمّـا إنْ أردت عُمـوم معنىً وذلـك فيهمَـا معنىً شهيرُ(٣)
فَيَنتُـجُ آمنـاً من كلِّ شـكٍّ وليسَ عليـه إيراد يَصيرُ
فذاكَ جواب مـاقـد سِلْتَ يَـامن غـدا في العلم ليسَ لَـه نظيرُ
ومَـا عنـه تَقَـاعسَ منـك فَهْم وكيفَ وَمِنْـكَ تنحَـلُّ الصُّخُـورُ
فـأنت البَـدْرُ حُسْنَـاً وانتقـالا بـأفْـلاكٍ مضَـاعفـةٍ تَسيرُ
لحـامِلِـهِ السَريـعِ وتـاليـه دليـلٌ أنَّ خـالقـه قَـديرُ
يَرَى ذو الهيئـةِ النِّحريرُ فيهَـا عجـائِبَ ليسَ يحـويهـا الضميرُ
فسُبْحَـان الـذي أنشـأه بِرّ رحيمٌ قـاهرٌ ربٌّ غفـورُ
وصلّى الله ربٌّ على نبيٍّ هـو الهـادي بـه قـد تم نـور

وكتبتُ أنا إليه سُؤالاً مِنْ عِلْمِ الْمَنَاظر:

قـاضي قضـاةِ الشـام يَـامَنْ لـه فـوائـدٌ كالـدِّيَم الهَـاطِلَـة(٤)
ومن لـه معرفـة قَـدْ غَـدَتْ لكلِّ عِلْمٍ في الـورى شـامِلَـه

(١) في الوافي: «الكسير».
(٢) في الوافي: «قولك ياعزيز».
(٣) (أ)، (خ) والوافي: «وعموم كون».
(٤) قوله: «له» زيادة من (أ)، (خ).

ومَن إذا حلّ بنا مُشكِلٌ يَلقاه بالأجوبة الفاصِلَه
وهو إمَامُ الناسِ في فنهم وفي فنونٍ عنده حاصِله
من كذّبَ الحِسَّ فما عنده بيّنةٌ تعضُده عادِلَه
لكنَّ هذا الْقَطْرُ في جوّهِ غدا خطوطاً للثرى نازِلَه[(١)]
كذلك النقطة فوق الرّحى تُبْصِرُها دائرةً جائِلَه
فبيّن العلّة في صِدْقِنا أوْلا فدعواكم إذاً بَاطِلَه
وابْقَ مَدى الأيام في نِعمَة بدورُها مشرقةٌ كَامِلَة

فَكَتبَ هو رحمه الله الجَوابَ إليَّ مختصراً :

عِلّتها السُرعة مَعْ وَهْمنا ومن خَيالٍ لم يَزل خاتِلَةَ[(٢)]
يقضي بِهَا الوَهْم ويأبى الحجَى وهوَ الذي أحكامُه عادِلَة
والحِسُّ مقصورٌ على رُؤْية مُبْصِرَة للصّورة الحَاصِلَة[(٣)]

وكتب أيضاً رحمه الله تعالى جواباً مطوّلاً في ثلاثة وأربعين بيتاً وقد أثبتها بكمالها في كتابي (ألحان السَوَاجع بين البادي والمرَاجع) ، وقالَ لي يوماً : نظمتُ بيتاً مفرداً من ثماني عَشرة سَنَة ، وزدت الآن عليه بيتاً في هذه السَنَة ، وكانت سَنة سَبع وأربعين وسبع مِئة ، وهما :

لَعَمرُك إن لي نَفْساً تَسامَى إلى مَا لم يَنَلْ دارا بنُ دَارَا[(٤)]
فمِنْ هذا أرى الدنيَا هباءً ولا أرضى سوى الفِرْدَوْس دَارا

فأعجبَاني ، وقلت في مادّتها[(٥)] ، إلا أنَّ بَيْتَيه رحمه الله تعالى أحسن وأصنع من

---

(١) (خ) : « هذا اللفظ » .
(٢) (أ) : « خائله » .
(٣) (خ) : « على صورة » .
(٤) في الأصل : « تعسّ » .
(٥) عبارة الوافي : « في مادّتها دون مدتها » .

قولي :

لَعَمْرُك إنّ للبَاقِي التفاتي ومَا لي نَحْوَ مَا يَغْنى طريقَه[١]
أرى الدنيا ومَا فيها مجازاً ومَا عندي سوى الأُخْرى حقيقه

وحصَل له في وقت مَا شرَى ، فكتب إليه جَمال الدين محمّد بن نباتة المصري[٢] :

يَفْديك يا قاضي القُضَاة عَلّيهم من كل داءٍ تَشْتكي كلُّ الورَى[٣]
شهد الشرى لك حين زارك بالتقى والصبّر والصّدَقات لما خبّرا[٤]
لا تعدم المِدَحُ الروائح سيّداً هذي خلائقها بتخبير الشرّى[٥]

فلما حضرت عنده أراني إياهَا ، فلما وقفت عليها علمت ما أراده من خطأ التوريَة مع الناظم فمضيت من عنده وعدت إليه وقد كتبت أنا إليه بعد ذلك :

لّما اشتكى قاضي القضاة فَدَيْته من كل سوءٍ يشتكي منه الورَى
عاينته لأذى الشَّرَى متصبّراً فعلمتُ حقاً أنّه أسَدُ الشرّى
ورَبحْتُ تَوْريتي التي قَعَدَتْ ومَا خَسِرَتْ وَلَمْ أنطق بتخيير الشرّى

فأعجبه ذلك وجَبَر على عادته معي ، وفسادُ التوريَة مع الناظم الأول هو أنَّ « الشرّى » ، بفتح الشين ، مقصور ؛ وهو المرض المعروف عند الأطبّاء بالْمَاشرَى ، وهو الخراج الصغار التي تتولد من مادة دمويّة لذّاعة ، و « الشِرى » ، بكسر الشين ، مصدر شريت شرىً ، ففسَدت توريته .

ووصل الخبر مع البريد من مصر بوفاته قدس الله روحه في يوم الجمعة سَابع جمادى

(١) في الأصل : « التفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .
(٢) انظر : ديوانه : ٢٣٧ .
(٣) في ديوانه : « كل شيء » .
(٤) عجزه في ديوانه : « والبرّ مختبر العلى ومخبرا » .
(٥) في ديوانه : « المدح السوائر » « هذي خلائقه بتخيير » .

الآخرة سنة ست وخمسين ، فكتبت مرثيَّة إلى ابنه[1] قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ، وأُنشدت في صبيحة العَزاء بالعادليّة ، وهي :

أيُّ طَوْدٍ من الشريعَة مَالاَ ... زَعْزَعَتْ ركنَه الْمَنُونُ فزالاَ
أيُّ ظلٍّ قد قلصتهُ المنايَا ... حين أعيا على الملوك انتقالا
أيُّ بَحْرٍ قد فاض بالعلمِ حتّى ... كان منه بحرُ البسيطة آلا[2]
أيّ حَبْرٍ مضَى وقد كان بَحْراً ... فاضَ للوَاردين عَذْباً زُلالا
أيُّ شمسٍ قد كُورّت في ضريح ... ثم أبقَت بدراً يُضي وهلالا
مَات قاضي القضاة مِنْ كان يَرْقَى ... رُتَبَ الاجتهاد حالاً فحالا
مات مَنْ فَضْلُ عِلْمِهِ طبَّق الأَرْ ... ض مسيراً ومَا تشكَّى كَلالاَ
كان كالشمس في العُلوم إذا مَا ... أشرقت أصبحَ الأنام ذُبَالا
كان كلّ الأنام من قبل ذا العصـ ... ـر عليه في كل علم عِيَالا
كان فردَ الوجود في الدهر يُزْهَى ... بمعَالي أهل العلوم جَمالا
فمضَوا قبله وكان ختاماً ... بعدهم فاعتدى الزمان وصَالا
كمَلَت ذاتُه بأوصَافِ فضلٍ ... علّم البَدرَ في الديَاجي الكمالا
وأنام الأنام في مَهْد عَدْلٍ ... شمَلَ الخَلْقَ يُمنةً وشمالا
لِمَنْ بعده نُشيدُ رِحَاباً ... ولِمَن بعده نشدٌّ رحالا
وهوَ إن رُمْتَ مثلَه في عُلاه ... لم تجدْ في السؤال عنه سوى لا
أحسَنَ الله للأنام عَزَاهم ... فهمُ بالْمُصَاب فيه ثُكالى
وَمُصَابُ السُبكيّ قد سَبَك القَلْـ ... ـبَ وأوْدَى منّا الجلودَ انتحالا
خزرجيٌّ الأصول لو فاخر النجـ ... ـمَ عَلاً مَجْدُه عليه وطالا
خُلُقٌ كالنسيم مَرّ على الرَّو ... ضِ سُحَيراً وعُرْفُه قد توالى
وَيَدٌ جُوْدُها يفوق الغوادي ... تلك ماء هَمَتْ وذا صبٌّ مَالا

(١) (أ) : « ولده » .

(٢) (أ) ، (خ) : « كم فاض » .

أيُّهـا الـذاهبُ الـذي حينَ وَلّى صـارَ منـه عـزُّ الـدمـوع مـذالا
لـو أفـاد الفـداءُ شخصاً لجُـدْنـا بنفـوس على الفـدا تتغـالى[1]
أَنَفْسٌ طـالَمَا تنَفّسَ عنهـا منـك كَرْبٌ يكظّهـا واستحـالا[2]
أَنْتَ بلّغتهـا المنى في أمَـانٍ فـاستفـادت غنىً وعـزّت منـالا
من لنـا إن دجَت شكـوكٌ شكـونـا مِنْ أذاهـا في الـذّهن دَاءً عُضَـالا[3]
كنتَ تجلـو ظـلامهـا ببَيَـان حـل من عقلنـا الأسيرِ عِقـالا
من يعيـد الفتـوى إلى كل قُطْرٍ منـه جـاءت جـوابهـا يتـلالا
قـد صَبَبْتَ الصَّوابَ فيهَـا وأهـدَيْـت هُـداهَـا وقـد مَحَوْت الْمُحَـالا
فيقـول الـوَرى إذا مَـا رأوهَـا «هكـذا هكـذا وإلا فـلالا»
فليقـل مَنْ يشـأ مـاشـاء إنَّ المـوت أردى الغضنفر الرئبـالا
«وإذا مَـا خـلا الجبَـانُ بـأرض طلبَ الطعن وحـده والنزالا»[4]
قـد تقضى قـاضي القضـاة تقيّ الْـدين سبحـان من يـزيـل الجبـالا
فـالـدراري من بعـده كاسفـاتٌ وإذا مَـا بـدت تراهـا خَجـالَى
كان طَـوْداً في علمـه مشمخرّاً مَـدّ في النـاس من بنيـه ظـلالا
فبهـاءٌ بَهَـا ونعمتْ وتَـاجٌ فـوق فَرْق العليـاء راق اعتـدالا
هـو قـاضي القُضَـاة صَـان حِمَـاه من عـوادي الـزمَـان ربّي تَعَـالَى
وهـداه للحكم في كل يـوم فيـه يرعى الأيتـام والأطفـالا
وحَبـاه الصّبر الجميـل وَوفّـاهُ ثـوابـاً يهمي سَحـابـا ثِقـالاً[5]
ليبيـد العـدى جـلاداً ويغـدو فيفيـد النـدى ويُبـدي الجـدالا

(١) في الأصل : « أفدنا بنفوس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) الكظّة : الشذة ، وفي (أ) ، (خ) : « يلظّها » ، وهما بمعنى .
(٣) في الأصل : « في الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٤) ضمن بيتاً للمتنبي من قصيدته في مدح سيف الدولة . (ديوانه بشرح العكبري : ١٤٣/٣) .
(٥) (خ) : « وهداه الصبر » .

وكتبت بعد ذلك إلى وَلده الشيخ الإمام بهاء الدين أحمد بمصر أعزيه :

وهكـذا جَيْشـه الْمَعهُـود نُصْرَتُـه ... على أعـاديـه بعـد اليَـوم ينهـزم
أهكـذا جَبـلُ الإسـلام ينهـدِمُ ... وهكـذا سَيْفَـه المسلـول ينثلم
وَهكـذا مَجـدُه الراسي قـواعـده ... تنحـطّ منـه أعَـاليـهِ وتنحطِمُ
وَهَكـذا البَـدرُ في أعلى منـازلِـه ... وسَعْـدُه قـد مَحَت أنـوارَه الظُّلَمُ
وَهَكـذا البحر يَمْشي وهـو ذو يَبَس ... من بعـد مَـا كانَ بـالأمَـواج يلتطم
وهكـذا الـدين قـد أزرى بـه خَنَس ... من بعـد مـا كان في عرنينـه شمم
وهكـذا كل مَيْت حَـلّ في جَـدَث ... بكى لـه الفـاقـدان العِلْم والكرَم
وقـد نعى العَـدْل منـه سيرةً كرمت ... يحفّهـا الـزاهران الحِلْم والنعم
والـوُرْق تُمْلي لنـا في وصفـه خُطَبـاً ... يُقلهـا المنبران البـان والسَلم
ولـو أراد الأعـادي كَتْمَهـا اعترفت ... بفضلهَا الشـاهـدان العُرب والعجم
قـل للعِـدى إن جهلتم قَـدْرَ رُتبتـه ... «فـالبيت يَعْرِفـه والحِـلّ والحرَم»[(١)]
والليـل والـذكر والمحراب شـاهِـدُه ... والشرع والحكم والتصنيف والقلمُ
ومن يقـل إنّـه يـدري مكانتـه ... فمـا خَفِي عنهم أضعـافُ مَـا علمُـوا
فكم كماةٍ من النظّـارِ قـد مَهَرُوا ... في البَحث جاؤوا بما ظَنّوا ومـا زعموا
فكرّ فيهم بـلا فِكْر وجـدَّ لَهُمْ ... جـدالَـه ثم لَمّـا سَلّمـوا سَلمُـوا[(٢)]
وقصّروا عن مبـادي غـايـة حَصَلت ... لـه وأين عُقَـابُ الجَـوّ والرخمُ
ولّـوا فراراً وقَـدْ ألْقَـوا سـلاحهم ... وَهُمْ أناسٌ على التحقيق قد وَهِمُوا[(٣)]
عليـه هَـزْمُهم في كلِ معركـةٍ ... ومَـا عليـه بِهِمْ عـارٌ إذا انْهـزَمـوا
شكَـوا فتـوراً رَأَوْه في بصـائرهم ... ولـو ألّـوا بـه من قَبْـلُ مَـا ألمـوا

(١) ضمّن بيت الفرزدق المشهور في مدح زين العابدين بن علي .
(٢) (أ) : « جدالهم ثم » .
(٣) في الأصل : « ولو ألقوا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

مَـا النـاسُ إلاّ سـواء في بيـوتهم مـا الشـأن في أمرهم إلا إذا التحموا
كلٌّ يرى أنّـه راح منفرِداً لَيثٌ وأقـلامُـه من حـولـه أُجُم
فـإنْ تَضمّهم وقت الجـدال وغىً فعنـدهـا تظهَرُ الأقـدارُ والقِيَمُ
تـزايَـدَ الحلم مِنْ زاكي سجيّتِـه فلم يكن مِنْ عِـدَاه قـطّ ينتقم
مـوفـق الْحُكم والفتـوى على رَشَـد مانـدّ منه على مَـا قـد مضى نـدمُ[1]
كم بـاتَ ينصر مظلـومـاً رآه وقـد أودى وجـانبـه بـالضّعف يُهتضم
كان ابن تيمِيّـةٍ بـالفضـل معترفـا وهـو الألـدُّ الـذي في بحثـه خِصم
يثني علَيـه وقـد أبْـدَى بفكرتـه أوهـامَـه فيرَاهـا وهـو يبتسمُ[2]
ومـا أقرّ لمخلُـوق سـواه وفي زمـانـه كل حَبْر علمُـه عَلم
قاضي القضاة تقي الـدين حين قضَى غـدا أولُـو العلم لم يهنـاهُمُ حُلُمُ[3]
وكيف يهنـأ عيش بَعْـدَه وبـه قـد كان شمْل الهـدى بـالحق يلتئم
فـاليوم أقفر رَبع المكرمَـات وقَـدْ شـطّ المـزارُ وأقـوت دُونهـا الخيم
مَات الـذي كان إن تسـألْـهُ غـامضَةً خَـلاّك من حِلّهـا في العِلْم تحتكِم
يَـا سـائراً فـوق أعنـاقِ الرجـال وَكم سَعَت لـه في المعـالي والهُـدى قَـدَم
خَـدَمْتَ عِلْمَـك وقتـاً والأنـامُ إلى يَـوم القيـامـة فيما قُلْتَـهُ خَـدَمُ
تركتَ فينـا تصَـانيفـاً تُخَـاطبُنـا فـأنت حيٌّ ولِمّـا تُنْشَرُ الرِّمَمُ
مَـا مثـل سيرتـك المثلى إذا ذُكرت بـالحمـد تبـدو وبـالتقريـظ تُختم
أقمت في مصرَ والأخبـارُ نـافحـةٌ طيبـاً تَسِير بهـا الـوَخّـادة الرُّسُم[4]
مـا كنتَ إلا إمَـامَ النـاس قـاطبَـةً في النَّقْل والعقل تقضي كلما اختصموا

---

(١) (خ) : « في الفتوى » .

(٢) (خ) : « مبتسم » .

(٣) (أ) ، (خ) : « أولو الحلم » .

(٤) الوخد : ضرب من سير الإبل . والوخادة : الإبل . وناقة رسوم : تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

وكلّ مشكلــة في الــدين معضلــةٍ ... يضيـق فيهـا على سُلاّكِهـا اللَّقَمُ[(١)]
تَحِـلُّ شُبهتهـا من حيثمـا عَرضت ... بـالحـق إذ لَسْتَ في الترجيـح تُتَّهَمُ
مَطهّرُ الـذات من ريب تضيء لنـا ... منـك العَـوارفُ والأخـلاق والشّيمُ
يكاد من رقّـةٍ فيـه يَهَبُّ صبـاً ... هـذا وقـد برّحت أحَـداثـه الحُطَمُ
منْ أجـل ذاك غَـدَتْ أيـامُـه غُرراً ... بيضـاً ولم يقض فيهـا أن يُرَاقَ دَمُ
كفٌ على عَـدَد الأنفَـاس في هبـة الـ ... أموال مـا سَامَهَـا من بَـذْلِهَا سَأَمُ[(٢)]
أقـول لمـا نـأى عن جلّـق ونـأت ... عنهـا غـوادي الحيَـا وانجـابت الـديَمُ
« يـا من يَعـزّ علينـا أن نفـارقهم ... وُجْـداننـا كلَّ شيء بعـدكم عَـدم »[(٣)]
لكنّ صبرنـا على التفريـق وهـو أذىً ... « ومـــا لِجُرْح إذا أرضـــاكم أَلَمُ »
مَهما نَسيتُ فمـــا أُنْسيتُ برّكَ بي ... عنـد الظما ونـداك البَـارد الشبِمُ
وفرط جَبْرك إذ تُثْنيني عليّ بـــا ... لا أستحـق وذاك الْحَفْـل مـزدحِمُ
حتى أغـالـط نفسي في حقيقـة مـا ... أَدْريـه منهـا وفي عِلْمي بهـا أَهِمُ
فِعَـالُ مَنْ طَبـعَ البـاري سجيّتَـه ... على مكارمَ منهـا النـاس قـد حُرِمُـوا
وكاد دَهْري ليـاليــه تسـالمني ... وكاد يُصْرَفُ عني الشيب والهرمُ[(٤)]
والله لافتَرت مِنّي الشّفَـاه عن الـدُّ ... عَـا ولا افترّ لي من بعـد ذاك فَمُ[(٥)]
فاصبر أبا حامـد فـالنـاسُ قـد فُجعُوا ... فيمن مضى لم تُخَصَّصْ أنت دونهمُ
تشـارَكُ النـاسُ في هـذا العـزاء كما ... نعْمى أيـاديـه فيهـا النـاس تَقْتَسِمُ
وَانظر وقِسْ يـا إمـام النـاس كلِّهم ... فإن سَلمت فكلُّ النـاسِ قـد سَلموا[(٦)]

(١) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .
(٢) (أ) ، (خ) : « هبة الأنفال » .
(٣) هو للمتنبي ، ديوانه : ٣٧٠/٣ ، وكذا الشطر الثاني من البيت الآتي .
(٤) (خ) : « وكان دهري » .
(٥) في الأصل : « عنّي الشفاه » ، وأثبتنا مافي (أ) ، (خ) .
(٦) (أ) ، (خ) : « فإنّ الناس » .

هـذي المصيبَـةُ بـالإسـلام قـد نـزلت فانظر عُرَا الـدين منهـا كيف تنفصِم
مَامثل من قـد مضى يبكى عليـه ولا تُجرى على وجنتيـك الأدمـعُ السُجُم
فـإنَّـه في جنـان الخلـد في دَعَـةٍ لكفّـهِ الحـورُ والـولـدانُ تستلِمُ
فقـدّس الله ذاك الروحَ منـه ولا أراه يـوم اللّقـا والحشرِ مَـا يَصِمُ

يُقَبّل الأرضَ ويُنْهِي ماعنده من الألم[1] الذي أنكى ، والحادثِ الذي مـا يَحيـك[2] في خَلَد ذي جلد ولا يُحكى ، والمصَاب الـذي عقـد المنـاحَـات لـه بـالمنـاجـاة ، فوقف واستوقف له ، وبكى واستبكى :

ولـو يُغْني البُكَـا أوْ رَدَّ مَيْتَـا بكيتُ فلم يُسَـاجِلْني الغَمامُ

فإنا لله وإنا إليه راجعون ، قَوْلَ من فقد إمامه ، وفُجِع بمن كان يَهـديـه إلى رشـده ويريه طُرُق السَّلامة ، وأعْدَمَتْه الأيامُ حَبْراً لم يلتفت معه إلى الدراري إذا سمع كلامه ، وغيّضتْ منه بحراً كان يَقْذِف به من دُرّه فَـذّه وتُوامَـه ، وأخـذت منـه فريـدَ عصره فما يدري ما يبكيه منه ، أعلمه أم بركته أم لطفه أم جوده الذي فضحَ الغمامَة ، وابتزّت منه شيخ الإسلام الذي مَا يُخلِفُهُ الوجود إلى يوم القيامة .

عَمَّت فـواضلـه فعمَّ مُصَـابـهِ فـالنـاس فيـه كلّهُم مَـأجُـورُ

ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، كلمة تقولُها الملوكُ لهـذه المصيبـة العُظْمَى والرزيّة التي ما يجد الناسُ لها رُحْمى ، ذهب والله من كان جمالَ الوجود ، وإمام الأئمة وكعبة الجود ، ومن كان بقاؤه بين ظهراني الناس رحمـه ، ومن بينـه في العلوم وبين عُلُوّ النجـوم زحمـه ، ومن كان إذا كتب اهتزت من الطرب لـه الأقـلام ، وخضعتْ لأوامره

(١) (أ) : « من هذا الألم » .
(٢) (أ) ، (خ) : « يجيل » ، وحاك يحيك : رسخ وأثر .

السيوف ، وسَكنتْ خافقاتُ الأعلام ، وتملّت بعلومه وتصانيفه الشريعة[١] ، فلما مات قال الناس أحسن الله عزاء الإسلام :

غدا طاهرَ الأثواب لم تبق روضَةٌ غداة ثوى إلاّ اشتهت أنَّها قبْرُ[٢]
ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صَرفُ الدهر نائله الغمرُ

ويُقْسِمُ المملوكُ أنَّ مَوْلاَنا وأخاه أدام الله أيامهما ما انفردا بهذه الرزيّه ، ولا ابتُليا دون الناس بهذه البليَّه ، يا مولانا هذا ركن الإسلام قد انْهَدَم ، وهَذا بحرُ الإيمان قد ارتدم فَمُصَابُه قَدْ عمَّ ومَا خَصَّ ، وتحيّفَ جناح الصبّر وما حَصّ ، فالله يعين على ما أبلى ويمسك رمَقَ القلوب فإنَّها عَريت من جُبّة[٣] الصبّر وما تطيق من الأحزان نبلا ، وما بقي غير الأخذ بالسنّة في الصبّر ، والتمسك بآثار السلف الصّالح ممّن أودع أحبابه القبر :

أنت يا فَوْقَ أنْ تُعَزَّى عن الأحْبَاب فَوْقَ الّذي يعزِّيك عَقْلا
وبألفاظك اهْتَدَى فإذا عزّ اكَ قال الذي له قُلْتَ قَبْلاَ[٤]

ويُقْسم الْمَمْلوك ثانياً [أن][٥] فيكما خلفاً باقيا ، وكِلاكما ، كَلاكما الله ، نَيّرٌ أصبح في درجاتٍ مِنْ درَجِ السعد[٦] راقيا ، وما السلوة إلاَّ بهذا ، وإلاّ كانت قلوبُ الأولياء [قد][٧] أمست جذاذا ، فالله تعالى يمتع مصر والشام منكما بمطالع النيّرين ، ويديم

---

(١) في الأصل : « الشريفة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٢) في الأصل : « ثوت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
والبيتان من مشهور شعر أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي ، ومطلع القصيدة :
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
(٣) (أ) ، (خ) : « جنّة » .
(٤) البيتان للمتنبي ، ديوانه : ١٢٣/٣ .
(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .
(٦) ليست في (أ) ، (خ) .
(٧) في (أ) ، (خ) : « قد أصبحت » .

للإسلام منكما مَنْ يُحْيي له سيرةَ الْعُمَرين ، وقد جاء من مولانا قاضي القضاة تاج الدين ما نوّر الظلم ، وبَور أَرْباب السيف والقلم .

وقال الناس لِيُمن أيامه : « ومن يشابِهْ أباه فما ظَلَم »[1] ، فمولانا يمدّه بالخاطر ولا يَنْسَهُ من دعائه ، فإنَّه في الأرض مثل الغمام الماطر ، أُنْهي ذلك ، والله الموفق بمنه وكرمه ؛ إن شاء الله تعالى .

١١٨٠ ـ عليّ بن عبد الكريم*

ابن طَرْخَان بن تقيّ ، الشيخ الإمام العالم علاء الدين أبو الحسن بن مُهَذّب الدين الحموي الصّفدي ، وكيل بيت المال بصفد ، المعروف بعلاء الدين الكحّال .

كان شيخاً مليحَ الشَيْبَه ، ظاهرَ الهَيْبَه ، طاهِرَ الحضرة والغيبه ، أحمرِ المحيّا ، قد طال رِيا وطاب رَيّا ، له مطالعةٌ واشتغال ، وعنده على الطلبة حنّو واشتمال ، جمع[2] مجاميع حديثيّه ، وألّف مؤلفات أدبيّه .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل التراب أجفان الكحّال ، وغيَّر بَطْنُ[3] الأرض وجْهَهُ النيرّ فاستحال .

وتوفي رحمه الله تعالى في حدود العشرين وسبع مئة ، وكان قد تعدّى السبعين .

رأيته بصفد مرّات عديدة ، وكان يَرْكَبُ فرسَه ويقف على الخُضرِي واللحّام والخبّاز وغيرهم ، ويشتري ذلك بنفسه ويخرج الفلوس من منديله وهو بِعمّةٍ كبيرة

(١) هو مثل في مجمع الأمثال : ٣٠٠/٢ ، والمستقصى : ٣٥٢/٢ ، قال الزمخشري : هو من قول كعب بن زهير .

أقول شبيهات بما قال عالما ... بهن ومن أشبه أباه فما ظلم

* الوافي : ٢٦٦/٢١ ، والدرر : ٧١/٣ ، ووقع في (أ) ، (ط) : « بقيّ » .

(٢) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « وجه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

وعَـذَبـة طويلـة ، إلاَّ [أنّـه][1] كان خيِّراً لا شرّ فيـه ، ولا أعرف في صفـد وكيل بيت مال[2] غيره إلى أن مات .

وصنف كثيراً ، من ذلك كتاب (القانون في أمراض العيون) ، وكتاب (الأحكام النبوية في الصّناعة الطبيّة) وكتاب (مطالع النجوم في شرف العلماء والعلوم) .

١١٨١ ـ علي بن عبد الكريم بن أبي العدائر*

العنبري ظهير الدين .

كان من الكُتّـاب الكِبَـار المعروفين ، ولـه نظم ، وهو خـالُ الشيخ كمال الـدين بن الزملكاني .

توفي في المحرّم سنة اثنتين وسبع مئة ببعلبك .

١١٨٢ ـ علي بن عبد الملك**

الأمير علاء الدين بن الملك القاهر بن الملك المعظّم عيسى بن الملك العادل .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة ست وسبع مئة . وكان يوماً مطيراً ، ودفن بتربة والده ، وعمل عزاؤه بكرة الأحد بتربة أم الصّالح .

١١٨٣ ـ علي بن عبد المؤمن بن عبد العزيز***

المسند نور الدين الشافعي .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « المال » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الدرر : ٧٢/٣ ، وفيه : « ابن أبي العلاء » ، ولعلّه تحريف . وفي (أ) : « العذائر » .

** الدرر : ٧٨/٣ .

*** الدرر : ٧٨/٣ .

سمع مِنْ جَدِّه لأبيه ، ومن جده لأمّه إسماعيل بن أبي اليسر ، وأجاز لي بالقاهرة بخطّه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١١٨٤ ـ علي بن عبد النصير*

ابن قاضي القضاة نور الدين أبو الحسن المالكي .

كان قيّماً بمذهب مالك ، عالماً بما فيه من الغوامض الدقيقة والْمَسَالك[(١)] ، حجّ مرات وحَجّ مَنْ ناظَرَه فَقَطعه كرّات ، وكان متقشفا ، ظاهر التخليّ عن الدنيا كأنّه[(٢)] منها على شفا ، يتردّدُ على أصْحَابه ويَتَعهّد أماكن لِذّاته وأترابه ، توجَّهَ إلى مصر آخِرَ مَرَّه ، وتعرّف بالأمير سيف الدين شيخو فأقسم أنَّه ما رأى مِثْلَه في عُمره ، وراج عنده لَمّا راح ، ونَزّل محادثته مَنْزلةِ كأس الراح ، فولاّه قضاء القضاة بالديار المصرية ولبسَ التشريف لذلك ، وفَرِحَ بهِ أصحابُه وقالوا : هذا مَالِكُ مَذهبِ مالِك .

فأقام على ذلك قليلا ، ثم اتَّخَذَ إلى ربّه سبيلا .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى سنة ست وخمسين وسبع مئة ومَوْلِدُه .....[(٣)]

وكان قد وَرَد إلى دمشق صحبةَ قاضي القُضَاة فخر الدين [أحمد] بن سلامة المالكي[(٤)] ، وناب له في دمشق ، ثم إنَّه أقام بَعْدَه في دمشق ، وكان بيَده تَصْدِيرٌ في الجامع الأُموي ، ولمّا تَوَجَّه إلى مصر آخراً لازم الأمير سيف الدين شيخو فولاّه القضاءَ في يوم الاثنين ثاني صفر سنة ست وخمسين وسبع[(٥)] مئة ، وتوفي في التاريخ المذكور ،

* وفيات ابن رافع : ٢٣١/١ ، والدرر : ٧٩/٣ ، والذيل التام : ١٤٧ ، وتذكرة النبيه : ١٩٢/٣ .

(١) (أ) ، (خ) : « الدقيقة المسالك » .

(٢) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) سلفت ترجمته ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « دست » ، سهو .

فأقام في الحكم اثنين وسبعين يوماً ، مرض منها مدة خمسين يوماً[١] أو أقل ، وما كان أقرب المأتم من العُرس .

١١٨٥ ـ علي بن عبد الواحد بن الخضر*

الرئيس علاء الدين بن السابق ـ بالسين المهملة وبعد الألف باء موحّدة وقاف ـ الحلبيّ ، نزيل دمشق .

كان شيخاً جليلاً متميزاً ، من رؤساء الدولة الناصريّة يوسف . خدم في الجهات وولي نظر البيمارستان ، ومات [وهو][٢] ناظرُ العُشر .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وستّ مئة . وسيأتي بعده ذكر علاء الدين بن السَايق ، بالياء آخر الحروف ولكن ذاك علي بن عثمان بن السَايق .

١١٨٦ ـ علي بن عبد الوهاب**

ابن علي بن خلف بن بدر علاء الدين ابن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز الشافعي .

كان مقيماً بمصر فنزح عنها هارباً من الشُجَاعي إلى أن وصل حلب وبلادها ، وأقام في حماة مُدَّة ثم حضر إلى دمشق وسعى أخوه القاضي تقي الدين في ترتيبه ناظراً بديوان الأمير حسام الدين طُرُنْطاي بدمشق رفيقاً لبدر الدين المسعودي[٣] .

(١) ليست في (أ) .

* الوافي : ٢٩١/٢١ .

(٢) زيادة من (أ) .

** الوافي : ٢٩٢/٢١ وفيه : « ابن بكر » ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢١ ، والدرر : ٨٠/٣ ، ولم يُتم ترجمته .

(٣) عبارة الوافي والتالي : « رفيق بدر الدين .... » ، وهي أشبه . والمسعودي هذا هو الأمير بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله المسعودي (ت ٦٩٥) . البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ .

وحكى المسعودي قال : لمّا باشر علاء الدين عندنا في الديوان لم يكن له من الملبوس إلاّ ما هو عليه ، وقد أخْلَق ولم يكن معه شيء ، فأرسلتُ إليه جملة دراهم وقماشاً غير مفصّل من مالي ، وبحث فلم يجدني تعرضت إلى درهم واحد من مالِ مخدومي ، قال وذكرني بكل سوءٍ .

ولّما تولّى الشجاعي نيابة دمشق حضر عنده ، وتوّصل إليه بما يلائمُهُ ، وولاّه نظر ديوانه ، وبعد ذلك توجه إلى مصر ، وتولى الحسبَة بها .

توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال ابن الصُّقاعي : وكان فيه قلق وثَلْبٌ للناس ومن شعره :

حَماةُ غزالةُ البلدان أضحت   لها من نَهْرِ عاصيَها عُيُونُ
وقلعَتُها لَهَا جيدٌ بديعٌ   ومن سُود التلُول لها قرونُ[1]

قلتُ : أخذه من قول .....

١١٨٧ - علي بن عتيق*

ابن عبد الرحمن بن عليّ الشيخ الإمام العالم العلاّمة المفنّن المحقق المدقق أبو الحسن المغربيّ القَابسي[2] المعروف بابن الصيّاد .

ورد إلى الشام وقَدِم علينا إلى صفدٍ في سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وقرأت عليه (المقامات الحريريّة) كاملة ، وقطعةً من (ديوان أبي تمّام) و (ديوان أبي الطيّب) ، وبعض كتاب (أسرار العربيّة) لابن الأنباري ، وبعض (درة الغوّاص) للحريري ، وكتاب (العمدة في الأحكام) ، وبعض (الحماسة لأبي تمام) ،

(١) في الوافي والتالي : « جبل بديع » .
* الدرر : ٣/٨٠ .
(٢) كذا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، والدرر : « الفاسي » .

وبعض (المقامات اللزوميّة) التي للسرقسطي ، وذكرت إسناده لكل نسخة منها في النسخة المقروءة عليه . ثم إنني اجتمعت به في القاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ومن هناك عاد إلى بلاده وكان آخر العهد به . إلاّ أنّه كان أحد الأشياخ الذين أخذتُ عنهم ، واقتطفت دُرّ[(١)] الفوائد منهم ، كان عالماً بالعربيّه ، والمواد الأدبيّه ، وكان له يَدٌ في الأصول فقهاً ودِينا ، وحاصِلَةٌ في مذهب الإمام مالك متوفر ، كأنّه ليث وَلَج منه عرينا ، وأمّا التفسير فكان فيه علاّمه ، ونهجه فيه واضح الاستقامه ، وأمّا أسماء الرّجال والسيرة النبويّة فكان في ذلك قد بلغ الغايه ، وأطلّ فيه على النهايه ، وكان مع ذلك فقيرا ، وورد إلى هذه الديار[(٢)] فلم يكن فيها أثيرا . وعاد إلى بلاده بخُفيّ حُنَيْن ، مُثقّل الجوانح بالأحزان ، فارغ اليدين ، وكان وجهه يتوقد حمره ، ويُظَنّ به أن قد شربَ كأس خمره . قال لي ما افتَصَدْت[(٣)] عمري .

وكان ينظم نظماً عجيباً ، أنشدني من لفظه لنفسه بالقاهرة :

ما جاءَك الوغد إلاّ كنت تكرمه ... ولا أتيتكَ إلاّ كنت منحرفا[(٤)]
كذلك الكلبُ لا يَعْبَا بجوهرةٍ ... ومن سجيّته أن يألف الجيفا[(٥)]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إنني من أرض فاسٍ ... كنتُ فيهَا كالقَمَرْ
فخَرَجنا فكُسِفنَا ... هكذا جَرْي القَدَرْ

---

(١) (أ) : « درر » .
(٢) (أ) : « البلاد » .
(٣) في الأصل : « ما اقتصدت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .
(٤) في الدرر : « رُحْتَ تكرمه » .
(٥) في الدرر : « لم يَعْبَأ » .

١١٨٨ - علي بن عثمان*

ابن يوسف بن عبد الوهاب الرئيس علاء الدين بن العدل ، شرف الدين الدمشقي التغلبي الكاتب ، ابن السَايق ، بالسين المهملة وبعد الألف ياء آخر الحروف وقاف ، وقد تقدّم ذكر ابن السّابق ، بالباء الموحدة ، وكلاهما عليّ ، ووفاتهما قريبة .

كان علاء الدين[1] شيخاً له جلاله ، وله مُروءة وأصاله ، يكتب خطّاً بديعا ، ويوشّي به الطرس فَيُخال رَوْضاً مَريعا ، نسخ كثيراً بخطّه ، ووَشّع بقلمه حاشية مِرْطِه ، وله أدبٌ ونظم متوسّط الرتبه ، وإذا جَلاه عروساً قُوبل بالخِطبَه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَصَل له صَمَم ، ولمن يخاطبُه ألَم ، وكان يُكْتَبُ له في الهواء المراد فيفهم ، وما يحوج الذي يخاطبه إلى أن يتكلّم ، أَوْأن يكتبَ له في الأرض ما يراد ، فيعرف ذلك بالاقتصار والاقتصاد .

ثم إنَّ الموت ساق ابن السَايق ، وقطع من دنياه العلائق .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وستّ مئة .

وروى عن الرشيد بن مَسْلمة وكان قد تخلّى عن الناس وانقطع .

١١٨٩ - علي بن عثمان بن عبد الواحد**

علاء الدين المعروف بالطُّيُوري ،الحاسب .

كان رجلاً جيداً يَشْهد في القيمة ، ويُعَلّم الناس الحِسَاب ، وكان له مكتب وحلقة بالجامع الأموي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث شوّال سَنة ست وعشرين وسبع مئة .

* الوافي : ٢٩٩/٢١ .

(١) (أ) ، (ط) : « علاء الدين هذا » .

** الدرر : ٨٣/٣ .

١١٩٠ ـ علي بن عثمان*

الشيخ العَدْل المقرئ الفاضل نور الدين أبو الحسن بن الشيخ المقرئ فخر الدين أبي عمرو بن الشيخ الصّالح نفيس الدين بن عبد الرحمن بن الشيخ الصالح زُهْري بن فارس[١] بن قضاعة بن مدلج ، ينتهي إلى مَذْحَج بن [عبد][٢] مناف القرشيّ ، المصري الفَرْسِيسي ـ بالفاء مفتوحة وراء سَاكنة وسينين مهملتين بينهما ياء آخر الحروف ـ الشافعي .

سمع من زينب بنت سُلَيمان الإسْعَرْدي من (الخِلَعِيّات)[٣] ، وكان متصدراً بالجامع الحاكميّ بالقاهرة ، وفيه خَيْرٌ وصلاحٌ وانجماع عن الناس . وقرأ القراءات على نور الدين الشطنوفي . ولم يحدّث .

توفي رحمه الله تعالى يوم الاثنين ثامن ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١١٩١ ـ علي بن عثمان بن محاسن**

الفقيه العالم المقرئ المحدّث علاء الدين أبو الحسن الدمشقي الشاغوري الشافعي ابن الخرّاط ، معيد البادرائية ، ونائب الخطابة .

سمع من ابن عَلاّن ، والقاسم الإربلي ، والفخر علي . وأكثَر ، وقرأ بنفسه ، وسمع المُسْند كلّه والكتب المطوّلة ، وتلا بالسبع على برهان الدين الإسكندري ، وشارك في الفضائل ، وظهرت عليه للخير والصلاح دلائل . وكتبَ بخطه كثيراً واختصَر ، وجمع

---

* الدرر : ٨٠/٣ ، وفيه : « علي بن عثمان بن عبد الرحمن بن فارس المقدسي » .

(١) في الأصل : « فاس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ط) .

(٣) من أجزاء الحديث ، تخريج القاضي علي بن حسن بن حسين الخلعي الموصلي (ت ٤٩٢) ، جمعها أحمد بن حسين الشيرازي ، وسمّاها الخلعيات ، الكشف : ٧٢٢/١ .

** الوافي : ٣٠٦/٢١ ، والدرر : ٨٣/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

في ذلك وحشر[1] ، اختصر (تفسير ابن جرير) بخطّه ، ويشنّف أذن قرطاسه بِقُرطِه ، وكان فيه انجماع ، وبعدٌ عن الشرّ وامتناع ، مع ملازمة الجماعه ، والإمَامة بالناس على أجمل طاعه .

ولم يَزَلْ على حَاله إلى أن ركب نَعْشَهُ ومَحا الدهرُ من الكون نَقْشَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

قال شيخنا الذهبيّ : سَمعنا منه وَسَمِعَ مني .

١١٩٢ - عليّ بن عثمان بن إبراهيم*

ابن مصطفى ، الشيخ الإمام الفاضل المفنّن علاء الدين قاضي القضاة بالديار المصرية ، الحنفي ، [ابن][2] التركماني ، تقدّم ذِكر والده الشيخ فخر الدين ، وذِكْرُ أخيه الشيخ تاج الدين أحمد .

اشتغل هذا الشيخ علاء الدين وأفْتَى في ذلك عُمْره ، واجتمع بمن أخذ عنه زُمْرَةً بعد زُمْره ، وكَتَبَ ودأب وصَنَّف في غير ما فنّ وأتى فيه بالعَجَب . وجمع الجاميع المفيده ، ونَزَل من العلوم بالقصور المشيده . وكان هو وأخوه في سماء الديار المصرية قمرين[3] ، وفي جنّة رياضها نهرين ، ولكن أَفَل أخوه تاج الدين قَبله ، واقتضى عطفُ الدهر لهذا بالتراخي والمُهْلَه ، فتولّى قضاء القُضاة بالدّيار المصريّة ، ونال من ذلك سُوله ورضاه .

---

(١) في الأصل و(ط) : « وحسر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

* الوافي : ٣٠٧/٢١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ٨٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٦٩/١ ، وتذكرة النبيه : ١٣٤/٣ .

(٢) زيادة من (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « كالقمرين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

ولم يزل على حاله إلى أن غَدَت[١] به أم حَبَوكَرَى[٢] ، ونقلته من منصبه العالي إلى تحت الثرى .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده في شهور سنة ثلاث[٣] وثمانين وست مئة .

وكانت ولايته القضاء بالديار المصريّة في شوّال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ولبس تشريفَةً من قلعة الجبل ، ونزل فلم يشعر به قاضي القضاة زين الدين البسطامي إلاّ ودخل[٤] عليه في تلك الصورة فبُهت .

ومن تصانيف قاضي القضاة علاء الدين ابن التركماني (بَهجة الأريب [لما[٥] في] الكتاب العزيز من الغريب) ، و (المنتخب في علوم الحديث) ، و (كتاب المؤتلف والمختلف) ، و (كتاب في الضعفاء) ، و (المتروكين) ، وكتاب (الرد على الحافظ البيهقي) ، ولم يَكْمل ، (مختصر « المُحصَّل في عَلْم الكلام ») (مقدمةٌ في أصول الفقه) (الكِفاية في[٦] مختصر الهداية) (مختصر رسالة القُشَيْري) . وشرع في كتب كثيرة وفي مقدماتٍ في العلوم[٧] ولم تَكْمل .

ولمّا توفي رحمه الله تعالى تولّى ولدُه قاضي القضاة جمال الدين عَبْدَ الله[٨] مكانه .

---

(١) (أ) : « غَدَرت » .

(٢) أم حبوكرى : الداهية .

(٣) (أ) : « ثمان » ، سهو .

(٤) (أ) : « ابن البسطامي » . وفي (أ) ، (ط) : « إلا وقد دخل » .

(٥) زيادة من (أ) .

(٦) ليست في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « في العلوم العقلية والعربية » .

(٨) (ت ٧٦٩) ، الدرر : ٢٧٦/٢ .

وله من قصيدةٍ كتبها إلى الأمير سيف الدين أُلْجاي[1] الدَوادَار :

إذا شَغَـل البريّـةُ فيـك فَـاهـا ... فكلٌّ عَنْـكَ بـالخَيْرَات فَـاهـا
فـانـك في الشبيبـة والَمبـادي ... بَلَغْتَ مِن الفَضـائـل مُنْتَهـاهـا
وحُـزْتَ جميـعَ أنـواع المعـالي ... وفُـزْت بهـا وجـزت إلى مـداهـا
وصُمْتَ عن الحرامِ على اقتـدارٍ ... وصُنْتَ النّفْسَ عنـه في صبـاهـا[2]
وملْت بهـا إلى عمـلٍ وعلم ... فـأضحى ذا الـورى حقّـاً وراهـا
فـلابَرح الـوجـود لهـا مُطيعـاً ... ولا زال العِـدَا أبـداً فِـداهـا

١١٩٣ - عليّ بن عثمان بن أحمد*

ابن هبـة الله بن أحمـد بن عقيل الحكيم ، الفـاضل بهـاء الـدين أبـو الحسن القَيْسي المصري ، المعروف بابن أبي الحوافر .

سمع من النجيب عبـد اللطيف ، والشريف العماد ، وإبراهيم بن محمـد بن عبـد الوهاب المنقدي[3] ، والشيخ شمس الدين بن العماد الحنبلي ، ومحمد بن إبراهيم بن رَسْلاَن الكُلّي[4] ، وغيرهم . وسمع من قطب الدين القسطلاني ، وابن الأَنْمَاطي ، وحدّث .

كان طبيباً فاضلاً حَسَن المعـالجـة ، وبَيْتُـه معروف ومشهور . وكان يكتب خَطـاً حسناً .

توفي رحمـه الله تعـالى بـالقـاهرة في تـاسع عُشري شعبـان سنـة أربع وثلاثين وسبع مئة .

(١) في الوافي « الجابي » ، وفي الدرر : « الجاولي » ، تحريف .
(٢) (أ) ، والوافي : « مع اقتدار » .
* الدرر : ٣/٨١ .
(٣) لم نقف على ترجمة له .
(٤) (ت ٦٧٥) ، والوافي : ٢/٣ ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : ٧٥٥ .

١١٩٤ ـ علي بن علي*

ابن أبي الحسن الشيخ عليّ بن الشيخ علي الحريري .

كان شيخاً مشهوراً عند الناس مَكرَّماً مُعظَّماً ، له حرمةٌ عِند الدَّولة ووَجاهة .

توفي رحمه الله تعالى في عُشْري جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة بقرية بُسْر[1] من عمل زُرَع ، وصُلّيّ عليه بجامع دمشق غائباً .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وتوفي والده سنة[2] خمس وأربعين وهو طفل صغير .

١١٩٥ ـ علي بن علي**

القاضي بهاء الدين بن أبي سوادة ، كاتب سِرّ حلب ، تقدَّم ذِكْرُهُ في حرف السين[3] .

١١٩٦ ـ علي بن عمر بن أبي بكر***

الشيخ الصالح الْمُعَمّر الْمُسند نور الدين أبو الحسن الواني بن الصّلاح المصري الصوفي .

سمع من ابن رواج (أَرْبَعين الثقفي) ، ومن السّبط (أربعين السِّلفي)و (جزء

* الوافي : ٣٤٦/٢١ ، والدرر : ٨٧/٣ .

(١) وهي التي تعرف اليوم (بصر الحرير) على مقربة من قرية (إزرع) جنوب دمشق بنحو سبعين كيلاً .

(٢) (أ) : « في سنة » .

** الدرر : ٨٦/٣ .

(٣) يعني في الكنى والألقاب من حرف السين .

*** الوافي : ٣٦٦/٢١ ، ونكت الهميان : ٢١٥ ، والدرر : ٩٠/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

ابن عُيينه) والسابع من (أمالي المحاملي) ، والعاشر من (الثقفيّات) . وسمع (صحيح مسلم) من المُرْسي والبكري ، وحَدَّث به خَمْسَ مرّات ، وسمع من يوسف الساوي .

كان شيخاً من أهل الصّلاح وأربـاب الخير والفـلاح ، سَهْلَ القيـاد لمن يقصـد[1] سماعه ، مطيعاً لمن حاول منه انتفاعـه ، أكثر المصريون عنـه وأخـذوا كثيراً من الروايـة منه . تفرَّدَ في عَصْره وتجرَّدَ سَيْفُه الماضي في مِصْرِه ، فألْحَقَ الصّغـار بـأكابـدهم ، وجَمَعهم بالرواية عنه يغابدهم . وكان قد أضرَّ بأخرة ، وعولج فأبصر ، وطَوّل به عُمْدُه فما قصرّ .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى الواني مِنْ سَكَرات للموت ألوانا ، وترك مُجاج الحياة مجّانا .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثامن عشر المحرم سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة . وهو آخر مَنْ رَوى حـديث السِّلفي بالسماع المتصل .

١١٩٧ ـ علي بن عمر بن أحمد بن عمر*

ابن أبي بكر بن عبد الله بن سَعْد ، الصَّدْر العَدل الكبير الشّروطي بهـاء الـدين بن العِزّ المقدسي[2] الأنصاري .

سمع من ابن عبد الدايم ، وعمر بن محمد الكرماني ، وغيرهما .

كانت له دُرْبَةٌ كبيرة بالشروط ومعرفةٌ تامّة بما هو بادٍ إليها مَنُوط ، يكتب خَطّـا آنق مِن الحدائق ، وأنقى[3] من محاسن الغيد العواتق . وعاش عُمراً عامِرَ الرّبوعِ ، وأقام

---

(١) (أ) : « يطلب » .

* الدرر : ٨٨/٣ ، وتذكرة النبيه : ١١٤/٣ .

(٢) زاد في (أ) : « الحنبلي » .

(٣) (أ) : « وأبقى » .

يُمَدّ له حَبْلُ الدَّهرِ وهو يَبوع[١] ، ومَتعَّه الله بحواسّه لم يتغير فيها بَصَرُه ولا سَمْعُهُ ولا نقص حرصه[٢] ولا جَمْعه .

ولم يزل على حاله إلى أن انتبه له الدهر من سَنَتِه ، وأمسكه في سَنَته .

وتوفّي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومَوْلِدَه في سنة ستين وست مئة .

وكان يستحضر أسماء الناس وتواريخهم عجباً في ذلك . وعاش هذه المُدّة إلى آخر وقتٍ وهو يَقْرأ الخطوط الدقيقة . وكان قد شَهِدَ على قاضي القُضَاة شمس الدين أحمد بن خَلكّان ومَنْ بعده من القضاة إلى آخر وقت .

قال لي شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى : إذا أشكَلَتْ عليّ قراءة كتابٍ امَّحى خَطُّه أدْفَعه إليه فيقرأه بلا كُلفة . وله (مشيخة) حدّث بها ، واجتمعتُ به غير مَرّة وكان يحضر إلى عندي وأُملي عليه ما يكْتُبه من الأَصدقة ، وأجاز لي بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وفي سنة ثلاثين أيضاً بخطه .

١١٩٨ ـ علي بن عُمَر بن عبد الله*

ابن عمر بن يوسف بن يحيي بن عمر بن كامل المقدسيّ الأَصل ، الآباري ، الشيخ الصالح علاء الدين أبو الحسن بن الخطيب نجيب الدين بن الخطيب محبّ[٣] الدين بن الخطيب الزاهد بقية السَّلَف أبي حفص .

---

(١) وهو يبسط يده معه .
(٢) (أ) : « عرسه » .
* الدرر : ٨٩/٣ .
(٣) (أ) : « عزّ » .

سمع من جَدّه لأبيه الخطيب عماد الدين داود وأخويه[١] الضياء يوسف[٢] والموفّق محمد ، وهم أعمام والده ، ومن النّجيب نصر الله بن الصفّار[٣] المحدّث .

حدّث وسمع منه الطلبة .

مرض آخر عمره مُدّة ، وضَعُف وتَغَيَّرت أحْوَالُه ، وانْقَطع بالكُلِّيَّة . وكان يؤذّن ببيت الآبار .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة خامس شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وأربعين وست[٤] مئة .

١١٩٩ ـ علي بن عيسى*

ابن سليمان بن رمضان بن أبي الكرم ، الشيخ الرئيس الكاتب الفاضل المعمّر بهاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الفقيه ضياء الدين ناظر الأوقاف ، وصهر الوزير بهاء الدين بن حنا ، التغلبي [المصري][٥] الشافعي ، ابن القيّم .

سمع من الفخر الفارسي[٦] ، وعبد العزيز بن باقا [وسبط][٧] السلفي ، وتفرد مدة عن الفارسي .

---

(١) (أ) : « وإخوته » .

(٢) يوسف بن عمر بن يوسف (ت ٦٦٥) ، الشذرات : ٣٢١/٥ .

(٣) نصر الله بن مظفر بن عقيل الشيباني (ت ٦٥٦) ، الدارس : ٦٠/١ ، والشذرات : ٢٨٥/٥ .

(٤) في الأصل : « سبع » ، سهو .

* الوافي : ٣٧١/٢١ ، والدرر : ٩١/٣ .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) محمد بن إبراهيم بن أحمد الشيرازي (ت ٦٢٢ هـ) ، السير : ١٧٩/٢٢ .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .

وكان فيه قوّه ، وهمّـة مرجوّه ، يركب الخيل ويتصرف في مصـالحـه ، ويسعى في مناجحه . وعنده دين واف ، وخيرٌ كاف ، ولُطْفٌ مع من يلقاه ، وتواضع وهو في أعلى مرقاه .

ولم يزل على حاله إلى أن آن انصرامُ حَبله ، وحان انصراف حُبْله .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سادس عشري القعدة سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وسمع منه الدمياطي ، والحارثي ، وشيخنا ابن سيّد النـاس ، وابن حبيب ، وشيخنا العلامة قاضي القضاة السبكي ، والواني ، والنور الهاشمي ، وابن سامـة[1] ، وابن المهنـدس[2] ، والشيخ رافع ، وولـده الشيخ[3] تقي الدين حضورا ، وابن الفخر ، وابن خلف .

وقرأ عليه شيخنا الذهبي الأول من (عوالي) ابن عُيينه للرئيس الثقفي .

وكان يركب الخيل ، ويقوم لكل من يدخل عليه ، ويمشي في أموره . وكان ناظر الأحباس . وولي أمر التركة الظاهرية . وصاهر الصاحب بهاء الدين بن حنا .

١٢٠٠ ـ علي بن عيسى بن المظفر*

ابن إلياس ابن الشيرجي الدمشقي .

حدّث عن ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليُسر ، وطائفة .

---

(١) في الأصل : « ابن مامة » ، تحريف ، وهو محمد بن عبد الرحمن بن سامة الطائي (ت٧٠٨) ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل و (ط) : « والنور المهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل و (ط) : « والشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

* الدرر : ٩٤/٣ .

وأجاز له الكمال الضرير ، والرشيد بن العطار ، وآخرون .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة أربعين وسبع مئة . عن ثمان وثمانين سنة .

وكان يدعى بهاء الدين .

١٢٠١ - علي بن عيسى بن داود*

ابن شيركوه الأمير علاء الدين بن [الملك المعظّم][(١)] بن الملك الزاهر ، مجير الدين ابن أسد الدين .

كان أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، أقام بها مدة ، ثم إنه تولّى نيابة حمص بعد الأمير ناصر الدين محمد بن ألاقوش[(٢)] . جاء إليها في ...[(٣)] سنة ست وخمسين وسبع مئة . فأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في سابع عشر شهر رمضان سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكانت وفاته بحمص في عصر هذا النهار . وفي بكرة هذا النهار توفي ابن عمّه الأمير أسد الدين أبو بكر بن الأوحد بدمشق . وكان ذلك عجيباً .

وكان بيد الأمير علاء الدين نظر كثيرٍ من أوقاف البيت الأيّوبي ، وبيده أيضاً نظر المدرسة التقوية والغَوْر التقوي بدمشق نيابة عن زوجته ، لأنه انتقل ذلك إليها بشرط الواقف .

---

* الدرر : ٣/٩١ .

(١) زيادة من تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدارس : ١/٤٤٥ في ترجمة والده عيسى ، خلت منها أصول الأعيان ، وقد ترك في موضعها بياض .

(٢) (ت٧٦٢) ، وستأتي ترجمته .

(٣) بياض في الأصول بمقدار كلمتين .

١٢٠٢ - علي بن أبي القاسم*

ابن محمد بن عثمان بن محمد الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة صدر الدين أبو الحسن بن الشيخ[(١)] صفي الدين البصروي الحنفي قاضي دمشق .

سمع من ابن عبد الدائم ، والصفي إسماعيل بن الدَّرجي ، والقاضي ابن عطاء ، وغيرهم .

وحجّ غير مرة ، وحدّث .

اشْتغل[(٢)] على والده ، ولازم القاضي شمس الدين بن عطاء ، وتزوج بابنته[(٣)] ، وأُذن له في الفتوى في سنة أربع وستين وست مئة .

وكان ذا مال وثَرْوَة ، وأموال[(٤)] لا ينفصم الدهر لها[(٥)] عروه .

تقدّم في آخر عمره على جميع أبناء مذهبه ، وحاز الرئاسة عليهم بعلمه ومنصبه . وولي الحكم أكثر من عشرين سنة مُسَدَّدَ الأحكام ، ينظف العِرض من الآثام ، عنيناً في ولايته ، كفيفاً عن رؤية ما يشينه في ولايته ، معظّماً بين أهل دمشق إلى الغايه ، موفورَ الجانب لا يصل أحد إلى ثلمه ولا ثلبه بسعايه .

ولم يزل على حاله إلى أن طحنته رحى المنون الدائره ، وأصبح بسياقه في أول طلائع الآخره .

---

* الوافي : ٣٨٩/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ ، والشذرات : ٧٨/٦ .

(١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ الإمام » .

(٢) في الأصل : « أشغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الوافي : « بأمة شيخه » .

(٤) (أ) ، (ق) : « وأملاك » .

(٥) (أ) ، (ق) : « لها الدهر » .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء بعد العصر ثالث شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . ودفن بسفح قاسيون بالقرب من المدرسة المعظمية[١] .

ومولده في [ثالث][٢] شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وست مئة بقلعة بصرى[٣] ، أيام الخوارزمية .

ولم يزل يترقّى في المدارس الكبار إلى أن ولي قضاء القضاة بدمشق ، وجمع بين تدريس المدرسة النوريّة والمقدّمية[٤] والخاتونية البرّانية[٥] .

وهو سبط القاضي شرف الدين عبد الوهاب الحوراني نائب الحكم ، كان بدمشق .

وكان القاضي صَدْر[٦] الدين حُفَظة للحكايات والأشعار ، حَسَن المحاضرة .

١٢٠٤ ـ علي بن قراسنقر*

الأمير علاء الدين بن الأمير شمس الدين .

لم يزل مقيماً بالديار المصرية في جملة أمرائها إلى أن تحقَّقَ السلطان الملك الناصر موت والده في البلاد الشرقية ، فأخرجه السلطان إلى دمشق أمير طبلخاناه أيضاً في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فيما أظن ، أو في سنة تسع وعشرين في أوائلها .

---

(١) بالصالحية ، بناها الملك المعظم عيسى بن داود سنة (٦٢١) ، الدارس : ٤٤٥/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الوافي : « بقلعة صرخد » .

(٤) بسفح قاسيون بحارة الركنية ، بناها فخر الدين بن الأمير شمس الدين بن المقدّم ، الدارس : ٤٦٠/١ .

(٥) بنتها خاتون بنت الأمير جاولي زوجة تاج الملوك بوري (٥٥٧) تقع على الشرف القبلي عند صنعاء الشام ، الدارس : ٣٨٤/١ .

(٦) في الأصل و (ط) : « شرف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٩٥/٣ ، والسلوك : ٣٠٥/١/٢ ، ٧١٠ ، ٧٥٤ .

ووصل الأمير علاء الدين من القاهرة إلى دمشق في أول شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يحبه أخيراً ويعظّمه . ولمّا توجّه الأمير سيف الدين تمر الساقي إلى مصر مع الفخري ، أو لمّا أنه مات بمصر ، أخذ الأمير علاء الدين تقدمته [على] [1] الألف .

وكان مقدم ألف إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في عشية الأحد ثامن عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان هشّاً بشّاً بالناس ، فيه ودٌّ وصُحْبة ورعاية للناس ، يحضر العقود والمحافل للمتعممين وغيرهم ، ويجمّل الناس . وكان الأمير سيف الدين يلبغا يحبّه ويعظّمه .

وهو والد الأمير ناصر الدين محمد . ولمّا توصّل [2] الأمير علاء الدين إلى دمشق أعيدت أملاكهم إليهم ، وكانت أولاً تحت الحَوْطة . وأُعطي بدمشق خبز الأبو بكري ، وأفرج عن الأمير علم الدين الجاولي ، وأعطي إقطاع الأمير علاء الدين المذكور بزيادة تليق به .

١٢٠٤ ـ علي بن قيّران*

علاء الدين أبو الحسن الكركي السِّكْزي ، بالسين المهملة والكاف والزاي ، الدمشقي الجندي ثم الصوفي ، نزيل القاهرة .

سمع الكثير سنة سبع عشرة ، في الكهولة ، وأخذ عن جماعة من أصحاب ابن الزّبيدي . وحدّث ، ونسخ قليلاً .

---

(١) زيادة من (أ) .

(٢) (أ) : « دخل » .

* الوافي : ٣٩٤/٢١ ، والدرر : ٩٦/٣ .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : سمع معي[١] .

قلت : وُلد سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

كان يكتب أسماء السامعين في المواعيد[٢] ، وكان مُخِلاًّ ـ رحمه الله تعالى ـ ، رأيته غير مرة ، وكتب اسمي[٣] في سماعاتي .

١٢٠٥ ـ علي بن محمد بن إبراهيم*

الشيخ الإمام الزاهد بدر الدين السمرقندي الحنفي ، شيخ خانقاه خاتون والخانقاه الشّبلية .

كان شيخاً مليح الهيئة ، عليه سكينة [ووقار] . وكان فاضلاً وله كلامٌ حَسَن ، وخطه جيّد ، ونسخ بخطّه كثيراً ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة[٤] ، وهمّته عالية في أمور دينه ودنياه .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

---

(١) (أ) : « مني » .

(٢) في الوافي : « في الميعاد » .

(٣) (أ) : « أسمعي » .

* الدرر : ٩٨/٣ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٠٦ ـ علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله*

الشيخ الإمام الْمُحدِّث الحافظ الفقيه الْمُفْتي ، شيخ جماعته ، شرف الدين ، أبو الحسين ، ابن الإمام البارع الشيخ الفقيه اليونيني البعلبكي الحنبلي .

سمع حضوراً من البهاء عبد الرحمن ، وسمع من ابن صَبَّاح ، وابن اللّتي ، والإربلي ، وجعفر الهمداني ، ومكّرم ، وموسى بن محمد صاحب دمشق[(١)] . وفي الرحلة من ابن رواج ، وابن الجمّيزي ، والحافظ المنذري عبد العظيم ، وعدة .

وعُني بالحديث وضَبْطه ، وبالفقه واللغة[(٢)] ، وحصّل الكتب النفيسة . وكان في وقته عديم النظير في بابه . ليس له مُشارك في عشرته لأصحابه . حسن المَلقى بلا مَلَق ، جاريا في سجيته على المكارم[(٣)] كم انطلى لمّا انطلق . دِينُه متين ، وهَدْيُه مُبين . كثير الهيبه ، يحفظ أصحابه في الحضور والغَيْبه .

يحفظ كثيراً من الأحاديث بلفظها ، ويفهم معانيها ، ويَعْرِفُ كثيراً من اللغة ، كان أصمعيّ بواديها . وكان فصيح العبارة لطيف الإشارة . له قبول كثير من الناس ، وعليه أنس زائد ولباسٌ عارٍ من الإلباس . ومن جملة ما لَهُ من السعاده ، أنه أحرز في شهر رمضان الشهاده[(٤)] ، لأن موسى الفقير المصري الناشف ضربه بسكين فقضى عليه . وتوجّه وقد توجه علمه وعمله [المبرور][(٥)] بين يديه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الجمعة من شهر رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

---

* الوافي : ٤٢١/٢١ ، وتالي وفيات الأعيان : ٦٦ ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ ، والدرر : ٩٨/٣ ، والشذرات : ٣/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٤٢/١ .

(١) هو الملك الأشرف موسى بن العادل (ت٦٣٥) ، السير : ١٢٢/٢٢ .

(٢) (أ) ، (ق) : « وباللغة » .

(٣) (أ) ، (ق) : « على سجينه في المكارم » .

(٤) (أ) ، (ق) : « السعادة » .

(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .

ومولده ببعلبك في حادي عشر شهر رجب سنة إحدى [وعشرين][1] و ست مئة .

قال شيخنا الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ : انتفعت به ، يعني بصحبته ، وأكثرت عنه .

وقال شيخنا البرزالي : دخلت بعلبك أربع مرات ، قرأت عليه فيها (مُسند) الشافعي ـ رضي الله عنه ـ ، و (الثقفيات) العشرة ، و (مشيخة) تخريج الشيخ شمس الدين بن أبي الفتح ، وهي ثلاثة عشر جزءاً ، و (سنن الشافعي) ، رواية الطحاوي ، وعن المزني ، ونحواً من عشرين جزءاً .

وكان يَقْدُم دمشق ، وفي كل مرّة نَسْمَع عليه ونستفيد منه . كان قد قدم دمشق في شعبان ، فحصل الأنس به والسماع عليه . وتوجه إلى بلده في آخر الشهر ، فوصل أول شهر رمضان وأقام أياماً ، ولمّا كان يوم الجمعة خامس شهر رمضان الرابعة دخل إلى خزانة الكتب التي في مسجد الحنابلة ، فدخل هذا الفقير موسى المصري ، فضربه بعصا على رأسه ضربات ، ثم أخرج سكيناً[2] صغيرة فجرحه في رأسه ، فاتقى بيديه . فأُمسك وحمل إلى والي[3] البلد ، وضُرب ، فأظهر الاختلال في عقله وتجانن ، وحمل الشيخ إلى داره ، وأتم صومه يومه . ثم إنه حصل[4] له حمّى ، واشتد مرضه إلى يوم الخميس ، دخل إلى رحمة الله تعالى في الساعة الثامنة ، ودفن بباب سطحا ، وتأسّف الناس عليه .

١٢٠٧ ـ علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن مفرج*

الفقيه شمس الدين الأنصاري الإسكندري الشافعي .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ومصادر ترجمته .
(٢) (أ) : « سكينة » .
(٣) (أ) ، (ق) : « متولّي » .
(٤) (أ) ، (ق) : « حصلت » .
* الدرر : ٩٩/٣ .

كان جيّد القريحه ، ذكيّ الفطرة الصحيحه . لـه مشـاركاتٌ في أصول دين[1] وفروع ، ودخـول في النحـو وشروع . واختصر (الروضة)[2] ، وملأ من معرفتها حَوْضَـه ، وكابد من الفقر أنواعا ، أفضت بـه إلى أن تجرد وصـار عريـانا ، ولبس من القطوع والشـدائد ألوانا ، إلى أن أحسن إليـه قـاضي سيوط أبـو الحجـاج يـوسف[3] ، وأطلقه من فقر كان [في][4] قيده يرسف . وأقرأ ولده أبـا مـدين شُعَيْبـا[5] ، وكشف عن ذهنه رَيْنَا[6] وريبا . ثم إنه صحب فخر الدين ناظر الجيش ، ففـاز بلـذّة العيش ، وولاّه قضاء بلده فوّه[7] ، وأبرز سعده إلى الفعل بعد القوّة .

ولم يزل إلى أن توجّه إلى مكة ، فجاءه الأمرُ الذي قـد حُتِم ، وطُبع عليـه الوجود وخُتم .

فتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ هناك ، وقال له سعد البقعة : فُزت بما[8] هَنَاك .

وكان قد سمع من الدمياطي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيـد ، ولازمـه ، وأملى عليه (شرح الإلمام)[9] . وقرأ الفقه والأصول والنحو على علم الدين العراقي .

وتوجه إلى قوص ، وتولّى إعادة مدرسة ابن السديد ، ثم أعرض عنـه ، وحصل لـه فقر شديد مـدقع مـدة ، ثم تعرّف بفخر الـدين نـاظر الجيش ، فـأعطـاه شهـادة الكارم

(١) ليست في (أ) ، (ق) .
(٢) روضة الطالبين وعمدة المتقين ، في الفروع ، للنووي .
(٣) يوسف بن محمد بن علي المغاور . الطالع السعيد : ٧٢٦ .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٥) شعيب بن يوسف ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٦) الرين : الدنس ، والصدأ .
(٧) فوّه ، بالضم والتشديد : بليدة على شاطئ النيل قرب رشيد . (معجم البلدان) .
(٨) (أ) : « بها » .
(٩) الإلمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد . الكشف : ١٥٨/١ .

بعَيْذَاب[(١)] وحصّل مالا . وشفع فيه عند قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فولاّه قضاء قوّه ، وأجازه بالفتوى ، ثم نقله إلى قضاء سيوط ، ثم عزله ، فتوجّه إلى مكة ، فتوفي هناك سنة أربعين وسبع مئة . وقد جاوز الستين .

وكتب بخطه كثيراً من الفقه واللغة والتصوف ، ووقف كتبه على طلبة العلم .

ومن شعره[(٢)] ـ رحمه الله تعالى ـ :

يا سائلي عن شامةٍ في أنف مَن ... فَضَحَ الغُصُونَ بميسه في عِطفه
إن الذي بَرَأ الحواجب صاغها ... نونين في وجهِ الحبيب بلطفه
فتنازع النونان نقطة حُسْنِه ... فأقرّها ملك الجمال بأنفه

قلت : وقد نظم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ـ رحمه الله تعالى ـ في هذه المادة عدة مقاطيع ، ومن أحسنها قوله :

ما خالُه بأنفه ... كطابع الحسن فقط
بل إنه من كَحَل ... من مقلتيه قد نقط

وأنشدني من لفظه شيخنا الإمام العلاّمة أثير الدين أبو حيّان لنفسه في هذا المعنى :

عجبت لخال حلّ في وَسْط أنفه ... وعهدي به وسط الخدود غدا وشيا
ولكنّما خدّاه فيه تغايرا ... هوًى ، فابتغى من وجهه أوسط الأشيا
وحسن الفتى في الأنف والأنف عاطل ... فكيف إذا ما الخال صار له حليا

---

(١) بليدة على ضفة بحر القزم (الأحمر) ، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد . (معجم البلدان) .

(٢) (أ) ، (ق) : « ومن شعر شمس الدين قاضي قوّه » .

١٢٠٨ ـ علي بن محمد بن جعفر*

ابن محمد بن عبد الرحيم بن أحمد بن حَجّون ، الشريف فتح الدين بن الشيخ تقي الدين بن الشيخ ضياء الدين .

سمع من أبي بكر بن الأنماطي وخاله قاضي القضاة ابن دقيق العيد ، وغيرهما .

وجَمّع وألّف وكتب وصنّف واختصر (الروضة) ، وخاض لُجّتها ألف خوضة .

وكانت له يد طولى في حلّ الألغاز ، ونَظْمٌ كثيرٌ يشهد له أنه في حربها وحزبها أقوى مجاهد وأجلّ غاز ، وشعره يُطرب الثكالى ، ويدع النجوم السائرات السافرات من حسنه خجالى . هذا إلى سكون وعفّه ، واتضاع لا يعادله معه أحد في كِفّه .

ولم يزل على حاله إلى أن انضمّ القبر على الفتح ، وجرى عليه عقيق الدموع من السفح .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة .

ومن شعره :

كم من خليلين دام الودُّ بينهما ... دهراً وما داما على الإنصاف واتّفقا
رماهما الدهر إما بالمنيّة أو ... بالبعد أو بانصرام الود فافترقا

ومنه :

ما بال ليلي أمسى لانفاد له ... وكان قبلَ النوى في غاية القِصَر
ولم يخصّ النوى دون اللقا سَهَرٌ ... حتى أُعلّل طول الليل بالسهر
وإنّما عيشي الصافي بقربكم ... تبدلّ الآن منه الصفوُ بالكدر[1]

* الوافي : ٤٢٤/٢١ ، والطالع السعيد : ٣٩٩ ، والدرر : ١٠١/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

ومنه لغز في « كمّون » :

يــا أيهــا العطّــار أعربْ لنــا عن اسم شيء قــلّ في ســومــكْ
تُبصره بــالعين في يقظــة كما يُرى بــالقلب في نــومــك

قلت : هكذا تكون صنعة الألغاز ، لقد تخيّل جيداً وتحيّل على إيراده[1] في هذه الصورة .

١٢٠٩ - علي بن محمد بن محمود*

ابن أبي العز بن أحمد بن إسحاق بن إبراهيم ، ظهير الدين الكازَرُوني البغدادي الشافعي .

سمع الحديث من الأمير أبي محمد الحسن بن علي بن المرتضى[2] وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد[3] ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد الواسطي[4] .

كان فاضلاً حاسباً فرضياً متأدّباً مؤرّخاً شاعرا ، مصنفاً ماهرا ، كثير التلاوة والعبادة والإنابة ، غزير الوقار والمهابة .

ولم يزل على حاله إلى أن أضْمرَه الضريح ، وغاب شَخْصُه مع الموت الصّريح .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة[5] .

---

(١) (أ) ، (ق) : « إبرازه » .
* الوافي : ١٤٠/٢٢ ، والدرر : ١١٩/٣ .
(٢) (ت ٦٣٠) ، الشذرات : ١٣٥/٥ .
(٣) في الوافي : « محمّد بن عبد الرحمن اليوسفي » .
(٤) الدبيثي (ت٦٣٧) ، السير : ٦٨/٢٣ .
(٥) زاد في الأصل : « وصنف تصانيف » ، ولا موقع لها ههنا ، وقد خلَتْ منها (أ) ، (ق) .

وَمُولِده سنة إحدى عشرة وست مئة . هكذا رأيت كال الدين الأدفوّي ذكر هذه الوفاة وهذا المولد ، ووافقه على ذلك شيخنا الذهبي . والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن من يولد سنة إحدى عشرة وست مئة ، يمكن وفاته سنة[١] سبع وتسعين وست مئة .

ورأيت شيخنا البرزالي قد ذكر وفاته في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، والله أعلم .

وذُكر أنه أضرّ ، وأنه رُتّب صوفياً في خانقاه الطاحون[٢] بدمشق .

وقال شيخنا الذهبي : كتب لي بمروّياته في سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومن مصنفاته[٣] : كتاب (النّبراس المضيء) في الفقه ، وكتاب (المنظومة الأسدية في اللغة) ، مجلّدة ، وكتاب (كنز الحُسّاب في الحساب) ، مجلدة ، وكتاب (روضة الأريب في التاريخ) ، سبعة وعشرون مجلداً . وصنّف في السيرة وفي التصوف ، وله كتاب (الملاحة في الفلاحة)[٤] .

وله نظم ، منه قوله :

زارني في الظلام أهيف كالبد ... ر بوَجْه منه يلوح النُّور
قلت : أهلاً لو كنت زِرْتَ نَهارا ... قال : مهلاً في الليل تَبْدُو البدور

قلت : هو عكس قول أبي العلاء المعرّي :[٥]

هي قالت لَمّا رأت شيب رأسي ... وأرادت تنكّرا وازْورارا

(١) (أ) ، (ق) : « في سنة » .
(٢) منسوبة إلى السلطان نور الدين محمود بن زنكي ، الدارس : ١٢٧/٣ .
(٣) (أ) ، (ق) : « وصنّف تصانيف منها » .
(٤) هذه العبارة « وله كتاب .. » ، وقعت في (أ) ، (ق) ، بعد قوله : « في الحساب مجلدة » .
(٥) شروح سقط الزند : ٦٥٢/٢ .

أنـا بَـدْرٌ وَقـدْ بـدا الصبـح في رأ ســك والصبـح يَطْرُد الأقمــارا
لست بـــدراً وإنمـــا أنت شمس لا تُرى في الـدجـا وتبـدو نهـارا

ومن شعر ظهير الدين الكازروني :

مُقَرْطَـق بـــالجمـــال ذو هيف يُضْرَبُ فيـــه بعشقيَ المَثَـــلُ[(١)]
يرمي بسهم من غنــج نـــاظره يــا بــأبي من نبــالهــا المُقَـلُ
أَسْهَرَ طرفي فتـــورُ نـــاظرهِ والعشـــق داءٌ دواؤه القُبَـــل
ظَلْمٌ ثنـــايـــاه بـــاردٌ شَبِمٌ كأنـــه في مـــذاقـــه عَسَـل
بَــدْرٌ جمــالٍ بقلب عــاشقــه عَنْ لَـوْم عُـذّالـه بـه شُغـل
تــاه علينــا بحُسنِ صُـورتـــهِ وغُنـج طرف يـزينـه الكَحَـلُ

قلت : شعر مقبول ، وقوله : « والعشق داء دواؤه القُبل » ، مـالـه علاقـة بنصفـه الأول .

قال شيخنا الذهبي : كتب إليّ بمرويّاته عام سبع وتسعين .

١٢١٠ - علي بن محمد بن خطّاب*

الشيخ الإمام العالم العلاّمة الفقيه الأصولي النّظار علاء الدين الباجي الشافعي .

سمع بدمشق من أبي العباس التلمساني (جزء ابن جَوْصا) .

كان في أهل مصر شامه[(٢)] ، ولكل من أمّ في علم إمـامـه ، قلّ من جـاء بعـده مثلـه ورأى[(٣)] أمامه . طلق العباره ، إذا أرْسل سَهْمَ بَحْثٍ لا يخطئ الإشـاره . نـاظر العلامة

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٤٥٣/٢١ ، والتالي : ١٢٧ ، والفوات : ٧٣/٣ ، والدرر : ١٠١/٣ .

(٢) زاد في (أ) ، (ق) : « وفي العلوم علاّمه » .

(٣) (أ) ، (ق) : « أو رأى » .

تقي الدين بن تيميه ، وفاز دونه بالأولويه . وكان يباحث كل مَن قلّ وجل . ويسقي الوبل الغدق لا الطل . ولم يُسمع منه بحث نازل ، ولا خلت من فوائده ربوع الديار المصرية ولا المنازل .

وكان آية من الآيات ، وغاية نأت عن لحاق شأوها من الغايات :

لا تجسر الفُصحاء تذْكر عنده   بحثاً ولَوْ كان الهِزَبْر الباسل

ولم يزل يقرئ الطلبة ويفيد ، ويبدي الغرائب لهم ويعيد ، إلى أن ناجى الباجي حِمامُه وبكاه حتى على الأراك حمامُه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الأربعاء سادس ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

صنف وأفتى ، وناب في الحكم بالشارع خارج القاهرة ، واشتغل الناس عليه طائفة بعد طائفة . واختصر (الْمُحَرَّر) في الفِقْه[١] ، و (المحصول في الأصول)[٢] ، مختصرين : كبيراً وصغيراً ، واختصر (كشف الحقائق في المنطق)[٣] ، وصنّف في الفرائض والحساب ، وردّ على ما بيد اليهود من التوراة ، ورد على ذلك اليهودي الذي سأل الفتيا نظماً ، وقد تقدمت في ترجمة الشيخ علاء الدين القونوي ، وعمل ردّه نظماً .

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول[٤] : العلاء يُطْلَقُ عليه عالِم . وحضر درسه في المدرسة الصالحية ، فوقع بحث في كلام الغزالي في (الوسيط) ، فقال

(١) للقزويني عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت٦٢٣) ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٢/٢ إلى هذا المختصر .

(٢) يعني أصول الفقه للفخر الرازي ، وأشار صاحب الكشف : ١٦١٥/٢ إلى مختصر الباجي .

(٣) كذا في الأصل ، والصحيح أن كشف المنطق للمصنف نفسه . انظر : كشف الظنون : ١٤٨٩/٢ . وعبارة الدرر : « وله اختصار المحرر في الفقه ، وكشف الحقائق في المنطق » .

(٤) (أ) ، (ق) : « يقول عنه » .

الباجي : الغزالي عَدَل في العبارة المقتضية كذا ، حتى لا يرِدَ عليه كذا . وهذه العبارة التي قالها يَرِدُ عليها خمسة عشر سؤالاً ، وسرَدَها . فقال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : كم سنّك ؟ فقال : كذا ، فقال : وهذا[١] كله حصّلته في هذا السن .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفوي : قال[٢] شيخنا العالم الثقة نجم الدين الأصفوني : حضرت درس الشيخ تقي الدين ، فقال : يا فقهاء جاء شخص يهودي ، ويطلب[٣] المناظرة . فسكت الناس . وقال الباجي : أحضروه ، فنحن بحمد الله مليّون بدفع هذه الشبه . وقال لي ـ رحمه الله تعالى ـ لّما أحضروا ابن تيميّة ، طُلبت في جملة مَن طُلب ، فجئت لقيته يتكلم ، فلّما حضرت قال : هذا شيخ البلاد ، فقلت : لا تُطْرِني ما هنا إلا الحق ، وحاققته على أربعة عشر موضعاً ، وغيرَّ ما كان كتب به خطّه .

وكان أخيراً قد نسب إليه كلام ، واختفى بسببه مدة ، وكان له ابنان فاضلان تكلما عنه ، ثم إنه تقشّف ، وصار بفرجيّة مفتوحة لطيفة[٤] ، وعمامة بكراثة لطيفة جدّاً لا تكاد تظهر .

وتولى تدريس السيفية ، وكان معيداً بالمنصورية والصالحية .

ورأيت أنا شيخنا الإمام العلاّمة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي يعظّمه كثيراً إلى الغاية ، ويثني على فضائله المنوّعة . وكان قد ولي وكالة بيت المال بالكرك في الأيام الظاهرية[٥] .

---

(١) (أ) ، (ق) والدرر : « وهذا العِلم » .

(٢) (أ) ، (ق) : « قال لي » .

(٣) (أ) ، (ق) : « وطلب » . وفي الدرر : « يطلب » .

(٤) (أ) ، (ق) : « قصيرة » .

(٥) قوله : « وكان قد ولي » حتى ههنا وقع في (أ) ، (ق) بعد قوله : « معيداً بالصالحية والمنصورية » .

وقال شيخنا البرزالي : أجاز لنا جميع ماله روايته .

وأنشدني قاضي القضاة تقي الدين السبكي من لفظه أبياتاً رثاه بها ، ومنها :

فلا تعذليه أن يبوح بسرّه على عالِمٍ أودى بلحد مقدّس [(١)]
تعطّل منه كل درس ومجمع وأقفر منه كل ناد ومجلس
ومات به إذا مات كل فضيلة وبحث وتحقيق وتصفيد مُبلس
وإعلاء دين الله إن يبدُ زائغ فيخزيه أو يهدى بعلم مؤسس

وكان شيخنا العلاّمة أثير الدين أبو حيّان يثني عليه كثيراً . أخبرني قال : قرأت عليه يسيراً من مُخْتصره[(٢)] في أصول الفقه ، وسمعت عليه دروساً ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

رثى لي عُذّلي إذْ عاينوني وسُحْبُ مدامعي مثل العيون[(٣)]
ورامُوا كَحْل عَيْني، قلت: كفّوا فأصل بليّتي كَحْلُ العيون

قلت : كأن الشيخ علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ نظر في هذا المعنى إلى قول السّراج المحّار :[(٤)]

شكوت الذي ألقاه من ألم الهوى وقلبي عن وصف الأطباء في شُغْل
وقالوا اشربِ الْمَغلي تجد فيه راحة فقلت: وذا أصل الذي بي من الْمُغْل

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدنا الباجي لنفسه[(٥)] :

---

(١) (أ) ، (ق) : « بوجده » .
(٢) في الأصل : « مختصري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « ملء العيون » .
(٤) عمر بن مسعود الحلبي الكناني (ت٧١١) ، وستأتي ترجمته .
(٥) عبارة الوافي والدرر : « لنفسه دو بيت » .

بـــــالبلبـــل والهَـــزار والشحرور يُسْبَى طَرَبـا قلبُ الشَّجي الْمَهْجَور[١]
فـانهض عَجـلاً وانهب من اللـذة مــا جـادت كرمـاً بـه يـد المقـــدور

وأنشدني شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الـدين السبكي إجـازة ، قـال : أنشـدنـا لنفسه :

حيـــــــاة وعلم قُـــــــدْرة وإرادةٌ وسَمْـعٌ وإبصـارٌ كـلامٌ مـع البَقـا
صفـاتٌ لـذات الله، جـلّ، قـديـمَةٌ كـذا الأشعري الحبر ذو العلم والتقى[٢]

١٢١١ ـ علي بن محمد بن عبد الله*

ابن عبد الظاهر بن نشوان ، الصدر الكبير الرئيس النبيل الكاتب علاء الـدين بن القاضي فتح الدين بن القاضي محيي الدين .

سمع بقراءة الشيخ شمس الدين الذهبي من ابن الخلاّل[٣] .

وكان القاضي علاء الدين كثير المكارم ، بيتُـه مجمع الفضلاء والأدبـاء ، ومحلّـه محـطّ الخاملين والنّبهاء والنبلاء ، لا يزال يراعي مصالح الناس ، ويساعدهم على بلوغ مـآربهم البعيدة من القياس[٤] . يُؤثِر الواردين والصادرين بملابيسه ومراكيبـه ، وينتـاشهم من ورطاتهم ، ولو كانوا بين ماضِغيّ الدهر ومخاليبه .

وكان في أيام سلاّر هو المشار إليه ، والمعوّل فيما يُرْسَم به عن الـدولـة عليـه . وكان

(١) في الفوات : « المغرور » .
(٢) (أ) ، (ق) : « ذي » .
* الوافي : ٥٢/٢٢ ، والدرر : ١٠٩/٣ ، وحسن المحاضرة : ٥٧١/١ ، والشذرات : ٤٦/٦ .
(٣) في الوافي : « شمس الـدين بن الخلال » ، وفيـه سقـط . وابن الخلال هـذا هـو بـدر الـدين ، الحسن بن علي بن أبي بكر ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٤) كذا في الأصل و (ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « البعيدة القياس » .

هو الذي خرّج بهاء الدين أرسلان[١] وهذّبه ، وفقّهه وكتّبه ، لأنه كان يهواه ، ويُغْضي طَرْفَه ، ويَطْوي على جوانحه جواه .

ولمّا عاد السلطان من الكرك ، وتولّى أرسلان الدوادارية ما شك هو ولا غيره أن كتابة السر تتعدّاه ، ولا أن الملك يضطلع بغيره ويتحدّاه ، فما قدّر الله له ذلك ، ولم يجئ حساب الدهر هنالك . ولكنّه كان يوقّع في الدست بين يدي السلطان إلى آخر وقت ، والسلطان يضمر له البغض والمقت ، ويقول إذا رآه من بعيد : سبحان الرازق ، هذا يأكل رزقه على رغم أنفي وأنف الخلائق[٢] .

وكان القاضي علاء الدين حسنَ الشكل ظريف العمامة نظيف الملبوس ظاهر الوسامة طيّب الرائحه ، يعمّ مجلسا يكون فيه بهباته الفائحه . يكتب خطاً فائقاً من أين للعُقُود[٣] اتساقُه ، وللروض اليانع زهراته التي تضمّنها أوراقه . قلّ أن اجتمعتْ مفرداته في غيره ، أو بلغ مترفعٌ في الجو مَطار طَيْره ، وإليه كانت الرياسة في زمانه ، وإياه عنى مدّاح عصره وأوانه .

ولم يزل في توقيع الدست إلى أن اجْتَثّ منه الدهر جُرثومة الرئاسه ، وأخلى مِصْرَه من السيادة والنفاسه[٤] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

---

(١) (أ) ، (ق) : « أرسلان الدوادار » .

(٢) (أ) ، (ق) : « يأكل رزقه رغمي ورغم الخلائق » ، وعبارة الوافي : « سبحان الله ، والله ما أشتهي أراه ، وهو يأكل رزقه » .

(٣) في الأصل « للعنقود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) وكذا في (ط) . وعبارة (أ) ، (ق) : « اجتث الموت منه جرثومة السيادة ، وأخلى من رئاسته مصر وبلاده » .

ومولده سنة ست وسبعين[١] وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة المنصورية ، وعمره إحدى عشرة سنة ، سنة ست وثمانين وست مئة .

وكان الملك الناصر[٢] يكرهه لكونه قد[٣] اختصّ بالأمير سيف الدين سلاّر .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : قال لي السلطان الملك الناصر : ما كرهته لأجل شيء ، وإنما خان مخدومه [يعني][٤] سلاّر ، لأنه استكتبه شيئاً واستكتمه إياه ، فجاء إليّ وعرّفني به . وأخبرني أيضاً أن السلطان لّما جاء من الكرك قال للأمير عز الدين الدوادار[٥] : الساعة يجيء إليك طعامٌ من عند علاء الدين بن عبد الظاهر ، فاقبله منه ، فلم يكن قليل [حتى][٦] جاءه ذلك فقبله . وعرّف به السلطان ، فقال له السلطان : الساعة يبعث إليك خِرفانا وأرزًا[٧] وسكّرا ، ويقول : ياخوند ، أنا ماعندي من يطبخ ما يصلح لك ، دع مماليك يشوون لك هذا ، فما كان إلا عن قليل حتى جاء ذلك [فأخذه][٨] وعرّف السلطان به ، فقال : الساعة يجهز إليك ذهبا ويقول : هذا أريده يكون وديعة في خزانة الأمير ، فإنه أحرز عنده من بيتي ، فما كان إلا أن جرى ذلك ، وقال : ياخوند ، قد بعت[٩] لي ملكا ، وأخاف أن

(١) في الأصل و (ط) : « وأربعين » ، وهو سهو ، بدليل ما يأتي ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

(٢) في الأصل : « المنصور » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي : « لكونه كان قد .. » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الوافي : « أيدمر الدوادار » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٧) (أ) ، والوافي : « وإدزاً » .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٩) (أ) ، (ق) ، والوافي : « أبعت » .

يسرق ثمنه ، وقد أرصدته للحجاز ، وأريد أن يكون في خزائنك ، فأخذ الورقة ، وعرضها على السلطان ، فقال له السلطان : اكتب[١] في قفاها : ياعلاء الدين ، نحن ما نغيّر شرف الدين بن فضل الله ، وإن غيّرناه فما نولّي إلا علاء الدين بن الأثير ، فوفّر ذهبك عليك ، وخلّه عندك .

وكان القاضي علاء الدين كثير الرياسة والإحسان إلى مَن ينتمي إليه .

وللعلاّمة شيخنا شهاب الدين محمود فيه أمداح كثيرة . ولمّا مات رثاه بقصيدة طنّانة كتب بها إلى ناصر الدين شافع ـ رحمهم الله أجمعين ـ أنشدنيها إجازة ، وهي :

الله أكبرُ أيُّ ظـــل زالا عن آمليــه وأيّ طـوْد مــالا
أنعي إلى النـاس المكارم والنـدى والجـود والإحسـان والإفْضـالا
ومُهَـذّبـا مَـلأ القلـوبَ مهـابَـةَ والسَّمـع وصَفـاً والأكُفَّ نـوالا
حاز الرئـاسـة فـاغتـدى فيهـا بـه[٢] أهْـلَ المفـاخر تَضْرب الأمثـال
وحـوى من الآدب مـا أضحى بـه أهـلَ البيـان على عُـلاهُ عيـالا
طَلْق المُحَيّا لَوْ يقـابـل وجهَـه الـ أنـواء ظـل جهـامُهـا هطّـالا
مُتمكّنٌ من عَقْلـه فكأنّـه قـد شـدَّ فيـه عن[٣] الهنـات عُقـالا
رَحْبُ النـدى تُنسي بشـاشـة وجهـه مـا زاده أوطـانـه والآلا
طَرَقَتْـه أيـدي الحـادثـات فزعـزعت منـه مـآلاً للعُفَـاة ومَـالا
وسَطَتْ على الشرف الرفيع فقلّصت عَنْ ذلـك الحرم المنيـع ظـلالا
فُجعَتْ يتـامى من ذؤابـة هـاشم أمسى أبـاً لهمُ وإن يـكُ خـالا
فَقَـدت أيـامـاهم بفَقْـد عليّهم وكـذا اليتـامى عِصْمـةً وثمـالا[٤]

(١) (أ) ، (ق) :(اكتب إليه » ، وفي الوافي : « له » .
(٢) في الوافي : « فيهابَهُ » !
(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .
(٤) في الأصل و (أ) و (ق) : « أيامهم » ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

ونضت مكـلاءة كل مكرمـة ضَفَتْ — عنهـا فعـاد لبـاسُهـا الأسمالا
وأعـادت المجـد المـؤثـل بعـده — كانـا غـدير حيـاً فعـادا آلا[1]
مَن للسماحـة والفصاحـة بعـده — قَـوْلا يقـال وكان قبـلُ فعـالا
مَن للموجـاهـة والنبـاهـة بعـده — إن قـال في نـادي الندى أو قـالا[2]
من للفتـوة والمروّة أزْمَعـا — لّمـا ترحّـل بَعْـده التّرحـالا
مَن للكتابة حين أضحى جيدُها الـ — حـالي بـدُرٍّ بيـانـه معطَـالا[3]
قـد كان فـارسهـا الـذي بيراعـهِ — كم راع قبـلُ أسنّـةً ونصـالا
وجـوادهـا إن رام سبقـا حـازه — فيهـا وقَرْطسَ إن أراد نضـالا
وخُطيبهـا مـا أمّ منبر كفّـه — قلمٌ فغـادر لـلأنـام مقـالا
من للبـلاغـة رامهـا مِنْ بعـده — كل فكانت كالنجـوم مَنـالا
يـانجـلَ فتحِ الـدين أُغْلـق رزئكم — بـابَ الرجـاء وأوْثَـقَ الأقفـالا
لَهْفي على تلـك البشـاشـة كم بهـا — بسطت لـوافـدِ رفـده[4] آمـالا
لهفي على تلـك المكارم كم سَقَت — ظـامي الرجـاء البـارد السَّلْسَـالا
لَهْفي على تلـك المروءة كم قضت — سُـؤلا لمن لم يَبْـدُ منـه[5] سـؤالا
لَهْفي على آلائـه كم أثقلت — ظهْرًا وكم قـد خففت أثقـالا
لَهْفي على تلـك المـآثر لم تُطـع — في فعلهـا اللـوّامَ والعـذّالا
أبكي عليـه وقَـلّ مني أنّني — أبكي عليـه وأكثرُ الإعـوالا
أدْعُـو دمـوعي والعـزا فيُجيبني — ذا هـامـلا ويصـدُّ ذا إهْمالا

(١) (أ) : « وأفادت .. المؤمل » .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « إن جال » .
(٣) وقع عجز البيت في (أ) ، (ق) ، (ط) هكذا : في الحال بَدْرٌ بيانها معطالاً » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٤) في الوافي : « ربعه » .
(٥) في الوافي : « فيه » .

وإذا اعتبرتُ الحـزن كانَ حقيقـة　وإذا اعتبرتُ الصَّبرَ كان مُحَـالا
وإذا غفلتُ أقـام لي إحسـانُـه　في كل وقتٍ مِنْ سنـاهُ مِثـالا
وإذا هَجَعْتُ فـإنما زارَ الكرى　ليروعَ قلبي أن أراه خيـالا
قـد كان يُكرم جـانبي ويُجلني　وإذا ذكرتُ أطـابـه وأطـالا
ويُجلّني كأبيـه في تَبْجيلـه　حتى أقول قـد استوينـا حَـالا[1]
فعـلام لا أبكي وأستسقي لـه　سُحُبَ القَبُـول من الكريم تعـالى
ولقـد صَحبت أبـاه قبـلُ وَجَـدَّه　وهـا همـا مَجْـداً سَمَـا وكَمالا
فـوجـدته قـد حـازَ مَجْـدَهُما معـا　فَرْداً ونـال مِن العُـلاَ مـا نـالا
ومضى حميـدا طـاهرا مـا دَنّست　أيـدي الهـوى لبروده أذيـالا
عَجـل الحِمام على صبـاه فـلا ترى　إلا دمـوعـا تستفيضُ عِجـالا
يـا نـاصر الـدين ادّرع صَبْرا فَقَـدْ　فـارقتَ ثُمّ صبرت ذاك الخـالا
ورُزيت قبـل فراق خـالك بـابنـه　فحملت أعبـاء الخطـوب ثِقـالا
وختـامُ هـاتيـك الحوادثِ فقـدُ ذا　فـأعـاد حُـزْنـا كان مرَّ وزالا
فـاسْلَمْ لتبلـغَ بـابْنـه العليـا التي　فسحت لهم فيهـا النجـومُ مَجـالا
فـالأَجْرُ جمٌّ والعـزاءُ طريقـه　فـاصْبر فلست ترى لهـا أمثـالا
هي هـذه الـدُنيـا كشمس إن عَلَتْ　وافت غُـرُوبـا بعـده وزوالا
كم خيّبت أمـلاً وأتبعتِ الرّجـا　يـأساً وغـادرت المصون مُـذالا[2]
يَسري بنـا الآمـال فيهـا غِرَّةً　فيُـزِيرُنـا ذاك السُّرى الآجـالا
تَبّـا لهـا من غفلـة فـإلى متى　نرجـو البقـاءَ ونُرجئ الآمـالا[3]
أو مـا ترى فعـل المنـون بغيرنـا　نـادتهم فتتـابعـوا ارسـالا[4]

(١) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « ويجلني » بالحاء .
(٢) (أ) والوافي : « بأسا » .
(٣) في الوافي : « فنرجئ الأعمالا » .
(٤) (أ) : « ناداهم » .

سيا لمن قــد جــاز معتــك الردى وغـدا لقُطْب رحى المنـون ثفـالا[١]
عجبــاً لبــالٍ في غــدٍ تحت الثرى أنّى يُرى في اليــوم ينعم بـــالا
كم تخطئ الأسقـام من أضحى لهــا هَـدَفـا وقـد بعثت إليـه نبـالا
سيّـــان مَنْ نـزل القبـور اليـوم والسّفر الــذين غَـــدَوا غَـــداً نُـزّالا
مَـع أنّهم قطعـوا الطريـق وخلّفـوا للخــالف الأوجــاع والأوجـــالا
فـأعـاننـا الربّ الرحيم على مــدى بَلَغـوا وحسّن للجميـع مــــآلا[٢]
وسقتـه مِنْ عَفْـو الإلـه سحــائب يتلـو سُرى غـدواتهـا الآصـــالا

ومن إنشاء القاضي علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ رسالةٌ في المفاخرة بين الرمح والسيف ، وهي :

« بعثت إليك رسالتي وفي ذهني[٣] أنك الكميُّ الذي لا يجاريك نَدّ ، والشجاعُ الذي أظهر حُسْنَ الائتلاف لَوْ شكّ الضد[٤] ، والبطل المنيع الجار ، والأسدُ الذي لـك[٥] الأسل وجار ، والباسلُ الذي كم لُحُمر الغمود بتجريدك عن وجوه البيض انحسار . ولك معرفة في الحرب ولاماتها[٦] ، والشجاعة وآلاتها ، وإليك في أَمْرهـا التفصيل ، ولـديـك علم ما لجملتها من تفصيل . وهاهي احتوت على المفاضلة بين الرّمح والسيف ، ولم تَـدْر بعد ذلك كيف [فإنّ السيف][٧] قد شرع يتقوّى بحدّه ، ولا يقف في معرفة نفسه عِنـد حدّه ، والرمح يتكسّر[٨] بأنابيبه ويستطيل بلسان سنانه ، ولم يثن في وصف نفسه

(١) (أ) : « ثِقالا » .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « وأحسن » .
(٣) في الوافي : « علمي » .
(٤) عبارة الوافي : « حُسن لوثتك للضد » .
(٥) لكّ ، أي : ضرب ، أو فصل اللحم عن العظام .
(٦) أي : دروعها .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) والوافي .
(٨) في الوافي : « يتكثّر » .

فضل عنانه . وقد أطرقتُهما حماك لتحكم بينهما بالحق السويّ وتُنصف بين الضعيف والقوي :

أما السيف فإنه يقول : أنا الذي لصفحتي الغُرَر[(١)] ، ولحدّي الغرار ، وتحت ظلالي في سبيل الله الجنةُ ، وفي إطلالي[(٢)] على الأعداء النار ، ولي البروق التي هي للأبصار والبصائر خاطفه[(٣)] ، وطالما لَمَعت فسحّت سحبُ النصر واكفه ، ولي الجفونُ التي مالها غير نصر الله من بصر ، وكم أغفت فمرّ بها طيفٌ من الظَفَرْ ، وكم بكَتْ عليَّ الأجفانُ لّما تعوّضتُ عنها الأعناق غُمودا ، وكم جلبت الأمانيَّ بيضا والمنايا سودا ، وكم ألحقت رأساً بقدَم ، وكم رَعيت في خصيبٍ نَبْتُه الّلَمم ، وكم جاء النصر الأبيض لّما أسلْتُ النجيع الأحمر ، وكم اجْتُنِيَ ثَمَرُ التأييد من ورق حديدي الأخضر ، وكم من آية ظفرٍ تلوتها لما صليت [واتّقد لهيب فكري فأصْلَيْت][(٤)] فوصفي هو لذاتي المشهور ، وفضلي هو المأثور[(٥)] ، فهل يتطاول الرمح إلى مفاخرتي وأنا الجوهر وهو العَرَض[(٦)] ، وهُوَ الذي يُعْتاضُ عَنْهُ بالسهام وما عنّي عِوَض ، وإن كان ذاك ذا أسِنَّه ، فأنا أُتَقَلَّد كالِمنّه . كَمْ حَملته يدٌ فكانت حَمّالة الحطب ، وكم فارس كسبه بحملاته فما أغنى عنه ما كسب ، حدُّه لَيْس مِنْ جنْسه ، ونفعه ليس من شأن نفسه ، وأين سمر الرماح من بيض الصِّفاح ، وأين ذو الثعالب[(٧)] من الذي تُحْمَى به أسود الضرائب[(٨)] . وهل أنت إلاّ طويلٌ بلا بركه ، وعاملٌ كم عزلتك النبال بزائد حركه ؟!

---

(١) في الأصل : « الغرّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إظلالي » .

(٣) عبارة الوافي : « التي هي للبصائر لا الأبصار خاطفة » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٥) في الأصل : « المشهور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٦) في الأصل : « وهو الجوهر وأنا العرض » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٧) الثعالب : جمع ثعلب ، وهو أسفل السنان الذي تدخل فيه القناة .

(٨) ت الأصل : « المضارب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فنطق الرمحُ بلسان سنانه مفتخرا ، وأقبل في علمه مُعْتَجرا[١] ، وقال : أنا الذي طُلْتُ حتى اتخذت أسنّتي الشهب ، وعَلَوْت حتى كادت السماء تَعْقد عليّ لواءً من السحب . كم ميّل نسيم النصر غُصْني وميَّد ، وكم وهّى بي ركن للملحدين ، وللموحّدين تشيّد . وكم شمس ظفر طلعت وكانت أسنّتي شعاعها . وكم دماء أَطَرْتُ شعاعها . طالما أثمر غصني الرؤوس[٢] في رياض الجهاد ، وغَدَت أسنّتي فكأنّما صيغت من سرور فما يخطرن إلا في فُؤاد ، وكم شُبّهت أعطاف الحسان بمالي مِنْ ميل ، وضرب بطول ظل قناتي المثل ، وزاحَمْتُ في المناكب[٣] للرياح بالمناكب ، وحسبي الشرف الأسنى أنّ أعلى الممالك ماعليّ يُبْنَى ، مالَمَع سناني في الظلماء إلا خالَهُ المارد من رُجوم السماء ، فهل للسيف فخر يُطال فخري ، أو قَدْرٌ يُسامي قَدْري ، ولو وَقف السيفُ عند حدّه لعلم أنه القصير وإن كان ذا الحُلى ، وأنا الطويل ذُو العلا ، وطالما صَدَع هاما ، فعاد كَهاما[٤] ، وقصّر عن العدى ، وألم بصفحته كَلَفُ الصّدا ، وفلّ حدّه ، وأذابه الرعب فلولا غمده ..[٥] فهل يُطعن فيّ بعيب ، وأنا الذي أطعن حقيقةً بلاريب ، ومن ههنا آن أن أمسك عنك لسان سناني ، ونرجع إلى من يحكم برفعة شانك وشاني ، ونسعى إلى بابه ، ونبث محاورتنا برحابه .

وقد أوردهما المملوك حِماك ، فاحكم بينهما بما بَصَّرك الله وأراك .

ومن شعر علاء الدين ، وقد رُتبت معاليهم على شَطَّنُوف :[٦]

(١) اعتجر : لوى ثوبه على رأسه من غير إدارة تحت الحنك .

(٢) في الأصل : « الوريق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في الوافي : « المواكب » .

(٤) أي : كليلا .

(٥) يشير إلى قول أبي العلاء في مدح سعيد بن شريف بن علي العدوي :

يُذيب الرعبُ منه كلّ عضب ... فلولا الغمدُ يُمسكهُ لَسَالا

(٦) بلد بمصر من نواحي كورة الغربيّة عند افتراق النيل فرقتين .

يـــــا أميراً لــــــه من الجُــــود بحْرٌ فَهْـوَ يَجْري لنـــــا بغير وقــوف[١]
قـــــد غرقنـــــا في بَحرِ هَمٍّ وغَمٍّ فطلعنـــــا بـــــذاك من شَطّنـوف

ولّما دخلت أنا في سنة سبع وعشرين وسبع مئة وجدت جماعة قد لهجوا بالمقامة التي أنشأها القاضي علاء الدين وسمّاها (مراتع الغزلان) ، فكلفني بعض أصحابي الأعزة أن أنشئ رسالة في مادتها ، فأنشأت رسالتي (عبرة اللبيب بعبرة الكئيب)[٢] .

١٢١٢ - علي بن محمّد بن سَلْمان بن حمائل*

الشيخ الإمام الصدر الرئيس الكاتب الشاعر ، صَدْر الشام ، القاضي علاء الدين بن غانم .

كان حسنةً من حسنات الزمان ، وبقيةً مما ترك أولو الفضل والإحسان ، ذا مروءة فاتت الواصف ، وجودٍ أخجل هتّانُه الغمام الواكف . تأذّى من الدولة مرّات ، وما رجع عمّا له من العصبية والخير من كرّات ، يُسدي الجميل إلى مَن يعرف وإلى مَن لا يعرف ، ويتكّل على الله تعالى فيما يتصرف بقلمه ويَصْرف . وكان وجيهاً في الدولة يَعْرِفُ الناسُ قَدْرَه ، ويعلمون أن المروءة لا تنزل إلاّ في قلْبه ، ولا تسكن إلا صَدْرَه .

وكان حسام الدين لاجين وقبجق والأفرم ومن بعده إلى تنكز يَرْعَوْنَ قَدْرَهُ ويراعونه ، ويعلمون أنّه ما يبخل أن يُعير ماعونه ، لا يبخل بجاهِهِ ومالِهِ على أحدٍ من[٣] أبناء جنسه ، ولو أن ما في كفّه غَيْر نفسه .

ولم يزل على حاله إلى أن حَجّ وعادَ إلى تبوك ، فغنم ابن غانم أجلَه ، وراح إلى الله تعالى ، ولم يقصّر به كرمه ولا اعتراه خَجَلُه .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « فهو جار » .

(٢) في الوافي : « عبرة الكئيب بعثرة الكئيب » ، تحريف .

* الوافي : ٢٢/٣٣ ، والفوات : ٣/٧٨ ، والبداية والنهاية : ١٤/٧٨ ، والدرر : ٣/١٠٣ .

(٣) في الأصل : « لا يبخل على أحدٍ بجاهه من .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة . وله ست وثمانون سنة .

وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : ما أعرف أحداً في الشام إلا ولعلاء الدين بن غانم في عنقه مانة[1] قلّدها بصنيعه أو ماله أو جاهه .

وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ يكرهه ويؤذيه ويحط عليه ويقول : كيف أعمل بهذا ابن غانم ، أيّ مَنْ أردت أن أذكره عنده بسوء يقول : ما في الدنيا مثل ابن غانم ، أو كما قال .

وكان وقورا مليح الهيئة منوّر الشيبة ، ملازم الجماعة ، مطّرح الكلفة .

حدّث عن ابن عبد الدائم ، والزين خالد ، وابن النشّبي ، وجماعة .

وأجاز لي بخطّه في سنة ثلاثين وسبع مئة[2] ، ولما دخلت ديوان الإنشاء اجتمعت به غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ووجدت منه خيراً وبراً ـ رحمه الله تعالى ـ .

وهو كان آخر مَن بقي من رؤساء دمشق ، لأن بيته كان مقصداً لكل غريب وغياثاً لكل ملهوف .

كتب إليه الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض ما كتبه من أمداحه[3] :

عَلَوْت اسماً ومقْداراً ومعنى ... فيا الله مِن فضلٍ جليّ
كأنكم الثلاثةُ ضَربُ خَيْط ... عليٌّ في عليٍّ في عليّ

قلت : أخذ الثاني برّمته من قول علاء الدين الوداعي ـ رحمه الله تعالى ـ، نقلت ذلك من خطه ، وقد اجتمع بأصحابه ، وكلّهم يدعى عليّاً :

(١) في الوافي : « منّة » .
(٢) بدمشق كما في الوافي .
(٣) ديوانه : ٥٨ .

لقد سمح الزمان لنا بيوم غدا فيه السميُّ مع السميّ
تجمّعْنا فكنّا ضَرْبَ خَيْط عليّ في عليٍّ في عليّ

وكان ينظم وينثر ، وله أعمال جيدة في شبيبته . وبين الشيخ علاء الدين وبين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وبين الشهاب محمود وغيره من أهل عصره محاورات ومكاتبات على عادة الأدباء ، مليحة .

وكان قد طُلِبَ هو وأخوه شهاب الدين أحمد بن غانم إلى مصر على البريد في شهر رجب سنة سبع عشرة وسبع مئة ، فرُسم للشيخ علاء الدين بكتابه السر بحلب ، فاستعفى من ذلك . وعُرض عليه الإقامة بمصر ، فاختار العَوْدَ إلى بلده ، ورسم لهما بزيادتين وخلعتين ، وأعيدا إلى دمشق .

ومن نَثْرِه ـ رحمه الله ـ يصف قلعة :

« ذات أودية ومحاجر لا تراها العيونُ لبُعد مرماها إلا شَزْرا ، ولا ينظر ساكنُها العددَ الكثير إلا نَزْرا ، ولا يظُنّ ناظرها إلاّ أنها طالعة بين النجوم بما لها من الأبراج ، ولها من الفرات خندقٌ يحفُّها كالبحر إلاّ أن ﴿ هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ﴾[1] ، ولها وادٍ لا يَقي لَفْحةَ الرمضاء ولا حَرَّ الهواجر ، وقد توعّرتْ مسالكُه ، فلا يُداس فيه إلا على المحاجر ، وتفاوَتَ ما بين مرآه العليّ وقرارِه العميق ، ويقتحم راكبُه الهول في هبوطه ﴿ فكأنما خرّ من السماء فتخْطَفُه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾[2] .

ومنه في صدر كتاب :

« وجَعَله لحقيقة العَلْيَاء نَفسا وعَيْنَا ، ولا أعْدَم منه الملكَ ناظراً ولا عَيْنَا . ولا زال

(١) الفرقان : ٢٥/٥٣ .
(٢) الحج : ٢٢/٣١ .

على الأعداء يُرسل من مهابته[١] رقيبين ، أُذُنا وعَيْنا [وأغْنى بمكارمه من أنْ نشيم من السماء خالاً وعينا ، أو نَرِد من الأرض منهلاً وعينا][٢] ، وأطْلع طلعة لوائه في الخافقين حتى تخال الشمس[٣] عينا ، وسيّر ركائب ذكره في الآفاق لا تشتكي أينا ولا عَيْنَا [وأقام ميزان القسط بين الرعايا لا تجد فيه غبناً ولا عينا][٤] ، واستعبد بخدمته كلَّ أصْيدَ من الملوك ، لكل جحفل قلباً ولكل مَحْفَل عينا ، وأهلك كل عدوّ له وحاسد تارة فجأةً وتارة عَيْنَا[٥] ، ومتَّعه بما خصّه من استجلاء عرائس الحور العين بمجاهدته إذا شغل سواه عيناء من أسماء وعينا ، وسطر آثار مآثرِهِ[٦] محكمةً على صفحات الأيام إذا لم يُبقِ لمن سلف من الملوك أثراً ولا عينا » .

وأنشدني من لفظه ما كتبه إلى شيخنا العلاّمة أبي الثناء محمود :

لقد غبْتَ عنّا والذي غاب محسود ... وأنت على ما اخترت من ذاك محمودُ
حَلَلْنا محلا بَعْد بُعدك مُمْحِلا ... به كلُّ شيء ما خلا الشرَ مفقود
به البابُ مَفْتوحٌ إلى كل شقوة ... ولكنْ به باب السعادة مَسْدود

قال : فكتب[٧] الجواب :

أأحبابنا بنتم وشط مَزاركم ... برغمي وحالت دون وَصْلكم البيدُ
وودعتم[٨] رَوْض الحِمى بفراقكم ... فشابت نواصي بانِه وهو مَوْلود

(١) (أ) : « هيبته » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « للشمس » .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) زاد في الوافي ما نصّه : « وأنطق لسانه كرمه للأولياء بنون وعين وميم إذ كتب سواه مياً ونوناً وعيناً » .
(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٧) (أ) ، (ق) : « فكتب إليّ » .
(٨) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « وردّ عتم » ، وهي أشبه .

ومن لم تَهجْــه الــوُرْقَ وَجْــداً عليكم　　تــوهّم أن النــوح في الـدّوح تغريــد

وكتب إليه شيخنا نجم الدين الصفدي :

شنِّف الأسماع بـــالــــدرّ الـــذي　　قــد حكى الأنجم في ظلمـــائهـــا[١]
وبــــــدا كالشمس إلا أنـــــه　　زاد في الحُسْن على لألائهــــــا[٢]

فكتب الجواب إليه :

ليس للملـوك إلاّ مِـدحـةٌ　　في معــاليــك وفي آلائهــا
وبحارُ الفضل تَجْري منك لي　　فمقــالي قطرةٌ من مــائهــا

ومن شعره :

سَلَبَ المهجـــــــــةَ منّي　　بــــالجفُــون الفـــاترات
لـــو يَـــزورُ البيتَ لم يرْ　　مِ الحشـــا بــــالجَمَرات

وأخبرني من لفظـه ، قـال : عَتَبني شهـاب الـدين محمـود ، وهـو صـاحب ديـوان الإنشاء ، وقال : بلغني أن جماعة من ديوان الإنشـاء يـذمونني ، وأنت حـاضر ، مـا تردّ عني[٣] ، فكتبت إليه :

ومَن قــال إنّ القــوم ذّمـوك كاذبٌ　　ومـا منـك إلاّ الفضل يوجـد والجـود
ومــا أحــدٌ إلا لفضلــك حــامــد　　وهـل عيب بين النـاس أو ذُمّ محمود

قال :فكتب إليّ بأبيات منها :

عَلِمْتُ بـــــــــأني لم أُذمّ بمجلس　　وفيـه كريم القوم مثلـك مـوجـود[٤]

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « بالنظم الذي » .
(٢) في الأصل : « الشمس على » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الوافي : « ما تردّ غيبتي » .
(٤) في الأصل : « والجود » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

ولست أزكّي النفس إذ ليس نـافعي إذا ذُمّ مني الفعـــل والاسم محمـــود
ومـــا يكره الإنسان من أكل لحمــه وقد آن أن يبلى ويأكله الدود[1]

قال : ولم يكن بعد ذاك إلا أيام حتى توفي ـ رحمه الله تعالى ـ وأكله الدود .

وكان القاضي علاء الدين ـ رحمه الله تعالى ـ قد طلب مني كتابي (جنان الجناس) وكتب عليه :

لقد ضمّ أجناسَ الجناس فأطربا وأعجز من باراه فيها وأعجبا[2]
صلاحٌ لدين الله أبدى بدائعا تروق بألفاظ أرقّ من الصبا
يراه بليغٌ جاء بالمدح سائلاً مُجيبا مجيزا قوله لا مُخيِّبا
بإنشاده هذا وإنشائه لقد به فات مَن قد فاق فضلا ومنصبا
فقسٌّ إياد عند ذي الفضل باقل ولفظ امرئ القيس البديع هنا هَبَا[3]

فكتبت أنا[4] أشكره على ذلك :

ألا هكذا مَن قال شعراً فأطربا ووشّى بروداً باليراع فأعجبا
جبرت انكساري إذا أجزت مصنّفي بأبيات شعر قد حكت رقّة الصّبا
فما كلُّ مَنْ وافى بحُسْنى يُجيدها ولا كل مَن أولى الندى يُجزل الحبا
فأقْسِم لو جاراك في الفضل فارس الـ كتابة أعني الفاضل ابن علي كبا
ومن للعماد الأصفهاني أن يُرى ببابك دَهْرَاً واقفاً متأدّبا
لأنت الذي أنسى بألفاظ نظمه وروتقها عَصْرَ الشبيبة والصَّبا
طريقتك المثلى التي اجتهد الورى على مثلها واستحسنوا منك مذهبا

---

(١) في الأصل : « من ذمّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٢) في الأصل : « وأعجب من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) والوافي : « ذا الفضل » . وباقل : يضرب المثل بعيّه .
(٤) (أ) ، (ق) : « أنا إليه » .

ولم يُر أحلى من يراعك أحمرا على دهمةٍ جاري من الطرس أشهبا
بَقِيتِ لنا ذُخراً[(١)] مآثرَ فَضْلِهِ يَضُوع لها في كل يومٍ لنائبا[(١)]

وأنشدني من لفظه لنفسه :

وكم سَرْحَة لي في الرّبا زمن الصّبا أشاهد مرأى حسنها متلّيا
ويُسكرني عَرْفَ الصّبا مِن نَسيمها فأقضي هوى من طِيبه حَتْفَ أنفيا[(٢)]
وأسأل فيها مَبْسم الروضَ قُبلة فيُبْرز من أكامه لي أيديا
فلله روض زرته متنزّها فأبدى لعيني حسن مرأىً بلا ريا
غدا الغصنُ فيه راقِصاً ونسيُمه يكرّ على مَن زاره متعدّيا
ترجّلتِ الأشجار والماء خرَّ إذْ نسيمُ الصّبا أضْحَى به متمشيا
يغنّي لديه الورق والغصن راقص فيَعْرَق وَجْهَ الأرض مِن كَثْرة الحيا

فأنشدته أنا لنفسي في هذا المعنى :

حَسدت نسيم الروض في [كل] حالةٍ ولا سيا يوم قطعناه بالحمى[(٣)]
فكم ضمّ عِطْفاً للغصون مُرَنَّحا وعانق قدّاً للقضيب مقوّما
وقبّل خدّ الورد وهو مضرّج وثغر الأقاحي في الربا إذ تبسّما
وكم بات يستجلي عذار بنفسج سقته الغوادي صوبها فتنمنما
ولّما أمال القضب نقّش ظلها وكبّت كفا للغدير ومعصما
وفتّح أجفاناً من الزهر أغمضت ونبّه قمري الحمي فترنما[(٤)]
ولم أنس وجه الروض يُسفر ضاحكا بأزهاره كالدّر لّما تنظّما
فمذ فتّحت فيه البروق جفونها تبرقع منها بالحيا وتلثّما

(١) في الأصل : « دهراً مآثر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « عرف الشذى » .
(٣) الزيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

١٢١٣ ـ علي بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، الإمام الفاضل محبّ الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع من أبيه ، وحضر عند عبد الوهاب بن عساكر ، وسمع من الزاهد عمر الحريري القوصي .

وحدّث بالقاهرة ، وسمع منه أمين الدين محمد بن الواني الدمشقي وغيره .

كان فاضلاً فقيهاً في مذهب الشافعي ، يعترف له بذلك كتاب (الروضة) والرافعي . قوي النفس عزيزاً ، قلّ أن يُرى للذلّ مجيزاً . اتصل بابنة الخليفة الحاكم ، فأصبح لذلك وهو حاكم . وناب عن والده في الدروس ، وسُمِعَت فيها فوائده ، وكانت زاكية الغروس .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه ، وأجاب داعية وماأباه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة سبع وخمسين وست مئة .

علّق على (التعجيز) شرحاً جيداً ، ولم يكمله ، وناب في الحكم في أيام والده .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : ذكر لي بعضُ أقاربه أن الخليفة هو الذي ولاّه النيابة عن والده ، فإنه كان تزوج بنت الخليفة أبي العباس أحمد .

ودرّس بالفاضلية والمدرسة الصالحية نيابة عن والده ، ودرّس بالكهارية والسيفية . وكان عزيز النفس مترفعاً .

---

* الوافي : ١٠٣/٢٢ ، والتالي : ١٠٥ ، والطالع : ٤٠٣ ، والدرر : ١١٣/٣ ، والشذرات : ٣٧/٦ .

قال كال الدين : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد المجيد[١] الأرمنتي قال : كنت حاكماً بإخميم من جهة والده تقي الدين ، فصحب محب الدين شخصاً من أهلها ، فطلب منه كتاباً إليّ في حاجة لذلك الشخص ، فرسم بكتابته إليّ ، فلما كَتب ، قال له ذلك الشخص : إن أراد سيدنا أنّ شغلي ينقضي ، يكتب له « المملوك » ، فلم يوافق ، فحلف عليه بالطلاق ، فكتب : « المملوك لله » .

وكان يقال : إنه كان يأخذ[٢] الهدية في حال نيابته ، ويأخذ معلوماً على السعي في الحاجات عند والده .

١٢١٤ ـ علي بن محمد بن علي*

هذا علي هو أحد الأخوين التوأمين الملقّبين بالجِنّ والإِنّ ، وهما حفيدا الشيخ علي الحريري الكبير المشهور .

وكان هذا وأخوه قد دخلا في أذيّة الناس أيام قازان ، وغرق هذا عليّ في جامع بعلبك بالسيل الذي جاء في سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٢١٥ ـ علي بن محمد بن علي**

الشيخ الصالح الزاهد العابد بقية السلف ، أبو الحسن البغدادي ، الملقّن بالجامع في الصالحية .

كان صالحاً خَيِّراً ، مُجْمَعاً[٣] على صلاحه وحُسن طريقته .

---

(١) في الأصل « عبد الحميد » ، سهو . وستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « يقبل » .
* الدرر : ١١٤/٣ .
** العبر : ٢٨٨/٥ ، والنجوم : ١٨٩/٨ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ .
(٣) في الأصل : « منجمعا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

روى الحديث عن ابن الزبيدي ، وابن اللّتي ، والناصح بن الحنبلي[١] ، وابن صبّاح ، والقاضي ابن الشيرازي ، ومحمد بن غَسّان ، والجمال أبي حَمْزة[٢] ، وعلم الدين بن الصابوني ، وكريمة القرشية ، وغيرهم . وخُرِّجت له (مشيخةٌ) وحدّث بها .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع شوّال سنة ثمان وتسعين وست مئة .
ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة[٣] .

وخَرَج جماعة من البلد لحضور جنازته والتبرّك بها .

١٢١٦ - علي بن محمد بن علي بن أبي القاسم*

علاء الدين أبو الحسن بن العدل بدر الدين العَدَوي الصالحي المعروف بابن السكاكري الشروطي .

أجاز له عبد العزيز بن الزّبيدي[٤] ، وابن العُلّيق ، وعبد الخالق النّشتبري[٥] ، وابن خليل . وسمع من ابن عبد الدائم ، ومحيي الدين بن الزكي وجماعة .

حدّث وتفرّد ببعض شيوخه ، وكانت له معرفة بإتقان المكاتيب ، وعلم بغوامضها ، وشهد على الحكّام .

وكان قويّ النفس ، ثم إنه كَبُر وعجز ، اعتراه نسيان وغفلة ، وافتقر ، وكان يلازم الجماعة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

(١) في الأصل : « الحلبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ابن حمزة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أحمد بن عمر بن أبي عمر المقدسي (ت ٦٣٣ هـ) ، العبر : ١٣٣/٥ .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
* الوافي : ١٠٥/٢٢ ، والدرر : ١١٣/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ .
(٤) عبد العزيز بن يحيى بن المبارك ، (ت ٦٤٩ هـ) السير : ٢٥١/٢٣ .
(٥) في الأصل و (أ) : « التستري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

١٢١٧ - عليّ بن محمد بن عمر*

ابن عبد الرحمن بن هلال الصدر الكبير العالم نجم الدين أبو عبد الله الأزدي الدمشقي .

من أعيان رؤساء الدماشقة الأقدمين في الرئاسة ، وقد ذكرهم ركن الدين الوهراني[١] في أول منامة ، فقال :

« على أنّه وجد من جوانح الخادم من نار الشوق أجيجا ، لو أنّ النار التي كلّست الكلاّسة واشتملت على الحائط الشمالي ، وعرّست في مئذنة العروس ، وأذّنت بهلاك المؤذنين وأهلّت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها لَمّا اقتصرت على المقصورة ، ولا برّدتها البرّادة حتى تصحن الصحن ، وتنسر النسر .

وكان قد أجاز له بهاء الدين بن الجمّيزي ، وسمع من ابن البرهان وابن أبي اليسر والكرماني وطائفة . وطلب بنفسه وحصّل أصولاً ودار على المشايخ . وقرأ عليه شيخنا الذهبي بكفر بطنا (موافقات الموطأ)[٢] .

وكان يذاكر بأشياء حسنه ، وقالَهُ سادتُه لَسِنَه ، وفيه مكارم ، وعنده بالجود مساجلة للغمائم ، تُعمل في بيته الحلوى التي تفرّد بإتقانها ، وتعاهدت الناس من هديتها بإدْمَانها[٣] ، وبيتهم في الدماشقة مشهورون بعمل القرن يا روق ، وإذا أُهدي منه شيء يعتقدون أنه ترياق الفاروق .

وإلى هذا نجم الدين - رحمه الله تعالى - كتب الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، وقد طال نجاز وعده بذلك :[٤]

* الوافي : ٢٢/١٠٨ ، والبداية والنهاية : ١٤/١٤٥ .

(١) محمد بن محرز (ت ٥٧٥) ، والوافي : ٤/٣٨٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « بإتقانها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) ديوان ابن نباته : ٥٣٨ .

أصمّ حديثُ القرن يا روق مسمعي بتأخيره يا حابسين الندى عني
فلا تجعلوني في العفاة نعامةً غدت تبتغي قَرْناً فعادت بلا أُذن

ولم يزل نجم الدين المذكور على حاله إلى أن انكدر نجمه ، وأصبح وقد ضمّه تحت الأرض رجمه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

وكان على ذهنه شيء من التواريخ ، وكان يدّعي أنه حفظ الْمُسْتَظْهري[1] على ما قيل . وحدّث بدمشق والقاهرة والقدس . وحج وسمع بمكة من أمين الدين بن عساكر في سنة خمس وثمانين وست مئة . وجُمعت شيوخه فبلغوا مئة وخمسين شيخاً[2] . وله إجازة في سنة خمس وخمسين وست مئة ، فيها ابن خطيب القرافة ، وجماعة من أصحاب الثقفي والخشوعي وغيرهم .

وكتب في الإجازات ، وجمّع فيها جماعة من أقاربه ، وباشر نظر الأيتام غير مرة . وكان فيه نهضة وكفاية . وأمر أن يكتب على قبره : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾[3] .. الآية . ودفن بتربته قبالة تربة ابن قوام ، رحمه الله تعالى .

---

(١) هو كتاب حلية العلماء في مذاهب الفقهاء لمحمد بن أحمد بن القفّال الشاشي (ت٥٠٧ هـ) ، وهو كتاب كبير ، صنّف للخليفة المستظهر بالله العباسي ، ولذا لقب هذا الكتاب بالمستظهري .
الكشف : ٦٩٠/١ .

(٢) (أ) : « رجلا » .

(٣) الزمر : ٥٣/٣٩ .

١٢١٨ ـ علي بن محمد بن غالب بن مرّي*

العَدْل الفقيه المحدّث ، كاتب الحكم ، علاء الدين أبو الحسن ابن الإمام نصير الدين ابن القاضي كمال الدين الأنصاري الشافعي الدمشقي .

روى (الشاطبية) بسماعه بقوله من الكمال[1] الضرير . وسمع بدمشق من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعِدّة . وطلب الحديث ، وقرأ النحو على ابن مالك ، وقرأ كُتباً وأجزاء . وكان يعرف نَحْواً وحِساباً وشروطاً ، وحصّل من الشروط مالا كثيراً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٢١٩ ـ علي بن محمّد بن فَرْحُون**

الأديب الفاضل نُور الدين أبو الحسن اليعمري المَدَني المالكي .

قدم علينا دمشق ، ورأيته بها مرّات في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان إنساناً شكْلُه حَسَن[2] ، وعنده رُواءٌ وفيه لَسَن ، حسنَ المحاضرة ، لطيف المذاكرة ، يُحبُّ الأدب ، ويكثر منه الطلب .

وأقام بدمشق يجمع وينتقي ، ويصعد في طلب العاريّة ويرتقي ، إلى أن آن رحيل الراكب ، وجرى على فراقه الدمع الساكب[3] ، فقفل معهم إلى وطنه ، وحنّ إلى عطَنِه .

---

* الوافي : ٢٢/١١١ ، والدرر : ٣/١١٥ ، والشذرات : ٦/٦٨ .

(١) في الوافي : « ابن الكمال » .

** الوافي : ٢٢/١١٣ ، والدرر : ٣/١١٥ .

(٢) في الأصل : « حسن الشكل » . وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أنسب للسجعة .

(٣) (أ) ، (ق) : « آن رحيل الركب ... السكب » .

ولم يزل على حاله بالمدينة إلى أن أصبح في البقيع مَزُوراً ، وأُودع فيه ثم تولّوا عنه نُفُورا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة ست وأربعين وسبع مئة .

كتب إليّ يطلب مني[1] (شرح لاميّة العجم) :

قَدْ طال هذا الوعدُ يا سيّدي ... فانظرْ لمقصودي وكُن مُسْعِدي
أنت صلاحُ الدين حقّاً فكن ... صلاحَ دنياي التي تعتدي
وجُدْ بغيثِ الأدَب المُنْتَقى ... واسْقِ - رعاك اللهُ - قَلْبَاً صدِي
بدأت بالإحسان فاختم به ... يا خاتم الخَيْر ويا مُبْتَدي

فكتبت أعتذر عن تجهيزه ، لأنه في العارّية :

أقْسَمتُ لو كان الذي تبتغي ... عنديَ لم أمْنَعْهُ مِنْ سيّدي
يا مَن له نظم علا ذروة ... وهادُها تَعْلو على الفَرْقَد
لقد تطوّلْتَ ولم تقتصر ... ومن بدا في فَضْلِهِ يَزْدد[2]
وأين مَن نال نهاياتِه ... مِمَّن - كما قلت له - مُبْتَدي

وكان قد ركّب أعجازاً وصدوراً على قصيدة الطغرّائي (لامية العجم) ، فجهّزها إليّ لأقف عليها ، وأوّلها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وشِرعَة الحزم ذادتني عن الذَلَ
وحُلّةُ العلم أغْنَتْني ملابسُها ... وحلية الفضل زانتني لدَى العَطَل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ ... وسؤددي ذاعَ في حلّي ومرتحلي
وهمتي في الغنى والفقر واحدة ... والشمس رأد الضحى كالشمس في الطَّفَل

---

(١) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « تمام شرح » .

(٢) في الأصل : « من فضله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فيم الإقامة بالزّوراء لا سكني دَانٍ ولا أنا في عَيْشٍ بها خِضل
وليس لي أرب فيها ولا خَوَل بها ولا ناقتي فيها ولا جَمَلي[(١)]

وهي كلّها على هذا النمط ، يأتي إلى كل بيت فيجعل لكل صدر عجزاً ، ولكل عجز صدراً ، وقد أثبتّها بكمالها في الجزء العشرين من (التذكرة) التي لي ، فأعدتها بعد ما كتبتُ[(٢)] عليها تقريظاً وهو حسبما قصده مني والتمسه : « وقفت على هذا النمط الغريب والأسلوب الذي ما سلك شِعْبَه[(٣)] أديب ، والألفاظ التي تُجيد الجيد ، وما تريب أنها حَلْيُ التريب ، والعبارةِ التي هي أشهى من عصر شبابٍ ما شيب بمشيب ، والنظم الذي شاب منه رأس الوليد ، وتَقَصَ أبو تمام فليس بحَبيب ، والمعاني التي هي أوقعُ في النفوس من وَصْلِ حبيب ، نـزّهته اللذةُ عن الرقيب القريب ، والسطور التي هي جداولُ الروض والهمزةُ فيها على ألِفها حمامةٌ على قضيب .

وفي تَعَبٍ من يحسد الشّمسَ ضَوْءَها ويزعم أن يأتي لها بضريب[(٤)]

لقد أمتع ناظمها أمتع الله بفوائده ومحاسنه[(٥)] ، وحلّى جيد الزمن بدُرّه الذي يثيره[(٦)] مِنْ مَعَادِنه ، فجعل لآفاقها مشارق ومغارب ، ولبيوتها في شعاب القلوب مراكز ومضارب ، كيف أفادها أعجازاً وصُدورا[(٧)] ، وكيف تنوّع في الحُسْن حتّى أفاد الحضور أردافاً ، وركّب على الأَرْدَافِ حضورا ، وكيف اقتدر على البلاغة فأطْلَع في أفلاكها شُموساً وبُدورا ، فلو عاينها الطُغَرّائي ، رحمه الله تعالى ، جَعَلها لمنشور

(١) (أ) ، (ق) : « ولا خولي » . وقوله : « ناقتي فيها ولا جملي » هو للحارث بن عباد البكري قاله لما وقعت حرب البسوس .
(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت له » .
(٣) في الأصل : « سعبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) للمتنبي ، ديوانه : ٥٦/١ ، وفيه : « .. نورها ويجهد أن يأتي ... » .
(٥) (أ) ، (ق) والوافي : « أمتع الله بمحاسنه » .
(٦) في الأصل : « ويبرزه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٧) في الأصل : « صدارا » ، سهو .

(ديوانه) طغره ، وعلم أن رَوْض نظمه إن كان فيه زهرة فهذا أفقٌ أطْلَعَ في كل منزلة منه شمساً وبَدْراً وزُهْرَه ، فالله يُعزّ حِمى الأدب منه بفارس الجوله ، ويديم لأيامه بفوائده خير دَوْله ، ويلمّ شَعَثَ بنيه الذين لا صَوْن لهم ولا صَوْله ، ويمتعهم بمحاسنه التي لا يذكر معها أبيات عزّة ، ولا أطلال خوله ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وطلب مني عاريّةً (المقامات الجَزرية)[1] ليقف عليها ، فجهزتها إليه ، فأعادها بعد ما كتب عليها بخطه « يقول الفقير إلى الله تعالى علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحُون اليعمري [المدني][2] عفا الله عنه : لمّا نظرت (مقامات الجزرية)[3] رأيت ألفاظها حُوشيّه ، وحلل أسجاعها[4] غَيْرَ مطرزة ولا مَوْشِيّه ، لم يَسْق روضها ماءُ البلاغة المُستعذَبْ ، فما أنبتت أرضُها زهر اللفظ المُهَذّب ، ومع هذا فطالما كلّف نَفْسَه فيها وعَذّب ، وعندي أن من لم يستحسن[5] كذبها لم يكذّب :

ظنَّ الفصاحةَ في الغَريب فـآثَرَهْ فلكم لَـهُ من فِقْرة هي فاقِرَهْ
قَرَحَتْ قريحتُـه وفـات قبولها يـاكرةً مِنْ بَعْـدِ ذلك خاسره

وقد أثبتُّ عندي منها المقامةَ الأولى ، ورأيت أنّ تَرْك ما سواها أولى :

إذِ الأسلوبُ في المجموع واحد وليس على كتابتها مُسَاعد

١٢٢٠ ـ علي بن محمّد بن قلاوون*

الملك علاء الدين بن السلطان الملك الناصر بن الملك المنصور .

(١) هي المقامات الزينيّة لمعدّ بن نصر بن نصر الله بن رحب ، المعروف بابن الصقيل الجزري (ت٧٠١) ، الكشف : ١٧٨٥/٢ .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) كذا في الأصل : وفي (أ) ، (ق) ، والوافي : « الجزري » .
(٤) في الأصل : « ألفاظها » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) في الأصل : « أنّ من استحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
* الدرر : ١١٥/٣ .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك ، قال : جهزّني السلطان الملك الناصر لإحضاره من الكرك ، ولم يكن [له][(١)] في ذلك الوقت ولد ذكر غيره . قال : وجاءه الخبر بوفاته ونحن معه في الصيد ، وكنت أنا والأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فانكمش وأطرق ولم ينشرح ولم يكلّم أحداً . قال : فقلت له : ياخوند الله يطوّل عمرك ، تريد تفرح بموته ، فقال : لأي شيء ؟ قلت : إذا كنت وحدك دام ملكك ، وطالت دولتك[(٢)] ، ففهم مقصودي ، وساق وانشرح ، وأخذ الجارح مني وحمله ، أو كما قال .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة .

١٢٢١ ـ علي بن محمد بن [بن محمد] نصر الله*

ابن المظفر بن أسعد بن حمزة الصدر الكبير الرئيس القاضي علاء الدين أبو الحسن بن القلانسي التميمي الدمشقي [الشافعي][(٣)] ، تقدّم ذكر أخيه القاضي جمال الدين أحمد بن محمد .

سمع الحديث من ابن البخاري وزينب بنت مكي وعبد الواسع الأبهري[(٤)] . وحدّث واشتغل وحصّل وتفرغ في المباشرات وتأصّل ، وبلغ المعالي وتوسّل بعقله إلى أن توصّل . وكتب في ديوان الإنشاء ، وأُذن له بالإفتاء ، ودرّس بالمدارس الكبار ، وصار به في الدولة الاعتناء والاعتبار .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) : « مدّتك » .
* الوافي : ١٣٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والدرر : ١١٨/٣ ، وما بين حاصرتين زيادة من أصوله ومصادر ترجمته .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في الأصل : « عبد الواحد الأبهري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد الواسع بن عبد الكافي بن عبد الواسع (ت ٦٩٠) ، العبر : ٣٦٨/٥ .

وكان مليح الكون ، صحيح اللون ، ذا نَفْسٍ متضّعه ، وهمّةٍ لأفاويق السكون والاقتصاد مرتضعه ، علا إلى الثريا ، ثم هبط إلى الثرى ، وحصلت له مصادرة مُشِّيت معها سعادته القهقرى .

وكان قد أسره التتار ، وخلص منهم عند الفراغ بالفرار .

ولم يزل على حاله إلى أن زاره[1] أبو يحيي[2] فجأه ، وعدم حواسّه فلم يسمع له نَبْأه .

وتوفي رحمه الله فُجَاءَة بدمشق في بكرة السبت خامس عشري صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

باشر كتابة الإنشاء مدةً زمانية ، وكان قد أخذه التتار في نوبة قازان هو والقاضي بدر الدين محمد بن فضل الله وابن شقير وابن الأثير رهينة إلى بلاد أذربيجان ، وبقي عندهم معتقلاً مدة ، ثم إنه تنكر محتالاً ، وهرب . فنودي عليه ، فاختفى بتبريز شهرين ، وسمّى نفسه يوسف ، وتوصّل[3] إلى البلاد في زيّ فقير ، ووصل إلى حلب ، فأكرمه نائبها ، وبعثه على خيل البريد إلى دمشق ، وسرّبه[4] أهله ، وكان قدومه إلى دمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وسبع مئة .

وتولّى نظر ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ونظر البيمارستان النوري مع توقيع الدست بدمشق في يوم الجمعة ثاني شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فلما

---

(١) في (أ) ، (ق) : « زاده في الليل » .
(٢) أبو يحيي : الموت ، بضد أسمه ، وقيل هو كنية ملك الموت (المرصع) .
(٣) (ق) : « وتوقّل » .
(٤) في الأصل : « ومرّ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

توفي أخوه القاضي جمال الدين أخذ وظائفه مضافة إلى ما بيده ، وهي : نظر الظاهرية ودَرْسها ، وتدريس العصرونية ، ووكالة بيت المال ، وقضاء العسكر ، وتدريس الأمينية ، فأعطى لابن أخيه القاضي أمين الدين نظر الظاهرية وتدريس العصرونية ، وانفرد هو بالباقي .

وقلت له يوماً : يا مولانا أنت اليوم توقّع عن الله تعالى وعن السلطان وعن ملك الأمراء وعن نور الدين الشهيد ، وعن الملك الظاهر ، فضحك وأعجبه ذلك .

وكان هشاً بشاً لم يتغيّر عما يعرفه أصحابه ، ولا زاده هذا العلو إلا ضعة . وكان أخيراً يراعي الإعراب في كلامه المسترسل ، ثم إنّ تنكز تنكَّرَ عليه ، وصادَره وصادَرَ رفاقه ، وأخذ منه جملة ، ولم يكن خانه ، وإنما دخل في شيء لم يكن يَدْريه ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وأفرج عنه ، ولم يبق بيده بعد هذه الوظائف كلّها إلا تدريس الأمينية والظاهرية .

١٢٢٢ ـ علي بن محمد بن محمد*

الشيخ المسند المقرئ المجوّد الزاهد العابد أبو الحسن البغدادي الرّفا ، سبط الشيخ عبد الرحيم بن الزجّاج[١] ، فسمَّعه كثيراً .

سمع (جامع المسانيد) من ابن أبي الدنيّة[٢] و (جزء الأنصاري) من عبد الله بن ورد صاحب ابن الأخضر[٣] ، ومن « البخاري » على أبي الحسن الوجوهي ، وبعض

* الدرر : ١١٩/٣ .

(١) عبد الرحيم بن محمّد بن أحمد (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ .

(٢) في الأصل : « المدينة » ، تحريف ، وهو : شهاب الدين محمّد بن يعقوب بن أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٩/٥ .

(٣) عبد العزيز بن محمّد (ت ٦١١ هـ) ، السير : ٣١/٢٢ .

(مسند) الإمام أحمد من الشيخ عبد الصمد بن أحمد[1] ومن جدّه . وأجاز له من واسط الشريف الداعي صاحب ابن الباقلاني ، وحدّث بجامع المسانيد ثلاث مرّات ، وأوّل ما سمع منه في سنة ثلاث وسبع مئة .

فرّ من رؤية المنكرات ببغدَاد إلى قرية برقطا ، واشترى أرضاً كان يستغل[2] منها كفايته ، فلقن هناك خلقاً كثيراً كتاب الله عزّ وجل ، وقد أكثر عنه نجم الدين سعيد الدهلي وأهل بغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى ببرقطا في وسط سنة أربعين وسبع مئة ، وحمل إلى مقبرة الإمام أحمد بن حنبل فدفن بها .

وكان يعرف القراءات السبع .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة ، أو في سنة ثلاث وستين .

كان[3] مقرئاً مجيدا ، وعالماً مفيدا ، عارفاً بالقراءات ، قريباً من المحاسن بعيداً من الإساءات . سمع الحديث ، وروى عن القديم والحديث ، وحظي أهل بغداد ببركته ، وتألموا بعده لسكون حركته .

ولم يزل على حاله من الخير الصريح إلى أن ضمّه الضريح ، وأصبح بعد التعب وهو مستريح .

١٢٢٣ - علي بن محمد بن مَمْدُود*

ابن جامع بن عيسى الشيخ الصالح المسند المعمّر شمس الدين أبو الحسن بن الإمام

---

(١) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٢) في الأصل : « يشتغل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .

(٣) الكلام الآتي حتى آخر الترجمة ليس في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ١٤١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٧٤/١٤ ، والدرر : ١١٩/٣ ، والشذرات : ١١٣/٦ .

المحدّث العدل ، محبّ الدين البندنيجي[١] البغدادي الصوفي .

كان بخانقاه الشميساطي بدمشق ، كان والده من المحدثين العدول ، سمّعه[٢] (صحيح) مسلم على أحمد البادسني عن المؤيد الطوسي ، وأسمعه (جامع) الترمذي على العفيف بن المنيّ ، وحدّث بالكتابين غير مرّة ، وله إجازة من النشتبري ، ومحمد بن علي بن السباك ، وإبراهيم الزعبي ، ومحمد بن الحصري ، وعبد الله بن عمر بن أبي السعادات البندنيجي ، وعلي بن عبد اللطيف بن الخيمي ، وهؤلاء الستة من أصحاب ابن شاتيل ، وأجاز له إلياس الحجبي من أصحاب خطيب الموصل . وأجاز له جماعة من بغداد والموصل . وكان يذكر أنه سمع كثيراً . وكان له إجازات وأثبات عدمت في واقعة بغداد ، وذكر أن عمره في الواقعة اثنتا عشرة سنة ، وكان ببغداد بواب الحُجر ، والحجر هي دار الوكالة . وقدم الشام ، وأقام بالقدس ودمشق نحو سبع عشرة سنة .

وكان طويلاً له مهابة ، وعلى ذهنه من أخبار بغداد والواقعة شيء كثير ، وكان سماعه (لجامع) الترمذي سنة تسع وأربعين وست مئة ، وسماعه (لصحيح) مسلم سنة خمسين وست مئة ، كلاهما بدار الخلافة ببغداد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأحد سابع المحرّم سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق[٣] ، وله ثلاث وتسعون سنة .

وكان قد سمع (مسند) ابن راهوية من العز[٤] أحمد بن يوسف الأكاف بإجازته من ابن الخيّر بن الطالقاني ، وقيل : سمع من ابن الخيّر . سمعت عليه (صحيح) مسلم بكماله بدار الحديث الأشرفية بقراءة المحدّث ناصر الدين [محمد][٥] بن طغريل بحضور

(١) (أ) ، (ق) : « ابن النبدنيجي » .
(٢) (أ) ، (ق) : « أسمعه » .
(٣) (أ) ، (ق) : « ظاهر دمشق » .
(٤) في الأصل : « المعزّ » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

جماعة من الأشياخ ، منهم : شيخنا المزي وغيره . أجاز لي بخطه[١] ، وكان سماع (صحيح) مسلم في مدة آخرها سادس عشر شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . وكان يجلس للإسماع والقارورة مشدودة على وسطه للبول ، لأنه كان قد ضعفت قوته الماسكة رحمه الله تعالى .

١٢٢٤ ـ علي بن محمد بن نبهان*

الشيخ ابن الشيخ المشهور ، شيخ البلاد الحلبية ، وسوف يأتي ذكر والده إن شاء الله تعالى في المحمّدين .

لمّا توفي والده رحمه الله تعالى جلس هو مكانه ، وقدم إلى دمشق ، وحجّ ، وزرته واجتمعت به صادراً ووارداً في سنة ثمان وأربعين أو في سنة سبع وأربعين ، وعاد إلى بيت جبرين قريتهم .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب[٢] .

١٢٢٥ ـ علي بن محمّد بن هارون**

ابن محمد بن هارون بن علي بن أحمد الثعلبي[٣] الدمشقي ، نزيل القاهرة ، الشيخ المحدّث الصالح المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان قارئ العامة .

---

(١) سنة (٧٢٩) كما في الوافي .

* الوافي : ١٤٨/٢٢ ، والدرر : ١٢١/٣ ، وإعلام النبلاء : ٥٤٣/٤ .

(٢) (أ) : « طاعون دمشق بحلب » .

** الوافي : ١٥٢/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ١٢١/٣ ، والشذرات : ٣٠/٦ .

(٣) (أ) والشذرات : « التغلبي » ، تصحيف .

سمع حضوراً في الرابعة وفي الخامسة من ابن صبّاح ، وابن الزبيدي ، والناصح بن الحنبلي . وسمع من الفخر الإربلي والمسلم المازني ومكرم بن أبي الصقر ، وعدّة . وروى الكثير ، وتفرد في وقته ، وأكثر الطلبة عنه والرحالة .

وكان خيّراً ناسكاً متواضعاً حَسَن القراءة محبباً إلى العامة .

خرّج له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى (مشيخة) . وسَمِع منه شيخنا أبو الفتح ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا الذهبي . وهو آخر من حدّث وسمع من ابن صبّاح .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٢٢٦ ـ علي بن محمد بن علي بن عبد القادر*

الإمام الشيخ نور الدين ابن الإمام كمال الدين أبي عبد الله الهمداني .

كتب لي في إجازته ولأخي إبراهيم ولأختي يواش[1] ، ومن ذكر اسمه في الإجازة ، بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة :

من بعد حمد الله ذي الإحسان ثم الصلاة على الرِّضي المنّان
لهم أجزت جميع ما لي أن أروّ يه على من نصَّ أهلُ الشان
وأنا عليّ بن محمد بن علي ابن الشيخ عبد القادر الهمداني
وإلى تميم نجلِ مُرٍّ نسبتي لأبي وأمّي قال ذا الجدّان
وولدت عام اثني ثمانين التي بعد المئين الست في رمضان

* الوافي : ١٧٨/٢٢ ، والدرر : ١١٢/٣ .
(١) في الوافي : « بواش » .

قلت : قوله : المنّان في وصف النبي ﷺ لا يجوز ، فإن النبي ﷺ لم يطلب الجزاء على بلاغ الرسالة ، ولم يمنّ على أحد بذلك ، كيف وقد قال [له][1] الله تعالى ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾[2] ﴿ بل الله يمنّ عليكم أن هداكم ﴾[3] .

ثم كَتَب بعض الفضلاء بخطه في النسخة التي بخط المصنف [المنقول][4] منها هذه النسخة ما صورته :

« المنان هو ذو المنّ ، سواء امتنّ بها أم لا ، والنبي ﷺ له المنن الجسيمة والأيادي التي لا تُحصى ، فإطلاق لفظ « المنان » عليه عندنا لا يمتنع ، فإنها صفة مدح ، ولذلك كانت من جملة الأسماء الحسنى ، وهي قائمة به ﷺ ، فأيُّ مانع من إطلاقها عليه ، وأمّا قوله تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ فهو في غير ما نحن فيه » .[5]

١٢٢٧ ـ علي بن محمد*

الشيخ الإمام علاء الدين أبو الحسن الشافعي المعروف بابن الرَّسام ، وكيل بيت المال والمدرس بصفد .

كان حسن الودّ ، جميل التحية والردّ ، ليس فيه شرّ ، ولا عنده أذى ، إذا كرّ وإذا فرّ ، يرعى عهود أصحابه ، ويؤويهم إلى رحابه ، ذا مروءة زائده ، وفتوة لمباني المجد شائده .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) المدثر : ٧٤/٦ .

(٣) الحجرات : ٤٩/١٧ .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) قوله : « ثم كتب بعض العقلاء .. ماصورته » ليس في (أ) ، (ق) ، وما بعده ثابت فيهما . وقد وقع هذا الكلام الآتي في (ق) بخطّ مغاير ، وجاء في خاتمته مانصّه : « هذا الفصل بخطّ علاّمة عصرنا تاج الدين السبكي » ، وهذا يؤكد أن هذه النسخة هي بخط المؤلف كما جاء على غلافها .

* الدرر : ١٠٥/٣ ، وفيه : « ابن محمّد بن صالح » .

وكان قد حفظ (التعجيز) ، وطالع عليه (شرح الوجيز) ، يكتب بيده اليسرى خطاً كأنه العقود المنظومه ، أو حلل الوشي المرقومه ، يُعجب كلّ من يراه ، ويجعل كل أحد إليه سيره وسراه .

لم يزل على حاله إلى أن جعل الموت ربع ابن الرسّام[1] رَسْمًا ، وعدم الوجود منه جسماً لا اسماً .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وقلت لمّا بلغتني وفاته بعد وفاة جماعة من الأصحاب في صفد :

لما افترسْتَ صحابي ... يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً ... بل كنت سبعاً يقيناً

كان والده جندياً ، واشتغل في مبادي أمره على شيخنا نجم الدين بن الكمال خطيب صفد ، ثم إنه نزل إلى دمشق ، واختص بالشيخ صدر الدين بن الوكيل بدمشق وبمصر ، وقرأ عليه وعلى غيره ، وسمع الحديث بدمشق وبمصر ، وصحب الأمير بكتمر[2] الحاجب ، وتوكل له . ولما حضر إلى صفد نائباً جاء إليه فأعطاه بها التدريس بالجامع الظاهري ، ثم فيما بعد أخذ وكالة بيت المال .

وكان عنده مشاركة في العربية والأصولين ، وكان يلثغ في الجيم يجعلها كافاً ، يشمّها شيناً معجمة ، وكان لو أكل فستقة واحدة عرق لها من فَرْقه إلى قدمه .

وكنت قد قرأت عليه في صفد كتاب (التعجيز) وهو الذي نقلني إليه بعد ما حفظت ربع (التنبيه) ، ولم يقطع عني مكاتباته في مصر ولا في الشام . رحمه الله تعالى .

(١) في الأصل : « ابن البرسام » ، تحريف .
(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين بكتمر » .

١٢٢٨ ـ علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح*

ابن إبراهيم بن أبي بكر بن القاسم بن سعيد بن محمد بن هشام بن عمرو[١]، الصدر[٢] الرئيس الفاضل العالم النحرير المدقق المفنن الفريد الخواجة تاج الدين أبو الحسن بن الصاحب موفق الدين بن عز الدين بن موفق الدين أبي الفتح الثعلبي[٣] الشافعي المعروف بابن الدُّرَيهم الموصلّي، مصغر درهم، والدُّرَيْهم[٤] لَقَبٌ لِسَعيد أخي محمد بن هشام، قال في وقت: « دريهماً »، فلزمه ذلك، وهو ابن أخت الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي المعروف بابن أبي الخير المقدّم ذِكرُه في حرف الخاء .

كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه، وغريبةً من غرائب الدهر تشرق سماء الفضل بذكائه، دقيق الغوص على المعاني شديد التنقيب[٥] على ما يتصف به من العلوم ويعاني، خاض بحار المَنْقول، وقطع مفاوز المعقول، خصوصاً فنّ الرياضي وما يتشعب فيه، والكلام على أسرار الحروف وما يلائم طبعه أو ينافيه . له قدرة على تأليف المناسبات واستحضار الأشباه والنظائر في المطارحات والمقايسات، تام الشكاله، وافر الجلاله :

أدب لم تصبه ظلمةُ جَهْل وهو كالشمس عند وقت الطلوع
ويدٌ لا يزال يصرعها الجُو د ورأي في الخَطْب غير صريع

وله تصانيف كثيرة في غير ما فنّ، وتواليف قنصت ما شرد فيه وما عن، وكانت

* الوافي : ٦٧/٢٢، والدرر : ١٠٦/٣ .
(١) في الوافي : « عُمَر » .
(٢) (خ) : « الصدر الكبير » .
(٣) في الوافي : « ابن الصاحب موفق الدين بن نجم الدين بن أبي الفتح التغلبي »، كذا وقع في (أ) : « التغلبي » .
(٤) في الأصل : « والدرهم »، وأثبتنا ما في (أ)، (خ) والوافي .
(٥) في الأصل : « الغوص »، وأثبتنا ما في (أ)، (خ) .

له نعمة طائلة فذهبت ، وسعادة خدمته أياماً ، فانجلت وما أنجبت ، وسعى فأخفق ، ولم بارق حَدّه[١] وما حقق .

وتوجّه إلى مصر غَيْرَ مرّة فما أجْدَى ، وكدّ حظّه فأعطى قليلاً وأكدى ، واستشار حتفه بسعيه الذي نَبَشه .

وآخِرُ ما أَوْلاَه أنْ توجه رسولاً إلى الحبشة ، فقطع الحَيْنُ عليه الطريق قبل وصوله ، ولم يقبض ابن الدريهم فيه فلساً من وصوله .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ومولده ليلة الخميس منتصف شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة بالموصل .

سألته عَنْ مولده فأخبرني بما أثبتّه ، وقال لي :

قرأت القرآن بالروايات على الشمس أبي بكر بن العَلَم سنجر الموصلي ، وتفقهت على الشيخ زين الدين ابن شيخ العوينة[٢] الشافعي .

وحفظت (الهادي)[٣] وبحثت (الحاوي الصغير) على الأشياخ ، منهم القاضي شرف الدين عبد الله بن يونس من شرح والده كمال الدين الصغير .

وحفظت في العربية (المُلْحَة)[٤] و (ألفيّة ابن معط) و (ألفية ابن مالك) ، وبحْثتُ في (التسهيل) .

وقرأت[٥] شيئاً كثيراً من الرياضيّ على الشيخ زين الدين ابن الشيخ العوينة[٦] .

---

(١) (خ) : « جدّه » .

(٢) (أ) : « زين الدين بن العوينة » ، وفي الوافي : « زين الدين علي بن العوينة » .

(٣) لعلّه الهادي في الفروع لمسعود بن محمد النيسابوري (ت٥٧٨ هـ) ، الكشف ٢٠٢٦/٢ .

(٤) هي ملحة الإعراب للحريري .

(٥) في الأصل : « وقرأت عليه » ، ولا وجه لها .

(٦) (أ) والوافي : « ابن العوينة » .

وسمعت بالديار المصرية على الشيخ علاء الدين بن التركماني ، وشمس الدين بن الأصفهاني ، ونور الدين الهمذاني [١] (صحيح البخاري) ، وسمعت بها (صحيح مسلم) و (سنن أبي داود) وبعض (الترمذي) .

وأجازني الشيخ أثير الدين أبو حيان ، وقرأت عليه بعض تصانيفه ، وأجازني جماعة أشياخ انتهى .

وتوفي والده وهو صغير ، خلّف نعمة طائلة ، فاستولى عليها بيت شيخ البلد بالموصل كمال الدين ، ومعين الدين بن الريحاني ولم يُطْلِعوه منها إلاّ على القليل ، وانتشا يتيماً وهو بنفسه وهمته يجتهد ويشتغل في العلم ، ولم يكن له من يحرّضه على ذلك . ثم إنه لما اشتد تسلّم مقداراً يسيراً من ماله من بيت شيخ البلد ، وسافر به إلى الشام ومصر ، وحصّل من ذلك ثروة عظيمة ، ثم ذهبت .

قلت : أول قدومه إلى مصر في متجر في زي الخواجية[٢] سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنّه عاد إلى البلاد ، وتردد بعد ذلك إلى الشام[٣] ومصر غير مرّة ، ولم أر أحداً أحدّ ذهناً منه في الكلام على الحروف وخواصّها ، وما يتعلق بالأوْفاق[٤] ، وأوضاعها . ورأيت منه عَجباً . وهو أنّه يقال له ضميرٌ عن شيء يكتبه السائل بخطّه ، فيكتُبُه هو حُرُوفاً مقطّعة ، ثُمّ يكسّر تلك الحروف على الطريقة المعروفة عندهم ، فيخرج الجواب عن ذلك الضمير شعراً ليس فيه حرف واحد خارجاً عن حروف الضمير ، وكونه يخرج ذلك نظماً قدرةٌ على تأليف الكلام ، وله مشاركة في غير ما علم من فقه وحديث وأصول دين وأصول فقه وقراءات ومقالات ومعرفة فروع

---

(١) في الوافي : « ابن الهمذاني » .

(٢) (أ) ، (خ) : الخواجكيّة » .

(٣) في الأصل : « التتار » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

(٤) في الأصل : « بالحروف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) والوافي .

من غير مذهب وتفسير ، وغير ذلك ، يتكلّم فيه[١] جدّاً كلامَ مَنْ ذهنه حادٌّ[٢] وقّاد ، وأما الحساب والأوفاق وخواص الحروف وحل المترجم والألغاز والأحاجي فأمر بارعٌ ، وكذلك النجوم وحل التقويم .

واجتمعت به غير مرّة ، وكتبت إليه :

نصحتك عن علم فكن لي مسلّما ... إذا كنت مشغوفاً بحلّ المترجم
تتلمذْ لتاج الدين تظفر بكلّ ما ... أرَدْتَ وردْ بَحْرَ الفضائل واغنم
فلابنِ دُنينير تصانيفُ ما لها ... نظيرٌ ولكن فاقها ابنُ الدريهم

وكانت له خصوصية بالملك الكامل شعبان وبغيره من أمراء الدولة الخاصكية وغيرهم من المتعممين[٣] أرباب الدولة ، إلى أن أغري به الملك المظفر حاجّي فأخرجه إلى الشام قبل قتله بقليل ، فوصل إلى دمشق بعد شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وذكر لي أن له في ديوان الخاص أثمان مبيعات وغيره ما يزيد على المئتي ألف درهم . وتوجّه مرّات إلى مصر ليخلص له في ذلك شيء ، فتعذر عليه الحال ، ولمّا وصل إلى دمشق سنة ثمان وأربعين وسبع مئة أقام بها قليلاً ، فورد كتاب الأمير سيف الدين بهادر دوادار الأمير سيف الدين بيبغاروس نائب مصر إلى الأمير سيف الدين قرابغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب الشام بإخراجه من دمشق ، فكبُس بيته ، وأُخذت كتبه ، وأخرج من دمشق في إحدى الجمادِيَيْن سنة تسع وأربعين وسبع مئة ،

(١) (أ) والوافي : « جيداً » .
(٢) (أ) : « حدٌّ » .
(٣) في الوافي : « المنعمين » .

فتوجه إلى حلب . وتوفي بعده دَوَادار بيبغاروس ، فعاد إلى دمشق في سنة خمسين عازماً[(١)] على الحج ، فلم يُقَدَّر له ، ثم عاد إلى حلب[(٢)] .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وأقام بها قليلاً ، ثم توجّه إلى مصر بطلب من هناك ، ثم عاد إلى دمشق . ثم إنه رُتب مصدّراً بالجامع الأموي ، ثم بعد قليل رتب في صحابة ديوان الجامع الأموي ، فباشره وعرفه جيداً ، فانحصر المباشرون منه ، وناكدوه ، فبطل المباشرة ، ورتب في استيفاء ديوان الأَسْرَى ، ثم إنه توجَّه في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة [أو أوائل][(٣)] سنة ستين إلى الديار المصرية . فأقام هناك سَنَتين أو أكثر ، ثم إن السلطان الملك الناصر بعثه رسولاً إلى ملك الحبشة ، فتوجّه غير منشرح ، وجاء الخبر إلى الشام بوفاته رحمه الله تعالى في قوص ذاهباً .

ونظْمُه فيه تكلّف وتعسّف . وكتب إليّ بعدة أحاجٍ ، وأجبته عنها ، وكتبت أنا إليه بمثل ذلك ، وأجابني عنها[(٤)] . وقد أودعت ذلك[(٥)] في كتابي المسمّى (نجم الدياجي في نظم الأحاجي) .

وكان ابن الدريهم ديناره في العلم[(٦)] كامل ، وغمام فضائله في فضاء الطروس هام هامل ، فلو عاصره البُوني[(٧)] لقال : هذا الذي يَبَرّني[(٨)] ويَحْبُوني ، أو ابن الدنينير[(٩)]

---

(١) في الأصل : « عاماً » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) (خ) : « ذلك جميعه » ، وفي (أ) : « أودعت الجميع » .

(٦) (أ) ، (خ) : « في العلوم » .

(٧) أحمد بن علي بن يوسف ، صاحب المصنفات في علم الحروف ، له : شمس المعارف الكبرى في علم الحروف والخواص (ت٦٢٢) ، الأعلام : ١٧٤/١ .

(٨) في الأصل و(خ) : « يسرّني » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٩) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، له الفصول المترجمة عن علم حلّ الترجمة (ت ٦٢٧) الأعلام : ٦٢/١ .

لقال : ماأنا كابن الدريهم عند لمح الطرف ، وهو في عمله[(١)] يفوق ويفوت وإن تفاوت فيما بيننا الصرف .

وعلى الجملة فكانَ في هذه العلوم آيَة وقَدَرَه[(٢)] قد تجاوز فيهـا كل حـد ، وانتهى إلى كل غاية ، وعاكسته في مراده الأقـدار ، ولم يُرفع لـه في المنـاصب مقـدار ، خلّـة ألفهـا الأفاضل من الدهر ، وطريقة عُوملوا بها في السرّ والجهر .

ومن تصانيفه ما نقلته من خطّه : (النسمات الفاتحة في آيات الفاتحـة) ، (إشراق النفس في الحمـدلات الخمس) ، (الـدرايـة في ﴿ مـا نَنْسَخْ من آيـة ﴾[(٣)]) ، (السبيـل الأوطـا في الصـلاة الـوسطى) ، (لطـائف الأحكام على ﴿ هـو الـذي يصـوّركم في الأرحام ﴾[(٤)]) (مدة البحور على ﴿ إنّ عدّة الشهور ﴾[(٥)]) ، (إضـاءة يُوح[(٦)] على ﴿ ويسـألـونـك عن الروح ﴾[(٧)]) ، (مثـاني الكتـاب المبين على أن قلب القرآن ﴿ يسٓ ﴾) ، (الآثار الرائعة في أسرار الواقعة) ، (منام النصوح في الكلام على سورة نوح) ، (أسرار البدر في ليلة القدر) ، (الافتحاص على سورة الإخلاص) ، العبارات في اختيار القراءات) ، (مناسبة الحساب في أسماء الأنبيـاء المـذكورين في الكتـاب) ، (نظـائر الآيـات والكلمـات المكررات) ، (النخب في التصـاديـق والخطب) ، (كنز الـدرر في حروف أوائـل السـور) ، (سبر الصّرف في سرّ الحرف) ، (الـزين في معـاني العَيْن) ، (المناسبات العددية في الأسماء المحمّدية) ، (غايـة المغنم في الاسم الأعظم) ،

---

(١) (أ) : « في تصرفه في العلوم » .
(٢) في الأصل : « وقدرها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .
(٣) البقرة : ١٠٦/٢ .
(٤) آل عمران : ٦/٣ .
(٥) التوبة : ٣٦/٩ .
(٦) من أسماء الشمس .
(٧) الإسراء : ٨٥/١٧ .

(البرهان على[1] عدم النسخ للمِلّتين من القرآن) ، (مداحض الإكراه في تناقض التوراه) ، (تعريف التبديل في تحريف الإنجيل) ، (نظم نفائس عقود الدرر الزاهرة في هدم كنائس اليهود بمصر والقاهرة) ، (الإنصاف بالدليل في أوصاف ماء النيل) ، (مكافأة الأقدار للأخيار والأشرار) ، (بوادر الحلوم في نوادر العلوم) ، (اليقين لمن به ندين في الدليل على خلافة الخلفاء الراشدين) ، (زجر السفهاء بآداب الفقهاء) ، (اختيار الراغب في اختيار المذاهب) ، (أسرار العبادات بتفصيل الإعادات) ، (شرح نظم الحاوي) ولم يكمل ، (فائدة الأبحاث بأحوال الوالدة في الميراث) ، (منسك الحج) ، (الرد على تقي الدين الإخنائي المالكي في مسائل متفرقة) ، (الْمُعْلِم بمعاضدات[2] مُسْلم) ، (الخيرة في حسن مسائل[3] الفال وكراهية الطِّيرة) ، (نفع الجدوى في الجمع بين أحاديث العدوى) ، (وشائع النوار في شرح لوامع الأنوار) ، ولم يكمل ، (تعريف الإفراد للمقتدي لتتمة الذهبي والصفدي) ، (خلاصة الخُلَاصة) ، نحو خمس مئة بيت ، (تسهيل التسهيل) ، (العروض المجملة من المسموعة والمهملة) ، (الزناد القادح في اختيار الصّادح) ، (ذات القوافي) ، (القصيدة الألفية) ، (المبهم في حل المترجم) ، (مختصر المبهم في حلّ المترجم) ، (مفتاح الكنوز في حل الرموز) ، (غاية الإعجاز في الأحاجي والألغاز) ، (مُشاجرة من انتصر في المفاخرة بين السمع والبصر) ، (رسالة التراضي بين الأمين والقاضي) ، (سيادة الخَيْم) ، و (البِصارة في أدب الأكل والزيارة) ، (نظم السلوك في آداب الملوك) ، (إيقاظ المصيب في الشطرنج والمناصيب) ، (تنويل الراثي في تأويل المرآثي[4]) ، (تنآئي المناظر في المنائي[5] والمناظر) ، (سلم الحراسة في علم الفراسة) ، (الإنافة على

(١) (أ) : « في الردّ على .. » .

(٢) في الأصل : « بمقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٣) ليست في (أ) ، (خ) ، (ط) .

(٤) (أ) : « الرائي » .

(٥) (خ) : « تنائي الناظر في المرائي » .

الضيافة) ، (تصاريف الدهر في تعاريف الزجر) ، (افتقاد الخرائد المواهر في انتقاد فرائد الجواهر) ، (تقرير الأبحاث في خواص المولدات الثلاث) ، (اختباء الاختبار) ، (الإساه بأدواء النسا والباه) ، (اقتناع[1] الحذّاق في أنواع الأوفاق) ، (بسط الفوائد في [شرح [2] حساب القواعد) ، (شرح الإسعردية في الحساب) ، (المناسخات المصرية) ، (الأجوبة القاهرية) ، (المناسخات الحلبية) ، (الأجوبة الحلبية) ، (المسألة الحموية) ، (الأجوبة الحموية) ، (الأجوبة الموصلية) ، (الترسلات الشاميّة) ، (الأجوبة الشامية) ، لم تكمل ، (رسالة النصح العلوي على لسان الجامع الأموي) ، (إخلاص الخواص) . تمت .

وأنشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه :

صَدَّ عني فلم تلم يا عذولي لستُ أسلو هواه حتى المَمات
لا تقل قد أسا ففي الوجه منه حسنات يذهبن بالسيئات[3]

١٢٢٩ ـ علي بن محمد*

الصاحب علاء الدين بن الحراني .

جاء إلى دمشق عوضاً عن الصاحب أمين الدين ، فما أقبل عليه الأمير سيف الدين تنكز ، ولا توهم فيه أنه لمثل درّة الشام يُحرِز ، ولا أن معرفته لإظهار سرائرها تُبْرِز ، فتركه واقفاً وما أجلسه ، واستوحش منه فما آنسه . وكأنَّ نَفْسَه رحمه الله تعالى استشعرت بشؤمه ، وأنّ هذا يستخرج مخبوء ماله ومكتومه ، فما كان بعد قليل حتى أمسكه السلطان ، وحكّم أيدي العَيْث والفساد فيما عمّره من الأوطان ، وعُرِضت على الصاحب

(١) (أ) : « إقناع » .
(٢) زيادة من (أ) ، (خ) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « فهلا تقل » .
* الوافي : ١٧٩/٢٢ ، والدرر : ١٢٤/٣ .

علاء الدين حواصله وأمواله ، وآلاتُ بيوته وغلالُه ، فلم يدع خَبيئاً إلاّ أظهره ، ولا مكتوماً إلاّ استخرج مُضْمَره ، حتى قال مماليكه : أين كان لنا هذا مخبوءا ، وما نرى هذا الصاحب إلاّ عدوّا .

ثم إنه استمر بدمشق إلى أن جاء الفخري وملكها ، وسلك تلك الطريق التي سلكها ، فتلقى الصاحب علاء الدين ذلك المهم [الأعظم بصدره ونهض بعبئه الذي يعجز غيره عَنْ دفع شرّه ، وأراد ذلك المهمّ أموالاً يفوت الحصرَ عَدُّها ونفقات يُخْجِلَ البحار نَقْدُها ، ثمّ إنّه استعفى من نظر الشام فأجيب ، وخلص من الأمر العجيب ، ثم إنّه تولّى أيام الكامل شعبان فعاد إلى دمشق ثانيا ، واتفق خروج يلبغا على السلطان وأصبح عن طاعته نائيا ، فكلّفه إلى نظير ذلك المهم][1] . وعاوده ذلك الخطب الملم :

وإذا خشيت من الأمور مُقَدَّراً وفررت منه فَنَحْوَهُ تتوجّه

ولما[2] انقضى ذلك الخطب الذي عرا والحادث الذي دهم الورى ، استعفى فأعفي ، وحظّه لا يمكّن طرفه أن يُغفي . ثم لَمّا أن قُتل يلبغا حضر الحوطة على موجوده ، وضبط ما في أغوار حاصله ونجوده ، فقضى هذا المهم وأكمله ، وفصّل طلب الإعفاء من أمر دمشق وأجمله . وقال : ما أدري حظي من دمشق ما هو ؟ ، والناس بمثل حسنها لم يضاهوا :

أظمتنَي الدنيا فلمّا جبتها مُسْتمطراً مطرت عليَّ مصائبا[3]

ولكنه في هذه المرات الثلاث ، والكرات الخباث ، يباشر بصلف زائد ، وعفاف غصنه بنسيم النزاهة مائد ، لم يخن في قليل ولا كثير ، ولا تَعَرّض إلى فتيل ولا نقير . واشتهر بالأمانة عند الملوك ، وصار خَبَره في ذلك كالشمس عند الدُّلوك .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « وما » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « مستسقياً » .

وما زال [بالقدس][1] منقطعاً إلى أن نزل به ضَيْف[2] المنيه ، وطفئت قناديله المضيَّه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة بالقدس .

وأول ما عرفت من أمره أنه كان يكتب الدرج عن الأمير فخر الدين[3] أقجبا الفارسي مشد الدواوين بصفد ، وكان يُعرف إذ ذاك بعلاء الدين بن المقابل ، لأن أباه كان مقابل الاستيفاء بصفد ، ثم إنه خدم كاتباً للأمير عز الدين أيدمر الشجاعي نائب قلعة صفد . وكان فيه إذ ذاك كيسٌ ولطف وذوق وانهماك على عشرة المطابيع والفضلاء ، وبيته[4] مَجْمَعُ الأصحاب والعُشَراء ، وفيه مكارم وخدمة للناس ، [ثمّ إنّ الشجاعي توجّه إلى البيرة نائباً فلم يتوجّه معه][5] .

ثم إنّ الشجاعي جاء إلى القدس ناظر الحرمين ، وكان الصاحب علاء الدين عنده ، ثم إنه ترك ذلك جميعه ، وتجرد ولبس زيّ الفقراء ، ودخل اليمن بالكجكول والثوب العَسَلي ، وغاب هناك مدة ، وجرت له أمور شاقة ، حكاها لي من[6] الأمراض والوحدة والفقر .

ثم إنه حضر إلى دمشق ، وتوجّه إلى مصر في أواخر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه خدم كاتباً عند الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب [ولمّا مات خَدَم عند الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي الوزير][7] . ولما مات خدم عند الأمير سيف الدين طغاي

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « سيف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « سيف الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في الأصل : « بيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

تمر ، صهر السلطان الملك الناصر ، واشتهر في مصر بالكفاية والأمانة . ولما مات جهّزه السلطان إلى الكرك ناظراً فتقلّق من ذلك ، وحضر إلى مصر ، فخدم عند الأمير سيف الدين قوصون مدة يسيرة . ثم إنّ السلطان جهّزه إلى دمشق وزيراً عوضاً عن الصاحب أمين الدين ، فباشرها مباشرة حسنة بعفة وصلف زائد ، وجاء الفخري ، وجرى ما جرى ، فقام له بكل ماأراد ، ومنعه من أشياء كان يريد يفعلها من مصادرة الناس ، فقال له : مهما أردت عندي . وتوجه معه إلى مصر ، وطلب الإقالة ، فرُتب له مرتب[١] ، وأقام مدة على ذلك .

ثم إنّ الكامل شعبان طلبه وجهزه إلى دمشق وزيراً ثانياً[٢] ، فلما وصل [٣] إليها اتفق خروج يلبغا على الكامل ، وحضر إليه النواب من أطراف الشام ، وأراد لهم نفقات وكلفاً كثيرة فقام لهم بذلك المهم وسدّه ، ولم يمكن يلبغا من التعرض إلى [أموال] [٤] الناس ، وتوجّه لمصر ، وعمل تقديراً للشام ، وحضر وهو على يده ، فلم يمش له حال ، فطلب الإقالة وتوجّه إلى القدس ، وانقطع به .

ثم حضر للحوطة على موجود يلبغا[٥] ، فضبطه ، وحرره ، وعاد إلى القدس منقطعاً إلى الله تعالى .

وكان به فتَق فعظم وتزايد ، وكان في عانته ، فلم يزل ينمو إلى أن كان يعلقه في فوطة إلى عنقه ، وتفاقم أمره في ذلك الفتق إلى أن قتله ، رحمه الله تعالى .

وفي هذه المرات التي يحضرها إلى دمشق لم يوسع له دائرة ، ولا اتخذ مماليك ولا جواري ولا خدام[٦] ولا فعل ما يجب لمثل هذه الوظيفة من البذخ والخدم والحشم ،

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « راتب » .
(٢) في الأصل : « نائباً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « فلما حضر » .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « عبد الله » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٦) كذا في الأصول .

بل له غلام يحمل الدواة وغلام للخيل ، وغلام يطبخ لـه ويغسل لاغير ، وإذا خلا سمع الحديث ، أو طالع [في][1] مجلدات عنده .

ولما أن توفي السلطان الملك الناصر جلس ولده المنصور أبو بكر ، وحلف عسكر دمشق ، وقد كانت العادة[2] أنه في مثل هذا الواقع يخلع على الموقعين وعلى كتّاب الجيش كما فعل في كل مرة قبل هذه ، فتحدّث الجماعة معه في[3] ذلك ، فوعد بذلك ، واجتمعتُ أنابه في ذلك ، فقال : أنا ما ألبس تشريفاً حتى يلبس الجماعة تشاريفهم . فكتبت أنا إليه بعد ذلك :

مماليك مولانا الوزير جماعة لهم بتشاريف المليك غرام
ولا غرو أن هاموا بها في حدائق لأنهمُ بالمدح فيك حمام

١٢٣٠ ـ علي بن محمد بن يوسف الموصلّي*

الشيخ المعروف بالبالي ، بالباء الموحدّة .

كان رجلاً مباركاً ينوب في الإمامة بمشهد عثمان بالجامع الأموي .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكتب في الإجازات ، وحفظ (التنبيه) واشتغل على الشيخ تاج الدين الفزاري .

توفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس عشر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في مقابر باب الفراديس .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « العادة جارية » .
(٣) زيادة في (أ) ، (ق) : « في مثل » .
* الدرر : ١٢٣/٣ .

١٢٣١ ـ علي بن محمد بن عبد القادر*

العدل الرضي ، علاء الدين ابن قاضي القضاة عزّ الدين[(١)] بن الصائغ ، أخو القاضي بدر الدين بن أبي اليسر بن الصائغ[(٢)] .

توفي علاء الدين بسكنه بالمدرسة العمادية[(٣)] ، جوار قلعة دمشق سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

كان يشهد على الحكام ، والقضاة يعتمدون عليه في شهاداته ، وأكثرُ أهلِ البلد يكتبون عنده .

١٢٣٢ ـ علي بن محمد**

المعروف بابن الكلاّس ، وبابن الريّس ، وكان هو يكتب على المجلدات : عليّ الدواداري ، الفاضل الأديب الماهر علاء الدين .

كان يتوقد ذكاؤه ، وتشرق في سماء الأدب ذُكاؤه . جمع مجاميع أدبيّه ، وعلّق نكتاً حديثيّه ، واقتنى من الكتب جمله ، وأثقل بها حُمْلَه .

وسمع من المشايخ وعلّق ، ووفّى نُبُلَ أدبه وغلّق . وكان خطّه يتحدّر كالسيل ، ويتألق كالبرق في الليل ، يدلّ على قوة يده وتسرعها ، وملاءتها من القدرة وتضلّعها .

وكان جندياً في حَلقة جلّق ، وحِرْفَتُه من أرباب السيوف التي هو بها متعلّق .

---

* الدرر : ٣/١٠٩ .

(١) في الأصل : « عماد الدين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) وتوفي عز الدين سنة (٦٨٣) ، واسمه محمد بن عبد القادر . البداية والنهاية : ١٣/٢٠٤ .

(٢) واسمه أيضاً محمد (ت٧٣٩) ، الشذرات : ٦/١٢٣ .

(٣) داخل بابي الفرج والفراديس ، بناها عماد الدين إسماعيل بن نور الدين زنكي . الدارس : ١/٣٠٨ .

** فوات الوفيات : ٣/٩٣ ، والدرر : ٣/١٢٣ .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ ابن الكلاّس ، ولم يضئ له جَلاّسٌ[١] بين الجُلاّس .

وتوفي رحمه الله تعالى بقرية حطّين من بلاد صفد ، قبل الثلاثين وسبع مئة ، أو ما بعدها .

ورأيته بدمشق غير مرّة . وكان قد وقع بينه وبين صاحبنا زين الدين الصفدي ، وعبث به ، وصنع فيه مقامةً . ومن شعره :

خَليليّ ما أحْلَى الهَوَى وأمرَّهُ ... وأعرفني بالحُلْوِ منه وبالمرّ[٣]
بما بيننا مِنْ حُرْمةٍ هل رأيتما ... أرقّ من الشكوى وأقسى من الهجر

ومنه :

سقطت نفوس بني الكرام فأصبحوا ... يتطلّبون مكاسبَ الأنذالِ
ولقلّما طلب الزمان إساءتي ... إلا صبرت وإن أضرّ بحالي
نفسي تطالبني وتأبى همتي ... أنْ استفيد غنىً ببذلّ سؤالِ[٤]

قلت : وقد أولع الشعراء بهذا المعنى ، ومما قلت أنا فيه مضمّناً قول المعري :

قضت لي أن لا اشتكي الدهر همتي ... ولو ساورتني أُسده والأساود[٥]
وأن لا أنال الرزق في دار ذلة ... ولو أنني في هالة البدر قاعد

ومن شعر ابن الكلاس :

تقدّمت فضلاً مَنْ تأخر مدةً ... بوادي الحيا طلّ وَعُقْبَاه وابل

---

(١) لم نتبيّن مراده .

(٢) في الأصل : « بيني وبينه » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والدرر .

(٣) (أ) ، والفوات : « وأعلمني » .

(٤) (أ) : « تراودني » .

(٥) في الأصل : « للدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) .

وقــد جــاء وترٌ في الصــلاة مــؤخراً ... بـه خُتِمت تلـك الشفـوع الأوائـل[١]

ومنه :

فكرت في الأمر الـذي أنـا قـاصـدٌ ... تَحْصيلَـهُ فـوجـدتُـه لا يَنْجَـح
وعَلِمْتُ من نصف الطريق بـأنَّ مَنْ ... أرجـوه يَقْضي حـاجتي لا يُفلـح

ومنه يُلغز في « القلم » :

مـا اسم لـه في السماء فعـلٌ ... والأرضُ فيهـا لـه مكان
ينطـق بين الأنـام حقّـاً ... بصَمْتِـه إذْ لَـهُ لِسـان
فـاعْجَبْ لـه نـاطقـاً صمـوتـاً ... لـه على الصمت ترجمـان

ومنه يلغز في « الرغيف » :

ومُسْتـدير الـوجـه كالترس ... يجلس للنـاس على كُرْسي
يَـدْخـل فيـه البـدرِ حمّـامـه ... وبعـدهـا يخرج كالشمس
يـواصـل السلطـان في دَسْتـه ... واللصَّ في هـاويـة الحبس[٢]
لـو غـاب عن عنترةٍ ليلـةً ... وَهَتْ قـوى عنترة العَبْسي

ومنه :

مَنْ مبلـغٌ غبريـل أنَّ رَحيلَـهُ ... جَلَب السرور وأذهب الأحـزانـا[٣]
والنـاسُ من فرط الشماتـةِ خَلْفَـهُ ... كَسَرُوا القـدورَ وأوقـدوا النيرانـا

ومنه :

وأهيفَ تحكي البـدرَ طلعـةُ وجهـه ... وإن لم يكن في حُسْن طلعتـه البـدر[٤]

---

(١) في الفوات : « وترا » .
(٢) في الفوات : « يوصّل » .
(٣) في الفوات : « غربيل » .
(٤) في الفوات : « حسن صورته » .

خَلَوْت بـه ليـلاً يـدير مـدامـة ... وجنحُ الـدجـا دون الرقيب لنـا ستر
فلمـا سَرَت كأس الحميّـا بعطفـه ... ومـالَتْ بـه تيهـاً ورنّحـه السكر
هَمَمْتُ برشف الثغر منـه فصـدّني ... عـذارٌ لـه في منـع تقبيلـه عُـذر
حَمَى ثغره المعسـولَ نمـل عـذاره ... ومِنْ عَجب نمـل يصـان بـه ثغر

وكان المُجير الخيّاط قد كتب إلى علاء الدين بن الكلاس أبياتاً كتب بها إلى غيره أوّلاً وأوّلها :

عـلاء الـدين إن تنسَ الـودادا ... وتمنحنـا القطيعـةَ والبعـادا

فأجابه علاء الدين عنها بأبيات أولها :

مجير الـدين فتّ النـاس نَظْما ... ونثراً واختيـاراً وانتقـادا

ثم إنّ علاء الدين عَلِم أن المجير كان قد كتب بها إلى غيره ، فكتب المجير إليه ، ومن خطّه نقلت الأصل والجواب :

يـا عـلاء الـدين يـا من ... طـاب بـالآداب ذِكْرُه(١)
ولـه عَرْفُ ثنـاءٍ ... عطّر الأقطـارَ نشرُه
نَظْمُـه فـاق الـدّراري ... ونظـامُ الـدّرّ نثره
أيهـا الصـدرُ الـذي حـا ... ز علـومَ النـاس صَـدْرُه
والأديبُ الشهم قنّـا ... صُ المعـاني الغرِّ فكْرُه
والجـواد الجـائـد الحـا ... وي بحـارَ الجـود شَبْرُه(٢)
عنـدنـا منـك حيـاءٌ ... جَلّ عنـد النـاس قَـدْرُه
إذْ بعثنـا نحـوك الشعـر الـذي فُصّـل شَـذْرُه

---

(١) (أ) : « طار » .

(٢) في الأصل : « الجواد » ، وأثبتنا ما في (أ) . وفي (أ) أيضاً « سبره » .

وبــــه غَيْرك من قبـلــــك قـــد قُلّـــد نَحْرُه

فـــاغتفر هفـوةَ هــافٍ جـاء بـالأعـذار شِعْرُه

وليَفُــزْ منـــك بعَفْــوٍ ولْيَقُم عنــدك عُـــذْرُه

فكتب علاء الدين الجواب عن ذلك :

يـــا مجير الــدين يـــا مَنْ أعجـــــز الألسن شكرُه

ولـــه بحرُ نـــوالٍ غَمَر العـــافين غَمْرهُ

والــذي يحلـو بــأفـوا ه ذوي الألبـاب ذِكْرُه[1]

والــــذي بـــذّ فحــول الشعر في المضمار شِعْرُه

والــــذي فــوق السّماكين وفــوق النسر قَـــدْرُه[2]

كلٌّ مِفضـــال أيـــاديــه بهـــا قُلّـــد نَحْرُه

أيّهـــا الحبر مجير الـــدين والمحمـــودُ خُبْرُه

جـــاءني مِنْـــك قريضٌ يُسكر الألبـــاب خَمْرُه

جـــامـعٌ درَّ المعــاني عُــوْنــه فيـــه وبكْرُه

حــلّ في القلب كما حـــلّ بروض الحــزن قَطْرُه

بـل كما ضــاء لســاري اللــيـل في الظَّلْمــاء بَــدْرُه[3]

نحــو من يطلب من جُــو دك أن يَبســط عُــذْرُه

عبــد إخـلاص تســاوَى سرُّه فيـــك وجَهْرُه

وإلى رؤيـــا محيّـــا ك فنيْ والله عُمْرُه[4]

(١) في الأصل : « فِكره » ، وأثبتنا ما في (أ) .

(٢) النسر : كوكب .

(٣) زاد بعد هذا البيت في (أ) :

ســافراً جـا يبســط العـذ ر من أفقـــك فجره

(٤) (أ) : « صَبْر » .

١٢٣٣ ـ علي بن [محمد بن] أحمد*

ابن سعيد بن سالم بن عمر بن يعقوب ، القاضي علاء الدين أبو الحسن[١] المعروف بابن الفامي ، المحتسب بدمشق

اشتغل بمذهب الشافعي ودرّس ، وأدْلج في طلب العلم وعَرّس ، وسهر ودأب ، ومهر لّما طلب ، واشتغل بالشام ومصر ، وتوجّه إلى الإسكندرية ، ولم يؤخذ [له][٢] على السعي إصر . وتولى تدريس المدرسة الأمينيه ، وصفا ظاهره في ذلك والنيّه . ثم باشر الحِسْبَه ، ووفّر الله تعالى منها كسْبَه ، وأقام فيها مدة وعُزل ، وكان قد طلع بَدْرُه فيها كاملاً ، ثم أَفلَ لا بل خسف[٣] وخزل ، وثمّر فيها أموالا ، ولم يُبَلْ بالدهر أعاداه أم والى . وعمّر أملاكاً لها صوره ، وذخائر غير محصوره . ثم إنه وليها ثانيا ، وردّ الدهر عنان سعده ثانيا ، إلاّ أنه أخنى عليه بعد مدّة يسيره ، وجعل عَيْنَ تطلّعه إليها حَسيرةٍ . ولكنه جبر وقته مع الله بالتوبة منها ، وترحّل عن امتطاء صَهْوَتِها[٤] ، ونزل عنها ، وخفّ منها حاذُه[٥] ، وأقلع غيم وابله وقلّ رذاذه . وكان قد أنهكه المرض ، وزال عن أعاديه إليه الغَرَض .

ثم إن ابن الفامي ألفى ميّ المنيه ، وسُدّدت إليه سهام الحَيْن من تلك الحَنيه .

وتوفى رحمه الله تعالى في بكرة السبت سادس عشري صفر سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

---

* البداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٧٣/١ ، والدرر : ١٠٣/٣ ، والدارس : ١٥٠/١ ، وما بين حاصرتين زيادة من (أ) والوفيات والدارس ، وما وقع في الأصل يشبهه ما في (خ) .

(١) (أ) ، (خ) : « أبو الحسن الأنصاري » .

(٢) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٣) (أ) ، (خ) : « كسف » .

(٤) في الأصل : « شهوتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

(٥) الحاذ : الظهر والمتن .

ومولده في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

كان قد حفظ (التنبيه) في الفقه ، و (العمدة في الأحكام) و (مقدمة ابن الحاجب) ، [و (مختصر) ابن الحاجب][1] ، وسمع من زينب بنت الكمال ، وأبي عمرو عثمان بن سالم بن خلف[2] ، ومحمد ابن إسماعيل بن الخباز[3] ، والحافظ أبي الحجاج المزي ، وزينب بنت الخباز ، ومن بهاء الدين بن إمام المشهد[4] ، وعليه اشتغل بالعلم وبه تخرّج .

وكان أولاً قد تزوج بابنة القاضي زين الدين بن النجيح الحنبلي نائب قاضي القضاة علاء الدين بن المنجا ، وكان يكتب الحكم عنه بالمدرسة الجوزيّة ، وكان تولّى الأمينية مدرّساً بها في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة لما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق في واقعة بيبغاروس بعد وفاة ابن عمّه بهاء الدين بن إمام المشهد ، ثم إنه تولّى حسبة دمشق في أوائل سنة أربع وخمسين وسبع مئة في أيام الأمير علاء الدين [أمير][5] علي المارديني ، ثم تزوج زوجة ابن عمّه أيضاً وهي الحموية ، فورثه في مدرسته وفي الحسبة وفي الزوجة .

وعزل من الحسبة سنة تسع وخمسين بالقاضي عماد الدين الشيرجي ، ثم تولاّها في شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ثم إنه [لمّا][6] أثقل حاله في المرض نزل عنها من ذاته ، وخلف عدّة من الأولاد الذكور وغيرهم ، واشتملت تركته على ثلاثة مئة ألف درهم ما بين عين وأملاك ومجلدات وغير ذلك .

---

(١) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٢) (ت ٧٤٥) ، والدرر : ٢/٤٣٩ .

(٣) (ت ٧٥٦) ، الدرر : ٣/٣٨٤ .

(٤) محمد بن علي بن سعيد (ت ٧٥٢) ، الدارس : ١/١٤٨ .

(٥) زيادة من (أ) ، (خ) .

(٦) زيادة من (خ) ، وفي (أ) : « ولما أثقل » .

كان لي تنوّر قَدْ تَعَطّل في أيام حسبته الأولى ، فكتبت أنا إليه في ثامن شهر ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وسبع مئة :

يا سيداً هو بالإحسان محتسب ... أجراً يوازنه في الحشر ثهلان[(١)]
أشكو إليك من التنور عطلته ... وأنت في العلم والإفضال طوفان

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

يا سيداً هو في الإفضال مبتدأ ... وفي البلاغة والآداب سَحبان
عجبت من عطلة التنور لاعجب ... لو جاء أمْرُك لي وافاه طوفان

١٢٣٤ ـ علي بن محمود بن إسماعيل بن معيد*

الأمير علاء الدين البعلبكي .

كان شكلاً طوالا ، جسيماً لم يُرَ له مثالا ، بديناً إلى الغايه ، بديلاً من الفيل في العظم والنهايه ؛ إلاّ أنه كان من رجالات الناس رياسه ، ودربة وخبرة ومعرفة وسياسة ، خبيراً بالأمور ومعالجة الجمهور ، دون دهاء وخداع ، ومَلَقَةُ مَلقٍ واتضاع ، خدم الناس وتقدّم ، وتقرّب إليهم فأحمد عقبى ذلك وما تندّم ، فانتقل من الجندية إلى إمرة العشره ، ثم إلى الطبلخانات والولايات المشتهره ، وولي نظر[(٢)] الأوقاف بدمشق مدّه ، ثم تولّى القبليّة ويده إلى أعلى من ذلك ممتده .

وكان تنكز يحبّه لمعرفته ، ويقرّبه ويولّيه لدرايته ودربته .

ولم يزل في صعود ، ومراقي سعود ، إلى أن مرض بالقبلية ، وقدم إلى دمشق فطالت علته ، ولم تستدّ بالعلاج خلّته ، ونُشرت له من الكفن حُلّته .

(١) في الأصل و (أ) : « نهلان » ، وأثبتنا ما في (خ) . وثهلان : جبل .

* الدرر : ١٢٥/٣ ، وفيه : « سعد » موضع « معبد » ، تحريف .

(٢) (أ) : « شدّ » .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس عشري ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة [ودُفِنَ بالمِزّة .

وكان قد لبس للإمرة بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة][١] هو وعز الدين خطاب وسيف الدين بكتمر ومملوك الأمير سيف الدين بكتاش .

ووَلِي البرّ بدمشق عوضاً عن الأمير شرف الدين بن البرطاسي[٢] في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة . ثم إنه ولي شدّ الأوقاف في سابع عشري شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة مضافاً إلى ولاية البر ، ثم إنه عزل منهما[٣] وتولى القبلية بحوران يوم الخميس ثالث عشر شوال سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر والي الولاة ، وتولى أخوه الأمير بدر الدين بن معبد شدَّ الأوقاف ، وتولّى ولاية البر علم الدين الطرقجي[٤] .

وكان أبوه شرف الدين تاجراً ببعلبك من عُدولها ، فنشأ ولده هذا وتعلّق بالدول وخدمها إلى أن تولى شدّ الأوقاف بدمشق ، وتولّى البر مدة ، ثم جّهز إلى القبلية ، فقلق فيها ، ومرض ، وحضر إلى دمشق إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان قد سمع من المُسْلِم بن علاّن ببعلبك في سنة سبع وسبعين وست مئة قطعة من (مسند الإمام أحمد) .

قال شيخنا البرزالي : وسمع بقراءتي ببعلبك سنة إحدى وثمانين وست مئة .

وسيأتي ذكر أخيه الأمير بدر الدين محمد بن معبد في مكانه إن شاء الله تعالى .

وكان من سمنه إذا نام يحرسه اثنان ، فإذا غط أنبهاه . فيقال إنهم غفلوا عنه [فنام

(١) زيادة من (أ) .

(٢) عيسى بن عمر ، ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

(٤) سنجر ، سلفت ترجمته . ووقع في الأصل و (ط) : « الطرنجي » .

فَغَطّ] فمات[١] ، والله أعلم . كذا جرى للأمير سيف الدين كشلي الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى .

١٢٣٤ ـ علي بن محمود بن حُمَيد*

العلاّمة البارع علاء الدين أبو الحسن القونوي الحنفي الصوفي ، المدرّس بالقليجية .

سمع من الحجّار ، والجزري ، وعدّة . ودار على المشايخ قليلاً وحُبّب إليه الآثار ، وخُرِّجَت له (مشيخة) ، ولازم الكلاّسة يُقْرئ العلوم فيها ، وينفع من كان طالباً نبيها ، مع ديانة لا تجهل ، وصيانة لا يسمع أحد بذكرها إلاّ ويُنْذَهَل ، وتواضع على علّو قدره ، وسمّو بَدْره ، ودنوّ غيثه في[٢] العلم وقَطْره ، أقام على ذلك برهه ، ولأهل العلم بفوائده في كل وقت نزهه .

ولما توفي شيخ الشيوخ القاضي بدر الدين المالكي تولّى هو مكانه ، وقال له المنصب باستحقاقه : كن ، فكانه .

وأقام فيه قليلاً إلى أن حشرج صدره ، وأفلَ من سماء الحياة بَدْره .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر[٣] رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان يعرّب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية . وكان يقرئ الطلبة في البَزْدَوي[٤] وابن الساعاتي وفي (منهاج) البيضاوي ، وفي

(١) في الأصل : « غفلوا عنه ، فمات ففغط » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

* الوافي : ٢٢/١٨٨ ، والدرر : ٣/١٢٦ .

(٢) (خ) : « من » .

(٣) (أ) ، والوافي : « في أوائل شهر » .

(٤) له كتاب الأصول . انظر كشف الظنون .

(مختصر) ابن الحاجب ، وفي (الحاجبية) ، وربما أقرأ في (الحاوي الصغير) للشافعية .

ولما توفي قاضي القضاة شرف الدين المالكي تولّى هو مشيخة الشيوخ مكانه ، وكان القاضي[1] شرف الدين يأخذ من كل خانقاه في الشام في كل شهر عشرة دراهم ، وفي كل يوم نَصيبين . ولمّا تولّى القونوي ذلك أبطله ولم يتناوله .

وكان فيه سكون زائد إلى الغاية رحمه الله تعالى . وممن قرأ عليه أخي إبراهيم رحمه الله تعالى في (المنهاج) للبيضاوي .

١٢٣٥ ـ علي بن محمود بن إبراهيم*

الشيخ الصدر الرئيس علاء الدين بن جوامَرْد الفرّاء .

كان رجلاً جيداً مشكور السيرة ، يقصده الناس ، ويقضي حوائجهم ، قارب التسعين[2] ، وكان تاجر الخزانة ، وله على ذلك معلوم .

توفي رحمه الله تعالى في سادس عشري المحرّم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٢٣٦ ـ علي بن مخلوف**

ابن ناهض بن مسلم النويري ، قاضي القضاة زين الدين أبو الحسن المالكي .

حكم بالديار المصرية نيّفاً وثلاثين سنة .

---

(١) في الأصل : « وكان الشافعي القاضي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (خ) .

* الدرر : ١٢٥/٣ .

(٢) في الأصل : « السبعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ١٨٩/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٩٠/١٤ ، والدرر : ١٢٧/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٨/١ ، والشذرات : ٤٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٩٢/٢ .

سمع المرسي ، وروى عنه . وسمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وغيرهما .

كان كثير الْمُرُوّه ، غزير الفتوه ، وافر الاحتمال ، كثير الإحسان إلى أهل العلم والاشتغال ، يكرم العدول ، ولا يُرى له عن تعظيمهم عدول ، قد درب الأحكام فصار ابن بجدتها [وخَبِر فَصْلَ القضايا ، فما تخفى عليه وهْدَتُها مِنْ نجدتها][(١)] ، وكان به لمصر فخار ، وللمنصب به اشتهار .

ولم يزل على حاله إلى أن اعترف أجَلُه بما جَحد ، وأصبح ابن مخلوف ، ولم يخلفه أحد .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري شهر جمادى[(٢)] الآخرة سنة ثماني عشرة وسبع مئة .

ومولده بالنُوَيْرة من أعمال البهنسة أربع وثلاثين وست مئة . وأظن الشيخ صدر الدين بن الوكيل [فيه][(٣)] يقول :

إلى مالك يعزونه ونويرةٍ فلاعجب إن كان يُدعى متمما[(٤)]

ولولا أن هذا البيت من الْمُرْقِص لم أذكره هنا .

وتولّى القاضي زين الدين بن مخلوف رحمه الله تعالى قضاء الديار المصرية في أواخر سنة خمس وثمانين[(٥)] وست مئة عقيب وفاة ابن شاش[(٦)] . ولّما توفي هو رحمه الله تعالى تولى المنصب بعده قاضي القضاة تقي الدين [ابن][(٧)] الأخنائي .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « ربيع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) والبداية .
(٣) زيادة من (أ) ، (ط) .
(٤) (أ) : « ولا عجباً » .
(٥) في الأصل : « وثلاثين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .
(٦) في البداية والنهاية ٣٠٨/١٣ : « تقي الدين برساس » ، تحريف .
(٧) زيادة من (أ) ، (ط) .

وكان السلطان الملك الناصر في سنة إحدى عشرة وسبع مئة قد عزل ابن مخلوف وأمر القاضي الشافعي أن يتخذ قاضياً مالكياً نائباً له من جهته ففعل ذلك ثم أعيد القاضي زين الدين بن مخلوف إلى مكانه .

١٢٣٧ ـ علي بن مسعود بن نفيس بن عبد الله*

الفَقيه المحدّث الصالح الزاهد نور الدين أبو الحسن الموصلّي الحنبلي [الحلبي][١] نزيل دمشق .

سمع من أبي القاسم بن رواحة وغيره بحلب ، ومن إبراهيم بن خليل .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وحدثني أنه سمع من يوسف بن خليل ، ولم يظفر بذلك ، وسمع بمصر من الكمال بن[٢] الضرير ، والرشيد ، ومن[٣] أصحاب البوصيري ، وعني بالحديث ودرب قراءته ، وكانت مُفَسَّرةً نافعة ، وحصّل الأصول ثم ارتحل إلى دمشق ، فأكثر عن ابن عبد الدائم والكرماني وابن أبي اليسر والموجودين .

وكان يجوع ويشتري الأجزاء ويقنع بكسرة فيسوء خُلُقه مع التقوى والصلاح ، وقرأ كتباً مراراً .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر صفر سنةَ أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة .

ومات رحمه الله تعالى بالبيمارستان الصغير .

---

* الوافي : ١٩٤/٢٢ ، والدرر : ١٢٩/٣ ، والشذرات : ١٠/٦ .

(١) زيادة من (أ) ، (ط) والوافي .

(٢) ليست في (أ) ، والوافي .

(٣) في الأصل « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ط) .

١٢٣٨ ـ علي بن المظفر*

ابن إبراهيم بن زيد ، الأديب البارع الكاتب الفاضل ، المقرئ ، المحدّث ، المنشئ ، الناظم ، علاء الدين الكندي الإسكندراني ثم الدمشقي المعروف بالوداعي ، كاتب ابن وداعة .

وتلا بالسبع على علم الدين القاسم[(١)] ، وشمس الدين بن أبي الفتح[(٢)] . وطلب الحديث ، ونسخ الأجزاء . وسمع من عبد الله الخشوعي ، وعبد العزيز الكفرطابي[(٣)] ، والصدر البكري ، وعثمان ابن خطيب القرافة ، وإبراهيم بن خليل ، والنقيب بن أبي الجن[(٤)] ، وابن عبد الدائم ، ومَنْ بَعْدهم . ونظر في العربية .

وكان ناظماً غوّاصاً على المعاني ، شاعراً قادراً على إحكام ما للأبيات من المباني . جوّد المقاطيع دون القصائد ، وأتى في كلٍ بدُرّ[(٥)] العقود وجواهر القلائد ، يغوص على المعاني[(٦)] ويغور ، ويفوح أَرَجُ نظمه ويفور .

وكتب المنسوب [الذي][(٧)] أزرَتْ لآليه بياقوت ، وأذكر الناس بما يُروى من

---

* الوافي : ١٩٩/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٦٢ ، وفوات الوفيات : ٩٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدرر : ١٣٠/٣ ، والشذرات : ٣٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٧٧/٢ .

(١) في الأصل و (ط) : « ابن القاسم » ، وأثبتنا ما في (أ) والدرر ، وهو : علم الدين القاسم بن أحمد بن موفق بن جعفر المرسي اللورقي (ت٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٦/٥ .

(٢) محمد بن أبي الفتح البعلي (ت٧٠٩ هـ) .

(٣) في الأصل : « عبد اللطيف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، والوافي والدرر ، وهو عبد العزيز بن عبد الوهاب بن بيان الكفرطابي (ت٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٢٤/٢٣ .

(٤) علي بن محمد بن إبراهيم الحسيني نقيب الأشراف (ت ٦٦٠ هـ) ، العبر : ٢٦١/٥ .

(٥) (أ) : « بدرر » .

(٦) (أ) : « المعنى » .

(٧) زيادة من (أ) .

السحر عن هاروت وماروت ، ما كأنّ طروسه[١] إلاّ حدائق ، ولا كأنّ حروفه إلا رياض بين العُذَيْب وبارق ، ولا كأنّ مداده إلا شعرات] في][٢] صدغي غلام مُرَاهق .

جمع المجاميع الأدبيه ، وانتقى الأحاديث النبويه ، وله (التذكرة الكندية)[٣] التي بخانقاه الشميساطي تشهد بفضله ، وتعترف بنباهته ونبله ، و (ديوانه) يدخل في مجلدين كبيرين ، وقفت عليهما فأطرباني ، وقلت للدّفّ والشبابة بعدهما[٤] لا تقرباني ، وملكتهما فملكا قلبي ، ووضعتهما بين كتبي ، وقد سكنا خَلْبي وقد انتقيت منهما ما راق نَظْمُه ، وكَمُل بَدْرَهُ تَمُّه ، ومن ذلك قطعة وافرة في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) التي لي .

إلا أنه كان يتشيع ، ويتوعّر بذلك في ألفاظه وما يتورع .

وكتب الدرج موقعاً بالحصون مدة طويله ، ثم دخل آخر عمره ديوان الإنشاء بدمشق ، على رأي العوامّ ، بألف حيله ، وكان هجّاماً على الأعراض ، هجّاء للجواهر والأعراض ، وكان الناس ينفرون منه لذلك ، ويرون فضائله المضيئة كأنها الليل الحالك ، ومع تفنُّن فضائله وتوسّع رسائله لما دخل الديوان لا راح ولاجا ، ولم يره الجماعة في باب الكتابة ولأَجَا ، كما جرى لبعض الناس ، وقال الجماعة للمتعجب : « ما في وقوفك ساعةً من باس » ، حتى قلت أنا :

لقد طال عهد الناس بابن فلانة ... وما جاء في الديوان إلاّ إلى ورا[٥]
فقلت كذا كان الوداعيّ قبلةً ... ولا شك فيه أنه كان أشعرا[٦]

(١) (أ) : « طرسه » .
(٢) زيادة من (أ) .
(٣) ذكرها صاحب الكشف : ٣٨٩/١ .
(٤) في الأصل : « بعدهم » ، وفي (أ) : « وبعدها » ، وأثبتنا ما في (ط) .
(٥) (أ) : « بابن نباتة » .
(٦) (أ) : « كذا باس » ، وفي الوافي : « قاس » .

ولم يزل على حاله إلى أن تحقق الوداعّي من الحياة وَدَاعه ، واسترجع الأجل ماله عنده من وداعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الأربعاء سابع عشر رجب سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة تقريباً .

وتوفي ببستانه عند قبّة الْمُسَجّف .

قال شيخنا الذهبي : كان يخل بالصلوات فيما بلغني .

وكان شاهداً بديوان الجامع الأموي ، وولي مشيخة الحديث بالنفيسية ، وتولى نظر الصُّبَيْبَة وبانياس فيما أظن ، وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ما كتبه على (ديوان) الوداعي رحمهما الله تعالى :

بعثتُ بديوان الوداعي مسرعاً . إليك وفي أثنائه المدح والذمُّ
حكى شجرَ الدفْلَى رُواءً ومخبراً فظاهره شمّ وباطنه سُمّ

ولما شاع عنه كثرة الهجو تطلّب القاضي نجم الدين بن صصرى (ديوانه) ، و (تذكرته) من خانقاه الشميساطي ، وكشط من ذلك أهاجي الناس ، ولم يقدر على استيعاب ذلك ، فإنني وجدت له بعد ذلك بخطه كثيراً .

وكان شيخاً مسناً ، وله ذؤابة بيضاء إلى أن مات ، ونقلت من خطه له :

يا عائباً مني بقاء ذؤابتي تالله قد أفرطت في تعييبها[(١)]
قد واصلتني في زمان شبيبتي فعلام أقطعها أوَانَ مشيبها

قلت : نقل هذا من الحكاية التي تحكى عن بعض الوعاظ أنه طلع المنبر ووعظ والسلطان قد حضر ميعاده على كراهية له وهو يتكلم والمقص إلى جانبه والطواقي ، والناس يصعدون إليه ويتوبون على يده ، فيقص شعورهم ويلبسهم الطواقي ، فما كان

(١) (أ) ، والوافي : « مهلاً فقد » .

[إلاّ][١] أن طلع إليه بعض خواصّ السلطان مِمّن يحبّه ويهواه ، وله ذؤابه سوداء مليحة طويلة ، فتغيّر السلطان ، وقال لمن يعزّ عليه : والله إن قطع شعر هذا المملوك لأقطعن يده ، فلما صعد إلى الواعظ علم[٢] أنه قد وقع في خطر ، فأخذ شعره في يده ، وأخذ يفكر في خلاصه من تلك الورطة ، وشغل المجلس بأشعار وحكايات ، ثم قال : يا جماعة ! أتدرون ما يقول لسان حال هذه الذؤابة ، فقالوا له : ما يقول ؟ قال : يقول[٣] : أنا كنت معه في زمن المعصية بالله لا تفرق بيني وبينه في زمن الطاعة ، انزل روح يا سيدي ، فأعجب السلطان ذلك والناس ، ووقع كلامه منهم بموقع جدٍّ .

وإنما سمّي علاءَ الدين الوداعيَّ[٤] ، لأنه كان يكتب للصاحب علاء الدين[٥] بن وَدَاعة ، ولذلك قال ، ونقلته من خطّه :

ولقد خدمت الصاحب ابن وداعة دهراً طويلاً
فلقيت منه ما التقى أَنسٌ وقد خدم الرسولا

وأنشدني شيخنا شمس الدين الذهبي ، قال : أنشدنا المذكور من لفظه لنفسه ، ونقلته أنا من خطّه :

من زار بابك لم تبرح جوارحُه تروي محاسنَ ما أوليت مِنْ مِنَنِ
فالعين عَنْ قرة والكفُ عن صلة والقلب عن جابرٍ والأذن عن حَسَنِ

ونقلت منه ما كتبه لبعض أصحابه بمصر :

---

(١) زيادة من (أ) .
(٢) (أ) : « فعلم » .
(٣) (أ) : « يقول لي » .
(٤) في (أ) : « بالوداعي » .
(٥) قوله : « علاء الدين » ، ليس في (أ) ، والمشهور أن لقب ابن وداعة هو عز الدين ، انظر : الفوات ٧١/١ .

رَوِّ بمصر وبسكّانها[1] شوقي وجدد عهدي البالي
وصف لي القرط وشنّف به سمعي وما العاطل كالحالي
وارْوِ لنا يا سعدُ عن نيلها حديثَ صفوان بن عسّال
فهو مرادي لا يزيد ولا ثَوْرا وإن رقّا وراقا لي[2]

ونقلت منه :

وزائر مبتسم يقول لمّا جا : أنا
فقال أيري منشداً أهلاً بتينٍ جاءنا

قلت : يشير إلى قول الشاعر :

أهلاً بتين جاءنا مفتّح على طبق
كسفرة من أَدَمٍ مجموعة بلا حلق

ونقلت منه له :

لله ما أرْشَقَه من كاتب ليس له سوى دموعي مُهرَق
يميس رقصاً في قباء أسود فقلت : هذا أَلِفٌ محقّقُ

ونقلت منه له :

وذي دلال أحورٍ أجحر أصبح في عقد الهوى شَرْطي
طاف على القوم بكاساته وقال : ساقي ، قلت : في وسطي

ونقلت منه له :

ولم أردِ الوادي ولا عدت صادراً مع الركب إلا قلت : يا حادي النوق

(١) (أ) : « روّى بمصر وسكانها » .
(٢) يزيد وثورا : من أفرع نهر بردى السبعة .

فديتك عرّج بي وعرّس هنيهةً لعلي أبلّ الشوق مِنْ آبل السوق

ونقلت منه له :

سقيا لكَرْم مدامةٍ أنْشَت لها النشوات ليلا
خلعت علينا سكرة بدوية كمّا وذيلا[1]

ونقلت منه له :

ويوم لنا بالنيربين رقيقةٌ حواشيهِ خالٍ من رَقيب يَشينه
وقفنا فسلّمنا على الدوح غُدْوةً فردّت علينا بالرؤوس غصونه

ونقلت منه له :

ذَكِرْت شوقاً وعنديْ ما يصدّقه قلبٌ تقلّبه الذكرى وتقلقه
هذا على قرب دارينا ولا عجبٌ فالطرف للطرف جار ليس يرمقه

قلت : أخذه من قول الأول ، والأول أحسن[2] :

لئن تفرّقنا ولم نجتمع وعاقت الأقدار عن وقتها
فهذه العينان مَعْ قربها لا تنظر الأخرى إلى أختها

ونقلت من خطّه له :

الغرب خير وعند ساكنه أمانة أوجبت تقدُّمَهْ
فالشرق من نَيِّريْه عندهم يُودِع ديناره ودِرْهمه

وقال أيضاً :

حَوى كلٌّ من الأفقين فضلاً يُقرّبه الغبي مع النبيه

(١) في الأصل : « عليها » ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .
(٢) (أ) والوافي : « وهو أحسن » .

فهـذا مطلـع الأنـوار منـه　　وهـذا منبـع الأنـوار فيـه

قلت : أخذ الوداعي معناه الأول وبعض الثاني من قول [القاضي][1] الفاضل رحمه الله تعالى : « وتلك الجهة وإن كانت غربيّة فإنها مستودعُ الأنوار وكنز دينار الشمس ومصبّ أنهار النهار » .

ونقلت من خطّه له :

رمتني سـود عينيـه　　فـأصمتني ولم تبطي
ومـا في ذاك من بـدع　　سهـام الليـل مـا تخطي

ونقلت منه له وظرَّف[2] :

لنا صاحبٌ قد هـذَّب الطبع شِعره　　فأصبح عـاصيـه على فيـه طَيِّعـا
إذا خمّس الناس القصيد لحسنه　　فحـقّ لشعرٍ قـالـه أن يُسبَّعـا

ونقلت منه له :

قـل للـذي بـالرفض أتهـمني أضـلَّ اللهُ قَصْـدَه
أنـا رافضيّ ألْعَنَ الـشيخين والـدةَ وجـدّه

ونقلت منه له :

ولا تسـألـوني عن ليـال سهرتهـا　　أراعي نجوم الأفـق فيهـا إلى الفجر
حـديثي عـال في السماء لأنني　　أخذت الأحاديث الطوال عن الزُّهْري

ونقلت منه له :

امرؤ القيس بن حجر جـدّنـا　　كان من أعجب أمـلاك الـزمـانِ

(١) زيادة من (أ) والوافي .
(٢) قوله : « وظرَّف » ليس في (أ) .

ضــل لمـــا ظـــل يبغي ملكهم وهــدى النــاس إلى طُرْق المعــاني

ونقلت منه له :

كم رُمْتُ أن أدع الصبابــة والصّبــا فثنى الغرام العــامريّ زمــامي[1]
بــــذوائب ذابت عليهــــا مهجتي ومنــاطــقٍ نطقت بفرط سقــامي

ونقلت منه له :

تــــأمّــل إلى الــزهر في دوحـــــه ومَنْ زاره من مــــلاح الفتــــون
تظن الـــوجـــوهَ التي تحتـــــه تســاقطن من فــوقــه من عيــون

ونقلت منه ماقاله في رأس العين ببعلبك :

لله درّ العين ليلــــة زرتهـــــا فــوجــدتهــا راقت ورقّت مَشْرَعــا
« واستقبلت قمر السماء بـوجههــــا فــأرتني القمرين في وقت معـــا »

ونقلت منه له :

يــا عـــاذلي في وحـــدتي بعــــدهم وأن رَبْعي مـــا بــــه من جليس
وكيف يشكــو وحـــدة مَنْ لَـــهُ دمــــــــــعٌ حميم وأنينٌ أنيس

ونقلت منه له :

قسماً بمرآك الجميــل فـــــإنّــــه عَربيٌّ حُسْنٍ من بني زهران
لاحُلْت عنك ولو رأيتـك من بني لحيـــان لا بــل مني بني شيبـــان

ونقلت منه له :

قلت وقــد مــاس في الكِســا رشــاً يُخجــل بـــدر التمام حين بــــدا

---

(١) في الأصل : « حسامي » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (أ) والوافي .

إن الكسـائي لم يُمـل[١] أبـداً   أحْسَن من قـده إذ أبـدا

ونقلت منه له :

أدام الله أيـام العـذار   وبـارك في ليـاليـه القصـار
وأغنى الله روضـة كل خـد   إذا استحييت من الـديم الغـزار[٢]
ولازالت مبـاسم كل ثغر   لشـائم برقهـا ذات افترار
ولابرحت على العشـاق تصفـو   ثيـابَ العـار في خلـع العـذار

قلت : قد حذا حذو شمس الدين بن العفيف التلمساني حيث قال وهو ألطف :

أعـز الله أنصـار العيـون   وخلّـد مُلْـك هـاتيـك الجفـون
وضـاعف بـالفتـور لهـا اقتـداراً   وإن تـكُ أضعفت عقلي وديني
وأسبـغ ظـلَّ ذاك الشعر يـومـاً   على قـدٍّ بـه هَيَفُ الغصـون
وصـان حجـاب هـاتيـك الثنـايـا   وإن ثنت الفـؤاد إلى الشجـون
وخلّـد دولـة الأعطـاف فينـا   وإن جـارت على قلبي الطعين

وقول شمس الدين محمّد أيضاً :

أدام الله أيـام الجمـال   وخلّد ملـك هـاتيـك الليـالي[٣]
وأسبـغ ظـل أغصـان التـداني   وزاد قـدودهـا حُسْنَ اعتـدال
ولا زالت ثمـار الأنس فيهـا   تـزيـد لطـافـة في كل حـال
ولا برحت لنـا فيهـا عيـون   تغـازل مقلتي خشف الغـزال

ونقلت من خطّه له :

(١) الكسائي هو علي بن حمزة من القرّاء السبعة ، والشاعر ههنا يورّي بالإمالة ، وهي الجنوح بالألف والفتحة إلى الياء أو الكسرة .
(٢) في الأصل : « القصار » ، وأثبتنا ما في (أ) .
(٣) (أ) : « وخلد عمر » .

تعجبّـوا من أدمعي إذ غـدت بيضـاً وكانت من دم قـان
لا تعجبـوا طرفي ربٌّ الهـوى وكل يـوم هـو في شـان

ونقلت منه له :

قلت للعـاذل المفنـد فيهـا حين وافت وسلّمت مختـالـه
قم بنـا نـدعي النبـوة في العشـق فقـد سلمت علينـا الغـزالَـةْ

ونقلت منه [له][1] أيضاً في شاهد :

قضيت نحبي في هـوى شـاهـد أصبـح عَـدْل القـدّ بين القـدود
وليس لي من أمره مخلصٌ وهكـذا القـاضي أسير الشهـود

قلت : كان ينبغي أن يأتي بالتوطئة[2] بذكر القاضي ليكون المثل كاملاً .

ونقلت منه له :

متى أرى النفس التي من بعـدهم قـد نحلت
تفتـح أبـواب المنـا إن هِيْ إليهمْ قفلت

١٢٣٩ ـ علي بن معالي*

الصدر الفاضل علاء الدين الأنصاري الحراني ثم الدمشقي المعروف بابن الزُرَيْزير الكاتب الحيسوب . كان مشكوراً ، وانتفع به جماعة .

مات عن نحو أربعين سنة فجأة بدمشق في ثالث عشري صفر سنة خمس وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

(١) زيادة من (أ) .
(٢) (خ) : « في التوطئة » .
* الدرر : ١٣٢/٣ .

١٢٤٠ ـ علي بن مقاتل*

علاء الدين التاجر الحموي ، صاحب الأزجال المشهورة .

تفرّد بنظم الأزجال في آخر عمره ، وتحكّم في فنّها نَهْيه وأمره ، وأتى بغرائب الصنعة واللزومات[١] التي تضيق فيها على العوالي[٢] الرقعة ، بحيث إنه أكثر من أنواعها ، واستعمل أعوانها في مدّ أبواعها ، وله شعر أيضاً إلا إنه في ذاك أمهر ، وأزجاله أشهى إلى القلوب وأشهر .

اجتمعت به في حماة وفي دمشق غير مرّه ، وجلا عليّ من بنات فكره كلّ خريدة كأنها للشمس ضرّه ، و (ديوانه) يدخل في مجلدين ، ويراها أرباب هذا الفن في جنات الصدور مخلدين .

ولم يزل على حاله إلى أن قتل ابن مقاتل ، ولم يقدر في معرك المنية على أن يُخاتل[٣] .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل سنة إحدى وستين وسبع مئة بحماة المحروسة .

ومولده[٤] بها في سنة أربع وستين وست مئة .

أنشدني كثيراً من أزجاله وأشعاره ، ونقلت من خطّه :

ومليح عمّه الحسْنُ بخال مثلِ حظي
وقع البحث عليه بينه وبينَ لفظي
قال هذا خال خدي قلت بل ابن أُختِ لحظي

---

* الوافي : ٢١٨/٢٢ ، والدرر ١٣٢/٣ ، وتذكرة النبيه : ٢٣٩/٣ .

(١) في الأصل : « اللزوميات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « العوافي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « يخايل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) ليست في (أ) ، (ق) .

[ونقلت منه له][١] :

إنّ الخراسانيّ لّما حوى حلاوة الإيمان مِنْ خَوْفِه
فضّله الله على غيره أما ترى قلبين في جوفه[٢]

ونقلت منه له :

إن كانون في الكوانين أمسى وبه حفلة من النيران[٣]
كصديق له ثلاث وجوه كلّ وجه منها بألف لسان

ونقلت منه له :

يا مُرقصاً يا مطرباً غنّى لنا أَنْعِم لإخوان الصَّفا بتلاقي
فلقد رَمَيتَ (مقاتل الفرسان) بيْن يديك عند (مصارع العُشَّاق)[٤]

ونقلت منه له :

خدود وأصداغ وقدّ ومُقْلةٌ وثغر وأريَاق ولحن ومُعْرب
وروردٌ وسَوْسَانٌ وبانٌ ونرجس وكاس وجريال وجنك ومطرب

ونقلت منه [له] الأول تصحيف الثاني :

شفائي وجنَّاتي حَبيبٌ بسرْبِه لعوبٌ بمَرْج تفرج الباس شيمته
سقاني وحيّاني حَبَيتُ بشَرْبةٍ لغوثُ بمزحٍ تُفرح الناس سِيمته

ونقلت منه له :

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الوافي : « على ندّه » .
(٣) في الوافي : « ربّ كانون » . وفي الأصل : « وبه حلفة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في البيت تورية باسم كتابين مشهورين .

أسهرتني مليحـــــــة أسهرتني طـول ليلي ظـلامـه الطرف يُعشي[1]
والسهى خيفـــــة الغراق من السّقم مسجّى على بُنَيّـــات نَعْشي[2]
والثريّـــا كأنهـــا راحـــة تلْطِم خـــدّ المرّيـــخ والجـــوّ مُغْشي

ونقلت منه له :

فُضّـوا كتـابي واعْـذُرُوا فـأنـاملي منهـا اليراعَ إذا ذُكِرْتُم يَسْقُـط
والقلبُ يخفـق لاضطرابِ مفـاصلي والخـطّ يُشْكِلُ والمـدامـع تنقـط

قلت : أحسن منه وأجزل وأمتن قول ابن السّاعاتي :

بتنـا وعمر الليـل في غلـوائـه ولـه بنـور البـدر فرع أشمـطُ
والطـل في سلـك الغصـون كلـؤلـؤ نظمٌ يصـافحـه النسيم فيسقـطُ
والطير يقْرأ والغـديرُ صحيفـةٌ والريـح تكتب والغمام ينقـط

ونقلت منه له :

لا تنكروا حُمْرَة خطّي وقـــدْ فـارقتُ من أحْبـابِ قلْبي جمـوعْ
فـإنّني لمـا كتبت الـذي أرسلتـه رمّلتـه بـالـدمـوع

ونقلت منه دوبيت في كل كلمتين قلب نفسها :

الخلّ خلا مِن نم عـانق بقنـاع قانع بعنـاق ألف لا عـاد وداع
مادام معانق نـاعم عـاش شـاع ألمى يمْلا مـاأم عـاطى وأطـاع

ونقلت منه له مواليّا :

على وفـاكي وفـاكي كم ذهب من عين وفي شفـاكي شفـاكي للـذي بُـوعين

(١) في الوافي : « ليل » . وفي (أ) : « يغشي » .
(٢) في الأصل : « خيفة الغرام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

ماأحلى وماكي وماكي نبع أعذب عين وقد حماكي حماكي أن تراكي عين[(١)]

ونقلت منه له مواليّا :

قال الذي [مَنْ] يراه الطرف مايسني أنا الذي إن نظرت البدر مايسني[(٢)]
والغصن يا خجلتو إن قام مايسني وعاشقي إن هجوتو شهر مايسني[(٣)]

ونقلت منه له أيضاً :

كلمت من لو بقلبي ألف تكليمه بسيف لحظو الذي مافيه تَثْليمه
وقلت بعد الوفا تبخل بتسليمه أرخصَتْ دمِعي وماتغلى بتعليمه

وكان قد أنشدني[(٤)] لنفسه بجماه زجلاً وهو :

قلبي يحب تياه ليس يعشق إلاّ إيّاه
فاز مَنْ وَقف وحيّاه يُرْصد على محيّاه
بدر السما ويطبع من راد وصالو يعطب
صغير بحيّر في أمرو غزال قمر بشحرو
ليث الهوى ونمرو فاعجب لصغر عمرو
ريم ابن عشر واربع أردى الأسود وارْعَب
نذكر نهار تبعتو وروحي كنت بعتو[(٥)]
خيّب ماكان طمعتو وقال كلام ماسمعتو[(٦)]

---

(١) في الوافي : « أعيذب » .
(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « من خجلتو » .
(٤) في (أ) ، (ق) زيادة : « في وقت » .
(٥) (أ) ، (ق) : « أذكر » .
(٦) (أ) ، (ق) : « وقال ذا ماسمعتو » .

ارجـــــع ولي لا تتبـــــع نخشى عليـــــــك لا تتعب
كم قـــــدامـــو وخلفـــو مشيت مطيـــع لخلفـــو[(١)]
وقصـــــدي لثم كفّـــو قـــال دَعْ منـــاك وكُفّـــو
فلثم كلّ إصبــــــــــع من الثريـــــــا أصْعَب
مــــازلت لُـــو نُـــدَاري حتّى حَصَــــل في داري
نـــاديت ودمْعِي جـــاري أيش لـو تكـون يـا جـاري
تـــدعني من فيـــك أشبـــع قـال أيش يكـون لـك أشعب
من في الجمـــال فريـــدو للصّب من وريـــــــدو
يـــذبـح وهـــو يريـــدو وكم ذا شيـــخ مريـــدو
خـــلاّه ودمعـــو يبلـــغ وهــــو بعقلـــــو يلعب
من حـــاز في حسنـو خــدّو لَحْظُـــــو لقتلي حـــــدّو
ووَرْد خـــــدّو نــــدّو مــا في الريــاض شي نِــدّو
روض بـــالحيـــا مبرقـــع عليـــــه سيــــاج معقرب
كم خصم في المقــــاتـــل صـــابـــو ابن مقـــاتـــل
وكم ذا في المحـــــافــــل قد أنشـــا غصن حـــافـل[(٢)]
من كل بيت في مربـــــع ملحـــون بـــــألف معرب

[فأعجبني هذا الذي فيه من قلب البعض في أغصانه وبعد حين خطر لي نظم شيء في هذا فـ][(٣)] قلت أنا وجعلت جميع قوافيه مقلوب البعض :

قلبي لِـــــوَصْلـــــو ترقّب وبـــالخضـــوع لـــو تقرب
وربــــــــع صبري تعرقب حين رأى عــــــذار وتعقرب
ترجم جمـــــالـــــو وعبّر وزان لشكـــــــــو وعرّب

(١) (أ) : « مطيع خلفو » .
(٢) (أ) : « قد أثنى » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

في حسن حبي غرايب ... للعشق فيهـا رغـايب
سَرتْ إليهـا النجـايب ... من الصبـا والجنـايب
رآه عـاذلي فيـه كبرّ ... وقـام لعـذري وركّب
جيـدو على الظبي راجـح ... واللحـظ من طرفـو جـارح
تراه إلى الصـد جـانـح ... وعـاشقـو ليس هـو نـاجـح
من صغر سنـو تكبّر ... وعـاشقـو قـدتكرّب
حكم الهـوى منـو قـاسـط ... وحظي من وصلـو سـاقـط
مـانـا من الرحمـة قـانـط ... والـدمع من فوق خدي نـاقـط
لّمن طغى أو تجبّر ... ينـدم وهـذا تجرّب[1]
غـدا بـوَصْلُـو مُبَخّـل ... خـلاّني كيف ريت مخبّـل
وأسرع في قتلي مـا أمهـل ... وعم سقمي ومـا أمهـل
والـدمـع في الخـد بحَّر ... والصـدر للهمّ رحّب
تراه يـزيـد في جمـالـو ... مـالـو نظير في مجـالـو
رأى ابن يعقـوب لجـالـو ... كَـوْنُـو فريـد في جـلالـو
في طلعـة الشمس غبّر ... وفي السيـادات غرّب
وفـا وعـودو تعـوّد ... ومـا يفي إنْ تَـوَعَّـد
كم راحـه من كفّـو أوجـد ... لنّـو من الغيث أجْـوَد
أبطـل حَسُـودو وأبطر ... ومـدحـو للسمـع أطرب
لفنّ الإنشـا ضراعـه ... لـو من زمـان الرّضـاعـه
وفي كـلامـه صنـاعـه ... فيهـا بـديـع ونصـاعـه
ترسّلـو الحلـو بـوّر ... غيرو وعن مثلـو ورّب
كم من طـويـل فصـل لخّص ... ومن عقـد لفـظ خلّص

(١) في الأصل : « فمن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

والخير كم فيـــــــه ترخص والحــق قــــال مـــا تخرص
والمُلــك بُـو قــد تــدبير والــدهر بـوقــد تَــدَرّب[١]
راح للحجـــاز وترفـــق بـالنـــاس ومـالـو تفرق[٢]
وحُـــوض سيلـــو مروّق وأمسى وجفنـــو مُـــورِّق
يتلـــو وصــــار أشعث أغبر وعُــــزمُـــو أكبر وارغب
شيـخ الشيـوخ لـو مخـايـل تقـول ريـاض أو خمـايـل
لـو جـاد في قفر مـا حـلْ كان تبصر السيـل حـامـل
من أبصر وراح مبشِّر بـــوجـــه أبيض مشرّب

ولمـا نظمت هـذا الزجل كان في دمشق في أوائـل سنـة ست وخمسين وسبـع مئـة ، وسمع بي ، فجاء إليّ وطلب الوقوف عليه ، فأوقفته ، فبهت له ، وأنشدني لـه أشيـاء من هذا النوع ، ولكنه لم يلتزم ذلك في جميع القوافي .

ولما وقف عليه الإمام مجير الدين محمد بن [الحسن بن][٣] الشهرزوري كتب هو إليّ :

دمعي بـــــأسراري خبّر ورَبـــع سلــــواني خرّب
في من لهجرو تبشر ولـــلأعـــادي تشرب[٤]
خبرّ بـــــأسرار دمعي ولم يجيني ومـــــا ادعي
في حب أصلي وفرعي أعليّــه ومـــا يهـوى رفعي
عن مقلتي شخصــو بَـــذَر ونطقـــــو في مقتي ذرّب

(١) (أ) ، (ق) : « والدهر منّو » .
(٢) (أ) : « راح الحجاز » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) (ق) : « يهجري » ، (أ) : « هجري » .

يــا من هــو لي مني ســـالب صــدغيــك عقربهـــا لاسب
يـا ولــدي خـــالقـــك راقب فيّـــا وســـادِدْ وقـــارب
سيف هجرك القلب هبّر وعسكر الصّبر هرّب
يـــا أحلى الخـلائـق وأملـح شخصـــك ترى يـــوم ألمـــح
ولي تجـــــود وتسمـــــح وأرضـــك أجفـــاني تمسـح[1]
هجرك بترني وتبرّ وخـــدي بـــالـــذل ترّب
يـــا أحصف النـــاس وأفصح عن زلّتي بـــالله اصفـــح
واغنم ثـــوابي واربـــح فعن هـــــواك ليس أبرح
مـــادام خـــدّك معبقر وشعر صـــدغـــك معقرب
ازّي رأى حبيّ أمرد مــاارجـع يرى طرفـو أرمـد
الآسِ ترى أو زمرّذ عـــذار هـــذا المـــزّرد
طَرَّز خُـــــدودو وحبّر وحيّر النـــــاس وحرّب
أي من تصبّـــح بخـــالـــو يـــزول عنـــو خبـــالـــو
لـو رآه مشبّـــه لخـــالـــو سيـــدي خليـل في خـلالـو
لمـــا غـــدا قـــدرو أكبر قلـــوب حُسّـــادو أكْرَب
أبـــو الصفـــا خير منشي إليـــــه على راسي نمشي
ترسّلـــو الحلـــو حـــوشي من حشـــو ولفـــظ وحشي
فيـــه كيف أقبـــل وأدبر من ســائر النـــاس هــو أدرب
لـــو عـــاين ابن المقفـــع بيـــانـــو أضحى مفقـــع[2]
وفي الكـــلام مـــا تشبـــع وكان بروحُـــو تبشّـــع
لفظـــــو في الآذان أغبر وأقعـــد فصـــاحـــة وأغرب

(١) في الأصل : « وأجفاني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « أصبح » .

شعرو على الشعرى بـــاسـق		وفحلــو في النظم ســـابـق
مـــا يلحقـو قـــط لاحـق		قـــد اعتلى فـوق حـــالـق
ميـــة ألف نظـــام يقبر		ومــــا يطيــق منــو يقرب
ولـــو رأى ابن هـــلالـــو		خطّــو المعجــز لهـــالـــو
للبحتري أو لخــــالـــو		لـوجــا مكانـو خـلالـو[١]
لِنّـــو لـــلأوزان أسبر		وفي قـــوافيهـــا أسرب[٢]
بقى إلى ظلــــــو يهرب		ودام يُرجّـــــا ويُرهب
ومن يجـــاريـــه يتعب		ومـــا ينـــالـــو ويعتب
ومن يعـــاديـــه يُغبر		ومن يـــواليـــه يُرغب
عبـــــدو المجيرحين تشرف		ومن كـــلامــــو ترشف
زبّب ومـــا بعـــد نصّف		وجـــاز حـــدّو وصنّف[٣]
دمعي بــــأسراري خبر		وربـــع سلـــواني خرّب

وأنشدني علاء الدين بن مقاتل لنفسه :

يـــا من قطـــع أوصـــالي		ولي نـــار فراقـــو صـــالي[٤]
يـوسف بـــالجمـــال أوصى لـــك		وأبـــوه بـــالحـــزن أوصي لي[٥]
مـــا أصبرني عليـــك من عـــاشـق		ومـــا أقســـاك عليـــه معشـوق
حـــاجبـــك بقـوسـو راشـق		وقلبي بنبلـــــو مرشـــــوق

---

(١) (أ) : « أوجا » .

(٢) في الأصل : « للآذان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « رتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو إشارة إلى قولهم « تزبب حصرماً » . انظر أساس البلاغة (زبب) .

(٤) زاد في (أ) ، (ق) : « قد » قبل « قطع » .

(٥) (أ) ، (ق) : « وأبوه بالبكى » .

فسبحـــــان تبـــارك مــــاشــق ألف ذا القـــــوام المشــــــوق
قـــــد أخلصت فيـــك أعمـــالي وعلّقت بـــــك أمـــــالي
وذل الجمـــال راس مــــالـــك والصبر الجميـــل راس مــــالي
يـــــا من خلّى دمعي جـــــاري وأوقف حـــــالي الله جـــــارك
ارعى لي الـوداد يــــا جــــاري بـــالـــذي من السـوء جـــارك
وقلبي بــــــوصلــــــك داري ولـــــو فرد يــــــوم في دارك
تستفيـــــد شيء من أشغـــالي يــــا غريـــز عليّــــه غـــالي
قــال إيــاك يكـون أشغـالـك بحـــــال تـــاجر البرغـــــالي
إن كان المعــــاشـق جنـــدك فــأنــا العـــاشقين من جنـــدي
ولي حـــاجـــة سهلـــة عنـــدك رقـــاد ليلـــه تنتين عنـــدي
وفــوق عنقي تجعــل زنـــدك ومن تحت عنقــــك زنــــدي
وأنشــــدك شيء من أغـــزالي في جــــــدي وفي أهـــزالي
قـال من حـاك رقيـق أغـزالـك قلتـــو جفنـــك الغـــزالي[1]
قـــال فمن ذا حــلاّ لفظـــك قلت من مـــا أحلى لفظـــو
فيـــا ترى إيش حـــال حظـــك قلت يـــا سعيـــد في حظّـــو[2]
فيـــه شـوي سـواد من لحظـــك يـــا من حـــدّ صـــارم لحظـــو
فـــولاد وبجـــوهر حــــــالي ولفظـــــو مكرر حــــــالي
مـــادام سعـد حـالـك حـالـك عن وصلي فحـــــالي حـــــالي
ارحم يـــــا من الله حبّـــــو مجنـون في سـلاسـل حبّـــك
مسكين قــــــد تفطّر لبّـــــو ومــــا ذاق خميرة لبـــــك
ودمعـو عليـــك قـــد صبّـــو لهـــــذا يسمّى صبّــــــك
ولــو كنت بـــالنـــار ســـالي قلبـو مــا هـو عنــك ســالي

(١) (أ) ، (ق) : « قلت جفنك » .

(٢) في الأصل : « لحظو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

فقـل لين فيــه ســالــك ... مــا لـو خَرْجــه من سلســالي
عنـدي لـك فعـال مخصـومـه ... وعنــدك فعــالي خصّـــه[١]
وروحي معــك مغصـوصـة ... وتجرعت فيــك كم غُصّـــه
وأخبـاري عليـك مقصـوصـه ... ولا بـــد لي من قصّــه
ترفــع للجنـــاب العــالي ... وأشكــو للقــوي المتعــالي
عسى بصــلاح أفعــالــك ... يمتزج فســاد أفعـــالي
زرني يـــا مليــح بحيـــاتي ... قـال لا والله فـوق وحيـاتـك
قلت أنــا أعشقـــك من ذاتي ... قـال واش كنت أنـا من ذاتـك
قلت مـــا تطيب أوقـــاتي ... بغير ســاعــة من أوقــاتــك
فـــا جعـل الـوصـــال متـوالي ... وكن في علي مـــــــوالي
قـال مـا أقـدر أجي لـك والـك ... قلت أيــوه تجي بـــالـــوالي

١٢٤١ - علي بن مُقَلَّد*

علاء الدين حاجب[٢] العرب في أيام الأمير سيف الدين [تنكز][٣] ، كان راجلاً طويلا ، أسمر اللون كحيلا ، يتحنّك بعمامته ، ويتقلّد بسيفه طول قامته ، ويلبس الثياب الطويلة المفرّجه ، ويسلك الطريقة التي هي عن العربان فحرّجه ، يتبادى في كلامه ، ويتبادَهُ في معاجلة[٤] تحيته وسلامه .

قَرّبه تنكز وأدناه ، ومكنه فعناه وأغناه[٥] ، وصارت له في الدولة وجاهة زائده ،

(١) (أ) ، (ق) : « لك أفعالك » .
* الوافي : ٢٢/٢٢٦ ، ونكت الهميان : ٢١٩ ، االدرر : ٣/١٣٤ .
(٢) في الأصل : « صاحب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل و(أ) : « معالجة » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٥) (أ) ، (ق) : « وعناه فأغناه » .

ومكانة ؛ إلاّ أنها كانت إلى الهلاك قائده ، وزاد في طغواه ، وأرخى له الدهر أعنّة هواه دون تقواه ، فطار في غير مطاره ، ونال نهايات أمانيه ، وأوطاره ، إلى أن تنكّر تنكز له ، فلبس له جلد النمر ، وصبّحه بصوب من سوط عذاب منهمر[١] ، فقتله بين يديه بالمقارع إلى أن تهرّا ، وتفصّل جلدُه وتفرّى ، ثم كحله فأعماه ، وقطع لسانه فأصماه .

فما كان بأسرع من ولوج الحمام حماه ، ونفاذ السهم الذي قصده الحتف به ورماه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل[٢] شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

حكى لي علاء الدين بن مقلّد من لفظه ، قال : توجهت إلى الرحبة في شغل ، فعدت وقد حصل لي ثمانية عشر ألف درهم ، أو قال : خمسة عشر ألف درهم ، من العُرْبان ، ولم أذكر أنا هذا القدر إلاّ أن هذا في أيام الأمير سيف الدين تنكز ، كان فرطاً عظيماً لا يصل إليه أحد في أيامه . وكان [ابن][٣] مقلد رحمه الله تعالى قد زاد في التعاظم والتيه والكبرياء ، فلو جاءه علي بن مقلّد صاحب شيزر[٤] لقال : هذا شيّ زريّ لا شيزري ، ولكنه أقام على هذا القدم مدة طويلة ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز][٥] رحمه الله تعالى يسأل عنه من دواداره ناصر الدين ، ويقول له : هذا ابن مقلّد ما يعجبني حاله ، وربّما أنه يشرب النبيذ . فيقول ناصر الدين الدوادار : ما أظن ذلك ولا] يقدر][٦] يفعله وحاجّةُ فيه مرّات ، فلما كانت واقعة حمزة التركماني [المقدم][٧] ذكْرهُ ودخوله في أمر ناصر الدين الدوادار ، وما أوحاه في حقّه[٨] وحقّ

(١) في الأصل : « وصبّحه بسوط من عذاب .. » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « أوّل » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) (ت ٤٧٥) ، الوافي : ٢٢/٢٢٣ .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٨) في الأصل : « حتفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جماعته ، خرج لوالي المدينة وقال له : أريد منك أن تكبس ابن مقلّد ، فكبسه تلك الليلة ، وعنده جماعة نسوة وحُرَفاؤهنّ[١] ، ولما أصبح دخل حمزة إلى تنكز وعرفه الصورة ، فأحضر الدوادار وأنكر عليه ووبخه وعنّفه ، وكان ذلك سبب الإيقاع به ، وأحضر ابن مقلّد وقتله بالمقارع قتلاً عظيماً إلى الغاية ، وكحله ، واعتقله في قلعة دمشق ، فبلغه عنه كلام لا يليق ، فقطع لسانه من أصله ، وأُحضر إليه على ورقة ، فمات فيما أظن من ليلته بعد ما سلب نعمة عظيمه ، ورتبه مكينة ، وجاهاً طويلاً [عريضاً] ، نسأل الله خاتمة خير في عافية[٣] .

١٢٤٢ ـ علي بن منجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجّا التنوخي ، الشيخ الإمام الفقيه البارع ، قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ زين الدين أبي البركات ابن القاضي عز الدين أبي عمرو بن وجيه الدين أبي المعالي الحنبلي ، قاضي دمشق .

ذكرتُ جماعةً من أهل بيته في هذا التاريخ ، وحدّث عن ابن البخاري ، وابن شيبان[٤] ، وطائفة .

هو من بيت سعادة وحشمه ، وسيادة ونعمه ، وفتوى وفتوّه ، ومكارم للناس مرجوّه ، وأيادٍ متلونة الأنواع متلوّه .

مَنْ تَلْقَ منهم تَقُلْ لاقيتُ سيّدهم   مثل النجوم التي يسري بها الساري

---

(١) في الأصل : « جماعة حرفا ونسوة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي ،

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « عاقبة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* البداية والنهاية : ٢٣٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩١/١ ، والدرر : ١٣٤/٣ ، والذيل التام : ١١٣ ، والشذرات : ١٦٧/٦ ، والدارس : ٣٢/٢ .

(٤) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت٦٨٥) ، العبر : ٣٥١/٥ .

وكان هذا القاضي علاء الدين كثير الرئاسه ، غزيز السياسه ، لا يكاد أحد يسبقه إلى عزاء ولا هناء ، ولا ينزل من مضارب الرئاسة إلاّ في خباء مروءة وحياء ، يَوَدُّ من يعرفه ومن لا يعرفه ، ويُسْعِف[١] الخصم في الحق ولا يعسفه :

منجَّذٌ من بني المنجّا نال من الفضل ما ترجّى[٢]
أسرع في نيل كلِّ مجدّ وهمّ في قصده ولجّا
فصار بحراً في العلم يصفو ولم يَرَ الوصف منه لُجّا

ولم يزل على حاله المرضيّه ، وأوامره المقضيّه ، إلى أن وقع ابن المنجا في شرك المنية وما نجا ، وكاد النهار يكون لفقده دجا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الخميس سابع[٣] شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

وتولى القضاء بعده قاضي القضاة جمال الدين المرادوي الحنبلي .

نقلت مولده من خطّه ليلة نصف شعبان سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان قد لبس تشريفه بقضاء قضاة الحنابلة بدمشق يوم الأربعاء[٤] حادي عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى كثير الرئاسة والحشمة ، قلّ أن يسبقه أحد إلى هناء أو عزاء ، ويشارك أهل العَزاء والهناء في شأنهم . ولمّا توفي فتاي مراد حضر إليّ إلى البيت وعزاني فيه ، وتوجه إلى الجامع ، وصلّى عليه في الجامع الأموي ، وتوجّه إلى مقابر الصوفية ، ووقف على قبره حتى دفن . ولما انصرف الناس وقف لهم ، وشيّعهم ، وتشكر لهم حتى أخجلني من كثرة إحسانه وتوجعه وتفجعه ، ولذلك قلت أنا فيه :

---

(١) في الأصل : « ويستعف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) المنجذّ : المُجرَّب .
(٣) كذا في الأصل ، وفي (أ) ، (ق) : « تاسع » ، وفي البداية والوفيات والدرر : « ثامن » .
(٤) في الأصل : « الأحد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والبداية والنهاية : ١٥٧/١٤ .

لِمْ لا أسحّ دموعي في رزيّة من قد كان يُزْهَى على بدر السما تيها
وقد رماني القضا فيه بنائبة قاضي القضاة أراه نائبي فيها

١٢٤٣ ـ علي بن منصور بن محمد بن المبارك*

شمس الدين بن الإسنائي المعروف بابن شوّاق الطبيب ، بالشين المعجمة والواو المشدّدة ، وبعدها ألف وقاف .

اشتغل بالطبّ[1] ، وناب في الحكم بأصفون وغيرها ، وأخذ الطب عن ابن بيان ، ومهر فيه واشتهر[2] بالمعرفة ، وكان يتبارك بطبّ « الْمُكَرَّم » دون شمس الدين هذا ، فقيل له في ذلك ، فقال : المكرم يُطْلَبُ في ابتداء الأمراض ، وفي الأمور السهلة ، وأنا ما أطلب إلا إذا أيس من المريض ، وإذا كان المرض مخوفاً .

وكان حسن الخلق .

توفي رحمه الله تعالى بعد التسعين وست مئة .

١٢٤٤ ـ علي بن نصر الله**

ابن عمر بن عبد الواحد القرشي المصري الشافعي ، الشيخ الإمام الفاضل الخطيب المعمر المسند نور الدين أبو الحسن .

كان خطيب قرية بظاهر القاهرة ، روى أكثر (صحيح) النسائي عن عبد العزيز بن باقا ، وسمع أيضاً من جعفر الهمذاني ، والعَلَم بن الصابوني ، وأجاز له أبو الوفا بن مندة ، وأبو سعيد المديني ، وعدّة .

---

* الوافي : ٤٢/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤١٨ .

(١) (أ) : « بالفقه » .

(٢) (أ) : « واشتغل بالمعرفة » ، وعبارة الوافي : « واشتهر فيه بالمعرفة والحذق » .

** الوافي : ٢٧٣/٢٢ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ .

وتفرّد ، ورحل الناس إليه ، وكان خاتمة من سمع شيئاً من ابن باقا .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ والواني ، وابن خلف ، وابن المهندس[1] ، وابن حرمي ، وعدّة . وظهر للناس بعد رحلة شيخنا الذهبي من مصر ، وأثنى الناس عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشري شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة عن نيّف وتسعين سنة .

١٢٤٥ ـ علي بن هبة الله*

ابن أحمد بن إبراهيم بن حمزة نور الدين بن الشهاب الإسنائي .

كان فقيهاً مفتياً ، سمع الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ عبد المؤمن ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة . وحفظ (مختصر مسلم) للحافظ المنذري ، وأخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيّد الكل القفطي[2] ، والشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي[3] .

وبرع في الفقه وأفتى وسلك في العلم طريقاً ﴿ لاتَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَأَمْتاً ﴾[4] وكتب (الروضة) في مكة بخطّه ، واجتهد في ذلك فحصل له المراد على شرطه ، وكان يستحضر أكثرها وغالبها ، ويُرَغِّب بمعرفته فيها طالبها .

وهو أول من أدخل (الروضة) إلى قوص ، وجعل قدرها بذلك صحيحاً غير

---

(١) في الأصل : « وابن الخلف وابن مهندس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٨٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٢٠ ، والدرر : ١٣٦/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢١/١ .

(٢) (ت٦٩٧) ، والشذرات : ٤٣٩/٥ .

(٣) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت٦٧٧) ، الوافي : ٥٥/٧ .

(٤) طه : ١٠٧/٢٠ .

منقوص ، ودارت عليه الفتوى ، وكان فيها مسددًا ، ودُرٌّ علومه مجموعاً في ذهنه لا مبددا .

وكان أمّاراً[١] بالمعروف ونّهاء عن المنكر ، كم وعظ غافلاً عن نفسه وكم ذكّر .

وكان مهيباً مع اتضاعه ، سامياً في قدره ، يُرى النجم في أفقه أنه دون ارتفاعه ، يتهجّد في دياجيه ، ويخاطب من يعلم سرّه ونجواه فيناديه ويناجيه .

ولم يزل على حاله إلى أن تسجّى ، وانقطع ما أمّل وترجّى .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة .

ودرس بالعزيّة بقوص والمدرسة المجديّة ورباط ابن الفقيه نصر . ودرس بدار الحديث بقوص ، وتزوج بأخت الصاحب نجم الدين الأصفوني[٢] .

ولما توفي الصاحب طُلِب أصحابُه فهرب الشيخ وتغيّب سبعين[٣] يوماً ، فحفظ فيها (المنتخب في الأصول) .

وكان بعض النصارى قد أسلم وله ولد نصراني وأولاد ولد أطفال ، فقام في إلحاقهم بجدّهم ، وأفتى بذلك متبعاً ما حكاه الرافعي عن بعضهم ، وقال إنه الأقرب ، وجرى في ذلك صراع كثير ، وألحق بعضهم بجده ، فقيل إنّ النصارى تحيّلوا وسَقَوْهُ سمّاً ، فحصل له ضعف وإسهال ، فمات رحمه الله تعالى .

---

(١) في الأصل : « أمارة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في (أ) ، (ق) والوافي : « نجم الدين حمزة بن الأصفوني » .

(٣) في الأصل : « أربعين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

١٢٤٦ - علي بن يحيى*

ابن علي بن محمد بن أبي بكر ، الشيخ الفقيه المقرئ العالم المُسند علاء الدين ، أبو الحسن التُّجيبي الشاطبي الدمشقي الشافعي الشاهد .

سمع من الرشيد بن مسلمة ، والمجد الإسفرايني ، والرشيد العراقي ، والنور البلخي ، واليلداني ، والجمال الصوري[1] ، وعدّة ، وأجاز له ابن الجمّيزي وغيره ، وخرّج له الشيخ صلاح الدين العلائي ، وطال عمره ، وتفرّد ، وروى الكثير ، وكان له مسجد وحلقة ومدارس ، وعجز آخراً وانقطع ، وكان يُسمع في القباقبيّين .

وتوفي رحمه الله سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة .

١٢٤٧ - علي بن يحيى بن عثمان**

ابن أحمد بن أبي المنى محمّد بن نحلة ، الشيخ علاء الدين بن نحلة .

كان مدرّس الدولعيّة بدمشق والمدرسة الركنية . وباشر نظر ديوان بيت المال إلى أن مات رحمه الله تعالى في ثالث عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان صدراً عاقلاً رئيساً ، حفظ (المحرر) في الفقه للشافعية ، ولازم الشيخ زين [الدين][2] الفارقي مدّة ، وكان مواظباً على لزوم الجماعة والتردد إلى الفقراء

* الوافي : ٣٢٠/٢٢ ، والدرر : ١٣٧/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ .

(١) علي بن يوسف (ت ٦٥٤) ، العبر : ٢١٨/٥ .

** الوافي : ٣٢١/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٧/١٤ ، وفيه : « علي بن محمد » ، والدرر : ١٣٧/٣ ، وعنه في الدارس : ١٨٤/١ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

والصالحين ، وله ورد من التلاوة . وروى (جزء ابن الفرات) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من غيره . وعمر داراً مليحة إلى جانب الركنية ، ومات بعد فراغها بمدة يسيرة .

١٢٤٩ ـ علي بن يحيى بن إسماعيل بن القيسراني*

القاضي علاء الدين ابن القاضي شهاب الدين ابن القاضي الصدر[١] الكبير عماد الدين .

نشأ في حياة والده ، ودخل ديوان الإنشاء في دمشق في أواخر أيام سيف[٢] الدين تنكز ، وقُطع بعده ، ثم إنه استخدمه الفخري .

وكان شاباً عاقلا ، ساكناً متثاقلا ، كثير الصمت ، بهيّ السمت ، كتب جيداً في قلم الرقاع ، وروّض به الطروس ، فكانت كالزهر النابت في أخصب البقاع ، واشتغل وحصّل ، واجتهد في طلب الأدب وأصّل .

وكان والده يجتهد[٤] عليه ، ويودّ لو ساق الفضائل بأزمّتها إليه . وكان في ذهنه وقفة تقصّر به عن اللحاق ، وتجعل بَدْرَ فضله مخصوصاً بالمحاق ؛ إلاّ أنه حفظ (الحاجبية) و (المعلقات) بعد القرآن العظيم ، وأحرز غير ذلك في عقده النظيم .

ولم يزل على حاله إلى أن أذوى الموت زهرتَهُ الغضّه ، وجعل الدموع من الحزن عليه مرفضّه .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[٣] من شعبان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

---

* في (أ) ، (ق) : « ابن القاضي الرئيس الصدر الكبير ابن القاضي الصدر » . وشهاب الدين هذا ستأتي ترجمته في حرف الياء .

(١) في (أ) ، (ق) : « الأمير سيف الدين » .

(٢) (ق) : « يَجْهد » .

(٣) كذا بياض في الأصول .

كان قد مرض مرضة طوّل فيها ، وأقام قريباً من سنة ، ثم إنه حصل له استسقاء ، ولوالده رحمهما الله تعالى ، ومات والده قبله بشهر ، وأفاق هو ، ثم إنـه نقض الاستسقاء عليه ومات .

وكان بعد إمساك تنكز ، قد منع من مباشرة كتابة الإنشاء بدمشق ، ولمّا جلس الفخري في القصر الأبلق استخدمه ، فكتبتُ له توقيعاً ارتجالاً ، ونسخته :

« رسم بالأمر العالي لازال وليّه عليّا ، وحفيّه بكل خَيْرٍ مليّا ، وصفيه تقرّ به السيادة من الدول نجيّا ، أن يعاد المجلس السامي القضائي العلائي إلى كتابة الإنشاء الشريف بدمشق المحروسة ، لأنه من قوم كلٌّ منهم كريم . وكاتب ورئيس ، إذا ابتدع في المعالي طريقة لم يكن له فيها تابع ولا عاتب ، ومدبر لم يَرْتب الزمان أن ذكر مجدهم المؤثل فيه راتب ، نشأت أصولهم في رياض بلاغة ووزاره ، وسارت محامدهم في الآفاق فأخجلت الكواكب السيّاره ، وجرت بسعودهم التي ورثوها من جدودهم الأفلاك المُدَارة . وسكن الزمان بجبال حلومهم الراسخة بعد الطيش ، واستغنى الملوك بكتبهم عن تجهيز الكتائب إلى كل جيش ، وطابت أنفاس السَّحَر بريّاهم ؛ لأن بني مخزوم ريحانة قريش ، وضربت أعراقهم حتى اتصلت بخالد بن الوليد ، ونظر الناس منهم كلَّ كُفْوٍ غِناهُ كالذهب عتيد ، وبأسه كالحديد شديد ، وتجمَّل الدهر منهم بمدبِّر كان موفقاً في خدمة نور الدين الشهيد ، طالما جالسوا الملوك على أسرَّتهم ، وجاودُوا الغيوث فعمّوا الأنام بمبرّتهم ، ونادموا النجوم فعاطوهم[1] كؤوس مسرّتهم ، كم أغاث قلمُهم ملهوفاً ، وكان بمعرّته جارما ، وكم حَلَبَ في حَلَبَ [وغيرها][2] رزقاً ، وفي غيرها ، وما كان حارما .

فليباشر ذلك [مُقْتَديا] بما لأبيه أدام الله تعالى نعمته في هذه الوظيفة من الآثار الحميده ، والمناقب التي أخذت أياديها على المحامد عهوداً أكيده ، والآثار التي لا يطاولُ

(١) (ق) : « فعاطوها » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

الزمانُ قصورَها المشيده ، والفضائل التي هي في الديوان بيت القصيده ، حتى تَجَمَّلت به الدنيا ، وأقسم الفضلاء أنّ القاضي الفاضل لم يقضِ نحبا ، وأنه يحيا ، مهتديـاً بسمت عمّه خلّد الله سعوده ، فإنه لهذه الدنيا[١] شرف ، ولهذه الأيام من أقلامه غابٌ لا يدخلها ليثُ خطب إلاّ انهزم وانصرف ، ولهذه الأيام[٢] من تواقيعه جنات فيها حور الأرزاق ، تأوي إلى غرف ، وليدبجّ بأقلامه المهارق التي تمطرها البلاغه ، وتُعَلِّم الناس بمعانيها كيف يكون السحر وبألفاظها صناعة الصياغه . والوصايا عنهم يؤخذ بيانها ، ومنهم يشير إلى الهدى بنانها فما[٣] ينبّه عليها ، ولا يدل على الطريق الآخذة إليها ، وتقوى الله هي العمده ، والذخر العتيد عند الشده ، فلا ينس فيها نصيبه ، ولا يقدم غيرها في المهات كتيبه ، والخط الكريم أعلاه حجة في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى » .

وكتبت إليه رحمه الله تعالى وقد عرض عليَّ من حفظه (المعلقات السبع) و (ملحة الإعراب) للحريري :

« أما بعد حمد الله تعالى حقّ حمده ، وصلاته على سيدنا محمّد نبيّه وعبده وسلامه ، فقد عرض عليّ الجناب الكريم العلائي ابن المقرّ الشريف الشهابي بن القيسراني :

مولى إذا أعمل أقلامه ... لم يبق في الجُودْ لغيث حِصَص[٤]
فالبرق من حرقته يلتظي ... والرعدُ في السحب كثير الغصص
لذا أولو الحاجات في بابه ... تطرب إن وقّع فوق القصص

(١) (أ) ، (ق) : « الدولة » .
(٢) (أ) ، (ق) : « البريّة » .
(٣) (أ) : « فلا » .
(٤) في الأصل : « قصص » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جميع (المعلقات السبع) من أوّلها إلى آخرها ، و (ملحة الإعراب) للشيخ أبي [محمد][(١)] القاسم بن الحريري رحمه الله تعالى في مجلس واحد عرضاً عن ظهر قلب ، وهذا يتعدّى إلى اللبّ بهمزة السَّلب ، كالسيل إذا تحدّر على الحقيقة من علي ، والجود إذا أتى من كريم ملي ، والحقّ إذا توضح من جليل جَلي :

فما رآه ناظري عارضاً لكنه صاحبُ ديوان
وما تفاءلْتُ له كاتباً بل حاكاً في صدر إيوان

وقد شهدت له فراستي أنه ينّزل من العلم الشريف في أعلى ربع ، ويعرف اللغة ، فلا يغيب شيء من غابها عنه ، لأنه قد حفظ السبع ، ويترقى في سماء الفضائل بدراً لا يغيب عنها ، ولا يَغْرُب ، ويُخْرِس[(٢)] الفصحاء [ببيانه][(٣)] حتى لا يعرب كلامه يعْربُ ، والله يسعده سعادة يزين الدياجي بِسُرُجها ، وتصعده رتباً ، رقي أهل بيته [في][(٤)] دُرجها ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥٠ - علي بن يحيي*

ابن محمد بن عبد الرحمن السلمي ، الحنفي ، الرئيس ، القاضي ، علاء الدين أبو الحسن بن جمال الدين بن الفويرة .

كتب هذا علاء الدين الخطّ المنسوب الباهر ، وجوّد النسخ الذي يفضح الروض

(١) زيادة من (ق) ، وفي (أ) : « أبي القاسم بن محّد » ، ولا وجه لها ، والحريري هو : أبو محمد القاسم بن علي بن محّد (ت٥١٦) .
(٢) في الأصل : « ويحرس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
* الدرر : ١٣٩/٣ ، والذيل التام : ١٣٥ .

إذا كان بإزاء الأزاهر ، وأتى بخطّه في قوائم[١] الحساب ، كأنه عقود الجواهر ، ونبغ بعد والده ورأس ، واحترز من مطاعن السيادة[٢] . واحترس .

وكان بيده شهادة الخزانة ونظر الأسرى ، ووجد من ألم هذا النظر ما رجعت به عَيْنُه حسْرى ، وخرج عنه مرات ، وعاد إليه ، ولكن بعد ماأتى على مالديه ، ثم خرج عنه آخرا ، وعدم منه على ما قيل بحراً زاخرا .

ثم إنّه رُسم له بتوقيع الدست في الشام ، فباشره دون نصف العام ، وجاءه حَيْنُهُ ، وملئت بالتراب عَيْنُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء ثالث عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

كان في نظر الأسرى فسُلِّط[٣] عليه القاضي علاء الدين بن الأطروش محتسب دمشق ، فأخذها منه في أيام الأمير سيف الدين يلبغا ، فاحتاج إلى كلفة حتى بطلت القضية . ثم إنه أخذها مرة أخرى فيما أظن أو غيره ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم أخرجت عنه ، فاحتاج إلى كلفة ، ثم إنها خرجت عنه للأمير ناصر الدين بن الْمُحْسِني[٤] ، وبقي منها بطالاً إلى أن حضر القاضي علاء الدين بن فضل الله إلى دمشق صحبة السلطان الملك الصالح ، فسأله أن يكون في الدست موقّعاً ، فوعده بذلك إذا وصلوا إلى مصر . ولما وصلوا جاءه التوقيع ، وباشر ، وجرى عليه ما لم يجرِ على غيره لكونه دخل في هذه الوظيفة ، وليس من أهلها ، ونظم الشاميون والمصريون في ذلك ، فمن ذلك قول القاضي شمس الدين محمّد بن قاضي شهبة ، وأنشد فيه من لفظه :

---

(١) في الأصل : « قوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « السيرة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) (أ) : « تسلّط » .

(٤) محمد بن بدليك ، ترجم له صاحب الدرر : ٤١١/٣ ، وقطع أخباره سنة (٧٥٤) ، ولم يذكر سنة وفاته .

توقيعُ مملكة الدست الشريف غدا يقول منْ حنق الأنفاس مغبون[(١)]
صبرتُ للقطّ [لمّا] لم يكن نجساً صبر المؤمّل من حين إلى حين[(٢)]
وبالفويرة قد أصبحت ذا نجسٍ بالله يا أولياء الأمر كُبّوني

وأنشدني لنفسه أيضاً :

توقيع دست المسلمين يقول لم أُذنب ولم أُجرم ففيم قصاصي
في الشام تُقْرَضُ بالفويرة حُلّتي والقطّ في مصرٍ فكيف خلاصي

وأنشدني من لفظه لنفسه نجم الدين أحمد بن غانم :

أدست الملك أنت عظيم قدر وأنت كبدر أفق وسط دارَه[(٣)]
فما لك بالقذارة يا مفدّى أهنت وحُطّ فيك اليوم فاره[(٤)]

وأنشدني آخر :

توقيع ديواننا يُنادي يا ربّ ما للأنام غَيْره
اضرّبي القطّ والزغاري وقد تنجسْتُ بالفويره

وكان الأمير علاء الدين ألطنبغا وهو نائب دمشق قد رسم له بصحابة ديوان الجامع الأموي في سابع شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكتبتُ له توقيعاً بذلك ونسخته :

« رُسِمَ بالأمر العالي لازال عليّاً وليُّه ، نجيّا صَفيُّه ، مليّاً إحسانه إلى من يَرى به المنصب وفيّه ، أن يرتّب المجلس السامي القضائي العلائي في كذا ، لأن الكاتب

(١) كذا ، وعليه ففيه إقواء .
(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) ، (ق) : « عزيز قدر » .
(٤) في الأصل : « وحط اليوم فيك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

الذي راحت براحته الطروس مدبجّه ، والسطور شفاها[1] ، وحروفها لاختلاف وضعها ثغور مفلّجه ، والمداد مسكاً لأنّ المعاني به [نافجة][2] نافحه ، ولا يقال نفجّة ، والحاسب الذي لو شاء لَقَطَّ النيل [على][3] أصابعه ، وحرّر حركات البرق بعقود أنامله التي هي أسرع من لوامعه ، وضبط حاصل الجامع حتى أصبح مأسوراً في جوامعه ، والأصيل الذي تتردّد الرئاسة خلال خلاله ، وتتعدد السيادة من معاطفه إذا خطر في حلّة كماله ، وتشهد له المحاسن فإن الناس طالما شاهدوا إحسان جماله .

فليباشر ذلك مباشرة تليق برئاسته ، وتضمن له الفضل الذي يديم الله [له][4] ملابس نفاسته ، حتى يقول الناس : إنّ الليث قد فاز بمدح شبله ، والغيث حاز المنح بوبله ، ويقسم المجد بهذا البلد ووالد وما ولد[5] إنّ الفضل به اتّحد ، واشتمل عليه وبه انفرد ، وهذا الجامع ـ عمره[6] الله تعالى بذكره ـ يتحقق أنه ذو حسن ورونق يطرب من يلقاه ومن ذا الذي لم[7] يطرب لمعبد أمواله جمّه ، وأحواله مهمّه ، ولياليه بوقودها متوضحة إذا كانت أيام غيره مدلهمّه ، عليه جملة من الرواتب ، وعدّة من الجوامك تدرها سحائب النفقات من يد كل كاتب ، يَسْتَرْفِدُهُ حتى بيت المال ، وناهيك بذلك وتستجديه بقيّة المساجد ، فينيرُ لياليها الحوالك .

فليعمل جهده في حراسة ماله ، وصيانة ما يساق لزينته وجماله ، وليجتهد فيما هو لازمه من وظيفة جمّلت الأوان ، ويعتمد على السداد ، فما له رفيق إلاّ وله بيت وهو

---

(١) في الأصل : « سقاها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) في كلامه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذ البلد ﴾ إلى قوله : ﴿ ووالد وما ولد ﴾ [البلد : ١/٩٠ ، ٣] .
(٦) في الأصل : « عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٧) (أ) ، (ق) : « لا » .

صاحب الديوان . والوصايا كثيرة ، وتقوى الله عزّ وجل أفضل ما شرحه لسان قلم ، وخَفَق له في العمل الصالح عذبات علم ، فليجعلها له حَرَما ، ويستدرّ بها من الله عزّ وجل نِعَما .

والخط الكريم أعلاه ، حجة العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٢٥١ ـ علي بن يعقوب بن أحمد*

ابن يعقوب علاء الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الصابوني .

كان شاباً ابن ثلاثين سنة ، وسمع الكثير بدمشق ، والقاهرة .

وتوفي بكرة الجمعة تاسع عُشْري[1] جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بمقابر باب النصر بالقاهرة .

١٢٥٢ ـ علي بن يعقوب بن جبريل**

الشيخ الإمام العالم نور الدين أبو الحسن البكري المصري الشافعي .

كان يذكر له نسباً يتصل بأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، منه إليه عشرون اسماً .

قرأ بنفسه (مسند) الشافعي على وزيرة بنت المنجا .

وكان يطّرح الكلف ، ويمشي على طريق مَن سَلَف ، ينهى عن المنكر ، ويأمر بالمعروف ، ويبالغ في ذلك وهو به موصوف . ووثب مرة على العلاّمة ابن تيميّه ، وأنكر عليه أموراً والله أعلم بالنيه ، وأنكر على الدولة أمراً لم يجد مَنْ يساعده ، وتولّى

* الدرر : ٣/١٣٩ .

(١) في الأصل : « عشر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (أ) : « عشرين » .

** الوافي : ٢٢/٢٣١ ، والبداية والنهاية : ١٤/١١٤ ، والدرر : ٣/١٣٩ ، وحسن المحاضرة : ١/٤٢٣ ، والشذرات : ٦/٦٤ .

ذلك أجانبه وأباعده ، فرسم السلطان بقطع لسانه ، وكاد الأمر ينفصل في شانه ، ولولا صدر الدين بن الوكيل صدر[١] هذا الأمر إلى الخارج ، وألقي النور من النار في مارج ، فتلطّف له مع السلطان ، فرسم بنفيه من القاهره ، وعُدَّت هذه المنقبة لابن الوكيل في الأمثال السائره .

ولم يزل البكري على حاله إلى أن بكَرت عليه مغيرة المنايا ، وأصابت حبّة قلبه منها بنات[٢] الحنايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان له تواليف ، ولما استعيرت البسط والقناديل من جامع عمرو بن العاص بمصر لبعض كنائس النصارى في يوم من أعيادهم ، ونسب هذا الأمر إلى القاضي كريم الدين الكبير ، وفعل ما فعل ، طلع البكري إلى السلطان وكلمه في ذلك ، وأغلظ له القول ، وكاد[٣] ذلك يجوز على السلطان لو لم يحلّ بعض القضاة الحاضرين عليه ، وقال : ما قصّر الشيخ ، كالمستهزئ به ، فحينئذٍ أغلظ السلطان في القول للبكري ، فخارت قواه ، وضعف ووهن ، فازداد تأنيب بعض الحاضرين عليه ، فأمر السلطان بقطع لسانه ، فجاء الخبر إلى الشيخ صدر الدين ، وهو في زاوية السعودي ، فركب حماراً وصعد إلى القلعة ، فرأى البكري وقد أُخذ ليُمضى فيه ما أُمر به ، فلم يملك دموعه أن تساقطت ، وفاضت على خدّه ، وبلّت لحيته ، فاستمهل الشرطة عليه ، ثم إنه صعد الإيوان والسلطان جالس فيه ، فتقدم إليه بغير إذن وهو باك ، فقال له السلطان :

---

(١) (أ) ، (ق) : « برز » .

(٢) في الأصل : « قلبه سهامات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

خير يا صدر الدين ! فزاد بكاؤه ونحيبه ، فلم يزل السلطان يرفق به ، ويقول : خير يا صدر الدين ! إلى أن قدر على الكلام ، فقال له : هذا البكري من العلماء الصلحاء ، يُرفق به ، وما أنكر إلاّ في موضع الإنكار ، ولكنه لم يحسن التلطّف[1] . فقال السلطان : إي والله ، أنا أعرف هذا إلا حطبة[2] ، ثم انفتح [الكلام][3] ، ولم يزل صدر الدين يلاطف السلطان ويرققه حتى قال له : خذه ورُوح ، إلا أنه يخرج من القاهرة .

وكان البكري بعد ذلك يقيم بدهروط وبغيرها ، وجرى هذا كلّه والقضاة حضور وأمراء الدولة ملء الإيوان ، وما فيهم من ساعد الشيخ صدر الدين غير أمير واحد .

وكان نور الدين هذا فيه كرم مع الفاقة ، وكانت له جنازة حافلة إلى الغاية .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وصّى له ابن الرفعة أن يكمل (شرحه) على (الوسيط) ، وصنّف كتاباً في البيان ، وكتب على الفاتحة مجلّدة .

١٢٥٣ ـ علي بن يوسف بن حُرَيز*

بالحاء المهملة والراء والياء آخر الحروف الساكنة والزاي .

الشيخ نور الدين أبو الحسن الشَّطَّنوفي ، شيخ القرّاء . قرأ القراءات على تقي الدين الجرائدي[4] ، وعلى ابن القَلاَّل[5] ، وقرأ النحو على صالح[6] إمام جامع الحاكم .

(١) في الأصل : « اللطف » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي : « إلاّ هذا خطبه » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

* الوافي : ٣٥٤/٢٢ ، والدرر : ١٤١/٣ ، وغاية النهاية : ٥٨٥/١ ، وحسن المحاضرة : ٥٠٦/١ ، وبغية الوعاة : ٢١٣/٢ .

(٤) يعقوب بن بدران بن منصور (ت٦٨٨) ، العبر : ٣٦٠/٥ ، وغاية النهاية : ٣٨٩/٢ .

(٥) علي بن عبد الله بن أبي بكر ، ترجم له في غاية النهاية : ٥٥٢/١ ، ولم يذكر سنة وفاته ، وكان حيّاً سنة (٦٦٨) ، ووقع في الأصول : « العلال » ، وأثبتنا ما في غاية النهاية .

(٦) هو صالح بن إبراهيم بن أحمد الإسعردي ، كما في الدرر ، وغاية النهاية ، وانظر : بغية الوعاة : ٨٠/٢ ، ووفاته (٦٦٥) .

وسمع من النجيب الحراني ، وتولّى التفسير بجامع ابن طولون ، وتصدّر للإقراء بجامع الحاكم ، وكان القضاة يكرمونه ، والعلماء يعظّمونه ، ويعتقد الناس صلاحه ، ويرون أنه ممن جعل الدعاء سلاحه ، وقرأ عليه جماعة وخلائق ، وصفت منه [له][1] البواطن والخلائق .

ولم يزل على حاله إلى أن شطّ المزار[2] من الشطّنوفي ، وبطل ما كان يسنده منه إلى البصري والكوفي .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

وصنف كرامات الشيخ عبد القادر الجيلي[3] ، وذكر فيها عجائب وغرائب ، وطعن الناس عليه في أسانيدها وفيما حكاه .

١٢٥٤ ـ علي بن يوسف بن الحسن*

الإمام المحدّث الأديب نور الدين أبو الحسن الزَّرَنْدي ، بفتح الزاي والراء وسكون النون ، وبعدها دال مهملة ، ثم المدني الحنفي .

تفقّه وشارك في الفضائل ، وكان عليه للعلم مخايل ودلائل ، وله فهمٌ ورزانه ، ولكلامه رونق ورَصَانه ، ونظم ونثر ، وقرأ بنفسه الحديث والأثر .

ولم يزل على حاله إلى أن [دَثر ، ودخل في خبر كان وغَبَرْ][4] وتوفي رحمه الله تعالى ...[5]

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « مزار الحياة » .

(٣) في كتاب سمّاه « البهجة » ، كما في الدرر .

* الوافي : ٢٢/٣٥٦ ، ووفيات ابن رافع : ٢/٥٠ ، والدرر : ٣/١٤٢ ، والنجوم : ١١/١١٦ ، والذيل التام : ٢٤٨ .

(٤) زيادة من (ق) ، كتبت بخطّ مغاير ، وترك مكانها بياض في النسخ الأخرى .

(٥) كذا بياض في الأصول ، وقد توفي صاحب الترجمة في سابع ذي الحجة سنة ٧٧٢ هـ ، كما في وفيات ابن رافع ، ومصادر ترجمته الأخرى .

ومولده بطيبة قبل السبع مئة .

قال شيخنا الذهبي : رحل إلى العراق مع أخيه ، وسمع ببغداد ، ودخل إلى خوارزم ودمشق ، ومصر ، وعُنِيَ بالحديث والرواية[١] ، وسمع مني وأعجبتني فضائله ، وله نظم ونثر .

١٢٥٥ - علي بن يوسف*

الشيخ علاء الدين أبو الحسن ابن الشيخ الإمام المحدّث الكاتب مجد الدين أبي الفضل[٢] بن المهتار محمد بن عبد الله المصري الأصل ، ثم الدمشقي الشافعي .

سمع كثيراً بإفادة والده على [ابن][٣] أبي اليسر والضياء يوسف بن خطيب بيت الآبار ، والبدر عمر بن محمد الكرماني ، والمجد بن عساكر ، والقاضيين شمس الدين [بن][٤] أبي عمر الحنبلي ، وشمس الدين بن عطا الحنفي وجماعة غيرهم .

ومن مسموعاته على ابن أبي اليسر (صحيح البخاري) و (سنن النسائي) و (الحِبّانيات)[٥] وأكثر من عشرين جزءاً .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وجمعت من شيوخه ستين شيخاً ، سمع منهم ، وكان إماماً بمسجد الرأس ، ويشهد تحت الساعات[٦] وله حلقة يُقرئ فيها القرآن بالجامع .

---

(١) (أ) ، (ق) : « وعني بالرواية » .

* الدرر : ١٤٣/٣ .

(٢) في الأصل : « أبي الفضائل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « الحسابيات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والحِبّانيات نسبة إلى محمد بن حبّان (ت٣٥٤) ، صاحب المسند الصحيح وغيره .

(٦) في الأصل : « الساعاتي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ثم إنه ضعف بصره ، وانقطع ، وحدّث هو وأبوه وأخوه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر المحرّم سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وست مئة .

١٢٥٦ - علي بن يوسف أمير علي بن أمير*

صلاح الدين بن الملك الأوحد شادي بن الزاهر ، ابن صاحب حمص .

كان هذا أمير علي صورة أبدعها الخلّاق ، وأفرغ عليها من الجمال ما لاق ، كأن الشمس قد طلعت من قدّه على رمح ، والبدرَ قد طلع من أطواقه وبدا من جبينه الصبح ، كأنما صبّ النديم على وجناته رحيقه ، أو الورد لما ورد روضها شقّ من الغيظ شقيقه ، أو المحبّ لمّا لحها أودعها حريقه ، بقوام كأنه غصن بانه ، أو قضيب ريحانه ، وثغر تحكيه الأقحوانه ، وشفاه هي على در مبسمة أصداف مرجانه :

يفتر عن لـؤلـؤ رطْبٍ وعن بَرَد ... وعن أقاحٍ وعن طلع وعن حَبَب[1]

وعيون تنفث السِّحرَ في عُقَد الحشا ، وتفعل في القلوب ما يريده الغرام وما[2] يشا ، جفونها سيوف في جفون ، وأهدابها سهام يرميها حاجب قوسه كَنُون ، وبشرة رقت فما مثلها في البَشَر ، وشفّت كأنها الجوهر إذا صفا ، وانقشر ، يرى الناظر وجهه غريقاً في مائه ، ويقابله الهلال فينطلع في لألائه[3] :

فـانقش لمـا شئت على خـاتم ... وحـاذِه تَقْرأهُ من خـدّه

---

* الدرر : ٣/١٤١ .

(١) في الأصل : « وعن أحاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « آلائه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

هذا إلى حياء كأنه مُريب ، وإطراق لا يملأ معه عينه[١] من أحد ، كأنه رقيب قريب ، وصيانة كأنَّ الجُنَيْد من جندها ، وتقوى كأنَّ السَّرِيّ سَرَى إلى عندها .

وعلى الجملة فقلَّ أن رأت العيون نظيره ، أو دخل معه كفؤ في حظيره .

توجّه إلى الحجاز ، واحتفل بأثقاله ، وبالغ في حمول جماله ، فلم يزل إلى أن قارب المدينة النبوية ، فتغيّر مزاجه ، وتَصَعَّبَ عليه[٢] علاجه ، واصطفاه ربّه ، وضمّ ذاك الجمال البارع تُرْبُه :

مـا أنت يـا قبر لا روضٌ ولا فلـك   من أينَ جمّـع فيـك الغُصْنُ والقمَر

وتأسّف الناس على شبابه كيف اختطف ، وعلى زهر حسنه كيف اقتطف ، ودفنته أمّه في البقيع ، وأودعته كنف الشفيع .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة فرحم الله شبابه ، وكرّم مآله ومآبه .

وكان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، ولم يكن في زمانه [في][٣] موكب دمشق أحسن منه ، ومات رحمه الله تعالى ، ولم يبقل وجهه ، وكان تقدير عمره ثمان عشرة سنة فما دونها .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن العماد المقدسي :** أحمد بن عبد الحميد .

☆ **وعماد الدين بن عماد الدين :** [أحمد][٤] بن محمد .

---

(١) في الأصل : « لا يملأه عينه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ط) .

☆ **ابن العماد الكاتب** : عز الدين حسن بن علي .

١٢٥٧ - عمر بن إبراهيم*

ابن حسين بن سلامة بن الحسيني ، الإمام الأديب الْمُسْنِد المعّمر جمال الدين أبو حَفْص الأنصاري العَقِيمي الرَّسْعَني .

ذكر أنّ الكندي أجاز له ، وأن الاستدعاء كان بخط الموفق ، وإنما ذهب [منه][١] أيام هولاكو .

سمع عليه شيخنا الذهبي والجماعة .

وسمع من المجد القزويني وابن روزبة وأبي القاسم بن رواحة ، وقدم دمشق في شبيبته ، وسمع من ابن الزبيدي ، وعبد السلام بن أبي عصرون[٢] ، ومحمود بن قرقين[٣] ، والضياء الحافظ .

وقرأ العربية ، ونظم جيّداً ، وكان يُذْكَرُ في الأيام الناصرية الصلاحية يوسف ، ويُعدّ في الشعراء ، وكتب عنه الصاحب كمال الدين بن العديم ، وتنقل في الخِدم ، وكان يوصف بالديانة والعفّة[٤] والأمانة . وانتهت إليه رئاسة الشعر ، وغَلاَ به مِن القريض السعر ، وحصلت له رئاسه ، واشتهر في خدَمِه بالنفاسه .

ولم يزل على حاله إلى أن درج إلى باريه ، وراح وكل مَنْ بعده[٥] مباريه .

---

* الوافي : ٤١٣/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٢ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٢) هو عبد السلام بن المطّهر بن أبي سعد (ت٦٣٢ هـ) ، الشذرات : ١٤٩/٥ .

(٣) محمود بن علي بن محمود (ت٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٣٢/٥ ، ووقع في الأصل : « فرقين » ، وفي (أ) : « فوقين » ، تصحيف .

(٤) (أ) ، (ق) : « ويعرف بالعفّة » .

(٥) في الأصل : « وراح كل بعده » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده برأس العين سنة ست وست مئة .

وروى عنه الدمياطي في (معجمه) وابن الصيرفي والمقاتلي وطائفة .

وعقيمة : قرية من سنجار .

وكان قد اتفق حضور شخص من مصر يعرف بشهاب الدين بلاخِصَى ، وولي نظر العمائر والسكّر ، وكان مُطَيْلساً ، وكان يحمل دواته شاب مليح ، وكان يسكن جوار الملك الزاهر ، فأفسد الزاهر الشاب المذكور ، ووعده بخبز ، فترك شهاب الدين بلاخِصَى ، وخدم الزاهر ، فلقي عنده كل سوء ولم يشبع الخبز ، فقال جمال الدين العقيمي فيه :

يا شادناً ضلّ السبيل لرُشْدِه ... وعصى العذول سفاهة فيمن عَصَى
قد كنت عِنْدَ بلاخصى في نعمةٍ ... فتركتها سفهاً وجئت إلى خصى[1]

ومن شعره :

عيونُ المها منّي إليك رسُولُ ... نسيم سرى بالواديَينْ عليلُ
إذا ما انبرى يروي عن الروض نَشْرَه ... تقبّل بُرْدَيْه صباً وقبول
وإن هبّ معتلاًّ لِبَثّ صبابتي ... تفهّمْ حديث الوجد فهو يطول
وإن بان بانُ السفح عن أيمن الحمى ... فما مال إلاّ أنه ليقُول
حديثاً رواه البانُ عن نَسْمة الصبا ... ومن حُزُني أن النسيم رسول[2]

قلت : عكس هذا الشاعر المعنى ، لأن الصبا تروي[3] عن البان ، وعن غيره مما تمر عليه .

(١) (ق) : « فتركته » .
(٢) في الأصل : « بسمة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في (أ) ، (ق) : « الصبا هي تروي » .

١٢٥٨ ـ عمر بن إبراهيم بن عمران*

نجم الدين البهنسي .

اشتغل بمصر ، وحضر مع أخيه من أمّه عماد الدين الْمُهَلَّبي إلى قوص ، وتولى الحكم بِهُوّ وبإسنا وأُدْفُو ، وكان فقيهاً له أدب وخط[١] حَسَنٌ ، ودرَّس بالمدرسة العَزِّية[٢] بإسنا ، وأقام بها حاكماً ، وبأدفو أكثر من سبع سنين .

قال الفاضل كمال الدين[٣] الأدفوي : على طريقة مرضيّة ، ووقعت بأسنا تركَة عبد الملك بن الجبّان الكارمي ، فُطلب بسببها إلى القاهرة ، فحصل له خوف شديد[٤] ، ومرض بالبُلْيْنا[٥] ، فرجع إلى قوص ، وتوفي بها سنة عشر وسبع مئة عن ثمانية وأربعين سنة .

١٢٥٩ ـ عمر بن أحمد بن الخضر بن ظافر**

سراج الدين الأنصاري الخزرجي المصري الشافعي .

سمع من الرشيد العطّار ، وتفقه أولاً على ابن [عبد][٦] السلام ، ثم على النصير بن الطباع[٧] ، وأجاز له المرسي والمنذري .

---

* الوافي : ٤١٥/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٣٨ ، والدرر : ١٤٧/٣ .

(١) في الأصل : « له » في (أ) ، (ق) والوافي : « وله أدب » ، وفي (أ) ، (ق) : « وخطّه ».

(٢) في الأصل : « المعزيّة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

(٣) في (أ) ، (ق) والوافي : « كمال الدين جعفر » .

(٤) قوله : « فحصل له خوف شديد » ليس في الطالع السعيد .

(٥) مدينة على شاطئ النيل من غربيّه بصعيد مصر (معجم البلدان) .

** الوافي : ٤١٨/٢٢ ، والدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) والوافي .

(٧) في الدرر والشذرات وذيول العبر : « الطّباخ » .

وسمع منه شيخنا البرزالي وابن المطري[(١)] ، وخطب بالمدينة أربعين عاماً[(٢)] ، وولي القضاء بعد ذلك ومرض ، فسار إلى القاهرة ، ليتداوى ، فأدركه الموت بالسويس في العشر الأواخر من المحرّم سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست أو سبع وثلاثين وست مئة .

١٢٦٠ - عمر بن أحمد بن أحمد بن مهدي*

عز الدين المدلجي النسائي الشافعي .

سمع من شرف[(٣)] الدين الدمياطي وغيره .

برع في الفقه ودقق ، ونظر في الأدلة وحقّق ، وقاس ورجّح وفرَّع وفرّق ، مع معرفة بالأصول وتوفير مَوَادّ ومحصول ، وله على (الوسيط)[(٤)] إشكالات جَوّدها ، وبيض بها وجه المذهب لمّا سوّدها .

وكان زاهداً قانعاً برزْقه عابداً ، يحضر السماعات ويطيب ، ويحصل له حالٌ يأخذ [مَن الوجد][(٥)] بنصيب .

ولم يزل على حاله إلى أن حجّ ، فادلهمّ له لَيْلُ الحياة ودَجّ .

وتوفي بمكة رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة عشر وسبع مئة .

وإشكالاته على (الوسيط) في مجلدين[(٦)] . وكان يدرّس بالفاضلية والكهّارية ، ويعيد بالمدرسة الظاهرية .

(١) عبد الله بن محمد بن أحمد (ت ٧٦٥) ، وفيات ابن رافع: ٣٩٤/١ .
(٢) في الأصل : « يوماً » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والدرر .
* الدرر : ١٤٩/٣ ، والشذرات : ٤٤/٦ .
(٣) في الأصل : « شمس » ، سهو .
(٤) في الأصل : « التحصيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، و « الوسيط » للغزالي .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٦) انظر : الكشف ٢٠٠٨/٢ .

١٢٦١ ـ عمر بن أحمد بن عبد الدائم*

ابن نعمة المقدسي ، الشيخ الصالح أبو حفص .

عذّبه التتار بالصالحية عذاباً شديداً ، ثم حُمل إلى داخل البلد ، فأقام أياماً يسيرة ، ومات في درب القلي[1] رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة . ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة . [وحَضَر على الحافظ أبي موسى بن عبد الغني في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وست مئة][2] .

وسمع من ابن الزبيدي والهمداني والإربلي ، وابن صبّاح ، والناصح بن الحنبلي ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وآخر ما قرأت عليه الثالث والرابع والخامس من (الخُلَّعِيَّات) لسماعه من ابن صبّاح .

١٢٦٢ ـ عمر بن أحمد**

زين الدين بن الصدر شهاب الدين بن قُطَّينة الزرعي التاجر .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثامن عشر صفر سنة خمس وسبع مئة .

١٢٦٣ ـ عمر بن أحمد***

القاضي زين الدين ، رئيس ديوان الإنشاء بطرابلس ، الصفدي ، المعروف بابن حلاوات .

---

* لم نقف على ترجمة له ، وخلَتْ من ترجمته (أ) ، (ق) .
(١) أشار إليه صاحب الدارس : ٢٥٣/٢ .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
** الدرر : ١٥٣/٣ .
*** الوافي : ٤٢٦/٢٢ ، والدرر : ١٥١/٣ .

كتب الإنشاء أولاً بصفد ، وفاز من الدهر بالحظّ والصَّفد ، ثم نُقل إلى طرابلس ، فنال فيها الحظ والوجاهة[١] والسياده ، وباهَىَ[٢] فيها الكواكب بمعاليه ويادَه .

وكان من رجال الزمان إقداما ، وممّن يُتْعِب أعاديه إرغاما ، لا يهاب الأُسود إذا فغرت فاها ، ولا الأيام إذا أدبرت وأولته جفاها ، خبيراً بمداخلة النواب ، ومشاكلة الأنواع والأضراب ، ما كتب قدام نائب إلا وخلبه ، ونهب عقله وسلبه ، وأصبح طوع مرامه ، وقوْساً في يده يرمي بها إلى غرضه بسهامه ، ولا يرجع في[٣] المملكة لغيره في[٤] كلمة ، ولا لصاحب وظيفة حركةٌ في النفاد مُصْطلحة ، ولا تجد في بلده أحداً يذكره إلا وهو يقول :

ذاك خليلي وذُو يُـــــــوَاصِلُني ... يرمي ورائي بـــأسهم وامسَلمـــه[٥]

أطاعته المقادير وساعدته ، وتأخرت عنه الخطوب وباعدته ، ولو أخّره الأجل تقدّم ، ولم يغادر للرؤساء غيره من متردَّم ، فإنّ القاضي علاء الدين بن الأثير كان يطوي حشاه على محبّته ، ويرى أنه يستحق التقدم لرتبته ، ولكن تقدّم بين يديه فَرَطا ، وسطع له بارقُ السعد ثم سطا .

وكان فيه خدمة للناس في قضاء أشغالهم ، ومبادرة إلى تلقّي حوائجهم ، وتمشية أحوالهم ، لا يتوقف في أمر يُقْصَد فيه ، ولا يبالي إن كان تلافه فيه أم تلافيه . وكان يدّعي معرفة علوم شتّى ، وربما تجاوز في بعض الأوقات وأفتى . وينظم وينثر ، ويجري في حلبة الشعراء ، وما يُرى أنه يعثر ، ولكنه كان بالنجامة مغرى ، ويرى أنه هو بمفرده منها أكبر من أبي مَعْشر قدْراً ، وهي أجود ما يعرفه ، وخيار دينار يخرجه

(١) (أ) ، (ق) : « فنال فيها الوجاهة » .
(٢) في الأصل : « وبادى » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في (أ) ، (ق) : « في تلك المملكة » .
(٤) ليست في (أ) ، (ق) .
(٥) قائله بجير بن غنمة الطائي ، انظر : شرح شواهد المغني للبغدادي : ٢٨٩/١ .

من كيس معرفته ويصرفه ، والحُظوظ ماتُعَلَّل ، والدنيا ما تحتاج إلى تاج بالفضائل مُكَلَّل .

ولم يزل في إسعاف وإسعاد وإلطاف وإصعاد ، إلى أن وصل إلى[1] غاية ماقُدّر له من عمره وأُعْربَ بعد رفَعْهِ ونَصْبه بجرّه .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس بكرة[2] السبت رابع شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

كان هو أولاً بصفد ، وله أَخَوان تاجران ، أحدهما برهان الدين إبراهيم ، وهو أوجه تاجر كان في صفد ، والآخر يُدعى يونس تاجر سَفّار ، وتعلّق هذا زين الدين بهذه الصناعة ، وتردد إلى شيخنا نجم[3] الدين بن الكمال الصفدي ، وقرأ عليه بعض شيء في العربية وتدرّب به ، وكان ذِهْنُه جيّداً ، وصار يكتب الدَّرج عنده ، فلما ورد الأمير بتخاص إلى صفد نائباً كان معه الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، فانضم زين الدين إليه في الباطن ، واستبد شهاب الدين بالوظيفة ، وانفرد الشيخ نجم الدين بالخطابة ، ثم اتفقوا عليه وأخرجوه منْ صَفَد ، فتوجّه إلى دمشق ، وما كان إلاّ قليلاً حتى إتفق القاضي شرف الدين محمد بن النهاوندي[4] الحاكم بصفد هو وزين الدين عَلَى شهاب الدين بن غانم ، وأوقعا بينه وبين النائب ، وكتب النائب إلى مصر ، وأَحضر لزين الدين توقيعاً بكتابة سرّ صفد ، وانفرد بالوظيفة .

وكان فيه مروءة وعصبية ، وسعة صدر في قضاء أشغال الناس والمبادرة إلى نجاز مرادهم ومساعدتهم على ما يجادلونه ، وأنشأ جماعة في صفد من أجنادها ، وغيرهم ، وكان

(١) ليست في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « في بكرة » .
(٣) في الأصل : « تاج » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٤) محمّد بن عثمان بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

ذا خبرة ، وسياسة ومداخلة في النواب واتحـاد بهم حتى لم يكن[١] لأحـد معـه حـديث . وكان هو المتصرف في المملكة ، وتقدّم ، ورزق الوجاهة ، وحَظِي ونـال الـدنيـا ، وجمع بين خطابة القلعة والتوقيع بصفد .

وانتمى[٢] إلى القـاضي عـلاء الـدين بن الأثير فـمال إليــه ، ولـمـا جــاءه خبره من طرابلس بكى عليه ، ولو أنَّ زين الدين كان حيّاً لّما انفلج ابن الأثير مـا كان كاتب السر في باب السلطان غيره . ولّما قال له السلطـان من يصلح لهـذا المنصب ؟ قـال : أمّـا في مصر فما أعرف أحداً ، وأمّا في الشام فما كنت أعرف أحداً غير ابن حلاوات وقد مات .

وكان ابن حلاوات قـد داخل نواب صفـد كثيراً ، ويقع بين النواب وبين تنكـز ، وعزل جماعة منهم ، ثمّ لـمّا جـاء إليهـا الأمير سيف الـدين أرقطـاي نـائبـاً وقع بينهما ، واتصلت القضيـة بـالسلطـان وهي واقعـة طويلـة ، فردّ فيهـا الأمر إلى تنكز ، فطلب ابن حلاوات إلى دمشق وقـد امتلأ غيظـاً عليـه ، ولمـا دخل عليـه رمـاه بسكين كان في يديه لو أصـابتـه جرحتـه أو قضت عليـه ، ورسَّم عليـه وصـادره ، فوزن ثمـانيـة آلاف درهم . فسعى له الأمير سيف الدين بكتمر الحـاجب والقـاضي علاء الـدين بن الأثير مع السلطان ، واتفق أن مات موقع طرابلس في تلك الأيام فما كان بعد ثمانية أيـام تقريبـاً حتى جاء البريد بالإفراج عنه ، وإعادة ما أخذ منه ، وهـذا أمر مـا اتفق لغيره في تلـك الأيام ، وتجهيزه إلى طرابلس [موقّعاً ، وكان المرسوم مؤكّداً ، فما أمكن تـذكر إلاّ اعتماد ما رسم به في حقّه ، وتوجّه إلى طرابلس][٣] رئيس ديوان الإنشاء ، ودخلهـا في مستهل

---

(١) في الأصل : « حتى لا يكن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وانتهى » .

(٣) مابين حاصرتين وقع في الأصل بعد قوله الآتي : « في التاريخ المـذكور » ، وأثبتنـا مـا يتفق مع (أ) ، (ق) والوافي .
ثم إنّ ناسخ الأصل اختصره وأورده بلفظ « وكان المرسوم الذي ورد بسببـه مؤكـداً فـا أمكن تـذكر إلا اعتماد مارسم به في حقّه » .

جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وأقام بها في وجاهة ورياسة وحُرمة وافرة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان يعرف النجامة وعلم الرمل جيداً ، ويدعي أنه من جماعة الشيخ محيي الدين بن عربي ، وينتمي إلى مقالته ، ويرى رأيه في الوحدة ، ولم يتفق لي به اجتماع خاص ، بل رأيته غير مرة ، وسمعت خطبه كثيراً .

وأخبرني من رآه أنه كان يتعذر عليه كتابة اسمه عمر ، فيكتب صورة نمر ، ثم بعد ذلك يركب عليها حرف العين ، لتتكّمل[(١)] له صورة عمر .

ولما ورد في تلك المدة إلى دمشق دخل الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم إلى الأمير سيف الدين تنكز ، وشكى منه شكوى بالغة ، وقال : ياخوند ! هذا فعل بي ، هذا اعتمد معي ، هذا حبس أولادي في قلعة صفد ، وقيدهم ، وزاد في ذلك ، ثم إنه بعد ذلك اجتمع بقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ، فقال له : يا شيخ شهاب الدين ! أنت من بيت فقراء وصالحين ، وهذا الذي فعلته بهذا المسكين ابن حلاوات بين يدي هذا الملك الجبار ، ما كان يناسب طريقك ، فقال له : يا مولانا قاضي القضاة لا تكن حليماً عند غضب غيرك ، هذا حطّ رجلي في المعصار وعصرني ، ولو كان [ذلك][(٢)] على حوافر بغلتك ضرطت ناراً .

وكان قد كتب إليه شيخنا نجم الدين كتاباً يحرّضه عليه فيه ويغريه به ، ومنه :

ألا طعان ألا فُرْسانَ عادية إلا تجشّؤكم بين التنانير[(٣)]

فكتب الجواب إليه عن ذلك ، ومنه أبيات وهي :...[(٤)]

---

(١) في الوافي : « لتكتمل » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) البيت لحسان بن ثابت ، ديوانه : ٢١٣ .

(٤) كذا في الأصل ، بياض .

ودخل زين الدين بن حلاوات في تلك النازلة وهو[1] بدمشق إلى الصاحب شمس الدين ، وقال : يامولانا الصاحب أنا مابقيت أعمل صنعة التوقيع ، اعملوا إليّ معلوماً ودعوني في هذا الجامع [الأموي][2] أشغل الناس في ستة عشر علماً ، وكان شهاب الدين بن غانم حاضراً . فقام وقال : يامولانا الصاحب هذا غلط منه ، وإنما يعرف ثمانية عشر علماً لأنها اثنا عشر برداه وست أواذات في علم النغم ، وهذا إلا والده مُشببّ وهو مُطَنْكل ، وأنشده أبياتاً منها :

وإذا رأى المزمار هزت عطفه ... نَسبٌ إلى الأجداد والآباء

ومن شعر زين الدين بن حلاوات :

ولابسة البلّور ثوباً وجسْمُها ... عقيق وقد حُفّت سُموط لآلي[3]
إذا جُليت عاينتُ شمساً منيرة ... وبدراً حُلاه من نجوم ليالِ

قلت : هذا القول فاسد ؛ لأن البلور جسمها وهو الزجاج ، ولباسها العقيق ، وهو الخمرة ، وأحسن من قول زين الدين رحمه الله تعالى قول الأول :

وكأنها وكأنّ حامل كأسها ... إذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقّط وجهها ... بدر السما بكواكب الجوزاء

ووجدت منسوباً إلى زين الدين رحمه الله تعالى :

خصّت يداك بستّةٍ محمودة ... ممدوحة بالبأس والإحسان
قلم ولثم واصطناع مكارم ... ومثقف ومهند وسنان[4]

(١) في الأصل : « وهي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) في الوافي : « بسمط » .
(٤) (أ) ، (ق) ، والوافي : « وعنان » .

وأُنْشِد له [يوماً] بيتا القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر لما فتح الأشرف قلعة الروم ، وهما :

ألا أيها الحصن المنيع جنابُه   تطّهرت من بعد النجاسة والشرك[(١)]
وأمسيت تُجْلَى بالخليلين دائماً   خليل إلهِ العرش والبطل التركي

فقال زين الدين رحمه الله تعالى :

قلعة المسلمين حُزْتِ كالاً   وجمالاً ورفعة وبهاء
بالخليلين صرت تجليَ مساءً   كعروس زادت سنا وسناء[(٢)]

قلت : ماكفاه أنه ماقال شيئاً يسمع حتى لحن وحذف النون من (تُجْلَين) .

١٢٦٤ ـ عمر بن آقوش*

الشاعر زين الدين أبو حفص الشِّبلي الدمشقي الذهبي الشافعي المعروف بابن الحسام الافتخاري .

رأيته في صفد ، واجتمعت به في دمشق غير مرّة ، وأنشدني كثيراً من شعره ، وسمع الحديث على الحجّار وغيره . وكان فيه تودّد وتقرّب ، وحُسْنُ صحبة وطهارة لسان .

وكان بعضهم يلقبه براطيش ، وبعضهم يسمّيه شراشط[(٣)] .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ثاني شهر رمضان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وسألته عن مولده ، فقال لي : في سنة أربع وثمانين وست مئة .

(١) في الوافي : « بالشرك » .
(٢) في الوافي : « لعروس » .
* الوافي : ٢٢/٤٣٧ ، وفوات الوفيات : ٣/١٣١ ، والدرر : ٣/١٥٦ .
(٣) قوله : « وبعضهم يسمّيه شرائط » ، ليس في (أ) ، (ق) .

أنشدني من لفظه لنفسه يودّعني عند توجهي إلى الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

ولما اعتنقنا للوداع عشيةً … وفي القلب نيران لفَرْط غليله
بكيت وهل يُغْني البكا عند هائم … وقد غاب عن عينيه وجْهُ خليله

وكتبت أنا إليه من الرحبة :

كتبتُ والدمع قد غَطّى على بصري … وبتّ فيك نجيَّ الهمّ والفكر[1]
وأشتهي من جوى قلبي وحرقته … لو أشتري ساعة بالعمر من عُمَر

وأنشدني له :

قد أثقلتني الخطايا … فكيف أخلص منها
يارب فاغفر ذنوبي … واصفح بحلمك عنها[2]

وأنشدني له :

يا مَنْ عليه اتكالي … ومَنْ إليه مآبي
جُدْ لي بعفوك عنّي … إذا أخذتُ كتابي

وأنشدني له :

يا سائلي كيف حالي في مراقبتي … وما العقيدةُ في سِرّي وإعلاني
أخاف ذنبي وأرجو العفو عن زللي … فانظر فبين الرجا والخوف تلقاني

أنشدني له :

يا سيّد الوزراء دعوةَ قائل … من بعد إفلاس وبيع أثاث

(١) في الأصل « فيه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) والوافي : « بفضلك » .

أبطتْ حـــوالتكم عليّ كأنهـــــا تـأتي إذا مــا صرت في الأجــداث
فـإذا أتت مِنْ بعـد مـوتي فـاحسنـوا بــوصــولهــــا لــلأهــل في ميراثي

وأنشدني ما كتبه للصاحب شرف الدين يعقوب[1] يشتكي من أيوب :

بُليت بـالصبر من أيـوبَ حين غـدا ينكّـــد العيش في أكلي ومشروبي[2]
وزاد يعقــوب في حــزني لغيبتـــه فصبرُ أيوب لي مع حـزن يعقـوب[3]

وأنشدني له :

إذا مـــــا جئتكم لِغَنـــــاء فقري تقـــول ابْشِر إذا قـــــدم الأمير
وقـد طـال المطـال وخفتُ يـأتي أميركم وقـــــد مــــــات الفقير

وأنشدني من لفظه [له][4] في الحمّى :

زارتني الحمّى فقلت لهـــا ابعـــدي فغــدت تخــادعني بلثم شفـــاهي
قـــالت أروح فقلت هـــذا بُغْيتي قـــالت أعــود فقلت لا بـــالله

وأنشدني من لفظه له :

أمرّ على المنــــازل وهي تشكـــو منَ الأحبــاب مــا أشكـو إليهــا
كــلانــــا يشتكي لَهُمْ فراقـــاً فمــــا عطفــوا عليّ ولا عليهـــا

وأنشدني من لفظه له :

لي حبيب مـــــا زال يُتعب قلبي فرأيت السلـــوَّ عَيْنَ الصَّــــواب
تبت لله عنـــه تـوبـــة صـــدق واستراحت عــواذلي من عتـــابي

(١) ناظر طرابلس ، كما في الوافي ، وهو يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي ، ستأتي ترجمته .
(٢) في الوافي : « بالضرّ » .
(٣) في الوافي : «فضرّ » .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

إذا أضمر المحبوب هجري وجَفْوَتي وعاد ولم يجز المحبة بالبغض
أقول له أحسنت فيما فعلته «حَنانَيْكَ بَعضُ الشرّ أهوَنُ من بعض»[١]

١٢٦٥ - عمر بن أبي الحرم*

ابن عبد الرحمن بن يونس ، الشيخ الإمام العلامة شيخ الشافعية زين الدين أبو حفص الدمشقي المعروف بابن الكتّاني[٢] ..

حدّث عن ابن عبد الدائم بالإجازة .

وسمع إسماعيل بن [أبي] اليُسر ، وإسماعيل بن المظفر ، و[٣] عمر بن حامد القوصي[٤] ، وإسرائيل بن أحمد[٥] ، ومظفر بن أبي الدَّلّ الصالحي ، والقاضي حسين بن علي القرشي وغيرهم .

تفقه وناظر ، وبرع في الأصول والفروع ، وذاكر وحاضر ، وتحوّل من دمشق إلى مصر بعلم جمّ ، وورد القاهرة ، فأخجل اليمَّ الذي ثم ، وحل بأفقها فاستحيا من كماله البدر الذي تم .

---

(١) ضمّن عجز بيت لطرفة ، وصدره :

أبا منذرٍ أفنيت فاستبق بعضنا

وهو جار مجرى الأمثال ، مجمع الأمثال : ٩٤/١ .

* الوافي : ٤٤٨/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والدرر : ١٦١/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٥/١ ، والشذرات : ١١٧/٦ ، وذيول العبر : ٢٠٣ ، وفيه : « ابن أبي الحزم » بالزاي .

(٢) في الأصل : « الكناني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « ابن عمر » سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) (ت ٦٦٩) ، والوافي : ٤٤٦/٢٢ .

(٥) لم نقف على ترجمته ، ولم يذكره المؤلف في الوافي ولا غيره عند تعداد شيوخه .

وكان جيّد الذهن كثير النقل لمذهبه ، بارعاً في التفقّه ، لا يثبت له أحد إن ناظره أو تمسك بسببه ، مائلاً إلى الدليل والحجه ، قائلاً بالبحث لا يرى التقليد من عظيم[١] المحجه ، يوهيّ بعض المسائل لضعف دليلها ، وخفاء صحتها ، وظهور عليلها ، يلقي دروساً مفيده ، ويأتي بأشياء فوائدها عتيده ، لا يحتمل أن أحداً يعارضه أو يراسله أو يقارضه[٢] ، فينفر فيه ويزبره ، ويكسره بالقول ولا يجبره .

وكان في خلقه زعارة وشراسه ، وحدّة لا ينكس[٣] الكبرُ لها راسه ، لا يخضع لأمير ولا لقاض ، ولا ينفعل لإبرام ولا لانتقاض ، وله في ذلك حكايات مشهوره ، ووقائع بين أهل مصر مأثوره ، إلاّ أنّه فرّط في علم الحديث من حيث الروايه ، وأهمل أمره ، ولم يكن له فيه عنايه ، فكان صغار الطلبة يحضرون دروسه ، ويعيبون عليه كثرة تصحيفه ، وما يقع له من الخلل في أسماء الرجال ، ولا يجسرون على تعنيفه ، وكان به وسواس في تكبيره الإحرام ، وتطويل حتى يفوته بالركوع الإمام .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل في العدم ، وكثر عليه التأسف والندم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس[٤] عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان قد اشتغل بالفقه والأصولين على ابن أبي الثنا محمود بن عُبَيْد الله[٥] المراغي ، والعلامة الشيخ تاج الدين الفزاري ، وغيرهما .

---

(١) (أ) ، (ق) : « قويم » .
(٢) في الأصل : « يفاوضه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « لا يكنس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) (أ) ، (ق) : « سابع » .
(٥) (ت ٦٨١) ، ووقع في الأصول : « عبد الله » . انظر : العبر ٣٣٦/٥ ، الشذرات ٣٧٤/٥ .

ودخل إلى مصر ، فولاه قاضي القضاة ابن بنت الأعز قضاء الحكر[١] مدة ، ثم استنابَهُ العلامة ابن دقيق العيد في مصر ، وولاه دمياط الشرقية[٢] ، ثم استنابَهُ في القاهرة ، ثم إنّ قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ولاّه الغربية ، ثم إنه وقعت له [بالمحلّة][٣] واقعة ، فعزل نفسه ، وأقام بالقاهرة ، وترك الاجتماع بقاضي القضاة ابن جماعة ، وصار يتكلم فيه ويأسى[٤] إليه ، وصارت الإساءة له عادة ، فاستعملها مطلقاً ، وتعدى إلى الأموات ، ونفر الناس منه .

وتصدّر بالجامع الأموي الحاكمي مدّة ، وأعاد بالقراسنقرية ، ثم ولي تدريس المنكوتمرية .

ولما مات أبو الحسن بن جابر ولاّه الأمير جمال الدين آقوش نائبُ الكرك دَرْسَ الحديث بالقبة المنصورية ، وذلك في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، فتكلم الناس في ذلك . وكان الطلبة الصغار يضحكون منه ، ويجيؤون إلى العلامة شيخنا أبي الفتح ، ويقولون : صحّف اليوم في[٥] كذا . وَهِمَ في كذا ، وقال في ذلك الفاضل كمال الدين الأدفوي :

بالجاه تبلغ ما تريد فإن تُرد ... رُتب المعالي فليكن لك جاهُ
أو ما ترى الزين الدمشقي قَدْ ولي ... دَرْسَ الحديث وليس يدري ما هُوْ

وولي مشيخة خانقاه طيبرس التي على البحر ، وشكا منه بعض أولاد الواقف إلى الحاجب ، فعزل منها ، وكان هو قد فهم من الناس هذا الحال ، فيقول[٦] : ولّونا ما يضحك فيه الصبيان علينا ، ومنعونا ما نضحك فيه على الأشياخ .

(١) في الأصل : « الحكم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « والشرقية » بواو .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) كذا في الأصول ، ولعله : « يسيء » .
(٥) ليست في (أ) ، (ق) .
(٦) (أ) ، (ق) : « فكان يقول » .

وكان شيخنا فتح الدين إذا ذكروا أمر وسوسته يقول : هذا تصنّع[١] . ولّما ولي خطابة جامع الصالح بّرا باب زويلة ترك الوسوسة ضرورة .

وكان في القضاء محمود السيرة ، ظاهر العفة ، طاهر الكفّ ، وكان كثير الاشتغال ، دائم المطالعة ، وأُوْلع[٢] في آخر عمره بمناقشة[٣] الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى ، وكتب على (الروضة) حواشي ، ولما وقف عليها[٤] شيخنا العلامة قاضي القضاء تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى أجاب عما وقف عليه من ذلك قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى في (الروضة) : وإذا وَقَعَتْ في الماء القليل نجاسة وشُكَّ هل هو قُلّتان أَوْ لا ، الذي جَزَم به صاحب (الحاوي) وآخرون أنه نجس ، لتحقّق[٥] النجاسة ، ولإمام الحرمين فيه احتمالان والمختار ، بل الصواب الجزم بطهارته ، لأنّ الأصل طهارتُه وشككنا في نجاسة مُنَجِّسِهِ ، ولا يَلْزَمُ مِنَ النجاسة التنجيس » .

قال الشيخ زين الدين الكتّاني رحمه الله تعالى : وإذا وقع في الماء القليل نجاسة وشكّ هل هو قلّتان أَوْ لا لفظٌ متناقض ، وحكْمُهُ بالطهارة باطل إذْ فرض الماء قليلاً ، والقليل دون القلّتين ، وإلاّ فإنْ كان قلتين فهو كثير ، وإن كان الماء دون القلّتين وحصل فيه نجاسة غير مَعْفوٍّ عنها فهو نجس ، لاخلاف فيه ، فعُلِم من هذا أن قوله : « الصواب الجزم بطهارته » باطل ، وكان صوابه أن يقول : ما شُكَّ في كثرته ووقعت النجاسة فيه ، ولو فَرَضَه لذلك ، وهو مراده بحكمه بأنَّ الصواب الجزم بطهارته غير صواب ، بل الصواب : الحكم بالنجاسة ، لأن النجاسة محققة ، وبلوغ الماء قلتين الأصل عدمه ، ولا يجوز للآخِذ بالاستصحاب مع نفس ما يعارضه ، وهو نفس وقوع

---

(١) في الوافي : « هذا تصنع منه » .
(٢) في الأصل : « وولع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (ق) : « بمنافسة » .
(٤) ليست في (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « لتحقيق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

النجاسة ، إذ لا خلاف في أن شرط[١] الاستصحاب عند القائلين به أن لا يقطع بوجود المنافي له .

وقوله : « لا يلزم من النجاسة التنجيس » ، إنما هو في نجاسةٍ معفوّ عنها لاقت ماء كثيراً ، ولم يتغيّر ، وليس الكلام في ذلك إذ كثرة هذا الماء مشكوك فيها ، بل ملاقاة النجاسة سبب للتنجيس ، وقضية السبب إعماله إلاّ لمانع والأصل عدم المانع ، وهو الكثرة ، فصار في جانب التنجيس أصلان : عدم بلوغ الماء قلّتين ، وإعمال السبب الثاني الذي هو النجاسة ، ومن جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقينٍ ما يعارضه ، واستصحاب مثل هذا ممنوع ، فصار الظاهر الحكم بالنجاسة [وملاقاة النجاسة][٢] محسوسة ، فتصير هذه الصورة كالغدير مع الظبية التي بالَتْ فيه ، ووجد الماء متغيراً ، واحتمل التغيّر بول الظبية ، وطول المكث ، وقد نصّ الشافعي على نجاسته ، وقطع به جمهور الأصحاب ، ومع هذا البحث الراجح الواضح كيف يقول : « الصواب الجزم بالطهارة » ، فلا الصواب الجزم بالطهارة ، ولا الظاهر ، فضلاً عن الجزم ، وقد قال الغزالي في (الوسيط) : « الأصل بقاء النجاسة إلى أن يتبيّن الكثرة الدافعة ، أو يقال : الأصل طهارة الماء إلى أن يُسْتَيقن الصُنان[٣] .

والاحتمال الأوّل أظهر ، فلو أصاب النووي لم يعتقد الجزم بالطهارة ؛ بل لو تردد معذوراً مع أن الصواب الجزم بالنجاسة ؛ لكنه وقف به[٤] نظره أو وَقَّفه ، وإنما بسطت وأسهبت لئلا يغلو فيه غِرٌّ .

قال شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله

---

(١) في الأصل : « الشرط » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصول كلمة تشبه هذه التي أثبتناها ، وكتب فوقها في الأصل و (ط) : « كذا » ، والصنان لغة تغيّر الماء .

(٤) في الأصل و (ط) : « فوته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، ولعلّها الصحيحة .

تعالى : أمّا المناقشة في لفظ قليل فصحيحةٌ ، وكان الأولى حذفها ، لكنه تجوّز فيها ، واستصحب اسم القليل مع الشك ، أو لأنه يعد في العرف قليلاً وإن لم يكن في الشرع كذلك ، والإمعان في الحكم بنجاسته إذا كان قليلاً لا معنى له ، إذ لا نزاع فيه ، وليس بمراد ، وأمّا كون الصواب الحكم بنجاسته ما شُكّ في كثرته فيَرِدُ عليه أنه حكم بالنجاسة مع الشك إذ الأصلان متعارضان ، وهما طهارة الماء وقلّته المقتضية للتنجيس ، وهنا إذا تعارض أمران متضادان وجب التوقف ، فكيف والقلّة ليست مضادة للطهارة ؛ بل مقتضية لضدّها في هذه الصورة ، وهذا معنى يصلح لترجّح الطهارة ، لأنّ المعارض لها أضعف منها ، لكونه مُقتضياً للضّد لا لنفس الضد ، وإنما كان أضعف لكون المقتضي قد يتخلف المقتضَى .

وقوله : إن أصل الطهارة تيقّنا ما يعارضه مع يقين ما يعارضه[1] ممنوع إذ الفرض الشك ، ومع الشك كيف [يدّعي][2] اليقين .

وقوله : « في جانب الطهارة أصل مستصحب مع يقين ما يعارضه » ، إن أراد ما يرفعه ممنوع ، وإن أراد ما يعارضه ويقاومه فيحصل الشك ويمتنع الحكم بالنجاسة ، على خلاف غرضه ، فإنه متى تقاومت المعارضة لا يجوز الحكم بالنجاسة ، ويبقى الحال على ما كان عليه من الطهارة .

وقوله : « في جانب التنجيس أصلان ، عدم بلوغ الماء قلّتين ، وإعمال السبب الذي هو النجاسة » . اعلم أنّ عدم بلوغ قلّتين وحده ليس بأصل معارض للطهارة [بل][3] بما ضمّ إليه من السبب ، والسبب وحده لا يسمّى أصلاً ، وإنما يسمّى ظاهراً ، فإمّا أن يجعله مع عدم بلوغ الماء قلتين سبباً واحداً في التنجيس ، وحينئذٍ يعارضه أصل الطهارة ، وإمّا أن يجعله سبباً ، والقلة شرط أو الكثرة مانعة وحينئذٍ يقال : إن الشرط

(١) قوله : « مع يقين ما يعارضه » ليس في (أ) ، (ق) ، والأشبه إسقاطها .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

أو انتقاء المانع إنما يُكتفى فيه بالأصل إذا لم يعارضه أصل آخر [وهنا عارضه أصلٌ آخر][1] ، والسبب وحده بدون شرطه أو انتفاء مانعه لا يعمل ، وإمّا أن يجعل وقوع النجاسة محل الحكم ويقاوم ، عليها أمران : أحدهما يقتضي التنجيس ، والآخر ضدّه ، فيقف الحكم . وعلى كل تقدير فيجب أن لا يحكم بالنجاسة ، فخرج من هذا أن دعواه « في جانب التنجيس أصلان » ليس بصحيح ، ولو قال : أصل وظاهر لكان أصح في العبارة ، ويتوجّه عليه المنع بأنّ ذلك إنما يكون في أصل مستقلٍ بظاهر مستقل ، وليس هنا كذلك ؛ لأنّ القلّة ليست بأصل ، بل بما ضمّ إليها ، على ما تبيّن[2] .

وأمّا مسألة الظبية فإنما حكمنا بالنجاسة لأن بول الظبية محقق ، واستناد التغيير إليه ظاهر مستقل ، لأن الأصل المعارض له معارض بالأصل النافي لطول المكث ، ولا لما يقاوم الأصل إن علمنا بالسبب الظاهر المجرد الذي لا معارض [له][3] ، فأين هذه المسألة من تلك ، وقد جزم الصيمري بالتنجيس متمسكاً بأن الأصل القلة ، وسبق الغزالي دعوى ظهور التنجيس [لتمسك بالقلة للتنجيس][4] إمامُ الحرمين ، فاقتصار الكتّاني على كلام الغزالي دليل على أنه لم يقف على غيره .

قال كمال الدين جعفر الأدفوي : كان عنده منازعة في النقل ، قلت له يوماً : قال الرافعي إن أكثر الأصحاب على جواز النظر إلى الأجنبية في الوجه والكفّين إذا أمن الفتنة ، فأنكر ذلك ، ثم اجتمعت به ثاني يوم بالمدرسة القراسنقرية ، فقال : الرافعي قال كما قلت ، ولكن من أين للرافعي هذا ، وشرع يُغالب[5] ويتغلّب . قال : وقلت له يوماً : قال النووي : الأصح العفو عن الكثير من دم البراغيث ، ونحوها مطلقاً فنازع ، وحضر (منهاج) النووي فرآه ، فشرع يُؤوِّل .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « بما تبيّن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « يغلب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكان بعض الطلبة يقرأ عليه يوماً في أن المعير إذا رجع والذرع قائم ، ولم يكن يُحصد قصيلاً فإنه يبقى إلى الحصاد ، فقال هو : واختلف ههنا : هل عليه الأجرة ، وما قالوا بمثل ذلك فيما إذا باع مالك الأرض الأرض وفيها زرع فإنه يبقى ولا أجرة ، وطلب الفرق . فقلت : الفرق أن البائع لما زرع تصرّف في ملكه ، والمشتري دخل على الإبقاء ، والتصرف كان في الملك ، فلا يناسب أجره ، والمستعير تصرّف في ملْكِ غيره ، والمالك بصدد الرجوع في كل وقت ، لكن التصرف كان بالإذن ، فلا يناسب قلع الزرع وضياعه ، ولا إشغال أرض المالك مجاناً ، فجمعنا بين المصلحتين ، فأبقيناه حتى لا يفسد ، وألزمناه الأجرة حتى لا يُشغل أرضه مجاناً ، فنازع نزاعاً طويلاً ، لا بالرد النظري ، إلاّ بالإساءة . قال : فتركت الاجتماع به . ومع ذلك فكان محققاً مدققاً كثير النقل ، يستحضر النظائر والأشباه ، لم يكن في الفقه في زمنه مثله ، انتهى .

قلت : ما صنّف شيئاً ولا انتفع به أحد من الطلبة ، وكان قلّ أن يفتي أحداً ، ويقول لمن يأتيه بالفتوى : أنا ما أكتب لك عليها ، روح إلى القضاة وإلى الذين لهم في الشهر من المعلوم كذا وكذا ، وربّما تحيّل عليه بعض الناس فيما يرومه منه بأن يستصحب معه شاباً حسن الصورة فإنه كان يميل إلى ذلك [لكن][1] مع دين وعفاف وتصوّن كثير .

ولمّا دخلت إلى الديار المصرية قلت للأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي رحمه الله تعالى : أريد أن أرى الشيخ زين الدين ، وأجتمع به ، فقال لي : ما تنتفع به ولا تنال منه مقصودك ، ولكن اصبر ، أنا [أروح معك][2] إليه ، فتوجهنا إليه إلى داخل باب السعادة إلى دار الفارقاني ، فصعد بي في سلّم حجر أعلاه طبقة ، فطرق الباب ، فقال مَنْ ؟ قال : محمد بن حنكلي فقال : ومليحك معك ؟ قال : نعم ، فقام ، وفتح الباب ، وبشَّ بنا وأجلسنا ، وانشرح ، وأحضر شراب ليمون ، وفيه قلب فستق ،

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

وشراب حماض ، وفيه قلب بندق ، وأطعمنا من ذلك ، وأحضر طعاماً شهياً طيباً ، وانشرح لنا مدّة إقامتنا عنده لِما كان معنا بعض مماليك الأمير ، وهو وضيء الوجه ، وفارقنا رحمه الله تعالى .

وكان الشيخ كمال الدين بن الزملكاني رحمه الله تعالى يثني عليه .

وقلت أنا فيه :

يا من يروم الفقه بُرْدُ أصوله ... رُقمت حواشيه بكلِّ بيانِ
عرّج بزين الدين تلْق درُوسَه ... حُللاً محرّرة من الكتاني

١٢٦٦ ـ عمر بن حسن بن عمر بن حبيب*

العالم المحدّث الفاضل زين الدين أبو حفص الدمشقي ، محتسب حلب .

سمع من ابن البخاري ، وابن شيبان ، وعلي بن بلبان ، وطائفة . وعني بالحديث ، ورحل وسمع من ابن حَمْدان[1]، والأبرقوهي ، وسيّدة بنت درباس ، وخلق ، ونسخ وحصّل الأجزاء ، وخرّج له شيخنا الذهبي (معجماً) عن أزيد من خمس مئة شيخ بالسماع .

وكان كثير الأسفار ، فدخل في آخر عمره إلى الروم ، ثم إلى مراغة ، فتوفي هناك رحمه الله تعالى في ...[2] سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة تقريباً .

* الوافي : ٤٥٥/٢٢ ، والدرر : ١٥٨/٣ .
(١) أحمد بن حمدان بن شبيب (ت٦٩٥) ، الشذرات : ٤٢٨/٥ .
(٢) كذا بياض في الأصول .

١٢٦٧ ـ عمر بن داود بن هارون بن يوسف*

القاضي زين الدين أبو حفص الصفدي ، كاتب الإنشاء بالشام ومصر أصله من نَيْن قريـة من مرج[(١)] بني عـامر من صفـد ، بنونين ، بينهما يـاء آخر الحروف على وزن بَيْن ودَيْن .

كان كاتباً ذكيّا ، فاضلاً سرّيا ، يقع على المقاصد ، ويرقب المجرّات ويراصـد ، إذا أخذ كتاباً تأمّل فُضُولَهُ ، وتصوّر محصوله ، وأجاب عنه بأجوبـةٍ بليغـة سـادّه[(٢)] ، دالـة على غـزارة المـادّه ، وكان قلمـه بليغـاً إذا كتب مسترسـلاً من غير سجع ، واتكل على ما عنده في ذلك من الطبع ، لأنه يأتي بما يكتبه ، بليغَ المعاني ، مستوفي المقاصـد ، تـامَّ المراد ، غير مُخلّ ببيان ولا فاسد .

أمّا نظْمُه فكان قليلاً مرذولا ، بطيئاً مهزولا ، ونثره كان أجود منـه ؛ إلاّ أنـه كان وعر[(٣)] الجاده ، نابٍ عن الطبع غير سـارٍ في المـاده . وخطـه أيضـاً قوي منسوب ، لكن مـا عليـه حلاوه ، ولا لـه مـا لخـطّ غيره من اللطف والطلاوه ؛ إلاّ أنـه كان صبوراً على الكتابـة ، لا يسـأم تواترهـا ، ولا يمل تكاثرهـا ، يقوم بتنفيـذ مـا في الـديوان ، ويسـدّ مهمّاته على أحسن ما يكون وأسده ، ولو بلغت إلى كيوان .

تنقّـل من صفـد إلى دمشـق إلى غـزة إلى الرحبـة ، ثم إلى دمشـق ، ثم إلى مصر إلى دمشق إلى مصر [كرّتين][(٤)] هبّة بعد هبّة ، مع عطلـة تخللت ذلك ، وكاد الأمر يكون حتماً بغير[(٥)] انفكاك ، ولكنه لطفت به المقادير ، وأعادت اسمه إلى الدساتير .

* الوافي : ٤٦٥/٢٢ ، والدرر : ١٦٥/٣ .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « بمرج » .

(٢) في الأصل : « شاذّه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « إلا أنه مستوعر » .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولم يزل على حاله إلى أن بتر الله عُمْرَ[١] عُمَرَ ، وانقبض ابنساطه في الحياة وانْقَبر .

وتوفي رحمه الله وسامحه بالقاهرة في ثامن عشري صفر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، بعد مرض طويل قاسى منه شدّة .

ومولده في سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

قدم من قريته إلى صفد ، وقد عَذَّر في عام ستَّة عشر[٢] وسبع مئة فيما أظن أو قبل ذلك بقليل ، ولازم شيخنا نجم الدين الصفدي ، وأقام في[٣] بيْتِه يَبْيتُ ويُصبح ، واشتغل عليه وكتبه وهذّبه[٤] ودرّبه ، فكان شيخنا في تلك المدة كاتب سرّ صفد ، فاستكتبه عنده ، وتخرّج . وكان ذكياً فذاق هذه الصناعة ، ومهر فيها . ولمّا بطل الشيخ نجم الدين من التوقيع كتب زين الدين الدرج للأمير علم الدين سنجر الساقي مشدّ الدواوين[٥] بصفد ووالي الولاة ، ولما هرب الأمير علم الدين سنجر الساقي من صفد فارّاً من نائبها الأمير سيف الدين أرقطاي توجّه زين الدين[٦] معه ، فأقام بدمشق مدّة يتردّد إلى شيخنا شهاب الدين أبي الثناء محمود وإلى القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وعُرف بين أهل دمشق ، وعامل أهلها معاملةً جيدة إلى أن أجمعوا على الشكر منه والتوجع له في بطالته ، فأقام بها مدة ، وحضر شمس الدين ابن منصور إلى دمشق ، وطلب من يساعدُه على كتابة الدرج في غزة ، فوصفه القاضي شهاب الدين وأثنى عليه ، وتوجّه إلى غزة صحبة ابن منصور ، وكان الأمير علم الدين الجاولي إذ ذاك نائب غزة ، فرأى خط زين الدين وعبارته فأعجبه ذلك . وكان

(١) في الأصل : « من عمر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصول : « ست عشرة » ، وأثبتنا ما في الوافي .
(٣) (أ) ، (ق) : « عنده في » .
(٤) في (أ) ، (ق) : « وهذبه وثقفه » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الديوان » .
(٦) (أ) ، (ق) : « زين الدين المذكور » .

زين الدين شديد المداخلة للناس ، لطيف المؤانسة جَرِيّا في الإدلال [والكلام][1] والمشاركة مع صاحب المجلس والانخراط في سلكه ، فخاف ابن منصور من تقدّمه ، فعَمَلَ عليه وأعاده إلى دِمشق . ثم إنّ الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، جهّزه إلى الرحبة مُوَقّعاً بإشارة القاضي شمس الدين محمد بن شيخنا شهاب الدين محمود رحمه تعالى بعد ما أقام بدمشق بطالاً[2] تسع سنين فأقام بها قريباً من سنتين .

ولمّا توجّه القاضي محي الدين وولده القاضي شهاب الدين إلى مصر قال الأمير سيف الدين تنكز لهما : ما بقي في الديوان أحد ، فذكراه له ، وقالا : ياخوند ، كاتبُ الرّحبة زين الدين الصفدي يصلح أن يكون في باب مولانا ملك الأمراء . وكان [قد][3] خلا مكان القاضي جمال الدين بن رزق الله من ديوان الإنشاء بدمشق لتوجُّهه إلى توقيع غزة ، فرسم بإحضار زين الدين إلى دمشق ، فجاء إليها ، وأقام بها دون السنة ، ثم إنّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله طلبه إلى الديار المصرية ، فأقام يكتب بين يديه قريباً من ثماني سنين إلى أن رسم السلطان الملك الناصر محمد للقاضي شهاب الدين بن فضل الله بأن يلزم بيته ، فعُمِل عليه هو الآخر ، وأخرجه السلطان من الديوان ، وأقام في القاهرة مُدّةً مُلاَزِمَ بيته ، ثم إنّ طاجار الدوادار أخرجه من القاهرة إلى صفد بطالاً ، فأقام فيها إلى أن حضر القاضي شهاب الدين بن فضل الله إلى دمشق بعد إمساك الأمير سيف الدين تنكز ، فتحدث له القاضي شهاب الدين [وأحضره مِنْ صفد إلى دمشق ، فبقي فيها بطّالاً إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد فتحدث له القاضي شهاب الدين][4] بن فضل الله مع الأمير علاء الدين ألطنبغا

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « مدة تسع » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، ووقع مضمونها في الوافي .

نائب الشام ، فأمر له بالدخول إلى ديوان الإنشاء ، فأقام به إلى أن رسم السلطان للملك الصالح بإبطال مَنْ أُحْدِثَ بَعْدَ أبيه السلطان الملك الناصر ، فبطل ، ولازم بيته مدة ، ثم إنه دخل مع من دخل فيما بعد .

ولم يزل يكتب في ديوان الإنشاء بدمشق إلى أن حضر القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله ، فسلّم إليه الأمر ، ورأى من السعادة ما لا رآه في عمره مدة ثلاث سنين . ثم إنّ القاضي علاء الدين بن فضل الله طَلَبهُ إلى الديار المصرية ، فتوجّه هو ووالده القاضي شهاب الدين أحمد في البريد يوم عيد الأضحى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها موقعاً في الدست ، وولدهُ في جُملة كُتّاب الإنشاء ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكنت قد كتبت إليه إلى دمشق من صفد :

إن عيني مذ غاب شَخْصُك عَنْهَا ... يأمُرُ السُّهدُ في كراها ويَنْهَى
بدموع كأنهنّ الغَوَادي ... لا تَسَلْ ما جَرَى على الخدّ منها

وكتبتُ إليه مع غلام حسن الوجه وهو بغزة :

يا نازحاً صَوَّرْتُه في خاطري ... فرُميتُ للتصوير بالنّيران
إن لم يبلّغك النسيمُ تحيّتي ... فَلَقَدْ أتاك بها قضيبُ البان

وكتب هُو إليّ مِنْ دمشق وأنا بصفد سنة ست عشرة وسبع مئة :

أشتاق مِنْ دُون الأنام خليلا ... فلذاك أصبو بُكرةً وأصيلا
مولىً رَحَلْتُ وسِرْتُ عَنْ معروفه ... فعدمت من إحسانه تنويلا
لَوْ كانَ في عصرٍ مضى لم يعتمد ... إلاّ على ألفاظه الترسيلا
هو فارسٌ في فنّه كم جدّل الأقران في ميدانهم تجديلا
ليس اليراع بكفّه في طرسه ... إلاّ حساماً هزّه مصقولا[1]

(١) في الأصل : « لبس اليراع » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

فـإذا ترسّـل خلتـه من لطفـه ... أضحى يـدير على الأنـام شمولا
نبتِ الكتـابـةُ عن سـواه فلم تجـد ... إلاّ بضـافي الظـلّ عنـه بـديـلا (١)
فلـذاك وَجْـهُ الـدهر راح بفضْلـه ... لمن اجتـلاهُ أوْ رآه جميـلا
أرجـو اجتماع الشّمـل منـه لأنـه ... قدْ لا يكـون بـه الـزمـان بخيلا(٢)
والله مـالاحت بروقٌ في الـدجـا ... إلاّ تُجـدِّدُ لي بُكى وعـويـلا
ولربمـا سمـح الـزمـانُ بعـوْدَتي ... فـأبـلُّ من شـوقي إليـه غليـلا
لا زال جـودك بـالمرام كفيـلا ... ولطيف صنعـك بـالأنـام جميلا(٣)
أنْس قريضـك مـذ تطلّـع نيّراً ... بسما البـديـع كثيّراً وجميـلا
قـطَّ اليراعُ لسـانـه عن وصفـه ... مـذ مـدَّ بـاعـاً في البـديع طـويلا

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يـا سيّـداً أضحى عظيمُ فخـاره ... أبـداً على هـام العُـلا إكليـلا
وكَسَـا برود النظم من ترصيعـه ... غررَ البيـان وزادهـا تحجيـلا
لاحت تبـاشير الصبـاح بطرسـه ... من أسطر أفنيتُهـا تقبيـلا
راقت محـاسنُـه ورقّ شمائـلا ... فغـدا يمجّ من البيـان شمـولا
أمـا التشـوّق والحنين فـلا تسَـلْ ... فـالخطب منـه لا يـزالُ جليـلا
مـذ غبت عني فـالـدموعُ على الـولا ... لـو كنّ سيـلاً مـا وجَـدْنَ مسيـلا
وتلهُّب الـزفرات في طيّ الحشـا ... خلّى محـلّ الصبر عنـك محيـلا
فـاسعف بقربـك إنـه جـلُّ المنى ... لتكيـد ضـداً أو تسرّ خليـلا(٤)
فـالجسم في صفـد أقـام وقلْبُـه ... بـلْ قـد تشحّـطَ في دمشق قتيـلا

---

(١) في الوافي : « منه بديدلا » .
(٢) (أ) ، (ق) : « فإنه » .
(٣) في الأصل : « جودك بالأنام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « فاسعد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا إليه من صفد :

يا بارقاً سال في عَطف الدُّجَى ذَهَبا | أذكرتني زَمَنــاً في جلّـق ذَهَبــا
لئن حكيت فــؤادي في تلهُّبــه | فلست تحكيـه لا وَجْـداً ولا حرَبا
ويــا نسيمــاً سَرَى والليـلُ معتكر | وهبّ وَهْنـاً إلى أن هـزني طربـا
أراك تنفـح عطراً في صبـاك فهَـلْ | تركتَ ذَيْـلاً على جيرون مُنْسحبـا
أمْ قَــدْ تحمّلت مِن صحبي تحيتهم | فكان ذلـك في طِيب الصَّبـا سببـا
قَوْمٌ عهـدتُ الوفـاء المحضَ شيمتهم | وإن شككت سـلِ العليـاء والأدبـا
صرفتُ إلاّ عنــاني عن محبتهم | وبتّ نضواً حيلفَ الشوق مكتئبا[(١)]
لا الـدار تـدنو ولا السلوان ينجدني | وعـزّ ذلـك مطلـوبـا إذا طُلبـا
أحبـابنـا إنْ ونَتْ عني رسـائلكم | فلست أسـأل إلاّ الفضـل والحسَبـا
وحيـاتكم مـا لنفسي عنكمُ بـدلٌ | كـلا ولا اتّخـذتْ في غيركم أربـا[(٢)]
أعيــذ ودّكم من أن يغيّره | نـأي ولو جُرّدت من دون ذاك ظبـا
لَعَـلّ دهراً قضى بـالبعـد يجمعنـا | وقلّما جـاد دَهْرٌ بـالـذي سلبـا[(٣)]
أرضى بحكم زمـاني وهـو يظلمني | فيكم وأجني ببعـدي عنكم التعبـا[(٤)]
ولن يُظفّرني إلاّ بـــودكم | يـا حيرتي فيكم إن ردّ مـا وهبـا
نسيتمـوني ولم أعتَـد سِـوَى كَرَمٍ | منكم يبـوّؤني من فضلكم رُتبـا
حـاشـاكم أن تروا هجْري بـلا سبب | أو تجعلـوا البَيْنَ فيما بيننـا حُجبـا
عـاقبتمـوني ولا ذَنْبٌ أتيتُ بـه | فقُلْ عن الصخر إذ يَقْسُوا ولا عجبا
عـودوا إلى جَبْر كَسْري لافجعت بكم | فقـد لقيت ببعـدي عنكم نصبـا[(٥)]

(١) في الأصل : « من محبتهم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « كيلا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٣) في الأصل : « قضى بالوجد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٤) في الأصل : « فبكم وأرضى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .
(٥) (أ) : « لا فقدت » .

فكتب هو الجواب [إليّ][1] عن ذلك :

يا خَيْرَ مَنْ خطَّ في الأوراق أو كَتَبا ... وخيرَ من حاول العلياء والأدَبا
ومن علا فَغَلَتْ فيه مَوَدّتنا ... وفاق فضلاً وفات العُجْمَ والعَرَبا
أتت قصيدتُك الغراءُ باسِمةً ... عَنْ نقط أحرفها لّما حكى الحببا
فرنّحت أنفساً بالبُعد قد تَلفتْ ... وحرّكت كلّ عطف قد قسا طربا
فهل بَعْثتَ بعتْب جاء عن قلق ... أو لطفُ نظمك قَدْ أهدى نسيم صبا
حاشى المودة أنْ يعتادها مَلَكٌ ... أو أن يكون النوى في مثله سببا
وإنما الدهر بالإزراء حاربني ... وجار في الحكم لّما بت مغتربا
وما ترقّ على ذليّ عواطفه ... ولا تمدّ إلى العلياء لي طنبا
وكلّما قلت قد لينّت شِرَّتَه ... يزيد ناري على تأجيجها حطبا
فاعْذُرْ فإنك أولى الناس كلهم ... ببسط عذريَ إن لم أبعث الكتبا
فأنت تَعْلَمُ أني قَدْ جعلتك مِنْ ... دُون البَريّة في الدنيا أخاً وأبا
فلا تؤاخذ إذا ما هفوةٌ عَرضتْ ... ممن يكون إلى علياك منتسبا

وكتبت أنا إليه من الرحبة أهنّئه بمولود ذكر :

هناءٌ به وَجْهُ الزَّمان تهلّلا ... وبُشْرَى بها الإقبالُ وافى وأقبلا
فهنُئتَ مولوداً أتى فتشوّفت ... إليه عيون الفضل والمجد والعلى[2]
وأكرمْ بنجم لاح فينا ومن يقل ... بنجلٍ فَحَرْفُ الميم باللام بُدّلا
إذا ضوّأ الآفاق نورُ هلاله ... فكيف إذا ما صار بدْراً مكمّلا
سيرضيك في أفعاله ومَقاله ... إذا طال في أوج العُلا أو تطوّلا

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « أتى إذ تشوّفت » ، وهي أشبه .

وتُرعِف أقلام السيادة كفُّه ويُرعف أعداء ويرعد ذبّلا[١]
ويستخدم البيض الرقاق يراعُه إلى أن يرد الصعب سهلاً مذللا
ويسعى إلى أبوابه السعدُ صاغراً ويأتي إليه وهو طفل تطفلا

يقبّل الأرض ويُنْهي أنه جلس بهذه البشرى على سُرُر السرور ، والْتَحَفَ منها بِحَبَر الحُبور ، وملأ كفّه بالدّرر من هذه الأفراح ، وملأ طَرْفَهُ بالبدور ، ونطّقَتْه هذه المسرّات[٢] بالمحامد فارتجل وارتجز ، وأمكنته الفُرصة من التهاني ، فانتهب وانتهز ، وقَرَن الهناء بالدعاء فابتهج وابتهل[٣] ، وتخيّر ساعات الإجابة فانتقد وانتقل ، وكيف لا يبتهج المملوك بمخدوم تجدّد ، ويتمسك بفضلٍ تَعَدَّد ، ويسرّ بدوح[٤] تفرَّع ، وإن كان أصله بالمزايا تفرّد ، وهل هذا إلاّ بيت تمد في العلياء أطنابهُ ، وتُرْفَعُ في السيادة أعلامُه وقِبَابه ، وتتسع لبني الآمال ساحاته ورحابه :

وهذا هديّة ربِّ العُلا فثِقْ بهدايا هِداياته

وما أقول إلاّ أنّ مولانا ليثٌ وقد أشبل ، وبحر زَخَر لُجُّهُ حتى مُدَّ بجَدْوَل ، ومن حرمان المملوك أنه ما شافَهَ السمع الكريم بالتهاني ، ولا فاز برصد هذا الهلال كيف يترقّى إلى الإبدار على الدقائق والثواني ، ولا عاين لسلوك المحبّين إليه طريقه ، ولا حضر لهذه الجوهرة النفيسة يوم عقيقه ، وما ضر الأيام لو كنت[٥] لجوهره عرضاً أدنى ، أو لو ساعفَتْ بالقرب فأكون حاضراً بالصورة إذ قد حَضَرْتُ بالمعنى ، والله تعالى يمتّع عينه الكريمة بهذه القُرّة ، ويهبه أمثالها حتى يرى في كل ذرّة من الزمان دُرّه ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) جعل الناسخ هذا العجز عجزاً للبيت الذي يليه ، وعكس ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو الصحيح .
(٢) في الأصل : « المسيرات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « فابتهل وابتهج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو أنسب للسجعة .
(٤) في الأصل : « بدرج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « كانت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

أتـاني كتـاب منـك كالبـدر يُجتلى فـأصبحتُ أجلوه على سـائر المـلا
حكى الروض أمسى بالأزاهر نـاضراً أو العقـد أضحى بـالجُمان مفصـلا
يُـدير على سمـع الأنـام سُـلافـةً من القول فاتت منـك مسكرة الطّلا
لـو أنّ أبـا تمـام أبصر حُسنـه لـما قـال في عصر تقـدّم أو خـلا[١]
تخـال بـه بُرْداً عليـك مُحبّرا وتحسبـه عقـداً عليـك مفصّـلا[٢]
تهنّ بـه عبـداً لعبـدك قـد أتى فنـاهيـك من مولى بـه قـد تطوّلا[٣]
لقـد زاد عبـدٌ في عبيـدك إذ أتى فتمَّم عَـدّاً حين جـاء تكمّـلا[٤]
وإني لأرجـو أن يفـوء بخـدمـة يفـوق بهـا فـوق السماكين منزلا
تربيّـهِ مملـوكاً وتُنْشيـه خـادمـاً ويكفيـه هـذا للمعـالي تـوسّـلا

وكتب هو إليّ من صفد وأنا مقيم بالديار المصرية بعد ما خرج إليها في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وقد ظنّ أن لي في خروجه مدخلاً ، وعِلْمُ الله تعالى كافٍ :

إنْ كانَ ظنُّـك أنني لـك ظـالمٌ فـارحم لأنْ تُسمى لأنـك راحم
حسْبُ المسيء من القصـاص بـأنّـه جُرْحٌ بجُرْحٍ والسعيـدُ مُسَـالم
كم قـد حرصتُ على التنصّل عنـدما وقـع العتـابُ فـما أقـال الحـاكم
الله يعلم أنني عـــاذرٌ والله عني بـالبراءة عـالم[٥]
هاقَـدْ جَرَى لي مـا جرى لـك قبلها ووقعتُ في صفـدٍ وأنفي راغم
إنْ صحَّ لي فيها عليـك جنـايـةٌ فجـزاؤهـا هـذا العقـاب الـلازمُ

(١) (أ) ، (ق) : « عاين حسنه » .
(٢) في الأصل : « عقدا إليك » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « بذاك تطوّلا » .
(٤) البيت من (أ) ، (ق) .
(٥) في الوافي : « والله مني » .

فـاقنـع بـه واذكر قـديم مـودّتي فـالعهـد فيما بيننـا متقـادم
أوَ لم يكن ذَنْبٌ وحـالِيَ مـا ترى فـامْـدُد إليّ يـداً وجـاهُـك قـائم
فلقـد تـأتّى مـا تريـد فـوالني منـك الجميـل فـإنّـه لـك دائم
جـار الـزمـانُ على وليّك واعتـدى وإليـك للـزمن الألـدّ يخـاصم
من كان ليس بنـادمٍ مستـدرك فـأنـا عليـك إلى ممـاتي نـادم
كانت هنـاة وانقضت ومن الـذي منـا وليس لـه تُعَـدُّ جرائم
إنّ الـذي قَسَم الحظـوظ كما يشـا للرزق مـا بين البرايـا قـاسم
قـلّ وكثُرٌ ليس تبقى حـالـة والـدهرُ بين النـاس بـانٍ هـادم
يـا مَنْ لـه أخلصتُ كُنْ لي مخلصاً فعلى مُجـازينـا كـلانـا قـادم
أعلنتُ بـالشكـوى لضرٍّ مسَّني لكنَّ وُدّي في الحقيقـة سـالم
ولـك السيـادة خلـة ومكارم الـ أخلاق منها في يـديـك خواتم[1]
فـاقبـل أخـوّتي الجـديـدة إنني فيهـا لجـدكِ أوْ لـودّك خـادم
وإلى الرضى عُـدْ بي وللحسنى أعِـدْ حتى تقـوم على الصّفـاء عـلائم
والبس ريـاستـك السنيـة حلّـة أبـداً لهـا مِنْ نسـج سعـدك راقم
واجعـل لهـا شكراً إقـالـة عثرة من صـاحب قـد صـدّ عنـه العـالَمُ
أنت الخليـل بـل الخليُّ مِنَ الهـوى وأخـوّتي قـد جَرّهـا لـك آدم
فـأعِنْ أخـاك بحسنِ سَعْيـك مرّةً إنّ المغـارمَ في الإخـاء مغـانم

قلت : الأجوبة التي تقدمت أصلحتُ أنـا فيهـا أمـاكن حتى رقّت ولطفت ، وأمّـا هذه الأبيات الميميّـة فهي شعره على صرافتـه لم[2] أغيّر منهـا شيئـاً ، وهي بخط يَـدِه في (التاريخ الكبير) في ترجمته .

(١) (أ) ، (ق) والوافي : « حلية ومكارم » ، وهي أشبه .
(٢) في الأصل : « لو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يــــا مَنْ تعرّضني وقلبي ســـــالم ... من إثمـــــه واللهِ إنّـــــك آثم
أتظنّ أني فهتُ فيـــك بلفظـــةٍ ... لا والـــذي هــو بــالسرائر عــالم
مــا الأمر فيــك كما زعمت وإنمــا ... أنت امرؤ فيما أهمّــــــــك واهم
أنسيتَ أن الله في أحكامـــــــه ... عَــدْل وأنــك في الحقيقــة ظــالم
فـاقتصّ لي منـك الغـداة بمثـل مـا ... عــامَلْتَني واللهُ عـــدلٌ حـــاكم
كم قـد قطعتُ الليـل منـك مسهّـداً ... والقلبُ ملتهب وطرفي ســـــاجم
أستصرخ الأنصـــار فيـــك وكلُّهم ... في غفلـــة عمّـــا دهـــاني نـــائم
وإذا طلبْتُ الروح من نفس الصّبـا ... جــــاءتني النسمات وهي سمائم[1]
فــأقمتُ في صفــد ودمعي مطلـقٌ ... حــزنــاً ومــالي في البريّــة راحم
حتى إذا علم الإلـــــــهُ ضرورتي ... نجّى وطرفُـك بـالغـوايـة حـالم
فـــأنِبْ وتب لله وارضَ بحكمــه ... واصبرْ فحكمُ الله أمرٌ لازم
لعسـاك تـؤجر أو ترى لـك مخْلصـاً ... من ضيــق حــالٍ ضُرّه متفـــاقم
والله مــالي في خروجــك مَـدْخَـلٌ ... كــلا ولا طبعي لـــذاك مــلائم[2]
فعليــك بــالصبر الجميـل فـإنّــه ... لجراح نــابِ النــائبــات مراهم
مــادام لي بخـلافِ قَصْـدك شـدّة ... وكــذاك مــا تخشـاهُ مــاهــو دائم
أعــزِزْ عليّ بـأن يسـوءَكَ حـادِثٌ ... أو أنَّ أنفَـــكَ في الرَّزيّـــةِ راغم
مــا احتجتُ للتّــذكارِ منــكَ لأنّني ... لـكَ في الرَّخـاء وفي الشَّقـاء أُقـاسِم
فـلأبــذُلَنَّ عليــكَ مجهـودي إلى ... أن تنقضي البَلـوى وبـالُـكَ نـاعِم
فتـوَخَّ في الأسْحـارِ أوقـاتَ الـدُّعَـا ... إنَّ الـدُّعـاءَ لِـدَفـعِ ذاكَ دعـائم
فكأنّني بـكَ قـد خلصْتَ خلوصَ بـد ... رِ التَّمِّ حيثُ سحـــابُـــه مُتراكِم

(١) (أ) ، (ق) : « مرّت بي النسمات » .
(٢) (أ) ، (ق) : « يلائم » .

وصفَوتَ كالإبريـزِ يخرُجُ من لَظىً   والصُّبـحُ قـد أخفـاهُ ليـلٌ عـاتِم
وأراكَ مسروراً ووجهُـكَ مُسفِرٌ   بِشْراً وثغرُكَ بـالأمـاني بـاسِم
وكأنمـا قـد كانَ من عبثِ الرَّدى   بـكَ لم يكُن ولـكَ الـزَّمـانُ مُسـالِم

وكان هو قد كتب بدمشق قبل دخول الديوان كتاباً ببشارة النيل على وجه امتحان الخاطر ، وجهّز إليَّ نسخته ، وهو :

« أعزَّ اللهُ أنصارَ المقرّ ولا أخلاه من أثر رحمةٍ يشاركه فيها الخلائق ، وينبّه ذوي الفضائل[1] على التفكُّر في لطيف صنعِ الخالق ، ويُدخلُ في شمول عمومها وعموم شمولها الصامتَ والناطق ، ويدل على إقبال الرخاء دلالةَ البرق المستطير على النَّوء الصادق :

حتّى يكـونَ مُبـاركاً في نفسِـهِ   وعلى الـوَرى في سـائرِ الأقطـارِ
مُتَقَسِّم المعروفِ أحلى مَـوْقِعـاً   عنـدَ النُّفوسِ منَ الخيـالِ السّـاري
يَحكيـهِ مُشْبِـهُ كفّـهِ النِّيـلُ الـذي   أغنى الثَّرى عن مِنَّـةِ الأمطـارِ
أربى عليهـا لَـوْنُـه لَمّـا جَرى   مـا شـانَـهُ الإرعـادُ بـالأكـدارِ

وهي نعمة تُحدِّث عن عجائب بحرها على الحقيقة ولا حرج ، ويتساوى في الانتفاع بها كلُّ نام فضلاً عمّا دَبَّ ودَرَج . لقد أبرزَتْ كنانةَ أرضِ الله في أثوابها القُشب ، وسرى ذِكْرُها إلى الشام المرتقب ، موسم الوسميّ طليعة[2] السحب تضمَّن ذلك المثال الشريف الوارد بخبر وفائه القائل مَنْ سَمِعه : هذا عذوبة ألفاظ أُلبستها من حلاوة مائه[3] . وإن المقياس أتى بتمام قياسه الثابت على عادة عَدّانه ، ونادى وقد سقى الأرض[4] غَيْرَ مُفْسِدها بالأمان من طوفانه . وإن أراقم غُدْرانه انسابت في ذلك الإقليم

---

(١) (أ) ، (ق) : « البصائر » .

(٢) في الأصل : « طلعة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) (أ) ، (ق) : «هذه عذوبةٌ اكتسبتها الألفاظ من حلاوة مائه » .

(٤) (أ) ، (ق) : « البلاد » .

فابتلعت غدرانَ أراقه ، ومحا سَيْلُه المتدفق معالِمَهُ المجهولة ، فاستعمل الأقلام في إثبات معالمه . وإنه أحاط بالقرى كالمحاصِر فَضَرَب بينها وبين ضائقة الْمَحْلِ بسُور ، وأخذ الطُّرُقَ على السّالكين فلا مراكب في البَرِّ ولا عاصم إلاّ الجسور[١] . ولم تنتقض قاعدة غَنائه سوى في أنه لم يُترك[٢] فارة تطوف بجدار ، إلا وهي طافية على الماء كأنها شجرة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار . على أن لله الْحَفِيّ في هذا لطفاً [خفيّاً][٣] وما هو بالخفي ، فنَقْصُها جاء ﴿ تَماماً عَلى الَّذي أحْسَنَ ﴾[٤] ، ونَجاةُ بدنها الهالك للنبات آية المأمن . وكأني بهذا الْمُخبر عنه ، وقد بلغ الزُّبا[٥] من الرُّبا ، فطار النَّسر مبلولَ الجناح ، ودنا حين أطلق فركَضَه مَنْ مشى بالأرجل[٦] ، لا أنْ رَفَعه مَنْ قامَ بالرّاح .

ومولانا يأخذ من هذه الأنباء[٧] بأحسنها وكلُّها حَسَنه ، ومن هذه البشائر المنتظر قدومها بأبينها يُمْناً وكلُّها بيِّنة مُتَيَمَّنه ، وقد علم حقّ [نِعَم][٨] الله الشكر فيوفِّيها منه حقها . ويتوقع رزق بلاده من السماء [كما][٩] وعد ، فقد أخرج لتلك من خزائن غَيْبه رزقها ، ويوفِّر الرَّعايا من الجباية ليتوفروا على الدعاء ، ويعرفوا نزاهة هذه الدولة القاهرة عن القوة على الضعفاء .

فإن المرسوم الشريف نصَّ على هذه الخاتمة الجليّه ، وطهَّر هذه الموارد من قذى

---

(١) في الأصل : « في الجسور » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) سورة الأنعام : ١٥٤/٦ .
(٥) في الأصل : « الترب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والمثل المشهور : « بلغ السَّيل الزُّبا » .
(٦) (أ) ، (ق) : « بالرجل » .
(٧) في الأصل : « الأشياء » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٨) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٩) زيادة من (أ) ، (ق) .

الأذى لتُنَقّى القلوب من السَّخط كما كانت في نفسها نقيّه ، ومَنْ وعى [(١)] فواضل هذا الكرم الطاهر فليقل : يا مقيلات الجدود العواثر .

والله ـ تعالى ـ يجعل مولانا من المتوكلين عليه ليزيده [(٢)] إيماناً ، ويرزقه كما رزق تلك الدِّيار التي غدت من الظَّمأ خِماصاً ، وراحت من الرِّيّ [(٣)] بِطاناً ، بمَنّه وكرَمِه ، إن شاء الله تعالى » .

ولَمّا كنت أنا بالدِّيار المصرية سنة تسع وعشرين وسبع مئة ألزمني القاضي شهاب الدين بن [(٤)] فضل الله ـ رحمه الله تعالى ـ أن أنشئ كتاباً في المعنى ، فكتبتُ ، وبالله التوفيق :

« ضاعف الله تعالى نعمة الجناب وسَرَّ نَفْسَه بأنْفَسِ بُشْرَى ، وأسمعه من الهناء كلَّ آية هي أكبرُ من الأخرى ، وأقدَم عليه من المسارِّ ما يتحرَّزُ ناقله ويتحرَّى ، وساق إليه كلَّ طليعة إذا تنفَّس صبحها تفرَّق ليلُ الهمِّ وتفرَّى ، وأورد لديه من أنباء الخصب ما يتبرَّم به مَحَلُّ الْمَحْلِ ويتبرّا .

هذه المكاتبة إلى المجلس [(٥)] العالي تخصُّه بسلام يرقُّ كالماء انسجاما ، ويروقُ كالزَّهر ابتساما ، وتتحفه بثناء جعل المسك له ختاما ، وضرب له على الرياض النافحة خياما ، وتقصُّ [(٦)] عليه من نبأ النيل الذي خصَّ الله الدِّيار المصرية بوفادة وفائه ، وأغنى قطرها عن القَطْر فلم تحتج إلى مَدِّ كافه وفائِه ، ونَزَّهه عن مِنّة الغمام الذي إن

(١) (أ) ، (ق) : « دعا » .
(٢) في الأصل : « ليزيد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « بالزَّيّ » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أحمد بن ... » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الجناب » .
(٦) (ق) : « تنضّ » .

جاد فلا بدَّ له من شهقةِ رعْدِهِ ودمعة بكائه ، فهي البلاد التي لا يذمّ للأمطار[١] في جوِّها مطـار ، ولا يُـزَمّ للقطـار في بقعتها قطـار ، ولا تُرْمِـد الأنـواء فيهـا عيـون النـوّار ، ولا تشيب بالثلوج فيها مفارقُ الطُّرق ورؤوس الجبـال ، ولا تبيتُ البروقُ سـاهرة لمنع العيون من تعهُّد الخيال ، ولا تُفقد فيها حُلَى النجوم لانـدراج الليلـة تحت السحب بين اليوم وأمس ، ولا يتمسَّـك المسـاكين في شتـائهـا[٢] كما قيـل بحبـال الشمس . وأين أرض يخمد عجاجها بالبحر العَجَّـاج ، وتزدحم في سـاحـاتهـا أفواج الأمْوَاج من أرض لا تنـال السُّقيا إلا بحرب لأن القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد ، ولا يعمُّ الغيث بقـاعهـا ، لأن السُّحب لا تراهـا إلا بسراج من البرق إذا اتَّقـد ، فلـو خـاصم النيـل ميـاه الأرض لقال : « عندي قبالة كل عين إصبع » ، ولو فـاخرهـا لقـال : أنتِ بـالجبـال أثقل وأنـا بالْمَلَق أطبع .

والنيل له الآيات الكُبَرْ ، وفيـه العجـائب والعِبَر ، منهـا وجود الوفـاء عنـد عـدم الصفـاء ، وبلوغُ الهرم إذا احتـدَّ واضطرم ، وأمْنُ كل فريق إذا قُطـع الطريـق ، وفَرَحُ قطّـان الأوطـان إذا كُسِر والمـاء ـ كما يقـال ـ سلطـان ، وهـو أكرم منتمى ، وأشرف منتـدى ، وأعـذب مُجْتَنى ، وأعظم مجتـدى . إلى غير ذلـك من خصـائصـه وبراءتـه مع الزيادة من نقائصه ، وهو أنه في ذا العالم المبـارك جـذب البلاد من الجـدب ، وخلَّصهـا بـذراعـه ، وعصمهـا بخنـادقـه التي لا تُراع من تِراعـه ، وحصَّنهـا بسواري الصواري تحت قلوعه وما هي إلاّ عُمد قِلاعه .

وراعى الأدب بين أيدينا الشريفة في مطالعتنا[٣] الشريفـة في كل يوم بخبر قـاعـه في رقـاعـه ، حتى إذا أكمل الستـة عشر ذراعـا ، وأقبلت سوابق الخيرات سراعـا ، وفتـح

(١) في الأصل : « الأمطار » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) : « ثنائها » .
(٣) (أ) ، (ق) : « بمطالعتنا » .

أبواب الرحمة بتغليقه ، وجدَّ في طلب تخليقه ، وتضرَّع بمدِّ ذراعيه إلينا ، وسلَّم عند الوفا بأصابعه علينا ، ونشر علم ستره ، وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره .

فرسمنا بأن يخلَّق ، ويعلَّم تاريخ هنائه ويعلَّق ، فكُسِر الخليج وقد كاد يعلوه فَرَح[١] موجه ، ويهيل كثيبَ سُدِّه هولُ هيجه ، ودخل يدوس زرابيّ الدّور المبثوثه ، ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ، ومرق كالسهم من قسيّ قناطره المنكوسه ، وعلا زبد حركته ولولاه ظهرت في باطنه من بدور أُناسه أشعتها المعكوسه ، وبشَّر « بِرْكةَ الفيل » بِبَركة الفال ، وجعل « المجنونة » من تياره المتحدر في السلاسل والأغلال ، وملأ أكفّ الرجاء بأموال الأمواه ، وازدحمت في عبارة شكره أفواج[٢] الأفواه ، وأعلم الأقلام بعجزها عمّا يدخل من خراج البلاد ، وهنّأت طلائعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله ـ عز وجل ـ على العباد . وهذه عوائد الألطاف الإلهيّة بنا التي [لم نزل][٣] نجلس على موائدها ، ونأخذ منها ما نَهَبه لرعايانا من فوائدها . ويخصُّ بالشكر قوادمها فهي تدبُّ حولنا وتدرج ، وتخصُّ قوادمها[٤] بالثناء والمدح [والحمد][٥] فهي تدخل إلينا وتخرج .

فليأخذ الجناب العالي حَظَّه من البُشرى التي جادت بالمنِّ والمنح وانهلَّت أياديها الغدقة بالسَّح والسَّفح ، وليتلقاها[٦] بشكر يضيء به في الدُّجا أديم الأفق ، ويتخذها عقداً يحيط به من العنق [إلى][٧] النطق ، وليتقدَّم الجناب العالي بأن لا يحرّك الميزان

(١) في الأصل : « فوج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (ق) : « أفراح » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « قوامها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٦) كذا في الأصول ، والمعنى على الطلب .
(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، وعبارتها ههنا : « يحيط منه بالعنق إلى ... » .

في هذه البشرى بالجباية لسانه ، وليعط كل عامل في بلادنا المحروسة بذلك أمانه ، وليعمل بمقتضى هذا المرسوم الشريف حتى لا يُرَى في إسقاط الجباية خيانه .

والله ـ تعالى ـ يديم الجناب العالي لقصِّ الأنباء الحسنة عليه ، ويمتِّعه بجلاء عرائس التهاني والأفراح لديه ، بمنِّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى » .

وكتبت أنا إلى زين الدين المذكور ، وقد أعارني نسخة (الفلك الدائر) :

فُديت مولىً خالني مُقتّراً ... فعمَّني بالنّائل الغامرِ
لم يرضَ بالأرضِ على قَدْرِهِ ... فَجادَ لي بالفلكِ الدّائرِ
فراحَ وصفي في عُلا مَجدِه ... مُشْتَهراً كالمثلِ السّائرِ

وأنشدني من لفظه لنفسه في ضوء البدر بين الغصون :

نظرتُ للشُّهبِ وقد أحدَقَتْ ... بالبَدرِ منها في الدَّياجي عُيون[1]
والرَّوضُ يَستَجلي سَنا نورِهِ ... فَتَحْسُدُ الأرضَ عليها الغُصونُ
وكلَّما صانَتهُ أوْراقُه ... نازَعَها الرِّيح فلاحَ المصونُ
فقلتُ حتّى البدْرُ لم تُخلِهُ ... رِيَبُ اللّيالي في السّما من عيون[2]

فقلت له : والله[3] حسن ، ولكن أطلت فيه النفس في أربعة أبيات ، ولو كان ذلك في بيتين لكان أحسن . وأنشدته لنفسي في ما بعد ذلك :

كأنّما الأغصانُ لَمّا انْثَنَت ... أمامَ بدرِ التَّمِّ في غَيهَبِه
بِنْتُ مَليكٍ خلفَ شُبّاكِها ... تَفرَّجت منهُ على موكِبِه

(١) (أ) ، (ق) : « بالشهب » .
(٢) في الأصل : « تحله » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) ليست في (أ) ، (ق)

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في ترجمة جمال الدين يوسف النابلسي الصوفي شيء من هذا المعنى[١] .

وأنشدته يوماً[٢] الأبيات التي أوردتها في ترجمة شيخنا نجم الدين حسن بن محمد خطيب صفد ، وأولها :

ولقد ذَكَرتُكُم بِحَربٍ يَنْثَني عَن بَأسِها الهِزَبر الأغلب

فأنشدني هو لنفسه في هذا المعنى :

ولقد ذَكَرْتُك عندما بلغَ الزُّبا عَرَقُ الجيادِ وفاضَ ماءُ النِّيلِ
والبحرُ برّ بالوحول وقد طَمى بالبر بحرُ فرسَخٍ في ميلِ
والنّاسُ قد خاضوا فأُغرِق بعضُهم ونَجا القليلُ بضجّةٍ وعويلُ
وقُلوبُهم من رَوعِها في غَمرةٍ ويَطيبُ ذكرَك بينَهُم تَعويلي

ولَمّا رُسِمَ بعوده إلى ديوان الإنشاء بدمشق في أيام الأمير علاء الدين ألطنبغا نائب دمشق ، كتبت أنا إليه توقيعاً ، ونسخته :

« رُسِم بالأمر العالي لا زال يزيد الأولياء زَيْنا ، ويزينُ الأكفاء بمن إذا حلَّ صدراً كان عَيْنا ، ويرتجعُ لكلِّ مُسْتحِقٍّ ما كان له في ذمّةِ الزّمانِ دَيْنا ، أن يستقِرَّ المجلس العالي الزيني في كذا ، لأنه الكاتب الذي دبّج المهارق ، ورقّم طروسها فكان لها نظرات الحدق ونضارة الحدائق ، وخطَّ سطورها التي إذا رمَّلها غدت من الْحُسن كالريحان تحت الشقائق ، وصَرَع بها أطيار المعاني لأن دالات السطور قسيّ ، والنقط بنادق ، وزان آفاقها بنجوم أسجاعه فلم يصل أحد إلى درجات فصاحتها[٣] لما فيها من

(١) في (أ) ، (ق) .
(٢) في (أ) ، (ق) : « يوماً لنفسي » .
(٣) في الأصل : « درجاتها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والوافي .

الدقائق ، وأصدرها في الرَّوْح والرَّوْع « يُرجَّى الحيا منها وتُخشى الصواعق »[(١)] ، وأودعها نفائس إنشائه فأثنى عليها أئمة البلاغة ، « ولو سكتوا أثنت حقائب الحقائق » . طالما كتب بالأبواب الشريفة تقليدا ، وجهّز في المهمّات كتباً ملأت البحر حرباً والبرَّ بريدا ، ووشَّى أمثلة صدرت عنها فطارت في الآفاق ، ولكن أوثقتها[(٢)] الأفهام تقييدا ، وعادَ الآن إلى الشام فنفَّس عنه خنّاق الوحشة بقربه ، وتلقَّاه[(٣)] بالرَّحب علماً بأنه يُغني عن الكتائب بكتبه ، وأحلَّه في رتبة يشرِّفها[(٤)] الوليّ بسَلْمِه ويسوء العدوّ بحرْبِه ، شوقاً إلى أُنس ألفهُ من لطفه ، وعَرَفه مِن عُرْفه في نفح عَرْفه ، فطاب به الواديان كلاهما ، وتنافسا في أخذ حظيهما من قربه ، فما تساهلا تساهماً ، فهو من القوم الذين تُسقى[(٥)] البلاد بهم وتسعد ، وإذا قُرِّبوا من مكان تخطَّاهم السّوء للأبعد ، وإذا قاموا بهم كانوا فيه أقعد ، وإذا باشروا المعالي كانوا أسعد الناس وأصعد ، وإذا كتبوا كبتوا العدا ، لأنَّ كلامهم لَمَع فأبرقَ وطرسهم قَعْقَعَ فأرعد .

فليباشر ذلك على ما عُهد من أدواته الكامله ، وكلماته التي تركت محاسنَ البرايا بائرة وأزاهر الخمائل خامله . والوصايا [التي تُملأ][(٦)] كثيرة ، وكم شرّع [لها][(٧)] قرطاسه وشرعها بأقلامه ، ونضّد عقودها بإحكام أحكامه ، وملأ[(٨)] بجيوشها صدور مهامه . فما يُلْقَى إلى بحره منها دُرّه ، ولا يذكر لطود فضله منها ذَرّه ، ولا يُطلع

---

(١) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

فتى كالسحاب الجون يُخشى ويُرتجى

(٢) (أ) : « فأوثقها » .

(٣) في الوافي : « وتلقته » ، وكذا أنّث الضمائر في الأفعال التي تلت .

(٤) في الوافي : « يسرّ فيها » .

(٥) في الوافي : « تشقى » .

(٦) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٧) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٨) في الأصل : « ولا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

القلم[١] في أفق فضلٍ كله شموس من ذلك بَدْره ، ولا يُدَلُّ مثله على صواب ، فقبيح بالعوان أن تعلّم الخِمره[٢] ، ولكن لا بدَّ للقلم من لفتةٍ جيد ، وفلتةٍ نفث تكون كالخال في الوجنة[٣] ذات التوريد .

وهي الذكرى بتقوى الله تعالى التي مَن عدِمَها فقد باء بخسران متين[٤] ، ومَن لزمها فقد جاء بسلطان مبين .

والله يتولّى رفعة مجده وسعة رِفده . والخط الكريم أعلاه حجة بالعمل بمقتضاه . والله الموفّق بمنّه وكرمه . إن شاء الله تعالى .

وقد أوردت كثيراً من كلامه في ترجمته في التاريخ الكبير الذي أسميته (الوافي بالوفيات) .

١٢٦٨ - عمر بن سعد الله*

الإمام زين الدين الحرّاني الحنبلي ، المعروف بابن بُخَيْخ ، بباء موحَّدة[٥] وخاء معجمة مفتوحة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وخاء ثانية .

سمع الكثير ، وحضر على الفخر[٦] ، وكان بالفقه بصيرا ، وبالنحو خبيرا ، تخرَّج بالعلاّمة الشيخ تقي الدين بن تيميّة وبغيره ممّن ساد بعلمه في البَرِيّة . وناب في الحكم

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) مثلٌ سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الأصول : « الوجه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « المبين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

* الوافي : ٤٨٠/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٧/١ ، والدُّرر : ١٦٦/٣ ، والشذرات : ١٦٢/٦ ، والدارس : ٧٥/٢ ، ووقع في بعض هذه المصادر : « نجيح » موضع « بخيخ » .

(٥) مضمومة ، كما في الوافي .

(٦) عبارة الدارس : « حضر على أبي الحسن بن البخاري » .

لابن المنجّا ، وخلَّص الحقوق ونجّى ، وكان يقول برأي الشيخ تقي الدين في المسائل التي انفرد بها ووقع له ما وقع بسببها ، ويحكم بها وتُسَطَّر ، ويذيب بها قلوب المخالفين فتَفَطَّرُ[1] .

وكان شيخنا العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ يتألَّم ويتأذّى منه وما يتحلَّم ، ولا ينفّذ ما يحكم به ولا ما يراه ، ولا يصل به أسبابه ولا عُراه[2] ، ونازعه في ذلك مرّات ولم يرجع ، وأصرَّ عليهما إلى أن ركب على الشِّرْجَع .

ولم يزل على حاله إلى أن بخبخ الموت لابن بخيخ ، وأتاه ما يأتي على الطُّفَيْل والشُّيَيْخ[3] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أول شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وثمانين وست مئة .

وتألَّم الناس له[4] .

وكان قد ولي مشيخة الضيائية ، وألقى فيها دروساً محرَّرة ، وكان قد ناب في الحكم لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا الحنبلي بعد القاضي برهان الدين الزرعي ـ رحمهم الله تعالى ـ .

وقال يوماً قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ لقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا : إن كنت تقول[5] إنَّ هذه الأحكام التي يحكم بها نائبك مَذْهبُ

---

(١) (أ) ، (ق) : « وتُفَطَّر » .
(٢) في الأصل : « ولا ما يراه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « الشيخ » ، وفي (أ) : « الشويخ » ، وأثبتنا ما في (ق) .
(٤) في (أ) ، (ق) والوافي : « وتألم له أصحابه » .
(٥) في (أ) ، (ق) ، والوافي : « تقول لي » .

الإمام أحمد بن حنبل ـ رضي الله عنه ـ فأنا أنفذها ، قال : لا إلاّ إذا حكم بها [هذا][1] حَكَمْتُ بصحتها ، وطال التنازع في ذلك ، ولم يرجع هذا ، ولا نفَّذ[هذا][2] له هذا حكماً .

وأظنه مات معزولاً ، والله أعلم .

وكان قد دخل في زمرة مَن توجَّه إلى غزة[3] بسبب الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وحُبِس وأُفرِجَ عنه ، وجاء إلى دمشق ، هذا ، على ما في ظني أو والده أو واحد من بيتهم .

أخبرني من لفظه الشيخ الإمام عز الدين حمزة بن [شيخ][4] السلاميّة قال : رأيته ليلة مات قبل دفنه ، فقلت له : ما متَّ ؟ قال : بلى ، قلت : فما رأيتُ الله تعالى ؟ قال : بلى ، يغمى[5] على الميت في النزع ، ذلك الوقت يرى الميت الله تعالى . قلت : فما قال لك ؟ قال : قال لي : أهلاً بعبدي وحبيبي ، أو كما قال .

١٢٦٩ ـ عمر بن طَيْدَمُر كُكُز*

الأمير ركن الدين .

كان أحد الأمراء العشرات بدمشق ، وكان هو وأخوه علي المقدَّم ذِكْرُه في الْحُسْنِ فَرْقَدَي سماء ونَيِّرَي أُفق تبرّأ من الظلماء ، كم زانا المواكب ، وسُيِّرا في سوق الخيل فأشبها الكواكب ، إلى أن اجتحف سيل المنيّة أخاه ، وبورك في عُمْرِ عُمَر هذا وما توخّاه ، فأقام بعد أخيه يطلع في أفق الملاحه ، ويسفر عن صباح الصباحه .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي .

(٣) كذا في الأصل و(ط) ، وفي (أ) ، (ق) : « القاهرة » ، ولعلّها أشبه .

(٤) زيادة من (أ) والوافي .

(٥) في الوافي : « لَمّا يُغْمَى » .

* الدُّرر : ١٦٨/٣ ، ووقع في الأصل و(ط) : « دكر » موضع « ككز » ، تحريف .

فودّع الحياة واختطفها وتناول زهرة العيش واقتطفها ، إلى أن انكدر نجمه الزاهر ونُقل إلى باطن القبر حُسْنُه الظاهر[١] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في ثاني شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

١٢٧٠ ـ عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض*

قاضي القضاة عز الدين أبو حفص المقدسي الحنبلي .

سمع من جعفر الهَمداني ، والضياء محمد ، وحضر ابن اللَّتي . وانتقل إلى القاهرة ، وسمع من ابن رواج ، وسبط السِّلَفي ، وتفقَّه بها على شمس الدين بن العماد .

وبرع وأفتى ودرَّس ، وكان متأنِّياً[٢] في الأحكام . وكان أبيض الرأس واللحية ، سميناً ، تام الشكل ، كامل العقل .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالقاهرة في شهر صفر سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

وقرأ عليه شيخنا علم الدين البرزالي (جزء الغضائري)[٣] .

١٢٧١ ـ عمر بن عبد الله بن عبد الأحد**

تقي الدين أبو حفص الحرّاني الحنبلي المعروف بابن شُقَيْر ، تصغير أشقر .

---

(١) في الأصل : « الزاهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٣/٢٢ ، والبداية والنهاية : ٣٥٠/١٣ ، والشذرات : ٤٣٦/٥ .

(٢) (أ) ، (ق) ، والوافي : « متثبتاً » .

(٣) الغضائري : هو علي بن عبد الحميد بن عبد الله . ت (٣١٣ هـ) . سير أعلام النبلاء ٤٣٢/١٤ .

** الدرر الكامنة ١٧٢/٣ .

سمع الكثير بنفسه ، ودار على المشايخ ، وسمع من القاسم الإربلي ، والفخر علي ، وابن شيبان ، وزينب ، وخَلْق . ونسخ بعض الأجزاء ، وروى (الصحيحين) .

قال شيخنا الذهبي : وسمعت منه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[1] ـ سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

قلت : كان شيخاً فاضلاً ديِّناً صيِّناً مشهوراً .

١٢٧٢ ـ عمر بن عبد الرحمن بن أحمد**

قاضي القضاة إمام الدين أبو المعالي القزويني الشافعي ، قاضي القضاة بدمشق ، ابن القاضي سعد الدين ، ابن القاضي إمام الدين . وهو أخو قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسيأتي ذكره ـ إن شاء الله تعالى ـ في المحمّدين .

كان المذكور تام الشكل سميناً ، جميل الوجه وسيماً مُبيناً . أخلاقه لطيفه ، وحركاته ظريفه . يتواضع لمن يلقاه ، ويتنازل وهو في أعلى مرقاه ، عقله جيِّد إلى الغايه ، ونُبله متصل بالنهايه . بارع الفضيله ، فارع الهضبة التي سمت عن كل رذيله .

ساس الناس سياسةً مَلَكَ بها قلوبَهم ، وستَرَ عيوبهم ، وتغمّد بحلمه خطأهم وذنوبَهم . أحسن مداراتهم ، وأمّنهم في أماكنهم وداراتِهم ، ولَمّا بلغه خبر التّتار في نوبة غازان ، انجفل مع الناس إلى القاهره ، ورأى الناس منه عياناً ما كانت تأتيهم به أنباؤه السائره . فما أقام بها غير أسبوع واحد ، حتى لَحَده اللاحد .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة . وولد بتبريز سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

---

(١) فراغ في الأصول ، وفي الدرر « في جمادى الآخرة » .

* العبر ٤٠٢/٥ ـ الإعدام ٢٩٢ ـ النجوم الزاهرة ١٨٥/٨ ـ شذرات الذهب ٤٥٤/٥ .

واشتغل في العجم والروم ، وقدم دمشق في الدولة الأشرفية ، هو وأخوه جلال الدين ، فأُكرم مَوْرِدُه لرئاسته وفضله وعلمه وعقله . ودرَّس بعدّة مدارس ، وولي القضاء بدمشق في أول دولة لاجين سنة ست وتسعين وست مئة ، وصُرف قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، فأحسن إلى الناس وداراهم ، وكان خروجه من دمشق في الجفل في مستهل شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين ، وتوفي بالقاهرة [رحمه الله تعالى ، وخرج بجنازته خلقٌ كثيرون من الأعيان . وكان ينتسب إلى أبي دُلَف العجلي ، وفيه يقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، رحمهما الله تعالى :

انتسب القاضي إلى قاسم فصدَّقوا كلوتة الرِّجْل
العجل من ثور يرى دائماً وما رأينا الثور مِن عجل

وكان القاضي إمام الدين ـ رحمه الله تعالى ـ فاضلاً في الأُصول والخلاف والمنطق ، وشرح (مختصر) ابن الحاجب][١] .

١٢٧٣ ـ عمر بن عبد الرحيم بن يحيى*

ابن إبراهيم بن علي بن جعفر بن عبد[٢] الله بن الحسن القرشي الزُّهري النابلسي ، القاضي عماد الدين أبو حفص قاضي القدس وخطيبه .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل بدمشق مدة ، وأقام بها ، ثم انتقل إلى نابلس ، وأُذن له هناك بالإفتاء ، ورُتِّب له هناك[٣] على ذلك معلوم مدّة سنين ، ثم إنه تولى خطابة القدس [وأقام هناك مُدَّة ، وفي أواخر عمره ولي قضاء نابلس مع استمرار الخطابة بالقدس عليه وعلى ولده ، ثم إنَّه نُقِلَ إلى قضاء القدس][٤] ، وبقي على ذلك أشهراً .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥٠٦/٢٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٧/١٤ ، والدُّرر : ١٦٩/٣ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) : « عبيد » .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

ثم مات ـ رحمه الله تعالى ـ في ليلة الثلاثاء عاشر المحرّم سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وسمع من عمِّه ـ رحمه الله تعالى ـ الخطيب قطب الدين عبد المنعم خطيب القدس[1] ، وروى عنه .

وكان سريعَ الحفظ ، سريع الكتابة ، ولم أرَ أنا في الأئمة من يقرأ في المحراب أردأ من قراءته . ولَمّا زار الشيخ كمال الدين محمد بن الزملكاني ـ رحمه الله تعالى ـ القدس صلّى خلفه ، ولَمّا فرغ قال له : اقعد اقرأ الفاتحة ، فقرأها [عليه][2] وصححها ، ولَمّا صلّى به الصلاة الأخرى قرأها أردأ من الأولى[3] ، فقال الشيخ : ما في يدي حيلة .

وكان القاضي فخر الدين ناظر الجيوش كثير الاعتناء به ، فلذلك جُمع له بين الخطابة والقضاء ، وكان قد زوَّج ابنَه الخطيب شمس الدين بابنة قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي قاضي صفد .

وتوفي الخطيب عماد الدين ـ رحمه الله تعالى ـ وله من العمر أربع وستون سنة . وله (شرح) جمعه لـ (صحيح مسلم) .

١٢٧٤ ـ عمر بن عبد العزيز بن الحسن*

الصاحب فخر الدين بن الخليلي الداري .

كان من الفضلاء الوزراء النبلاء ، أحسنَ إلى الناس في وزارته ، وكلّ خير نجده إلى اليوم مكتوب على توقيعه بإشارته . قرَّر في مباشراته للفقراء جُملةَ رواتب ، ولم

(١) (ت ٦٨٧) ، الإعلام : ٢٨٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٧٧/٧ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « أرذل من الأول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الوافي : ٥١٤/٢٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٦ ، والدُّرر : ١٧٠/٣ ، والشَّذرات : ٢٨/٦ .

يخش في ذلك العواقب[١] ولا العواتب ، وفاز إلى يوم القيامة بذكرها ، وحاز محاسن حمدها وشكرها . عُزل منها مرات ، وقد حصّل[٢] له فيها مبرات ، وعاد إليها عَوْدَ البدر إلى منازل سعوده ، والهلال إلى مراقي صعوده . وشكر الناس أيامَه ، وأطلق بالجود أقلامَه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء الأجل وزار الوزير ، وصار من رحمة ربِّه إلى خير مصير .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ معزولاً يوم عيد الفطر سنة إحدى عشرة وسبع مئة عن اثنتين وسبعين سنة .

وكان يُكْتَب عنه في التواقيع : « بالإشارة العالية المولوية الصاحبيّة الوزيريّة [الفخريّة][٣] ، سيِّد العلماء والوزراء » . وهذا لم يكتب لغيره .

وروى الحديث عن المرسي .

وسمع منه ابنُ المهندس وابن البعلبكي وجماعة .

وكان والده مجد الدين من الصلحاء . أقام بمصر مدة ، وحضر إلى دمشق ، وكان يلوذ ببني صصرى . وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمانين[٤] وست مئة .

ثم إن ولده الصاحب فخر الدين لاذ ببني حَنّا ، وصارت له بذلك صورة في الدول ، وتولّى نظر الصحبة ، ووزر للملك الصالح علاء الدين علي بن المنصور ، ثم إنه ولي الوزارة أيام كتبغا في يوم الثلاثاء خامس عشري جمادى الأولى سنة أربعة وتسعين وست مئة .

---

(١) (أ) ، (ق) : « العواذل » .

(٢) ليست في (أ) ، (ق) .

(٣) زيادة من الوافي .

(٤) في الأصل : « ثماني » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والوافي .

وحضر معه إلى الشام سنة ست وتسعين وست مئة ، وصرف بعد ذلك بالأعسر في أوائل دولة لاجين في شعبان سنة ست وتسعين وست مئة . ثم أعيد للوزارة في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وست مئة ، ثمّ صُرِفَ عنها في الدولة الناصرية ، ثم أُعيد إلى الوزارة في ثاني عشري شوال سنة تسع وسبع مئة ، ثم صُرف .

وأول ما لبس للوزارة استحيا من الصاحب تاج الدين بن حنا ، لأنه وليها عوضاً عنه ، فنزل من القلعة إلى دار الصّاحب[١] بتشريفه ، وقبَّل يده ، وقال : أنا غلامكم ومملوككم ، وخضع له خضوعاً كبيراً ، وجلس بين يديه ، فأراد الصاحب جبره في ذلك الوقت ، فأخذ توقيعاً من بعض غلمانه يحتاج إلى خط الوزير ، فقدمه له ، وقال : مولانا يكتب على هذا ، فقبَّله ووضعه على رأسه ، وعلَّم عليه . وكان هذا من الصاحب[٢] تاج الدين إجازة بالوزارة لابن الخليلي .

وكان السلطان الملك الناصر إذا قُدِّم له توقيع[٣] برزقةٍ أو براتب ، وهو بإشارة الصاحب فخر الدين ، يقول : هذا بإشارة ابن الخليلي ، والله كل هذا ما أدري[٤] به .

وكتب إليه سراج الدين الوراق ، ومن خطه نقلت :

عَسَى خبرٌ مِنَ الإنجازِ شافٍ ... لِمُبْتَدأ منَ الوعدِ الجميلِ
فعِلْمُ النَّحوِ دانَ لسيبويهِ ... وكانَ الأصلُ فيهِ منَ الخليلِ

وكتب إليه شمس الدين الحكيم[٥] بن دانيال :

فصلُ الرَّبيعِ بوَجهِهِ قَد أقبَلا ... مُتَبسّما . ببدائعِ الأزهارِ

(١) في (أ) ، (ق) : « الصاحب تاج الدين » .
(٢) (أ) ، (ق) : « فكأنّ هذا كان من الصاحب » .
(٣) (أ) : « توقيعاً » .
(٤) (أ) ، (ق) : « ما كنت أدري » .
(٥) (أ) ، (ق) : « الحكيم شمس الدين » .

وغَدا بهِ نبتُ الخمائلِ مُخضلا يحكي السّما . بالنُّورِ والنُّوارِ
فكأنه حَلَّى الرُّبا أو كَلَّلا إذ أنجما . بجواهرٍ ونُضارِ
والطيرُ بَيْن رياضِه قد رتَّلا مُترنِّما . يُلْهي عن المزمارِ
شكراً لِمُبدِعِه تعالى ذي العُلا ما أعْظَمَا . من واحدٍ قهّارِ
وتَخالُ هاتيكَ السّحائبُ هُطّلا لَمّا هَمَى . سحّاحُها بقطارِ
جودُ المليكُ الصالحُ الهامي عَلا مَن أعدَما . بنوالِه الزَّخّارِ
ملكٌ إذا ما حَلَّ قُطْراً أمْحَلا مُتكرِّما . كالقَطْرِ للأقْطارِ(١)
ووزيرُه الفَخرُ الذي قد خُوِّلا بالْمُنْتَمى . فَخْراً على النُّظّارِ
والدّارُ تَمَّمَها لعزّ مَعقِلا أسْنى حِمى . فَغدا تَميمُ الدّارِ
فَلْيُهنِه عيدٌ أتاهُ مُقْبِلا جَذلاً بِيا . أولاهُ في الأمصارِ
لا زالَ ما تَأْتي أخيراً أوّلا مُتنعِّما . ما لاحَ ضوءُ نَهارِ

وكان قد توجَّه يوماً شرف الدين البوصيري إلى زيارة قبر الشافعي ـ رضي الله عنه ـ فوجد الصاحب فخر الدين هناك ، فقال :

زُرْتُ الإمامَ الشّافعيَّ ولم أكُن لِزيارَتي أبداً لَهُ بالتّارِكِ
فوَجَدتُ مولانا الوزيرَ يزورُه فظَفِرتُ عندَ الشّافعيّ بمالِكِ

١٢٧٥ ـ عمر بن عبد العزيز بن الحسين بن عتيق*

الفقيه المعمَّر ، قطب الدين الربعي المالكي المعدّل .

روى عن ابن المقيّر ، ومحيي الدين بن الجوزي .

(١) في الأصل و (ق) : « للأوطار » ، وفي (أ) : « للأوتار » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الدرر : ٣/١٧١ .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ...[١] سنة ثماني عشرة وسبع مئة . وله سبع وتسعون سنة .

١٢٧٦ ـ عمر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن*

ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن هلال .

سمع من إسماعيل بن أبي اليسر ، والمؤمّل بن محمد البالسي[٢] ، ومحمد بن عبد المنعم بن القوّاس ، وغيرهم .

وأجاز لي بخطه في سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في حادي عشر شهر رجب الفرد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

١٢٧٧ ـ عمر بن عبد المنعم بن عمر**

ابن عبد الله بن غَدير ، الشيخ المعمِّر المسند ، مسند الشام ، ناصر الدين أبو حفص بن القوّاس الطائي الدمشقي .

سمع حضوراً من ابن الْحَرَسْتاني ، ومن ابن أبي لقمة ، ومن ابن[٣] أبي نصر الشيرازي ، وكريمة . وأجاز له أبو اليُمن الكندي ، وابن الْحَرستاني ، وابن مندويه[٤] ، وابن ملاعب ، وابن البنّاء ، والْجَلاجلي[٥] ، وخلق كثير .

(١) ثمّة فراغ بمقدار كلمتين في الأصول .

* الدرر : ٣/١٧١ .

(٢) في الأصل : « النابلسي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

** الوافي : ٢٢/٥٢٠ ، والعبر : ٥/٣٨٨ ، والشذرات : ٥/٤٤٢ .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) عبد الجليل بن مندويه الأصبهاني (ت ٦١٠ هـ) ، السير : ٢٢/٢١ .

(٥) محمد بن علي بن المبارك البغدادي (ت ٦١٢ هـ) ، الشذرات .

وحجَّ ، وكان ديِّناً خيِّراً مُحِبّاً لِلْحَديث وأهله ، مليح الإصغاء ، كثير التودُّد .

روى الكثير في آخر عمره . وقرأ عليه شيخنا الذهبي (المبهج في القراءات)[1] وكتاب (السبعة) لابن مجاهد و (الكفاية في القراءات الست)[2] عن الكندي . وخرَّج له (مشيخة) صغيرة ، وخرَّج له أبو عمرو الْمُقاتلي (مشيخةً) بالسماع وبالإجازة ، وأكثرا عنه .

وسمع شيخنا المزي منه ، وولدُه ، وسمع منه شيخنا البرزالي ، وابن سامة ، والشيخ علي الموصلّي ، والنابلسي سبط الزين خالد ، وأبو بكر الرحبي ، وأبو الفرج عبد الرحمن الحارثي ، والشمس السَّرّاج سبط ابن الحلوانيّة ، ومحمد بن البدر بن القوّاس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بدرب محرز بدمشق يوم السبت ثاني القعدة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وست مئة .

ودفن بسفح قاسيون .

١٢٧٨ ـ عمر بن عبد النصير بن محمد*

ابن هاشم بن عزّ العرب القرشي السَّهمي القوصي الإسكندري الأصل ، المعروف بالزاهد الحريري .

---

(١) اسمه بتمامه : المبهج في القراءات الثمان لسبط الخياط أبي محمد عبد الله بن علي البغدادي (ت ٥٤١) ، الكشف : ١٥٨٢/٢ .

(٢) لسبط الخياط أيضاً ، الكشف : ١٤٩٩/٢ .

* الوافي : ٥٢١/٢٢ ، والطالع السعيد : ٤٤٣ ، والدرر : ١٧٤/٣ ، وحسن المحاضرة : ٣٨٨/١ ، والشذرات : ٢٨/٦ .

كان من أصحاب الشيخ مجد الدين القشيري [وطَلبته][1] . باشر مشارفة المدرسة النَّجيبيّة ، وكان مؤذِّناً[2] بالمدرسة السابقيَّة .

وسمع من ابن الْمُقيّر ، والشيخ بهاء الدين بن الجميزي[3] ، وغيرهما .

وحدَّث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندرية ، وسمع منه زين الدين عمر بن الحسن بن حبيب[4] ، والفقيه تاج الدين عبد الغفّار بن عبد الكافي السعدي[5] ، وشيخنا الحافظ فتح الدِّين[6] ، وشهاب الدِّين أحمد الهكّاري ، وشيخنا البرزالي ، ومحب الدين بن دقيق العيد ، وغيرهم . وكتب عنه شيخنا العلاّمة أبو حيان وغيره .

وكان شاعراً ظريفاً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالإسكندرية في منتصف المحرّم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بقوص سنة خمس عشرة وست مئة .

وخمَّس القصائد الفازازية .

أنشدني إجازة الحافظ فتح الدين بن سيد الناس ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

عُـدْ لِلْحِمى وَدَعْ الرَّسائِلْ   وعَنِ الأحِبَّةِ قِفْ وسائِلْ
واجْعَلْ خُضوعَكَ والتَّذَلُّلَ في طِلابِهِم وسَائِلْ

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الوافي : « مؤدباً » . وفي الطالع : « وكان مؤدباً بها » أي بالنجيبية . والمدرسة النجيبية بناها بقوص النجيب بن هبة الله المتوفى سنة (٦٢٢ هـ) .

(٣) في الوافي والطالع : « ابن بنت الجميزي » ، وهذا هو المشهور .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) هو فتح الدين محمد بن سيد الناس . (الطالع) .

والـدَّمْـعَ مِنْ فَرْطِ البُكا ءِ عليهمُ جـارٍ وسَـائِـلْ
واسْـأَلْ مَراحِمَهُم فَهُنْ نَ لِكُـلِّ مَحْرومٍ وسَـائِـلْ [1]

ومن شعره :

مـا لأجْفـاني جَفتْ طِيبَ كَراهـا واسْتَقَلَّتْ بِسُهـادٍ قَـدْ بَراهـا
وأتـاحَ البَيْنُ لي مِن بَيْنِها عَبَراتٍ عَبَّرَتْ عَمّـا وَراهـا [2]

ومنه :

لَسْتُ مِمَّن يَـزورُ مَن يَـزْدَريـهِ فَيُـلاقي مَـذلَّـةً واحْتِقـارا
وهُـوَ عِنـدي أراهُ بينَ البَرايـا كَهَبـاءٍ في عـاصِفِ الرِّيـحِ طـارا

١٢٧٩ ـ عمر بن عبد الله بن أبي عمر*

المقدسي .

أجاز لي بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

وكان قد حضر على ابن عبد الدائم ، وسمع من الشيخ شمس الدين عبد الرحمن[3] بن أبي عمر ، وفاطمة بنت الملك المحسن أحمد بن أيوب[4] .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة الشيخ موفق الدين بن قدامة .

---

(١) الأبيات في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « وأباح السر لي ... » .

* الدرر : ١٧٤/٣ ، وفيه : « ابن عبيد الله » .

(٣) في الأصل : « عبد الرحيم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) توفيت سنة (٦٧٨) ، العبر : ٣٢١/٥ .

١٢٨٠ - عمر بن عبد الوهاب بن ذؤيب*

القاضي الفقيه العالم نجم الدين بن شرف الدين الأسدي الشُّهْبي .

كان قاضياً بشُهْبَة والسويدا نحواً من أربعين سنة . [وحجّ][1] . وكان حسن الهيئة .

سمع مع أخيه من الشيخ شمس الدين [بن][2] أبي عُمر ، وعرض (التنبيه) على الشيخ تاج الدين الفزاري .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ذي الحجة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

عمر بن علي**

الإمام أبو علي قاضي الجماعة بتونس ، الهوّاري التونسي المالكي .

كان في مذهب مالك - رضي الله عنه - رأسا ، لا يرى أحدٌ من الأفاضل به بأسا ، عديم النظير في فنِّه ، ماله مشابِهٌ في استحضاره وحِدّة ذِهْنه . له تصانيفُ وتلامذة كبار ، ومريدون يودّون من محبته أن لا يطير عليه غبار .

ومّمن أخذ عنه الإمام برهان الدين السفاقسي ، كان في تعظيمه مبالِغا ، وفي ذمّ مَن ذمّه أو ادَّعى باطلاً والِغا .

ولم يزل على حاله إلى أن انهار جُرف الهواري ، وعدمه الْمُجاري والْمُباري .

---

* الدرر : ١٧٤/٣ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ١٧٩/٣ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم عرفة سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، بعد أن نزل من عند السلطان .

وكان ذا عبادة وتقشُّف ، وكان قد تفقَّه بأبي محمَّد[1] الزّواوي ، وعاش بضعاً وثمانين سنة .

١٢٨٢ - عمر بن علي بن سالم بن صدقة*

تاج الدين أبو حفص اللّخمي الإسكندري المالكي ، المعروف بابن الفاكهاني .

كان شيخاً فقيهاً مالكيّاً [نحويّاً][2] ، له ديانةٌ وتصوّن ومصنّفات . قدم دمشق في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، بعد زيارته القدس ، وتَوَجَّهَ منها إلى الحجاز ، وحجَّ ثلاث مرات .

وسمع (الترمذي) و (الشِّفا) على ابن طرّخان ، وقرأ القرآن على المكين الأسمر ، وحضر دروس ابن المنيّر ، وأقام بمصر سنين ، ثم عاد إلى بلده .

وتوفي في العشر الأول من جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وشرح (العمدة في الأحكام) ، وله (مقدّمةٌ) في النحو[3] ، وله نظم ونثر .

١٢٨٣ - عمر بن عوض**

ابن عبد الرحمن بن عبد الوهاب ، قطب الدين الشارعي ، المعروف بابن قُلَيْلَة ، تصغير قُلّة .

(١) في الأصل والدرر : « أحمد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عبد السلام بن علي بن عمر المالكي (ت ٦٨١) .

* الدرر : ١٧٨/٣ ، والبغية : ٢٢١/٢ ، والشذرات :٩٦/٦ .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٣) سمّاه أصحاب ترجمته : « الإشارة في النحو » ، وانظر الكشف : ٩٨/١ .

** فوات الوفيات : ١٣٧/٣ ، والدرر : ١٨١/٣ .

أخبرني الشيخ العلاّمة أثير الدين أبو حيان من لفظه ، قال : حدَّث المذكور عن حاتم بن العفيف وغيره[(١)] .

ومن شعره[(٢)] :

ألا يا ساريـاً في بَطنِ قَفْرٍ ... لِيَقْطَعَ في الفَلا وَعْراً وسَهْلا
بَلَغْتَ نَقا الْمَشيبِ وبِنْتَ عَنهُ ... وما بعدَ النَّقا إلاّ الْمُصَلَّى

ومنه :

عَزَمْتُ على تَزْويجِ بِكْرِ مُدامَةٍ ... بِماءِ قُراحٍ واللَّيالي تُساعِدُ
فأمْهَرْتُها دُرَّ الحَبابِ وإنَّهُ ... إذا جُلِيَتْ ليلاً عليها قلائِدُ
وجاءَتْ رياحينُ البساتينِ عرَّفت ... فطابَت بِذاكَ النَّفسُ واللّوزُ عاقِد
وكانَ حُضورُ النَّبقِ فألاً مُهَنِّئاً ... لَنا بالبَقا في العقدِ والوردُ شاهِد

١٢٨٤ ـ عمر بن عيسى بن نصر*

ابن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن حسن بن حسين[(٣)] التيمي ، مجير الدين بن اللَّمْطي ، بلام وميم ساكنة وطاء مهملة .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين أبو حيان ـ رحمه الله تعالى ـ قال : رأيته بقوص ، وكتبت عنه شيئاً من شِعْره ، ثم إنه قدم علينا القاهرة ، وسكنها أيام كان أبو الفتح بن المطيع[(٤)] قاضياً ، واشتغل عنده في أوقاف[(٥)] .

---

(١) لم تذكر سنة وفاته في مصادر ترجمته .
(٢) الأبيات في الفوات بألفاظ مختلفة ، وذكر ثمّة أنها تنسب أيضاً إلى ابن خلكان ، وكذا هي في الدرر .
* فوات الوفيات : ١٣٨/٣ ، والطالع السعيد : ٤٤٨ .
(٣) كررها الناسخ سهواً .
(٤) هو تقي الدين بن دقيق العيد .
(٥) في الفوات : « أوقات » .

وكان قد نظر في العربيـة على أبي الطيب السَّبتي[١] ، قـدمَ عليهم قوص ، وكان من تلاميذ شيخنا أبي الحسين بن أبي الربيع .

وأنشدني لنفسه بمدرسة الأفرم سنة ثمانين وست مئة[٢] :

أَبى الـدَّمعُ إلاّ أن يفيضَ وأن يَجْريَ ... على ما مضى من مُـدَّة النّـأي من عُمْري
ومـالِيَ إنْ كَفْكَفتُ مـاءَ مَحـاجري ... وقَـد بَعُـدَت دارُ الأحبَّـةِ من عُـذْرِ
أمـا إنَّـهُ لَـوْلا اشْتِيـاقٌ لِـذِكْرِهِم ... ولا شَـوقَ إلاّ مـا يُهَيِّـجُ بـالـذِّكْرِ
لَمَـا شـاقَني نَظمُ القريضِ ولا صَبـا ... فُـؤادي على البَلْـوَى إلى عَمَـلِ الشِّعْرِ
وكانَ لِمِثلي عن أفـــانينِ مَنْطِقي ... هُنـالِـكَ مـا يُلْهي عنِ النَّظمِ والنَّثْرِ

قال : وأنشدني أيضاً :

جَفْنٌ قريـحٌ بـــالبُكاءِ مُـوَكَّـلُ ... فَعَلَتْ بِـه العَبراتُ مـــا لا يُفْعَـلُ
وجَـوانِـحٌ منِّي على شَحْـطِ النَّـوى ... أضْحَت تُمَـزَّقُ في الهَوى وتُـوَصَّـلُ
عَجَبـاً لِحُكْمِ الْحُبِّ فِيَّ فَلَيْتَــه ... يَـوماً يَجُـورُ بـه ويـومـاً يَعْـدِلُ
إنِّي وإن أمسى يُحمِّلُني الهَـــوى ... مِنْ ثِقْلـه في الْحُبِّ مـــا لا يُحْمَـلُ
فَلَقَـد حَلَتْ منـهُ مرارات الْجَـوى ... عِنْـدي وخَفَّ لَـديَّ مـا يَسْتَثْقَـلُ[٣]
لا يَطْمَـعُ اللُّـوّامُ في تَركي الهَـوى ... إنْ كَثَّروا في لَـــوْمِهم أو قَلَّلُـــوا
لَهْفي على زَمَني بِمُنْعَرجِ اللِّـــوى ... والشَّمْـلُ مُجْتَمِـعٌ ووجْـدي مُقبِـلُ[٤]
مـا كانَ أهنـا العيشَ منـهُ فَلَيْتَـهُ ... لـودامَ منـــهُ رَيثَما أتـــأمَّـلُ

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن محمد ، ت (٦٩٥ هـ) . (الطالع السعيد : ٤٧٧) .

(٢) الأبيات بتمامها في الطالع السعيد .

(٣) اضطراب الناسخ في هذا البيت والأبيات الآتية ، فحذف بعض الأشطر ، وجعل صدور بعضها لأعجاز غيرها ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .

(٤) في الفوات : « وجدّي » .

ومنه :

وزهَّــــدَني في الخِــــلِّ أنَّ وِدادَهُ لِرَهْبَــةِ جــاهٍ أو لِرَغبَــةِ مــالِ
فــأصبحتُ لا أرْتــاحُ مِنــهُ لِرؤيَــةٍ ولا أرتَجي نَفْعــاً لَــديــهِ بِحــالِ

قلت(١): ولَمّا توفي قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ـ رحمه الله تعالى ـ ترك ماولاّه من نظر رباع الأيتام ، وتوجَّه إلى قوص ، وأقام بها إلى أن توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . وله من العمر ثلاث وثمانون سنة .

ويحكى عنه أنه كان صحيح الودّ ، حافظاً للعهد ، حسن الصحبة .

١٢٨٥ ـ عمر بن عيسى بن مسعود*

الفقيه العالم المالكي ، سراج الدين أبو عُمَر بن القاضي العلاّمة شرف الدين الزواوي .

ارتحل وأخذ عن زينب الكمالية وعدّة ، وقرأ (سُنن أبي داود) وغير ذلك .

وكان شابّاً فاضلاً .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة عن إحدى وعشرين سنة .

١٢٨٦ ـ عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم**

ابن أبي الطَّيِّب العِجْلي ، نجم الدين الشافعي ، وكيل بيت المال بدمشق .

---

(١) (أ) ، (ق) : « قلت أنا » ، والكلام الآتي ساقه صاحب الفوات بتمامه بلا عزو . وهو بمعناه في الطالع السعيد .

* لم نقف على ترجمة لـه . ووقع في الأصل ، و (أ) ، و (ق) : « عمر بن موسى » ، وهو سهو ؛ لأنَّ اسم أبيه شرف الدين الزواوي ، كما سيأتي هو : عيسى بن مسعود ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** تالي وفيات الأعيان : ١٢٣ ، والدرر : ١٨٢/٣ .

كان نجم الدين ذا مروءة وافره ، وأخلاق على المكارم متضافره . اختصَّ بمنادمة الأمير عز الدين أيبك الحموي ، نائب قلعة[(١)] دمشق ، ومجالسته ، وتألّف ذاك بمحادثته ومؤانسته .

وكان يجري بينه وبين شمس الدين بن غانم أنواع من المهاتره ، وعجائب من المشاحنة والمشاجره . وتبدو منهما[(٢)] أفانين الهزل والمجون ، والتناديب التي هي أشهى من معاطاة ابنة الزرجون .

وجمع بين الوكالة ونظر الخزانة والبيمارستان ، ومضت أوقاته بخير في أيام الأفرم ، فما انتقل من الروضة إلا إلى البستان .

ولم يزل على حاله إلى أن تخبَّث الوقت على ابن أبي الطيِّب ، وأصابه من وابل الوبال صيِّب .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في خامش عشر جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

قال لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله : بيت أبي الطَّيِّب بيت قديم بدمشق ، من بيوت التشيُّع ، وكان منهم جلال الدولة بن أبي الطَّيِّب نائباً عن الدولة الفاطمية . ويقال إن أبا الطيب كان رجلاً فارسيّاً ، قدم دمشق في خلافة يزيد بن معاوية ، ولَمّا طِيف برأس الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ وتغيَّر ريحه ، اشترى له طيباً بمئة دينار ، وطيَّبه به . ثم كان من ولده مَن يكتب إلى الشيعة بخراسان بأخبار بني أميّة ، ويُكنّي عن نفسه بابن أبي الطَّيب ، إشارة إلى تطييب أبيه رأسَ الحسين ، فلما ظهرت الشيعة الخراسانية ، أظهروا كنايتهم هذه ، فعرفوا بها . ولهم وقف قديم بدمشق ، لا يُسمن ولا يغني من جوع .

---

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « وتبدو منها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

ولَمّا وقعت الكائنة للقاضي محيي الدين بن الزكي[١] ، كان نجم الدين هذا من أصدقائه فتعلّق بالمنصور صاحب حماة ، وتسيَّج بخدمته . وكان ناظِرَ ديوانه بدمشق في أيام الأمير حسام الدين طرنطاي المنصوري . وصارت له وجاهة ، [ثمّ][٢] إنه اختص بالحموي وبعده بالأفرم .

ولَمّا مات خلّف مالاً ، أنفقته زوجته على عوالم النساء وزواكرة[٣] الفقراء ، وسيأتي ذكر ولده القاضي نجم الدين بن أبي الطيب في المحمّدين .

١٢٨٧ ـ عمر بن كثير بن ضوء بن كثير*

الشيخ الخطيب بالقريّة من عمل بُصْرَى .

قال شيخنا البرزالي : كان فاضلاً لغوياً شاعراً ، كتبنا عنه هناك من شعره بحضرة الشيخ تاج الدين[٤] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع مئة .

١٢٨٨ ـ عمر بن محمد بن عمر**

ابن خواجا إمام ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق ، الشيخ الجليل الفاضل شرف الدين الفارسي الأصل ، الدمشقي ، الشاهد ، أظنه المعروف بالياغرت ، بياء آخر الحروف وألف وغين معجمة وراء ساكنة وتاء ثالثة الحروف .

---

(١) في الأصل : « التركي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والدرر .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) كذا ، ولم نتبيَّن مراده .
* الدرر : ١٨٥/٣ ، والشذرات : ٩/٦ .
(٤) الفزاري ، كما في الدرر .
** البداية والنهاية : ٢١/١٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ ، والدارس : ٢٧٠/١ .

سمع في شبيبته فخر الدين بن الشَّيْرَجي ، وسراج الدين بن الزبيدي ، وابن اللَّتي .

وكان يكتب المصاحف والعمر ويُذَهِّبُها[1] ، ورأيت أنا بخطه ختمات .

سمع شيخنا الذهبي منه (مشيخته) .

ومُتِّع شرف الدين بحواسه إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث عشرة وست مئة ، ومُتِّع بحواسه وكتابته .

وتوفي والده ضياء الدين سنة خمس وستين وست مئة .

١٢٨٩ ـ عمر بن محمد بن يحيى بن عثمان*

القرشي العُتْبي الإسكندراني ، ركن الدين أبو حفص ، الشيخ الفقيه المسند المعروف بابن جابي الأحباس .

سمع من سبط السّلفي (جزء الدعاء) للمحاملي ، و (جزء ابن عُيَيْنة) ، وكتاب (التَّوكُّل) لابن أبي الدنيا ، و (مشيخة) السبط ، وتفرَّد في وقْته ، وكان من الشهود .

وكتب عنه أشياخنا : العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والحافظان فتح الدين والذهبي ، والْحَلَبي ، وعدّة .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ بالثغر ...[2] سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

(١) في الأصل : « ويدهنها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩١/٣ ، والشذرات : ٦٤/٦ ، وذيول العبر : ١٣٢ .

(٢) ثمة بياض في الأصول ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في صفر .

١٢٩٠ - عمر بن محمد بن سليمان*

الدماميني ، نجم الدين .

سمع وحدَّث بالإسكندرية ، وسمع منه أبو الفتح محمد الدّشناوي[(١)] ، ويوسف بن أحمد بن محمد السكندري[(٢)] .

عُرف بابن غنّوم ، وكان من تجّار الكارم ، وكان رئيساً وله مكارم .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - بالإسكندرية سنة سبع وسبع مئة .

نزل عنده بعض الأفاضل فأكرمه ، فكتب على بابه لَمّا ارتحل :

نَزَلْتُ بدارِ نَجْمٍ فاقَ بَدْرا ... أدامَ اللهُ رفعَتَهُ وجاهَهْ
فأعْذَبَ مَوردي وأطابَ نُزُلي ... وأهْدَت لي رياسَتُه وَجَاهَهْ

١٢٩١ - عمر بن محمد بن عثمان**

ابن أبي الرجا بن أبي الزهر ، القاضي الصدر تقي الدين بن الصاحب شمس الدين بن السعلوس .

كان صاحب الديوان بدمشق ، فطلبه السلطان إلى مصر ، وولاّه نظر الدولة ، شريكاً للقاضي علم الدين إبراهيم بن تاج الدين إسحاق . وكان يعظِّمه ويكرمه .

وكان قد سمع في صغره من الفاروثي ، وحج سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان قد باشر شغله بقلعة الجبل يوم الخميس قبل موته بيوم ، ودخل إلى السلطان

* الدرر : ١٨٦/٣ ، وبدائع الزهور : ٤٤٥/١/١ .

(١) (أ) ، (ق) : « ابن الدشناوي » ، وهو محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ١٨٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٥٦/١٤ .

وخرج ، فاضطرب وتغيَّرت حاله ، وعجز عن الركوب إلى بيته إلا في مِحفَّة ، وانقطع يوماً[١] ، ولم يسمع منه إلاّ : أنا ميّت لا غير .

وتوفي يوم السبت بكرة حادي عشري القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وولي مكانه القاضي شهاب الدين بن الأقفهسي .

وكان قد باشر بدمشق عدة ولايات . وكان تنكز يمزح معه ويُقَرِّبُه .

١٢٩٢ ـ عمر بن محمد بن عمر بن محمد*

القاضي كمال الدين بن الخطيب شرف الدين بن الشيخ الخطيب كمال الدين المعري[٢] الأصل ، العجلوني ، قاضي غزة .

اشتغل بدمشق على الشيخ برهان الدين[٣] ، وولي القضاء في عدّة أماكن ، وكان قبل موته بقليل عيّن لقضاء الكرك ، فأدركه أجله .

سمع كمال الدين من[٤] الأبرقوهي ، وحدّث عنه بدمشق ، وسمع بدمشق من ابن القوّاس .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في سابع عشر المحرم بغزة[٥] سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

---

(١) في (أ) ، (ق) : « يوماً واحداً » .

* الدرر : ١٩٠/٣ .

(٢) كذا في الأصل و (ط) والدرر . وفي (أ) ، (ق) : « المغربي » .

(٣) ابن الفركاح ، كما في الدرر .

(٤) في الأصل : « سمع من كمال الدين بن » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وأبو المعالي أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، توفي سنة (٧٠١ هـ) . (ذيول العبر : ١٨) .

(٥) في الدرر : « بمعرّة » .

١٢٩٣ - عمر بن محمد بن عمر*

ابن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي ، قاضي القضاة ، نجم الدين أبو القاسم الحاكم بحماة ، ابن الصاحب جمال الدين[(١)] أبي غانم ابن الصاحب الكبير كمال الدين أبي القاسم .

سمع من الأبرقوهي[(٢)] ، وحدَّث عنه[(٣)] ، وحجَّ سنة سبع عشرة وسبع مئة .

كان حسن الشكاله ، كأن وجهه تحت عمّته بدرٌ في هاله ، دائم البِشر ، عَطِر النَّشْر ، كريمَ الْمَلقى لمن يحضر إليه ، ليِّن الجانب للخصم إذا وقف بين يديه ، لم يشتم أحداً مُدَّة ولايته ، ولا خاطب أحداً بما لا يليق لكرم[(٤)] أصالته ، مجموع الفضائل ، مطبوع الكرم والشمائل ، يعرف من العقليات جُمله ، وعنده من الأدب علماً وعملاً ما هو على الشرعيّات فضله ، قد فضَّ له فَضْلُه ختامَ كل فَنّ ، وبَلَّ له وَبْلُه رياض ما شرد من النكت وعَنّ ، وخطُّه عقود العقول وفصوص الفصول ، يحكي البَرَد إذا حُبك ، والذهبَ إذا سُبك . ونظمه أرق من شكوى المحب إلى الحبيب ، وألذّ عند المتيّم من غَفْلة[(٥)] الرقيب القريب .

وكان الملك المؤيَّد يعظِّمه ويثني على فضائله ويتعجب لذهنه إذا تصرَّف في مسائله .

---

* تاريخ أبي الفداء : ١١٠/٤ ، والدرر : ١٨٩/٣ .

(١) في تاريخ أبي الفداء : « كمال الدين » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « بالقاهرة » زيادة هنا .

(٣) ليست في (أ) ، (ق) .

(٤) (أ) ، (ق) : « من كرم » .

(٥) في الأصل : « عقله » .

اجتمعت به فخلبتني عبارته ، وسلبتني حركته وإشارته . ورأيت منه سيادة تعرب عن كمال ذاته ، ورئاسة تَفْضي[١] بغريب صفاته :

ويفترّ مِنْهُ عَنْ خِصالٍ كأنَّها ثَنايا حَبيبٍ لا يُمَلُّ لها رَشْفُ

وفارقته والتلفُّت إليه يُثني دائماً عنقي ، والشوقُ تُضرمه لواعج قَلَقي .

ولم يزل بحماة والناس به مغتبطون ، وعلى إحسانه وبرِّه مرتبطون ، إلى أن بغته أجله في أشدّه ، وحلَّ أنسه من الوجود بعد شَدّه .

وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ ليلة الجمعة الخامس والعشرين من صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بعد صلاة الجمعة بمقبرة أقاربه قبلي البلد .

ومولده يوم الثلاثاء سابع عشري شهر رمضان سنة تسع وثمانين وست مئة .

وتولّى الحكم بحماة من سنة إحدى وعشرين[٢] وسبع مئة إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ .

وكان ليِّن الجانب ، كثير المروءة ، ما قصده أحد في شيء وخيَّبه . ولم يحفظ أهل حماة عنه أنه سبَّ أحداً بحماة مدَّة ولايته . وهو قاضي القضاة الحنفية ، ومدرِّس بها ، وكان صاحب حماة يثني عليه وعلى فضائله ، وحَصَل لأهل حماة على فراقه ألم شديد وحزن عظيم ، وجنازته[٣] حافلة إلى الغاية .

وعند مروري بحماة عائداً مِنْ حلب[٤] سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، دخلت إليه في تحمّل شهادة عليه ، فرأيت منه رئاسة وحشمة وسيادة ولطفاً زائداً .

---

(١) في (أ) ، (ق) : « تقضي » بالقاف .
(٢) (أ) : « وثلاثين » .
(٣) (أ) ، (ق) : « وكانت جنازته » .
(٤) في الأصل : « وعند مروري من حماة عائداً إلى حلب » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

كأنَّ وجـــهَ النَّهرِ إذْ حفَّت بـــهِ أشجـــارُه فَصــافَحَتْـــهُ الأغْصُنُ
مِرآةُ غيـــدٍ قـــد وَقَفْنَ حَـوْلَهـــا يَنْظُرْنَ فيهـــــا أيّهُنّ أحسَنُ

ومن نظمه :

مـا للّيـالي بسَهْمِ البُعْـدِ قَـد رَشَقَتْ وصـارمَ البَيْنِ للأحبـاب قـد مَشَقَتْ
وخالَفت في الـذي يَهوى ومـا وَنِيت كأنّهـا لخِلافِ القَصـدِ قـد عَشِقَتْ
وأضْرَمَتْ نـارَ حَرْبٍ مِن عَـداوَتِهـا ضُرّاً فـأعْـلامُهـا بـالهَمِّ قَـد خَفَقَتْ
وفَرَّقَت جَمْـــعَ شَمْـــلٍ كانَ مُلْتَئِماً وجَمَّعَت حـادِثـــاتٍ كانت افْتَرَقَتْ
هِيَ اللّيــالي فـلا تَسْتَكْثِرَنَّ لَهـــا هــذا العِنــادَ إذا أنصـارُهـا اتَّفَقَتْ

منها :

أشْكـو إليــكَ غَرامــاً فيــكَ أقْلَقني فَدَتْكَ نَفْسي على طولِ المدى ووَقَتْ
وفَرط شَـوقٍ ووَجْـدٍ نـارُه اتَّقَـدَتْ بينَ الأضالِعِ والأحْشـاءِ فـاحْتَرَقَتْ[1]
ولـوعَـةَ منـكَ لـولا النّفس واثِقَـة بـــأن تعــودَ لكانَت للنّــوى زَهَقَتْ
مِن بعدِ مـا غِبتَ يـا مَن كان يُؤنِسُني مــا أبصَرَتْ حُسْنــاً عَيني ولا رَمَقَتْ
سِــواكَ مـــا مَرّ في بـــالي ولا شَفَتي بغيرِ ذِكْرِكَ يـــا أقصى المُنى نَطَقَتْ

١٢٩٤ - عُمَر بن مُحَمَّد بن ماو*

شهاب الدين الحميدي .

أنشدني شيخنا العلاّمة أثير الدين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أفْـــديـــه عطــــاراً شَهِيَّ اللّمى أحــورَ فَتّــانــاً كَحُــورِ الجنـــان

(١) (أ) ، (ق) : « ناره وقدت » .

* الدرر : ١٩٠/٣ ، ولم يذكر سنة وفاته .

بي غَمْرَةٌ منـــهُ فيـــا لَيْتَـــهُ ... لـو جـادَ لي يـومـاً بمـاءِ اللِّســانِ

قلت : ذكرت[١] هنا ما قلته في عطار :

كَلِفْتُ بعطّـارٍ حَكى البَـدرَ في السَّنـا ... وظَبيَ الفَـلا في جِيـدِهِ ونِفـارِهِ

دَوا ألَمي الـوردُ المربّى بخـدِّه ... يُـذَرّ عليـهِ آنسـون عِـذارِهِ

وقلت أيضاً فيه :

فَـدَيْتُ عَطّـاراً غَـدا حُسْنُـهُ ... يقـولُ : سُبْحـانَ بـديعَ الصِّفـاتِ

نَهْـدِيَ في صَـدْري أبْلـوجَـة ... والرِّيـقُ قَطْر وعِـذاري نبـاتُ

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدني المذكور لنفسه أيضاً :

فَـدَيْت نَشّـاراً غَـدا نَشْرُه ... أذْكى من المِسْـكِ إذا فـاحـا

قَـد راحَ مِن سَكْرَةِ خَمْرِ الصِّبـا ... كأنَّما قَـد شَرِبَ الرّاحـا

بِسَيفِ جَفْنَيْـهِ ومِنْشـارِهِ ... كَم شَـقَّ أرواحـاً وألـواحـا

قلت : ذكرت أنا ما قلته في نجّار :

قـد عَشِقتُ النّجـار لَمّـا بـدا لي ... بمُحَيّـا قَـد فـاقَ في الْحُسْنِ بَـدْرا

أصْلُـهُ طَيِّبٌ ونَكهـةُ فيـهِ ... فَلِهـذا [قـد] فـاقَ نَجرا ونَشْرا[٢]

وقلت أيضاً في مليح نجار :

أحبَبْتُ نَجّـاراً بَـديـعُ جَمالِـهِ ... منـهُ الشُّمـوسُ تَغـارُ والأقْمارُ

فَخْري بِـهِ بينَ البَرِيّـةِ أنّهم ... قـالـوا غَـدا وحبيبُـه النَّجّـار

---

(١) (أ) ، (ق) : « أنا هنا » .

(٢) الزيادة من (أ) ، (ق) .

١٢٩٥ - عمر بن محمد بن عبد الحاكم*

ابن عبد الرّزاق ، الشيخ الإمام العلاّمة قاضي القضاة زين الدين أبو حفص البُلفيائي ، بالباء الموحّدة وبعدها لام وفاء وياء آخر الحروف وألف ممدودة ، وبُلفيا بلدة من أعمال البهنساوية .

تفقّه بالقاهرة على الشيخ علم الدين العراقي ، وسمع يسيراً من الحديث على الأبرقوهي ، وعلى ابن سليمان بن القيِّم[(١)] ، والإمام علاء الدين الباجي . وخرَّج له قاضي القضاة تاج الدين السبكي أحاديث حدَّث بها أيامَ تفقّه عليه .

كان في الفقه إماما ، وعَلَماً لا يسام رفعةً ولا يُسامى ، قد تضلّع من الفروع ، وكاد يتقدَّم على غيره من الشروع . قلَّ نظيره ، وعلا على الأطلس أثيره . اعترف له بذلك فقهاء مصره ، وفضلاء عصره ، لو أنصفه ابن الرفعة لانْتَصَب له قائما ، أو ابن عبد السلام لكان له مَسالِما ، إلا أنه لم يكن عَقْلُه المعيشي طائلا ، ولا سَيْلُ علمه في سياسة الناس سائِلا . لا جَرَم أنه عُزِل واخْتُرم[(٢)] من منصبه واختزل .

وما زال يتقلّب[(٣)] في حالَيْه مع الأيام ، ويتصرَّف بنفْسَيْه مع النقض والإبرام ، إلى أن دَرَج بعدما مَشَتْ حاله ، وراح إلى الله وقُدّامه عِلْمُه وأعْمَاله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بصفد في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة إحدى وثمانين وست مئة .

---

* الدرر : ١٨٦/٣ .

(١) في الأصل : « العم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٢) (أ) ، (ق) : « وقُطِعَ » .

(٣) ليست في (أ) .

كان شيخنا الإمام العلاّمة قاضي القضاة تقي الدين السبكي يُثْني عليه ويعظِّمه في الفقه ، ويقول : ما رأيت أفقهَ نَفْساً منه . وكان المصريّون يقولون : لو حلف الحالف أنه يَسْتَفْتي أعلمَ مَن في القاهرة ، واستفتاه ، لم يحنث .

وكان قد تولّى قضاء القضاة بحلب ، فحضر إليها في أيام الأمير سيف الدين طرغاي ، فلم تَطُل مُدّته ، ولم تحسن سياستُه الناس[١] ، فتعصَّب عليه جماعة مع كاتب سرّها القاضي شهاب الدين بن القطب ، فعُزِل منها بعد شهرين ثلاثة ، إلاّ أنه باشرها بصلف وأمانة وعفّة حتى قال فيه القاضي زين الدين[٢] بن الوردي ـ رحمه الله تعالى ـ :

كانَ واللهِ عَفيفاً نَزِهاً ولَهُ عِرْضٌ عَريض ما اتُّهم
وهو لا يَدري مُداراةَ الوَرى ومُداراةُ الوَرى أمْرٌ مُهِم

فحضر إلى دمشق في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز ـ رحمه الله تعالى ـ ففاوضه قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى [فيه][٣] ـ وعرَّفه مِقْداره ، فقال له : لا تقطع به ، فولاّه تدريس المدرسة النوريّة بحمص ، فأقام بها مدّة إلى أن ورد الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد ، فتعصَّب عليه عنْده[٤] حاكمها القاضي شهاب الدين البارزي ، فتركها وتوجَّه إلى القاهرة ، فولاّه قاضي القضاة عزّ الدين بن جماعة قضاء المنوفيّة ، فأقام بها مدة ، وأتى إلى القاهرة ، فولاّه قاضي القضاة[٥] نيابة الحكم في باب الفتوح ، ثم إن السلطان ولاّه قضاء القضاة بحلب[٦] في أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ثم أبطل ذلك وولاّه قضاء صفد في أواخر صفر فيما أظن ، فأقام بها تقدير خمسين يوماً ، وتوفي في طاعون صفد ـ رحمه الله تعالى ـ .

(١) (أ) ، (ق) : « ولم يُحسن سياسة الناس » .
(٢) في (أ) ، (ق) : « زين الدين عمر .. » ،
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) قوله : « قاضي القضاة » ليس في (أ) ، (ق) .
(٦) (أ) ، (ق) : « قضاء قضاة حلب » .

وكان قاضي القضاة عز الدين قد ولاّه قبل قضاء حلب الأول قضاء البهنساوية ، وذلك في أوائل ولاية ابن جماعة .

١٢٩٦ - عمر بن محمد بن عثمان بن عبد الله*

الإمام البارع المفتنّ كمال الدين أبو حفص بن شهاب الدين بن العَجَمي [الحلبي][(١)] الشافعي .

سمع بحلب ومصر ودمشق ، وقَرَأ على شيخنا الذهبي أجزاء .

كان فاضلاً قد تفنَّن ، وعالماً قد تميَّز وتَعَيَّن . شارك في العلوم ، ورقي إلى أن اسْتَفلَت عنه النجوم . بذهنه الوقّاد ، وخاطرِه المنقاد[(٢)] :

تُعْرَفُ في عينـــهِ حقـــائقـــهُ   كأنّـــهُ بـــالـــذّكاءِ مُكْتَحِـــلُ

إلا أنه كان فيه رَهَج[(٣)] وطَيْش ، وعدم قرارٍ على حالةٍ من العيش . يسعى ليلَه ونهاره ، ويخلب بحسن[(٤)] توصله الحجاره .

وما زال إلى أن اعترضت المنايا أمانيه[(٥)] ، وخانت آمالَه أيامُه ولياليه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجّة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

---

* الدرر : ١٨٧/٣ ، ووقع في الأصل : « عثمان بن عبد الرحمن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وفي الدرر : « .. عثمان بن عبيد الله بن عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن » . وذيول العبر : ٢٤٢ .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) (ق) : « النقاد » .

(٣) الرّهج : الشغب .

(٤) في الأصل : « الحسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) (أ) ، (ق) : « على أمانيه » .

تخرَّج بالشيخ فخر[(١)] الدين بن خطيب جبرين . وكنت أنا وهو نقرأ عليه بحلب سنة[(٢)] أربع وعشرين وسبع مئة في المعقول والمنقول . وتخرَّج أيضاً بالشيخ كمال الدين بن الزملكاني لَمّا كان بحلب .

وتصدَّر بحلب للإفادة وتميَّز سنة نيِّف وسبع مئة .

أخبرني القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء بالشام قال : كان القاضي زين الدين عمر بن الوردي يقول له : والله عمرك ماتفلح ، وإن أفلحت تموت . فكان الأمر كما قال ، لأنه مات والده وورثه وتبلبل حاله ومات[(٣)] .

١٢٩٧ ـ عمر بن محمد بن سلمان*

ابن حمائل ، جمال الدين بن غانم ، أحد الإخوة .

قال شيخنا البرزالي : سمع معنا (مسند) الإمام أحمد [على][(٤)] بن علاّن وغير ذلك . وكان رجلاً جيداً قليل الاختلاط بالناس متقنعاً .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ حادي عشر جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

تقدم ذكر إخوته أحمد وعلي وأبي بكر .

١٢٩٨ ـ عمر بن محمد بن عثمان**

الشيخ الإمام المجوِّد المحرِّر المتقن شيخ الكتابة في عصره ، جمال الدين الدمشقي .

(١) في الأصل : « فتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وهو عثمان بن علي بن عثمان ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « في سنة » .

(٣) عبارة (أ) ، (ق) : « لأنه لَمّا مات ... وتبلبل حاله مات » .

* الدرر : ٣/١٨٦ .

(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .

** الدرر : ٣/١٨٨ .

شيخ التجويد ، وفريد الكتابة لا ابنُ البصيص ولا [ابن][1] الوحيد . كتب الناسُ عليه بمصر والشام ، وتخرَّج به جماعة من أولاد الأعيان والأعلام . ورزق في مصر الحظوة ، ولم يتقدم لأحد معه خطوة . وعاد إلى دمشق وأقام بها إلى أن مات ، وكتب عليه الجماعة وقد عمَّر دهراً صالحاً ولم يفرح بِخَزْيه الشُّمَّات .

وحصَّل من التجويد آلافاً من الذهب المصري ، ولو شاء كانت دنانيره على حروفها تجري . وكتب مجلدات بخطه الفائق ، ووقَف الأحداق على ما فيها من الحدائق .

ولم يزل يكتب إلى أن قُطَّ عُمُرُه ، ومحاه من صحيفة الوجود[2] دهره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق في العشر الأول من صفر سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

رأيته يكتب بالديار المصرية في المدرسة الظاهرية بين القصرين . وكان يكتّب أحمد بن بكتمر الساقي كل شهر بمئتي درهم ، وكل مسوّدة يأخذ عليها جملة .

وقال في وقت : أخذت من الكتابة خمسة آلاف دينار مصرية .

وقلت : أنا فيه لَمّا سمعت هذا الكلام عنه :

احرِصْ على الْخَطِّ فَلا بُدَّ من   حظٍّ يَفوقُ الْمُكْثِرِ المثري
هذا الدِّمَشقيُّ بأَقْلامِهِ   أصابَ كَنْزَ الذَّهَبِ المصري

١٢٩٩ - عُمَر بن محمود*

شرف الدين بن الطفّال .

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « الدهر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
* الدرر : ١٩٢/٣ ، والطالع السعيد : ٤٥٦ .

سمع من الشيخ جلال الدين أحمد الدِّشناوي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ودخل في خدمته إلى دمشق . وسمع معه من أشياخها .

وله نظمٌ قريضٍ وبلاليق[1] .

توفي ـ رحمه الله تعالى ـ بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومن بلاليقه المطبوعة :

في ذي الْمَدْرَسا ... جَماعَةُ نِسَا
إذا أمْسَى الْمَسا ... تَرَى فَرْقَعَه
نِسا ذا الزَّمان ... عَجَبٌ يا فُلان
يَكونوا ثَمان ... يَصيروا أَرْبَعَه[2]

١٣٠٠ ـ عمر بن مَسْعود بن عمر*

الأديب سراج الدين بن سعد الدين المحّار ، المعروف بالكتّاني الحلبي .

استوطن حماة وأقام بها منتمياً إلى بيت ملوكها : الملك المنصور [وولده الملك المظفّر][3] وولده الملك الأفضل نور الدين علي ، فأحسنوا إليه ، وأسْنَوا له الجوائز .

كان شعره في حَمَاة قد غَلا سِعْرُه ، وخلب قلوبَ ملوكها سِحْرُه . وكان سراجه فيها مُنيرا ، وكتّانيّه[4] فيها حريرا ، وراح أدبه فيها كالرّاح وراج ، وأذكى فيها لهب السِّراج . وله موشَّحات شعرية موشعات ، وقطعه فيها كأنها من بقايا النيل

(١) البلاليق : نوع من النظم العامي .
(٢) الطالع السعيد .
* فوات الوفيات : ١٤٦/٣ ، والدرر : ١٩٣/٣ .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل و (ط) : « وكتانيته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

مقطعات . لهج الناس بها في زمانه ، ومالوا إلى ترجيح أوزانه . وغنّى المغنون بها فأطربوا الأسماع ، وجوّدوا فيها الضروب والإيقاع .

ولم يزل على حاله إلى أن انطفأ السِّراج ، وبطل ما على حياته من الخراج .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بحماة في سنة إحدى عشرة أو سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ظناً .

أخبرني يحي[١] العامري الخباز الأديب[٢] ، وكانت له به خصوصية ، قال : كان كثيراً ما ينشد :

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صارَ لَحْداً مِراراً ضاحِكٍ مِن تَزاحُمِ الأضْدادِ[٣]

قال : ولَمّا أن توفي - رحمه الله تعالى - حَفَرْنا له قبراً ، ظهر فيه [من][٤] عظام الأموات فوق اثني عشر جمجمة . قال : فتعجبت من ذلك .

وقد روى لي شعرَه وموشَّحاته إجازةً عنه القاضي الصاحب جمال الدين سليمان بن أبي الحسن بن ريّان ، المقدم ذكره .

و (ديوانُ) شِعْرِه لطيف ، يكون في دون الثلاثة عشر كرّاساً ، خارجاً عن موشّحاته . وهو شعر متوسط ، ومنه :

رأيتُه في الْمَنامِ مُعْتَنِقي يا لَيْتَ ما في الْمَنامِ لَوْ كانا
ثُمَّ انْثَنى مُعْرِضاً فَواعَجَبي يَهْجُرني نائِماً ويَقْظانا

---

(١) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الشيخ يحي » .
(٢) ليست في (أ) ، (ق) .
(٣) من مشهور شعر أبي العلاء ، من قصيدته :
غيرَ مُجْدٍ في مِلّتي واعْتِقادي نَوْحُ باكٍ ولا تَرَنُّمُ شادي
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

ومنه في مليح أحدب :

وأحْـــدَبَ أنْكَروا عليـــه وَقَـــدْ ... سُمِّيَ حُسَـــامـــاً وغير مَنكـــور
مـــا لَقَّبـوهُ الْحُســامَ عن سَفَـــهِ ... لـو لَم يَرَوْا قَـدَّهُ القـلاجُـوري(١)

ومنه :

بَعَثْتَ نَحْـوي الِمشْـطَ يـا مـالِكي ... فَكِــــدْتَ أنْ تَسْلبَني روحي
وكيفَ لا تَسلبُ روحي وقَـــد ... بَعَثْتَ مَنْشُــوراً بِتَسْريحي(٢)

ومنه :

أرى لابن سعـدٍ لحيـةً قَـد تَكامَلَتْ ... على وَجْهِـهِ واسْتَقْبَلَتْ غَيْرَ مقبـلِ
ودارَتْ على أنْفٍ عَظيمٍ كأنَّـــهُ ... « كبيرُ أُنـاسٍ في بِجـادِ مُـزمَّـلِ »(٣)

ومنه :

يـا حَبَّـذا وادي حمـاةَ وطيبُـهُ ... وطَـلاوةُ العـاصي بـهِ والْجَـوْسَـقُ
فـاتت منـازِه جلَّقَ فـلأجـلِ ذا الـ ... شَّقراءِ تَكْبـو خَلْفَـهُ والأبْلَـقُ(٤)

ومنه :

أُنظُرْ إلى النَّهْرِ في تَطَرُّدِهِ ... وصَفْـوِهِ قَـدْ وَشَى على السَّمَـكِ
تَـوهَّمَ الرِّيـحُ صَيـدَهـا فَغَـدا ... يَنسـجُ مَتْنَ الغَـديرِ كالشَّبَـكِ

(١) فارسية ، تعني : السيف اللامع .

(٢) في الفوات : « التسريحي » .

(٣) ضمّن عجز بيت لامرئ القيس من معلقته ، صدره :
كأنَّ أباناً في عرانين وبله

(٤) في الأصل : « منارة جلق » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . وعبارة الفوات : « فاقت منارة » . وفيه : « فلحسنها الشقراء » . وفي (أ) ، (ق) ، والفوات : « خلفه » .

ومنه :

لَنــــا مُغنٍّ حَسَنٌ وَجْهُــــهُ يُطْرِبُ منــــهُ لحنُــــهُ الْمُعْرِبُ
يُرقِصُ مَن يسمعُــــهُ طِيبــــةً وهكــــذا الْمُرْقِصُ والْمُطْرِبُ[١]

ومنه :

قــالوا : هَـوَى بــابنِ الأميرِ جـوادُهُ فقُلـوبنــا كادَتْ عليــــهِ تَفطَّرُ
فــأجَبْتهُم لا تَعْجَبــوا لِـوقـوعِـه إنَّ السَّحــــابَ إذا سَرَى يَتَقَطَّرُ

ومنه في إبريق فخار :

يـا حَبَّــذا شَكْـلُ إبريـقٍ تَميـلُ لَـهُ مِنّـا القُلـوبُ وتَصْبـو نَحْـوَهُ الْحُـدَقُ
يَروقُ لي حينَ أجْلُــوهُ ويُعْجِبني منــهُ طَـلاوة ذاكَ الجِسمِ والعُنُـق
كَم قَـد شَرِبْتُ بـهِ مـاءَ الحيـاةِ ولَنْ يَنــالَني منــهُ لا غَصٌّ ولا شَرَقُ
حَتّى غَــدا خَجِــلاً مِمّــا أقبّلــهُ وظَـلَّ يرشَـحُ من أعطـافِـهِ العَرَقُ

ومنه في قنديل :

يـا حُسْنَ بَهجَـةِ قِنـديـلٍ خَلَـوْتُ بِـهِ واللَّيــلُ قــد أُسْبِلَت منــهُ ستــائِرُهُ
أضــاءَ كالكَــوكَبِ الــدُّرِّي مُتَّقِــداً فَراقَ بــاطِنُــــه نــوراً وظــــاهِرُهُ
تَـزيــدُهُ ظُلْمَــةُ اللَّيــلِ البَهيمِ سَنـاً كأنَّما اللَّيــلُ طَرْفٌ وهــو نــاظِرُهُ[٢]

ومنه في معالج مقيّره :

بروحي أفْـدي في الأنــامِ مُعــالِجــاً مَعَــاطِفُــهُ أزْهى مِنَ الغُصْنِ الغَضِّ
يُكلّفُ عِطْفَيْـهِ العِـلاجَ فَيَبْسُـطُ الـ ـقُلوبَ إلى حُبِّيـهِ في سـاعـةِ القَبْض
إذا مــا امْتَطى لُطْفــاً مقيّرةً لَـــهُ وأقْعَـدَهـا واحْمَرَّ سـالِفُــهُ الفضيّ

(١) في الأصل : « المرقص المطرب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) ، والفوات : « باصرة » .

رأيتُ مُحيّـــاهُ ومـــا في يَمينِـــهِ كَشَمْسٍ تَجَلَّتْ دونَها كُرَةُ الأرضِ[١]

ومنه في امرأة حدباء وخلفها جارية عرجاء :

فَـديتُ مَن في ظَهْرِهـا حَـدْبَـةٌ وهِيَ بـأُخْرى مِثْلَهـا نـاهِـدَه[٢]
يَحْسَبُهـا الإنسـانُ مـعَ أنَّهـا قـائِمَـةٌ في مَشْيِهـا قـاعِـدَه
وخَلْفَهـا جـارِيَـةٌ رِجْلُهـا عَن أُخْتِهـا فـاضِلَـةٌ زائِـدَه
تَـوقَّف في خِـدمَتِهـا وقفَـةَ الـ ـوزِّ وتَطْـوي رِجْلَهـا الـواحِـدَه

ومنه في زامرة سوداء ، وأجاد :

ولَرُبَّ زامِرَة يَهيـجُ بـزَمْرِهـا ريـحُ البُطـونِ فَلَيْتَهـا لم تَـزْمُرِ
شَبَّهتُ أنْمُلَهـا عى صِرِّ نـايِهـا وقَبيـحِ مَبْسَمِهـا الشَّنيـعِ الأبْخَرِ
بِخَنـافِسَ قَصَـدَت كَنيفاً واغْتَـدَتْ تَسْعى إليـهِ على خِيـارِ الشَّنْبرِ

ومنه في تشبيه لوح رخام [شحم ولحم][٣] :

ويـومٍ قـالَ لي مَلِـكُ البَرايـا وبينَ يَـدَيْـهِ لَـوحٌ مِن رُخـام:
أهَـلْ لَـكَ أن تُشَبِّهَـهُ بشيءٍ يَروقُ بني التَّرَسُّـلِ والنِّظـامِ
فَقُلتُ رقيـقُ ثَلْـجٍ في مُـدامِ فقـالَ ومثـلُ بَرْقٍ في غَمامِ
وذاكَ أتَمُّ في التَّشْبيـهِ مَعْنَى فقلتُ صَـدَقْتَ يـا بَـدْرَ التَّمامِ

وكتب إليه شهاب الدين أحمد العزازي من القاهرة :

مَن ضَـلَّ عن طُرقِ المكارمِ والعُـلا فَلْيَهتـدي أنّي سَرى بسراجِهـا[٤]

(١) في الأصل : « تحلَّت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .
(٢) (أ) ، (ق) : « ظهرها قبّة » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٤) كذا في الأصول : « فليهتدي » . بإثبات الياء ضرورة .

عُمرَ الـذي بلـغَ البـلاغـةَ وارتَقى دَرجـاتِهـا وسَرى على منهـاجِهـا
أمّا الفضائـلُ فهـو بيتُ قصيـدِهـا وطرازُ حُلّتِهـا ودُرَّةُ تـاجِهـا

فكتب المحّار الجواب :

ســارَتْ فعطَّرَتِ البـلادَ بِنَشْرِهـا أخبـارُ مُرْسِلِها وسُبْلُ فِجاجِها
عَـذراءُ قلَّـدَهـا الشِّهـابُ جواهِراً مِن فِكْرِهِ غَنِيَت بـهِ عَن تـاجِهـا
راقَتْ معـانيهـا برِقَّـةِ لَفظِهـا كالرّاحِ أشْرَقَ نـورُهـا بِـزجـاجِهـا

وقال في جفانة أبنوس :

وذات لَحْنٍ شَجِيٍّ تُبْـدي بها في الصُّـدورِ
كأنَّهـا جُنْـحُ لَيْـلٍ من تحتِ صُبْـحٍ مُنيرِ
تَشْـدو بشِعرٍ فَصيـحٍ على لسـانِ الحريرِ

ومن موشحاته :

جِسْمي ذَوى بـالكَمَـدِ والسَّهرِ والـوَصَبِ من جـانِ
ذي شَنَبِ كالبَرَدِ كالـدُّرَرِ كالْحَبَبِ جُمانِ
بي غُصْنُ بـانٍ نَضِرُ يَسبيـكَ منـهُ الهَيَفُ
يَرْتَـعُ فيـهِ النَّظرُ فَـزَهْرُه يُقْتَطَفُ
الْخَـدُّ منـهُ خَفِرُ والجِسْمُ منـهُ تَرِفُ
قَـد جـاءَنـا يَعْتَـذِرُ عِـذارُهُ الْمُنْعَطِفُ[1]
ثُمَّ الْتَـوى كالـزُّرَدِ مُعَبْقَري مُعَقْرَبي رَيْحـاني
في مُـذْهَبٍ مُـورَّدِ مُـدَنَّرٍ مُكَتَّبِ سَـوْسـانِ
ظَبيٌ لـهُ مُرْتَشفَ كالسَّلْسبيـلِ البـارِدِ

(١) في الفوات : « منعطف » .

بَـــــدْرٌ عُـــلاهُ سَـــدَفُ مِن ليـــــــــــلِ شَعْرٍ وارِدِ
مُقرطَـــــــــــــقٌ مُشَنَّفُ يَخْتـــــالُ في القَـــلائـــــدِ
غُصْنُ نَقـــــــا يَنعطِفُ مِن لين قَـــــدٍّ مـــائِـــــدِ
بَيْنَ اللّـــوى وثَهْمَـــــد كَجُـــؤْذَرٍ في رَبْرَبٍ غَـــــزْلان
مِن كَثَبِ ذي جَيَــــدٍ ذي حَـــوَرٍ ذي هَـــدَبٍ وَسْنـــــان
أمَـــــا وحَلْيِ جيْـــــده ورنَّـــــةِ الْخَـــلاخِـــــل
والضَّمِّ من بُروده قَـــــدّ قَضيب مـــــائـــل[1]
والـــــوردِ من خُـــــــدودِهِ إذْ نَمَّ في الغَـــــلائـــــل
لا كنتُ مِنْ صُـــــــــدوده مُتَّصِـــــلاً بِعـــــــاذِل[2]
نـــارَ الْجَـــوى لا تَخْمَـــدي واسْتَعِري[3] وكَـــــذِّبي سَلـــــواني
وانْسَكِبي واطَّرِدي وانْهَمِري كالسُّحُبِ أجْفـــــاني
مَـــــولايَ جَفْني ســـــاهِرُ مـــــــــــــــؤَرّقٌ كما تَرَى
فـــــلا خَيـــــالٌ زائِرٌ يَطرُقُني ولا كَرَى
إنّي عَلَيْـــــكَ صـــــابِرُ فمـــــا جَـــــزا مَنْ صَبَرا
إنْ سَـــــحَّ دَمْعي الهـــــامِرُ فـــــلا تَلُمْـــــهُ إنْ جَرى
جـــالَ الهَـــوى في خَلَـــدي ومُضْمَري أضَرَّ بي كِتْماني
مـــــؤَنّبي فـــاتَّئِـــد لا تَفْتَرِ وجَنِّب عن عـــانِ[4]
إنْ زادَ في الهَجْرِ وصَـــــــدْ رُحْتُ بِصَبري مُرْتَـــــدي
عنـــهُ وإنْ طـــالَ الأمَـــدْ إلى ذُرَى مُحَمَّـــــــــــــدِ
وكَيْفَ يَخْشى مَن قَصَـــــدْ مَلِكاً عَظيمَ الْمَحْتِـــــــدِ

(١) (أ) ، (ق) : « قضيب قد » .
(٢) في الفوات : « مستمعاً » .
(٣) في الأصل : « وأسعري » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، والفوات .
(٤) (أ) ، (ق) : « جان » .

فـــالملـــكُ المنصــورُ قَــدْ سَمَـــا سَماءَ الفَرْقَــــــد[١]
ثُمَّ اسْتَـــوى بـــأجرَدٍ مُضَمَّرٍ ومِقْضَبٍ يَماني
ذي شُطَبٍ مُهَنَّـــد وسَمْهَرِيّ مُضْطَرِب مُرّان
مَلـــكٌ عَلَتْ هِمّـــاتُـــه مِن فَـــوْقِ هـــام الْمُشْتَري
وبَخَّلَت راحـــاتُـــه سَـــحَّ السَّحـــابِ الْمُمْطِرِ[٢]
وعُـــوِّذتْ رايـــاتُـــهُ بِمُحْكَماتِ السُّـــــوَرِ
بَـــدْرٌ بَـــدَتْ هـــالاتُـــهُ مثـــلَ الصَّبـــاحِ الْمُسْفِرِ
تَحتَ لِـــوَى مُنْعقـــدِ بـــالظَّفَرِ في مـــوكِبِ فرســـان
كالشُّهُبِ في الأسْعُـــدِ والأقْمرِ في عَـــذب[٣] تيجـــان
يـــا مَلِكاً دُونَ الـــوَرَى تَخْبُطُـــهُ الْمَهالِـــكُ
ومـــالِكاً إذا سَرَى تَحجُبُـــه الْمَـــلائِـــكُ
بَعْضُ عَطـــاكَ هَـــل تُرَى جَـــادَتْ بِـــه البَرامِـــكُ
فـــاسْتَجْلِهـــا مِنْ عُمرا ثَغْرُ ثَنـــاهـــا ضـــاحِـــكُ
لا تُحْتَـــوى كالشَّهْـــدِ كالسُّكرِ كالضَّرْبِ معـــانِيَ
كالسُّحُبِ كالعَسْجَـــدِ كالْجَـــوْهَرِ مِن حَلَبي كِتّـــاني

قلت : وقد عارضه الشيخ صدر الدين بن الوكيل ـ رحمه الله تعالى ـ في كثير من موشحاته ، ومما عارضَهُ هذا[٤] الموشح ، وقد سُقْتُه في ترجمة الأمير شمس الدين سنقر الأعسر مشدّ الدواوين . إلا أنه غيَّر بعض قوافيه .

ومن موشحات السّراج ، وألطفها[٥] وأحسنها قوله :

(١) (أ) ، (ق) : « السؤدد » .
(٢) في الأصل : « ونحلت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « عدب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) في الأصل : « في هذا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) (أ) ، (ق) : « وموشحات السراج كثيرة ومن ألطفها ... » .

مـا نـاحَت الوُرْقُ في الغُصـون[١] إلاّ هــاجَت على تَغْريـدِهـا لـوعـةُ الْحَـزينِ
هَلْ مـا مَضى لي معَ الحبـايب آيب بعـدَ الصُّـدودِ
أمْ هَـل لأيـامِنـا الـذّواهبِ واهِب بـأنْ تعـود
مـعَ كلِّ مَصقـولَـةِ التَّرائب كاعِبُ هَيفـاءَ رُودِ
تَفتَرُّ عن جَـوْهَرٍ ثَمينٍ جـلاّ أن يُجْتَلى يُحْمى بقُضْبٍ مِن الْجُفـونِ
أحبَبتـهُ نـاعِمِ الشَّمائـلِ مـائـل في بُرْدِه[٢]
في أنفُسِ العـاشِقينَ عـامـل عـامـل مِن قـدِّه
يَرنـو بِطَرفٍ إلى الْمُقـاتِـلِ قـاتـل في غِمْـدِه
أسْطَى مِنَ الأسـدِ في العَرينِ فِعـلاً وأقتَـلا لعـاشِقيـهِ منَ الْمَنـونِ
عَلَّقتـه كامِـلَ المعـاني عـاني قلبي بـه
مُبَلْبَـل الحـال[٣] مُـذْ جَفـاني فـاني في حُبِّـه
كَم بِتُّ من حيثُ لا يَراني راني لقُربـه
وبـاتَ من صـدْغِـه يُريني غِـلا يسعى إلى رِضـابـهِ العـاطرِ المصـونِ
قـاسوهُ بـالبـدرِ وهـو أحْلى شَكْـلاً مِنَ القَمرِ
فَراشَ هُـدبَ الْجُفـونِ نُبـلا أبْلى بِهـا البشرِ
وقـالَ لي وهـو قـد تَجلَّى جـلَّ بـاري الصُّورِ
يَنْتَصِفُ البَـدرُ من جَبيني أصـلا فقلتُ لا قـال ولا السِّحْرُ من عيـوني
بِتْنـا ومـا نـالَ مـا تمنّى منّـا طيبُ الـوَسَنْ
نفضّ من فرحـةٍ لـدنّـا دِنّـا تَنْفي الحـزَنْ

---

(١) في الأصل : « الأغصان » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « برودِه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « البال » .

وكلّما مــــــال[١] أو تَثنّى غَنّى صوتــاً حسَنْ
لا تَستَمِـع[٢] في هـوى المجــونِ عَــذْلاً واسْــــعَ إلى راحٍ تقي سَــوْرَةَ الشُّجــونِ

قلت : قد رأيتَ أيها الواقف على هذا ـ وفَّقك الله ـ مـا فـاتَـه من الالتزام في بعض الحشوات ، وما بعض الحشوات خال منه ، وما أعتقدُ أنه أتى به وفاته ، ولا يخفى ذلـك على من يعرف علم البديع وشروط الجناس المزدوج .

وكلَّفني بعض الأصحـاب الأعزّة أن أنظم شيئاً في هـذه المـادة ، فنظمت مع علمي ما ينبغي للعاقل أن يعارض ما رزق السعد ، وبالله التوفيق ، وهو :

مـا تنقضي لـوعــةُ الحــزينِ أصــلا ولــو ســلا إلا لضرب من الْجُنون[٣]
قُمْتُ ولم تَحْظَ بالوِصـالِ صـالي نــار الْجَــوى
مُعــذّبُ البـالِ في خَبــالِ بــالي منَ الهَــــوى
ولا تــوافــق على انتقـــالِ قــالي يــومَ النّــوى
وكُن على مَــــــذْهَبي وديني ذُلاّ إذْ تُبْتَلى واصْبِرْ على ذلَّـةٍ وهـون
مُعـــذّبي نــــازحُ المــزارِ زاري على القمَرْ
خلّى فُـؤادي من الإســارِ ساري على خَطَرْ
يقــولُ والقلبُ في استِعــارِ عــاري من مُصْطَبَرْ
مَن أرسلَ السِّحرَ مِن جُفـوني نبــــلا تَقْضي على حَشا الْمُحبينَ بـالْمَنونِ
في ريقِــهِ لَــذَّةُ السّــلافِ لا في كأسِ المــدام
رأيتُ لي منـهُ في ارتشـافِ شــافي منَ السِّقــــام
أقــولُ والصَّمتُ في اعْتِكافِ كافي عنــدَ المـلام
يـــــأتي تَسلّيــــه عن يقين قـل لا تغري البـــلا عليّ فالوجدُ في الكَمينِ

(١) (أ) ، (ق) : « ماس » .
(٢) (أ) ، (ق) : « لا تسمع » .
(٣) في الأصل : « الجفون » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

جَبينُـه الصُّبح في انْبِـلاجِ[1] لاج لشعرِهِ
وقلبٌ مُضنـاهُ في ابتِهـاجِ هـاج لِهَجْرِه
يرقُبُ منـهُ يـومَ انفراج راج لصَبرِهِ
ظَبيٌ بـهِ اللَّيثُ في العَرينِ ولَّى لـواجتلى عيونهُ باتَ في غبون

وغـادةٌ في الهـوى عـداني داني وصـالُهـا
لـوانّ دَهري لهـا انتقـاني قـاني جمـالُهـا
ما كانَ في الوَجدِ قد شَجاني جـاني دلالُهـا
ولا جرَت بـالـدّمـا عيوني وبَـلا قـد أخجَـلا سواكبُ العارِضِ الهتونِ

مُقلتَهـا صيَّرت رَشـادي شـادي بـذِكْرِهـا
وسِحْرُهـا صـارَ في العِبـادِ بـادي بنصرِهـا
وصـارَ في الغَـوْرِ والـوهـادِ هـادي لأسْرِهـا
فـانْظُر تَجِـدْهـا دونَ العُيـونِ كَحْـلا لا يُصْطَلى[2] لهـا بنـارِ السحرِ المبينِ

تَبـدو بـوجْـهٍ مِثـلِ الْمَرايـا رابي فيـهِ الهـلال
ألا ابنَ يَحيى خيرَ البرايـا رايـا إذا استحـالَ
طبـعِ الليـالي وللرعـايـا عـابي صَرْفَ الليـال
يردُ خطبَ الرَّدى الحرون سَهْـلا قـد انْجَلى وانْبَلَجتْ سُدفة الدّجون

يا سعدَ ملـكٍ قـد استجَلاّ[3] جـلاّ عنـهُ العَنـا
لأنَّـهُ عنـدَمـا تـولَّى ولَّى عنـهُ[4] الْخَنـا
فَمي[5] بـذِكْراهُ مُـذ تَحلَّى حلَّى فيـهِ الثَّنـا

(١) في الأصل : « ابتلاج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) في الأصل : « لا يصلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (ق) : « به استجلا » ، (أ) : « أسجلا » .
(٤) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « ومنه » .
(٥) في الأصل : « لا يصلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

وجـــاءَ بـــالجـوهرِ الثَّمينِ جَــزْلا حتّى اغتَلى[1] على عُقودِ المدحِ الرَّصينِ
فَطِرْسُـه جـامِعُ الفرائـدِ رائــد إلى الصَّــواب
ولفظِـه زينَـة القَصائـدِ[2] صـائـد فَصْلَ الخِطاب
وكلّـهُ نُخبـــة العَقـــائـــدِ قـائـد إلى العُجــاب
وذِكْرُهُ صـــــــارَ في القرونِ يُتْلى حتّى عَـــــلا منابرَ الأيـكِ والغُصونِ
أقـولُ للغيثِ في سَحـابِـهِ حـابِـه في وَبْلِـــــه
فَجُـودُهُ للـوَرى وشَي بِــهِ شـابـه في طلِّـــــه[3]
ولم يَقُمْ قـــطُّ في منــابِــهِ نــابـه من شَكلِـــــه
أفـــــاضَ من فَضلِـــهِ المعينِ سَجْـلا مَــلا الْمَــلا وســـارَ في بَحْرِهِ سَفيني
نَظْمي على رُتْبَـةِ الأفـاضِـلِ فـاضِل ديبــــاجــــه
كأنَّـهُ[4] فيـكَ بـالأصـائـلِ صـائِل نـــواجُـــــه
فانْظُر لِمَن صارَ في المحـافِلِ آفِـــل سِراجُــــــه
ومَنْ على ذروَةِ الفُنـــــــونِ حَـــلاّ واسْتَقَـــــــلا سِواهُ في حَمْـأةٍ وطينِ
مــوشَّحي رائــقُ الطَّرائــقِ رائـــق في فنِّـــــــه
مـا مِثْلَـهُ قَـطّ في الْخَـلائـقِ لائـــق في وزنِـــــه
إنْ عُـدَّ يَـومـاً من النَّـوافِـقِ[5] وافـق لـــوَزنِــــــه
فـــــأنتَ فَرْدٌ بِــــلا قرينِ أمْلَى سرحَ[6] العُــلا حتّى انْجَلَت ظُلْمَةُ الظُّنونِ

ومن موشَّحات السّراج المحّار ـ رحمه الله تعالى ـ:

---

(١) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « اعتلى » .
(٢) في الأصل : « للقاصد » ، وفي (ط) : « المقاصد » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل : « في طلبه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) (أ) ، (ق) : « لأنه » .
(٥) (أ) : « التوافق » .
(٦) في الأصل : « سَرْج » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

وبــاتَ الغَمامُ ، يَبكي الْمُسْتهــام وانجرَّ الحمـامُ إلى النَّوحِ بـالأطْـواقِ
خــلائقَـــكَ الْحُسْنى فَتَنْتَ بهـــا الـــوَرى
ومُقْلَتِـــكَ الـــوَسْنى سَبَتْ مِنيَ الكَرى
ومَبْسَمُـــكَ الأسْنى تَنضَّـــدَ جَـــوْهَراً
وجَفْنُـكَ يَحْمي الرِّيقَ مِنـكَ بِبـاتِرٍ فيـا بـارداً قـد راحَ يُحْمى بفـاتِرٍ
ولـــو كانتِ الأزهــارُ وقـــد راقَتِ[1] الأسحــارُ
تَروي عَن شَـذاكَ وتَحكي سَنـاك لكانَت هُناكَ ، حـدائقهـا الأحـداق
حبيبي قـــد أضحى هـــواكَ مَنِيَّتي
ولِي كَبِـــدٌ قَرْحى لِعِظَمِ بَلِيَّتي
وجـــاءَ الـــذي يَلْحَى تَمامَ مُصيبَتي
فإن قُلتَ إنِّي في الهوى غير جـائِر[2] فَما ضَرَّ لو أصبَحْتَ بـالوَصلِ جـابري
وإلا فكَم مِن جــــار على ذي غرامٍ جــــار
ولا[3] يختَصِرُ ولا يقتَصِرُ حتى ينتصر على الصَّبِّ بـــالأشْـواقِ
يُقرِّر في هَجري دليـــلَ دَلالـــــه
ويَمنـــعُ مـــعَ فَقْري جَميـــلَ جَمالــــه
ويُنْكِرُ مــــعَ ضُرِّي وصـــولَ وصـــالـــه
ويُقْـدِمُ في سَفْـكِ الـدِّمـا غير قـاصِر بِقَسْـوَةِ فَتّـاكِ اللَّـواحِـظِ قـاسِرِ
وقـــد أصبَـحَ الخطّـــار إذا مـــاسَ في أخطـــار
يَشكـــو مــــا دُهي إلى مُلْـــدِهِ ومِن قَـدِّه يَشكـو الغُصْنِ في الأوراقِ[4]

(١) (أ) ، (ق) ، (ط) : « رقَّت » .
(٢) في الأصل : « حائر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) ، (ق) : « وما » .
(٤) (أ) ، (ق) : « بالأوراق » .

لـــــــــهُ مَبْسَمٌ أَلْمَى حَـــلا وَهُــوَ بـــارِد
بِـــــــــهِ اتَّسَقَت نَظْماً لآلي فَرائـــــــــــد
إلى رَشْفِـــــــــهِ نَظْماً ومـــــــــا ثَمَّ وارِد
وقَـد دارَ في خَـدٍّ مِنَ الـوَرْدِ نـاضِر لـهُ عـارِضٌ قَـد راقَ في كلِّ نـاظِرِ
لـــهُ خبرٌ قـــد طـــارَ وقَـــد مَـلا الأقطـــار
فَما يُنكَرُ لِما يشكرُ ولا يـــذكر إلاّ فـــاقَ في الآفـــاقِ
تَجَنّى ومــــــا أبقى وسِرٌّ مُعـــانـــدي
ورقَّ لِما أَلْقى مِنَ السَّقَمِ عـــائـــدي
وجَفنـــاهُ قـــد شَقّـــا حبـــالـــة صـــائـــد
وهـل يكتفي[1] صَبٌّ نـوافث سـامِرِ بقلب سليب فـاقِـد الصَّبرِ حـاسِرِ
ومَن ذا الـــذي قـــد ثـــارَ وحـــاوَلَ أخـــذَ الثّـــارِ
من سَهْمٍ مَرَقْ بِطَرْفٍ رَمَـــــــق وسحر الحـدَق لِـوا نَصْرِه خَفّـاق

١٣٠١ - عُمَر بن مظفّر*

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الشيخ الإمام الفقيه النّحوي الأديب الشاعر النّاثر زين الدِّين أبو حفص بن الوردي المعري الشافعي .

أحد فضلاء العصر وفقهائه وأدبائه وشعرائه . تفنَّن في علومه ، وأجاد في منثوره ومنظومه . شِعْرُه أَسْحَرُ مِن عيون الغِيْدِ ، وأبهى من الوَجَنات ذاتِ التَّوريد . قام بفنِّ التَّورية فجاءت معه قاعده ، وخَطَّها في الطّروس وهي فَوْقَ النُّجوم صاعده ، يَطْرَبُ

(١) في الأصل : « يلتقي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* فوات الوفيات : ١٥٧/٣ ، والدُّرر : ١٩٥/٣ ، وبدائع الزهور : ٥٢٤/١/١ ، والبغية : ٢٢٦/٢ ، والشَّذرات : ١٦١/٦ .

اللبيبُ لسماعها ولا طرَبَ الصُّوفيِّ للشَّبّابه ، ويَعْجَبُ الأديبُ لانطباعها ولا عَجَب الغواني بمن التحفَ شبابَه ، ويَرْغَبُ الأريب لارتجاعها ولا رغبةَ الروض الذي صوَّح في صوب السحابه . ويدأب النجيب في اقتطاعها ولا دأب المحب في التَّمسُّك بأذيال محبوبه السَّحّابَه :

لَفْظٌ كأنَّ معاني السُّكْرِ تَسْكُنُه فَمَنْ تَحَفَّظَ بَيْتاً منهُ لم يُفِق
كأنَّه الرَّوضُ يُبدي مَنْظَراً عَجَباً وإنْ غَدا وهُوَ مَبْذولٌ على الطُّرُقِ[1]

وفِقْهُه للطالب[2] روضه ، ولأصحاب الفتاوى قد شرَّع حَوْضَه . نَظَم (الحاوي) وزادَه مسائل ، وجَعَله بعد وحشة الأذهان منه خَمائل ، وعربيَّته تلافيها ما أنَّس غريبها بتلافيها[3] وقرَّبها إلى التَّعقل بعد تجانفها وتجافيها ، وسهَّل عويصها فلو سَمِعَتْه الأعْرابيّة ما قالت : « يا أبتِ أدْرِك فاهاً غلبني فوها لا طاقة لي بفيها » ، إلاّ أنَّه مع هذه القُدْرَة وهذا التَّمكُّن من فنِّ الأدب ، وكونه إذا تصدَّى للنَّظم تَنْسِلُ إليه المعاني من كل حَدْب ، لا يسلم من الإغارة[4] على مَنْ سواه ، واغتصاب ما سبقته إليه غيره وما حواه ، ولا يعفُّ عما هو لمن تقدَّمه أو عاصره أو استسلم له أو حاصره . وبهذه الْخُلَّة نقص ، ولولاها صفَّق له الزمان ورقَصْ .

ولم يَزَلْ في حَلَب يتولَّى القضاء في تلك النَّواحي ، وتبكي الغمائم لفراقه وتبتسم لقدومه ثغور الأقاحي ، إلى أن ترك الولايات ورَفَضها ، وعاد على[5] أحكامها ونقضها ، وأرصد نفسه للإفاده ، وتلفَّع برداء الزِّهاده ، واختصَّ بسيادة العلم وهي

---

(١) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « للطلبة » .
(٣) في الأصل : « ما أنس من تلافها » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) (أ) : « الإعادة » .
(٥) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

السياده . وتخرَّج به جماعة وتنبَّهوا ، وحاكوا طريقه وتشبَّهوا ، إلى أن افترس الورديَّ وَرْدُ المنيه ، وأصبح في حُفْرَة القبر من وراء الثَّنيّه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في سابع عُشْرَي ذي الحجّة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

وتوفي أخوه القاضي جمال الدين [يوسف][1] قبله بقليل .

وكان الشيخ زين الدين - رحمه الله تعالى - قد رأى عجائب الطاعون في حلب ، فعمل فيه رسالة أنشأها وأبدعها وسمّاها : (النَّبا في الوبا) ، ولكنه خُتِمَ به الوَبا ، وفُجِع الناس فيه .

وقلت أنا فيه لَمّا بلغتني وفاته :

لَئن ذَوَى الورديُّ في هذه الـ ... دنيا لَقَد أيْنَعَ في الْخُلْدِ
وإنّما أوْحَشَ رَبْعُ النّهى ... والفَضْلِ في نَقْصٍ وفي رَدِّ
والعِلْمُ رَوْضٌ مالَهُ رَوْنَقٌ ... لأنَّهُ خالٍ منَ الوَرْدِي

وكنت قد كتبت[2] إليه من دمشق في جمادى الآخرة سنة أربعين وسبع مئة :

سَلامٌ على الْحَضْرَةِ العاليَه ... سَلامَ امْرِئٍ نَفْسُه عانِيَه
لأنَّ لَها رُتْبَةً في العُلا ... ذَوائِبُها في السَّما سامِيَه
ويُؤنِسُ مَن غَدا يَجْتَني ... قُطوفَ مَسَرّاتِها دانِيَهْ
أيا عُمَرَ الوقتِ أنتَ الَّذي ... كراماتُه في الوَرَى سارِيَه
ويا بَحْرَ عِلْمٍ طَمَى لُجُّهُ ... فَكَم جاءَنا عَنْهُ مِنْ راوِيَه
ويا فاضِلاً أصْبَحَتْ رَوْضَةَ الـ ... ـعُلومِ بتَحْقيقِهِ زاهِيَهْ

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) (أ) ، (ق) : « كتبت أنا » .

لـكَ الخـطّ كَم فيـه مِنْ نقطَـةٍ — لهـا الحَـظّ بـالقَلب في زاوِيَـهْ
تَقَـدَّمْتَ في النَّظْمِ مَن قَـدْ مَضى — لأنَّـكَ في الـذُّرْوَةِ العـاليَـهْ
ورخَّصْتَ أسعـارَ أشْعـارِهِم — كأنَّ مِـدادَك مِنْ غـاليَـهْ[1]
وكَم مِن قَصيـدٍ إذا حُكْتَهـا — تَكـونُ القلـوبُ لهـا قـافيَـهْ
ونَظّمت في مَـذْهَب الشّـافعيِّ — كِتـابـاً غَـدا حـاويـاً حـاوِيَـهْ
وزدْتَ مسـائِلَـهُ جُمْلَـةً — بتَحْقيـقِ مَـذْهَبِـهِ وافِيَـهْ
فَمالَـكَ مِن مُشْبِـهٍ في الـوَرَى — ويـا حُسن (مـا) ههنـا نـافِيَـهْ
لَئِن كنتُ أرسَلْتُ هـذا القَريضَ — فَللبَحْرِ قَـد سُقْتُـهُ سـاقِيَـهْ
وإلاّ فـأهْـدَيتُ نَحْـوَ الرِّيـا — ضِ وقَـد أيْنَعَتْ زَهْرَةً ذاوِيَـهْ[2]
وسِتْرُكَ إنْ لم أكُنْ حـاضِراً — يُغَطّي مَسـاوئَـهُ البـادِيَـهْ
فـلا زِلْتَ في نِعْمَـةٍ وَفْرُهـا — تُسـاقُ لـهُ جُمْلَـة بـاقِيَـهْ

يقبِّل الأرض ويسأل الله أن يمنَّ عليه بجَمْعِ شَمْلِه ، ويقرِّبَ[3] اللقاء ، فإنَّ التَّمنّي قد أطال المدَّة في وضع حَمْلِه ، وأن يُريَه ذلك الشخص الـذي يروق البـدورَ السيّـاره ، ويروع الأسود الزَّأارة ، وأن يرزقه اجتلاء ذلك الروض الـذي نجني بسمعـه أزهـاره التي تسلب النّظـارّةَ بـالنَّضـاره ، وأن يورده على ظمئـه البَرِح تلـك الفضـائل التي أبْحُرُهـا زخّاره ، وأمواجها هدّاره ، وأن يُنزله المحل الـذي يخرج منـه[4] ومعـه بكارة المعـاني التي تبرز منها بكارةٍ بَعْد كارّه ، وأن يمتّع طَرْفَه بذلك البدر الذي[5] يأخذ الناسُ من فوائـده الكـواكب السَّيّـاره ، وأن يُطْلِعَ عليـه شمسَ فـوائـده التي تشرق من الطلبـة في الهـالـة والدَّاره :

---

(١) (أ) ، (ق) : « وأرخصت » .
(٢) (أ) : « فأهدي » .
(٣) (أ) ، (ق) : « وأن يقرّب » .
(٤) ليست في (أ) ، (ق) .
(٥) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُه اجْتِماعاً ... يُعينُ على الإقامةِ في ذُراكا

ويُنْهي أنَّه لَمَّا كان في الدِّيار المصريّة حضر من حلب المحروسة المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السّروجي[1] ، وأنشد المملوك تضمين أعجاز (ملحةِ الإعراب) لمولانا ـ أدام الله فوائده ـ فأخذ من المملوك بجامع قلبه ، ودخل على لبِّه بهَمْزَة سَلْبه ، وعَلِمَ به القدرةَ على التصرف في الكلام ، وتحقَّقَ أن نظم غَيره إذا سُمِعَ قُوبِلَ بالملال والْمَلام . وقال في ذلك الوقت عندما حصل له في كلام مولانا المِقَة[2] وفي كلام غيره الْمَقْت :

يا سائِلاً عمَّن غَدا فَضْلُهُ ... مُشْتَهِراً في القُرْبِ والبُعْدِ
النّاسُ زَهْرٌ في الثَّرى نابِت ... وما تَرى أذْكَى من الوَرْدِي[3]

وكان المملوك قد علَّقها ، وأدخلها أبواب حاصله وأغلقها ، فاغتالتها أيدي الضَّياع ، وعدم أنس حسنها المحقِّق من بين الرِّقاع .

ثمَّ إني سألته أن يجيزني رواية ما يجوز له تسميعه ، فكتب الجواب ، ومِنْ خَطِّه نقلت :

كَتَبَ إليَّ فلان ـ أمَّد[4] الله تعالى ـ في جاهه ، وجمَّل النوع الإنساني بحياة أشباهه ، يستجيز مني روايةَ مصنّفاتي ومَرْوِياتي ومؤلَّفاتي ، ففديته سائلا ، وأجبته قائلا :

أما بعد حمد الله جابرِ الكسير ، والصلاةِ على نبيِّه محمد البشير النَّذير ، وعلى آله الذين أُعريت أفعالهم فَسَكَن حُبُّ أسمائهم في مستكنِّ الضمير .

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .
(٢) في الأصل : « ثقة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) . والمقة : المودة .
(٣) في الأصل : « في الورى » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) (أ) : « قدّ » .

فإنّي أُلقي إليَّ كتاب كريم ، يشتمل بعد بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[١] ، على نظم فائق بهيّ ، ونثرٍ رائق شهيّ ، غَرَس لي أصولَه بفضله خليلٌ جليل ، فامْتَدَّ عليَّ مِنْ فُروعِه ظلٌّ ظليل ، فرأيته فانتصبت له قائماً على الحال ، وتميَّزت به على غيري ، فطبت نَفساً بعد الاعتلال ، وابتهلْتُ بالدُّعاء لِمُهديه مخلصاً ، ولكن أسأت الأدب إذ وازنت جوهر[٢] نظمِه بالحصى حيث قلت :

سلامٌ على نفسكَ الزّاكيَه ... وشُكراً لِهمَّتِكَ العاليَهْ
أزَهْراً أمِ الزُّهْرُ أهْدَيْتَها ... لِعَبدٍ مدامعُه جاريَهْ
كِتابٌ يَفوحُ شَذى نَشْرِهِ ... فَلي منهُ رائحَةٌ جائيَهْ
وسَعْدُ مُعاديهِ عَنْ مَركزِ الـ ... ـسعادَةِ يَلْجا إلى زاويَهْ
إذا حَمل الْجَدْيُ في نَطْحِهِ ... فَفاسٌ إلى رَأْسِهِ دانيَهْ
وقابَلَني حينَ قَبَّلْتُهُ ... مِنَ الطِّيْبِ ما أرْخَصَ الغاليَهْ
وفكَّهني في جَنى غَرْسِهِ ... ولا سيّما بيت (ما) النّافيَهْ
تَرَدّد عيني بهِ لا سُدى ... ولكنَّها تَطْلُبُ العافيَهْ
فَمُهْديهِ أفْديهِ مِنْ سَيِّدٍ ... أياديْهِ رائقَةٌ راقيَهْ
لَعَلَّ الخليلَ بداني بهِ ... ليَجْعَلَها كِلْمَةً باقيَهْ
فيا جابراً دُمْ مُعاذاً[٣] فكَم ... بَعَثْتَ لِمَخْليَ مِنْ ساريَهْ
لأقلامِكَ الرَّفْعُ تُبْنى بها ... على الفَتْحِ أفعالُها الماضيَهْ
ولو لم يَكُن قَد سَبا نورُها ... لَمَا حَمَلَ الخادِمَ الغاشيَهْ
فإنْ أهلكَ النّاسَ جَهْلٌ بهم ... فأنتَ مِنَ الفرقَةِ النّاجيَهْ
فَكَمْ بابِ نَصْرٍ تَبَوَّأْتَهُ ... فأذهانُنا مِنْهُ كالجابيَهْ

(١) اقتباس من قوله تعالى في سورة النَّمل ٢٩/٢٧ ، ٣٠ : ﴿ قالَتْ يا أيُّها الْمَلأُ إنِّي أُلْقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَريمٌ ☆ إنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وإنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ ﴾ .
(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « جواهر » .
(٣) في الأصل : « معادا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

رَضِيَ بِـكَ عَن دَهْرِهِ سـاخِـطٌ فـلا زِلْتَ في عيشَـةٍ راضِيَـهْ
وإنِّي لَفي خَجَـلٍ مِنـكَ إذْ أجَبْتُـكَ في الـوَزْنِ والقـافِيَـهْ
فَعَفْـواً وصَفْحـاً ولا تَنْتَقِـدْ ويـا بَحْرُ مـالَـكَ والسّـاقِيَـهْ
لِيَهْنِـكَ أنَّـكَ عَيْنُ الـزَّمـا نِ فلَيْتَ على عَينِـهِ الـواقِيَـهْ

ولَمّـا انتهيت إلى استجـازتـه[١] التي انْتَظَمَتْ في سلـوك الحسن بحسن السلـوك ، واسْتُعْظِمَتْ ، فلولا حُسْنُ الظَّنِّ لأوهمت تهكم المالك بالمملوك ، أحجمتُ عن إجازة من شمَّر في العقـل والنقـل لتحقيـق القـديم والحـديث ، وتبحّر في إغراب الإعراب حتى كأنَّ النحاة إياه عنوا بمسألـة « سَيْرُكَ السَّيْرَ الحثيث » ، وقلت : مـاذا أصف ، وبـأيّ عبـارة أنْتَصِف . في إجازة مَن إذا كتب طرّز بالليل رداء نهاره ، وإذا نثر فـالأنجم الزُّهر بعضُ نِثارِه ، وإذا نَظَم لم يقنع من الدُّرِّ إلاّ بكبارِه ، ولم يرضَ من المعـاني إلاّ بـدقيق من بين حَجَريـه الثَّمينين[٢] بل أحجـاره ، إن أعْرَب فـ « وَيْـه » على سيبويـه ، وإن نحـا فهو الخليل غير مكـذوب عليـه ، يـأتي بمـا يفترّ عنـه[٣] المبرَّد ، ويشقُّ لـه الكسـائي كسـاه ويُجَرَّد ، ويقول الزَّجـاجي : أيهـا الشـاب لقـد أخجلتَ[٤] جـواهرك صرحي المُمَرَّد ، وينادي ابن أبي الحديـد : سطـا عليَّ[٥] لسـانـك المِبْرَد ، ويستخـدم ملـكَ النحـاة[٦] في جنده ، ويرفرف ابن عصفور عليه بجناحيـه[٧] ويحلف أنـه الخليفـة من بعـده ، بتعمّق يرهف حروف الحروف ، وينصف حتى لا يَعْدُو ثعلب ولا أكبرُ منـه على ابن خروف ،

---

(١) في الأصل و (ط) : « إجازته » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « الثمين » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) : « عن » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أخملت » .
(٥) (أ) ، (ق) : « عليك » .
(٦) هو أبو نزار ، الحسن بن صافي (٥٦٨) ، البغية : ١/٥٠٤ .
(٧) في الأصل : « بجناحه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

ويَصْدُق حتى لا يقال ضرب زيدٌ عَمراً ، ويَعْدِلُ حتى لا يشتم خالدٌ بكراً ، مع بساتين فنون أُخَر تهتز بنسمات السَّحر عَذَباتُ أفنانها ، ويقول حاسدها : آه ، فتُشْبه ألفه في العِظم قُدودَ نخلها ، وهاؤه ثَمَرَ رُمّانها .

ثمَّ فكَّرت أن[١] كتابه الشريف آمنني النُّوَب ، وخصَّني بالنّوبة الخليليّة[٢] من بين النُّوب ، وكفاني مواثبةَ العكس والطَّرد ، وأولاني مناسبةَ الغَرس للوَرْد ، فترددت هل أفعل أو لا ، ثم ظهر لي أن امتثال المرسوم أولى ، وجسَّرني على ذلك مرسوم شيخ الأدب ورحلته ، ورُكنِه الأعظم وقبلتِه ، شيخنا الفذ جمال الدين بن نباته ، فسح الله في مدَّته وأبقى حياته ، الذي إن نثر جعل اللجين إبريزاً بحسن[٣] السَّبك ، وإن نظم قال نظمه : لقرينتيه الحسن والقبول : قفا نضحك مِن « قِفا نبكِ » . لا جرم أنّا من بحره الحلو نغترف ، وبالتقاط جواهره التي زان بها مفارق [طرق][٤] البلاغة نعترف ، فأطعت إذَن أمره طالباً صفحه وستره ، وقلت : لقد بدأتني أعزك الله بما كنت أنا به أحرى ، وكلَّفتني شططاً فتلوت : ﴿ سَتَجِدُنِي إنْ شاءَ اللهُ صابراً ولا أعْصِي لَكَ أمْراً ﴾[٥] ، وها قد أجزت لك متطفلاً عليك ، وأذنت لك متوسّلاً إليك ، أن تروي عني ما يجوز لي روايته وإسماعه ، ليتصل بك فيما اتصل بك ما أُمِن انقطاعه ، من منقول ومقول ، وفروع وأصول ، ونثر ونظم وأدب وعلم وشرح وتأليف وبسط[٦] وتصنيف بشرطه المضبوط ، وضبطه المشروط .

أما مصنَّفاتي الشاهدة عليَّ بقصور الباع ، ومؤلَّفاتي المشيرة إليَّ بقلّة الاطِّلاع ، فمنها في الفقه : (البَهْجَة الوردِيَّة) في نظم (الحاوي) ، و (فوائد فقهيّة) منظومة .

(١) (أ) ، (ق) : « في أنَّ » .
(٢) في الأصل : « الجليلة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) في الأصل : « حسن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٤) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٥) سورة الكهف : ٦٩/١٨ .
(٦) (أ) ، (ق) : « وبسيط » .

ومنها في النَّحو : (شرح ألفيّة ابن مالك) ، و (ضوء الدرّة على ألفيّة ابن مُعْط) ، و (قصيدة اللباب في علم الإعراب) ، و (شرحها) ، و (اختصار ملحة الإعراب) نظماً ، و (تذكرة[1] الغريب) نظماً وشرحها .

ومنها في الفرائض : (الرسائل[2] المهذَّبة في المسائل الملقَّبة) .

ومنها في الشعر والأدبيات : (أبكار الأفكار) .

ومنها في غير ذلك : ([تتمّة][3] المختصر في أخبار البشر) ، اختصار تاريخ حماة[4] ، و (الذَّيل) عليه[5] ، والتَّمات في أثنائه .

و (أرجوزة في تعبير المنامات)[6] ، خمس مئة بيت .

و (أرجوزة في خواصّ الأحجار والجواهر) ، و (منطق الطير) ، نظماً ونثراً ، فيه نوعُ أدبٍ تصوفي ، وما لا يحضرني الآن ذِكْرُه ، وكان الأولى[7] سترُه .

أجزت لك ـ أيَّدك الله ـ رواية الجميع عنّي بأفضالك ، ورواية ما أدوّنه وأجمعه من ذلك حسبما اقترحَهُ خاطرك العزيز واستوجبْتَ به مَدْحي ، فأنا المادِحُ وأنا المُجيز .

---

(١) في الفوات : « ومذكّرة » .

(٢) في الأصل و (أ) و (ق) : « الوسائل » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر ، والكشف : ٩٠٢/١ ، وفي الفوات : « المسائل المذهبة » .

(٣) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في (أ) ، (ق) : « صاحب حماة » .

(٥) عبارة (أ) ، (ق) : « مع التذييل عليه » .

(٦) في (أ) ، (ق) ، (ط) ، زيادة : « نظماً » .

(٧) في (أ) ، (ق) ، زيادة : « بي » .

قالهُ وكتبهُ عمر بن مظفر في العشر الأوّل من شعبان[١] سنة أربعين وسبع مئة .

وكتب بخطّه تضمين أنصاف أبيات (ملحة الإعراب) ، وهي في غاية الْحُسْن ، وهي ستة وستون بيتاً ، وقد أثبتّها بكمالها في ترجمته في (تاريخي الكبير) .

وكتب بخطِّه [تضمين][٢] :

يا ساهر البرق أيقظ راقدَ السَّمُر[٣]

لأبي العلاء المعرّي في مديح سيدنا رسول الله ﷺ[٤] ، وهي في إجازته في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

وكتب أيضاً بخطِّه مفاخَرةً له نثراً بين السيف والقلم وجَوّدها ، وكتبَ بخطِّهِ أيضاً مقاطيع كثيرة وهي[٥] في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) لي[٦] ، وأثبت له شيئاً كثيراً من نظمهِ في (التذكرة) التي لي ، وهو مفرّق في أجزائها .

ومن مصنفاته (الكلامُ على مئة غلام)كتبته جميعه بخطِّي ، وهو في الجزء الثاني والثلاثين من (التذكرة) ، و (الكواكب السّارِيَة في مئة جارية) ، كتبته جميعه بخطِّي أيضاً ، وهو في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) ، وله أحاجي[٧] نحويّة على حروف المعجم وهي قال :

---

(١) (أ) ، (ق) : « شعبان المبارك » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) صدر بيت لأبي العلاء ، عجزه : لعل بالجزع أعوانا على السهر . سقط الزند ١/١١٣ .

(٤) ظاهر كلامه يوهم أن قصيدة المعري في مدح الرسول عليه السلام ، وليس كذلك ؛ إلاّ أنّ ابن الوردي شطرها وحرف معناها إلى المدح النبوي .

(٥) ليست في (أ) .

(٦) ليست في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٧) كذا في الأصول .

أ • يـــــامَن حـــــاجى • في الأسماء
• اطرَح حرفـــــــــاً • بعـــــد التـــــاء

القِثّا

ـ وقال :

ب • يـــامَن أحـــاجيـــه تُغْني • عَنْ فِطْنَـــــــــةِ المتنبي
• إن كانَ عنـــــــــدكَ فهمٌ • مثّـــلْ لنـــا طُـــول جُبّ

مَدابير

ـ وقال :

ت • يــا فــاضــلاً قــد صَلُحت • للعـــــالمين نيتُــــــهْ
• اطْرَحْ رِتـــاجـــاً مـــا تُرى • يـــا سيّـــدي أحجيّتُـــه

القباب

ـ وقال :

ث • يـــا من يفـوق البرايـــا • في بحثـــــه حين يَبْحَثْ
• مثّـــــل ولا تَتَـــــوَقّف • قـــولي تـــــلا مُتلبّث

قراقِفْ

ـ وقال :

ج • قـــولـــوا لربِّ الحجى • والـــواضـــحِ المنهـــجِ
• مثّـــل لنـــــا مُشْرعـــاً • في القــــول رزقي نجي

قسميّات

ـ وقال :

ح • أنتَ يــــا كامــلَ الحجى • والكـــلامِ المصحّـــحِ

• إنْ كُنْتَ ذا فطنــــــــــة • مـــــا مِثْــل أحبب قَنُــوط

مقياس

ـ وقال :

ظ • يـا إمـامـاً في الأَحَـاجي • زانـــــه فهمٌ وحِفْـــظُ

• مثّـــــل الآن سريعـــــاً • آلــــةُ التعريف لَفْــظُ

الكلمة

ـ وقال :

ع • يـــا سيـــداً فيـــه بِشْرٌ[(١)] • للبــــائس المتــوجــع

• إن كنت تـدري الأحـاجي • فمـا مثـال ارجـع ارجـع

هدهد

ـ وقال :

غ • يــــا سيّـــــداً ذكاؤه • قــد أَعْجَـزَ الْمُبَــالغــا

• مثّـــل لنــــا ولا تقف • اطلب شرابــاً ســائغــا

سَلْمى

ـ وقال :

ف • يـــــا سَيِّـــــداً ذكاؤه • والفهم أعيـــا من يصف

• كن نــــاهبـــاً وَواهبـــاً • مثّـــل لنــــا ولا تقف

سَلْهب

ـ وقال :

---

(١) (أ) ، (ق) : « برّ » .

ق • يـامَنْ لـه فَضْلٌ يَمُتُّ بـهِ • وبـه يُرَجّى الجَمعُ للفرَق
• مثـل لنـا إنْ كُنْتَ ذا فطن • مَـا مِثْل أهْمِلْ مَـا على العَنَقِ

الغراس

ـ وقال :

ك • يـا فـاضـلاً في الله • أضحى أخـذهُ وتركـه
• مثّـل لنـا بسرعـة • مرتفعـات[1] ملكـه

الزُبَالَه

ـ وقال :

ل • يـاسيّـداً ألفـاظُـهُ • تجـلّ عَنْ مُمَـاثِـل
• مثّـل لنـا بسُرْعَـةٍ • عَشْرُ مئـات فـاضـل

الفراسخ

ـ وقال :

م • يـامَنْ لـه في المعـالي • والفضـل أيّ كرامـه
• مثّـل لنـا ولا تتـوقف • نظير عَلّمْ عـلاّمَـهْ

سمسمه

ـ وقال :

ن • يـاشهماً ذكيـاً • بـالآداب مـلآن
• مثّـل لي سريعـاً • أُحْبِب غَيْرَ غَضْبـان

مقراض

(١) (أ) ، (ق) : « مَثّل لنا الأماكن والمرتفعات » .

ـ وقال :

هـ ● يـــا شـــارِحِ المعميّـــا ● ت وجهـــه ووجهها
● ذو لحيـــــة كبيرة ● ملـك لـه [مـا][1] شِبْهُهَا

الحاله

ـ وقال :

و ● يـــا مَنْ حَـوى مِنْ فَهْمِـه ● وعِلْمِـه مـا قَـدْ حَـوَى
● مثّـل لنـا إذ كنت مـا ● ذكرتـه ظهر هـوى

مَطاريح

ـ وقال :

لا ● يـــا سَيّـدًا بفَضْلِـه ● أصْبَـح حبراً كامـلاً
● مثّـل لمـا في الـوقت مَـا ● رادف أطعِم عَـامِـلاَ

منوال

ـ وقال :

ي ● يـا سيـداً في الأحـاجي ● لـه كال رَوِيَّـه
● مَثّـل[2] فـداك المعـادي ● والضـدّ رَبٌّ عطيّـه

ذاهبه

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) في الأصل : « مثل لنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

ولما وقفت له على كتابه (الكلام على مئة غلام) عند القاضي الرئيس بهاء[1] الدين حسن بن ريّان ، وَجَدت غالبةُ مِنْ نَظْمي في (الحسن الصريح في مئة مَليح) وكان ذلك عقيب قدومي من القاهرة فقلت له : يا مولانا اكتب إليه ، وقل له : قد وقع صاحب العَمْلة بها وعَرَفها . فكتب إليه وعَرّفهُ المقصود ، فغيّر فيها أشياء [فلهذا تُرَى نسختين ثمّ وقفت له على أشياء][2] في غير ما نوع قد اغتصبها واختلسها[3] ، فكتبت إليه رحمه الله تعالى :

- أغَرْتَ على أبكار فكري ولم أغَرْ ... عليها فلا تجزع فما أنا واجِدُ
ولو غَيْرُ مولاي استباح حجابَها ... أتته من العتب الأليم قصائدُ
قواطع لا تحميه دَرْعُ اعتذارِها ... وألْسُنُها عنه الخصام مَبَارِدُ
ولكنّه لا فَرْقَ بيني وبينه ... يَبينُ لأنّا في الحقيقة واحدُ

فكتب هو الجواب إليّ وأجاد :

وأسْرُقُ ما أَرَدْتُ مِنَ الْمَعاني ... فإنْ فُقْتُ القَديمَ حَمَدْتُ سَيْري
وإن ساوَيْتُه نَظْماً فحَسْبي ... مساواةُ القديم فذا لخيري
وإن كانَ القديمُ أتمَّ مَعْنىً ... فهذا مَبْلغي ومطارُ طيري
فإنّ الدرهم المضروبَ باسمي ... أحبُّ إليَّ من دِينارِ غَيْري

كان - رحمه الله تعالى وسامحهُ - لمّا سمع[4] قولي :

اترك هَوَى الأتراك إن شئت أنْ ... لا تُبتلَى فيهم بهَمٍّ وضَيْرِ

(١) في الأصل : « شهاب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٣) قال صاحب الدرر : « وذكر الصفدي في أعيان العصر أنه اختلس معاني شعره ، وأنشد في ذلك شيئاً كثيراً ، ولم يأت بدليل على أن ابن الوردي هو المختلس ؛ بل المتبادر إلى الذهن عكس ذلك » .
(٤) (أ) ، (ق) : « لما وقع على » .

ولا ترجّي الجـــــــودَ مِنْ وصلهم ... مـــا ضـــاقت الأعين منهم لخيرِ

قال هو ـ رحمه الله ـ مختصراً :

سَـــل الله رَّبـــك مِنْ فضلـــهِ ... إذا عرضت حـــاجـــةٌ مُقْلِقَـــهْ
ولا تقصــد التُّرْكَ في حـــاجـــةٍ ... فـــأعينهم أَعْيُنٌ ضيّقـــه

ولّما سمع قولي :

ركبتُ في البحر يوماً مع أخي أدبٍ ... فقـــال دَعْني مِنْ قـــالٍ ومن قيـــل
شرحتَ يا بَحْرُ صدري اليوم قلت لهُ ... لا تنكر، الشرحُ يـا نحـويّ للنيلي[1]

فقال هو ـ رحمه الله تعالى ـ وزاد :

ديـارٌ مصر هي الـدنيـا وسـاكِنها ... هم الأنـــام فقـــابلْهُم بتقبيـــل
يـا مَنْ يُبـاهي ببغـداد ودِجْلَتها ... مصرٌ مُقَـــدَّمــــة والشرح للنيلي

ولما سمع قولي :

كـؤوس المـــدام تُحِبُّ الصَّفَـــا ... فكن لتصـــاويرهـــا مُبْطِـــلا
ودَعْهَـــا ســـوادجَ مِنْ نَقْشِهـــا ... فـــأحْسَنُ مـــا ذُهِّبَتْ بـــالطِّـــلا

قال هو ـ رحمه الله تعالى ـ ونقّص :

أَحْسَن مـــا كانت كـؤوسُ الطـلا ... ســاذجـــةً يبـــدو بهـــا الخـــافي
فـــالنقش نقصٌ ومن الرأي أن ... ترتشف الصـــافي من الصـــافي

وقال رحمه الله تعالى [أيضاً مختصراً] :

دع الكأس مِنْ نَقْشهـــــــا ... فصـــافٍ بصـــافٍ أحبْ

(١) إبراهيم بن الحسين بن عبد الله ، من شراح الكافية . مفتاح السعادة : ١٨٦/١ .

إذا ذُهبت بـالطـلا فقـد طُليتَ بـالـذَّهَبْ

ولمّا سمع قولي :

انهض إلى الربـوة مُسْتَمتعـاً تجـد من اللّـذات مـا يكفي
فـالطير قـد غنّى على عـودهِ في الروضِ بين الجنـك والـدفِّ

ـ قال رحمه الله تعالى :

دمشـق قـل مـا شئتَ في حُسْنِها واحـكِ عن الربـوةِ مـا تحكي
فـالطير قَـدْ غنّى على عَـودِهِ وزفّهـا بـالـدفِّ والجنـكِ

قلت : كذا وَجَدْتُه قال ، وفيه فساد ، وهو أنه أضاف الدفّ إلى الربوة والمشهور بين الناس إضافة الجنك إلى الربوة ، فما يُقال إلاّ جنك الربوةِ ، وما يُقالُ : دفّ الربوة . وإن كان هناك دفوف كثيرة فإنّ المشهور مَا قلته ، وقد أخذ للعنى بكماله ، ونصف البيت الأول من الثاني بلفظه ، وهذه مُصالَتَة(١) ، عفا الله عنه .

ولما سمع قولي :

تـزوّج الشيـخ بتركيّـة تضمّ في الغُرْبَـة أطرافَـهْ(٢)
كأنّهـا مِنْ حُسْنِهـا شَمْعَـةٌ وهي على العُشّـاقِ طـوّافَـه

وقولي في مُخيّلة :

نقّط خـدّي الـدمع عشقاً وقـد قـامت إلى الرقص خيَـاليَّـهْ
فمـا رأت عيني لهـا مُشْبِهـاً مِصريّـة في ضَـوْءِ شـامِيّـه

جمع هو المقصدين في مقطوع واحد فقال :

---

(١) أي : سرقة .

(٢) في الأصل : « الغربة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

جـاءتـك في طيف خيـال حكت | خيـال طيف هَـزَّ أعطـافَـهْ
مصريّـة في ضـوء شـاميّـة | يـا حَيْنَ ذي الشمعـة طـوّافَـهْ[1]

ولّما سمع قولي :

ومَليـحٍ طرازُ كُمَيّـه أضحى | مثـلَ خـطِّ العِـذار في حُسْن رَقْمِ
قـال قلت الظبـاءُ مثلي ومَـا عَـا | زت ظبـاء الفلا سوى طرز كميّ[2]

وقولي أيضاً ـ وفيه تضمين :

ضَمَمْتُ مُعَـذّبي لّمـا أتـاني | ورَقْمُ عِـذارهُ قـد راقَ عيني[3]
فيـا طرزَيْـه هـل يُـدني زمـاني | «ليـالي وصِلنـا بـالرقمتينِ»

جمعها وقال :

طرز قبـاء مِخْنَتي | كخـدّهِ ورقمـه
مـا أعـوزت منـه الظبـا | إلاّ طراز كمّـه

ولما سمعَ قولي :

عجبـاً لـزهر اللوز حينَ يَلُـوحُ والـ | أوْرَاق إذ تُجلى على نُظّـاره
عكسَ القضيـة في الـورى فمشيبُـهُ | يبيضُّ من قَبْـل اخضرار عـذاره

قال[4] رحمه الله تعالى :

أشجـار لـوزٍ تنـادي | أمري على الْخُلَفِ جـاري
بعـد اشتعـالي مشيبـاً | يخضرّ منّي عـذاري

---

(١) (أ) ، (ق) : « في نور » .
(٢) في الأصل و (ط) : « عاز » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) (أ) ، (ق) : « ورقم طرازه » ، وهي أشبه .
(٤) (أ) ، (ق) : « قال هو » .

قلت : قوله[١] أخصر ، لكنه أبتر ، وقولي أنا أكمل وأجمل ، وقولي « عكس القضية » أكثر في الاستعمال من قوله « أمري على الخَلْق جارٍ » .

ولمّا سمع قولي :

أسائِلُ عن أرضٍ ألفتُ ربوعها وفيها حبيبٌ نلتُ مِنهُ مرادي
فقالوا متى تُظلِم جلاها بوجهه فقلت أنا أدْرَى بشَمْسِ بِلادي

قال هو مختصراً :

ما الشمس عندي على ما زعمتم يا أعادي
دعوه عنكم فإني أدْرَى بشمس بلادي

ولما سمع قولي في مليح أمير[٢] :

هذا المليحُ المفدّى قَلْبُ المعنَّى أسيرُهُ
يقول من بات ضيفي عشقاً فإني أميرُهُ

قال هو رحمه الله تعالى :

أقولُ لبدرٍ سائر بين أنجم أأنت أمير المصر قالَ أميرُهُ
فقلت إذا مات الكرامُ بأسرهم أأنت تمير الوفد قال أميرهْ

ولمّا سمع قولي في [مليح][٣] فقير :

فقير غَنِيْتُ به في الهوى إذا ما بدا عن محيّا البدور
وَأصبح وجدي كثيراً به على أنه قد غدا بالفقيري

---

(١) (أ) ، (ق) : « قوله هو » .
(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « الأمير » .
(٣) زيادة من (أ) ، (ق) .

قال هو مختصراً :

بي فقير كغنيّ بسنا[1] وجه منير
لا تلمني في افتضاحي فغرامي بالفقيري

ولمّا سمع قولي في مليح ناسخ :

بُليت بناسخ كالبدر حسناً له خصر طَفا والردف راسخ
برى جسمي ضنا إذ قَطّ قلبي وأصبح للجفا بالوَصل ناسخ[2]

قال هو مختصراً :

ناسخ راسخ الروَا دفِ والخَصْر قد طَفَا
قد بَرى الجِسمِ عندما نسخَ الوصل بالجفا

قلت : أخذ المعنى واللفظ بعينهما واختصره لكنه مَحَقَه ، فإنه مَا ذكر القط وهذا ظاهر .

ولمّا سمع قولي :

لئن سمحَ الدهر البخيل بقربكم وسكَّنَ منَّا أنفساً وخواطرا
جعلنا ابتذال النفس شكرانَ وصلِكم وقلنا لدمع العين تعمل ما جرى

نقله فقال في مليح فقير :

وبي فقير أدْمُعي تعمل فيه ما جَرى
إن قُلْتُ قَدْ سَلَبْتَني يقول شُغُلُ الفُقَرا

---

(١) (أ) ، (ق) : « لسنا » .
(٢) (أ) ، (ق) : « بالجفا » .

ولّما سمع قولي :

يقـولُ لَمَّــــا قُلْتُ هـــذا اللّمى ... أسكرتني لَمّـــا ترشفتُ فَــــاك
ســــواك مـــــا ذاق لمى مبسمي ... أستغفر الله ذكرْتَ السِّـــــواك

نقله هو فقال :

قـــالت ونـــاوَلْتُهـــا سِـوَاكا ... ســـــادَ بفيهـــــا على الأراك
ســـواي مــــا ذاق طعم ريقي ... قُلْتُ بلى ذاقَـــــه ســـــواكي

ولّما سمع قولي :

مَرّ على حبّي نسيمُ الصّبـــــــا ... فقـــال لي في بعض أقـــوالِـــه
مـــالي في زهر الربــــا عَبْرة ... مـــذ تمسّكت بـــأذيـــالِـــهِ

نقله هو فقال :

ضَمَمْتهـــا عنـــد اللقـــا ضَمَّـــةً ... منعشـــة للكَلِفِ الهـــالِـــكِ
قـــالت تمسكت وإلا فمــــا ... هـــذا الشـــذا قلت بـــأذيـــالـــكِ

ولما سمع قولي في قيّم حمّام :

بـلاّنُ حمـــامنـــا [لــه](1) نَظَر ... يحـــار في حسن وصفـــه الفِكَر
عينـــاه مـوسى ونَبْت عـــارضــه ... لـــه مسن وقلبــــه حَجَر

قال هو - رحمه الله تعالى - مواليّا :

حمّـــامكم فيـــه قيّم منظر ويسبي ... غسلني بـالـدمع ثم أنشـد كـذا صبّي
جعـل مسنّو وموسو والحجر نَصْبي ... قـال ذا عِـذاري وذا طَرفي وذا قلبي

---

(1) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .

ـلما سمع قولي :

المقلـــــة الســـوداء أجفـــــانُهـــــا ترشـــق في وســـط فـــؤادي النبـــال
وتقطــــــع الطرق على سلـــــــوتي حتّى حَسِبْنـا في السـويـداء رجـال

قال هو ولكنه حوّل معناه :

من قـــــال بـــــالمرد فــــإني امرؤٌ إلى النســــــــاء ميلي ذوات الْجمال
مـــافي ســـويـــدا القلب إلا النســـا مـاحيلتي مـافي السـويـدا رجـال[1]

ولّما سمع قولي مضمّناً :

مليـــح يخــــاف على حسنــــــه فينتف منـــــــه عِـــــــذاراً سَرَحْ
فقلت لـــه خـــلِّ هـــذا الخيـــال ومُـــدَّ الشّبــاك وصِـــدْ مَنْ سَنَـحْ

قال ونقل المعنى إلى صيّاد :

لـــو جنـــــة صيّـــــادكم نسخـــــة حريريّـــــة مُلحَـــــة الْمُلَـــحْ
تقـــول لنبت العــــذار اجتهـــــد ومُـــدّ الشبـــاك وصِـــدْ من سنـــح

ولّما سمع قولي :

بِتْنَــا ومــا نُقْلُنـــا سـوى قُبَـلٍ وريــقٌ فيهـــا السـلاف مشروبي
نمنـــا ومَـــا نمّت الـــوُشـــاة بنـــا لــــــولا فضــــولُ الحِليّ والطّيبِ

قال هو :

زارَتْ على يَـاسِي لِطَيْفِ خَيـالِهـا يــا دَهْرُ مـا بَقِيَتْ عليــك ذُنـوبُ
فركبت أخطــار الهــوى في وصلهــا والطيب واشٍ والحليّ رقيب

(١) (أ)، (ق) : « مافي سويدائي إلاّ النّسا » .

ولمّا وقفت أنا على قوله :

أَخَــذْتَ عني بــديـلا   وذا دليــل بــأنــك
تمرُّ بي لستَ تَلْـوي   عليّ حتى كأنّــك
فلستَ تحسن هجري   ولستُ أهجرُ حُسْنَك
ولَيْس[1] يُـوْزَنُ وجــدي   وليس يـوجـد وَزنـك

قلت : الذي يسلك هذه الطريق السهلة العذبة المنسجمة التي ليس فيها غريب لغة ولا غريب إعْراب ، ولا تقديم ولا تأخير ، ولا حذف ولا تقدير ، ما يأتي بهذا الإعراب الذي نحتاج أن نقدّر له نيابة المصدر المحذوف ، وهو يتشبّه بطريق البهاء زهير ـ رحمه الله تعالى ـ وذلك ليس في شعره تكلّف ، بل قولٌ مطبوع غير متطبّع ، ولا عنده تكلّف في إعراب ولا حوشي لغة . وقد قلت أنا في ذلك :

لقــد أضعفني حــزني   وضاعفَ خالقي حُسْنَك
فهـا أنـا لم أَزنْ وجـدي   لأني لم أَجــدْ وزنــك

وصاحب الذوق السليم يحكم بيني وبينه في هذا رحمه الله تعالى .

وأنشدني لنفسهِ إجازة ، وجوّدهُ مضمّناً :

مليــحٌ خَصْرُه والردفُ منــهُ[2]   كبُنيــانِ القصــور على الثلــوج
خُـذُوا من خَـدّه القـاني نصيبـاً   « فقـد عَـزَمَ الغريبُ على الخروج »

[وأنشدني له أيضاً :

جنَّبْتني وأخي تكاليفَ الشقـا[3]   وشَفَيْتَنـا في الـدهر من خَطَرَيْنْ

(١) في الأصل : و« ليست » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) في الفوات : « مليح زفه والساق منه » .
(٣) في الفوات : « القضا » .

يـا حيّ عـالمِ دهرنـا أحييتنـا ... فلـك التحكم في دم الأخـوين][1]

وأنشدني له أيضاً :

قُلْتُ وقـد عـانَقْتُـه ... عنـدي من الصبح فَلَق[2]
قـال وهـل يحسـدنـا ... قلتُ نعم قـال انفلَـقْ

وأنشدني له وجَوّدَهُ :

جَبَرْتِ يـا عـائـدتي بـالصّلَـه ... فتّمي الإحسـان تنفي الـولَـهْ
وهـذهِ قـد حُسِبَتْ زَوْرَةً ... لم أنت يـا العُبـةً مستعجلَـهْ[3]

وأنشدني له أيضاً :

بـالله يـا معشر أصحـابي ... اغتنمـوا فضلي[4] وآدابي
فـالشيب قـد حَلّ برأسي وقـد ... أقسم مـا يرحـل إلاّ بي

وأنشدني له أيضاً :

لا تقصـد القـاضي إذا أدبَرَتْ ... دنيـاك واطلب[5] مِنْ جَـوادٍ كريم
كيف ترجّى الجـود[6] مِنْ عنـد من ... يُفتي بـأن الفلس مـالٌ عظيم

وأنشدني له أيضاً :

رامت وصـالي فقلت لي شُغْـلٌ ... عن كل خَـوْد تُريـد تلقـاني
قـالت كأن الخـدودَ كاسِـدَةٌ ... قلت كثيراً لقلـةِ القـاني

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « قلق » .
(٣) في الفوات : « مالك بالفيأة مستعجلة » .
(٤) في الفوات : « علمي » .
(٥) (أ) ، (ق) والفوات : « واقصد » .
(٦) (أ) ، (ق) والفوات : « الرزق » .

وأنشدني له أيضاً :

وكنت إذا رأيتُ ولـــو عجـــوزاً يبـــادر بـــالقيــــام على الحَراره
فـــأضحى لا يقــوم لبـــــدرٍ تَمٍّ كأن النّحسَ قــد عُطيَ الــوزاره[1]

وأنشدني له أيضاً :

قلت لنحـــويّ إذا عُرِضـــا لـه بـأوقـات الرضـا أعرَضَـا
يـا حيث لو أصبـح بـاب الرضى كيف لمــــا كنت كأمسِ مضى

قلت : يريد يا[2] مضموماً عنّي لو أصبح باب الرضى مفتوحاً لما كنتُ مَكسوراً .

وأنشدني له أيضاً :

لمّــا رأى الــزهر الشقيــق انثنى منهــزمـــاً لم يستطــع لمحَـــهُ
وقـال : من جـاء ؟ فقلنـا لـهُ : «جاء شقيق عـارضـاً رُمْحَهُ»[3]

وأنشدني له أيضاً :

دهرنـــا أمسى ضنينـــا بـــاللّقـــا حتّى ضنِينـــا
يـــا ليـــالي الـوَصـل عـودي واجْمعينـــا أجْمعينـــا

وأنشدني له أيضاً :

إنّي عـــدمت صَـــديقـــاً قـــد كان يَعْرِفُ قـــدري
دعني لقلبي ودمعي عليـــــــه أحرق وأذْري

(١) في الفوات : « فأصبح » . وفيه وفي (أ) ، (ق) : « ولي الوزارة » .
(٢) (أ) ، (ق) : « ما » .
(٣) في عجزه صدر بيت حجل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد قيس ، وهو :

جـــاء شقيـــق عـــارضـــاً رمحـــه إن بني عمـــك فيهم رمـــاح

معاهد التنصيص : ٧٢/١ .

وأنشدني إجَازة لَه :

رأيت في الفقـه سـؤالاً حَسنـا فرعـاً على أصلين قـد تفرّعَـا
قـابض شيء برضـا مـالكـه ويَضْمَن القيمـةَ والمِثْـلَ معًـا

قلت : يتصّور في صور منها المُحْرِم يستعير صيداً من غيره فيتلف في يدهِ فتلزمهُ القيمة لمالكه والمثل جزاءً لله تعالى .

أنشـدني إجـازة ، ونقلتـه من خطّـه يمدح الشيخ الإمـام العـلاّمـة قـاضي القضـاة كمال الدين محمد بن الزملكاني رحمهما الله تعالى :

هُنِّيتَ عـامـاً مُقْبِـلاً مُقْبِـلا عليـك بـالسعـد وعيشٍ حَـلا
مـولاي يـا مَنْ قلبـه راحم وهـو أحـق النـاس أن يَعْـدِلا
محبتي مُـوْجبـة للثـوى وحـاجتي تَقْضي بـأن أرحـلا[1]
حسبت في أيـامكم رفعَـةً ومـا خشيت الـدهر أن أنـزلا
وقلتُ من يرضى خمـولي إذن فكنت أنتَ المحسنَ المُجْمِـلا
فليتكم أبقيتمـوني كما قـد كنتُ من قبلكم الأوّلا
أتقنتُ باب البيع والصرف في الـ ـشهْبَـا ومـا دافع بـاب الـوَلا
ثم متى أغفلتني بعـد ذا شرعت في التفليس مستبـدلا
مـا أنسَ لا أنسَ رسـولاً أتى بنقلتي لا أعـدم المُرسـلا
قلت رسـولي رُمْت جرِّي إلى منبج مـاذا أنت «من» أو «إلى»
قال أنـا «من» قلت لا إنَّ «منْ» لـلابتـدا أنت كـذا ؟قـالَ : لا
أنـا «إلى» قلتُ «إلى» نعمـةٌ واحـدةُ الآلاءِ عنـد المـلا
أين هي النعمـة في قـاطـع بقربـهِ مـا حُـقَّ أن يـوصـلا
فقـال مـا سميتني هـات قـل واحـذر عن التعليـل أن تـذهـلا

(١) (أ) ، (ق) : « وحالتي » .

قلت لـــــه جئت بنفي عن الـ ـجنس فحــقّ أن نسميــك « لا »
قلتُ انصرف قـــال انصرافي على مـذهب أهـل النحـو لن يَجْمُـلا
فـالعَـدْلُ والتعريفُ عنـدي ولي منزلـــــةٌ في النحــو لن تُجْهَــلا
قـــال أضفنــــاك إلى مَنْبــج فَحُـــقّ أن تُصْرف مسترســـلا
قلت بـلادي ربعهـــا عـــامرٌ ومنبــج ربعَهـــا قـــد خــلا
قـال اسمـك المعـدول عن عـامر قضى عن العـــامر أن تُعْـدَلا

وأنشدني [له][1] إجازة ومن خطِّهِ ، نقلتُ موشحة فائقة :

مــذهبي • حبُّ رشاً ذي جَسَد مُـذْهَب •قَدْحُبي • حُسْناً به يستعذبُ القَدْحُ بي
• عـــاذلا • مـــا أنتَ فيما قلتـــه • عـــادلا
• ســائــلا • يُخْبِرْكَ دمعٌ قد همى • ســائــلا
• آهِ لا • تعـذلْ فما قلبي لـذا • آهـــلا
منصبي • والعقـــل أذهبتهما مِن صَبي • مَارُبي • إلا وقـد رُبيَ بـه مَـا رَبي
• مـانسي • زمـان طيب الـوصل في مَـانسي
• والمسي • رُقيّبي بـــــــــالكفّ لم ألِمس
• جـانِسي • حــزني فــألْفِي كلّما جَـــا نِسي
وَارْق بي • يا طرفُ سهداً والنجوم ارقبِ •واشنَ بي • من لم يهم في ثغرٍ أشنب
• رقّ مــا • في خـــدّهِ الـورديّ[2] قـــد رقَـــا
• عنـدمــا • رأيت دمعي للجفــا عَنْـــدَمَـــا
• ضرّ مــا • في مهجتي من هجره ضَرَّمَــــــــا
مِنْ أبي • يأبَى الرضـا نلتُ الجفـا مِنْ أبي • فارعَ بي • رضـاه يـاقلبي وتــه وارعَبِ
• مَنْ صَلا • لي فَخَّــهُ بـل من نضـالي منْصَـلا

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .
(٢) ليست في (أ) .

● بَلْبَـــلا ● فـؤاد مضنـــاه هـوىً بـل بـلا
● أوْ وَلا ● مـــــــــــلازمٌ آخرةُ الأوّلا
فَـانْـهَ بي ● غيري ولـذات الغرام انهب ● والهٌ بي ● عن[1] عذلٍ بل يا حشاي الْهَبِ

وفي هذه الموشحة كَرَّرَ في القافية لفظة (بي) في مواضع ، وهو إيطاءٌ ، لكن يغتفر للحلا[2] .

١٣٠٢ ـ عُمر بن ناصر بن نصّار العُرَضي*

جمال الدين ، الكاتب الشاعر ، توفيَ في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومن شعرِه : .....[3]

١٣٠٣ ـ عُمر بن يوسف**

الصدر الرئيس الماجدُ القاضي زين الدين أبو حفص بن أبي السَّفَّاح الحلبي .

كان ركنَ رئاسه ، وطَوْدَ سيَادَةٍ وسياسَه ، تردّى بالمكارم والإحسان ، وكان حَرَيّاً وحَقيقاً بلفظ الإنسان ، يخدم الناس بمالِهِ وجاهِهِ ، ويقف مع صاحبه في معرضِ الدهر وتجاهه ، معَ دُرْبَةٍ بمداخلة الناس ، والتنوع لكل الأجناس ، والسعي الذي إذا أضجره الحرمان قال العزم : « ما في وقوفك ساعةً من باس » ، لم يعتب لياليه ، ولا أنشد يوماً أمانيه :

---

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٢) قوله : « وفي هذه » حتى ههنا ليس في (أ) ، (ق) .
* لم نقف على ترجمة له .
(٣) كذا بياض في الأصول .
** الدرر : ١٩٧/٣ ، والذيل التام : ١٣٧ .

فيا دارَها بالخَيْف[١] إنَّ مزارها قريب ولكنْ دُونَ ذلك أهوالُ

بل يصبرُ ويَدْأبُ ، ويشعَبُ صدع السعي ويرأب .

ولم يزل يعاند من يطيق[٢] عناده ، ويغالب الحوادث إلى أن أصلح له الدهر فَسَادَهُ فسَادَهُ ، وبلغ ما أمّ لهُ وأمّله ، ورأس في الزمان وجَمّلَهْ ، وعاذ به البدر مِنَ النقص فكَمّلَهْ ، وتخرّق في العطايا والهبات ، وعلم أنّ الدهر هبّات ، وتعيّن في إظهار الرئاسة وتجمَّل ، وتَحَلّمَ على من عاداه أو عانده وتحمّل ، إلاّ أنّ الأعادي كادُوه ، وعَلّوا صَرْحَ الكيد له وشادُوه ، فخانه من إليه ينتمي ، و « خَرّ صَريعاً لليدين وللفمِ »[٣] :

وإذا كانت النفوس كباراً تَعِبَتْ في مرادها الأجسامُ[٤]

ولم يزل يقوم ويبرك ، ويجمد ويَحْرُك ، إلى أن بَطَلت حركة نبضهِ ، وتعيّن لكلٍّ وارث مقدارُ فَرْضِهْ .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر شعبان سنة أربع وخمسين وسبع مئة بحلب .

كان من جملة كتّاب الإنشاء بحلب ، فسعى واجتهد إلى أن تولّى وكالة بيت المال ونظرَ الخاص ، ولمّا مات جركس نائب قلعةِ المسلمين وحضر الأمير سيف الدين منجك مِنَ الدّيار المصريّة إلى حلب لضبط مَوْجودِهِ ، خدَمَهُ القاضي زين الدين هناك وصَحِبَهُ ، وتوَّجَه معه إلى قلعة المسلمين ، وتأكَدَّت الصحبةُ بينهما .

ولمّا عاد الأمير سيف الدين منجك إلى مصر وترَقّى ، وصار وزيراً بالديار

(١) (أ) ، (ق) : « بالحزن » .

(٢) (أ) ، (ق) : « أطاق » .

(٣) لجابر بن حني التغلبي ، وصدره :

تناوله بالرمح ثم اتّنى له

المفضليات : ٢٠٩ .

(٤) للمتنبي ، ديوانه ٣/٣٤٥ .

المصرية ، طَلَب ابن السفاح وأخاه وولّاه كِتابةَ السرّ بحلب عوضاً عن القاضي جمال الدين بن الشهاب[١] محمود ، وأقام في حلب تِلْكَ الْمُدّة على القالب الجائر ، وحَسَدَهُ أصحابُه وغيرهم ، وأحْسَنَ إلى الناس كلِّهم ، ولكنّ الحسود لا يُرضيه إلاّ زوالُ النعمة . وكان الأمير أرقطاي[٢] نائب حلب ، فمشّى الأحوالَ وصَبَر ولم يَسْمَعْ فيه كلامَ واش . ولّما مات وحضر سيف[٣] الدين أرغون الكامِليّ زاد أعداؤه في السعي عليه وتمكنّوا منه فَرَمَوا بينه وبين النائب ، وتأكدت الوحشةُ ، وتظاهر بالانحراف عليه ، وكتب فيه إلى مصر حتى عُزِلَ[٤] بالسيّد الشريف شهاب الدين الحسين الحسيني[٥] ، وصودر ، وأخذ منه مئة ألف درهم ، ولم يَجْرِ على كاتبِ سرٍّ ما جرى عليه ، ثم إنّه أُفْرِجَ عنه وطُلِبَ إلى مِصْرَ ، فما وصل إليها حتى أُمْسِكَ الأمير سيف الدين منجك وقام عليه الأمير سيف الدين طشبغا الداوادار ، فأُعيد هو وأخوه القاضي شمس الدين تحت الترسيم إلى حلب ، وأُخِذَ منهما شيء آخر بعد المئة ألف .

ثم أُفرج عنه وتوجّه إلى مصر ، وعاد مع السلطان الملك الصالح صَالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وجاء على وظائفه الأُوَل [بحلب][٦] ، فتوجَّهَ إليها وأقام بها إلى أن تُوفّي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان رحمه الله تعالى جواداً كريماً ذا مروءة زائدة وتَعَصُّبٍ لمن ينتمي إليه وخدمةٍ للناس ومداراة ، وقلّ أن رأيتُ مِثْلَه ، وكان يَعْتريه مرضُ الماشرى كلّ أربعين يوماً أو أقل أو أكثر ، ويقاسي منه شدةً ثم يبرأ منه .

(١) (أ) ، (ق) : « شهاب الدين » .
(٢) (أ) ، (ق) : « سيف الدين أرقطاي » .
(٣) (أ) ، (ق) : « الأمير سيف » .
(٤) (أ) ، (ق) : « بمصر ، ولم يزل إلى أن عزل » .
(٥) هو الحسين بن محمد بن عدنان الحسيني ، سلفت ترجمته في موضعها .
(٦) زيادة من (أ) ، (ق) .

وجاء في بعض سفراته إلى دمشق فتوجهتُ إلى زيارته فوجدته يأكل سَلْفَنْداناً فعزم عليَّ ، فلم آكل منْهُ لأنّني كنت صائماً ، ثمّ إني صنعت له في اليوم الثاني طبقاً من حلوى السَلْفندان ، وجهّزته وكتبت إليه معه :

مـا حُرِمُ المملوك لَمّا غدا ... عندك أكلَ السَّلْفَنْدان
إلاّ لأن يأتي به هكذا ... فصار هذا سلفاً داني

وكانت إلى جانبي دُوَيْرَةٌ في دمشق لشخصٍ نصراني قسّيس في حلب ، وكنت مضروراً لإضافة تلك الدويرة إلى داري ، فكتبت إليه ليتحدث مع ذلك النصراني ويشتريها لي منه ويُرَغّبه في الثمن ، وكتبتُ من جملة ذلك :

أقول للحائر اللَّهْفَانِ حينَ غَدَا ... ولم ينل من أماني نَفْسِه وَطَرا
إنْ أهملَ الدهرُ ما تَبْغيه مِن أملٍ ... ونامَ عَنْ نَيْلِه نَبِّه له عُمَرَا[1]

فعادَ جوابُه بأنّ الشغل ينقضي ولكن النصراني ضنين بهذا المكان وأبطأ على انقضاء الشغل في ذلك ، فكتبت إليه أيضاً :

مولايَ زين الدين حالي غدت ... أنت بها دون الورَى داري
فدارِكِ القسيس أو[2] دارهِ ... فإنني قد ضقت في داري

١٣٠٤ ـ عُمَر بن ....*

الشيخ الفاضل سراج الدين الصوفي الصفدي .

توجّه من صفد قديماً إلى القاهرة ، أظن أنه[3] قبل عشر وسبع مئة ، وبلغني أنه

(١) يشير إلى قول بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا ... فنبّه لها عُمَراً ثمّ نَمْ

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

* الدرر : ١٩٨/٣ .

(٣) ليست في (أ) .

حفظ (الوجيز) ، ثم إنه صار صوفيّاً بخانقاه سعيد السعداء . ورأيتُه بالقاهرة غير مرّة ، وهو من جملة الصوفية بسرياقوس .

ثم إنه ولي مشيخة الشيوخ بسعيد السعداء فأقام على ذلك إلى أن توفي سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان شكلاً حسناً وقوّتُه الحافظة متوفرة .

اللقب والنسب[1]

☆ **ابن عمرون :** علاء الدين علي بن الحسن .

☆ **العنبري :** ظهير الدين علي بن عبد الكريم .

١٣٠٥ ـ عِوَض بن نصر بن عبد الرحمن بن شيركوه*

الفقيه المِصْريّ الحنفي الصوفي شرف الدين أبو خلف .

سمع معي على أشياخي الحفاظ أثير الدين ، وفتح الدين ، والْمُسْنِد يونس الدبابيسي ، وغيرهم .

كان جميل الودّ حسنَ الصحبة .

كان الشيخ أثير الدين يقول : استدرك على بعض المصنفين سبعة عشر موضعاً من الغلط في أسماء القرّاء . وكان يَنْقُل القراءات ، وينقل فروع مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، وله إلمامٌ بالحديث ، لأنه سمع منه كثيراً ، وسمع بقراءتي كثيراً ، إلاّ أنه لحِقَتْه يوماً غفلة ، فسأل بعض الجماعة عن قول الزمخشري في أول (المفصّل) لأي شيءٍ قال : « اللهَ أحْمَد » وما قال : الله يوسف ولا الله عيسى أو موسى أو غير ذلك من

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدرر : ١٩٩/٣ .

الأسماء ، فحفظوها عنه[(١)] ، ووضع واحدٌ منهم سؤالاتٍ عليه[(٢)] من أوّل (المفصّل) إلى آخرِهِ على لسانِهِ مثل : لأيّ شيءٍ قال « باب الترخيم » وما قال « باب التبليط » ، ولأي شيء قال « الموصول » وما قال « الشّبابة » ، ولأي شيء قال « العلَم » وما قال « السنجق » ، وقال « زَيْدٌ قفّة » وما قال « السرقانيّة »[(٣)] ، ثم إنه شرع في تعليل ذلك جميعه مثل قوله : « الموصول » ، لأنّه اسميٌّ وحَرْفي ، فهو ينقسم إلى قسمين ، والموصول قطعتان موصولتان وليست « الشبابة » كذلك ، ومن هذه النسبةَ .

وقال له الطلبة الذين يعبثون به أنتَ مَا في القرآن الكريم لفظ يوازن اسمك ، فانحرف من ذلك ، وتأذّى وجاء إليّ شاكياً ، فقلت له : بلى في القرآن ما يوازن اسمك فقال : ما هو ؟ ، قلت : « عِنَبْ » فسرّ بذلك ، وتوجّه إليهم .

وَحكى لي الحافظ فتح الدين قال : جاء إليّ عوض مرّات ، قال أريد أقرأ أنا بنفسي جزءاً ، فاستحييت يوماً منه ، فأخذ جزءاً وقعد على الكرسي وحضر الناس وجَلَست[(٤)] أنا في المحراب أمامه وأخذ هو في القراءة فأوّل حديث قرأه : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة يشُوصُ فاه بالسّواك »[(٥)] ، فصحّفه وقال : يُشَوّص بالشين المعجمة المفتوحة والواو المشددة والضاد المعجمة ، ورقع في الضاد بلسانه ، قال : فأخذت الجزء من يده منه ، وقلت له : اترك ، وقُمنا . ومع ذلك فقد جمع جزءا في

---

(١) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٢) (أ) ، (ق) : « على المفصّل » .
(٣) هي القفّة أو السطل » .
(٤) في الأصل : « وصلّيت » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٥) روايته في صحيح البخاري ٨٣/١ (باب السواك) : « كان إذا قام من الليل يَشُوص فاه بالسّواك » ، وكذا روي في ٢٦٦/١ ، (باب السواك يوم الجمعة) ، وكذا روي في الجامع الصغير : ١٠٩/٢ . وفي صحيح البخاري ٣٤٥/١ (باب طول القيام في صلاة الليل) روي : « كان إذا قام للتهجد من الليل ... » . والشوص : الدلك ومضغ السواك ، والاستنان به .

(الحنّاء : هل هُوَ طِيِّبٌ أوْ لا) وتَتَبَّع المعاجمَ ، وجمع جزءاً وسمّاه (شفاء المرض في من يُسمّى بعَوَض) .

حضر إلى دمشق في سنة أربع وبعض خمس وأربعين وسبع مئة لزيارة شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي ـ رحمه الله تعالى ـ فوصَلهُ وبَرَّهُ ، ثم إنه عاد إلى القاهرة .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوّال سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، وقيل : توفي في ذي الحجة .

وكان تمتاماً رحمه الله تعالى .

☆ ابن العُوَيْنَة : الشيخ زين الدين عليّ بن الحسين .

١٣٠٦ ـ عيسى بن أحمد بن مسعود بن خلف*

الشيخ ضياء الدين أبو الهدى المحدّث الصوفي .

خُرِّجَ له وحَدَّث . ومن شيوخه ابن الصفراوي[(١)] ، تفرد عنه بالقاهرة ، وابن الطفيل[(٢)] و [ابن] المخيلي[(٣)] ، وابن دينار[(٤)] ، وابن الْجُمَّيزي ، وسبط السِّلَفي ، وابن المقيّر ، وحمزة بن عمر الغزال[(٥)] ، وأحمد بن يوسف[(٦)] ، ويوسف الساوي[(٧)] ، وعلم الدين [بن][(٨)] الصابوني .

---

* لم نقف على ترجمة له . وفي (أ) ، (ق) : « .. بن أحمد بن محمد بن مسعود .. » .

(١) عبد الرحمن بن عبد المجيد بن إسماعيل (ت ٦٣٦) ، السير : ٤١/٢٣ .

(٢) عبد الرحيم يوسف بن محمود بن الطفيل (ت ٦٣٧) ، السير : ٤٣/٢٣ .

(٣) يوسف بن عبد المعطي بن منصور (ت ٦٤٢) ، السير : ١١٦/٢٣ .

(٤) الحسن بن إبراهيم بن هبة الله (ت ٦٣٩) ، الشذرات : ٢٠٤/٥ .

(٥) حمزة بن عمر بن عتيق بن أوس الغزال (ت ٦٤١) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٦) قوله : « وأحمد بن يوسف » ، ليس في (أ) ، (ق) .

(٧) يوسف بن محمود بن الحسين (ت ٦٤٧) ، السير : ١٣٣/٢٣ .

(٨) زيادة من (أ) ، (ق) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

قال شيخنا علم الدين البَرزالي : روى لنا عن هؤلاء العشرة وعن غيرهم . قال : وقرأت عليه (الأربعين أبدال التُّساعيات) تخريج تقي الدين عُبَيْد له ، ومجلِسَيّ ابن البختري [١] وأحاديث مسلسلة .

وتوفي في تاسع عشر شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بسبتة سنة ثلاث عشرة وست مئة .

وكان موته فجأة رحمه الله تعالى .

١٣٠٧ - عيسى بن إسماعيل بن عيسى*

ابن محمد بن حمّاد بن صالح ، الشيخ الفقيه الفاضل عماد الدين أبو محمد الجهني الهيتي [٢] الصالحي .

كان من أصحاب الشيخ تاج الدين [٣] ، مواظباً على قراءة القرآن ، ويُكَرّر على كتاب (التعجيز) في الفقه ، وحفظ أولاً كتاب (التنبيه) ، ثم سافر إلى الموصل وإلى الروم ، وخالط الفقراء وسمع من ابن أبي اليسر في (صحيح البخاري) ، وسمع كتاب (الترمذي) على ابن علاّن ، وسمع (ثلاثيات المسند) على ابن شيبان ، وله إجازة من نقيب الأشراف بهاء الدين ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهادي ، ومكيّ بن عبد الرزاق القدسي [٤] ، وابن عبد الدائم ، والنجيب عبد اللطيف .

---

(١) في الأصول : « البحتري » ، تصحيف ، وهو : محمد بن عمرو بن البختري الرزاز (ت ٣٣٩) ، السير : ١٥/٣٨٥ .

* الدرر : ٣/٢٠٢ .

(٢) في الدرر : « الهيثمي » .

(٣) في الدرر : « تاج الدين بن الفركاح » .

(٤) (أ) : « المقدسي » .

وتوفي في تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده تاسع عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٣٠٨ - عيسى بن ثروان بن محمد*

ابن ثروان بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الباقي بن أبي الحسن التدمري ، الشيخ الزاهد العابد العارف حفيد الشيخ الكبير ثروان .

كان شيخ البيانية وشيخَ بلدهِ ، وله الصِّيت والسمعة والقبول والكلمة المسموعة .

توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده في نصف شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان جدّ والده من أصحاب الشيخ أبي البيان[1] . ودفن الشيخ عيسى عند قبرِ والده برّا الباب الصغير .

١٣٠٩ - عيسى بن داود**

الشيخ الإمام العلاّمة سيف الدين أبو الروح البغدادي الحنفي المنطقي .

أخذ الجدل عن البدر الطويل[2] ، والفخر بن البديع ، وشارك وبرع في المنطق .

تخرّج به جماعة من الأعيان كشيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى وغيره .

---

* الدرر : ٢٠٢/٣ .

(١) هو نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني ، شيخ البيانية (ت ٥٥١ هـ) ، السير : ٣٢٦/٢٠ .

** الدرر : ٢٠٣/٣ .

(٢) هو بدر الدين المراغي ، من شراح كتاب الإرشاد الآتي ذكره . انظر : الكشف : ٦٩/١ .

وشرح (الموجز) للخونجي[١] إملاءً من حفظه ، و (الإرشاد)[٢] كذلك ، وسكن القاهرة ، وأقام بمدرسة الظاهر بين القصرين .

قال : كان لي وقت بناء المدرسة المستنصرية سبع سنين أو ثماني سنين ، ووَلدت بخوارزم .

وقال قاضي القضاة تقي الدين رحمه الله تعالى : قال لي سنة[٣] خمس وسبع مئة : لي تسعون سنة . وهذا تناقضٌ منه .

وتوفي رحمه الله سنة خمس وسبع مئة .

وكان كثير التواضع مقتصداً سمحاً لطيف الشكل حسن المجالسة . وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني حكايات عجيبة مضحكة ، تدل على أنه كان ظريفاً مطّرحاً ، سليم الباطن رحمه الله تعالى .

١٣١٠ـ عيسى بن داود*

الملك المعظم شَرَف الدين أبو البركات بن الملك الزاهر مجير الدين أبي سليمان بن الملك المجاهد أسد الدين أبي الحارث شيركوه بن الملك الناصر ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير الملك أسد الدين شيركوه بن شادي .

---

(١) هو الموجز في المنطق لمحمّد بن ناماور الخونجي المصري (ت ٦٤٦ هـ) ، الكشف : ١٩٠١/٢ ، وأشار ثمّة إلى شرح عيسى بن داود .

(٢) هو الإرشاد في علم الخلاف والجدل ، ألّفه محّمد بن محّمد العميدي السمرقندي (ت ٥١٥) ، الكشف : ٦٩/١ .

(٣) في (أ) ، (ق) : « في سنة .. » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٣/٣ .

كان قد توجّه من دمشق إلى القاهرة يطلب[١] الزيادة على إقطاعه ، ومعه هديّة جليلة ، فأقبل عليه[٢] السلطان وقضى شغله ، فأدركه أجلُه هناك .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

سمع من ابن عبد الدائم وغيره ، وروى .

ومولده في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٣١١ - عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن حمد*

الشيخ المُسْنِد المعمّر الرحلة شرف[٣] الدين أبو محمد المقدسي الصالحي الحنبلي الصحراوي المطعِّم[٥] ثم السمسار في الأملاك .

سمع من ابن الزبيدي ، و الفخر الإربلي حضوراً ، ومن ابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وكريمة القرشيّة ، والضياء الحافظ ، وجماعة .

وروى الكثير وتفرّد ، وخُرّجت له (العوالي) و (المشيخة) .

وحدّث عنه ابن الخبّاز في حياة ابن عبد الدائم . وله إجازة من ابن صبّاح ومكرّم وابن روزبة والقَطيعي ، وعدّة .

وسار إلى بغداد وطعّم[٥] في بستان المعتصم وكان أميّا[٦] .

---

(١) (أ) ، (ق) : « لطلب » .

(٢) في (أ) ، (ق) : « عليها » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٧ ، والدرر : ٢٠٤/٣ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٣) في الأصل : « شمس » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات .

(٤) في الأصل : « المعظم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « وطعن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « أسن » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

قال شيخنا الذهبي : بعيد [من] الفهم(١) ، وربما أخلّ بالصلاة على عادة العوام(٢) ، وأقعد بأخرة(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وعشرين وست مئة .

١٣١٢ - عيسى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الكريم*

المقرئ الشيخ مجد الدين أبو محمد البعلبكي .

كان من بيت معروف بالعدالة والديانة . سمع من أبي سليمان عبد الرحمن بن الحافظ عبد الغني ببعلبك .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه مجلس (البطاقة) (٤) بسماعه من أبي سليمان المذكور ، وكان قرأه الشيخ علم الدين ببعلبك في سنة سبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني(٥) عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٣١٣ - عيسى بن علي ....**

الشيخ الإمام المحدّث الفاضل شرف الدين أبو الفضل الأندلسي الدمشقي المؤذن ، قارئ الحديث للناس .

---

(١) زيادة من (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل :« قاعدة الأعوام » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في (أ) ، (ق) : « آخر عمره » .

* الدرر : ٢٠٤/٣ .

(٤) سلفت الإشارة إلى حديث البطاقة ، ومحليه .

(٥) (أ) : « ثامن » .

** كذا فراغ في الأصول ، وترجمته في الدرر : ٢٠٦/٣ ، وفيه : « عيسى بن علي بن عيسى بن إبراهيم بن عيسى البسطي » .

عمل صنعة الحرير[١] مدة ، ثم إنه صحب الشيخ إبراهيم الرقّي وتخرج به . وكان يقرأ الحديث على العامّة بفصاحةٍ ونغم طيّب ، واشتهر بذلك .

وأجاد علم الوقت . كان من مؤذّني الجامع الأموي ، وأظنه جاء إلى صفد قبل العشرين ، وقرأ علينا جزءاً من مروياته ، ولم أتحقق الآن ما هو ، وقد كتبت اسمي واسم غيري فيه .

قال شيخنا الذهبي : سمعنا بقراءته (صحيحَ) البخاري على شيخنا المِزّي أيّما قراءة ، وقد سمع من [ابن][٢] ، الواسطي وأنْشَدنا مِنْ شِعْرِهِ ، وكان لا تُملّ مُجَالَسته ، قال : وهو على هَنَاته صويحبي ، والله تعالى يسامحه .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة بضع وستين وست مئة .

١٣١٤ ـ عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن*

مجد الدين أبو الروح المعروف بابن الخشّاب ، الفقيه الشافعي ، وكيل بيت المال بالدّيار المصريّة .

قرأ القراءات[٣] على ابن الدّهان والكمال الضرير ، وسمع من أصحاب البوصيري ، والحافظ المنذري وأبي الحسين القرشي وعبد الله بن علاق[٤] وغيرهم .

---

(١) في الدرر : « وكان يصبغ الحرير » .

(٢) زيادة من (أ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٠٦/٣ .

(٣) في الأصل والدرر : « القرآن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٤) في الأصل و (ق) و (ط) : « علاّن » ، وأثبتنا ما في (أ) ، والدرر ، وهو عبد الله بن الواحد بن محمّد (ت ٦٧٢) ، العبر : ٢٩٩/٥ .

وسمع منه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين[١] رحمه الله تعالى . وحدّث بالقاهرة وسمع منه الجماعة ، وتفقه بابن عبد السلام ، وصحب الأمير بدر الدين بيلبك الخزندار الظاهري ، وانتفع به .

وتولّى الوكالة ونظر الأحباس [والحسبة][٢] ودرّس بزاوية الشافعي بالجامع العتيق بمصر وبالمدرسة الناصريّة وبالقرا سنقرية ، وأفتى .

وكان فيه مروءة وله همّة ، وكان الشجاعي ينبسط معه كثيراً .

قال شيخنا العلامة أثير الدين : دخلت مَرّةً معه أنا والشجاعي إلى البيمارستان المنصوري وإذا بمجنون يتطلع إلى ابن الخشاب وينشد :

محتسبٌ قُصَيّرٌ يُـــــــؤسّسُ ويَسْكَرْ
تـــــــارة من محِّض[٣] وتـــــــارةً من مُعَنْبَرْ

فقال له الشجاعي : أنا قلت لهذا المجنون[٤] يقول لك هذا .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وولي الوكالة بعده ولده صدر الدين أحمد .

١٣١٥ - عيسى بن عمر بن عيسى*

الأمير شرف الدين بن البُرطاسي الكردي ، مشد الدواوين بطرابلس .

كان مشكوراً في مباشرته ، مذكوراً بالخير في معاشرته ، فيه كياسَةٌ ، وعنده

(١) (أ) : « تقي الدين السبكي » .
(٢) زيادة من (أ) ، (ق) ، (ط) .
(٣) (أ) : « محص » .
(٤) (أ) ، (ق) : « أنا قلت للمجنون » .
* الدرر : ٢٠٨/٣ .

حشمة ورِيَاسه ، وله سيادة وسياسه ، ما خلا من خير قدّمَه ، وشرٍ هَدّمه . وعَمّر بطرابلس مدرسة للشافعيّة مليحه ، وجعل ساحتها للطلبة فسيحه .

ولم يزل على حاله إلى أن أدْبَر وولّى ، وترك أعراض هذه الدار وخَلّى .

توفي رحمه الله تعالى بطرابلس خامس شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين ، وتولى مكانه الأمير بدر الدين بكتوت القَرْماني[1] .

وكان ابن البُرْطَاسي قد باشر ولاية البَرّ بدمشق في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقجي[2] ، ولم يزل في ولاية البرّ إلى أن عزل بابن معيد[3] في سادس ذي الحجة سنة أربع عشرة ، ثم أعيد بعد العيد إلى طرابلس فأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

١٣١٦ - عيسى بن فضل بن عيسى ....*

الأمير شرف الدين .

توفي رحمه الله تعالى في إحدى الجمادَيْن سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٣١٧ - عيسى بن المحب**

شرف الدين النابلسي المعروف بالناسخ في القاهرة .

(١) سلفت ترجمته في موضعها ، ووقع في الأصل : « الفرياني » ، تحريف .
(٢) سلفت ترجمته في موضعها .
(٣) (أ) ، (ق) : « بالأمير علاء الدين بن معيد » ، وهو علي بن محمود ، سلفت ترجمته في موضعها .
* كذا بياض في الأصول . وتمام نسبه كما في الدرر ، ٢٠٨/٣ : « ابن مهنّا » . وفي ذيول العبر : ٢٤١ ، « ... ابن أخي الملك مهنا » .
** الدرر : ٢٠٨/٣ .

كتب الخـط المنسوب ، وأتى بـه وهو في عِـداد الريـاض مَحْسُوب ، وجـوّد النسـخ وأتقنه ، ونمّقه وحَسَّنه ، فعُرف بالنـاسخ لـذلـك ، واشتهر بـه اشتهـار النجم[١] في الليل الحالك .

وكان ينظم الشعر ، ويتعاطى فيه مغالاة[٢] السعر .

لبث في السجن بضع سنين ، وكان اللطف بـأذاه ضنين ، ثم إنـه خرج من غيـابـة جُبِّه ، ولكنه حَصَد بذر[٣] حبّه ، فشعشعت له النار رَحيقا ، ومات فيها حريقا .

وتـوفّي رحمـه الله تعـالى في سنــة اثنتين وثـلاثين أو ثـلاث وثـلاثين وسبـع مئــة بالقاهرة .

وكان قد جوّدَ واجْتَهَدْ إلى أن حاكى خطَّ القاضي علاء الـدين بن الأثير وكان يوقع على هوامش القصص بما يريد ويتوجه صاحب القصة بها إلى بعض الموقعين ، فيكتب[٤] بما سَأَلَهُ وهُوَ لا يشكّ أن ذلك خط ابن الأثير ، ويأخذ صاحب القصّة الكتاب ويتوجَّهُ به إلى الدوادار فيرى خطّـاً معروفـاً فيـدخل بـه في فوطـة العَلاَمـة ويعلّم لـه السلطـان ويخرج الكتـاب ، والكلّ صحيـح ، ومـا يرى أحـدٌ خـطّ السلطـان إلا ويكتب عليـه علامته والاعتماد ، ومشت بذلـك أحوال ، وحـارَ النـاس في ذلـك ولا يعلم أحـدٌ ممن أتى عليه أصل الفساد مِن أين ، إلى أن أُمْسِكَ شرف الدين هذا فأخذه القـاضي علاء الـدين ودخل به إلى السلطان الملك الناصر محمد وحكى له الصورة ، فقال له : أنـا هـذا مـا زوّرَ عليّ ، فإنما زوّرَ عليك فأمْرُهُ إليك ، فأودعه في سجن القلعـة ، فلبث قريبـاً من سبع[٥] سنين . ولمّا جرى للقاضي علاء الدين ما جرى من الفالج حُـدِّثَ في أمره فـأفرج عنـه ،

(١) (أ) ، (ق) : « النجم النيّر » .

(٢) في الأصل : « معاطاة » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الأصل و (ط) : « بدر » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « كتب » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٥) (أ) : « بضع » .

وكان القاضي[١] بعد اطّلاعه على أمره لا يمكّن أحداً من الموقّعين يكتب على قصّة حتى يكتب هو اسم مَنْ يوقّع عليها ، ومن ذلك التاريخ صار ذلك رسماً لكاتب السر يكتب على القصص اسم الموقّع .

وبلغني عن هذا[٢] شرف الدين أنه كان في السجن يُزَوِّر أشياء في الوصولات[٣] وغيرها ومَكَث بعد خلاصه من السجن مُدَّةً قريباً من أربع سنين . ثم إنه نام ليلةً ونسي[٤] روحه والطوّافة في يده تقِد ، فاحترق اللحاف الذي عليه وتعذّر خلاصه فأصبح في بيته ميتا محترقاً .

وكان قد كتب إلي من السجن وأنا بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

يعزّ على عيسى وجودُ خليله ... بمصر وعيسى بات في قبضة السجن
فيا نارَ أشواقي تلظّت بها الحشا ... ولم يطفها من مقلتي واكف الْمُزْن[٥]
ويا حسرتا لو فزت يوماً برؤية الـ ... محيّا الذي أزْرَى على البدر في الدجنِ
أمولاي إني قَدْ سَمِعْتُ فضائلاً ... ظهَرْتَ بها في مصر في غاية الحسنِ
فسارت بها الركبان في ساحة الفلا ... وغنّى بها الملاّح إذ صار في السّفُنِ
لقد فُقْتَ فرسانَ البلاغةِ كلَّهم ... وما أحداً عن ذاك في مصر أستثني
عسى نفثة من دُرّ شعرٍ نظمْته ... أحلّي بها جيدي إذا شنّفت أذني

فكتبت أنا إليه :

خليلٌ أتى مِصْراً وعيسى مُحَجّبٌ ... منَ الدهر في سجن فلا كان مِنْ كنّ
لئن كان في سجن فكل مُهَنّد ... إذا ادّخروه للردى بات في جفن

(١) (أ) ، (ق) : « القاضي علاء الدين » .
(٢) في الأصل : « عن القاضي » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل و (ط) : « الموصولات » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٤) (أ) ، (ق) : « وقد نسي » .
(٥) (أ) ، (ق) : « أشواق » .

فيــا زهرَ روض حجبّتــه كمامُــهُ عسى تَتَفَرّى عنـــه في ذُرْوَة الغصنِ
حنـانيـك إني فيـك من شـدّة الأسى نَقِمتُ الرضى حتّى على ضاحك المزن
فصبراً على مــا قــد مُنيتَ كأنمــا الزمان على الأحرار مثلك ذو ضِغْن[1]
فقد يخرج الإصباح من ظلمة الدجى وقد تُطلق الصهباء من حَرَج الـدنّ
كأني بـذاك الـوجـه يُبـدي نضـارة وقد بَرْقَعَتْه بـالحيـا راحـةُ الحُسْنِ[2]
وقـالت لـه الأيـام وهي جـديرة بكل قبيـــح أن تخـــون وأن تجني
أعيسى لقد شاركت في الحسن يوسفاً فشارِكْه أيضاً في الدخول إلى السجنِ

وأنشدته يوماً لنفسي بعدما خرج من السجن :

يــا قلبُ إن رقّ خـــدّ الـ ـحبيب أو لانَ عِطْفُـــــه
فشَعْرُه كَم تجــــــافَى وكَم تَثَـــاقَــل رِدْفُــــهُ

فأنشدني هو لنفسه :

شكـوت الـذي ألقى سهـاداً وعَبْرَةً فَــوَكَّــل جَفْني أنّـه قــطُّ لا يَغْفُــو
فلانَتْ ليَ الأعطـافُ والخصرُ رقّ لي ولكن تجـافى الشَّعْر واثّــاقـل الرّدفُ

قلتُ : في البيت الأول نظر ، وهـو أنــه لا يقــال إلاّ أغفى يغفي ، ولم يُسْمَـع في فصيح الكلام « يغفو » ، وفي البيت الثاني نظر .

ثم إنني بعد ذلك قُلْتُ في هذه المادة :

في القلب من هــاجري لـوعَـةٌ بغير تــلافيــه مــا تَنْــدَمِـلْ
فيــا شَعْره بعضَ هـــذا الجفــا ويـا رِدْفَـه أنت مـا تَنْحمـلُ[3]

(١) (أ) ، (ق) : « فإنما » .
(٢) (أ) ، (ق) : « يندى » ، وهي أشبه .
(٣) في الأصل و (أ) : « تحمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

والأصل في ذلك كله قول شمس الدين محمد بن التلمساني :

يـــا خَصْرَه كم جفـــاً تُبـــدي وأنت نحيـــلُ
يـــا رِدْفَـــه نـحّ عَنْـــهُ مـــا أنت إلا ثقيـــل

وقوله أيضاً :

يـــا رِدْفَـــه جُرْتَ على خَصْرِه كم تعتـدي مـــا أنت إلا ثقيـل[1]

وقوله أيضاً :

كأن الشَّعْر يطلبني بـــدَيْن فكم يجفـــو عليَّ ويستطيـــل

وكنت قد قلت أنا قديماً :

يـــا ظـــالمـــاً حـــلَّ في ضميري وألـــزَمَ القلبَ أنْ تحـــوَّل
تعلَّم الشَّعْرُ منـــك لَمّـــا رأى غرامي جفـــا وطـوَّل[2]

وقلت أيضاً :

وبي رشـأ معـاطفـه رشـاقٌ وكم رشَقت لـواحظـه[3] نبـالا
لـــه شَعَرٌ حكاه في التجني على ضعفي تجـافى واستطـالا

١٣١٨ ـ عيسى بن محمد بن أحمد بن إبراهيم*

الصدفي المعروف بابن الصابوني ، مجد الدين الإشبيلي .

---

(١) (أ) ، (ق) : « رفقاً به ما أنت » .
(٢) في الأصل و (ط) : « حقّا وطول » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
(٣) في الأصل و (ط) : « معاطفه » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .
* لم نقف على ترجمة له .

قال شيخنا أثير الدين : لقيته بثغر دمياط وكان يتّجر في البَزّ ، ثم انتقل إلى الإسكندرية . أنشدنا لنفسه في شاب اسمه بدر بن نجم :

رأيت نجوماً في السماء كثيرةً تَقَاصَرَ عن إدراكهنّ أُولو الفَهْمِ
فلو جُمِعَتْ لم تأت بدراً مكّملاً فيا من رأى بدراً تولّدَ من نجمِ

قلتُ :....[1]

١٣١٩ - عيسى بن محمد بن محمد*

ابن قَرّاجا بن سليمان بن ياروق السهرورديّ الواعظ ، شرف الدين أبو الرضا .

أخبرني الشيخ أثير الدين من لفظه قال : كان المذكور سهرورديّ الخرقة ، له أدبٌ كثير وشعر كثير وتوشيح ، أنشدنا[2] بالقاهرة :

ما زال يَهْوَى المقلا قلبي إلى أنْ قُتِلاَ
الحمد لله الذي مَات ومَا[3] قِيْلَ سَلا
لو قيل لي واللحدُ قَدْ صار لجسمي مَنْزِلا
ما أنتَ صبٌّ بِهِمُ متيّم قلت : بلى

وأنشدني له أيضاً :

يا سيد العلماء إنّ موشحي حَرَمٌ لكعبته البدائةُ تسجُدُ
قلّدته من بَحْرِ جودك جَوْهرا فأتاك وهو موشّحٌ ومُقَلّدُ

وقال :

(١) كذا بياض في الأصول .
* الدرر : ٣/٢٠٩ .
(٢) (أ) ، (ق) : « أنشدنا لنفسه » .
(٣) في الدرر : « ولا » .

أنـــــا في السّر والعَلَنْ عبــــد رقّ بـــلا ثَمَنْ
يـــامليحـــاً بحسنـــهِ ســـائِرَ النـــاس قَـــدْ فَتَنْ
إن تـــزرني فـــإنّهـــا لـــك عنـــدي مِن المِنَنْ
لست أسلـــو هـــواك أو يُـــدْرَج الجِسْمُ في الكفنْ
وينـــادى بـــأنـــه مـــات في العشـــق والشجنْ

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة في تاسع عُشْرَي شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرين وسبع مئة .

١٣٢٠ ـ عيسى الشيخ الكبير نجم الدين أبو المحامد*

ابن الشيخ أبي محمد شاه أرمن بن الشيخ صلاح الدين صالح بن عبد الله الأبلستاني الرومي المعروف بالسيوفي .

كان شيخاً كبيراً مقصوداً بالزيارة ، وأطلق له السلطان قرية الفيجة ، وكانت له حرمَة عند الدولة .

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في زاويته المعروفة به[١] .

١٣٢١ ـ عيسى بن أبي محمد بن عبد الرزاق**

الصّالحي العطّار ، الشيخ المسند الصالح ضياء الدين أبو محمد المعروف بابن المغازي[٢] ، كان أبوه شيخ مَغَارَة الدم .

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٠/٣ ، ووقع في الأصل و (ط) : « عيسى بن الشيخ المكين نجم » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) ، وما يوافقه من الدرر .

(١) هي الزاوية السيوفيّة ، انظر : الدارس : ١٥٧/٢ .

** الدرر : ٢١٠/٣ ، والشذرات : ١١/٦ .

(٢) (أ) ، (ق) ، (ط) : « المعروف بالمغاري » .

حدّث (بالصحيح) عن ابن الزبيدي ، وسمع ابن صبّاح حضوراً ، وسمع من الإربلي وابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وأخذ عنه الواني ، والمحبّ ، والطلبة .

وتوفي رحمه الله تعالى ....[١] سنة أربع وسبع مئة .

١٣٢٢ - عيسى بن مسعود بن منصور بن يحيى*

شرف الدين الزواوي الفقيه المالكي .

انتهت إليه معرفة مذهب مالك رضي الله عنه بالديار المصرية .

تفقّه بزواوه على أبي محمد عبد الصمد ، ورحل إلى بجاية ، وقرأ على أبي يوسف يعقوب الزواوي ، وقرأ عليه[٢] في (المهذَّب) و (الموطّأ) و (البرهان في الأصول) ، ثم قدم القاهرة سنة سبع مئة وسمع (الموطأ) من الدمياطي .

وحضر إلى دمشق في أوائل شهر ربيع الآخر سنة سبع[٣] وسبع مئة ، وحكم نيابةً عن قاضي القضاة جمال الدين عوضاً عن نائبه محيي الدين ، وذكر درساً بالجامع ، وأقام بدمشق سنين ، ثم عاد إلى القاهرة ، وسمع من قاضي القضاة جمال الدين الزواوي ، واستنابَهُ في الحكم بها مُدّة ، وعاد إلى القاهرة[٤] وانتصَبَ للإقراء وانتفع الناس به .

وصنّف تصانيف : منها (شرح مسلم) في مجلدات ، و (كتاب ابن الحاجب) في الفقه ولم يكمل[٥] ، و (تاريخاً) في مجلدات ، واختصر (كتاب) ابن يونس[٦] في الفقه .

---

(١) كذا بياض في الأصول ، وفي الدرر أنه توفي في شهر ربيع الآخر .

* وفيات ابن رافع : ١٩٣/١ ، والدرر : ٢١٠/٣ ، وحسن المحاضرة : ٤٥٩/١ .

(٢) في (أ) ، (ق) ، (ط) : « التهذيب في المهذب » .

(٣) (أ) ، « تسع » ، تحريف .

(٤) كذا في الأصول ، وهذه العبارة لم ترد في الدرر .

(٥) (أ) ، (ق) : « ولم يكمله » .

(٦) عبارة الدرر : « وشرح مختصر ابن يونس » ، وابن يونس هو : أحمد بن موسى الموصلي (ت ٦٢٢) ، اختصر كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، الكشف : ٢٤/١ .

وكانت له معرفة بالفرائض والحساب ومعرفة البلاد والأقاليم ، ويحفظ جملة من أشعار العرب ، وكان لا يقيم الوَزْنَ ، ويصحّف .

وكان فيه ودٌّ لأصحابه ، ودارت عليه الفتيا . وولي تدريس المنكوتمريّه بالقاهرة ، والإعادة بالناصريّة والمدرسة الصالحيّةِ ، وتولى تدريس المدرسة المالكية بمصر .

وحَصَل له بلغم فمنعه من الحركة ، وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس مستهل شهر رجب سنة أربع وأربعين[1] وسبع مئة .

ومولده بزواوة سنة أربع وستين وست مئة .

١٣٢٣ - عيسى بن موسى*

المعروف بابن الزِبِطْر ، بكسر الزاي والباء[2] الموحدّة وسكون الطاء المهملة وبعدها راءٌ.

كان نصرانياً مُسْتوفياً بحمص ، وقع منه تعرض بكلام قبيح لا يليق[3] ذكره في حق سيدنا رسول الله ﷺ ، فقام الناس عليه فسعى في الباطن ، وسكنت القضية . ثم إنّ أهل حمص قاموا عليه وأثبتوا شهادةً استرعاها اثنان لآخرين عليه ، فثبت ذلك على قاضي حمص ، فادّعى أنَّ معه نصيحة ، فحمل إلى دمشق ، فكتب قاضي حمص إلى قاضي قارا بأمره ، فلمّا وصَلَ إلى قارا أسلم وأراد من قاضي قارا أن يحكم بإسلامه فامتنع ، فحضر إلى دمشق وتظاهر بالإسلام فما قُبل منه ، وفوّض شيخنا قاضي القضاة

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٤٣) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) (أ) : وكسر الباء » .

(٣) (أ) « لا يمكن » .

تقي الدين السبكي الحكَمَ فيه إلى قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي ، فحكم بِسَفْك دَمِه .

وضربت رقبته في سوق الخيل بعد عصر الاثنين خامس شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة بحضور القضاة الأربعة .

١٣٢٤ - عيسى بن يحيى*

ابن أحمد بن محمد بن مسعود ، الشيخ الإمام المحدّث الصوفي ضياء الدين أبو الهدى الأنصاري السبتي .

قدم القاهرة واستوطنها في الصِّبا ، وسكن دمشق مدة في الدولة الناصريّة الصلاحيّة[1] يوسف .

وحدّث عن أبي القاسم الصفراوي ، ويوسف بن المخيلي ، وابن المقيّر ، وابن الطفيل ، وابن دينار ، وابن الصابوني ، وجماعة ، وخرّج له التقي عبيد (أربعين تساعيات أبدالا) .

قال شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : سمعها منه ، وكان مليح القراءة للحديث حسن المعرفة ، كثير الحرمة ، أَلْبسني[2] الخِرْقَة وذكر أنه لبِسها بمكة من الشيخ شهاب الدين الشَّهْرَزَوْرِي[3] .

---

* الشذرات : ٤٣٦/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١١١/٨ .

(١) ليست في (أ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ألبسنا » ، وأثبتنا ما في (أ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « الشهرزوي » ، تحريف ، فأثبتنا ما في (أ) ، (ق) والشذرات . وهو شهاب الدين يحيى بن حبش (ت ٥٨٧) ، السير ٢٠٧/٢١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...[١] سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بسبته سنة ثلاث عشرة وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ **ابن أبي العيش** : بدر الدين عبد الله بن الحسين .

☆ **عين بصل** : إبراهيم بن عليّ[٢] .

(١) كذا بياض في الأصول .

(٢) ههنا ينتهي الجزء السابع من (ق) .